المجلة الجديدة

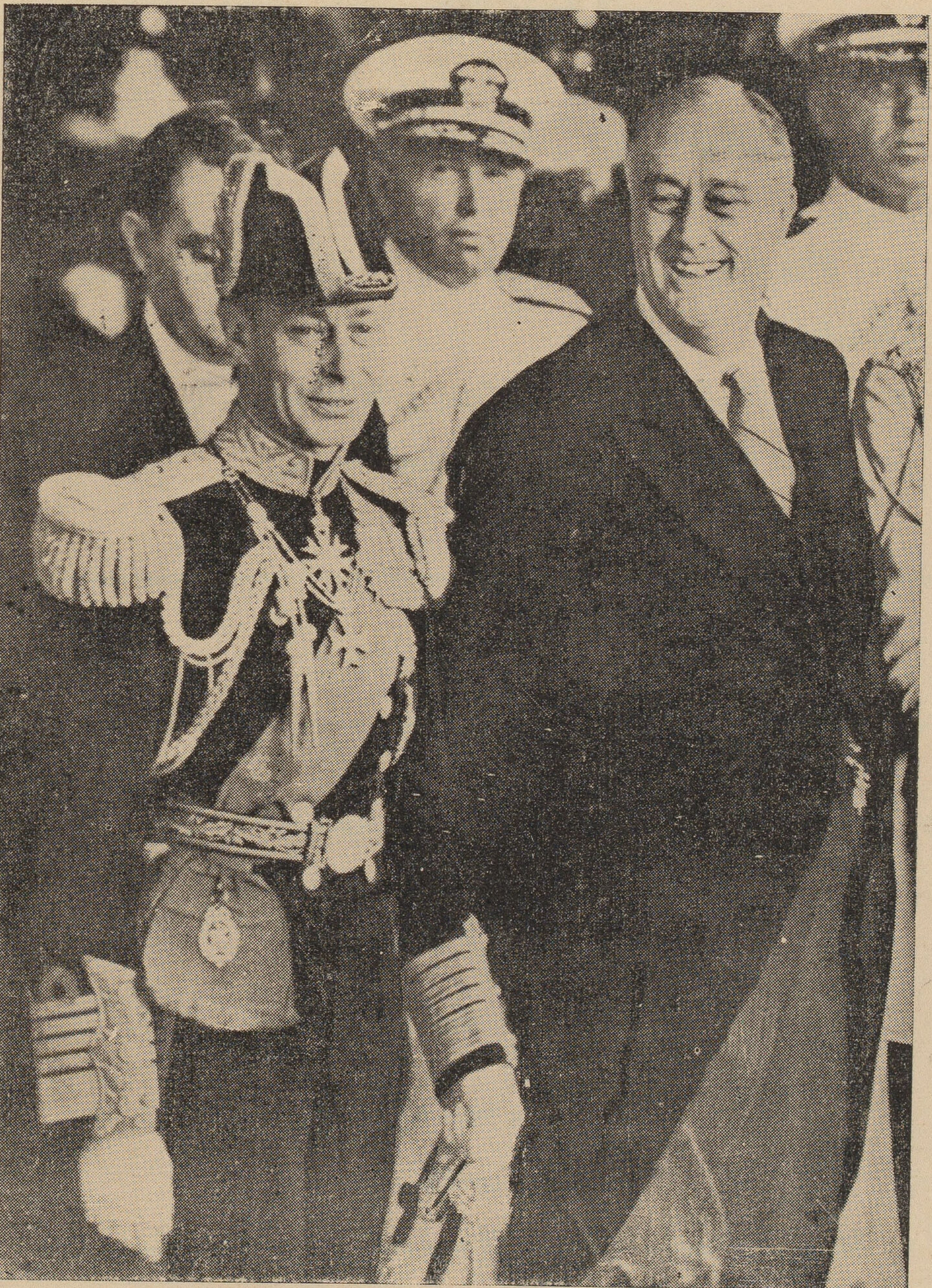
الثمن ٣ قروش — يوليه سنة ١٩٣٩

AL-M
AL-I

N
1

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش — يوليه سنة ١٩٣٩



زار فى الشهر الماضي صاحب الجلالة الملك جورج السادس والملكه اليزابث الولايات المتحده وتري هنا صورته مع المستر روزفيلت رئيس الولايات المتحده . ولهذه الزياره مغزاها فى الاضطراب الحاضر فى السياسة العالمية

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد السابع
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد ـ شارع الفجالة ـ مصر

يوليه ١٩٣٩

افتتاحيـــــات

شبابنا في انجلترا

اللورد لويد رجل معروف فى مصر اذ كان فيها مندوبا ساميا فى مدة وزارة المستر مكدونالد . وهو أمبراطورى النزعة ، وقد يغالى فى نزعته هذه الى حد يبعث على الانتقاد ، ليس من ابناء الامم الاجنبية وحدها بل من أبناء بلاده نفسها . ولكن نزعته هذه اتخذت فى السنوات الاخيرة لونا ثقافيا هو خدمة اللغة والآداب الانجليزية عند الأمم الاجنبية . وهو هنا يستحق كل اطراء . وحبذا المنافسة تجرى بين الامم فى نشر اللغة والثقافة . لان هذه المنافسة خدمة للنور ، وهى حث على الدرس وتبادل الفنون والعلوم التى هى رقى عام للعالم كله ووسيلة الى السلم بالتعارف المتبادل . والانسان حين يعرف احدى اللغات ويتعمق فى درس آدابها وفنونها لا يسعه إلا أن يحب أبناءها

وقد أسس اللورد لويد ما يسمى الآن « المجلس البريطانى » لتحقيق هذه الغاية أى أن يعمل لنشر اللغة والثقافة الانجليزيتين . وكان من أثاره هذه الاقسام الليلية الانجليزية التى يدرس فيها شبابنا مختلف الفنون والعلوم الى درس آداب اللغة الانجليزية . وقد التحق كثير من شبابنا بهذه الاقسام وانتفعوا بها

والآن تذكر الصحف أن ذلك المجلس دعا ٧٥ طالبا مصريا لزيارة انجلترا وقضاء ١٥ يوما فيها

واختار خمسين من هذا العدد من جامعة فؤاد الاول و٢٥ من الاقسام الليلية الانجليزية . وسيعنى المجلس بهؤلاء الزائرين الذين لن يتكلفوا مليما واحدا من جيوبهم فيطاف بهم على المدن الكبرى والمناظر الريفية الرائعة . والريف البريطانى على الرغم من أن الزراعة هناك ليست كثيفة كما هى عندنا يحوى من المناظر الجميلة ما ليس له شبيه فى العالم ، سواء أكان هذا المنظر جبلا أم تلامكسوا بالاعشاب النضرة والاشجار الباسقة ، أم كان نهراً صافيا أو ماشية ترعى أو قصرا قديما يملكه أحد اللوردات منذ مئات السنين وينفرد شامخا بين الحقول يشير الى حضارة كادت تبيد ازاء الحضارة الصناعية الجديدة التى تكتسحها . وقد حرص الانجليز على المناظر التى تعد ذخرا وطنيا فاستبقوها وحاطوها بعناية عجيبة . فان لوحة الاعلانات التى تقذى العين أحيانا عندنا فى الريف وتحطم الروعة والخيال قد منعت اقامتها فى مثل هذه المناظر كما أن الجمهور منح الحق فى ان يزور كل الاماكن التى تمتاز بالجمال الطبيعى ولا يجوز للمالك أن يعارض فى هذه الزيارة

ونحن نشكر للمجلس البريطانى عمله هذا ونرجو أن ينتفع شبابنا بهذه الزيارة وان يعودوا وهم أوسع ذهنا وقلبا . فان العالم الذى مضت عليه أشهر وهو يتسمع لهمهمة الحرب يجب ان يطرب الان بمثل هذه الايماءة الى الصداقة والود . وبيننا وبين الانجليز معاهدة لاريب فى أنها تقوى بمثل هذه الزيارة فى وقت عصيب قد نسى فيه الساسة فى الدول الكبرى حتى ألفاظ المجاملات . ونرجو أن يبدى شبابنا أحسن الاخلاق المصرية فى الوسط الانجليزى الذى سيرحب بهم ويرى فيهم المثال لما تزدان به الشبيبة المصرية من أخلاق سامية ورجولة تامة . كما أننا ننبه وزارة المعارف الى العناية بمثل هذه الرحلات التى ينتفع بها شبابنا فى التكمل من اللغتين الفرنسية والانجليزية . وقد سبق للوزارة أن عملت على تشجيع زيارة المعلمين لكل من فرنسا وبريطانيا فهى تحسن كل الاحسان اذا توسعت فى ذلك بان سهلت لمعلمى اللغة المصريين قضاء شهرين أو ثلاثة أشهر وعندنا كثير من المعلمين يودون لو يقضون بعض الاشهر فى فرنسا أو انجلترا حيث يتكملون فى اللغة ويعودون الى مصر وهم أرسخ قدما فيها وأعرف بحضارة أبنائها زيادة على القيمة الثقافية لمثل هذه الرحلات

ماهية الديمقراطية الامريكية

تصل الديمقراطية باعتبارها مبدأ ودستورا وادارة ورأيا عاما الى القمة فى الولايات المتحدة

الامريكية . ولذلك يجدر بنا أن نقرأ مايقوله هؤلاء الامريكيون عنها . فقبل أشهر عرضت قضية فى إحدى محاكم الولايات المتحدة تصاولت فيها المبادىء . فالقى القاضى براندیس هذا التصريح التالى :

« ان أولئك الذين كسبوا لنا الاستقلال كانوا يؤمنون بان الغاية الأخيرة للدولة هى أن يجعل الناس أحرارا حتى يربوا كفاءاتهم وان تتغلب فى الحكومات القوات الاستشارية على القوات الاستبدادية . وقد كانت قيمة الحرية عندهم انها غاية ووسيلة معا . وكانوا يؤمنون بان الحرية هى سر السعادة وان الشجاعة هى سر الحرية . وكانوا يؤمنون بان انفرد يجب أن يكون حرا فى أن يفكر كما يريد وفى أن يتكلم كما يفكر . وان هذه الحرية هى الوسيلة الى الوقوف على الحقائق السياسية واذاعتها معا . كما أن تحريم الخطابة والاجتماع يجعل كل مناقشة عقيمة . ولكن بهما تعود المناقشة درءا يحمى الشعب من المذاهب المضرة . وان أعظم ما يهدد الحرية هو الامة الراكدة . ولذلك فان المناقشات العامة هى واجب سياسى ويجب أن يكون هذا الواجب لهذا السبب مبدأ أساسيا للحكومة الامريكية »

هذا هو ما قاله القاضى براندیس فى احدى القضايا . وهو يبين رأيه فى معنى الديمقراطية وان الحرية بالوانها المختلفة هى الأساس للحكم الديمقراطى . ولكن قد يقال هذا كلام لا أكثر . فكيف نجد العمل ؟

حدث من مدة قريبة أن هنرى فورد صاحب مصانع الاتومبيلات ومن أغنى الأغنياء فى العالم عمد الى رجاله لكى يندسوا بين العمال ويكفوهم عن تأليف النقابات . ولم يقنع بالدعاية بل صار يطرد كل من حامت حوله شبهة الانضمام إلى نقابة أو التحريض على تأليفها . مع أن القانون يجيز للعمال تأليف النقابات التى لم تعرف الى الآن وسيلة لترقيتهم خير منها . وفورد قوى بالمال والذكاء والرجال . والقانون الذى يجيز عمال تأليف النقابات يجيز للمصانع أن تختار من تشاء من العمال . ولكن الحكومة الأمريكية حين علمت بان فورد يناوىء العمال الذين ينضمون الى النقابات أرسلت اليه انذارا طلبت منه «أن يقف ويكف» عن هذه الحركة

فماذا نفهم من هذا ؟ نفهم أنه إذا تعارضت حرية الاكثرية من الفقراء مع حرية الاقلية من الاغنياء انحازت الحكومة الديمقراطية ، الى الفقراء المستضعفين . وهى مثابرة على هذا الانحياز ففى سنة ١٨٤٨ مثلا أذيع منشور شيوعى كان مما جاء فيه ضرورة العمل لايجاد مدارس مجانية

اجبارية وايجاد ضريبة متدرجة على الدخل . وقوبل هذا المنشور بالكراهة العنيفة وكوفح ما فيه من مبادىء متطرفة تنكر على المالك حق الاستمتاع بما يملك . ولكن مع هذه الكراهة لم يقابل هذا المنشور بالتعصب أو المقاطعة . فان ما جاء فيه بشأن التعليم والضرائب يعمل به الآن فى جميع الامم الديمقراطية . لان حرية المناقشة من شأنها التنقية والتنقية معا . فما هو حسن يبقى وما هو سىء يرفض

وقد يقال هنا : كيف يمكن امتداح نظام ديمقراطى يؤدى — كما فى الولايات المتحدة — إلى وجود نحو ١٢ مليون متعطل ؟

فالجواب انه يؤدى الى هذا العدد الهائل من المتعطلين ولكنه يعولهم وهو راض لا يتذمر . ثم هو بالحرية التى يمارسها أبناؤه قادر على أن يعولهم . فالمتعطل الذى تستخدمه حكومة الولايات المتحدة فى تعبيد الطرق ينال الآن ١١ جنيها فى الشهر . وهذا المبلغ يؤخذ من الضرائب المفروضة على المصانع والمزارع . وبكلمة أخرى نقول ان الصناعات فى الولايات المتحدة تكفى العاملين فيها والمتعطلين منها معا . وليس شك انه لو وجد نظام آخر يعمم المساواة فى العمل للجميع لكان أفضل ولكن طريق الديمقراطية الى الاهتداء الى هذا النظام هو طريق الحرية والمنافسة الحرة والفحص عن الآراء المتضاربة تحت حماية قوانين هى سواء للجميع

وقد يمكن ان يقال هنا مع قليل من الاجمال التعسفى أن الحكومة الديمقراطية هى حكومة القوانين والحكومة الديكتاتورية هى حكومة الاشخاص . ولكن هل يمكن أحدا أن ينكر الرقي الاقتصادى الذى حققته النظم غير الديمقراطية وهل هى لا تزيد فى قيمتها على الحرية التى يستمتع بها أبناء الامم الديمقراطية ؟

فالجواب ان هذا الرقى الاقتصادى لا ينكر ولكنه لا يساوى هذه الحرية لأن الحرية هى فى غايتها الوسيلة الوحيدة لتنمية الشخصية الانسانية وهى أثمن شىء فى هذا العالم

الفلاح التركى

التفتت الصحف المصرية هذه الايام التفاتا خاصا الى زاوية صغيرة من زوايا النهضة التركية . فقد ردد الكتاب عندنا ذلك القانون الذى صدر فى أنقرة يحرم على المرشحين للزواج ان يتهادوا

بالهدايا الفاخرة أو يغلوا بالمهور أو ينفقوا على الولائم التى يدعى اليها الـكثيرون . والهدف الذى رمى اليه هذا القانون هو التشجيع على الزواج بتيسير نفقاته

وبدهى ان مثل هذا القانون يجب ان يجد رجعاً حسنا فى مصر . فاننا قد أثقلتنا تقاليد وعادات تجعل أحيانا خراب البيوت يبدأ بنفقات الزواج ، وهى نفقات إما ان تذهب زبداً جفاء فى مصابيح تتلألأ وموائد تبسط ومشروبات تطيح بالرؤوس وإما ان تتجمد وتعود مالا عقيما لا يثمر فى جواهر ومصوغات

ولـكن تركيا فى نهضتها الشاملة قد تناولت شؤونا اخرى كثيرة بالاصلاح . ويحسن بنا أن ندرسها ونوليها التفاتنا الدائم وقد نجد من هذه الاصلاحات مايخالف بعض نزعاتنا مما يعرفه القراء ولـكن هناك مجهودات تركية أخرى تستحق منا الدرس والاخذ بثمراتها . ولعل أهم مايجب ان نهتم به منها معاملة الحكومة التركية للفلاحين الاتراك.هؤلاء الفلاحون الذين وصفهم المرحوم كمال أتاتورك بأنهم أسياد الدولة

فقد سنت الحـكومة التركية قانونا لحماية الفلاح من عواقب الحجز . وذلك بغية التخفيف من هذه العواقب وحماية الانتاج الزراعى . وهذا القانون يقسم الممتلـكات التى يمكن القاء « الحجز » عليها اربع طبقات لايجوز للدائن ان يتخطى واحدة منهن الا بعد ان يستقصى الطبقة السابقة وهى :

الطبقة الاولى التى يجب على الدائن ان يبحثها هى الاجور والرواتب . فهذه يمكن كل دائن ان يلقى الحجز عليها سدادا لدينه . فاذا لم تكفه فله ان يعمد الى :

الطبقة الثانية للممتلـكات وهى امتعة البيت والممتلـكات الشخصية مما يزيد على حد الـكفاية اى لايمكن ان يلقى الحجز على الاطعمة والفراش وانية الطبخ ونحو ذلك مما يعد ضروريا للعيش ، فاذا لم يكفه هذا فله ان يحجز على :

الطبقة الثالثة وهى الماشية والآلات الزراعية ولكن بشرط الايوقع الحجز على ثيران الحرث أو جياد العمل او العلف اوحب البذار او الآلات الزراعيـة المستعملة ، بل لايمكن الدائن أن يوقع الحجز على النقود التى لايمكن الفلاح ان يمارس عمله بدونها . او بكلمة أخرى ان الحجز ، يجب ان يقتصر هنا على الماشية والآلات الزراعية الزائدة على الحاجة

فاذا لم يكف الدائن هذا فيمكنه ان يوقع الحجز على :

الطبقة الرابعة وهى العقار الزراعى نفسه ، ولكن يجب ان يستثنى من الحجز منزل الفلاح واسطبل المواشى والمظلات التى تحمى الماشية والمحصولات من المطر وغيره

هذه هى خلاصة هذا القانون التركى البار الذى يحمى هذا السيد النبيل أى الفلاح فى تركيا ، وهو عندنا اهم وابر واخطر فى عواقبه من ذلك القانون الذى يحتم الاقتصاد فى نفقات الزواج وكان يجب ان نلتفت اليه وان نسعى فى مصر للاخذ بمثله

اخبار الصحف

الرجل المثقف الذى نضج ذهنه واصبح يتأمل العالم كأنه قريته الكبرى وعلى لسانه وفى وجدانه كلمة الممرضة الانجليزية كافيل « الوطنية لا تكفينا » هذا الرجل لا يمكنه أن يسر بالحال التعسة التى يعانيها العالم هذه الايام . فان المثليات القديمة التى استرشد بها زعماء الثقافة فى الستين من القرون الماضية والتى تضع السلام والتعاون والخير العام والتسامح والحب فوق كل فضيلة وعلى قمة الامانى — هذه المثليات قد تراجعت الى الخلف وتصدر الى الامام مثليات زائفة تدعو الى غير هذه الفضائل

ولكن القارىء للصحف يجد ما يحزنه فى الأمم الديمقراطية ايضاً حيث قد انحطت الاذواق وزيفت الثقافة فأصبح هم القراء من الجمهور الاكبر لهوا وعبثا وسخفا حتى صارت لكل جريدة من هذه الجرائد التى تباع بالملايين صفحة خاصة بالتنجيم وعلاقة النجوم بالطالع واستنباط الحظ من الكف وصفحات اخرى عن بنات الهوى السينمائيات وما الى ذلك مما لا يرتفع عن المستوى الذهنى الذى يحظى به اخواننا السود فى قلب افريقيا

ولكن فى وسط هذا الهدم الذى تفتت به الشخصية الانسانية نجد قليلا من البناء . وهو بناء الاسرة وبناء الصحه وبناء المنزل وبناء الارض نفسها . وتستوى فى ذلك امم تختلف انظمة الحكم فيها مثل بريطانيا والمانيا وهولندا وغيرهن . ففى هذه الامم نجد خاصة مثقفة تسود هذا الجمهور الضخم الذى تخصه الجرائد بصفحة عن الحظ والطالع والنجوم وهى تبنى له من حيث لا يطلب البناء وتعلمه من حيث يطلب الجهالة ويلتذ التمرغ فيها . ولذلك اذا كنا نجد الكثير مما يحزن فى اخبار الصحف فاننا نجد ايضا القليل مما يسر . واليك بعض هذا الذى يسر

١ — وزعت الحكومة البريطانية فى العام الماضى على صبيان المدارس ٩٧ مليون زجاجة من اللبن شربها هؤلاء الصغار فاحمرت وجوههم وزاد وزنهم من اللحم والشحم ولعبوا و نشطوا ومرحوا. وهذا هو الخير والبر. لان الحكومة البريطانية بهذا العمل تبنى أنسجة انسانية سليمة تستطيع ان تعمل وتجاهد المرض وتخدم نفسها والمجتمع. واعظم ما يمتاز به اللبن انه يحتوى جميع الفيتامينات التى تحمى الجسم من الامراض. والحكومة البريطانية تؤدى إعانات للفلاحين لكى يربوا البقر و ينتجوا اكبر مقدار منه. وبهذه الاعانات تمكن الفلاحون الانجليز من ان يقدموا للسوق فى العام الماضى الف مليون جالون من اللبن شربها صغار الانجليز وبعض كبارهم. فهذا خبر سار يجب أن تذكره كل أمة تعرف انلها اطفالا وصبيانا يموتون من قلة الطعام

٢ — وخبر سار آخر هو أن هولندا قد أغارت على مياه البحر فطردتها وكسبت من هذا البحر نحو ربع مليون فدان. فأى شىء فى الدنيا هو أشرف من هذا العمل : الانسان يكافح الطبيعة وينتزع من بحرها أرضا يزرعها ؟ ومثل هذا الخبر يجب أن تذكره كل أمة زراعية لها بحر يتاخمها وخاصة يجب أن تذكره مصر التى يقول على اسلام باشا أن مساحة الأرض المزروعة فيها قدنقصت فى السنين الثلاثين الماضية بدلا من أن تزيد. وهذا مع العلم بأن لنا بحيرات هى مخاضات يسهل جدا طرد المياه منها واستزراعها. بل لنا صحارى منخفضة كتلك الواقعة بين القاهرة والسويس يسهل جدا أن نشقها بقناة — مثل قناة نخاو القديمة — فنزرعها و نقيت أبناءنا بمحصولاتها

٣ — وخبر سار ثالث هو أن الحكومة البريطانية بنت أربعة ملايين منزل أو أعانت على بنائها لكى يسكن الانجليز فى منازل جديدة جميلة. ويجب أن تذكر هذا الخبر كل أمة يعيش أبناؤها فى القذارة التى تنافى الشرف والصحة

٤ — وخبر رابع يسر القارىء أيضا هو هذه الحماية التى يلقاها الفلاح فى تركيا والمانيا وايطاليا وانجلترا. فان هذه الامم تعينه بالمال وكأنها ترشوه لكى يبقى فى الارض ويصلحها. فاحداهن تمنع عنه الحجز. وأخرى تبنى له المنازل وأخرى تؤدى له جنيهين عن كل فدان يزرعه قمحا وأخرى تمنع مزاحمة محصولاته بالمحصولات الاجنبية الخ

هذه أخبار سارة يجب أن نقف عندها ونتأملها وان كان يحزننا أن نقول فى نهايتها : ونحن ؟

الشعر والشعراء في عصرنا

للدكتور ابراهيم ناجى

عندما اتحدث عن الشعر انما اتحدث عن شيء عزيز على وشك الانقراض . وهذا دليل محزن على العصر الذى نعيش فيه ، والادب فى اى عصر يمثل ذلك العصر وهو مرآته بلا نزاع واصدق تعريف لعصرنا الحالى وادبه هو تعريف المرحوم تشسترتون له ، « هو اعجاب منحط بالمادة ، واسلوب عذاب وقلق » !

والأدب كما تعلمون جزء من الحياة ، او هو الحياة ، لذلك كان متعلقا بالنظم السياسية وتابعاتها .

ومن البدائه ان الادب يزدهر فى عصور الديمقراطية . وحيث توجد الحرية يوجد الادب الصحيح وحيث تنمحى الحرية لا أدب ولا فن .

والواقع ايها السادة اننا حين نتكلم عن الادب فى عصرنا الحاضر نتكلم عنه فى بلاد الديمقراطية وأعلام الادب لو حققتم هم الذين انجبتهم هذه البلاد الديمقراطية .

وما دام الأدب ينبع من الحرية وأعنى بالادب الادب الحر الطليق الذى يغامر ويجدد ، فان سمات الأدب فى البلاد الديمقراطية واحدة تقريبا مع بعض اختلافات دعت اليها المعالم التاريخية والظروف الاجتماعية والفكرية هنا وهناك . فاذا تكلمنا عن الادب فى انجلترا مثلا فقط تكلمنا عنه تقريبا فى انجلترا وفرنسا وامريكا ولا يخفى ايضا ان من مميزات هذا العصر تداخل الثقافات وتقاربها وتأثير كاتب على كاتب — وذلك ناشىء من سهولة الاتصال وقرب البعيد »

وقبل ان اتحدث بالتفصيل الفت النظر الى تأثير العلم الحديث فى الادب الحديث .

لا شك أن العلم يتطور تطوراً سريعاً باهرا . ففى السنوات الاخيرة رأينا الطيارة والراديو وعما قريب يقوم التليفزيون مقـام الراديو ، ورأينا أو سمعنا عن الاختراعات العلمية العجيبة فى مختلف النواحى الاجتماعية والحربية والاقتصادية

ورأينا أو سمعنا ما استحدثته الكيميا الحديثة من الغازات ، وما اسدت الى الطب من الخدمات ولـكن السؤال هو هـذا وهو سؤال كبير الاهمية هل استفاد العالم من كل هذا ؟ تلك الاختراعات التى تمت على يد المفكرين والمكتشفين ماذا صنعت بالعالم ، أجل أدت الى رخائه وتقدمه ، ولـكن مع الاسف يجب أن نقرر حقيقة ماثلة ، لقد وثب العلم وثبا ، فتخلف عنه زميله الادب وتركه يحاول محاولة العاجز ان يلحقه فلا يستطيع . قد يقول معترض ، ولـكن الادب تقدم أيضا ، فليس ادب القرن العشرين كادب القرن التاسع عشر ولا القرون السابقة فهو أرفع منه كتبا وأوسع مدى وأعمق فهما للحياة ، هذا صحيح ! تقدم الادب لان التقدم سنة التطور ، والطبيعة تمضى الى الأمام تباعا ، إن الادب تطور حقا ، ولـكن ليس بنسبة زميله العلم ، وفى رأى روبنسون وولز ان هـــذه هى كارثة الانسانية ، فان العقل ينمو على حساب العاطفة ، الفكر يتطور على حساب الروح ، الذهن الانسانى يثب وثبا والشعور يدرج

ومن آفات العقل حين يتقدم ويتفتح انه يجيل النظر ويفحص ويشرح فيصير فى الختام واقعيا ، ومتى صار واقعيا صار ماديا ، لانه يبحث عن الحقيقـة العادية ، ويحاول أن يتجنب الخيـال والعاطفة ، وفوق ذلك فان الواقعة تشرح تشريح المشرط الذى يقطع فى الجسم ليعرف خفايا تركيبه، دما وعصبا ولحما

وكل أدب ينصرف الى ذلك التشريح يفقد الفن جماله ، ويريك خواطر طائرة متفرقة لا مجموعة متحدة نخمة

ولذلك نلمح فى الادب الحديث

الظاهرة الاولى قلة التماسك

والظاهرة الثانية الواقعية المادية

والظاهرة الثالثة أثر الراديو والصحافة فى الثقافة العامة ، فاننا صرنا اليوم على حد تعبير الجاحظ

«صحفيين خطافين» أى نتلقى معلوماتنا من الصحافة والراديو وهى معلومات طائرة ضئيلة سطحية علمتنا التواكل والكسل وقلة البحث . ولكن لا ننسى مطلقا أن أهم أثر للعلم الحديث ، وهو انه جعل الادب بيولوجيا ، أو بعبارة أخرى نبه الكتاب الى تأثير الوسط ، وجعلهم يلتفتون الى التفاعل بين الناس والاوساط

هذا التفاعل بين الانسان والبيئة والتدقيق فى وصفه ، هما ميزتا الادب الحديث وأروع ما فيه وقبل أن أنتقل الى أقسام الادب على الاطلاق أريد أن أوجز لكم فى كلمتين طابع الادب الحالى ، فهو « خاطف غير متماسك ، أدب تشريح ، وتسجيل صحفى للحظة وأخرى »!

* * *

من يريد أن يتكلم عن أدب أى أمة يجب أن يذكر ماضيها ، ان كل أدب يحاول الانفصال عن ماضيه لا بد أن يندثر ، كذلك كل شخص يحاول أن ينفصل عن ماضيه يبوء بالفشل ، ان الماضى والمستقبل والحاضر حلقات تتصل احداها بالاخرى أوثق الاتصال

هذه الاصول المنبثة فى أعماق كل أدب لا بد من التكلم عنها لمن يتصدى للكلام عن أدب الجيل الجديد . ذلك لان الذين ماتوا من الادباء الكبار لم يموتوا مطلقا ، فهم أحياء بيننا ، هم جد أحياء . كيف يكون الشعر العربى بدون المتنبى وكيف يكون الشعر الفرنسى بدون راسين ودى موسيه وكيف يكون الشعر الانجليزى بدون شاكسبير ؟

لذلك كان من الواجب الالمام بالمعالم التى مر عليها الادب فى عصوره حتى وصل الى ما هو عليه وسنجد أن كثيراً من الصور التى مر عليها الادب فى أدواره فاخذ فى الظهور بشكل جديد ، أو تشكل بزى آخر أو يزيد عليها شىء أو يختلط بها عنصر آخر ، والواقع أن كل الصور التى مر عليها الادب الاوربى من حال الى حال متشابهة ، وما هى الا تطور وتحسين وتقدم .

غير أن هذا التطور يمشى فى أمة مسرعا ، ويمشى فى أخرى متلكئا ، وفى أخرى يقف عند حد لا يتجاوزه

وسأوضح هنا هاته المعالم ، اذ بدون ذلك لا يمكن أن نعرف ما وقفنا عنده الآن . ولا بد لفهم معنى هاته الصور والمعالم فهما تاما لا يكفى بتاتا عرفانها بالاسم ، لا يكفى بتاتا أن نسمع عن

الـكلاسيكية والرومانتية ، والسمبولية بغير أن تـكون لها فى عقولنا صور واضحة ، والـكلام على هذه المدارس يتناول الشعر والقصة ، وقد يتناول الفنون جميعا . ومن العجب أن هناك فكرة «مبهمة» عن كثير من هاته المدارس ، فالمدرسة السمبولية لها أشياع ومريدون يحسبون الرمزية خطأ كل ضرب من الادب ، متسم بالخفاء والغموض . وقد يخفى على كثيرين مثلا ان فرلين شيخ الرمزيين وضع لمدرسته قواعد وحددها تحديدا . اجل قرر ذلك فى قصيدة من غرر شعره جرت مجرى ألفية ابن مالك عند الفقهاء بيننا لما تحمله من تحديد معنى الرمزية وتفصيل ما أشكل بشأنها :

كل الاداب الاوربية أبتدأت بالكلاسيكية . ومرت على الرومانتية وانتهت اليوم بالواقعية . هذه هى المعالم الرئيسية وضع بين هؤلاء ماستتب من معـــالم التعبيرية والانسانية ، وغير ذلك من الابيات التى لا عدد لها . ولنذكر على سبيل المثل ان الكلاسيـكية تمثال نخم جهم ضخم يمثل العقل والعظمة .

والرومانتية كست التمثال حنانا وعاطفة واضافت الوانا له — ولو تخيلته تمثال امرأة ، لقلت ان الرومانتية وضعت على شفتيه بعد ان كسته الحنان والرقة .

وجاءت الرمزية نخلعت على التمثال ثوبا من حرير تلعب عليه الاضواء والالوان ، ونحتت التمثال من جديد فجعلت له قواما شائقا ، وصار يعبر عن الصدق والحقيقة ما استطاع

والواقعية جعلت التمثال يعبر عن الواقع بغير النظر الى شىء أخر . .

• • •

وعيب الكلاسيـكية ان قاموسها مختار به وانها ارستقراطية .

وانها لا تبدو الا فى ثياب رسمية ، وانها بعيدة عن متناول العامة .

وعيب الرومانستية الاغراق فى العاطفة وكـثرة الكلام ، والتصنع والتزويق

« • »

وعيب الواقعية المادية . . .

وقد حاول كثير من الادباء ان يمزجوا بين المذاهب بقصد ايجاد «معدن» تجتمع فيه العناصر الجميلة من كل مدرسة و تستبعد العيوب الاخرى .

هذه هى المعالم الرئيسية ، وانكم لتسمعون عن مدارس لا حصر لها خصوصا فى فرنسا التى هى اكثر الامم مغامرة فى سبيل التجديد ، وعند ما تقرأون الادب الفرنسى الحديث تدهشون من عدد هذه المدارس ، وقد لقيت كل مدرسة زمنا وانصارا ، ثم اندثرت لانها لا تقوم على أساس . فمن هاته المدارس . مدرسة جيمس الذى راح يعبد الله بتقديس مخلوقاته حتى الحقيرة منها ، فمن قصائده أخذت عصاى وقلت للحمير تحية ياأصدقائى ، ورفعت رأسى للسماء وقلت يا لله ان فرنسيس جيمس سيدخل الجنة !

ان جيمس شاعر كبير معترف بمقداره ولكن ربما كان اغراقه فى الانسانية داعيا الى شىء من السخرية كما رأيتم .

وهناك مدرسة اخرى ثارت على كل مألوف وصار اعضاؤها يخرجون الى الطرقات ولا يبالون بأحد ولا بمجتمع .

وخذوا على هذا المثال ما لا يعد ، ولكن انجلترا التى عرفت بمحافظتها اخذت نصيبها من التجديد فى أواخر القرن التاسع عشر . ومرت على الوان من تلك المدارس ولكنها غير متعددة بقدرها فى فرنسا ،

اما أميركا فعالم قائم بذاته يحتاج الى حديث منفرد

أما المانيا وايطاليا فالعباقرة فيهما فى العصر الحاضر قليلون وأسماء الاعلام تعد على الأصابع ، ذلك لأن المانيا وايطاليا انصرفتا الى الاستعداد للحرب ؛ فصارت الحياة فيهما شعورا بالحرب أو تأهبا لها ! فلا مجال للشعر فيهما ولا معنى !

* * *

قد يكون من اللائق أن أبدأ بتعريف الشعر ، وهذا شىء عجيب ، عجيب ان نبدأ بتعريف الشعر الآن ! ولماذا نعرف الشعر الآن ؟ الا نعرف ما هو الشعر ؟ كل منا يعرف ذلك . كلا هذا وهم . أكثر الناس حتى الشعراء لا يلمون بالتعريف

وقد كان هناك صديق ناقد ينتقدنا جميعا ويقول اننا لا نعرف شيئا فاجتمعت به ليلة فى نفر من أصحابى ، وقلت له يا فلان انت تنتقد الشعراء ولا يعجبك أحد منا .

حسن انى أعطيك جنيها لو قلت لى ما هو الشعر ، فظل طول الليل يحاول أن يعرف الشعر فلم يوفق ، فوضعت الجنيه فى جيبى ساخرا ، وقلت له انت لا تستحق مليما واحداً ، لانك لاتدرك حتى التعريف

وهذا القول ينطبق على كثيرين يدينون بمذاهب يتبعونها عميانا . فلنا زميل سجن من أجل اعتناقه مبدأ ، فيوم خروجه من السجن جلس معنا وهو يتحدث من مذهبه ، فاتضح لى انه يتكلم عن شىء مشوش فى ذهنه ، وكنت فى ذلك الحين قدحاضرت عن ذلك المبدأ بهذه الجمعية ، وقرأت عنه بالطبع كثيرا والممت به الماما جيدا ، فالتفت له وقلت يا فلان ان فهمك للمبدأ الذى تعتنقه فهم خطأ ، واخذت أشرحه له كما أعرفه من يقين ، فضحك قائلا لقد سجنت اذن لانى لا انا ولا القاضى الذى داننى نعرف شيئا مما اتهمت به وداننى فيه !

الخلاصة من ذلك ان فهم الشعر بمعناه الحقيقى اساس لكل بحث فى الشعر ، واكرر هذا لان الشعر فقد معناه وقد فقد اهميته بفقدان معناه . وفقدان معنى الشعر واهميته كارثتان كبيرتان . لان الشعراء هم المغامرون والمجددون فى التاريخ ، هم المغامرون بارواحهم ، حتى اطلق المرحوم الشاعر بيتس الارلندى تعريفه المشهور عن الشعر انه « مغامرة الروح »

والذين يغامرون بارواحهم لا يقلون قيمة عن الذين يغامرون باجسادهم فى سبيل الانسانية

والتاريخ حافل بالشعراء الذين كان نصيبهم الموت والطرد والنفى فى سبيل مغامراتهم الروحية وأعنى بمغامرة الروح انطلاقها الى عوالم غير مطروقة وتغلغلها فى اقطار خطرة وتصديها لعقائد غير معروفة وتحليقها فى اجواء غير مأهولة ،

ومادام هذا العصر ماديا فمغامرات الروح لم تعد تجد لها موضعا ، ولهذا صار الشعر الحقيقى يقل قلة منذرة بالانتهاء . ولكنه قبل ان ينتهى شوه وجهه الجميل ، وحل محل الشعر الموسيقى المطهر السامى المتزن ، صناعة باردة يقصد منها . ابداء البراعة الفنية ، مع تسجيل الخصوصيات الدقيقة : صار كله فى رأى صديق لنا « شغل عقل » ! أو فقد كما يقول ماراى « حقله العاطفى » وهنا نذكر ان الشعر « عاطفة » . وان يكن الشعر زيادة فى الحساسية (كما قال كولردج) أو كشف من الغيب (كما قال دوديه) او ذكريات مفاجئة (كما قال كيتس) فانه قبل كل شىء عاطفة . عاطفة كهربائية لا قطعة من

الفحم تضيء وتحترق ، بل كما قال كيتس ثانيا عبء ساخن من الخلود فوق القلب !

ويقول ستوارات ميل انه عاطفة قبل كل شيء ثم يلونها التفكير او يضاف اليها كالملح في الشوربة !

وقال هوفمنثال « ان الشعر ان يفكر الانسان بقلبه »

وقال اللورد دنساني « الشاعر مخلوق يرى جلال الكون في لمحة . ويعشق الجمال في كل صورة ، ويطعنه القبح كخنجر ويعرف الطبيعة كما يعرف علماء الزراعة عمل كل زهرة ، مخلوق يظن مجنونا وهو يسمع صوت الله دون الجميع !

دخل بير ميل ذات يوم على اناتول فرانس . فوجد على ركبته كتابا ووجد الاستاذ واجما كطفل حزينا يتندم فسأله ما بك ياسيدى اجاب اناتول فرانس هذا كتاب "ما به غير وصف النور والرمل والرمل والنور ، كتاب رائع ليست فيه فكرة واحدة ، ولقد كنت ومن الى اليوم انه لا بد للكاتب من افكار . . ، فاذا اليوم اراجع رأيي !

وقال بول جيرالدى في محاضرة له عن الشعر قريبا ان الشعراء الملهمين يتشابهون تماما ، بحيث قد يختلط عليك في الابيات الخالدة اذا كانت للمتنبي او لابي تمام ، او لشكسبير او ملتون يقول جيرالدى ذلك لان الشعراء الملهمين فروع من شجرة واحدة ، وعند ما تظهر قصيدة خالدة لا يكون عليها اسم هذا الشاعر او ذاك بل عليها توقيع الله !

* * *

في العدد القادم : مقال آخر للدكتور ابراهيم ناجي عن الشعر الحديث

الرئيس ولسون

عند ما يكفهر الجو السياسى ويخشى الناس ان ينطلق شيطان الحرب يتذكرون رسل السلام وفى هذه الظروف ارى من المناسب ان اكتب عن الرئيس ولسن صاحب المثل العليا ونصير الشعوب الضعيفة

ولد توماس وودرو ولسن الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الامريكيه فى ديسمبر سنة ١٨٥٦ فى ستونتن بولاية فرجينيا من ولايات الجنوب وكان ابوه قسيسا من قسوس الكنيسة المشيخية وامه ابنة قسيس من كارليل بانجلترا . فنشأ نشأة دينية قوامها محبة الاخرين وخدمة المحتاجين واعتبار الانسانية وحدة كاملة

ورأى فى طفولته اثار الحرب الاهلية وما تركته من خراب ودمار وظلت تلك الاثار ماثلة امامه زمنا طويلا وكانها توحى اليه كراهة الحرب

وتدرج فى معاهد التعليم حتى نال درجة دكتور فى الفلسفة سنة ١٨٨٦ ودرجة دكتور فى الحقوق سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل محاميا وهجر المحاماه بعد عام واشتغل استاذا للعلوم السياسية فى جامعات امريكا

وبدأ ذكره ينبه عندما اختير مديرا لجامعة برنستون سنة ١٩٠٢ وكان يعتقد ان مهمة التعليم ان يمد الامة بعقول صحيحة واخلاق سامية ومن اقواله « على المرء ان يذكر دائما ان المدرسة مهد الشرف والمبدأ . » وقد لاقى فى بدء دراسته صعابا كثيرة من خصوم التجديد والابتكار وظل مثابرا قوى العزيمة حتى استطاع ان يدخل مبادىء جديدة للتعـاون المدرسى اصبحت اساساً للثقافة الحرة فى الولايات المتحدة

قضى فى ميادين التربية خمسا وعشرين سنة استاذا ومؤلفا ومديرا . وجو التربية يختلف عن جو السياسة وما به من مكر ودهاء . فقد كان ميزان العدل بين طلبته ومثال الامانة فى القيام بواجباته

وقدوة فى حسن معاملته. ولم تفارقه مبادىء التربية وهو فى خضم السياسة. وفى ١٩١٠ ترك الدكتور ولسن ادارة الجامعة واندمج فى غمرة السياسة واول بيان سياسى اصدره دافع فيه عن الحريات وطالب بالغاء سيطرة شركات الاحتكار والالات . ولفت اليه الانظار فانتخب حاكما لولاية نيوجرزى

وقد ابدى من اساليب الحكم واظهر من المبادى القويمة ماجعل الحزب الديمقراطى يرشحه لرياسة جمهورية الولايات المتحدة الامريكية فانتخب رئيسا فى شهر مارس ١٩١٣ وفى أول خطاب له وهو رئيس ذكر انه يواجه عهدا جديدا يتفق فيه العدل والرحمة ويتاخى القاضى والواقف بين يديه . عهد الحق والاصلاح

وكان يفخر دائما بعقيدته ان الاخلاق والسياسه يجب أن تسير جنبا الى جنب .

واثناء رئاسته الاولى نشبت الحرب العظمى فكانت محكا قويا لسياسة الامم وظلت أمريكا على الحياد ترقب الحوادث عن بعد .وفى ١٩١٧ جدد انتخابه فى فترة عصيبة لم يشهد العالم لها مثيلا

* * *

وتوالت حوادث اعتداء الغواصات الالمانيه على السفن التجاريه وسفن الركاب وقد وصف الرئيس تلك الحوادث بالقول « ذلك العمل الوحشى الخالى من كل شهامة » « انى لا انظر الى الخسائر وان تكن جسيمة ولكنى انظر الى طريقة النزق والطيش التى اهلكت نفوس غير المحاربين من رجال ونساء واطفال بينما هم سائرون فى طرقهم واغراضهم السلميه . »

« ان حرب الغواصات هى حرب ضد الجنس البشرى »

ولذلك لم تطق أمريكا الحياد وصممت على ان تخرج من عزلتها .وفى ٢ ابريل ١٩١٧ قرر مجلس الامة الامريكية الاشتراك فى الحرب ضد المانيا . واعلن الرئيس فى خطابه بتلك المناسبه اسباب دخول الحرب وقال « نحن لا نقصد الانتقام ولا اظهار مقدرتنا على الانتصار وانما نقصد الدفاع عن حقوق بنى الانسان » . « ولن يهدأ لنا بال حتى تصير تلك الحقوق فى أمان . »

« أن الحياد لم يعد ممكنا ولم يعد مرغوبا فيه بعد أن اصبح السلام فى العالم معرضا للخطر ، والحرية مهددة من الحكومات المسيطرة التى تحكم بقوتها ومطلق ارادتها » .

« اننا نسعى الى ان نجعل الديمقراطية ثابتة ومؤسسة على الحرية السياسية التى اختبرناها » ثم

يستنكر الحرب التى يخشى على المدنية منها ويستدرك « ولـكن الحق فوق السلم والحق الذى ندافع عنه هو المحافظة على حقوق وحرية شعوب الامم الصغيرة ليتمكنوا من الاشتراك فى حكم انفسهم »

كان الرئيس ولسن يمقت الحرب ولـكنه اشترك فيها ليجعلها خاتمة الحروب ولينشىء عصرا جديدا يسوده العدل ويرفرف عليه السلام وتتمتع فيه الشعوب الصغيرة بالحرية فى ظل هيئة محترمة لها من السلطان على الامم ما للمحاكم بازاء الافراد المعتدين . وتتقيد فيه الحكومات بقواعد الشرف والقانون فى معاملاتها .

وبينما كان الحلفاء ينتصرون بمساعدة شباب أمريكا ومالها كان الرئيس ولسن يبحث فى شروط صلح مؤسس على العقل والعدل بعيد عن التشفى والانتقام . صلح دائم خال من جراثيم الفساد

وفى ٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن الرئيس ولسن قواعده الاربعة عشر فى خطبة تاريخية عظيمة جاء فيها « ان ما نطلبه فى هذه الحرب لايخصنا شخصيا بل نريد أن يكون العالم صالحا للعيش فيه »واذا لم يحصل الاخرون على العدل والانصاف فلن نحصل عليهما نحن انفسنا »

والقواعد الاربعة عشر مناسبة لظروفها من تعيين حدود واخلاء اراض فلن نذكر منها الا مايتصل بعهدنا . كعلنية المعهود لحفظ السلام وحرية الملاحة ورفع الحواجز الاقتصادية ، وتخفيض التسلح الوطنى والتسويات الخالية من الاغراض الاستعمارية . واتاحة الفرص للشعوب لتقدمها الذاتى . وتأليف جمعية عامة للامم لاعطاء ضمانات متبادلة للدول الصغيرة والـكبيرة معا تكفل استقلالها السياسى وسلامة اقطارها .

ويمكن ان يلخص برنامجه فى مبدأ واحد صريح وهو انصاف جميع الشعوب والعناصر وتقديم الحرية لها وايجاد بيئة تصلح لعيش الضعيف مع القوى فى أمان. واليك ماقال عن الشعوب « يجب الا تنقل الشعوب والاقاليم من سيادة الى اخرى كما لو كانت متاعا او أدوات للعب . » « بل يجب ان يحترم الامانى القومية . فلا تحكم الشعوب الا برضاها . فالحق الذاتى فى تقرير المصير ، ليس كلمة تقال فقط بل مبدأ للتنفيذ يتعرض رجال السياسة للتهلـكة اذا تجاهلوه بعد الان »

لقد بعث برنامج الرئيس ولسن روح الامل فى الشعوب البائسة وحلم الناس بعالم جديد يحل فيه العدل والاخوة مكان السلاح والقوة .

ورن صوت ولسن فى جميع انحاء العالم وادرك الناس غايته وتهامسوا بالصلاح فى كل مكان وتوقع الجنود الهدنة ثم اغمدت السيوف وعاد الاخوة المتقاتلون الى بيوتهم ولم يدركوا بعد لماذا تقاتلوا وعقدت الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨

واخذ الناس يعيدون اقوال الرئيس ولسن كانها انجيل السلام ورأوا فى تنفيذها منتهى الآمال

وفى ديسمبر سنة ١٩١٨ سافر الى اوربا ليشهد مؤتمر الصلح ويدافع عن مبادئه واستقبل فى باريس ولندن استقبال الفاتحين وسمع الاوربيون منه مبادىء جديدة على اذهانهم تغاير ما ألفوه من العدواة والاحقاد

وختم خطبة له فى منشستر بالقول « ليتنا ندخل فى عصبة كبيرة ونعقد عهدا عظيما وما ذلك خدمة لبريطانيا العظمى او الولايات المتحدة بل لفرنسا وايطاليا والعالم ايضا . ونحن اننا اصدقاء الجنس البشرى قبل كل شىء ونتحد لصيانة الحق وانتصاره »

وفى مؤتمر الصلح بباريس دافع عن الشعوب والسلام فقال « ان الطبقات الممتازة من الجنس البشرى لم تعد حاكمة له ، فحظوظ البشر هى الان فى ايدى عامة الشعوب . فاذا كنتم ترضون هذه الشعوب فانكم تبررون ثقتها وتقرون السلام . واذا كنتم لا ترضونها فكل اتفاق تضعونه لا يوطد السلام فى العالم »

« ان ما نداقع عنه هو سلام العالم هو موقف العدالة هو المبدأ القائم على اننا لسنا اسيادا للشعوب وقد جئنا الى هنا لنحرص على ان يختار كل شعب فى العالم سادته ويتصرف فى شئونه لا كما نريد نحن بل كما يريد هو »

وفى قاعة الصلح اصطدم بالاحقاد والمطامع ورأى نفسه فى جو من الاهواء والريب بين جماعة يملؤهم الزهو بالنصر

ووجد نفسه بين امرين اما ان يعقد صلحا ناقصا يتوكأ على عصبة الامم والزمن كفيل باصلاحها وتوطيد اركانها واما ان يترك العالم للفوضى والانحلال . واخيرا تم الصلح بمعاهدة فرساى تحمل بين جنبيها عوامل فسادها . واصطدم الرئيس ولسن بصخور الخيبة وشعر ان اوربا لم تكن مهيأة لقبول مبادئه ورأت الولايات المتحدة ان الحلفاء استنفدوا مالها ورجالها وهزأوا بها فى النهاية

وعاد الرئيس ولسن الى بلاده فلم يقابله قومه بأكاليل الغار واناشيد الظفر بل وجد نفسه محاطا بالأعداء الذين شوهوا مبادئه وحاولوا القضاء على سمعته

وحاول جهده ان يقنع مجلس الشيوخ بقبول شروط الصلح ومشروع جامعة الامم وظل المجلس ينظر فيها شهورا واخيرا قرر رفضها والابتعاد عن اول اداة للتعاون الدولى فى التاريخ الحديث

ولجأ الى الهدوء والسكينة يعزيه انه عمل لغاية شريفة وعاش فى سبيل مبدأ سام وان كثيرين من بنى وطنه قد فهموا غاياته ومبادءه . يحدوه الامل انه سيأتى جيل يحب السلام فيقدر جامعة الامم ويرفع شأن المبادىء الانسانية وعندئذ يعرف قدر الرجل الذى احب الشعوب وناصرها امام الحكومات وسيذكر ان الرئيس ولسن اول من وضع المبادىء الانسانية مادة اولية فى برنامجه السياسى

وفى سنة ١٩٢٤ طواه الموت واحس شعبه وهو مبكيه « ان نبيا قد عاش فى وسطهم وقاد بلادهم وان نورا من انوار الحرية انار سبيل الانسانية ولحق بالرجال الخالدين »

حزقيال بسطورس

بكلية اسيوط الامريكية



الشخصية اساس النجاح

كان الاعتداد عظيما الى وقت قريب بمقاييس الذكاء من حيث أنها الاساس للنجاح . ولا تنكر قيمة الذكاء الكبرى فى اختيار مواد الدرس او الحرفة التى ستحترف فى المستقبل . ولكن الذكاء جزء من كل أى هو بعض الشخصية . لأن الذكاء يدل على القوة الذهنية فقط ولكن النجاح يحتاج الى اكثر من هذه القوة . يحتاج الى صحة جسمية والى عادات حسنة والى اخلاق وتدين . اذا ماذا يجدى الذكاء مع المرض او مع الانغماس فى عادة سيئة كالشراب او غيره او مع ضعف الاخلاق او التدين او مع قلة الثقافة ؟

الذكاء هو قوة الذهن . ولكن الشخصية هى نمو . وهى نمو فى صحة الجسم وثقافة الذهن وفى زيادة العلاقات الحسنة التى تربط الشخص باسرته وامته . وقد يؤتى الذكاء نجاحا ولكنه ليس النجاح الكلى . وكلنا يعلم ان هناك ضربا من النجاح نقف عنده متسائلين : ماذا ينفع الانسان لو كسب العالم كله وخسر نفسه ؟

وانما النجاح الحق هو الذى لا يركد . بل يستمر فى النمو لانه ثمرة الشخصية النامية . وهو لهذا النمو يحيط ويلم فلا يترك فجوة هنا او ثغرة هناك . فهو نجاح فى الحرفة . ولكنه ايضا نجاح فى الاسرة وهو نجاح فى الصحة كما هو نجاح فى الثقافة . والناجح هنا اى ذلك الذى يجعل نجاحه مترتبا على شخصيته لا يفتأ ينظم علاقته مع الجماعة التى يعيش فى وسطها . كما انه لا يهمل نظامه الروحى . فهو اذا كسب شيئا من الدنيا فانه ايضا يكسب نفسه

وقد قيل ان الشخصية هى شىء نعرفه ولكننا نعجز عن تعريفه وهذا هو شأننا فى اسمى المعانى الانسانية كالفضيلة والمروءة والشرف والمجد . ولكننا نعرف ماذا يراد منا حين نطالب بالشرف او حين ندعى الى مروءة . وللشخصية هالة حول صاحبها تجعل معانيها اعمق من ظواهرها . ولكننا نستطيع مع ذلك ان نقول ان لهذا الرجل شخصية وليس لهذا الآخر شخصية . او نقول لا تعتمد

على فلان لأن ليس له شخصية فلا يمكنه ان يخدمك . فهنا ايماء الى ان صاحب الشخصية هو من يستطيع ان يخدم نفسه كما يخدم غيره اى انه عضو عامل فى الاجتماع يتأثر ويؤثر وينفع وينتفع ويسعد ويسعد. والان ما هى مقومات الشخصية ؟ مم تتكون وكيف يمكن تنميتها ؟ بل قبل ذلك كيف تنشأ الشخصية ؟

تنشأ الشخصية منذ الطفولة فى البيت اى البيت الحر المهذب الذى يعامل فيه الصغار كأن لهم حقوقا لا يعتدى عليهم بباطل ولا يتركون للفوضى بلا نظام . ثم يلى البيت المدرسة الحرة التى تعتنى بالرياضة البدنية التى تكون الشخصية بما فيها من زمالة وقيادة وروح رياضى يقبل الهزيمة بالبشر وتجديد المحاولة للنصر . ولكن ليس موضوعنا نشوء الشخصية فى الطفل ثم الصبي ثم الطالب . لاننا نوجه الكلام هنا الى الشباب ونقصره عليهم

فان الشاب يتطلع الى نحو خمسين اوستين سنة سيقضيها فى هذا العالم فما هى المقومات لشخصيته التى تجعله ينمو عاما بعد آخر ويزداد نجاحا وسعادة واثرا مفيدا فى الهيئة الاجتماعية التى يعيش فيها؟

١ — اعظم ما يكون الشخصيه هو الحرفة . لان الشاب وهو يحترف عملا يضطره هذا العمل الى ان ينزل على نظامه ويخضع لدستوره من التنبيه الى قيمة المهارة فيه وزيادة الحذق والتعلم الى المحافظة على المواعيد وتقدير الواجبات . وكل هذا يشعره بالمسئولية ليس ازاء عمله فقط بل ازاء الهيئة الاجتماعية . فهو فى عمله كأنه تلميذ فى مدرسة مطالب بالاستقامة والنمو والنظام ولكل هذه اثره فى نفسه . اى ان دستور الحرفة — حقوقها وواجباتها — ينتقل الى نفسه دستورا ينظمها فى حقوقها وواجباتها . فالحرفة ضرورية لتكوين الشخصية ثم لتقويمها ثم لتنميتها . والنفس الانسانية فى حاجة الى ضوابط تعينها على الاخلاق الحميدة والحرفة هى احدى هذه الضوابط

٢ — ولكن اعظم من الحرفة هو الاسرة . لان مسئوليات الاسرة متعددة . وهى مسئوليات شاقة وشريفة تبرز فينا احسن صفاتنا وتطالبنا بالمروءة والبر والحب والتضحية فالرجل ازاء زوجته وازاء اولاده يشعر بحقوق وواجبات مقدسة تخلق له شخصية من العدم وتكبر شخصيته الصغيرة . لان الاسرة هى نواة الهيئة الاجتماعية . ومنها يحس رب البيت انه عضو مسئول ليس عن اسرته بل عن الهيئة الاجتماعية بل عن العالم . وقد نسمع فى ايامنا هذه كلاما كثيرا عن الحرب والسلام والوطنية

والعالمية والتدين والبر. ولكل هذه الاشياء معان ضخمة فى ذهن رب الاسرة لا يكاد يعرفها الاعزب وهذه المعانى تكون الشخصية وتقومها

ولست اعنى هنا أن الشاب الاعزب لا يمكنه أن يكون ذا شخصية الا اذا كانت له حرفة واسرة. ولكنى اعنى انهما — اى الحرفة والاسرة — ضروريتان جدا لتكوين الشخصية وتقويتها فى اكثرية الناس.

فليكن همكم ايها الشبان اذا أردتم النجاح والسعادة ان تحصلوا على مايكون فى كل منكم الشخصية ويقويها وهو الحرفة اولا والاسرة ثانيا فانكم بهذا العمل تخلقون لانفسكم النظام والدستور الذى ينظم لكم الحياة ويجعلكم تستغلون كفاياتكم الى اقصى وبامتع ما يمكن. والحرفة والاسرة بمالهما من حقوق تزيدان الكرامة والعزة والشرف. وبما لهما من واجبات تضبطان النفس عن الانزلاق فى المفاسد

* * *

ولكن بعد الحرفة والاسرة تبقى اشياء تحتاج الى مجهود ايجابى لتنمية الشخصية. فان المجهود الذى نبذله بعد الارتباط بالحرفة والاسرة يكاد يسير عفوا بقوة الأبتداء. ونمو الشخصية هنا طبيعى. ولكن ثم مجهودات أخرى نحتاج اليها. لان الأنسان حيوان سرعان ما يغلبه الركود اذا اطمأن والركود يؤدى الى الترهل ترهل الجسم وترهل الذهن. ثم يكون بعدهما الجمود الذى ينفى عنا صفة الحياة وهى التطور والتجدد والنمو

١ — فالشاب الذى يعد نفسه لكهولة نشيطة أو شيخوخة حية يحتاج الى تثقيف جسمه وتثقيف ذهنه. ولا قيمة للشخصية مع المرض المضنى أو المقعد. كما لا قيمة لها مع الجهل. وتثقيف الجسم اذا ثوبر عليه مدة الشباب صار فى المستطاع ان يثابر عليه فى الكهولة والشيخوخة. وعندئذ تتضاعف سنو العمر فى النشاط. لان عاما من الصحة ايام الشيخوخة يزيد فى القيمة على عامين بل على اعوام من المرض. وهكذا الشأن فى الثقافة فانها تحتفظ لنا بشباب الذهن بعد السبعين او الثمانين. لان الرجل المثقف يغزو كل يوم عوالم جديدة من الفنون والعلوم والاختبارات الأنسانية. وهو بمثابة المكتشف لأرض مجهولة تبعثه على الاهتمام والنشاط. فهو لا يبلى وشخصيته فى توسع لا ينقطع.

وسيأتى يوم على كل شاب يشعر فيه أن الوقت يزدحم عليه . وأنه فى حاجة الى أن « يقتله » ولكنه اذا كان مثقفا فانه سيشكو طول عمره قلة الوقت . لانه يريد أن يعيش الليل والنهار . وهو يبخل على نفسه حتى بالنوم لان للثقافة غراما يفوق كل غرام .

٢ — ولكن قد يقال هنا وكيف نبدأ بالثقافة ؟ فالجواب اننا نبدأ من حيث نهتم . ولا عبرة بتفاهة ما نهتم له . فليس فى العالم فن مهما حقر الاوله ابواب تنفتح على ميادين رحبة من الثقافة . وحسبنا ان نعرف ان أعظم قوانين الوراثة ـ هو قانون مندل ـ انما اهتدى اليه الراهب مندل وهو يجرب التجارب فى الفاصوليا . فليكن لكل شاب هواية فى فن أو علم يمارسه فى فراغه ويجعله مركزا للتوسع والتزيد من الثقافة . فان هذه الهواية تضبطه وتمنعه من الانغماس فى الملاهى والمسليات السيئة . فالشاب الذى هوى القراءة وأغرم بها مثلا لن يفكر فيما يسميه قتل الوقت بأن يلعب احدى اللعب المسلية . ولن يغريه الشراب

وهوا ابدأ فى رقى ذهنى يزيد شخصيته قوة ووجوده مسئولية . وقد قال توماس مان إن الثقافة تزيد الانسان انسانية . اذ هى تمد بصره الى الخلف والى الامام على مدى التاريخ الاف السنين وتجعله يرافق الفلاسفة ويقف على درجات التطور ومهاوى الانحطاط حتى لتقصر الوطنية عن أن تشبعه لأنه يشعر انه انسان قبل أن يكون وطنيا . وشخصيته عندئذ لاتقف عند حد فى النمو

٣ — واذا تأملنا عظماء الرجال الذين برزت شخصياتهم فى التاريخ وجدنا انهم كانوا يتصفون بصفة غالبة هى الاتجاه نحو هدف معين . وفى عصرنا الحاضر رجال يختلفون كل الاختلاف فى نزعاتهم . ولكن لكل منهم هدفا يسددون اليه نشاطهم . ولكل منهم ـ لهذا السبب ـ شخصية . فان بين فورد وغاندى مثلا هوة عظيمة تفصلهما فى المبادىء . ولكن كلا منهما يبرز امامنا بشخصيته الضخمة . ولكل منهما هدف

فمن هذين المثلين نعرف أن الشخصية ليست شيئا عاما يشترك فيه جميع الناس . لانها الصفة الخاصة للشخص العظيم او الذى قارب العظمة او جاورها . فقد لايكون فى الدنيا ابعد من القديس غاندى والصناعى فورد . ولكن كلا منهما عظيم له شخصيته الفذة . وهدفه الذى يسعى لتحقيقه . فاذا قلنا ان الشخصية العظيمة تحتاج الى الهدف العظيم فاننا نقول الحق . ولكن ليس معنى هذا اننا

كلنا يجب ان نختار اهدافا كتلك التى يسعى لها غاندى أو فورد . بل لعل العالم نفسه لا يتسع لاكثر من اثنين من هذا الطراز فى العصر الواحد ولكننا نفهم ان الشاب يجب ان يكون له هدف فى هذه الدنيا .

وفى ظروفنا مثل هذا الهدف يجب أن يكون قضية عادلة نُدافع عنها ونسعى لتحقيقها . فلقد جعل غاندى هدفه انقاذ المنبوذين وردهم إلى الادمية . انقاذ ستين مليونا . والشاب العادى لا يطمع فى هذا المجد او قريبا منه . ولكنه حين يخدم الحرية . أو حين يطالب التعليم العام المجانى . أو حين يدعو الى تحريم المسكرات . او حين يطالب بتحقيق مذهب سياسى عادل او مذهب اجتماعى شريف انما هو يخدم فى الواقع شخصيته وينميها وان كان فى الوقت نفسه يخدم الانسانية والهيئة الاجتماعية التى يعيش بينها

نحن ننتفع بخدمة القضية العادلة بمقدار ما تنتفع بنا هذه القضية . وننتفع بخدمة المبدأ السامى بمقدار او باكثر مما ينتفع بنا هذا المبدأ . لأننا ونحن ندعو الى الحرية والمساواة نضطر الى التفكير فى معنيهما والى اصطناع الاسلوب الديمقراطى فى عيشنا وحين نسعى للبر بالفقراء او العجزة تنعكس على نفوسنا فضيلة المروءة . فالرجل البار ينتفع بالبر الذى يمارسه . وينتفع به فى نفسه كما ينتفع به الفقير الذى أحسن عليه

لقد قلت فى أول هذه الكلمة ان الحرفة والزواج – اى الاسرة – يستتبعان مسئوليات وحقوقا تكبر شخصيتنا . وان الثقافة والهواية كلتاهما تفتح الطريق للتوسع الذهنى الذى هو ايضا يكبر شخصيتنا . وهنا نجد ايضا ان تعيين هدف شريف يؤدى لنا مثل هذه المهمة . لانه كما أن خدمتنا لاسرتنا تزيدنا رجولة كذلك خدمتنا لمبدأ سام أو قضية عادلة فى الاجتماع او السياسة تزيدنا رجولة وتنمى شخصيتنا وتجعلنا حريصين على الرقى

ولكن هذا الهدف انما يخدم احسن الخدمة بالمجهود الجماعى . والجماعات التى تؤلف من الشباب هى – لهذا السبب – من خير ماينمى الشخصية . فالجماعة التى تتألف للرياضة البدنية وتدرب فريقها وتعلم اعضاءها او الجماعة التى تؤلف لخدمة البر بمساعدة الفقراء او لمنع القسوة على الحيوان أو لمنع الحرب او لخدمة الفنون او ترقية الصناعات – هذه الجماعات نفسها تنتفع بمقدار ماتنتفع الغاية التى

تخدمها. لان العضو يستنبط من نفسه أحسن الغرائز حين تلقى عليه اعباء تنمو بها شخصيته

ويحسن بى الان ان الخص ماقلته بان الشخصية تنمو على هذه الاسس السبعة :

١ ـ البيت الحسن المنظم حيث تنشأ الشخصية نشأتها الاولى

٢ ـ الحرفة التى تطالب محترفها بالمهارة والمسئولية

٣ ـ الزواج والاسرة ومنهما تنشأ العلاقات بين الشخص وبين الهيئة الاجتماعية

٤ ـ الثقافة ثقافة الجسم وثقافة الذهن

٥ ـ مايعين على الثقافة وهو الهواية

٦ ـ الهدف السامى الذى نقصد اليه فى حياتنا ونجعله كأنه رسالتنا فى الحياة

٧ ـ الجمعية الراقيه التى ننتمى اليها لكى نستعين بنظامها على نظام حياتنا

سلامه موسى

الجريدة الرسمية

تشكو بعض المصالح التى يضيق بها مكانها من اعداد الجريدة الرسمية التى يجب على كل مصلحة أو مكتب ترد اليه ان يجلدها آخر العام ويحفظها فى رفوفها

ونظن أنه يمكن الحكومة ان تنظر بعين العنـاية فى هذه الشكوى. فان الجريدة الرسميـة تحوى أشياء كثيرة منها المهم والاهم والتـافه والنافل فلماذا مثـلا لايكون لمشروعات القوانين والقوانين واللوائح جريدة خاصة. وجريدة أخرى خاصة للاعلانات الحكومية والقضائية. وجريدة ثالثة تختص بوزارة المالية وحجوزاتها وهلم جرا

وعندئذ يمكن المصلحة أو المـكتب ان يختار ماهو فى حاجة اليه دون أن تكتظ غرفه بمجلدات ضخمة لايحتاج اليها

الأطفال وألعابهم

للدكتور على فؤاد بك

يسرنى أن أتحدث عن الأطفال وألعابهم . وأنتهز الفرصة لأصرح أنه قد حان الوقت لأن نعير هذا الموضوع جانبا من اهتمامنا . وسأحاول أن أبين الى أى حد تتأثر حياة الاطفال وصحتهم بنوع الالعاب التى يمارسونها وأصدقاء الحداثة الذين درجوا معهم ، وما يبذله الوالدان والمشرفون على شئونهم من اهتمام ومراقبة لتوجيه ميولهم وغرائزهم الى سواء السبيل

ان حياة الأطفال تطالبهم بالنشاط والحركة واللعب ، كى تنمو أجسامهم وتكبر . فاذا فرضنا عليهم التزام الهدوء والسكون لننعم بالراحة بعد أن نال منا التعب ، فاننا بعملنا هذا نحاربهم فى صحتهم وتقتل فيهم روح المرح والنشاط ، وهى دليل الصحة ومظهر القوة . فالطفل الذى يقضى نهاره يمرح ويلعب لاتنقطع حركته ولا يفتر نشاطه ، تظهر عليه أمارات الصحة ، فتراه مورد الخدين ، لامع البصر ، لايجهده التعب على الرغم من صغر سنه . لايشكو أرقا أو خمولا . ينام مبكراً ويستيقظ مع العصفور .

اذن من حق الطفل أن يلعب ، وأن يجد المكان المناسب الفسيح الصالح لجريه ووثبه ومرحه ونشاطه .

من حقه أن يتمتع بأوفر قسط من الهواء الطلق وأشعة الشمس

من حقه أيضاً أن يجد له شركاء فى اللعب زيادة فى حبوره ومسراته

وأن يجد منا خير مرشد له فى أثناء اللعب ، اذا أردنا أن نعمل لمستقبل رجولته وتقدمه

من حق الطفل أن يلعب ليكبر وينمو ، لأن الحركة المستمرة تزيد سرعة الدورة الدموية ، فيزداد تبعا لذلك الاوكسيجين . والغذاء الذى يصل الى الانسجة . كما أن الالعاب تساعد أعضاء التنفس

وتقويها ، فيتسع الصدر ويقل استعداد الطفل لمرض الرئة ، ويصفو الدم وينقى فينضر لون وجهه . ويكفى أن أقول أن الالعاب تساعد عملية الهضم كما تساعد على افراز العرق ، فتقوى بذلك شهوة الطفل للطعام .

يضيق كثير من الامهات والآباء ببكاء أطفالهم وكثرة ما يسببون من ضجيج وأذى ، فلا يجدون أمامهم من وسيلة إلا ضرب هذه المخلوقات الصغيرة التى لها كل العذر فيما يصدر عنها ، إذ كيف تستطيع أن تكبت القوى العصبية التى تسيطر على أعصابها ، والتى تحاول دائما أن تجد ما تنفقها فيه هذه المخلوقات الصغيرة ان لم تجد أمامها لعبة تستغرق فى البكاء أو تعمد الى تدمير ما تصل اليه اليد.

تعترف الاسرة الاوربية بحق الطفل فى اللعب . وقد عرفت فى الوقت نفسه مزايا ألعاب المنزل وما تجلبه من سعادة حقيقية ، فخصصت للاطفال غرفة فى المنزل للالعاب . وصرحت لهم باللعب فى فناء البيت وحديقته بعد أن زودتهم بما يلزمهم من أدوات ولعب . وحددت مواقيت اللعب واختارت رفقاء الحداثة ، وراحت تراقب الجميع بعين يقظة لتتعرف ميول الاطفال وتوجهها وجهة صالحة ، وترشد المخطئين منهم . واكثر من ذلك تشاطر صغارهم هذه الالعاب إتماما لمسرتهم . وكم يعجبنى منهم تخصيص أيام الآحاد للنزهة فى الحدائق العامة ، والحقول والمزارع ولزيارة الأهل والجيران ، ليقضى الأطفال أطول وقت ممكن فى اضواء الطلق والشمس المنعشة ، وحتى يعرف أبناؤهم معنى العشرة وواجبات الصداقة والزمالة وحدود المنافسة فى اللعب . إن أغلب هذه الأسر لا تنسى أن تصطحب أطفالها أيام العطلة المدرسية إلى المصايف وبلاد الريف لينال الجميع أكبر قسط من الرياضة وليتمتعوا بهواء البحر

فى الواقع أن مساكننا المصرية ضيقة لا تتسع لحركة اطفالنا ولعبهم فضلا عن تخصيص حجرة لهم مما يزيد فى تذمر الاطفال من كبت روح المرح فيهم . وفى رأيى أن المهندسين يهملون حقوقهم عند ما يضعون تصميم العمارات العالية المتعددة الادوار المحرومة من الشمس والهواء ، إذ لا يجد الطفل مكانا فسيحاً أو فناء رحباً ، أو حديقة مترامية الاطراف تتسع للهوه ولعبه

حبذا لو اكتتب أهالى كل حى لانشاء ملعب خاص بأطفالهم يعوضهم بعض ما حرموا من هواء طلق نقى وشمس منعشة تكسبهم صحة ونماء . فتحل فى الوقت نفسه مشكلة طالما حار فيها الاطباء

قلت إن من واجبنا مراقبة الاطفال فى ألعابهم لتعرف ميولهم وغرائزاهم وتقديم الارشادات لهم . وهذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية، فاذا عرفنا أن اللعبة الصغيرة البريئة التى يمارسها ولدك وأنت تنظر اليه ناعما مبتسما قد يكون لها الاثر الاول فى تكوين مصيره . واللعبة التى يفضلها على غيرها ، تدلك إذا أحسنت مراقبته على مبلغ القوى الكامنة فى نفسه ومن هنا يتسنى لك توجيهه إلى الميدان الذى خلق له .

قد يتساءل البعض — كيف نعرف غرائز الطفل؟ وكيف نعمل على استثماره لخيره فى أثناء اللعب؟ وجوابى على ذلك أن الامر يكفى فيه الحرص على مراقبة الاطفال بدقة ، وسرعان ما تظهر لنا ميولهم ونفسياتهم . أما عن كيفية استثمار هذه الميول وواجبنا نحو ارشاد الاطفال فى أثناء اللعب ،فيكفينى أن أضرب بعض الامثلة تسهيلا لهذا الغرض ، وسيجد الآباء من فطنتهم خير معين لهم فى هذا السبيل أن غرائز الطفل كثيرة ، فهو فى صغره ميال لحب الاستطلاع ، والمحاكاة والابتكار ، وحل لعبته وربطها ، وتملك الاشياء ، وحب المعاشرة ، وغير ذلك .

فاذا رأيت طفلك يتخذ من عصاه الخشبية حصاناً ليمثل دور الفارس ، وجب أن تلفت نظره إلى خلوها من اللجام — إذا ذاك تراه يبادر إلى وضع خيط فى أعلى العصا لينال ثناءك . وستجد بدورك الفرصة سانحة لتشرح له كل ما يخص الخيول والعربات من أغراض .

وإذا شرع طفلك فى بناء كوخ ، فواجبك أن تنبهه إلى عمل الباب والنافذة مثلا .

وإذ حفر ترعة ، فلا تنس أن تذكره بضرورة وضع الماء فيها وعمل قارب أو إقامة جسر .

وإذا رأيت من طفلك ميلا إلى محاكاة الغير وأبدى مهارة فى ذلك ، فواجبك أن ترشده إلى المثل الصالح ، فيحاكى الخطباء والمغنين بدل أن يحاكى السوقة فى نداءاتهم المبتذلة .

وإذا قدم لك طفلك ما قام به من اختراع ، فلا تسخر منه لما تجده من النقص أو عدم التناسق، بل الخير أن تسر من نشاطه . ولا تحط من قيمة مبتكراته ، فانه إنما يقدم لك عصارة مخه — أذكر لكم أن أحد أطفالى وعدنى أن يقدم لى نموذجا خشبيا للجمل إذا قدمت له الخشب اللازم ، فلما حققت طلبه قدم لى نموذجا ، لم يكن على شىء من الجمال ، الا أنه يدعو الى الاعجاب إذا عرفنا أن هذا الطفل الصغير لم يغفل أن يجعل للجمل ذيلا قصيراً ورقبة طويلة مثلا

اننا نسىء إلى أطفالنا اذ أقفلنا أمامهم أبواب التجارب، وخفنا من عبثهم ولعبهم . وحبذا لو وضعنا فى غرف الاطفال بعض أدوات بسيطة كمنشار ومقص وقطعاً من الخشب والاسلاك والحبال الرفيعة ، وعلب السجاير الفارغة الخ . ثم تركناهم وشأنهم . ويا حبذا لو سمحنا لهم بالحفر فى الحدائق وزرع النبات وتعهده ليتعلموا بأنفسهم من الطبيعة ما يساعدهم على فهم كثير من حقائق الحياة

يميل طفلك الى تعرف سر لعبته ، وربما كسرها ليعرف ما بداخلها ، فلا تظن به شرا ، واعمل على إرضاء غريزته — ولن أنسى منظر طفلة صغيرة لاحد أصدقائى كنت قد أحضرت لها عروساً تتحرك جفونها وإعجابها الشديد بها . ولكنكم سوف لا تستغربون إذا قلت أن هذه الطفلة الحريصة على لعبتها لم تقدر على مقاومة غريزتها ، إذ أتت الى مغيظة تحمل لعبتها بعد أن كسرتها وهى تقول : « لقد كسرتها ولم أهتد إلى سر جفونها » . فشرحت لها السر على قدر ما يتسع له ذهنها ووعدتها بلعبة ثانية

أدرك المربون قيمة الغريزة وأثرها فى الاخلاق . فأنشأوا الاندية للأطفال ووضعوا لها النظم الاجتماعية الصالحة ، وقاموا بمراقبتهم فى أثناء اللعب ، وبذلك تمكنوا من غرس مكارم الاخلاق وحميد الصفات فى نفوسهم . فالطفل الذى يشترك فى مثل هذه الاندية يشب على نظامها مجدا عاملا أميناً لاخوانه ، مقدراً لرغبات غيره ، ومضحياً برغباته الذاتية إذا تعارضت مع صالح فرقته — تلك الصفات التى تجعل منه الانسان الكامل فى مقتبل حياته

وعرف المربون أيضاً أثر الألعاب فى نفوس التلاميذ ، فراحوا يمزجون الدرس باللعب ، وأنشأوا لذلك رياض الاطفال ، وزودوا الطلبة بالنماذج المختلفة ، فأقبل صغار الأطفال على العلم ، واختفى بتاتاً كل ما نسمعه عن هربهم من المدارس

بقى بعد ذلك أن أنوه بأهمية اختيار لعب الأطفال . وطريقتى فى ذلك أن أراعى فى الاختيار ثلاثة أمور :

(الأول) سن الطفل

(الثانى) استعداد الطفل لتفهم سر اللعبة التى سأحضرها له

(الثالث) ميله الطبيعى للاستطلاع ، وما يمكن أن تؤديه اللعبة من خدمات لاشباع هذه الرغبة

فالطفل فى الثالثة من عمره لا يمكن أن يقال أن كرة السلة تناسبه ، كما أن الشاب المراهق لايقبل أن يلعب بالحصان الخشبي الصغير . فصغار الأطفال ممن هم دون الثالثة يميـلون دائما إلى اللعب المتحركة والصور الملونة ونماذج الحيوانات الأليفة ، فيجب أن تكون لعبهم فى هذه السن مما يقوى فيهم الحواس . ليميزوا بين الالوان والاحجام والاوزان والصور والاصوات . كما يجب أن تكون لعبهم مصنوعة من المطاط أو القماش ليسهل تنظيفها ، وحـذار من تقـديم لعب من الصفيح ذات الزوايا الحادة

وأريد قبل أن أختتم حـديثي أن أقول أن هناك العابا ولعبا يحسن أن لا يسمح للاطفال بها ، وهى كثيرة ومعروفة . اذكر على سبيل المثال انه لا يحسن بنا أن نترك الطفـل وهو فى الثالثة من عمره يلعب بعيدان الثقاب أو المفرقعات ، أو قرب مواقد الغاز ، كما يجب أن نحذر الاطفال من هدم أعشاش الطير ، أو الاساءة الى الغير بقصد الضحك والفكاهة أو القسوة على الحيوان

السجارة

مما يجب أن نذكره أن علبة السجاير التى نؤدى فى ثمنها سبعة قروش مثلا تأخـذ الحـكومة المصرية من هذا الثمن ستة قروش هى المكس الجمركى . ويأخذ الزارع والتاجر والصانع قرشاًواحداً. والزارع بالطبع أجنبي وهو فى الاغلب تركى أو يونانى . أما التاجر والصانع فمصريان فى الاغلب

ولو زرعنا الدخان فى مصر وتوسعنا فيه الى أقصى حد لما استطاعت الحكومة أن تجمع منه ستة ملايين جنيه . ولذلك نظن أن ترك الحال على ما هى عليه الآن خير من الـكلام عن زراعته وخير من التفكير فى معالجة شواشى الذرة

الوسيـــــط

للقصصى الايطالى الشهير «جيوفانى بوكاشيو»

بريتولا سيدة ايطالية حسناء اشتهرت بين أهل بلدتها — فلورنسا — بمكرها ودهائها وسعة حيلتها . وكان ذكاؤها وفطنتها مثار دهشتهم وموضع إعجابهم ..

ومما يؤسف له أنها كانت متزوجة من تاجر غنى لايفهم الحياة الا من ناحيتها المادية ، ولا يهتم بشىء قدر اهتمامه بما يجنيه من ربح ومنفعة من وراء تجارته . أما حاله مع زوجته ، فلم تكن حال الزوج الموافق المهتم ! وهذا ما دعاها الى النفور منه والميل الى غيره ..

وقد أسعدها الحظ حينئذ برؤية شـاب جميل كان دائم المرور من أمام منزلها فأحبته حبا جما وأصبح لايهنأ لها بال أو يسعد لهـا حال مالم تره مرة فى كل يوم على الاقل وكان هـذا الشاب — واسمه تنكريد — يجهل فى مبدأ الامر اهتمامها به ، وعنايتها بأمره ، فلم يلتفت اليها ولم يهتم بها وبالرغم من أن تجاهله لها ، وعدم مبالاته بها كان يضايقها ويكدر عليهـا صفوها ، إلا أنها كانت حريصة فلم تحاول الاتصال به عن طريق الاستفسار عنه أو ارسـال الرسائل اليه خشية أن يلحظ أحد علاقتها به أو يكتشف سر حبها له

وهداها تفكيرها آخر الامر الى أن تلفت نظره اليها ، وتجتذب قلبه نحوها عن طريق قسيس ورع كان من أخلص رفقائه واكثرهم وفاء ومحبة له ..

وبعد أن اختمرت هذه الفكرة الخبيثة فى رأسها ذهبت الى الكنيسة التى يقيم بها هذا القسيس وابتدرته بقولها :

— لقد جئت اليك ياسيدى أطلب معونتك فى أمر مهم سـأشرحه لك . ولعلك تذكر اننى

أخبرتك فيما مضى عن أقاربى وزوجى الذى يحبنى أكثر من حبه لحياته ، والذى لم يتأخر فى يوم من الايام عن تحقيق ما أطلبه منه ! ! ولهذا السبب فقد أحببته أنا الاخرى حباً شديداً وأصبحت لا أطيق الفراق عنه أو استطيع الحياة بدونه ! ! أما ما جئت اليك اليوم من أجله فهو أن هنالك شاباً يدعى تنكريد ، وهو كما علمت من بعض الناس صديق حميم لك ، اعتاد أن يمر من أمام منزلى كل يوم . وفى كل مرة يمر فيها أراه يرمقنى بنظراته التى تدل على شدة حبه لى ، وكثرة هيامه بى.. وقلما يحول بصره عنى طيلة الوقت الذى أكون فيه مطلة من نافذة غرفتى . فأضطر الى مغادرة النافذة أو اغلاقها فى وجه خشية أن يتقول على الناس بما يشين سمعتى أو يسىء الى شرفى ! وليس ببعيد ياسيدى أن يكون تنكريد هذا قد تعقب خطاى ورآنى وأنا أدخل هذه الكنيسة ! ومن المحتمل أن يكون الآن فى انتظارى خارجها ! وأصدقك القول ياسيدى أن هذا الامر قد أصبح يضايقنى أكبر المضايقة ويؤلمنى أشد الالم . بل لقد بلغ الامر بى الى حد اننى اصبحت افضل الموت على ان اكون مضغة فى افواه الناس ! !

وبعد أن استراحت برهة قصيرة تابعت حديثها فقالت :

— وكثيرا ما فكرت ياسيدى فى أن أحيط إخوتى أو زوجى علماً بهذا الموضوع الشائن ولكنى لاألبث فى كل مرة أن احجم عن ذلك حينما أتذكر أن الرجال غالباً ما ينهون مثل هذه الامور بالقتل أو الضرب المؤلم الذى قد يفضى الى الموت فى كثير من الاحيان . وأخيرا استقر رأيى حقناً للدماء ، وحسما للنزاع ، على أن أطلب مساعدتك وأنشد معونتك لسببين : الاول ان هذا الشخص صديقك فتستطيع من هذه الناحية أن تردعه بنفسك . والثانى أن من أهم واجبات القسيس الورع التقى اصلاح سيئات الناس وتقويم اعوجاجهم سواء أكانوا أصدقاء له أم غرباء عنه . وأنا اتوسل اليك ياسيدى أن تنصح صديقك هذا بالكف عن مغازلتى والامتناع عن النظر الى . واذا كان لا بد له من هذه المغازلة فهناك كما أعلم سيدات كثيرات غيرى يتمنين من صميم أفئدتهن أن يكن عشيقات وفيات له ! !

ولما انتهت بريتولا من بث شكواها نكست رأسها كما لو كانت توشك أن تبكى من شدة الحزن والتأثر ! !

ولم يشك القسيس الساذج فى شىء مما قالته بل أخذ على العكس يمتدح خصالها الطيبة ، ويثنى على

حسن تصرفها ورجاحة عقلها ! ووعدها أخيرا بتحقيق رجائها واجابة ملتمسها

وقبل أن تغادر بريتولا الكنيسة قالت للقسيس الطيب القلب وهى تصافحه :

— ولا تنس ياسيدى أن تخبر تنكريد اذا دفعته الجرأة الى انكار شىء مما قلته لك ، باننى قد أتيت اليك بنفسى واعترفت أمامك بكل شىء

• • •

وفى اليوم التالى أرسل القسيس فى طلب صديقه تنكريد . فلما حضر انتحى به جانبا وأخذ يلومه بلهجة هادئة ، وعبارة متزنة على تصرفه الشائن مع بريتولا ..

ودهش تنكريد بطبيعة الحال لهذا الاتهام الذى لم يخطر على باله لانه كما قلنا لم يرفع بصره الى بريتولا فى مرة من المرار التى كان يمر فيها من امام منزلها . وبالرغم من أنه نفى عن نفسه هذه التهمة بشدة فان صديقه القسيس لم يصدق ذلك وقال

— لا تتظاهر بالدهشة ياعزيزى من هذا الامر ، ولاتحاول أن تنكر هذه التهمة لاننى سمعتها من شفتى بريتولا نفسها

وبعد أن سكت برهة وجيزة قال

— ولعلك تعلم ياتنكريد أن هذا السلوك الشائن ، وذلك التصرف السىء لايليقان برجل فاضل مثلك . وانى أنصحك نصح الصديق المخلص أن تدع هذه السيدة الفاضلة تعيش فى هدوء وسلام مع زوجها الذى تحبه الى حد العبادة ، ولا تحاول أن تقلق راحتها أو تفسد حياتها مرة أخرى

ولم يغب عن بال تنكريد غرض بريتولا من هذا الاتهام الكاذب ، وقبل أن يغادر الكنيسة وعد صديقه بعدم التعرض لبريتولا أو مضايقتها بعد ذلك . فاستراح القسيس لهذا الوعد وشكره على شهامته ونبل أخلاقه !

وقصد تنكريد من فوره الى منزل بريتولا الذى كان لا يبعد كثيرا عن الكنيسة . ولحسن حظه وجدها فى انتظاره كالمعتاد فى نافذة غرفتها ..

وما كادت بريتولا تراه وهو مقبل على منزلها حتى ابتسمت له ابتسامة خبيثه ماكرة ، وتجلى فى البشر والسرور فى قسمات وجهها ، وحيته بهزة خفيفة من رأسها الجميل ..

وتأكد تنـــكريد الان أنه لم يكن مخطئا فى زعمه فابتسم لها هو الاخر ابتسامة رقيقة عذبة ورد تحيتها بأحسن منها . .

ومن هذا اليوم بدأ يصوب نظره اليها فى كل مرة يمر فيها من أمام منزلها ، فكان ذلك سببا فى سرورها وغبطتها . .

* * *

ولم تكتف بريتولا بهذا الفوز الباهر الذى أحرزته، بل أرادت أن تتقدم فى سبيل حبها خطوة أخرى . فذهبت الى القسيس مرة ثانية والقت بنفسها بين قدميه وأخذت تبكى بكاء مرا .

فدهش القسيس وسألها عن سبب بـكائها . فأجابته بريتولا دون أن تكـف عيناها عن هذا البكاء .

— اننى ابكى ياسيدى بسبب صديقك الملعون الذى شكوته اليك من قبل . .

فقطب القسيس ما بين حاجبيه وسألها قائلا :

— ألا يزال هذا الرجل يضايقك ؟

فأجابته بريتولا وهى تبكى :

— نعم فمنذ أن شـكوته اليك فى المرة السابقة وهو لا يفتأ يضايقنى بنظراته الوقحة ، ويؤلمنى بابتسامته السخيفة . وليس هذا فقط . بل انه بعد أن كان يمر من أمام منزلى مرة واحدة أو مرتين فى اليوم أصبح يمر الآن مالا يقل عن سبع مرات !

وبعد أن نهنهت دموعها الجارية تابعت حديثها فقالت

— وليت الامر قد انتهى عند هذا الحد . فبالامس أرسل الى من قبـله عجوزا لا أعرفها . وبعد أن عرفتنى بنفسها أعطتنى حقيبة جلدية نفيسة ، ومنـديلا حريريا غالى الثمن . وقالت لى وهى تبتسم ابتسامة ذات معنى انهما مهداتان الى من تنكريد ، ولا أكتمك ياسيدى اننى غضبت لذلك غضبا شديدا وكنت على وشك ان أطردها هى وهدية تنكريد خارج منزلى ، لولا أننى خشيت أن تحتفظ بالحقيبة والمنديل لنفسها دون أن تخبره برفض هديته ، ففضلت أن آخذها منها ، وقد رأيت من الواجب أن أحضر معى هذه الهدية لكى تردها اليه وتخبره بأننى لست فى حاجة الى شىء منه !

وأرجو أخيراً أن تخبر صديقك هذا بأنه اذا لم يكف عن مضايقتى فاننى سأضطر الى اخبار زوجى أو اخوتى بكل شىء مهما كانت النتائج التى تترتب على ذلك ..

قالت ذلك وقدمت الحقيبة والمنديل للقسيس وهى تتظاهر بالحزن والغضب لاهانة تنكريد اياها

وظن القسيس لسذاجته وسلامة صدره أن ما قالته بريتولا له قد حدث بالفعل فغضب لذلك غضبا شديدا وقال لها بعد أن فكر برهة :

— اننى لأستغرب ياسيدتى شدة حزنك لهذا الامر ؛ ولست الومك بالطبع على شىء مما حدث بل اننى على العكس أشكرك على اتباعك نصيحتى ، وعملك بمشورتى . ومع اننى لمت تنكريد عندما زارنى لاول مرة ، فانه على ما يظهر لم يرعو عن غيه ، ولم يتحول عن ضلاله ، ولهذا فقد عولت على أن أوبخه توبيخا شديدا على هذا السلوك المعيب . وأرجو يا سيدتى ألا تتمادى لعاطفتك فتخبرى زوجك واخوتك بهذا الأمر لان نتائجه السيئة لاتخفى بالطبع على سيدة عاقلة مثلك ؛ بل اتركى كل شىء لى وأنا أتصرف فيه بعقلى وحكمتى ..

• • •

وما كادت بريتولا تبرح الكنيسة حتى ارسل القسيس فى طلب صديقه تنكريد مرة أخرى . فلما جاء استقبله بوجه عابس وجبين مقطب . واستنتج تنكريد من ذلك أنه لا بد أن تحادث مع بريتولا فانتظر بفارغ صبر ما سيقوله له . ولم يطل انتظاره طويلا اذ انهال عليه القسيس بوابل من الشتائم واللعنات بعد أن أعاد على مسامعه كل ماذكرته بريتولا له . .

وبالرغم من أن تنكريد أنكر بشدة ارساله الحقيبة والمنديل الى بريتولا الا ان القسيس لم يصدق قوله بل اشتدت حدته وازداد غضبه عن ذى قبل وقال :

— كيف تنكر ذلك أيها الشرير المنافق مع وجود الدليل على ارتكاب فعلتك ؟

ثم نهض من مقعده وأحضر الحقيبة والمنديل وناولهما له ثم قال :

— أليس فى هذا الكفاية ؟ ؟

فشعر تنكريد ، مع براءته ، بالخجل لوجود ذلك الدليل القاطع .

ولما لم يجد بداً من الاعتراف بهذه التهمة المنسوبة اليه قال :

نعم لقد ارسلت لبريتولا هذه الهدية لانى كنت احسبها كغيرها من النساء . ولكنى بعد أن تاكدت الان أنها تختلف عنهن كل الاختلاف ، فانى أعدك بشرفى ألا ارتكب نحوها مايسىء سمعتها أو يجرح شعورها . وثق ياسيدى انك لن تسمع منها بعد اليوم شكوى . .

ولم ينس تنكريد أن ياخذ معه الحقيبة والمنديل قبل أن يغادر الكنيسة بعد أن اقتنع تماما من أن بريتولا تحبه حبا جما ، وتهيم به هياما لا مزيد عليه ، وانها ما فعلت ذلك الا بدافع هذا الحب والهيام . .

وقصد تنكريد من فوره الى منزل بريتولا حيث كانت لحسن الحظ فى انتظاره كالمعتاد . وما كاد صاحبنا يلمحها من بعيد حتى أخرج من تحت ابطه الحقيبة والمنديل وأراهما اياها . فسرت بريتولا سروراً شديداً لانها عرفت حينئذ أن خطتها المرسومة سائرة فى طريق التقدم .

* * *

ولم يبق الا غياب الزوج عن منزله حتى تكلل خطتها بالنجاح التام .

ولم يطل انتظارها طويلا اذا اضطر الزوج بعد بضعة أيام من وقوع الحادث السابق الى السفر الى جنوا للقيام باحدى المهام الضرورية التى تتطلبها طبيعة عمله

وذهبت بريتولا الى القسيس مرة ثالثة عقب سفر زوجها مباشرة وقالت له وهى تبكى :

— لقد سبق أن قلت لك ياسيدى بصراحة أنه لا يمكننى أن أحتمل مضايقة تنكريد أكثر من ذلك . ولما كنت قد وعدتك بألا أقدم على شىء قبل مشورتك ، فقد جئت اليك اليوم لاشكو لك صديقك المدعو تنكريد للمرة الثالثة . .

فذهل القسيس حينما سمع منها ذلك وسألها قائلا

— ألا يزال هذا الملعون يضايقك ؟

فقالت له بريتولا وهى تتظاهر بالحدة والغضب :

— نعم . ففى مساء الليلة الماضية دخل حديقة منزلى بعد أن علم بسفر زوجى وتسلق احدى الاشجار الى نافذة غرفتى ، والتى كانت لسوء حظى مفتوحة فى ذلك الوقت ، وكنت على وشك أن أصرخ عند ما رأيته يثب داخل غرفتى لولا أنه توسل الى ألا افعل ذلك ، ورجانى بأن اكون

رحيمة به فلا أرتكب مايلفت أنظار الناس إليه . وأقول لك الحق اننى رضخت لتوسلاته ولم أفعل شيئا أكثر من أننى طردته من نفس النافذة التى جاء منها ثم أغلقتها وراءه بشدة وعنف . .

وبعد أن سكتت برهة تابعت حديثها فقالت :

والآن أرجو أن تحكم ياسيدى بنفسك فى هذا الامر وتخبرنى هل فى إمكانى أن أحتمل مضايقة تنكريد أكثر من ذلك ؟ أو ليس من الواجب أن أخبر اخوتى وزوجى بما فعله معى حتى يردوه إلى صوابه ، ويعيدوا إليه ماعزب عن عقله ؟ !

واحمر وجه القسيس حينما سمع منها ذلك وفار دم الحنق والغضب حاراً فى عروقه وقال :

— وهل أنت متأكدة من أن الذى دخل غرفتك إنما هو تنكريد دون غيره ؟ ؟

فاجابته بريتولا وهى لا تزال تبكى :

— وهل يمكننى ياسيدى أن أخطىء فى معرفته بعد كل ذلك ؟ فأنا واثقة تمام الثقة من أن الشخص الذى دخل غرفتى إنما هو تنكريد نفسه . واذا تجاسر وأنكر ذلك أمامك ، وهذا ماسيفعله بالطبع ، فأرجو منك ألا تصدقه . .

وبعد ان مرت بين الاثنين فترة سكون قصيرة قطعها القسيس بقوله :

إن ما فعلته ياسيدتى إنما هو الصواب بعينه . وقد قمت بواجبك خير قيام . ولست انكر ان عمل تنكريد فى منتهى الخسة والدناءة ، ولكنى مع ذلك استحلفك بالله ان تتركى هذا الامر لى مرة اخرى دون ان تخبرى اخواتك أو زوجك بشىء مما حدث . وسترين بعد ذلك اذا كان فى امكانى ان أقوم اعوجاج تنكريد . فاذا أفلحت كان بها ، واذا أخفقت فسأترك لك مطلق التصرف فى هذا فى هذا الامر كما تشتهين . .

وقبل أن تغادر بريتولا الكنيسة قالت للقسيس وهو يودعها :

تأكد ياسيدى اننى لن أضايقك بهذه المسألة بعد الآن : وقد استقر رايى على ألا أخبرك بشىء الموضوع مطلقاً .

« ٥ »

وماكادت بريتولا تبرح الكنيسة حتى استدعى القسيس صديقه تنكريد بعد أن استقر رأيه

على أن يزجره زجرا شديدا ، وان يعنفه تعنيفا قاسيا . ولما حضر قابله بوجه عابس ، وجبين مقطب ، ثم انتحى به ناحية بعيدة من الكنيسة وأخذ ينهال عليه بالشتائم واللعنات التي كانت تزداد حدتها شيئا فشيئا ، بينما جلس الآخر في مكانه هادئا ساكنا كما لو كانت هذه الشتائم واللعنات موجهة الى غيره

وأخيرا تضايق تنكريد من تأنيب القسيس وقال :

— ما الذى فعلته ياصاحبي حتى أستحق منك كل هذه الشتائم واللعنات ؟

فازداد غضب القسيس لهذا الانكار وضحك ضحكة ساخرة ثم قال :

— ألا تدرى ماذا فعلت أيها الاحمق ؟ انك تتكلم كما لو كان هذا الامر لايعنيك

فتظاهر تنكريد بالدهشة وقاطعه بقوله

— عن أى أمر تتحدث يا مولاى

فحملق القسيس فى وجهه بشدة وقال

— أين كنت فى مساء الليلة الماضية ؟

فأجابه تنكريد بهدوئه وسكونه المعتاد :

— لست أدرى بالضبط يا سيدى

فازدادت ثورة القسيس عن ذى قبل وقال :

— سأخبرك أين كنت أيها المخادع الشرير

وبعد أن استجمع شتات تفكيره تابع حديثه فقال :

— لقد دخلت حديقة بريتولا فى مساء الليلة الماضية ثم تسلقت إحدى الاشجار الى غرفتها ، وكاد أمرك يفتضح لولا أنها أشفقت عليك ، ورأفت بك ، ولم تفعل شيئا أكثر من أنها طردتك من نفس الطريق الذى جئت منه

ولم يغب عن بال تنكريد ماذا تقصده بريتولا من هذا الكلام الذى قالته للقسيس ، وأخذ يفكر فيما يجب عليه عمله فى مساء تلك الليلة . ولكن القسيس ما لبث أن قطع عليه حبل تأملاته فقال :

— انك تظن أيها المنافق أن فى امكانك أن تحمل هذه السيدة الفاضلة على حبك .. ولكن لا ! ولست أغالى اذا قلت لك انك أصبحت الان أبغض الناس اليها . وأثقلهم على قلبها .. وليس هذا

فقط ، بل أنك أمسيت فى نظرها كالطاعون الذى لايترك انسانا إلا بعد أن يفتك به !! حقـا انك لم تستمع لنصحى ولم تأبه لارشادى ، ولكنى أؤكد لك أن هذا الامر قد خرج الآن من يدى . فاذا لم ترتدع ، فستضطر بريتولا الى اخبار إخوتها أو زوجها بكل مافعلته معها ، وفى هذا كما تعلم ويل وعذاب لك ..

وبعد أن هدأ تنكريد ثورة القسيس بوعوده وتوسلاته غادر الكنيسة وهو على أشد مايكون من الفرح والسرور .

* * *

وفى المساء ذهب الى منزل بريتولا ثم دخل حديقة منزلها وتسلق الشجرة التى تؤدى الى نافذة غرفتها ، والتى تركتهـــا مفتوحة لهذا الغرض . ولما دخل الغرفة قابلته حبيبته بشغف ظاهر وسرور عظيم ، وتعانق الاثنان عناقا حارا وهما يشكران هذا القسيس الذى كان واسطة التعارف بينهما .. ومن بعد هذا اليوم أصبح العاشقان يتقابلان باستمرار دون أن يحتـــاجا الى وساطة هذا القسيس الطيب القلب ..

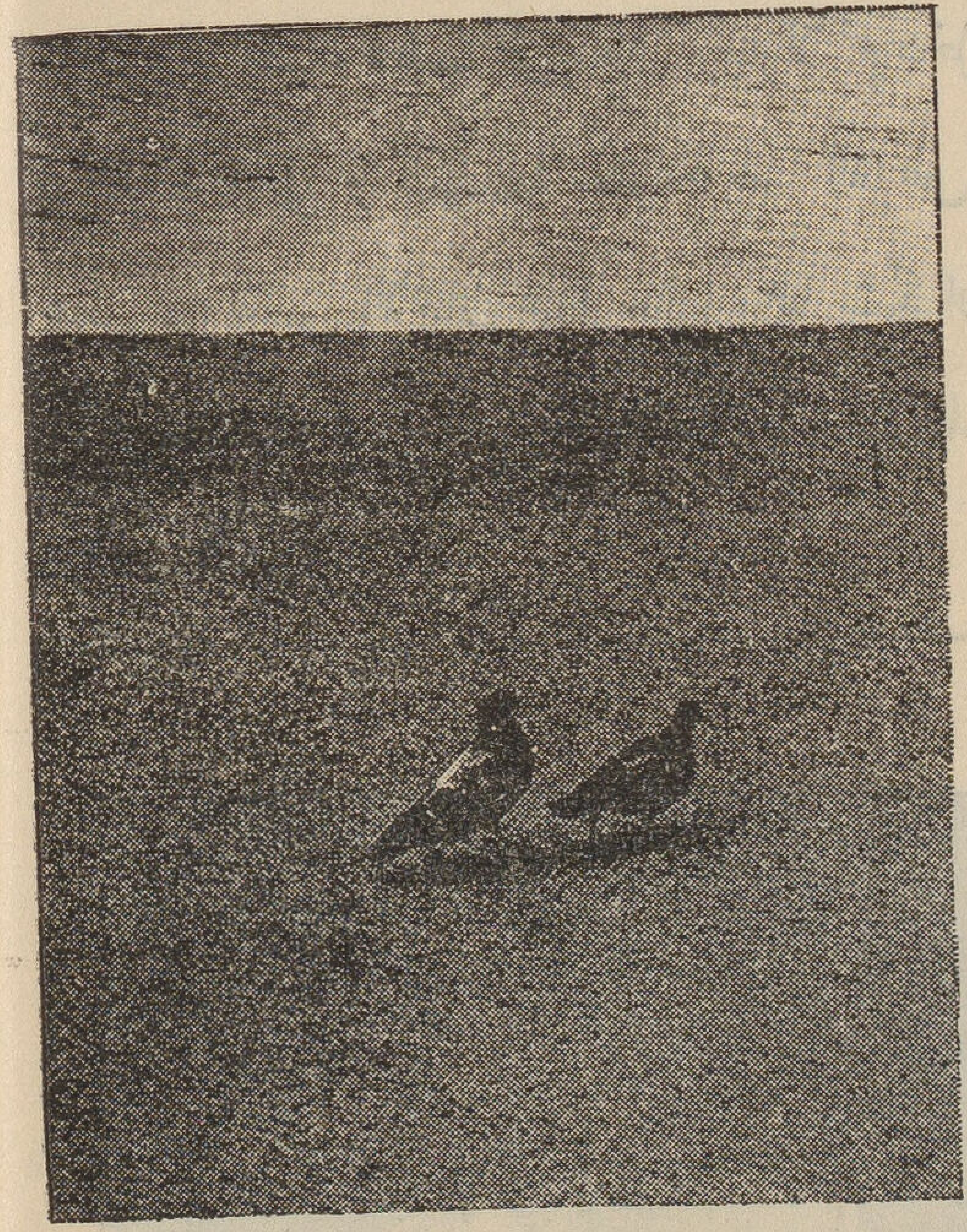
محمد عبد اللطيف حسن



تلألؤ

غزل وغزل





شباب

وشباب

العرب والجمع بين ثقافتين

للاستاذ محمد كرد علي

لما خرج العرب فى الاسلام من جزيرتهم ، ورأوا بلادا غير بلادهم ، وشعوبا غير شعوبهم ، ومطالب فى الحياة لا عهد لهم بها ؛ عرفوا انهم مقصرون فى مضمار الحضارة وفى حاجات الناس ، فانهالوا يتلقفون كل ما لا يعرفون من انواع العلوم والصناعات .

وما انقضى القرن الاول من الهجرة حتى وضعت أسس المدنية العربية الجديدة ، واتجهت وجهة كثير من الاذكياء الى التناغى بعلوم القدماء ، فكان كثير من العلماء يدرسون منذ اوائل عهد بنى العباس فى جملة ما يدرسون الحساب والنجوم والكيمياء وحكمة القدماء وغيرها ، إتماما للثقافة العربية ويعدون من النقص أن لا يلم العالم والكاتب بشىء من هذه العلوم تضاف الى الحديث والفقه والادب

واشتدت حاجة المتكلمين ، اى علماء التوحيد ، او رجال الدين ، فى القرن الثانى الى اتقان علوم الاوائل من فلسفة ورياضة وغيرها ليدفعوا حملات اعداء الاسلام من الملاحدة والمانوية والديصانية وغيرهم . وكان علماء المعتزلة من اول من انتبه من علماء الامة الى وجوب الاخذ عن القدماء ، وهم الذين تولوا الدفاع عن الدين وقاتلوا اعداءهم بسلاحهم ، فكانوا من المبرزين اكثر من غيرهم ممن قصروا علمهم على علوم النقل فقط .

شعرت العرب بعد ان استتب امر دولة بنى أمية فى الشام ، ونظمت شؤون المملكة الاسلامية وامتدت الفتوح فى الشرق والغرب بمسيس الحاجة الى الاخذ عن القدماء ، فبدأ النقل على يد خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز ولما جاء المنصور والرشيد والمأمون ، انبعثت الهمم انبعاثا جديدا ، لنقل كل ما خلت منه اللغة العربية من المعارف ، وكان النقل من اليونانية والسريانية ، والفارسية والهندية ،

وما قصرت دولة الاندلس وامارة صقلية ، فى سلوك هذا المضمار . فقد نقلتا فى القرن الثالث والرابع كتبا كثيرة فى العلوم ، واضافتا الى ثروة العباسيين ثروة جديدة من العلم والمعارف .

وبهذه العلوم الطارئة على الملة تطورت ذهنية العرب ، واتسع افق نظرهم ، فقام الاساس الذى بنوا عليه مدنيتهم الجديدة بعلوم الاوائل يدعمه قانونهم السماوى النافع . وكما تمثلوا ما اقتبسوا عمن سبقهم من اصحاب المدنيات ، ولا سيما فارس والروم ، تجلت عبقريتهم فزادوا فيما نقلوا وصححوا ما اقتبسوا ، وتوسعوا ما ساعدهم الزمن فى معرفة أسرار الكائنات ، وكشف غوامض ما كان لاجدادهم أقل معرفة بها ، يوم كانوا فى جزيرتهم وعلى عزلتهم .

ومن يقرأ سير رجال الاسلام فى قرون يلاحظ أن من أثروا أثرا نافعاً فى المجتمع العربى ، هم الذين كانت لهم مشاركة حسنة فى هذه العلوم التى نسميها اليوم العلوم العصرية ، وما هى الا علوم القدماء ، لانها من وضعهم ، ونتيجة عصور طويلة ، انتقلت من أمة الى أمة ، ومن قطر الى قطر حتى وصلت الى العرب ، وكانوا اخر من ورثها قبل عهد القرون الوسطى ، وأوربا غارقة فى همجية مدهشة ، ثم أخذتها أمم أوربا عن العرب فكانت هذه المدنية الحديثة الغربية ، التى عمت جميع أجزاء الارض وقلبت كيان العالم ، وبدلته فى العصور الحديثة أيما تبديل .

ومن تدبر فقط كتاب الحكماء للقفطى ، وطبقات الامم لصاعد الاندلسى يقف على عناية الخلفاء والملوك والامراء من العرب بهذه العلوم التى خدمت الدين والمدنية معا ، ويدرك أن عطفهم على من عاناها معاناة كبيرة من أبناء ذمتهم من النساطرة واليعاقبة والصائبة والمجوس لا يقل عن عطفهم على علماء الدين والادب . .

واذا شئتم أن تمثلوا لاذهانكم ما كان يبذله العرب أيام عزهم على العلم والعلماء ، فألقوا نظرة على دولة من الدول الراقية اليوم ، وعلى ما تعنى به من بث المعارف فى أمتها تستخرجون صورة من صور العناية بالعلوم فى الدول الاسلامية السالفة .

وما كانت العواصم القديمة كدمشق وبغداد ، والبصرة والرى واصفهـــان وغزنة وسمرقند والفسطاط وافريقيه وصقلية وقرطبة أقل عناية بالعلم من باريز واكسفورد وكمبرديج وليبسيك وبولون وروميه وصلمنقة وقلمرية ، من مدن العلم فى العهد الحديث . وما كان مقام الكندى وعمرو بن بحر

الجاحظ (وهو الذى جمع علوم الاولين والآخرين) وحنين ابن أسحق وأولاد بختيشوع وابن سينا والفارابى والرازى وابن رشد دون منزلة أئمة الدين ورجال السنة والفقه والادب ..

كان تعليم اللغات غير العربية خاصا بفئة من الباحثين والحكماء والاطباء والمهندسين والمنجمين لينقلوا ما تمس حاجة المجتمع العربى الى نقله ، وذلك فى العصور التى كان اللسان العربى لسان العلم والسياسة فى العالم ، فلما زاد اختلاط الشعوب الاسلامية بالامم المجاورة لها كثر العارفون من العرب بلغات أخرى ولا سيما فى فارس فى الشرق والاندلس فى الغرب ، حتى أن من علماء المسلمين من الفوا معاجم لغوية فى هذه اللغات الغربية مترجمة الى العربية ، ومن علماء الاندلس أيضا من كانوا يقرئون العلوم بلسان الطلاب النصارى الذين يحضرون دروسهم ، ويأخذون عنهم ما يجهلون من أصناف العلم .

ومن علماء الاسلام من كانوا يدرسون التوراة والانجيل لابناء ذمتهم ويفسرونها لهم ، ومنهم من كانوا يحفظون القرآن والتوراة والانجيل والزبور اتماما لثقافتهم الدينية ، وللمقابلة بين الأديان السماوية ، ومنهم كالبيرونى أعظم رياضى فى الاسلام ، من كان يبحث فى الاديان والنحل بحثا علميا مجردا عن كل عاطفة بريئا من لوثات التعصب القومى والمذهبى

وما برحت العرب تحس الحاجة الى الأخذ عن غيرها ، حتى كانت القرون الوسطى فقام كثير من أبناء الامة يتقنون لغات الشرق ولا سيما الفارسية والتركية ، أو لغات الغرب الافرنجية وما تفرع عنها من اللغات كالفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتقالية .

ومما ساعد دولة البرتقال فى مطلع العصور الحديثة على تلقف العلوم التى أصبحت بفضلها أول دولة بحرية فى العالم ، وفتحت طريق الهند واستأثرت بالتجارة العالمية زمنا كون من هاجروا اليها من علماء الاندلس ومن كان فى أرضها من العرب الذين لم ينزحوا عند استرجاع البرتقاليين لها كانوا يحسنون لغة البلاد ويتفاهمون ومن أرادوا تعليمهم من أبناء تلك الديار بلغتهم لا باللغة العربية فقط .

وكانت جامعات الغرب أيام تدريسها قانون ابن سينا وتصانيف الرازى وابن زهر وغيرهم تدرس باللاتينية أولا ثم تشرح باللغة المحلية كالايطالية والفرنسية والالمانية والانكليزية ، أو باللغة اللاتينية فقط لغة العلم فى الغرب فى تلك العصور ، فكان الاستاذ بالطبع يحسن العربية ليحسن شرح

العلم الذى يدرسه ، ودامت دراسة كتب العرب فى جامعات أوربا ستمائة سنة ولم تبطل إلا فى القرن الثامن عشر . ووازى غرام أوربا بنقل علوم العرب الى اللاتينية فى القرون الوسطى غرام العرب أيام نهضتهم وانبعاثهم لنقل علوم القدماء حتى ان «جراردى كريمونا» من أهل شمالى ايطاليا ترجم الى اللاتينية سبعين كتابا من كتب العرب فى العلوم ، فقدت لعهدنا بعض أصولها العربية وبقيت للاخلاف ترجمتها اللاتينية . ولما اخترعت الطباعة كانت كتب العرب من أول ما طبع بالحروف فى ايطاليا ، وكانت الاستفادة منها من العوامل الكبرى فى قيام النهضة ومن ايطاليا سرت يلى سائر ممالك أوربا

والحاصل أن العلم الذى كان منذ عرف التاريخ مشاعا بين الامم ، كان الراغبون فيه لا يستنكفون عن الاخذ عن غيرهم ، ولا يحول بينهم وبين رغائبهم دين ولا جنس ولا لسان ، والمدركون من الخاصة عارفون أن ثقافتهم لا تنفع النفع المطلوب ان لم يمدوا أبصارهم الى أقصى حدود النظر ويعرفوا ما عند غيرهم كما يعرفون ما عندهم . كانت فى ذلك نشأتهم ولذتهم وعزهم ، وبقية نغمة أخذ المتأخر عن المتقدم تردد فى جميع البلاد حتى قالت العرب : لا يزال الناس بخير ما بقى الآخر يتعلم من الأول .

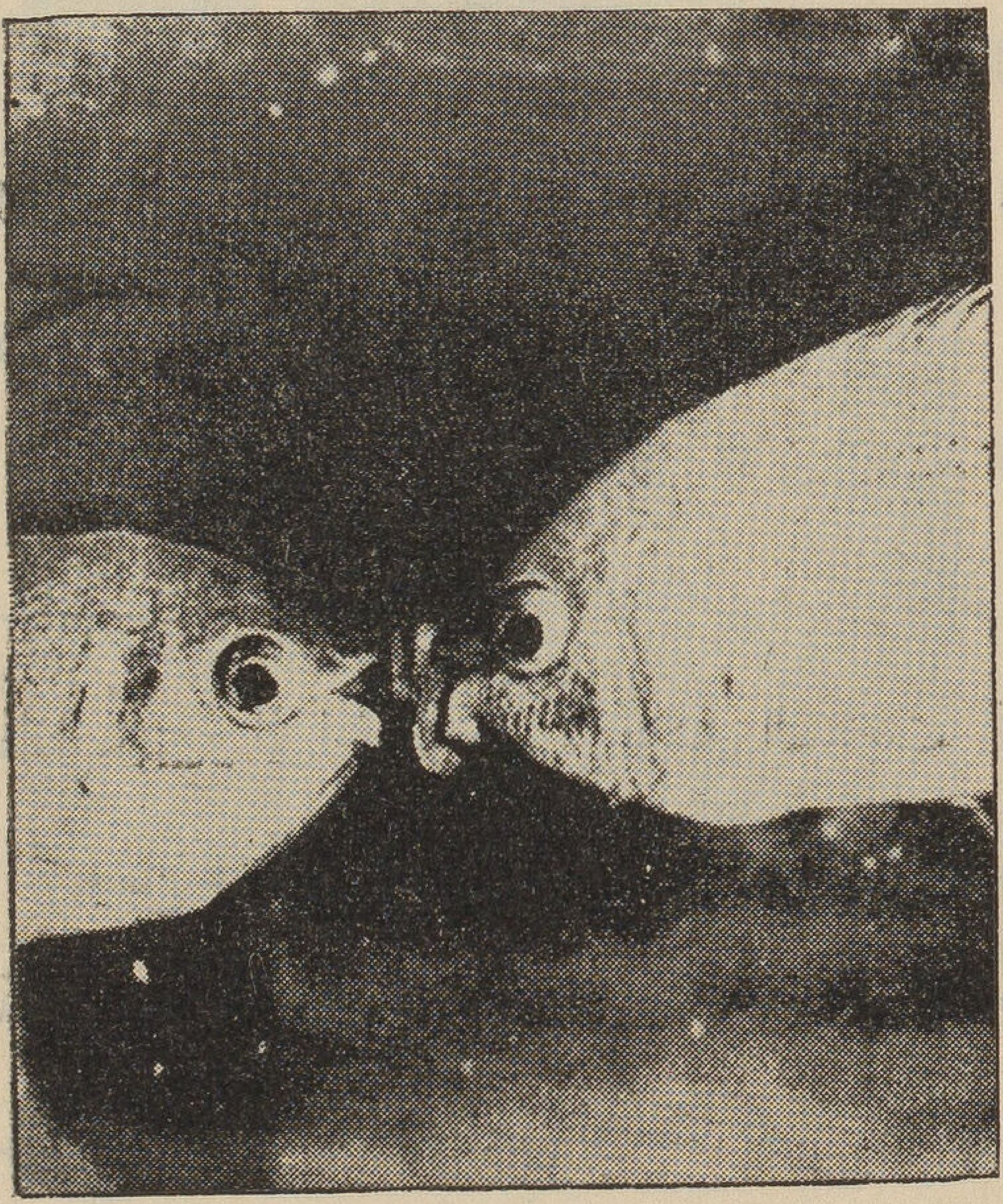
اعتبروا بنهضة العرب الحديثة ، ومن مصر انبعثت بفضل محمد على الكبير واخلافه ؛ كيف قامت على احكام بعض لغات العلم الحديث أخذ علماء المسلمين ، برضاهم وبمجرد رغبتهم ، عن علماء فرنسا لما جاء نابليون يفتتح مصر . ومازال هذا العشق يقوى حتى رحل مئات من الرجال الى ديار الغرب ، يتلقون العلوم من علمائها ويأخذون من جامعاتها بلغاتها ما يستعينون به على انهاض بلادهم من رقادها الذى طال بضعة قرون فى عهد المغول والترك .

وسرى هذا الروح الى الديار الشامية فبرز اهلها بالنقل عن لغات العلم الغربى كما امتاز اجدادهم قديماً بنقل العلوم على عهد الخلفاء الأول من بنى العباس . وانتشر هذا الروح فى تونس والجزائر . فشارك المتعلمون فى هذه الحركة المباركة . وما وفقت الشام وتونس الى مسامتة مصر فان هذه بما لها من الموقع الجغرافى الممتاز ولغنى ارضها وتأصل العلم الدينى وعلوم اللسان فيها منذ قرون ، ظلت مباءة العلم ومقيل العلماء يأتونها من كل صوب وحدب فيتمصرون ويخدمون العرب والعربية

بين البشر والسمك



قبلة في الهواء



قبلة في الماء

الطفل المعقد

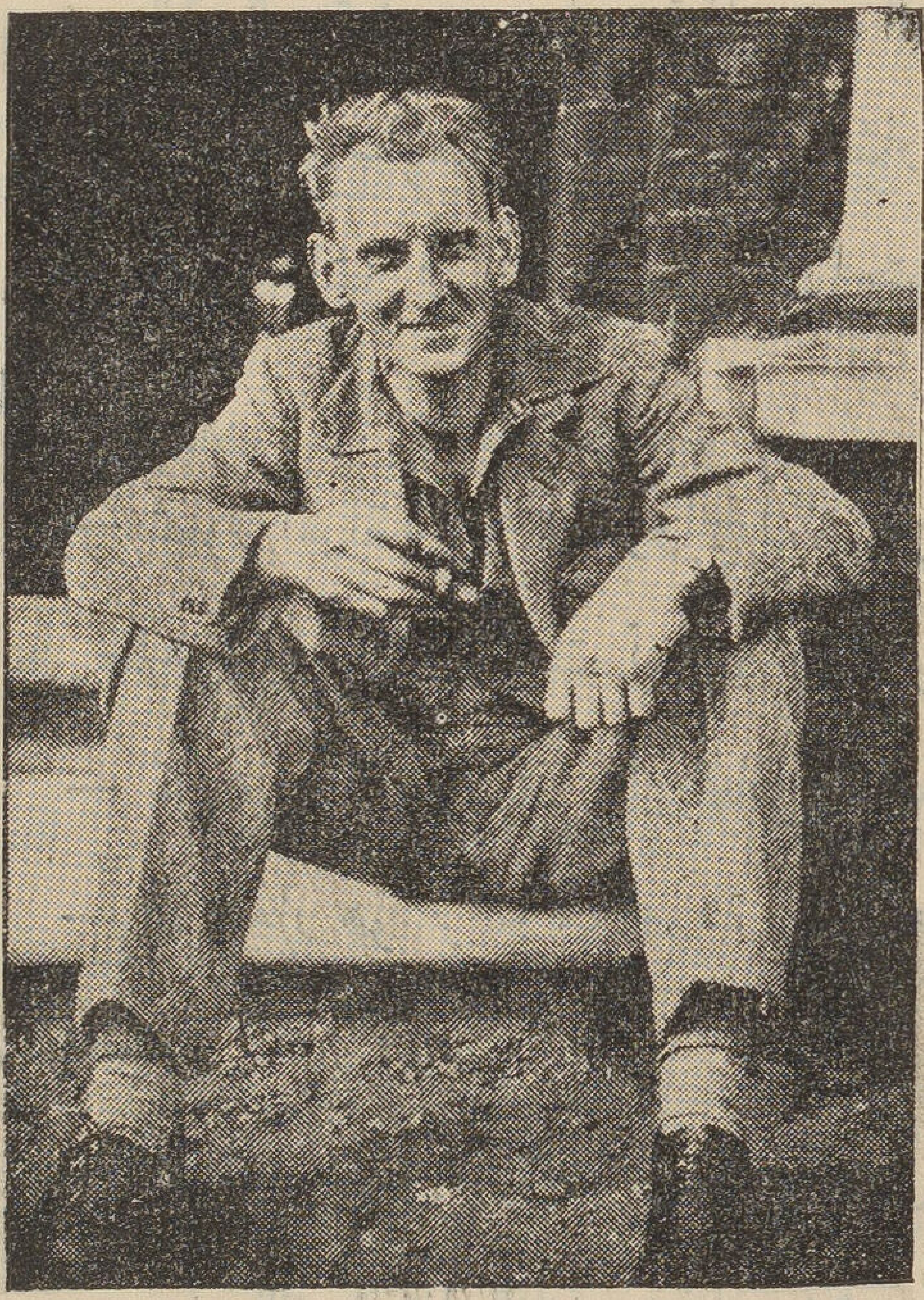
وما تقول التربية الحديثة فيه

شاعت فى العصر الحديث آراء جديدة فى التربية لو شئنا أن نلخصها فى كلمة لقلنا أنها «الحرية» ولكن هذا التلخيص يشوه هذه الاراء بعض الشىء لأننا قد نخطىء المعنى فتختلط علينا الحرية بالاباحة والفوضى والتشرد

ولكننا نقول إن الحرية هى الان النغمة السائدة فى لحن التربية الحديثة . وأن المربى الحديث قد انتقلت اليه نظريات العقل الباطن فهو يتكلم بلغة فرويد وادلر ولا يبالى أن يصرح بأن نفس الطفل تحتاج الى الحرية حتى لا يؤدى الكبت الى انفجارات أو انحرافات

ومن هؤلاء المربين رجل انجليزى يدعى نيل يدير مدرسة للاطفال المعقدين والطفل المعقد هو الذىء أسىء اليه فى التربية حتى صار « عقدة » تعجز المدارس المألوفة عن تربيته كما عجز ابواه من قبل عن ذلك . فهو اص أو مشاكس أو كذاب أو مجرم يشعل النار أو يحطم الاثاث أو يؤذى زملاءه أو هو أحيانا قد يمارس عادات قذرة . وقد ألف المستر نيل هذا كتابا عن « الطفل العقدة » ذكر فيه عيوبه والطرق التى يعالجه بها وما يجب على الاباء أن يتخذوا من السلوك حياله حتى يصلحوه ولكنه بعد أن أخرج هذا الكتاب تساءل : كيف يعاب على طفل عيب ما ؟ انما الاطفال يولدون وهم أبرياء من العيوب . ولكن هناك آباء يسيئون اليهم فى التربية فينشأ الاطفال على الكراهة والعصيان والعناد . فالعيب هو عيب الآباء . ولذلك وضع كتابا آخر أسماه « الآباء المعقدون » شرح فيه الاساليب السيئة التى يعامل بها الآباء أبناءهم فى طور الطفولة وناشدهم أى الآباء أن يصلحوا انفسهم ويعالجوا ابناءهم بالحب والحرية والعطف حتى ينشأ الطفل سليما مستقيم الذهن والغرائز

وقد قرأنا هذين الكتابين . وفيهما شيء كثير من الحكمة التى قد تستغرب لأول وهلة لأنها بعيدة عن مألوفنا بل لعلنا ننفر منها لهذا السبب . ونحن نذكر هنا بعض العبارات ننقلها بنصها أو ملخصة وقد يرى القارىء فيها خميرة للتفكير فان كل عبارة تصح أن تكون رأسا لموضوع بل عنوانا لكتاب . فهو يقول :



المستر نيل

— تدل السرقة عند الاطفال على رغبتهم فى الحب أو التطلع أو المعرفة . فالطفل السارق انما يرمز بسرقته من أبيه او أمه الى انه فى حاجة الى حبهما . وربما هو لا يريد امتلاك الشيء المسروق وانما يرغب فقط فى إشباع تطلعه وفضوله . فروحه هنا هى روح البحث العلمى

— والطفل السليم يسلى نفسه ويشغلها بدرس الاشياء يعالج النجارة او ركوب البسكليت او الفتوغرافيا . ولكن الطفل المعقد يسلى نفسه بمعاكسة ابويه او اخوته أوغيرهم . لانه انما ينتقم بهذه المعاكسة منهم لحرمانه من معالجة الاشياء التى كفوه عنها

— اذا لم يجد الطفل شيئا او اشياء يمارس فيها قوته الاختراعية عمد الى الناس يجرب فيهم هذه القوة — وعندئذ يغدو عنيدا مشاكسا

— كلما منعنا الطفل عن عمل شيء ما يرغب فيه كرهنا هو بمقدار منعنا له

— الام وهى تغسل طفلها فى الحمام تعطيه اول اختباراته الجنسية وتعلمه اللعب باعضائه

— اذا منعنا الطفل من الخلق فى الاشياء عمد الى الهدم بدلا من البناء . والخلق هدم وبناء معا

— الكراهة بعض الحب . كما نرى مثلا فى كراهة الابوين أو احدهما للطفل اذ لو كان هذا الطفل غريبا عنهما لما شعر احدهما بالكراهية له عندما يرتكب خطأ

— ضغط الطفل قد يؤدى الى السرقة أو الكذب أو المشاكسة أو الايذاء بمختلف مظاهرها

— الطفل المعقد هو الذى يرسم له أبواه قواعد أخلاقية لا تطيقها طبيعته ولاتقبلها غرائزه

— الأبوان المتخاصمان المتشاجران يحدثان طفلا معقداً

— الام التى تكره زوجها قد تنقل هذه الكراهة الى إبنها وقد تبدو هـــذه الكراهة فى صورة القلق على صحته أو سلامته عندما يسير فى الشارع

— معظم الفشل فى الزواج يعود الى اختيار الزوجة فى صورة الام « أم الزوج » بلا نظر الى أخلاقها .

— شعور المرأة بالخيبة فى الزواج أكبر من شعور الزوج لان لهذا عمله الذى يلهيه ويشغل ذهنه أما هى فقاعدة راكدة فى البيت تسأم وتجتر خواطرها

— كل من الابوين ينقل الى الطفل شخصيته ويعالج فى هذا الطفل نقائصه هو

— الانتحار هو الرغبة فى العودة الى الرحم كأن الانسان قد سئم الدنيا فهو يحن الى الرجوع الى الرحم

— هم المرأة درس الاشخاص . هم الرجل درس الاشياء

— تعنى النقود عند الطفل حبا له . وهو حين يسرق النقود يعنى فى عقله الباطن أنه محتاج الى الحب يطلبه بالسرقة

— اذا اشتد تعلق الطفل بالبيت وبأبويه كان هـذا دليلا على أنه قد أسيئت تربيته لانه يعنى أحد شيئين : اما أنه مدلل يجد لذة غير عادية فى البيت . وأما أنه مكروه . وهو هنـا يجب الرجوع الى البيت لكى يحصل على الحب الذى حصل عليه أخوته دونه

— يجب ألا نكلف الطفل عملا إلا بأجره المالى

— الحرية هى العلاج الذى يأتى أحيانا بالمعجزات

— عندما نحرم طفلا من ممارسة عمل ما انما نؤذيه بهذا الحرمان لاننا نكبت فيه الرغبه فى هذا العمل . وهذا الكبت سينفجر بعد ذلك فى انحرافات أخلاقية . دع الطفل يعمل ما يريد لكى لايكون فى نفسه كبت

— اذا لم يحصل الطفل على الحب من أبويه فانه لا يبالى أن يحصل على الكراهة بالمعاكسة والمشاكسة لان الكراهة تعنى على الاقل التفاتا واهتماما يشعرانه بنوع من الحب

— الام التى تخشى على ابنها من السير فى الشارع وهو وحده تجعله ينشأ فى الحياة وهو ينظر الى الدنيا بعين المرأة

— رأيت طفلا يقتل أرنبا بكل توحش . ولو كبر لقتل انسانا أيضا . وذلك كله لانه لم يحصل على الحب الذى يطلبه من أبويه

— يمكن أن يفسر التبول فى الفراش عند الذين جاوزوا سن الطفوله على أنه احد شيئين اما انه رمز الى الرجوع الى الرحم . وأما أنه رمز الى العادة السرية

« * »

هذا بعض ما نقلته من « الآباء المعقدون » وفيه من الآراء ما أظن أن كثيرا من القراء ينفرون منه . ولكنى ألمحت فى أول هذا المقال الى أن المؤلف — مثل جميع رجال التربية الحديثة — ينساق وراء مذهب فرويد فى العقل الباطن . ويسلم بجميع تفاصيله تقريبا من اكباره لشأن الكبت والغريزة الجنسية الخ واليك بعض ما فى « الطفل المعقد »

— الام تثبت انانية طفلها عند ما تحاول قمعها . لأن الرغبة التى لم تقض تكمن فى العقل الباطن فالطفل الذى تحاول أن تنزعه من أنانيته يعود أنانيا مدى حياته . وبذلك يهزم التعليم الاخلاقى نفسه

— السرقة فى الأطفال هى رمز رغبتهم فى أن تحبهم . ولكن بما أن الاشباع الرمزى للشهوة لا يمكن أن يشبع على الوجه الصحيح فان السرقة تبقى عادة وملازمة

— الام التى تعاقب طفلها من أجل عادات صغيرة جنسية سيئة تدل بعقابها على انها هى نفسها تنظر للمسائل الجنسية نظرة سيئة

— ارشادنا للاطفال هو ارشاد لانفسنا . لاننا نمثل أنفسنا فى أشخاص أطفالنا . واكره أطفالنا الينا هو من يشبهنا اكثر من غيره

— لغة الجنود فى الثكنات هى لغة جنسية

— قال بعضهم أننا نقاطع فى الحديث المهذب أعظم الاشياء قيمة وهى الدين والجنس

— فى كل انسان رغبتان تسودان جميع الرغبات هما الرغبة فى الحياة والرغبة فى الموت . وهذه الرغبة الثانية هى نتيجة التعليم الاخلاقى

— عندى أن العادة السرية نتيجة الكراهة الذاتية . وهى ترافق على الدوام الشعور بالخطيئة

— يجب أن نترك للطفل حرية التطلع والبحث حتى فى الاشياء المرذولة . حدث أن جاءتنى صبية فى الحادية عشر كان كل همها أن تنظر من خلال القفل لباب المرحاض . فعمدت الى درس الجغرافيا وابدلته بدرس عن المراحيض . ومازلت بها حتى قالت : حسبنا مراحيض . نريد شيئاً آخر !

— اترك الطفل يصنع الكعك من الطين حتى يمله . فانها شهوة تزول بالممارسة . أما المنع فيطردها الى زوايا تختبىء فى العقل الباطن

الجرى وراء النساء فى الشباب هو ثمرة المنع فى الصغر أى منع الاباء أطفالهم من بحث الموضوعات الجنسية فى حرية تامة

— التخيل هو الهرب من الواقع . والمجنون يعمد الى خياله ويطمئن اليه . والعاقل يعمد الى خياله فترة ثم يعود منه الى الواقع

— اكثر ما يكون التلميذ البليد انه يقضى وقته فى التخيل الذى يبعده عن دروسه . وفى هذه الحال يجب ان نشجع التلميذ على التحدث عن تخيلاته لان الحديث يقربه من الواقع ويقتل الخيالات السخيفة

— لكل طفل الحق فى ان يحصل على الالات والادوات التى يحقق بها شخصيته ويعبر بها عن نفسيته

— ليس لاحد فى الدنيا الحق فى ان يضع الطفل فى قالب معين من الاخلاق

— الكسل فى الطفل يرجع الى ضعف الصحة او ضعف الاهتمام

— ليست التربية اعداد الطفل للحياة وانما هى الحياة بنفسها يعيشها الطفل فى طفولته

— يقال ان الرفيقين فى حالة الرقص اذا رقصا فى جميع الادوار التى يعينها البرنامج كانت مسافة ما يقطعانه من المشى ٢٥ ميلا . وهما لا يتعبان لان هناك اهتماما ولذة

يسهل عندنا ضرب الطفل ونحن نؤثر هذه العقوبة على ان نحاول ان نفهم اغراضه

— الطب اقرب الى الله من الكنيسة لانه يعالج ولا يعاقب

— لو حاولنا ان نفهم الطفل لما عاقبناه

— كثيرا ما تعود كراهة الصبي لاخيه الى ان امه قالت ذات مرة فى وجهه : اخوك يحسن هذا العمل اكثر منك

— ليس فى الدنيا انسان ساءت اخلاقه الى الحد الذى يستحق فيه الجلد

— كل خوف هو فى النهاية خوف من الموت . وانواع الموت كثيرة منها الموت الاجتماعى . وموت الذكر والصيت . وموت الكرامة الخ

ويمكن ان يقال ايضا ان كل خوف هو خوف الذات . فالجندى يخاف انه اى يخاف ما فيه من جبن

— المعلم الذى يرفع يده بالضرب على تلميذ فى هولندا يطرد لساعته من وظيفته

— « اطردوا الخوف » هذا هو ما يجب ان يكون شعار كل مدرسة يكتب على بابها

— عندما نربى الطفل ونكسبه اخلاقنا انما نحاول بذلك ان نكسبه مركباتنا . والطفل يخافنا ويقبل القيم الاخلاقية التى نعينها

— قد لا ينجح الطفل الحر — فيما بعد — فى كسب المال . ولكنه ينجح فى ان يكون جزءا من التاريخ

— جرائم الاطفال هى الوان للحب المشوه . وظنى ان كل جرائم الاطفال يمكن ردها الى انهم لم يجدوا الحب الذى تنشده طفولتهم

ربما اقرظ نفسى بلا حق حين اقول انى اعالج الاطفال معالجة سيكلوجية لان الحقيقة ان كل ما عندى لهم هو الحب

— احلم احيانا فى اليقظة .. بان تكون لى مدرسة تجول فى انحاء اوربا بمن فيها من صبيان يتعلمون ويتنزهون

— كل انسان يتحدث ويسلك فى حدود مركباته . ولعلى اهتم بجرائم الاطفال لأنى انا مجرم فى اعماق نفسى

— ليس فى الدنيا انسان جدير بان يعين لانسان آخر اسلوب حياته

على ابراهيم باشا

على ابراهيم باشا زيادة على أنه طبيب عظيم يمتاز بسراوة النفس . كما ترى مما ذكرته الصحف منذ اسبوع من أن الجامعة قررت ايفاد نجله فى بعثة الى انجلترا . وقد قبل على ابراهيم باشا هذا القرار ولكنه رفض أن ينتفع ابنه بما خصصته له الجامعة من راتب شهرى ينفقه مدة اغترابه وتحمل هو نفسه هذه النفقات

وهذا ضمير حى لرجل سرى نود لو تكتبه الصحف بخط الثلث وتكرره حتى يبلغ المغزى الاذهان والقلوب . فان بيننا أغنياء لا يستنكف أحدهم أن يكون دخله السنوى من ممتلكاته أو راتبه من الحكومة يزيد على الالف ومع ذلك يسعى لتعليم أولاده بالمجان . ومن سوء الحظ أنه ينجح أحيانا فى هذا السعى . وها هنا رجل يرفض منحة حكومية تقدم لابنه ويتركها لابناء الفقراء المستحقين . فهنيئا لرجل البر يمارسه ويقدم به أحسن المثل لابناء وطنه

والمشهور عن على ابراهيم باشا انه جراح عظيم أى أنه عالم قد اختص بفرع الجراحة .. ولكن الحقيقة أنه اكثر من عالم . اذ هو فنان أيضا . وظاهرة الفن تبدو فى نشاطه الذى لا ينقطع فى جمع السجاجيد . فان لديه منها مجموعة فاخرة وهو قادر على أن يؤلف كتابا ضخما عن تاريخ السجاجيد ورسومها المختلفة وتأثرها بالثقافة الخاصة فى كل قطر . ونظن أننا نحتاج الى مثل هذا الكتاب من قلمه نقرأه للاستنارة ونمتع أعيننا برسومه ونحتفظ به تحفة فى مكتباتنا

ويجب ألا ننسى أن الجراحة ليست علما فقط بل هى فن أيضا . وبراعة على ابراهيم باشا فى الجراحة تتصل اتصالا وثيقا بهوايته الخاصة بالسجاجيد والى الآن تؤلف الكتب فى الجراحة تحت عنوان «علم الجراحة وفنها»

وقد كان على ابراهيم باشا يمتاز وهو تلميذ فى المدارس الثانوية فى الرسم وقد نال الجوائز فى ذلك

اخناتون وموسى

كثر الـكلام هذه الأيام عن أصل التوحيد فى العالم القديم وعلاقة موسى بالفراعنـة وأيهم كان على يديه الاضطهاد والخروج ، وزاد الـكلام حدة ما ذكرته الصحف بشأن السيكلوجى الكبير فرويد الذى يزعم أن موسى كان مصريا ولم يكن عبرانيا . ومصر القديمة مرتبطة بهـذا الموضوع وحسبها ان اخناتون ظهر فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ودعا الى التوحيد وأن كثيراً من العبارات الواردة فى مزامير التوراة قد ورد أيضا فى صلوات أخناتون

ونحن نكتب هـذه الـكلمات ولما نقرأ كتاب فرويد . ولـكنا قرأنا كتابا آخر للسير مارستون هو « التوراة صحيحة » وهو يعتمد على التنقيبات الاخيرة فى مصر والشرق الادنى . ولا نقول أننا نعبر عن رأى الكاتب فى كل ما سنقول هنا ولكننا اعتمدنا عليه فى بعض — وليس كل — ماسيرد هنا



الملـكة حتشبسوت التى عاش موسى فى رعايتها

وقبل ذلك يجب أن نقول ان التوحيد كان من صفات الديانة الساميـة سواء أقام بها العرب أم العبرانيون أم الهكسوس أم غيرهم . ولابد أن هناك أسبابا لتعلق الساميين بالتوحيد وكراهتهم للوثنية وقد يكون من هذه الاسباب انهم يرتحلون ولا يستقرون . وأن النحت أى نحت التمـاثيل والاصنام

لايمكن ان يكون صناعة سامية مع الارتحال والتنقل . بل البناء نفسه لايمكن أن يكون صناعة سامية لان الخيام تأخذ مكان المنزل الذى يبنى بالحجر أو الطوب . ثم إن الارتحال ينزع بالسامى الى أن يطلب ربه فى كل مكان وأن يكره تجسيمة صنما مستقرا فى مكان معين لا يرافقه أينما رحل ومما لاشك فيه ان الامم السامية فى العراق وسوريا وفلسطين عرفت التوحيد. ولفظة العلى بمعنى الله الواحد قد وجدت فى أثار سامية عديدة قديمة .

والظن الاكبر ان الهكسوس كانوا موحدين كسائر الساميين فلما طردهم المصريون عن مصر بقيت منهم جاليات تفرقت أقليات صغيرة بين جمهور السكان المصريين . والظن الأكبر أيضا أن الهكسوس لما دخلوا مصر لم يكن دخولهم تدفقا فى غارة شعواء بل كان انسلالا وتسربا وكذلك كان خروجهم حتى أننا نجد لهم دولة فى جاسان (بمديرية الشرقية) ولهم ملك يدعى الريان ، وهذه الجاليات قد احتفظت بعقيدتها التوحيدية على الرغم من الوثنية المحيطة بها . ولابد ان كثيرا من المصريين آمنوا بهذا التوحيد أو مالوا اليه اذا وصلنا الى الاسرة الثامنة عشر نجد أن اخناتون يدعو الى التوحيد ويهدم الأصنام ولكنه يشعر بضغط الكهنة وسطوتهم فى عاصمة مصر طيبة فيهجرها ويؤسس عاصمة جديدة فى تل العمارنة . كما فعل تماما مثل ذلك قسطنطين حين آمن بالمسيحية وترك رومة مدينة الوثنية القديمة وأسس القسطنطينية . ومن البعيد أن يكون اخناتون قد اهتدى الى الايمان برب واحد — أتون — ونبذ الاوثان عفو عقله دون أن يستند الى تقاليد تؤيده فى هذا التفكير الجرىء الذى يقفه من أبناء وطنه موقف الخائن . وأرجح الظن أذن انه وجد من الهكسوس أى الجاليات الباقية منهم من ينبذ الاوثان فجاراهم . بل لعل أول من دفعه الى هذا الايمان وقواه فيه هو هذه الجاليات نفسها

لا بل نزيد على ذلك ونقول أن هؤلاء الساميين أى الهكسوس قد اتصلوا بالعبرانيين بل قد يكون هؤلاء العبرانيون المصريون من ذرارى هؤلاء الهكسوس . وعلى كل حال نجد أن الفترة التى تقع فى مصر وفلسطين بين سنة الف وخمسمائة والف وثلاثمائة قبل الميلاد هى فترة الصراع القائم بين التوحيد والوثنية . ففيها يظهر بطلان من ابطال التوحيد هما اخناتون وموسى . وليس من المعقول ان يظهر رجل بهذه الفكرة الثائرة الا وقد سبقته خميرة قد هيأت النفوس لهذه الدعوة . ولابد

ايضا ان تجد هذه العقيدة الجديدة من يقبلونها ، من جمهور يؤبه به كما وكيفا — ثم هى لن تموت اذ يجب حتى عند اندثارها — كما حدث عقب وفاة اخناتون — ان تترك آثارها فى اقليات تؤمن بها فى السر



تحتمس الثالث فرعون الاضطهاد

وقد استطاع السر مارستون ان يوفق بين قصة موسى — كما روتها التوارة — وبين الحقائق التى كشف عنها التنقيب فى مصر وسينا وفلسطين — وهو يرى ان فرعون موسى ليس هو منفتاح وانما هو تحتمس الثالث الذى تولى الحكم بعد الملكة حتشبسوت من سنة ١٤٤٧ الى ١٥٠١ قبل الميلاد . وهذا الحكم الطويل يتفق وما قيل عن هرب موسى وبقائه بعيدا حتى اذ مات تحتمس استطاع ان يعود آمنا . بل يزيد المؤلف على ذلك بأن يضع أساسا تاريخيا للرواية التى تقول بأن أميرة مصرية من بيت فرعون تبنت موسى . وهذه الاميرة هى عنده حتشبسوت .

* * *

والآن نرتب القصة كما يراها السر مارستون

ان موسى ولد سنة ١٥٢٠ قبل الميلاد اى حين كانت حتشبسوت اميرة مصرية . وحتشبسوت هذه هى التى اشتركت فى حكم مصر ايام تحتمس الثالث . وقد وجدت خراطيش تدل على هذا الحكم الثنائى (تحتمس — حتشبسوت) . فاذا فرضنا ان حتشبسوت هى التى ربت موسى واصبح صنيعتها وحظيها فاننا يجب ان نفرض ان موتها يجب ان يتفق وهربه من مصر . لان تحتمس الثالث كان

يكره ذكره ويطمس خرطوشها (اسمها) وكانت كراهته بالطبع تمتد الى حزبها والى كل من كان مخلصا فى خدمتها . بل لعل اخلاص موسى لها كان قد جره الى مصادمات مع تحتمس الثالث ايام الحكم الثنائى . ويقول المؤرخ يوسيفوس اليهودى الذى عاش فى القرن الاول للميلاد ان موسى خدم اميرة مصرية تدعى ترموتيس وانه حارب فى جيوشها فى السودان . فهنا نرى ان كلمة ترموتيس قريبة من تحتمس (اى اسرة تحتمس) وان التاريخ يؤيد القول بان حروب حتشبسوت كانت فى السودان

فلما ماتت حتشبسوت وانفرد تحتمس الثالث بالسلطان اخذ فى اضطهاد العبرانيين . وكانت غزوات هذا الفرعون لفلسطين وسوريا كثيرة متوالية حتى بلغت ١٧ غزوة . وقد هدمت هذه الغزوات سلطان الكنعانيين وزعزعت اسسهم فكأنها كانت تهىء الطريق لدخول العبرانيين . فلما جاء تحتمس الرابع استطاع العبرانيون ان يخرجوا من مصر وان يرقبوا من سينا تضعضع الكنعانيين على أيدى المصريين . وهنا تفسير التعبير الغامض الخاص بالزنابير وانها تهدم مدن الكنعانيين . فان هذا التعبير ورد فى التوراة ولم يكن مفهوما . ولكنه يفهم الان لأن الزنابير هى شارة الفراعنة من اسرة تحتمس الثالث ومن خلفوه .

ونستطيع ان ننظم علاقة التاريخ المصرى بالعبرانيين حوالى زمن موسى كما يلى :

تحتمس الثالث من ١٥٠١ الى ١٤٤٧ قبل الميلاد وهو فرعون الاضطهاد

تحتمس الرابع من ١٤٢٣ الى ١٤١٣ قبل الميلاد وهو فرعون الخروج

اخناتون من ١٣٧٧ الى ١٣٦١ وهو الممالىء للتوحيد العبرانى

« • »

لما خرج موسى مع العبرانيين من مصر صار هؤلاء يرسلون جواسيسهم لكى يتعرفوا الحال فى فلسطين . فكان الجواسيس يعودون اليهم ويقولون ان فلسطين لا تزال قوية لا يمكن العبرانيين ان يغزوها ويتغلبوا عليها . ولكن الزنابير ـ اى جيوش مصر — كانت تفتك بامراء فلسطين وانه يجب على العبرانيين ان ينتظروا حتى يتزعزع سلطان هؤلاء الامراء. فلما تم هذا التزعزع دخل العبرانيون فى انسلال وبطء وليس فى غارة شعواء . وذلك لكى لا تشعر مصر بضغطهم ولا تهىء العدة الفعالة لطردهم

وجاء اخناتون فورث تقاليد العبرانيين فى مصر من حيث التوحيد ودعا اليه . فلما كانت عرائض الامراء الموالين لمصر فى فلسطين ترد اليه فى تل العمارنة وتنبئه بهجوم العبرانيين كان يتلكأ فى الدفاع ويرفض حربهم . وكان جيش مصر يقيم متعطلا فى مصر فى حين كانت مدن فلسطين تقع واحدة بعد اخرى فى ايدى العبرانيين . ولفظة هبيرو (عابيرو : عبريون) تذكر لاول مرة ايام اخناتون. واغلب الظن ان اخناتون كان يمالىء العبرانيين فى ايمانهم باله واحد وانه لهذا السبب تركهم يغزون فلسطين . وهذه الممالأة نرى اثرها فى التوارة لان كثيرا مما قاله اخناتون يذكر فى المزامير كأنه اقوال مقدسة. والمزمور ١٠٤ يكاد يكون ترجمة حرفية لاحدى صلوات اخناتون فى كثير من



القناع الذهبي للملك شيشاق الذى وجده المسيو مونتيه فى صان قبل شهرين والمظنون ان هذا الملك هو الذى صاهر سليمان الحكيم ملك اليهود

عبارات . وقد كان اخناتون يجعل الشمس — اتون — رمزا لربه . وكثير من الاوصاف فى المزمور ١٠٤ يتفق مع هذه الفكرة . مثل :

اللابس النور كثوب الباسط السموات كشقة

الجاعل السحاب مركبته الماشى على اجنحة الريح

يصعد الى الجبال ينزل الى البقاع

تفتح يدك فتشبع خيرا . تحجب وجهك فترتاع (المخلوقات)

فهذه الاوصاف التى وصف بها الرب فى المزمور تنطبق كل الانطباق على رب اخناتون اى اتون او الشمس

ولكن لماذا لم تذكر التوراة اخناتون بالفضل فى حين ذكرت اضطهاد تحتمس الثالث ثم الرابع بالاضطهاد ؟

ربما كان السبب ان سياق القصة وذكر الاضطهاد المفصل لم يكن يأتلف مع الرعاية والعطف

الدخان

كثر الكلام او الخبط هذه الايام عن الدخان وشواشى الذرة . وهل يمكن أن يستغنى الفلاحون عن الدخان بتدخين شواشى الذرة أم لا ؟

وهذا التفكير انما تبعثه « اقتصاديات الفقر » التى تسود ريفنا وتوشك ان تسود مدننا . ولو نجحت هذه التجربة لخسرت الحكومة المصرية نحو ستة ملايين جنيه كل عام هى قيمة المكوس الجمركية التى تأخذها من الدخان الوارد . او نقول بكلمة اخرى أن ما يدخل الخزانة المصرية من مكوس الدخان اكبر من الضرائب المفروضة على الارض الزراعية أو على الاقل يساويها . ولا نظن أن حكومة ما يمكن ان تستهين بمثل هذا الدخل . حتى الذين كانوا يقولون بزرع الدخان فى مصر قد أصبحوا يترددون فى بحث هذا الموضوع

وشواشى الذرة هى بعد كل هذا خالية من المادة المنبهة أو المخدرة التى تؤثر فى الاعصاب وتستحدث العاده . ولا نظن الا أن جميع الذين تكلموا عن هذا الموضوع قد ندموا على ماقالوه

مخ !...

قصة بقلم الاستاذ محمود تيمور

دخل « نصار افندى » قهوة « السلام » وهو ساخط متبرم ، يغمغم بسباب مكتوم . ورمى بجسمه الهزيل على المقعد ، وطلب قهوة وماء . وكان ممزق الثياب ، اغبر الوجه ، مصابا بجروح فى رأسه وجبهته ويديه ، مازال الدم يتسايل منها . له هيئة بغيضة لا يشفع لها ما يبدو عليه من دلائل الالم والهزيمة المنكرة

وسعى اليه الخادم بما طلب ، ووقف أمامه برهة يتأمله ، ثم قال :

ألم تكن تستطيع أن توفر على نفسك ما اصابك اليوم من أذى ؟ لقد سمعنا بما شجر بينك وبين السماسرة فى قهوة « زاخورة » . . . الكل يلقون التبعة عليك !

— على أنا ؟ . . . الله يسامحهم . بالطبع أنا المحقوق مادام يدعى ذلك « غزال » و « مرزوق » و « الفوال » . . . من يقدر أن يكذبهم ، وهم « البلطجية » الكبار ؟ !

وبل منديله القذر بالماء ، وأخذ يمسح به جروحه الدامية .

فقال الخادم :

اسمع يانصار . . . الحق هو الحق . . . لا بلطجية ولا خلافه . الكل يقولون إنك أردت أخذ بيعة القطن منهم لمصلحه رئيسك « طناشى »

فأجابه « نصار » وهو منهمك فى مسح جروحه .

وهل فى ذلك ما يؤاخذ عليه ؟ المسألة مسألة شغل ياسيد عبد العظيم ..

— المسألة مسألة شغل طبعاً ، ولكن ليس بالغش والدس والخديعة يانصار افندى !

فرفع « نصار » وجهه إليه « وقال :

أنا الذى أدس وأغش وأخادع ... أنا ؟ ! أما هم فملائكة ، ليس فى أعمالهم ظلم ولا عدوان اعمل معروف اقصر لسانك . . .

فانصرف الخادم إلى عمله !

وزفر « نصار افندى » زفرة عميقة . . إنه يشعر الآن وهو فى جلسته بأن عظامه دقت دقا ، فلم يبق لها كيان مستقل فى جسده ، بعد تلك المعركة الحامية . إنها أول هزيمة يناله بها أولئك الزملاء الاشرار . كانوا من قبل يقتصرون على تحقيره والنيل منه بألوان الشتائم والسباب ، ولكنها كلام والسلام : . أما الضرب وما اليه من صفع وركل ، ومايجره من إراقة للدم ، ورمى على الأرض ، وتمريغ فى الوحل ، وتمزيق للثياب ، فهذا هو الجديد الذى لم يكن فى الحسبان ؟

وأخرج « نصار » لفافة هزيلة ، وانطلق يدخنها ، وأخذ يعرض حياته أمام عينيه مفكراً . لقد مرت به عشرون عاماً فى خدمة « الخواجه طناشى » . عشرون عاماً وحياته على ماهى عليه ، ضائعة بين الاسواق والمحلج وقهوة « زاخوره » ، وبين مكتبه حيث يجمع الارقام ويطرحها ويضربها ؛ إلى ساعة متأخرة من الليل ، ضوء مصباح أعمش . عشرون عاماً وهو مندوب لمحل «طناشى إخوان» لم يرق درجة ، ولم ينل علاوة . وياليته كان مندوباً بحق . . لم يعقد بنفسه صفقة واحدة لبيع أو شراء ولم يذيل بامضائه المتشعب الملتوى صكا واحدا و ولم يعمر جيبه — الخالى دائما — بتأمين ما . ان هذه الاوراق البهيجة اللامعة ، ذات العشرة جنيهات ، والخمسين جنيهاً ، لم تمسها يده مرة واحدة فى حياته كلها . . كيف اذاً تسامحوا معه ، فمنحوه لقب «مندوب» على حين أنه لا يشارك مندوبى الشركات والبيوت التجارية فى شيء إلا فى هذا المعطف الطويل الاصفر ، وهذا الطربوش الناصل الذى يخول صاحبه أن يحمل لقب « أفندى » ! وما قيمة هذا اللقب عنده ؟ أو قد عصمه مرة واحدة من لسان رئيسة السليط ؟ الناس جميعاً شهود لـ « طناشى » بنبوغ وتفنن فى السبب والشتم لا يقل عن نبوغه وتفننه فى إدارة متاجره . . !

إن أثقال هذه الأعوام العشرين كانت تتجمع فى هذه اللحظة ، وتنحط كالجبل على كتفيه وأخذ « نصار أفندى » يجمع بخنصره الحثالة الراسبة من القهوة ، ويلعقها فى تأن وتبلد ، وقد شرع

الباعة الجوالون يفدون على « قهوة السلام » فيبعثون فيها بصياحهم والحاحهم شيئا من النشاط . كان يراهم داخلين وخارجين ، فلا يكترث لهم ، ولا يعيرهم من نظراته أدنى التفات

ومر بجانبه فى ذلك الوقت قزم أجرد ، تملأ وجهه التجاعيد ، يحمل على رأسه وعاء من الصفيح ، ويصيح مناديا فى صوت مخنث كريه : « المخ العجالى » !

وقد نشأ بين هـذا القزم وبين « نصار أفندى » لون من سوء التفاهم لم يلبث أن انقلب الى كراهية صامتة . فى حين أنه لم يسبق بينهما تعارف منذ هبوطه الزقازيق ، والتحاقه بمحل «طناشى» هناك تنافر روحى قائم بينهما ، فكل منهم يبغض صاحبه لله فى لله ! . . تتمثل هـذه الكراهية فى النظرات المتقدة التى يتبادلانها ، وفى التهكمات المرة التى يتراشقان بها

منذ عشرين عاما يصيح ذلك الصوت المخنث ملحا متعنتاً بالمخ العجالى و« نصار » لا يستطيع أن يصم أذنيه عنه . . منذ عشرين عاما يصبح « نصار افندى » ويمسى يتبعه هـذا الهيكل الآدمى البشع ، وهو غير واجد سبيلا إلى الفكاك منه !

والعجب أن « نصار أفندى » سمع عند قدومه مدينة « الزقازيق » طبيباً يقول مؤكداً : لن يعيش هـذا القزم أكثر من عشرين يوما ! . . وها قـد مرت عشرون عاما ، مات فى أثنائها ذلك الطبيب ،وتفتتت عظامه واندثرت ، وهـذا القزم قائم كالعقرب اللـدوغ ، يبتسم للناس عن أسنانه البارزة النخرة !

وأى مخاخ تلك التى يبيعهـا ؟ انه يؤكد انها صابحة ، ولا جدال فى انها كذلك ،صابحة بدمها الحار ، كأنها مخاخ القتلى معروضة على المشرحة .. وهذه القطعـان المحتشدة من الذباب تسير محلقة على الوعاء ، تتبعه فى سيره كأنها سرب من الطائرات يتأثر جيشا ، ثم تراها وقد ألهبها الجوع فحطت على الغنيمة ، واخذت تعب من دمها ما شاءت ان تعب ، و« نصار افندى» يرمقها بعينيه ويدمدم : قذارة ! قذارة ! ثم لا يعتم ان يتلمظ بريقه ، اذ تتمثل له هذه المخاخ متقلبة على النار ، ينبعث منها دخان شهى الرائحة !

يا لله ! شد ما يمقت « نصار افندى» هذا القزم الوقح!

لقد جاء القزم الى « القهوة » ثم خرج ، ثم عاد ثم خرج ، وهاهو ذا يحضر الآن للمرة الثالثة

و « نصار افندى » قابع فى مكانه لم يتحرك !

ان « نصار افندى » ليتحمل اليوم أدهى مصيبة ينكبه بها القدر ، بل انه ليرحب بها ، ولكنه لا يطيق رؤية هذا القزم وهو يختلف الى القهوة هاتفاً بالمخ العجالى .. !

وزفر زفرة ملتهبة ، وأخذ يتململ فى مقعده ، وجعل يضرب المائدة بقبضة يده .. وما ان مر بجانبه القزم يتخلع فى مشيته ويطلق من حلقه الصوت المخنث ، حتى قفز « نصار افندى » من مكانه . . وأمسك بخناق القزم وهو يصيح فيه :

اغرب من هنا ، أحرم عليك أن تريني وجهك حيث أكون .. أفهمت ؟ اختف عن ناظرى فى الحال !

ولم يدع للقزم فرصة يرد فيها عليه ، أو يحقق رغبته فى الاختفاء ، بل وثب « نصار افندى » اليه وأنشب فيه أظافره ، وانهال عليه لكما وركلا ، ثم اخذ يطوح به يمنة ويسرة ، لا يكاد يرفعه حتى يهوى به !

وكان كلما تمادى شعر بانتعاش ومرح .. يا لله ! كيف عزبت عن باله قبل اليوم تلك الفكرة الموفقة فكرة ضرب هذا القزم اللعين ؟ ما أطيب هذه الراحة التى تغمر نفسه ، وما أوفر هذا السرور الذى يفيض على روحه !

انه ليستقبل الحبس ، بل الشنق ، راضيا ، فى سبيل هذا العمل المجيد وهذه البطولة الخالدة

.... وتكاثر الناس عليهما وأخذوا يفرقون بينهما !

وجلس « نصار افندى » على رصيف القهوة يلهث ، وهو أغبر معفر ، دامى الوجه ، أشعث الرأس ، ممزق الثياب ، والناس من حوله يسائلونه عما حدث .

فأخرج لفافة من علبته ، وأشعلها فى تمهل ، وبدأ يدخنها ، ثم وضع رجلا على رجل ، وقال :

لا تلقوا بالا لهذا . . إنه امر تافه . . . كثيرا ما اضطررت إلى تأديب أمثال هذا النذل بهذه الطريقة . . . ! !

اختلاط الجنسين والجامعة

بقلم الانسة فاطمة الجمال

في العام الماضي هبت عاصفة اكتسحت بعض العقول وهيأت لها في الخيال من العجب الكثير. فأثير موضوع اختلاط الجنسين في لهجة ترمي الى التفريق بينهما، وكأن الجامعة أنشئت في العام الماضي فقط، وكأن اختلاط الجنسين حدث في العام الماضي فقط. بل وكأن اختـــلاط الجنسين يحدث في الجامعة فقط. عجبا وأي عجب من هؤلاء الذين قاموا بتلك الثورة.. ! ألم يروا الفتاة في المحال التجارية وفي الطرقات..، وفي عربات الترام والقطارات، وفي دور السينما والتمثيل والمتنزهات.؟ أم أن الاختلاط في مثل هذه الامـكنة مباح وفي دور العلم — حيث يوجد من احترام النفس رقابة على النفس — غير مباح.. ؟! بل من من هؤلاء الذين يحبذون عدم اختلاط الجنسين ما زال يوصد الابواب ويمنع الاقارب والاصحاب من رؤية ابنته او شقيقته.؟ إنني أوكد له أنه يخدع نفسه حين يصدقها في مثل هذا الوهم، فضـلا عن أن الفتاة قضت في الظلمات سنين بؤس وشقاء، ثم كانت نظرة عطف من الزمان ففك قيودها، وأزاح عنها الاغلال، ونالت من الحرية حظا تود أن تكون أوفر مما هو عليه الآن.

ان الدين الاسلامي الحنيف لم يمنع اختلاط الجنسين. ولنا في تاريخ نساء العرب أمثلة كثيرة على ذلك، فالسيدة عائشة رضي الله عنها — وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخير قدوة للنساء — سارت في طليعة جيش للثأر من قتلة عثمان، والسيدة زينب حفيدة النبي، وشقيقة الحسين، دخلت على عبيد الله بن زياد الذي حرض على قتل أخيها، فأنزلت لعنتها عليه لفتكه بزينة شباب الاسلام، ولهدره دماء سلالة البيت النبوي الشريف.

وفى هذه الامثلة نرى نوعا محدوداً من اختلاط الجنسين ،حدث لظروف خاصة .

وفى أشعار العرب وغزلهم أعظم دليل على أن اختلاط الجنسين ليس بدعة يومنا هذا ، ولا من مخترعات العهد الحديث.

وفى تاريخ مصر الاسلامى أيضا اذا ماقلبنا صفحاته رأينا أن شجرة الدر قد اضطلعت باعباء الحكم وصارت ملكة للبلاد ، ولم يكن هذا من وراء ستار .

ومن هذا نرى أن الدين لم يمنع اختلاط الجنسين — وينبغى هنا أن نفرق بين موضوعى السفور والحجاب .

لست أعنى باختلاط الجنسين أن يترك للفتى والفتاة الحبل على الغارب كما يقولون ، ولكننى أعنى به اختلاطا يقوم الأخلاق ويهذبها ، يحفظ الكرامة ويعززها ، ويصون الشرف ويسمو به ، فيتحقق بواسطته حل لمشكلة من أعظم مشاكلنا الاجتماعية ، ويجعل من الشاب والفتاة وحدة انسانية سامية مترفعة عن مباذل الحياة ، متجهة نحو المثل العليـا . وتحقيقا لهذا يجب أن تـكون هناك رقابة من الآباء على الفتيات تحميهن أغواء الشباب ، ولا تقلل من ثقتهن لأنفسهن . وأن يسلك شبابنا طريقا اقل وعورة من هذا الذى يندفعون فيه ، فيقاوموا تلك التيارات الجارفة من الميول والاهواء التى تجيش فى صدورهم . ويفـكر فى كل كيف يرضى وطنه وينهض به قبل أن يرضى نزعاته فيسىء الى نفسه من حيث لا يدرى .

ان اختلاط الجنسين فى الجامعة أمر متمم لمظاهر نهضتنـا الحديثة إذا اردنا أن نسير بها الى الامام ، باعث لرقى المجتمع ، عامل على نهضته ، فى الجامعة يحرص الشباب — وأعنى شباب الجنسين على أن يحترم نفسه ، ويعتز بكرامته ، وفى هذا ما يجعل من شخصه رقابة أدبية سامية عليه ، وهو اذا ماخلا الى نفسه أقام منها قاضيا على نفسه ، وحاسبها حساباً عسيراً على ما أتى من هذر الكلام إن كان قد تكلم ، وسوء الفعال إن كان قد فعل . هذه الرقابة الرفيعة تمهد اختلاطاً بريئا غايته الثقافة والتعليم .

هذا مانراه فى الجامعة ، وهذا ماكان من نتيجة اختلاط الجنسين بها ، فهل فيه شىء مريب ؟؟ وهل فيه ما يدعو الى تلك الثورة الشعواء ، وقد كان يجدر بمن أشعلوا فتيلها ، وأذكوا نارها أن

يفكروا فى جو من الحكمة والتبصر فلا يقعوا فيما وقعوا فيه من فاسد الاراء معرضين أنفسهم لعاصفة غبارها الضحك والاستهزاء

بل إنه لما يثير ضحكى أكثر من عجبى ، أن يجيز هؤلاء القوم تعليم الفتاة الطب والمحاماة والاداب وفى نفس الوقت يدعون الى عدم اختلاط الجنسين ... وكأن نتيجة هذا التعليم لن تؤدى بالفتاة الى اختلاطها بالجنس الآخر حين قيامها بمهنتها .. ! انى أرى ذلك مستحيلا اللهم الا اذا كان خيالهم الرائع قد صور لهم مثلا محاكم نسائية قضاتها سيدات ، وحجابها سيدات ، والمسوقات للمحاكمة فيها سيدات حتى يمكن لمن درست الحقوق أن تقوم بعملها ! - بل ربما صور لهم أطرف من هذا وأروع ، فتخيلوا الوزارات والمصالح وقد شغلت جميعها بالنساء حتى يضمنوا عدم اختلاط الجنسين.

أحد أمرين ياسادة : إما ان تتركوا الفتاة تتعلم وتتثقف فى جو من السكون والاطمئنان ، وإما أن تكشفوا القناع عن اغراضكم ، وتعلنوا فى شجاعة عما تريدون . وانى وأيم الحق لاعرف ماذا تريدون ، تريدون أن ترجعوا بالفتاة عشرات السنين وتزجوا بها فى غياهب الظلمات ، نعم تريدون أن تقفل الجامعة أبوابها فى وجه الفتاة ظانين أن لكم فى هذا فتحا مبينا ، ولارائكم الرجعية نصرا عظيما ، ولكنى آسفة إذ أقول لكم أن ظنكم لن يحقق وآمالكم لن تجاب .

إنى لا أنكر أن بالجامعة نفرا من الطلبة يستبيحون لأنفسهم ما لا حق لهم فيه . ويأتون من ردىء الاقوال ما يهوى بهم الى مهواة الشقاء الادبى ، ويجعلهم منبوذين من زملائهم قبل زميلاتهم الا بالطبع من هم على شاكلتهم .

الآن أختم كلمتى محبذة اختلاط الجنسين على الوجه الذى ذكرته ، بالرغم مما تعانيه الفتاة الجامعية من أمثال هؤلاء الطلبة ، وليكن عزاؤها أنها تمهد سبيل الثقافة لفتاة المستقبل على الوجه الذى ترجوه كل فتاة ، وأنها ضحية على مذبح حرية المرأة وسعادتها فى فترة الانتقال هذه من عالم الظلمات الى عالم النور والاستبشار .

فى طرابلس وتونس والجزائر

لصاحب السعادة فؤاد أباظة باشا

فى أواخر أكتوبر الماضى تلقت الجمعية الزراعية الملكية دعوة من رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الدولى الثامن لزراعة المناطق الحارة والمعتدلة وهو المقرر عقده بمدينة طرابلس للوقوف على ما وصلت اليه البحوث لتحسين زراعة هذه المناطق . وتلقت الجمعية كذلك كتابا من وزارة الخارجية بان المفوضية الايطالية فى مصر تدعو الحكومة المصرية الى الاشتراك فى أعمال المؤتمر وقد أقيم فيها بمناسبة اجتماعه معرض صناعى من ٥ مارس إلى ١٦ ابريل فانتدبتنى الجمعية لزيارة طرابلس لهذا الغرض

ولم تمكنى الظروف من حضور المؤتمر الزراعى فعزمت على ادراك المعرض وزيارة المناطق التى كان مقررا أن يزورها أعضاء المؤتمر

فسافرت صباح ١٢ ابريل بطائرة من طائرات الشركة الايطالية ومعى زميل فى هذه الرحلة الاستاذ سحاب الماس مدير الاكاديمية المصرية فى روما التابعة لوزارة المعارف المصرية وكان خير رفيق لى فى رحلتى فوصلنا الى بنغازى بعد أربع ساعات

ثم غادرت بنغازى قاصدا مدينة طرابلس فبلغتها بعد ثلاث ساعات وذهبت توا الى زيارة المعرض ومشاهدة اقسامه المختلفة والوقوف على الانظمة الحديثة فيه

وبعد زيارتى لمعرض طرابلس علمت ان فى مدينة الجزائر معرضاً آخر يوشك أن ينتهى فبدت لى فكرة زيارته فسافرت فى الحال من طرابلس الى تونس بالطائرة مدة ثلاث ساعات أيضا ومنها بالقطار الى الجزائر واستغرقت مدة السفر ٢٢ ساعة فشاهدت معروضات المعرض فى آخر يوم من أيامه

وقد فزت من زيارة المعرضين بفوائد لا بأس بها تفيد فائدة كبيرة فى تنويع أفكار العرض اذ

الغرض من مشاهدة المعارض هو الوقوف على آخر تفكير فى ذوق العرض والافكار الحديثة المفيدة فى المعارض

والجزائر وتونس غنيتان بالاراضى الخصبة وهى لاشك سبب رخائهما وتقدمهما وهى حافلة بشتى أنواع المزروعات والمحصولات الزراعية المختلفة . وأما طرابلس الغرب فتعتبر اذا قورنت بهما جرداء قاحلة عدا مناطق المشروعات الزراعية الجديدة فيها

طرابلس الغرب

وعدت الى طرابلس بعد انتهاء رحلتى فى تونس والجزائر لاستيفاء البحث فى الغرض الاساسى وهو الوقوف على الاستثمار الزراعى فى ليبيا ، وأول ما يستوقف النظر من الوجهة الزراعية أن هذه الصحراء استحالت أرضا زراعية طيبة ، فالمساحات الشاسعة منها فى منطقة طرابلس أصبحت بعد حفر الآبار مناطق زراعية خصبة تنتج شتى المحصولات الزراعية

وقد نجح حفر الآبار فى الصحراء نجاحا يذكر ، ويبلغ عمق بعض هذه الآبار ٨٠٠ متر أو أكثر فيصل العمق الى منطقة الماء ، ويقال إنها متصلة بالمنطقة الاستوائية فتخرج منها ينابيع الماء بصفة دائمة بحيث لا يحتاجون للآلات فى رفعها بعد ذلك ويخزن فى أحواض كبيرة ويجتازها الى قنوات وخلجان أنشئت بالاسمنت المسلح فيغمر المساحات الواسعة التى أعدت للاصلاح

وسينشأ فى ليبيا الشرقية حيث يقوم نشاط الاصلاح على قدم وساق مجرى كبير لمياه العيون يبلغ طوله ١٥٠ كيلو مترا تتفرع منه قنوات طولها ٥٠ كيلو مترا لامداد الزراع بالمياه اللازمة للشرب وسيتصل هذا المجرى بعين تسمى «عين مارا» فى منطقة درنة . وتنتج هذه العين فى الثانية الواحدة ٧٠ لترا من الماء ترفعها الى ارتفاع ٤٫٦٧ مترا فوق سطح الارض وسيعملون على زيادة قوة ارتفاعها بواسطة محطتين رافعتين حتى تصل الى ٦٩٣ مترا كما سينشأ خزان على مسافة ٣٦ كيلو مترا من هذه العين لحفظ المياه فيه — وتقدر تكاليف هذا المجرى ومنشآته بحوالى ٧٠ مليون ليرة أى حوالى ٧٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى

ويجرى نظام الاستثمار على أساس تعمير تلك الاراضى بجلب جماعات من الايطاليين الفقراء

ومن الاسر الـكثيرة النسل وتوزيعها عليها . ويجـدون جميع الآلات الزراعية والماشية معدة لهم وليس عليهم سوى مزاولة الاعمال الزراعية

ورأيت بعينى رأسى تلك العائلات التى جلبت فى أكتوبر الماضى وقـد بدأت حصد القمح الذى زرعته

ويقضى نظام الاستثمار هذا بانشـاء ٣٠٠٠ مزرعة واحلال ٣٠٠٠ عائلة بها خلال سنتى ١٩٣٨ و١٩٣٩ وقد بدىء فعلا بتنفيذ هذا المشروع فى عام ١٩٣٨ فرحلت ١٨٠٠ عائلة ايطالية يبلغ عدد أفرادها ٢٠٫٠٠٠ فلاح ايطالى

وقد أعد لـكل عائلة مزرعة تتراوح مساحتها بين خمسة وعشرين ومائة فدان ومنزل مـكون من ثلاث غرف ومطبخ ولوازمه وخلف المنزل حظـيرة الماشية وفرن وبخزن به مجموعة كاملة من الادوات والآلات والبذور

وتبلغ مساحة المناطق المعـدة للاصلاح نحو ١٨٠٠٠٠ فدان موزعة على مناطق مختلفة ومقسمة كما قلنا الى مزارع تتراوح بين ٢٥ و ١٠٠ فدان حسب قدرة وعدد أفراد العائلة التى تتولى زراعتها

وقد روعى فى هذا التقسيم قدرة الأرض على الانتاج وحالة الرى وما اذا كان بماء الامطار أو مياه العيون وأنواع المزروعات نفسها وحاجتها الى الماء الـكثير أو القليل بحيث تشمل المزرعة جزءا من الأرض السهلة الرى لزراعة المزروعات التى تحتاج الى مياه كثيرة كالحبوب والبقول والاعشاب الربيعية وجزءا من الارض المرتفعة لزراعة المزوعات التى لا تحتاج الى رى كثير كالزيتون والعنب واللوز وهناك نوع ثالث من المزارع يزرع على مياه الأمطار فقط

وقد وضع نظام خاص لتمليك الارض للمستثمرين بعد اتمام الاصلاح ببيعها لهم باقساط طويلة الاجل وخصم ٣٠ فى المائة تتحمله الحكومة عنهم . وتبلغ مصاريف الاصلاح للفدان الواحد نحو ٢٧ جنيها بما فى ذلك المبانى والمنشئات فيكون صافى ما يدفعه المستثمر عند التمليك بعد خصم الـ ٣٠ فى المائة الذى تتحمله عنه الحـكومة من مصاريف الاصلاح هو مبلغ ١٨ جنيها للفدان تقريبا

ولقد دلت التجارب على أن زراعة الاشجار هناك أصلح من زراعة النباتات العشبية والحبوب اذ هى أكثر احتمالا للجو الحار كما انها من الأسباب التى تدعو المزارع الى الاستقرار فى أرضه اذ يجد

عملا مستمرا طول السنة

وتختلف منطقة درنه وبنغازى عن طرابلس فهى جبلية وفى بعض جهاتها شجر الصنوبر الذى نراه عادة فى لبنان وهى تستثمر بالطريقة المتبعة فى طرابلس مع تنويع كيفية الحصول على المياه التى تنحدر من الجبال

وقد اجتزت المنطقتين بالسيارة ومعى الموظفون المختصون ، فمن طرابلس الى مصراتة وما بعدها قطعت نحو ٥٠٠ كيلو متر ومن بنغازى الى درنه وبالعكس عن طريق برقه قطعت نحو ٦٠٠ كيلو متر

وقد أسكن الايطاليون الاهالى الطرابلسيين فى تلك البلاد فى المنطقة الواقعة بين درنه وبرقه وبنوا لهم مدينتين فى وادى الاثرون ورأس هلال سميتا «الفجر» و «الزهراء» بين الجبل والساحل

وقد سررت بزيارة المدينتين المشار اليهما فقد أنشئتا على الطراز العربى وفى كل منهما مسجد وبجواره محكمة شرعية ومنزل للقاضى الشرعى وقهوة عربية محلاة بالقيشانى « وخان » للتجارة (قيسيرية)

وليست العبرة بسكان المدن . لان السكان الزراعيين متفرقون فى انحاء الاراضى وفى بيوت متفرقة ، واما المدن فيسكنها الاداريون والتجار واعضاء الجمعيات التعاونية وغيرها

ولقد عنى بتنظيم الخدمات العامة فى جميع المراكز حتى يجد المستثمرون الجدد ما يحتاجونه من المساعدات فى حياتهم الجديدة

ففى كل مركز توجد كنيسة ومدرسة وفى كل منها مكتب بريد وتلغراف وسوق وشركة تعاونية لبيع المواد الغذائية . وقد أعد فى القرى الكبيرة منزل لطبيب وعيادة وغرفة لمولدة .

وبكل قرية منزل للاستراحة ومضيفة تحتوى على مطعم وثلاث غرف أو اكثر للمسافرين .

وقد مهدت الطرق هناك وغرست أشجار النخيل على جانبيها لحافظت على جمالها العربى . أما نحن فى مصر العربية فقد بعدنا عن الطابع العربى سواء فى تشييد المبانى أو تزيين الطرق بالاشجار .

وأما النخيل فى ليبيا فقد حرص القوم هناك على استثماره ، فزينت به جوانب الطرق والشوارع والكورنيش والفسقيات والحدائق كما استخدمت جذوعه وسعفه فى أبنية المعرض .

أما عن الآثار فى ليبيا والحفريات الجارية فيها فان فيها مدنا رومانية قديمة يسهل العثور عليها وقد قضيت ساعات فى بلدة لبدة « لبتس ماجنا » ورأيت أعمدة رخامية ودروبا وبوابات كشفت عن آثار رومانية قديمة . ومازالت أعمال الحفر والتنقيب جارية فى ليبيا

ولمناسبة مارأيته فى ليبيـا من مبان وطرق فان من رأيى الاكثار من إنشاء الطرق الصحراوية والمبانى ، وهذه الطرق تخترق الصحراء الغربية والشرقية وليس نفعها مقصورا على التعمير وتسهيل حركة المواصلات وراحـة سكان الوحات والصحراء ، بل إن هـــذه الطرق يعتمد عليها فى النقل التجارى والحربى ، وإنى أقرر أن الطرق الحاليـة فى الصحراء الغربية والشرقية لاتفى بالغرض المشار اليه ، ونظرية ترك الصحراء كدفاع طبيعى لمقاومـــة جيش مهاجم أصبحت لاقيمة لها مع وجود الاسلحة الحديثـة كالطائرات والدبابات وغيرها ، وتعبيـد طرق المواصلات يجعل من الواحات المصرية مركزا دفاعيا هاما ويزيد فى سكانهـا كما يساعد أهليهـا على تصريف محصولاتهم الزراعية والصناعية

وأما الطرق فى الصحراء الشرقية فأن كل مديرية يجب أن تربط عاصمتها بالميناء المقابلة لها بالبحر الاحمر فـكما أن القاهرة متصلة بالسويس بطريق ممهدة فيلزم أن تربط بنى سويف بالزعفرانه بطريق تمر بدير الأنبا أنطونيوس . وتربط المنيا برأس غريب وأسيوط بالغردقة وسوهاج بسفاجة والاقصر بالقصير وأسوان برأس بناس .

تونس

سبق القول ان زيارتى لتونس لم تكن ضمن برنامجى عنـد ماتقرر سفرى الى طرابلس الغرب ممثلا للجمعية الزراعيـة الملـكية . غير أننى بعد ان انتهيت من مهمتى بطرابلس خطر لى أن أحقق أمنية طالما سعيت اليها وهى زيارة بلاد شمـال افريقيا . لذلك امتطيت طائرة الى تونس الخاضرة كما يطلق أهلها عليها . واذا كان القدماء قد أطلقوا على هذه البلاد الجميلة اسم تونس الخضراء فقد كان لهذا الاختيار أصدق وصف وأحسن صفة لهـذه البلاد التى كان من حسن حظى أن كانت زيارتى لها فى الربيع ، فبلاد تونس جميـلة ويزيدها جمالا سهولها المنبسطة ورياضها اليانعة وثمارها الطيبـة التى

نشاهد على طول الطريق بين تونس والجزائر فى طريق السكك الحديدية .

والثقافة التونسية تكاد تكون ثقافة مصرية عند الوطنيين ومزيجا من المصرية والفرنسية فى طبقات الموظفين وسكان تونس الحاضرة والمدن . ويرجع الفضل فى انتشار الثقافة المصرية فى بلاد تونس الى اقبالهم على المؤلفات المصرية . والتونسيون شغوفون بكل ماهو مصرى ، فالصحف المصرية متداولة هناك ، وكذلك المؤلفات العلمية والادبية والدينية ؛ هذا من ناحية ، ومن أخرى فان الفرق التمثيلية المصرية التى تزور هذه البلاد تؤدى رسالة هامة لمصر والثقافة المصرية و كذلك الراديو المصرى . وقد علمت أن محطة القاهرة تعادل موجتها محطة بروكسل عاصمة البلجيك ولذلك فكثيرا ما يسمع التونسيون ضمن الاذاعة المصرية اذاعة من محطة بروكسل ، ولهذا يجب على ولاة الامور فى وزارة المواصلات بمصر أن يعملوا على السعى للتفريق بين موجتى المحطتين . ولعل مندوب مصر فى مؤتمر السلكى واللاسلكى الذى عقد أخيرا فى سويسرا وفق فى اقناع المؤتمرين الى اعطاء مصر موجة قصيرة خاصة بها حتى لا تختلط اذاعة مصر بغيرها .

وقد حرصت بنوع خاص على ان ازور أسواق الصناعات المحلية لتونس والتى تقع فى المحيط المجاور لجامع الزيتونة . وقد راعنى ما شاهدت فى الصناعات التونسية من عناية ممتازة ، واذكر على سبيل المثال صناعة الجلود التى يتفنن التونسيون فى إبراز محاسن صناعتها . فتجد محافظ الجيب والاكياس وحقائب اليد للسيدات والاحزمة وغير ذلك مما يدخل فى دائرة صناعة الجلود مصنوعة بشكل يلفت الانظار وبعضه مطرز بالحرير أو السلك الفضى أو الذهبي او صناعة المخيش . كذلك صناعة الصياغة الفضية ؛ فقد أعجبنى ما يصنعه التونسيون من أنواع الخواتم والاقراط والاساور حتى أننى أحضرت معى مجموعة منها ومن الملابس الوطنية .

وزرت جامع الزيتونة وهو أشبه بجامع الازهر بمصر ، ولا عجب فى ذلك اذ المعروف والمتداول فى تونس بأن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى عند ما أسس القاهرة عام ٣٥٥ هـ . حضر لمصر من بلدة المهدية — وهى الان احدى مديريات القطر التونسى — وأسس جامع الازهر على نسق جامع الزيتونة كما يشاع . واذا كان الازهر اليوم اكبر جامعة اسلامية فى الشرق فان ذلك راجع الى ما تعهده به حكام مصر وملوكها من الاصلاحات والتوسع فى ذلك المعهد الاسلامى الكبير ، وهو

يسير على النظام القديم الذى كان فى الازهر قبل اليوم ، أى نظام الاروقة والحلقات ، فلكل مدرس حلقته وطلابه . وقد علمت أنهم بدأوا أخيرا فى اقتباس نظم الجامعة الازهرية . وفى ذلك مايؤكد انتشار الثقافة المصرية فى ذلك القطر الشقيق .

وكنت قبل زيارتى لتونس أنظر بدهشة واستغراب الى تعدد قطع الملابس التى يلبسها التونسيون الذين يفدون الى مصر فى موسم الحج ، غير أنى لما زرت هذه البلاد علمت السبب من برودة الجو ورطوبته .

فقد كنت رغم تدثرى بالملابس الثقيلة أشعر ببرودة الجو . وقد اعجبتنى الملابس التونسية فاشتريت لباسا تونسيا كاملا وهو مكون من صديرين وسروال وجبة وبرنس والطربوش المغربى المعروف .

أما المرأة التونسية فانها لاتزال محافظة على التقاليد والعادات الاسلامية فهى متحجبة الى الان .

ولما كنت حريصا على نقل بعض الصور الى مصر بواسطة السيما وخصوصاً صورة المرأة التونسية بحجابها الفريد فى نوعه ، كانت مهمتى شاقة لاعتراضهن على هذا التصوير . والمرأة التونسية مثقفة بثقافة تجمع بين العربية والفرنسية ، والطبقة الراقية منهن يلبسن الملابس الاوربية كالمصريات المثقفات مع فارق انهن يضعن غطاء يحجب أعلى الوجه الى ما تحت الانف والعينين ويسمى كما علمت «السفسارى»

أما الحجاب العادى بين طبقة الشعب فهو عبارة عن «البيشة» التى كانت مستعملة فى مصر قبل سنوات مع اختلاف الوانه ويمتاز بعضه بالتطريز على جوانبه بشكل يكسبه جمالا وبهاء ويطلق عليه اسم «العجار»

أما الصحف فى تونس فان حالها كمصر مع الفارق بين البلدين فان تعداد تونس حوالى مليونين بينما تعداد مصر الآن حوالى ١٦ مليونا . لذلك الصحف التونسية مع كثرة تعددها لا تزيد صفحات الجريدة فيها على ست صفحات

وكانت زيارتى للبلاد زيارة عاجلة لذلك ذهبت الى قصر باردو لمشاهدته ، فعلمت أن سمو الباى انتقل الى قصر حمام الانف . وانى لارجو أن اتمكن من زيارة هذه البلاد الجميلة فى فرصة أخرى

لمشاهدة آثارها الاسلامية والرومانية التى لم أتمكن من مشاهدتها لضيق الوقت . وتونس من البلاد التى يصح أن تكون مصيفا جميلا ، وارجو ان يلتفت اخوانى المصريون الى هذه البلاد وبلاد شمال افريقيا عموما ليزيدوا الروابط الودية بينها وبين مصر

والطريقة التى اراها لزيادة الرابطة هى التزاور بين الشعبين . كأن تقوم الهيئات الثقافية فى مصر بزيارة تونس وبلاد شمال أفريقيا والاتصال بهيئاتها هناك ودعوتهم لها لزيارة القطر المصرى

الجزائر

والجزائر بلاد جبلية بعكس تونس . وهى بجبالها وهضباتها ووديانها وجداولها أشبه ببلاد سويسرا ولما كانت زيارتى لمدينة الجزائر يوما واحدا فقد وجهت كل اهتمامى الى المعروضات الصناعية والزراعية فى معرض الجزائر الذى كان مقاما هناك . وقد أدركته فى اليوم الاخير له فشاهدت المعروضات وقد خصص لكل صناعة مكان فسيح خاص بها لامكان مقارنة جودة أنواعها . ومما لاحظته أن المعروضات ليست خاصة بالجزائر فقط ، فهناك معروضات فرنسية كثيرة . إذ المعروف أن الجزائر هى مقاطعة فرنسية بينما تونس تحت الحماية وبين البلدين اجراءات جمركية كما بين فرنسا والمانيا . وعند اجتياز الحدود بين البلدين يقدم الزائر ساعته لان وقت تونس يتقدم ساعة زمانية عن وقت الجزائر

ومما يحلو لى ذكره اننى بعد أن قطعت المسافة من تونس الى الجزائر وقد استغرقت حوالى ٢٢ ساعة بالقطار حدث عند بلدة الربيعة وهى تبعد عن الجزائر بحوالى ٤٠ كيلو مترا أن تعطلت مواصلات السكة الحديدية من جراء تساقط السيل فنقلنا الى الجزائر بالسيارات الكبيرة (أوتوبيس) والطرق فى هذه البلاد سواء فى تونس أو الجزائر طرق سهلة معتنى بها وان كانت زيارتى لتونس من طرابلس ذهابا وإيابا بالطائرة

وستقيم الجمعية الزراعية الملكية المعرض الزراعى الصناعى عام ١٩٤١ وهو معرض محلى خاص بالصناعات المصرية فقط . على أنه من المنتظر عند اقامة حفلات العيد الالفى للجامع الازهر وذكرى تأسيس القاهرة المزمع اقامتها سنة ١٩٤٣ أن تقوم الحكومة المصرية بتوجيه الدعوة الى الأمم

الشرقية للاشتراك فى معرض صناعى زراعى يقام فى الوقت نفسه بمدينة القاهرة وأرجو أن تشترك فيه بلاد شمال افريقيا بنصيب وافر خصوصا وان هذه البلاد ، تشترك معنا فى هذه الذكرى السعيدة ، لان دولة الفاطميين التى اسسها (المعز لدين الله الفاطمى) كانت قبل أن تنتقل الى القاهرة فى تونس كما هو معلوم للجميع

وقد أثار اعجابى الاتفاق التام سواء فى تونس أو الجزائر بل ومراكش أيضا التى أرجو أن أزورها قريبا — على الاحتفاظ بتشييد المبانى على الطراز العربى والاندلسى ، وذلك بعكس ما هو مشاهد فى مصر من تعدد طراز المبانى بين عربى وفرعونى وروماني وغيرها مما أفقدها الطابع المصرى مع الاسف العميق

وانى أتقدم بشديد أسفى وعظيم عذرى للاخوان الذين لم أتمكن من مقابلتهم وأنا فى ديارهم لقصر زيارتى ، وانى لأرجو الله أن أتمكن فى القريب العاجل من تأدية هذا الواجب لاخوانى من أهالى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش

* * *

١ — يجب علينا فى مصر زيادة المضى والاهتمام بتعبيد الطرق فى كل مكان وربط وادى النيل بواحاته الغربية وصحرائه الشرقية والبحر الاحمر بحيث تكون صالحة للنقل التجارى والحربى . فضلا عما يتبع ذلك بطبيعة الحال من تعمير الصحراء ورفع مستوى أهلها الاقتصادى والاجتماعى

٢ — لقد نجح جيراننا فى الوصول الى المياه الاستوائية فعمروا الصحراء وزرعوها وليس هناك ما يحول دون ذلك عندنا ، فيمكن الوصول لنفس تلك المنطقة المائية على بعد كيلو من سطح الارض فى أنحاء كثيرة من صحارينا . وتعهدت الحكومة المصرية على ما أعلم الى شركة لاين الاميركية بحفر خمس آبار تتكلف كل واحدة منها خمسين الفا من الجنيهات اذا نجحت وتضم الشركة مجموعة من المهندسين الاختصاصيين فى الاعمال الخاصة بالماء والارض والجيولوجيا والرسم

٣ — ينبغى علينا أن نبدأ بطريقة عملية لربط اخواننا الطرابلسيين والتونسيين والجزائريين والمراكشيين برباط الصداقة والالفة برغم كل الحواجز والصعوبات السياسية القائمة — مع انتهاز الفرص المناسبة — كما كانت الحال مع اخواننا فى السودان نتيجة لزيارة البعثة المصرية التى زارته

سنة ١٩٣٥ — وما أشبه اليوم بأمس . على أن ظروف الاحوال ليست واحدة بالطبع ويلزمها التكييف الذى يتفق وطبيعة الأشياء

وانى لا أتردد فى المناداة بايفاد بعثة مصرية هـذه الارجاء جميعاً . ولتكن هذه المرة بعثة ثقافية مكونة من شخصيات معروفة ومحبوبة فى العالم العربى من النوع الظريف وفى يقينى أن هـذه البعثة ستمهد السبيل لبعثات اقتصاديه وتجارية ينجم عنها كل الخير للجميع

٤ — تقوية نقط الدفاع — هنا أعترف بانى دخيل على الكلام فى هذا الموضوع — واستسمح وزارة الدفاع الوطنى بان أذكر اننا ونحن نعمل لربط الامم العربية والشرقيـة بشتى وسائل الصداقة والتحاب أن أقوم بواجبى بصفتى مصريا قبل كل شىء — أن أذكر ما يستنتجه المنطق بجانب تقوية الروابط الاقتصادية والثقافية فى الجنوب والغرب والشرق وتسهيل الاتصال بها بان أرجو الاكثار من تقوية النقط الدفاعية التى هى أدرى بها خصوصا فى القصير و كسلا وسيوه والسلوم وتسهيل سبل المواصلات بينها و بين وادى النيل مـع شعورى بالاستعداد الجبار الذى تم للآن والذى يتزايد يوما عن يوم ، ولا ننسى أبدا ما كان فى مدة المغفور له محمد على باشا رأس العائلة المالـكة من قوة جيش مصر وأعماله وأسطولها الذى كان يعد ثالث أسطول فى العالم ولما يمض على ذلك نيف ومائة عام

الاسرة المصرية من ناحية الاخلاق

من مقـال للانسة اسماء فهمى

إن نظرة سطحية لحالة الاسرة المصرية لتبين لنا قصورها الشديد عن تأدية وظيفتها فى نواحى التربية عموما وفى ميدان الاخلاق بصفة خاصة . ولا عجب فالاسرة المصرية تنقصها أهم المؤهلات التى تعدها للقيام بعملية هى باعتراف الجميع أدق العمليات. فمن الضرورى إذن أن نبدأ بذكر الوسائل التى يؤدى توافرها الى اصلاح حالة الاسرة حتى تتمكن من أداء وظيفتها على الوجه الاكمل ، وبعد ذلك نتصدى لذكر ما يمكن أن تقوم به الاسرة بالذات فى سبيل تكوين الاخلاق .

وأولى هذه الوسائل التى قدرت الامم الغربية أهميتها مسألة العناية بالوراثة ، فالوراثة لها أكبر الاثر فى قوة الشخص الجسمية والعقلية والخلقية ، فالضعف الجسمى وبعض الامراض قد يتوارثها الابناء عن أسلافهم ، كما أن الضعف العقلى الذى له ارتباط مباشر بتكوين الاخلاق صفة يتوارثها النشء فى أغلب الحالات . وسنقصر بحثنا على وراثة الضعف العقلى لصلته الوثيقة بالموضوع الذى نعالجه فقد دلت الابحاث الحديثة على أن كثيرا من الامراض الخلقية كالاجرام ترجع الى ضعف عقلى يكون فى حالات كثيرة وراثيا .فقد تتبع أحد العلماء المشهورين فى امريكا تاريخ حياة سلالة رجل يعرف باسم كاليكاك زهاء قرن وربع قرن تقريبا ، وأسفرت هذه الدراسة الطويلة عن إثبات وراثة الضعف العقلى الذى ينجم عنه كثيرا من الامراض الخلقيه .

كاليكاك هو اسم مستعار لجندى أمريكى عاش فى القرن الثامن عشر واشترك فى حرب الاستقلال الامريكية . اتصل هذا الرجل بامرأة ضعيفة العقل فولدت له ابناً تزوج وكان له ذرية كبيرة . ولما عمل استقصاء دقيق لحالة ذراريه تبين أن من بين ٤٨٠ شخصاً من سلالة هذا الرجل ١٤٣ فردا ضعاف العقول و٤٦ فقط متوسطى الذكاء و٣٦ فردا أبناء سفاح و٣٣ منحطين من الناحية الجنسية و٢٤ سكيرا و٣ مصابين بالصرع و٣ من المجرمين و٨ أصحاب منازل للدعارة و٨٣ طفلا ماتوا جميعاً فى سن مبكرة نظرا لضعفهم العام .

ولما تبين من خطورة الوراثة وأثرها فى أخلاق المجتمع وفى مقدار إنتاجه العقلى انتشرت الان فى أوربا دعوة واسعة النطاق تنصح بوجوب تعقيم ضعاف العقول المعتوهين حتى لا يتناسلوا — وهم معروفون بكثرة التناسل — فيتكاثر فى الامة هذا العنصر الذى يعتبر بحق جرثومة ضعف وانحطاط وقد قطعت ألمانيا شوطاً بعيدا فى هذا المضمار محافظة صحة الامة وأخلاقها . وما أحرى مصر التى أصبحت تشكو وتخشى ازدياد عدد السكان الذين يتكاثرون بنسبة تزيد كثيرا على نسبة ازدياد ثروة البلاد أن تتبع سياسة تحديد النسل فتبدأ بتعقيم من يثبت ضعفهم العقلى

أما ثانية وسائل العلاج فهى تطهير الاسرة من الجهل الذى يقف حجر عثرة فى جميع ميادين الاصلاح فهو يضيق أفق الحياة والتفكير ويحرم أصحابه من الانتفاع بخبرة الغير وتجاربهم كما يجعلهم يعيشون على هامش الحياة لا يقدرون المسئوليات الاجتماعية ولا يساهمون مساهمة جدية فى رقى الامة وان نظرة بسيطة الى حالة الاسرة الفقيرة الجاهلة فى بلادنا من حيث انحطاط طرق المعيشة التى لا تتوافر فيها أول وأبسط مظاهر النظافة ، ومن حيث الطريقة التى تعالج بها الاطفال سواء من الناحية الجسمية أو العقلية أو الخلقية ، لتكفينا ضرورة الاسهاب فى بيان النقائص التى يكون مصدرها الجهل

ومن طرق علاج انحطاط الاسرة المصرية أيضا تحسين طرق الزواج وتنظيم الطلاق والقضاء على تعدد الزوجات . فالخاطبة عندنا مازالت تلعب دوراً هاما على مسرح الحياة الزوجية . والزواج الذى يتم بهذه الطريقة إذا وفق مرة فقد يخفق مرات ، وكيف ننتظر أن يوفق زواج يبنى على مجرد وصف المحاسن الجسمية والمغريات المادية التى ربما لا يكون لها وجود إلا فى مخيلة الخاطبة . وهكذا يرى الظمآن السراب فيحسبه ماء ! والواقع انه يصعب أن يوجد التفاهم الروحى والانسجام اللذان هما عماد نظام الاسرة بين زوجين يتم زواجهما على غير سابق اتصال أومعرفة ، ومثل هذا الزواج هو لاشك أخطر أنواع المجازفة بسعادة الاسرة المستقبلة . ثم ان انحطاط مستوى الفتاة الثقافى عن مستوى الرجل ، يزيد فى صعوبة الاندماج بين النفسين . وبدون الانسجام الروحى بين الزوجين يفقد المنزل المصرى قوته المعنوية وينتابه الانشقاق والاضطراب ، فلا يجد الاطفال من الطمأنينة مايساعد على تنشئتهم نشأة قوية قويمة يتوافر فيها عنصر الثقة بالغير والثقة بالنفس وبالمستقبل مما لا يحدث فى الغالب إلا فى جو يتوافر فيه التفاهم والثقة بين الزوجين .

كذلك يزيد فى اضطراب الحياة الزوجية سهولة الطلاق وامكان تعدد الزوجات بسبب وبدون سبب . وما من شك فى أن سهولة الطلاق تجعل كيان الاسرة معرضاً للانهيار فى أى وقت من الاوقات مما يجعل الزوجة تعيش فى قلق وعدم اطمئنان للمستقبل . كما أن إمكان تعدد الزوجات يملأ نفس المرأة بالمخاوف والشكوك . واذا وقع المقدور كان من نتائجه فى حالات كثيرة حدوث التنافر والحقد بين الاخوة غير الاشقاء . ومما يستحق الذكر فى هذا المقام نتيجة ما وصل اليه الاستاذ بورت العالم النفسى الانجليزى من الابحاث فى ميدان جرائم الاحداث . فقد بين أن شذوذ الاطفال الخلقى يرجع فى حالات كثيرة الى سوء حالة الاسرة المعنوية واضطراب العلاقات بين الزوجين كما قد يؤدى إلى انفصالهما وزواج الاب بامرأة غير أم أولاده فيترتب على ذلك فقد الاطفال للعطف والعناية مما قد يؤدى بهم الى التشرد وارتكاب الجرائم .

وبجانب ماذكر من حاجة الاسرة الى نشر التعليم والعناية بأمر الوراثة وتنظيم العلاقات الزوجية يجب العناية كل العناية بحالة الاسرة من الناحية الاقتصادية ، فالاسرة المصرية فى أغلب الحالات تعانى من الفقر وكثرة العيال ما لا تعانيه أسرة أخرى فى العالم المتمدين

فالاحصاءات الاخيرة تبين أن متوسط دخل حوالى أربعة ملايين شخص قد يعول الفرد منهم خمسة من الاطفال لايزيد عن ١٢ جنيهاً فى العام ، كما يعيش ٥ ملايين ونصف مليون بما لايزيد عن ٣ جنيهات شهريا . وقد يقل هذا الدخل الضئيل نظراً لتزايد عدد السكان بنسبة هى أعلى بكثير من زيادة مرافق الثروة فى البلاد . ولولا كثرة عدد الوفيات بين الاطفال ، التى تبلغ ١٦١ فى الألف فى الاطفال الذين تقل سنهم عن السنتين لازدادت الحالة سوءا . أما العلاقة بين الاخلاق وتنظيم الحالة الاقتصادية للأسرة فلا تحتاج إلى إسهاب فى الشرح ، فيكفى أن نقول إنه من الصعب أن نبث مبادئ الاخلاق السامية بين أناس يكدون طول اليوم وقد لايحصلون على مايكفى لسد الرمق أليس المعقول فى هذه الحالة أن يكون هؤلاء الناس أقرب إلى الغش والاحتيال ، والقسوة بسبب ماهم فيه من العوز والتبرم بالحياة . ثم ألا تؤثر فى تكوينهم النفسى مظاهر القبح المادى الناجمة عن الفاقة الشديدة والجهل كالقذارة وخلو بيئتهم من أقل مظاهر الجمال الذى له أثر كبير فى تهذيب النفس والعاطفة ؟

أخبار اجتماعية

الكتب

تجارة الكتب هى أسوأ التجـارات فى مصر . اذ قل أن يربح مؤلف من كتاب ينفق عليه المال والوقت ويعصر فيه الذهن . ولكن لكل قاعدة شذوذا . فقد روى لنا صديق أن أحد الاساتذة هذا العام الف كتابا ووزعه على طلبته فى احدى الكليات بالجامعة بحساب جنيه لكل نسخة . ثم اقتضى النظام أن يبدل هذا الاستاذ بآخر لتدريس هذه المادة . فوزع عليهم هذا الآخر كتابا آخر بجنيه لكل نسخة . والطلبة المساكين مضطرون الى شراء هـذه النسخ لأن المؤلف هو نفسه الاستاذ المدرس والممتحن .

وهناك طلبة يعجزون عن تأدية المصروفات المطلوبة للجامعة ولكن هـذا العجز لا يرحمهم امام الأستاذ الذى يريد أن يستغلهم لكى يشترى هو فى النهاية عزبة

للسـلام

لا يجد القارىء هـذه الايام كلمة للخير فى الصحف الاوربية عن علاقات الدول . فان ألفـاظ السخط تحفل بها المقالات والاخبار فى صحف الامم الديمقراطية عن الفاشيين والنازيين . وتحفل بها صحف هؤلاء عن الامم الديمقراطية . وهذا كله شر . والحرب أولها كلام

ولكن فى لندن مجلة أسبوعية تدعى سبكتاتور خالفت هذه القاعدة وأعلنت أنهـا ستكتب فى الاسابيع القادمة مقالات تبين فيها مآثر المانيا فى الحضارة تحت عنوان جامع هو « تراث ألمانيا » وسيكتب المقال الاول اللورد ستيل ويتناول فيه تقدير المانيا وخدمتها للثقـافة والحضارة . والمقال الثانى سيكتبه المستر سا كفيل وست عن دين العالم لالمانيا فى الآداب والموسيقا . وسيكتب المقـال

الثالث الدكتور سنجر عن فضل الالمان فى تقدم الطب والعلوم . أما المقال الرابع فسيكتبه الاستاذ يوزج عن خدمة الالمان للفلسفة

وهذا روح جميل يدل على أنه لايزال للانسانية وزنها حتى فى هذه الايام التعسة

الحشيش

لم تفش عادة الافيون فى أوربا وأمريكا . ولكن الخلاصة المستخرجة منه — المورفين — فشت فى بعض الاوساط ثم كوفحت بنجاح . على أن الولايات المتحدة الامريكية تشكو الآن تفشى الحشيش وقد سنت الحكومة الامريكية قانوناً صارماً سواء فى الغرامة أم الحبس ولكنه يهرب اليها من مكسيكا كما أن بعض المزارعين يزرعونه . والاسم العلمى له هو «القنب الهندى» وهو يشبه القنب الذى نزرعه حول حقول القطن عندنا ونصنع منه الحبال ونسميه «التيل»

والغريب أن الانسان نجح فى الاهتداء الى عقاقير تفسد الذهن وتخدره مثل الافيون والحشيش والكوكئين والهيروئين ولكنه لم ينجح فى الاهتداء الى عقاقير تقوم الذهن وتنبهه . حتى الشاى والقهوة لايمكن أن نقول انهما تعادلان من ناحية التنبيه ما تقوم به المخدرات من ناحية التخدير

كيف يعامل المسيحيون المسلمين

كتب مندوب البلاغ فى يوغوسلافيا يصف أحوال المسلمين فى بوسنه وهرسك يقول :

ولمسلمى البوسنه والهرسك شهرة خاصة بالتدين ، وخاصة فى القرى حيث يهتمون بالتعليم الدينى ويرونه فرضا على كل مسلم . فلا توجد قرية من قرى البوسنه ولو كانت فى شاهق الجبل الا فيها مدرسة ابتدائية . دينية ، وتسمى « مكتب » ومعلم دينى ومسجد يصلى فيه المسلمون الصلوات الخمس . ولا يوجد فى البوسنه والهرسك مسلم الا وهو يتلو القرآن وان لم يفهمه ، والتعليم الدينى الابتدائى منظم بقانون أو نظام خاص مدته عامان ويسير وفق برنامج خاص ، والكتب الرسمية موضوعة باللغة اليوغوسلافية

ويتعلم الطفل فى السنة الاولى مايلزمه من مبادىء الأخلاق والآداب وشروط الايمان والاسلام

والكتابة باللغة العربية ويتم القرآن فى السنة الثانية وما يتعلق بالعبادات مفصلا . ثم ينتقل الى مدرسة ابتدائية حكومية ، والتعليم فيها اجبارى للذكور والاناث من السنة السابعة الى التاسعة ، ويتعلم آداب اللغة العربية والحساب والجغرافيا والتاريخ والديانة التى يخصص لها حصتان فى الأسبوع . وعلى كل مدرسة من هذه المدارس أن تعين معلما مسلما للديانة إذا كان بين تلاميذها ، ولد واحد من أولاد المسلمين وتدرس الديانة فى هذه المدارس أيضا وفق برنامج ونظام خاصين وكتب رسمية ، وتعليم الديانة اجبارى فى المدارس الثانوية الحكومية بأقسامها ، وفى كل مدرسة مدرس اجبارى . وتوجد مدارس ثانوية دينية فى البوسنه والهرسك لتعليم الديانة الاسلامية ، ويتخرج منها المعلمون والمشايخ

وفى سراجيفو مدرسة للاوقاف ، لا دخل للحكومة فيها ، وتسمى مدرسة جاظى خوسرو بك وقد أسست منذ ثمانى سنوات ولها ستة أقسام أولية ، فى ست مدن ، وقسم ثانوى — يلتحق به المبرزون من تلامذة أقسام السنة الاولى ويلحق بكل قسم أولى سنتان لدراسة اللغة العربية والديانة الاسلامية . ويوظف متخرجوها فى المكاتب والمدارس الاولية الحكومية ، وأئمة للمساجد ويوظف خريجو القسم العالى أئمة رسميين ، كما يلتحقون بكلية الشريعة الاسلامية فى سراجيفو وهى تحت ادارة الهيئة الاسلامية . وتنفق عليها الحكومة ويعين خريجوها فى وظائف القضاء الشرعى ووظائف التدريس بالمدارس الدينية وكذلك فى المدارس الثانوية الحكومية . والى جانب هذه المدارس تقوم فى ثمانى قصبات يوغوسلافية ، مدارس دينية غير منظمة ، يتخرج منها أئمة القرى . وفى سراجيفو مدرسة ثانوية حكومية كسائر المدارس للمسلمين فقط ولخريجها الحق فى دخول كليات الحقوق والطب والهندسة وغيرها

الصحة والتعليم فى بريطانيا

حدث انقلاب عظيم فى نظام التربية فى بريطانيا العظمى فى مدى ربع القرن الماضى . فان المدرسة الابتدائية التى كانت لاتعدو أن تكون مكانا يحصل فيه أبناء السواد فى الامة على المعارف الاولية بدون أى نظر لكفاءاتهم أو ميولهم الشخصية قد أصبحت الآن أقرب الاشياء الى بيت ثان لهم يجدون فيه حاجاتهم

ولم تعد الطرق التعليمية مقصورة على الاعادة الببغاوية لما يلقيه المعلم على تلاميـــذه . وقد الغى الاستظهار من الـكتب وبدلا من أن يؤدى التلميذ واجبات معينة فى كراسته يستمتع معظم الصبيان الآن بالتعليم العملى فى احدى المواد بل أكثر من مادة كما ان سائر المواد لاتهمل

وأعظم مايلفت النظر فى النظام التعليمى الحديث هو الخدمات الاجتماعية . فان الخدمة الصحية يقصد منها الى العناية بصحة الصبيان ورياضتهم وغذائهم وراحتهم العامة فى المدرسة . والتلميذ يعرف الآن قواعد العيش الصحى وكيف يستعمل عقله وجسمه الاستعمال الحسن ويفهم حاجته الى استخدام مواهبه الجسمية والعقلية لـكى ينشأ انسانا متزنا

وهـذا التبدل فى التعليم — نظراً وعملا — قد تم بسرعة وفى غير اعلان ولـكن الحقائق تذاع كل عام فى تقارير تنشرها وزارة التعليم . والرأى السائد ان التقارير الرسمية هى تسجيل جامد للحوادث تشرحه احصاءات اجمد واقل اغراء للقارىء . ولـكن هـذا التقرير هو نوع جديد وهو لذلك يستحق التفات الجمهور وعنايته .. ففى هـذا العام يصف التقرير تقدماً عاماً فى جميع الخطوط فالى آخر سنة ١٩٣٨ كانت هناك ٣١٤ هيئة تعليمية قد هيأت ٢٣٠٠ مستوصف للاطفال بهـا ٢٢٨ طبيب . كما انهـا هيأت التجهيزات اللازمة للتفتيش على ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل والمرجح الآن ان نحو ٩٠ فى المئة من صبيان المدارس البريطانية يجدون العناية بتقويم أبدانهم ومعالجة التشوهات

ومن التطورات الحديثة فى المدارس البريطانية تنظيم التغذية وتزويد اللبن للاطفال فان من بين الهيئات التعليمية التى ذكرتا وهى ٣٠٤ هيئة قدمت ٢٦٨ منهن الطعام بالمجان للاطفال فى السنة الماضية وقد شرب الاطفال ٩٧ مليون زجاجـة من اللبن وهـذا اللبن الذى يوزع بالمجان تشتريه الهيئات المحليه بربع الثمن الذى يباع به فى السوق . وتقوم الوزارة الآن بمعاينات وسيشجع المعلمون والآباء على المطالبة بالوجبات المجانية كلما دعت الظروف الى ذلك

تقاليد

كنا نقرأ مقالا عن الهند لاحد الكتاب الانجليز . وهو يصف مصاعب الفلاحين الهندوكيين التى جلبتها عليهم تقاليدهم الدينية والتاريخية . ونحن نذكر بعضها هنا :

١ — معظم الوقت الذى تقضيه ربة البيت اى زوجة الفلاح يضيع فى غسل اوانى النحاس. لأن هذا الغسل هو تطهير دينى. ولان الغسل يتكرر وتضطر المرأة أن تشترى جميع الاوانى من النحاس حتى لا تتكسر. والنحاس غالى الثمن ثقيل الحمل

٢ — كرامة الفلاحين معلقة بما ينفقون على الزواج وعلى اعياد مختلفة. ومن هنا خرابهم وديونهم

٣ — يقع الفلاحون فريسة للمرابين والمرابى فى الهند بلطجى يعمد الى الصعاليك فيستخدمهم لضرب المدينين اذا لم يؤدوا ما عليهم. وقد يبلغ الربا مئة فى المئة

٤ — البقرة عند الهندوكيين عبء فى أغلب الاحيان لأنها لا تذبح أن هى مقدسة وهى تأكل حتى تموت

٥ — يتزوج الفلاحون فى سن مبكرة ويتكاثر النسل بلا ضابط. والعيال أرضة المال. ولذلك يجوع الجميع

قاضية

فى انجلترا قاضيات يدمغن أحكامهن بالرقة واللطف وهما من سمات الجنس اللطيف. فقد كانت المسز سميلى تنظر فى دعوى نفقة متأخرة للزوجة ووقفت الزوجة ومعها ابنتها وهى دون الثلاث السنوات فلما ظهر الزوج رأته الطفلة التى صاحت « بابا. بابا » ثم تملصت من أمها وجرت اليه. فما وسع الزوج إلا أن حملها وقبلها ورأت القاضية المسز سميلى هذا المنظر فقالت للأم

— ان الطفلة متعلقة بأبيها

فصدقت الام على قولها وصرحت بان اباها يحبها. فقالت القاضية: فلم لا تعودان الى الالفة من أجل هذه الصغيرة؟

فقالت الام انها لا تمانع. واجاب الاب بمثل هذا الجواب. وبدلا من أن تحكم القاضية بالنفقة دعت للزوجين بالوفاق وباركت عليهما فانصرفا شاكرين

للقراءة

فى تركيا جمعية شعبية تسمى « جمعية تنظيم البيوت » ومما قامت به اخيرا هذه الجمعية انها

اخذت تزود القهوات العامة بخزانات الكتب . فقد وجدت ان كف الناس عن غشيان القهوة بعيد التحقيق ان لم يكن مستحيلا فعمدت الى جمع الكتب التى يلتذ الجمهور قراءتها وصارت تزود كل قهوة بخزانة تحوى مائتين أو ثلاثمئة كتاب . فاذا وجد احد الجمهور فراغا استطاع ان يأخذ كتابا ويقرأ فيه

وهذا جهد صادق لتنوير الشعب وتعويده القراءة بدلا من «قتل» الوقت فى التدخين أو النرد

المرأة

لا يعرف مقدار التقدم الذى احرزته المرأة المصرية غير اولئك الذين كانوا يعرفون حالها قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة ففى تلك السنين اسست مجالس المديريات بعض المدارس الابتدائية للبنات فى الصعيد ثم عادت فاقفلتها لان الاباء رفضوا ارسال بناتهم اليها تعيرا من سفورهن وتعليمهن

والان لنا طالبات يبلغن المئات فى كليات العلوم والاداب والحقوق والطب ولنا مدارس ابتدائية وثانوية للبنات تديرها ناظرات وتدرس فيها المعلمات باستثناء تعليم اللغة العربية

ولكن كليات الهندسة والزراعة والطب البيطرى ترفض قبول الطالبات فيها بلا سبب واضح . فان المرأة تصلح للتعلم فى هذه الكليات كما تصلح للتعلم فى سائر كليات الجامعة . والاقتصاديات الزراعية تليق لها المرأة أو على الاقل تليق لبعض فروعها (مثل تربية الدجاج) اكثر مما يليق الرجل

موت هنىء

الموت الهنىء هو وصف المشروع الذى سيقدم قريبا للبرلمان الانجليزى بشأن أجازة الطبيب قتل المريض اذا يئس من علاجه فطلب هو أو اقرباؤه قتله لكى يتخلص من عذاب لا يرجى زواله إلا بالموت

وقد اجرى استفتاء ابتدائى عن هذا الموضوع بين عدد كبير من السكان فكان الموافقون ٦٢ (فى المئة) والمعارضون ٢٢ والمترددون ١٦ . وهذا يدل على ان المشروع سيصير قانونا ولن

يجد مقاومة كبيرة من الاعضاء . وقد مضت سنوات والمجلات والجرائد تبحث هـذا الموضوع . وكان لـكل فريق حججه فى تزكية رأيه ولـكن التيار هذه الايام يتجه نحو التأييد . وهناك امراض تستعصى ثم ياح عذابها على المريض فى اطوارها الاخيرة — كما يحدث فى السرطان — بحيث يضطر الى التضرع فى طلب المخدرات حتى يغيب عن وجدانه

مسز بربارة

حدث فى الاجتماع الاخير لمؤتمر حزب العمال فى بريطانيا ان انتخبت المسز بربارة جولد رئيسة للمجلس التنفيذى لهذا الحزب . فاذا قدر للحزب ان ينتصر فى الانتخابات القريبة القادمة فان هـذه السيدة ستكون وزيرة بل ربما رئيسة وزراء . لان المجلس التنفيذى يؤلف من الاعضاء البارزين فى الحزب . ورئيسة هذا المجلس هى بالطبع ابرز اعضائه

ولما كان حزب العمال متوليـا الوزارة — قبل الوزارة القومية — كان احد وزرائه آنسة هى الآنسة بونفيلد

واعظم امرأة تشتغل بشؤون العمال فى انجلترا هى المسز سدنى وب . وهى اشتراكيـة لها من المؤلفـات الضخمة فى حركة الرقى الديمقراطى مايدرس فى الجامعات الآن ويعتمد عليه فى تاريخ حركات العمال

أخبار اقتصادية

الزراعة في ألمانيا

قل أن تذكر المانيا هذه الايام إلا من حيث قوتها الحربية . ولكن للالمان ضروبا أخرى من النشاط الذى يجب أن يسترعى التفاتنا . وأعظم هذا النشاط الذى يجب أن نلتفت اليه هو الزراعة فان القراء يذكرون الكارثة المالية الالمانية التى انتهت سنة ١٩٢٤ بسقوط المارك الالمانى الى الصفر فان هذه الكارثة كانت كلها بركة ونعيما للمزارعين الالمان الذين سددوا ديونهم الى آخر مليم وكانوا ينعمون بالاثمان الفاحشة لجميع محصولاتهم

ولكن لما ظهر النقد الجديد سنة ١٩٢٥ تقلص الرخاء الزراعى واحتاج المزارعون الالمان الى الاقتراض وعاونتهم الحكومة على ذلك، حتى بلغت ديونهم سنة ١٩٢٨ أربعة آلاف مليون مارك . فلما جاءت الازمة وكسدت المحصولات الزراعية وانخفضت اثمانها سنة ١٩٣٠ سارعت الحكومة الالمانية الى حماية مزارعيها بفرض المكوس الجمركية العالية على الحبوب الاجنبية . وأجبرت المطاحن على استعمال ٩٧ فى المئة من القمح الالمانى ومنعت استعمال حشيشة الدينار الاجنبية فى صنع البيرة وأجبرت أصحاب الاتومبيلات على خلط البنزين بالكئول المستخرج من البطاطس المزروعة فى المانيا وخفضت أسعار الفائدة على القروض الزراعية . وجاء النازيون سنة ١٩٣٣ فكان من الأسس الوطنية والاقتصادية بل الاجتماعية ايضا أن يكبروا من شأن الارض والزراعة ويؤمنوا الفلاح ويحببوا اليه العيش فى الريف . فكان مما قاموا به :

١ — ان منعوا تجزئة العقار بالميراث اذا كان لايزيد على ٣٠٠ فدان . ومنع البيع والرهن ايضا

٢ — زيدت اثمان المحصولات الزراعية زيادة كبيرة . واستعملت لذلك وسائل مختلفة . منها الاقتصاد فى الوسطاء حتى تصل ثمرة الريف الى المستهلك باقل ثمن اى بما يقرب من الثمن الذى

حصل عليه المنتج نفسه . واسست مكاتب للاحتكار تقرر مايجب استيراده من المحصولات الزراعية وما يجب منعه ومقدار ما يستورد . وهذه المكاتب تقف اول فاول على حال المحصولات المحلية وتبنى عليها قراراتها وتصرف الرخص الى المستوردين . وبذلك احتفظت المحصولات الالمانية بأثمانها وزيدت المكوس الجمركية على جميع المحصولات الزراعية الاجنبية التى يخشى منها من أى مزاحمة للفلاح الالمانى . ومنحت الحكومة المزارعين اعانات لغرس اشجار الفواكه والالياف والزيوت . بل هى منحت الاعانات للمالكين الذين يحبون الاستبدال بارضهم المبعثرة قطعة واحدة

وفى سنة ١٩٣٦ أصدرت الحكومة الالمانية مشروع السنوات الاربع لزيادة المحصولات الزراعية وقضى هذا البرنامج بخفض ثمن الاسمدة الكيماوية بمقدار الثلث أو الربع . وصارت الحكومة تشجع المزارعين على بناء المساكن الجديدة أو شراء الآلات الزراعيه الحديثة أو اصلاح الارض البائرة بعقد قروض بفوائد منخفضة

وأغرب من هذا أن الحكومة الالمانية فى سنة ١٩٣٨ مبالغة منها فى اغراء الجمهور بالاشتغال بالزراعة أعفت المزارعين من قروضهم إذا تزوجوا واستمر أحد الزوجين مشتغلا بالزراعة مدى عشر سنوات بل أمرت بمنحهم قروضا أخرى لايتجاوز مقدارها ٤٠٠ مارك للانفاق على المنزل اذا ثبت أن أحد الزوجين قد أشتغل خمس سنوات متواليه بالزراعة قبل زواجه و ٨٠٠ مارك إذا ثبت ان الزوجين قد اشتغل كلاهما هذه المدة قبل الزواج

والمانيا بهذه المساعدات الكبيرة للزراعة الالمانية تقصد الى غايات مختلفة منها اغراء السكان بالريف حتى لا يزدحموا فى المدن ومنها دعم خطة الاستكفاء الاقتصادى حتى لاتحتاج المانيا الى استيراد طعامها من الاقطار الاجنبية . ومنها ترقية الريف حتى يعيش مستقلا الى جنب الحضارة الصناعية التى تقوم بها المدن

الريون

القطن والصوف والحرير والكتان فى انخفاض . أما الريون ففى صعود

هذا هو ما يستنتج من الارقام عن السنة الماضية وهنا بنبرة هذه الارقام التى توضح ما استهلك بالرطل الانجليزى فى سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٣٨

	١٩٣٧	١٩٣٨
القطن	٣ر٦٥٧	٣ر٩٠٤
الصوف	٣٥٣	٢٨٤
الحرير	٥٣ر٦٠٠	٥١ر٨٠٠
الريون	٣٠٧ر٩٠٠	٣٢٧ر١٠٠

وجميع هذه الارقام بالمليون ما عدا الريون والحرير فانهما بالالف . أما الكتان فقد نقص الاستهلاك فيه من ٣٥،٠٠٠،٠٠٠ سنة ١٩٣٧ الى ٢٠،٧٠٠،٠٠٠ سنة ١٩٣٨

فهل لا يزال هناك من يشك فى انتصار الخشب المطبوخ على جميع الاقمشة القديمة

روسيـــــا

ذكرت الصحف أن روسيا تريد استئناف التجـارة مع مصر بعد قطعها عشرين عاما ولكنها لا تريد أن تستورد القطن لان عندها منه كفايتها . وهى تزرعه الآن فى أرضها . بل هى تصدر منه والذى يحمل هذه الخسارة أى خسارة مقاطعة روسيا هو الفلاح المصرى الذى مضى علينا نحو عشر سنوات ونحن نعالج ديونه . ولم يكن فى حاجة الى هذه المعالجة لو أن سوق القطن فى روسيا لم تقفل فى وجهه . وفى حين تحارب الامم وترضى بأن يقتل ابناؤها لكى يفتحوا سوقا جديدة تنصرف اليها البضائع والمحصولات رضينا نحن أو تطوعنا بمنع ارسال قطننا الى روسيا حتى زرعته هى وأصبحت الآن فى غنى عن صادراتنا منه . نخسرنا بذلك عشرين سنة من بوار صادراتنا كلها وخسرنا أيضا هذا القطن الذى لن يدخل روسيا . والغريب أن روسيا استقدمت موظفا من مصر علمها هذه الزراعة وكل هذا جرى لان عندنا طائفة من الناس ترعبهم لفظة الشيوعية وكأننا حين نشترى بضائع روسية أو حين تشترى روسيا بضائع مصرية ستتلوث هذه البضـائع بلوثة الشيوعية . ولكن هؤلاء المرعوبين لم يخسروا شيئا لانهم موظفون آمنون . والفلاح وحده هو الذى تحمل الخسارة

الفلاح في البرلمان

ليس الفلاح هو كل من يملك أرضا زراعية أو من يعيش في الريف مترفا مزودا بوسائل الحضارة وقد سبق أن قلنا أنه يجب أن نميز بين المالك والاجير أى بين المزارع الذى يملك الارض ويزرعها أو يستأجرها وبين الفلاح الذى لا يملك غير عمله يؤجره لمن يشاء

وهذا التمييز فى اللفظتين يساعدنا على الفهم . ويفتح لنا أبواب التفكير للاصلاح أما الان فاننا نتخبط فنرسل لفظة الفلاح على المالك الذى يملك الف فدان ويقضى صيفه فى باريس وعلى العامل الذى توزع عليه وزارة الصحة الان البيض لان فقره يحول دون شرائه الغذاء الكافى

وهناك مزارع فقير يقارب الفلاح هو واحد من ذلك المليون الذى يملك فدانا أو أقل فانه مالك بالاسم أجير بالفعل فقير بالتحقيق يبيع عمل يديه لكل من يطلب

وقبل أيام وقف صاحب السعادة على إسلام باشا وقرع لنا ناقوس الخطر حين قال أن الارض المزروعة فى مصر قد نقصت منذ سنة ١٩٠٩ الى الآن على الرغم مما يذاع من اصلاح أرض جديدة لان انحطاط التربة واتساع المبانى زادا على الاصلاح . وهذا مع العلم بأن السكان قد زادوا زيادة مطردة فى مدى السنين الثلاثين الماضية . بل زادوا بالملايين

والى الان لم نجد من يستطيع الرد بالانكار على ما قاله اسلام باشا لان ما قاله هو الصحيح ففى سنة ١٩٠٦ كانت مساحة الارض المزروعة فى مصر ٥،٤٠٣،٠٠٠ فدان . وكان السكان اقل من ١١ مليونا

وفى سنة ١٩٣٧ كانت مساحة الارض المزروعة فى مصر ٥،٢٨١،٠٠٠ فدان والسكان يبلغون نحو ١٥ مليونا او يزيدون

والمالك ينتفع ولا يستضر بقلة الارض لان الطلب عليها يزداد وخاصة عند ما يزداد السكان . اما الذى تؤذيهم هذه الحال فهم الفلاحون الاجراء لان عددهم قد تكاثر . فهم يتزاحمون على الفدان المعروض بل يتكالبون ويزايدون . فيؤدون اعلى الايجار ولا يكون نصيبهم غير الربح الضئيل . ومن هنا هذه الحال التعسة التى وصلنا اليها والتى جعلت وزارة الزراعة توزع البيض بالمجان على العجاف

المهازيل من الفلاحين

ارض تتناقص وسكان يزيدون . ولكن مع هذه الحال البشعة تزداد التكاليف الحكومية بدلا من تقل

وقد وقف الاستاذ عبد المجيد ابراهيم صالح فى مجلس النواب يطلب الاعفاء لصغار المالكين من من الضرائب . ولم يكن منطقه سليما فقط بل كان قويا فانه أشار الى اعفاءات مختلفة وقال :

«فقررنا مبدأ اعفاء من يؤول اليه الميراث من رسم الايلولة اذا لم يزد ميراثه عن مائتى جنيه كذلك اعفينا من الضريبة فى تشريع كسب العمل من لم يزد كسبه على ستين جنيهات كما اعفينا فى تشريع الارباح التجارية من لم يزد ربحه عن مائة وخمسين جنيها اذا كان متزوجا ذا أولاد . وأعفينا من ضريبة المبانى من لم يزد ايجار مسكنه على خمسة جنيهات سنويا . وكانت كل هذه التشريعات عادلة ترمى الى الاخذ بيد هؤلاء الضعفاء الذين لا يتجاوز كسبهم لقمة العيش التى يأكلونها هم وأولادهم ولكننى أرى أن مجالسنا وحكومتنا قد فاتهما هذا المبدأ الرحيم فى الضريبة العقارية فعمماها حتى على من يملك القيراط والقيراطين من الفدان»

وهذا كلام كله حكمة وتعقل وبر ولسنا ننكر المصاعب التى يواجهها وزير المالية لتوفير المال حتى تقوم بالتكاليف الحربية الجديدة . ولكن إزاء الحال التى ذكرها على اسلام باشا والاستاذ عبد المجيد ابراهيم يجب أن نبحث عن موارد أخرى غير الزراعة ان نخفف التكاليف وخاصة منها ما يتصل بهذا المالك الصغير الذى يعد فى حقيقته فلاحا أجيرا . وبضعة قروش تضاف على المكوس الجمركية للشاى أو الدخان أو الاطعمة المحفوظة تعوض وزارة المالية من نحو نصف مليون جنيه يؤديها هؤلاء المساكين ويقتطعونها من طعامهم أو طعام أولادهم

كتب الشهر الجديدة

١ ـ بحوث فى أعمال البورصات بقلم صادق حنين باشا

٢ ـ قصص العرب للاستاذ محمد احمد جاد المولى بك . وعلي محمد البجاوى . ومحمد أبو الفضل ابراهيم

٣ ـ مباحث عربية للدكتور بشر فارس

٤ ـ فرعون الصغير للاستاذ محمود تيمور

٥ ـ في كتاب القرية للاستاذ محمد عبد الوهاب

٦ ـ أروع القصص للاستاذ محمد عطيه الابراشي

٧ ـ قصص فى البطولة الوطنية للاستاذ محمد عطيه الابراشى

٨ ـ رحلات الصحفى العجوز للاستاذ توفيق حبيب

* * *

١ — هذه طاقة فاخرة من الجد والهزل والدرس واللهو ، أولها كتاب عن البورصة والاوراق المالية . وغاية المؤلف هى شرح الاعمال التى تجرى فى دار البورصة مما يجهله شبابنا . وقد كان المؤلف مندوب الحكومة المصرية لبورصة الاوراق فى القاهرة أى كان مديرها بالفعل . وقد رأى أن القائمين بالحركات المالية الخاصة بالقراطيس ليسوا من الشبان المصريين فحفزته هذه الحال الى أن يضع هذا الكتاب لكى يكون مدخلا الى هذه الدار وسبيلا الى درس أعمالها . والكتاب ثلاثة فصول أولها الاستثمار فى الاوراق المالية والثانى بورصات الاوراق المالية . والثالث بورصات التجارة فى مصر . ويلحق المؤلف بهذه الفصول نماذج لحسابات السماسرة . وأسلوب المؤلف تعليمى يشرح بأبسط

العبارات عويص العمليات الحالية . ونظن أن كل من يتطلع الى العمل فى البورصات أو تعنيه القراطيس ينتفع كثيرا اذا قرأ هذا الكتاب

* * *

٢ — قصص العرب هو مجموعة من مختارات القصص العربية نزعت بعباراتها من بعض الكتب القديمه المعروفة . والمؤلفون يعتمدون كثيرا على الاغانى والامالى وتاريخ الطبرى وخزانة الادب والكامل للمبرد والكامل لابن الاثير وبعض المؤلفات الاخرى . وقد رتبت القصص باعتبار موضوعاتها خمسة أقسام . وعبارة الكتاب كلها مشكوله . وهذا الكتاب الذى يبلغ ٤٣٦ صفحه كبيره هو المجلد الاول وستليه مجلدات أخرى وقد عنيت مطبعة الحلبى باخراجه واختيار ورقه وحروفه . وهو خير ما يوضع فى أيدى الشباب وخاصة طلبة المدارس الثانوية . لأن القصص قد اختيرت لمغزى أخلاقى يسمو بالقارىء ويعوده العبارة البليغة واللفظة الصحيحة وهذا خير مايحبب اليه الأدب العربى . والقصة بطبيعتها تساع وتجذب اليها القارىء والشارى . وهى بذلك سبيل إلى درس الأدب العربى . وعندنا أن المؤلفين قد خدموا اللغة والأدب باخراج هذا الكتاب الذى نرجو أن تتلوه الأجزاء الاخرى

* * *

٣ — مباحث عربية هو مجموعة من الابحاث اللغوية والتحقيقات التاريخية وقد افتتحه المؤلف بمقال عن المسلمين فى فنلندا فى أقصى الشمال فى أوربا . وهم يبلغون نحو مائة عائلة . ويبحث المؤلف بعد ذلك بعض الالفاظ العربية ودلالتها الاجتماعية . مثل لفظى المروءة والشرف كما يبحث بعض الاصطلاحات فى الموسيقا والفلسفة . وقد أفرد فصلا عن البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية وآخر عن التفرد والتماسك عند العرب . وأسلوب المؤلف علمى دقيق وابحاثه تنقل إلى القارىء جو المستشرقين وهو جو لم يألفه القارىء العادى ولكن ليس شك فى انه يستروح عنه نسيما جديدا

• • •

٤ـ فرعون الصغير هو قصة تليها قصص تجرى على النسق التيمورى ـ وهو نسق يعرفه القراء مما سبق ان اخرجه الأستاذ محمود تيمور من قصص رائعة تصف بعض البيئات وتحلل فيها الشخصيات

وبهذا المجلد ١٢ قصة . والمؤلف يعرض ولا ينتقد . ويحلل ولكنه لا يؤلف . أو هو يهدم الشخصية ولا يبنيها . وأحيانا تؤدى به هذه الطريقة الى أن يقتصر من القصة على المواد الخامة فيها . كما يفعل فى قصة أركان الوضوء . فانه يعرض علينا صبيا ابله يمتحنه المعلم كل يوم فى أصول الدين ويعاقبه بحرمانه من الغداء . وتتكرر هذه المأساة دون أن يستخرج منها المؤلف مغزى

وكذلك يفعل فى قصص أخرى — والمؤلف يبرر هذا الموقف الحيادى بان الفنان يجب أن ينقل الحياة كما هى ولكننا نشك فى قيمة هذا الرأى فان الفنان يجب أن يكون ذاتيا اما العالم فانه يجب أن يكون موضوعيا . ومتى كان الفنان ذاتيا فان من حقه ان يشرح وينتقد ويعلق . ولكن مما يجب الاعتراف به ان للاستاذ محمود تيمور تحليلات سيكلوجية تستوقف النظر وتبعث على التأمل

« • »

٥ — فى كتاب القريه هو شىء جديد فى الأدب العربى الحديث فان المؤلف يصف الكتاب هذه المؤسسة التى رأيناها أو تعلمنا فيها وقد انقرضت او كادت . وهو يصفها الوصف الصحيح بل نكاد نقول الوصف الحميم . فان الفقيه والصبيان والعصا واللوح والجدهوز وعبث الصبيان بالشيخ واستغلال هذا لهم فى قضاء مصالحه الشخصية والراتب الذى يقدم له وايام العيد وزهوته وكعكه ونقله وتصب الشيخ فيه — كل هذا يوصف بلباقة وأمانة

كتاب طريف ظريف قد أعاد الينا جو القريه ومرح الطفولة وزاده المؤلف بيانا برسوم عديدة لعمل الصبيان والعابهم . وليس شك فى أن الاستاذ محمد عبد الوهاب فلاح قح اذ لا يمكن غير فلاح أن يؤلف مثل هذا الكتاب الجميل . وكل ما نأسف عليه أنه ١٥٢ صفحة فقط ونظن أن المؤلف يمكنه أن يجعل هذا الكتاب جزءا أول لحياة القرية التى يستطيع أن يصفها الوصف التام الامين وأن يسجل فيها هذه الدنيا الزائلة أو التى على زوال امام الحضارة الحديثة .

« • »

٦ — أروع القصص هو مجموعة من الملخصات لقصص الكاتب الانجليزى تشارلس دكنز . والاستاذ محمد عطيه الابراشى يعنى كثيرا بالعبارة السليمة ويشكل الكلمات وقد لخص هنا تسع قصص وقال فى المقدمة « قد روعى فى كتابتها المحافظة على الغرض الاسمى الذى من اجله وضعت هذه

القصصى وهو حب الاصـلاح مع العناية بجزالة اللفظ وصرامة الاسلوب بحيث يجد القارىء ثروة فكرية وخيالية ولغوية فى كل قصة يقرؤها »

« • »

٧ — وكتابه الآخر قصص فى البطولة الوطنية هو مجموعة من التراجم التى كتبت بأسلوب قصصى يغرى الصبيان بل الشبان بالقراءة . ويجد فيها القارىء قصة واشنطن ولنـكولن من أبطال الولايات المتحدة. ولم ينس أن يستخرج من العصور القديمة قصتى سنحتب المصرى وتتسوس الاغريقى والكتابان هما من تلك الكتب القليلة التى يفرح بهما الاب إذ يجد فيهما تسلية نظيفة لابنائه وترقية وجدانه وتثقف ذهنه أيضا . قصص تستنبط منهم أحسن الصفات وتضع أمامهم المثليـات، فى أسلوب شائق وبعد عن الابتذال

« • »

٨ — الصحفى العجوز هو الاستاذ توفيق حبيب . وقد أصبح من المؤسسات المصرية لا لأنه قد دخل فى حلقة السبعين فقط بل لان الجمهور قد صـار ينتظر منه التسلية وينظر اليه كما ينظر الاطفال للعجوز المحدثة . ورحلاته الى أوربا التى يواظب عليها كل عام تسجل فى كتب مع الدقة ولكن ليس مع الانتقاء . وهو هنا يكتب عما يرى بعينيه وليس عما يرى بعقله أى أنه موضوعى حين كان يجب أن يكون ذاتيا . ولكنه يسلى القارىء على الدوام لانه محدث ثرثار لا ينقطع عن الكلام . وهو هنا يصف لبنان واليونان وايطاليا وطرابلس وقد زين كتابه بعشرات من الرسوم

فمثلا قد تحب امرأة وردة يلبسها عشيقها ، أو قد يحب رجل قفازا أو منديلا أو خصلة من الشعر ، ثم قد تتطرف هـذه الحالة الى الحدود المرضية فينحصر الهـدف الشبقى الوحيد للشخص فى الشعر أوفى عبارة قطعة من الملابس . فبدلا من أن يسير الدافع الاصلى بالشخص الى الهدف الطبيعى يقف به فى منتصف الطريق ويصبح هو ذاته هـدفا . أما فى حالة الاضطراب العصبى النفسى فاننا نشاهد شيئاً آخر مختلفا عن هـذا كل الاختلاف : نشاهد أن الدافع الطفـلى الذى يحاول أن يقتحم طريقه الى الوعى يجد مقاومة شديدة من مراقب العقل الواعى (وسنتكلم عن هذا المراقب فى الفصل القادم) ، فبدلا من وصوله الى الوعى فى حالته الطفلية فانه يصرف قوته اما فى عجز جسدى أو عقلى يطلق عليه اسم الاضطراب العصبى النفسى أو المرض « الوظيفى »

وقد تستطيع هذه الرغبات الشبقية الطفلية أن تجد لها مخرجا من طريق ثالث هو طريق الاحلام ويحسن بنا فى هـــذا المقام أن نقول ان المادة المضغوطه التى نستخرجها من التحليل النفسى ليست على الدوام ذات طبيعة تناسلية ظاهرة أو ثابتة . فـكل الاحاسيس غير السارة تضغط ، فمثلا الاحساس بالواجب اذا تعارض مع اللذة يضغط ، وكل فـكر أو خاطر غير سار نحاول أن نتحاشاه فنضغطه وهـكذا . ولـكننا نجد تحت كل الامراض العصبية النفسية الوانا مختلفة من القوة النفسية التى تنتسب الى أحـد الدوافع أو الاهداف الطفلية الشبقية . وهـذا هو السبب فى اننا عنينا ببحث هذه الدوافع والأهداف ، على الرغم من اننا نرفض الاعتراف بها كجزء من شخصيتنا النفسية

الخلاصة

١ — ان المميزات الهامة لاى شخص تتوقف الى حـد كبير على أى دوافعه الشبقية شجعت وأيها ضغطت أثناء الطفولة ، وعلى مقدار التصعيد الذى أمكن حدوثه

٢ — اذا قامت ظروف أثناء المراهقة أو بعـدها وكان من شأنها أن اعترضت السير الطبيعى للقوة الشبقية ، فان هذه القوة تحاول أن تجد لها مخرجاً من الطرق التى كانت متفتحة أثناء الطفولة ، أى عن طريق الارتداد

٣ — الضغط ضرورى للحيـاة العادية لكل فرد ، ولكن التصعيد أيضا على قدر كبير من الأهمية

٤ — إذا لم يمكن الوصول الى التصعيد المناسب ، فان الميل يتجه الى التحويل ، وخصوصا فى الأناث اللواتى ينشأن تحت ظروف البيئة والتعليم الحاليين . والتحويل هو ضياع للقوة النفسية ، وكثيرا ما يكون ضارا بالمجتمع

الفصل الخامس

المركبات الوالدية *

أهم عامل فى تكوين خلق أى شخص هو أثر أبويه عليه . وهذه حقيقة ظاهرة ، ولكن مما يؤسف له أن أقوى العوامل أثرا ليس هو المؤثر الواعى الذى يوجه ويعلم ولكنه المؤثر غير الواعى الذى ينحصر فى تفاصيل السلوك والكلام ، وهى الامور التى لا يلتفت الوالدان اليها ولا يعدانها مما يؤثر فى تكوين خلق الطفل . والتحليل النفسى يثبت ان هذا الاعتقاد زائف كل الزيف . فالتفاصيل التى تبدو تافهة ولا قيمة لها فى سلوك الابوين أثناء الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل لها تأثير على عقله ووزن فى تكوين اخلاقه أكثر من أى عامل آخر يصادفه فيما بعد

وقبل أن نبحث فى تفصيل هذا الرأى نرى أن نقول شيئا عن العشق الوالدى ، لانه من الاخطاء الذائعة بين الناس انه ما دامت المسيحية قد حرمت الزواج بين الاقارب القريبين فمعنى هذا انه لا توجد بينهم جاذبية جنسية طبيعية . وهذا غير صحيح ، بل انه عكس الحقيقة تماما فى السنة الاولى من حياة الطفل . والطفل مخلوق بدائى ، واحاسيسه غير الواعية لا تعرف عليها ضغطا ؛ فغرائزه هى الغرائز البدائية لاسلافه وهى تبقى بدائية حتى تضغطها وتغيرها البيئة والتعليم مهما يكن من حداثة هذين العاملين . ويجب أن نذكر أن المصريين القدماء كانوا يبيحون زواج الاخوة والاخوات وكانوا يتسلون من هذا الزواج دون أن يروا فيه عيبا ، بل ان هذا الزواج لا يزال قائما بين بعض الاقوام البدائية حتى الان . وبين الحيوانات — حتى التى تعد من ارقاها مثل الكلاب — لا يوجد هذا التحريم ، ولا يقتصر الاتصال الجنسى بينها على الاخوة والاخوات بل قد يحدث بين الابناء والامهات أيضا ، وخصوصا اذا كانت الام صغيرة السن عند ولادة الابن . وعلى هذا فمسألة تحريم الزواج بين الاقارب هى مسألة تختص بالدين والتربية الاولى ، وليست مسألة الغرائز الطبيعية للعقل الباطن

* المركب هو مجموعة اراء اما كانت فى ألوعى ثم ضغطت الى العقل الباطن أولم تظهر فى الوعى اطلاقا

والتحليل يدل على ان الحب الاول لكل طفل يتجه نحو أمه ولكل طفلة نحو ابيها ، وان هذا الحب ذا طبيعة تناسليه ، وان كان المعنى التناسلى هنا لا ينطبق حتما على الاعضاء التناسلية ؛ ولكنه يحتوى على الدوافع الشبقية الطفلية للنظر واللمس والتعدى وغيرها مما ينشىء بين الطفل ووالده من الجنس الآخر نوعا من الارتباط الشبقى اسمه « التثبيت » وهذا التثبيت تختلف قوته باختلاف الظروف ، وعلى قدر هذه القوة يتكون نوع الحب فى طفل بعينه . وليس من الضرورى أن يكون هذا التثبيت نحو الوالد ، اذ قد يموت أو قد يعيش بعيداً عن ابنه اثناء طفولته ، ففى هذه الحالة يتجه نحو بديله أو من يحل محله . والمركبان اللذان يتكونان فى هذه الاحوال هما مركب أوديب أى حب الابن لامه ، ومركب اليكترا أى حب الابنة لابيها . والغالب ان الاصطلاح الاول يؤدى المعنيين وهو مشتق من قصة سوفوكليس اذ تزوج أوديب على غير علم منه بامه . ويطلق فرويد على هذه المركبات اسم المركبات النواوية

وفى الشخص العادى يؤدى هذا التثبيت الغرض منه ، ثم يضغط تدريجيا وتتحول القوة المصاحبة له الى حب أمور أخرى . والمشاهد انه اذا كان التثبيت قويا أثناء الطفولة فان المرأة تتزوج من رجل يشبه فى نوعه اباها والرجل يتزوج من امرأة تشبه فى نوعها أمه . وهذا يتجلى بصورة واضحة من الحالات التى تتزوج فيها ابنة السكير من رجل سكير ، والابنة التى كانت تعجب بصفة عقلية خاصة فى أبيها تتزوج من رجل تبرز عنده هذه الصفة . ويمكن أن ينطبق هذا أيضاً على اختيار الرجل لزوجته . وقد لا يبدو هذا التشابه قريبا أو واضحا عند النظر السطحى ولكنه ينكشف مع التحليل . ولكن هناك استثناء واحداً لهذه القاعدة وذلك حين يكون التثبيت قويا وقريباً من السطح بحيث يكون الزواج من شخص قريب الشبه من نوع الوالد باعثا الى استحضار دافع العشق الوالدى للطفل بالنسبة الى أبيه قريبا من السطح أيضاً . فاذا حدث الزواج فى مثل هذه الحالات فالاغلب أن يكون للزوج الذى يقع الاختيار عليه صفات جسدية مضادة لصفات الوالد ، فمثلا قد تتزوج ابنة الرجل القوى البنية من رجل ضئيل الجسم نحيل القوام ، وهذا يحدث وفقا للقاعدة التى ذكرناها فى فصل سابق وهى أن المظهر العكسى كثيرا ما يخفى وراء غريزة بدائية ذات طبيعة طفلية ويمنعها من الظهور فى الوعى (التعدى والعطف ، والعرض والتحشم الخ)

والتحليل النفسي يدل على ان مركب أوديب يكاد يكون على الدوام شديد الوضوح عظيم الاهمية ، لانه كثيرا ما يكون كامنا وراء متاعب المريض جميعها . وكل غلو فى اظهار الحب من الوالد نحو ابنه يزيد من قوة التثبيت ، وهذا بدوره يزيد من صعوبة امكان حدوث الضغط أو التحويل . ولذلك فكثيرا ما نرى ان الطفل « الوحيد » الذى يكثر ابواه من تدليله يصبح عرضة للاضطرابات العصبية الناتجة من هذه المركبات . ومن الامور المألوفة أن تكثر الام من تدليل طفلها ومن حضنه وتقبيله بشغف ومن السماح له مثلا بالحضور الى سريرها فى الصباح المبكر دون أن تدرى انها بهذه الاعمال انما تثير دوافعه التناسلية البدائية الى عقله الباطن ، وهذه الدوافع كما قلنا لا شأن لها فى هذا الدور من الحياة بالاعضاء التناسلية ولكنها تلعب على كل المناطق الشبقية التى ذكرناها فى فصل سابق ، ثم قد تؤثر فيما بعد على الاعضاء التناسلية ايضاً . ففى حالة الطفل قد يتكون عنده تثبيت قوى على امه ، وفى حالة الطفلة التى يدللها ابوها قد يتكون عندها تثبيت قوى عليه حتى قبل أن تستطيع المشى او الكلام

والان لنفرض ان هذه العاطفة المتطرفة ضغطت بعد الثلاث او الاربع سنوات الاولى من حياة الطفل وبدت الامور فى ظاهرها عادية والطفل فى سنته الخامسة أو السادسة ، فلنر ماذا يمكن ان يحدث؟ ما يأتى : اولا : قد ينمو الطفل وعنده فكرة مبالغ فيها عن واجبه ازاء الوالد من الجنس الآخر . ثانيا : قد لايستطيع ان يوفق الى شخص للزواج يطابق فى صفاته نوع الوالد . ثالثا : اذا وفق الى مثل هذا الشخص فان تثبيته غير الواعى على الوالد ومشابهة الزوج للوالد قد يخلق نوعاً من الاختلاط غير الواعى بين الوالد والزوج (فى عقل الشخص) ، فيصبح الاختلاط الجنسى الواعى مع الزوج نوعا من العشق الوالدى ، مما ينتج عنه العنة للرجل والبرود التناسلى للمرأة ! ولما كان تدليل الاب لابنته امراً كثير الحدوث فان البرود التناسلى ونفور الزوجة من زوجها حالتان واسعتا الانتشار ويمكن ان يرجع سببهما مع التحليل الى مركب اوديب . وثمة نتيجة اخرى : فان التثبيت القوى على الوالد من الجنس الآخر يمنع تحول القوة الشبقية الى افراد آخرين من جنس هذا الوالد ، فاذا كانت الدوافع الشبقية عند هذا الشخص قوية فانها تتجه فى الطريق الاكثر سهولة وهو طريق عشق الجنس حيث تثبت هناك

وقد يكون هـذا النوع من عشق الجنت واعياً ويمارس بعد البلوغ ، او قد يضغط ثم يصعد كما في حالات الصداقة القوية بين شخصين من جنس واحد . او قد يسمح له بالاحتفاظ بدوافعه الشبقية الطفلية البدائية بعيداً عن الاعضاء التناسلية ، وهذه هى حالة النساء اللواتى تلتذ من مداعبـة ايدى غيرهن ، ويسرفن فى تقبيل بعضهن البعض بشغف ويزرن مخادع صديقـاتهن ، ويشاهدن ملابس بعضهن البعض ، ويقمن الدليل على هذا النوع من التناسلية بعثـات من هذه الاعمال المحولة . وهذه الحالة اكـثر وجوداً فى المرأه منها فى الرجل ، لان التثبيت الوالدى القوى اكـثر انتشارا فى المرأة ، ولان بيئة المرأة وتعليمها تساعدانها على ضغط نموها التناسلى الطبيعى اكثر من الرجل . ومن الاخطاء الذائعة تعليل هذا بالقول ان عاطفة المرأة اكـثر حرارة من الرجل ؛ فى حين ان الرجل لو قام ببعض هذه الاعمال التى ذكرناها لاتهم بعشق الجنس .

فالحقيقة اذن هى ان المرأة اكـثر ميلا الى عشق الجنس من الرجل ، وهذا راجع الى اثر بيئتها وتعليمها الاول . ولـكن هذه الحالة قد لاتعرف فى بعض الاحيان ، واولئك الذين عندهم مركب مضغوط او مقنع هم آخر من يكتشف هذا المركب فى انفسهم . وبذا نرى ان كـثيرا من الافعال التى نعدها عادية وطبيعية هى فى الواقع — اى من الناحية العلمية — فساد ، كما نرى ان كـثيرا من النتـائج الضارة قد تنتج وتنبع كل تثبيت غير طبيعى على الوالدين ، وقد تتضاعف هذه النتـائج اذا حدث تثبيت مبكر على اخ أو أخت ، سواء اكان هـذا التثبيت متجها الى عشق الجنس ام الى عشق الجنس الاخر . فتثبيت الصبي على امه قد يتحول عند وفاتها ، او لاى سبب آخر ، الى اخت له تكون من كل الوجوه اقرب المثل الى امه ، مع اضافة ان الاخت اصغر سنا من الام ، وقـد يبقى هذا التثبيت على الدوام

والقاعدة انه كلما كان التثبيت نحو الوالد من الجنس الآخر قويا ، كان الاحساس بالغيرة — ولو مضغوطا وفى العقل الباطن — من الوالد من الجنس نفسه قويا ، فيصبح هذا الوالد فى العقل الباطن منافساً للابن فى عواطف الام . وقد يبدو هـذا الاحساس فى الاطفال بصورة غير مقنعة احيانا ، فيظهر السرور على الصبي اذا غاب ابوه فى المساء ويأخـذ هو مكانه من المائدة ، ثم اذا كان الاب سيقضى الليل خارجا فقد يقترح ان ينام معها وقد يناديها باسمها مجرداً الى آخر هذه الاعمال والمداعبات

التى تبدو عليها سمة الطفولة البريئة . وفضلا عن هذا فاننا كثيرا مانرى منذ اول عهود الطفولة تضادا بين الاب والابن — وهذا دليل رغبة الابن فى ان يخلى ابوه له الطريق ، ثم اذا حدث اى نزاع بين الاب والام على اى شأن من شئون الحياة اليومية — كما يحدث فى كل بيت — فان الصبي قد يثور ضد ابيه مدافعاً عن امه ، أو قد يكبح نفسه بكل صعوبة . وقد يحدث مثل هذا ايضا مع الطفلة وامها .

فرغبة العشق الوالدى المضغوطة مع ما يصاحبها من الغيرة والكراهة غير الواعية تولد فى الطفل احساسا بالخطيئة ، وهذه بدورها قد تكون السبب فى ان يظهر الطفل ، أو الشاب بعد البلوغ نحو أبيه فى بعض المناسبات عطفا مبالغاً فيه وانحيازا الى جانبه — وذلك كتعويض عن الكراهة السابقة ولذلك فنحن كثيرا ما نرى هذين الانفعالين العاطفيين المتضادين يتبادلان فى سلوك الطفل أو الشاب المعارضة يوماً ما أو لمناسبة ما ، والعطف المبالغ فيه فى يوم آخر أو لمناسبة اخرى . وهذا التعاقب بين الحب والكراهة المضغوطين يوجد فى عدد كبير من حالات «نيوروز» القهر وخصوصا فى هذا النوع منه الذى اطلق عليه اسم Jolie du doute (فى هذا النوع نكاد نجد على الدوام الى جانب تثبيت والدى قوى يتعاقب فيه الحب والكراهة ثلاثة مركبات طفلية غير واعية واضحة كل الوضوح هى : الشبقية الشرجية وعشق الجنس) ولذلك فكثيرا ماتتضمن احلام المرضى هذه الرغبات * فمثلا ليس نادرا أن يحلم المريض بموت الوالد من جنسه اى ان تحقيق الرغبة موجود فى العلم لا رغبة فى موت الوالد فعلا ولكن فى « ذهابه من الطريق » . كما اننا من ناحيه اخرى نلاحظ فى كل المرضى ذوى المزاج العصبي احلاما تناسليه محققة نحو الوالد من الجنس الآخر ، وقد تكون هذه الاحلام مقنعة الى حد ما ، ولكنها ايضا قد تكون مكشوفة تماماً . وقد احصى بريل ٢٨ حلما عن اتصال جنسى بالام لواحد وعشرين مريضاً ، ونصف هؤلاء ذكروا احلامهم قبل أن يكونوا سمعوا شيئا عن مركب اوديب ، والباقون ذكروها بعد أن كان قد شرح لهم شيئا عنه وقالوا انهم لم يذكروها لبشاعتها فى نظرهم . وقد احصى أيضا ١٩ امرأة تضمنت أحلامهن الاتصال الجنسى مع الاب . ولكن الاغلب أن يكون الحلم مقنعا الى حد ما ، وان يكون القناع على الاب أو

* قد يجد القارىء صعوبة فى فهم هذا الجزء الا اذا قرأ الفصل القادم عن الاحلام

الأم . فمثلا ذكرت احدى مريضات بريل (وكانت مصابة بعشق الجنس) ان الحلم الوحيد الذى رأت فيه رجلا كان حلما رأت فيه انها اتصلت اتصالا جنسيا باحد أوليائها ، ولكن تبين بعد عمل الارتباطات اللازمة للحلم انها كانت تشير الى أبيها دائما كوليها ، والمشتغلون بالتحليل النفسى يعرفون ان الرئيس والولى والقسيس والعمدة والملك فى الاحلام كلها تشير الى الاب . ولكن الاغلب ان شخصية الاب أو المريض تبدو سافرة فى الحلم ، ويكون القناع على الفعل الجنسى ذاته ، ولكنه مع ذلك يكون من الوضوح وسهولة الترميز بحيث يستطيع أن يكشفه أول المبتدئين فى التحليل النفسى. وقد ذكر بريل أمثلة حسنة كثيرة من هذا القبيل فى كتابه « نظرية التحليل النفسى والتطبيق العملى عليها »

وقد اشرت سابقا الى أن التثبيت قد ينتقل من الوالد الى الاخ أو الاخت ، والى انه — فضلا عن هذا — قد يعمل على بقاء الفرد فى حالة عشق الجنس الطفلية ، فنزيد هنا ان هذا التثبيت قد يزداد قوة وتمكنا اذا سمح للاخ وأخته أن يناما فى غرفة واحدة أو — وهذا أشد — اذا سمح لهما أن يناما فى فراش واحد . ونعود هنا فنقول انه لا يوجد مانع طبيعى يمنع العلاقة بين الاخوة والاخوات أو بين الاخوة وحدهم والاخوات وحدهن ، وعلاقات عشق الجنس او عشق الجنس الآخر كثيرة الحدوث بين الاطفال فى مثل هذه الظروف . وقد تكون النتيجة أكثر شرا ونكرا اذا نامت فتاة مع فتاة أخرى أو نام صبى مع صبى آخر مما لو ابيح لافراد من الجنسين النوم معاً أثناء الطفولة ، اذ تنشأ من هذه الحالة كثير من التثبيتات التى تكمن وراء عدد كبير من حالات الاضطراب العصبى النفسى

وثمة نتيجة أخرى لهذا المركب الوالدى تلاحظ فى بعض الاحيان هى : تثبيت قوى (عشق الجنس) نحو الوالد من نفس الجنس . والعوامل التى تؤدى اليه تشبه العوامل التى تؤدى الى مركب أوديب ، ونلاحظ بصفة خاصة اذا كان الوالد من الجنس الآخر قد مات فى الطفولة المبكرة (ولكن هذا ليس شرطا أساسيا) . وترجع هذه الحالة الى ما ذكرناه سابقا من ثنائية الجنس فى جميع الافراد، وان المرأة فى غير الوعى كما فى الوعى قد تقوم بالدور المذكر والرجل بالدور المؤنث . والواقع يجب أن نذكر ان اللذة التى تحسها الانثى من الاتصال الجنسى انما تنشأ أو تتكون فى أعصاب البظر أى فى عضوها التناسلى المذكر ، ومن ثم فان هذه اللذة هى من النوع المذكر

وهذا يقودنا الى اثارة بحث موجز عن أحد الاسباب التى تؤدى الى زيادة حالات الاضطراب العصبي والاضطراب العصبي النفسي بين النساء عنها بين الرجال ، وعن سبب تثبيتها على التناسلية الطفلية عادة . وإيضاحا لهذا نقول ان الانثي فى الواقع لا تختلف عن الذكر كثيراً ، وهذا يبدو بصفة خاصة أثناء الفطولة ، ولكنها منذ سن مبكرة جدا تحاط بتمييزات مصطنعة من عمل الحضارة وترغم على ضغط غرائز الذكورة الطبيعية فيها وعلى اتخاذ موقف نسائى مبالغ فيه ، مثل استعمال ملابس خاصة وتعود تحيات ومجاملات مبالغ فيها وغير ذلك من ألوان السخف ؛ فينشأ عن كل هـذا ضغط شديد وتثبيت طفلي قوى . وبذلك نرى انها حتى فى السنوات الاولى التى ينبغى أن تخـلو من التمييز ترغم على أن تتخذ دورا مصطنعا أكثر من الذكر . وقد اضاف بعض الباحثين الى هذا الصعوبة التى تعانيها المرأة بعد المراهقة من نقل مركز الارتواء فى أعضائها التناسلية من البظر الى المهبل ، ولكنى لا أوافق على هـذا الرأى لانى ، فضلا عن ابحاثى على مرضاى ، جمعت احصائيات مختلفة من مصادر متعددة فاتفقت كلها على ان هـــذا التغيير لا يحدث عادة فى المرأة العادية (الطبيعية) ، اذ يبقى البظر كما كان المركز الاساسى للارتواء . وأما الحالات التى يحـدث فيها التغيير المشار اليه فانها فيما اعتقـد حالات الارتداد الى منطقة شبقية طفلية فى عنق المثانه أوفى المهبل أو فى المستقيم أو بتعبير أصح هى حالات العودة الى الشبقية المبرزية *

---

* استعملنا اصطلاح « الشبقية المبرزية » للدلالة على الشبقية التى تتناول كل هذه المنطقة « باستثناء القضيب والبظر » وهى التى تغذيها الفروع التناسلية للضفيرة العجزية مثل الشرج والصفن والشفرين الكبيرين ومجرى البول وجزء من المهبل والعجان « الشبقية العجانية كثيرة الحدوث جدا ولـكن لم يشر اليها أحد الباحثين الاشارة محددة قط »

ويجب أن نذكر جلد الجزء الداخلى للفخذ تحت العنوان نفسه لانه بحسب امداده العصبي وهو العصب الحيائى الفخذى مرجح الانتساب، الى نفس القطعة من الجسم التى ينتسب اليها المبرز الاصلى اما بقية الامداد العصبي لهذه المنطقة فيستمد من الضفيرة الخثلية المرقية التى تغـذى المهبل من ناحية والبروستاتا والرحم من ناحية أخرى

ومن الوجهة الجنينية ينمو المهبل من القنوات المولرية ، فهو بذلك أقدم فى نشأته من البظر أو القضيب ، ولذلك فاننا نكون أكثر تمشيا مع طبيعة التطور اذا اعتبرنا أن تحول الارتواء التناسلى من البظر الى المهبل نوعا من الارتداد بدلا من اعتباره مطابقا للسير الطبيعى

وقد استخلصت هذا الرأى من الشواهد التى جمعتها من حوالى ١٥٠ حالة من نساء عاديات فى ظاهرهن بواسطة أطباء مختلفين

ومن هؤلاء ثلاث قيل انهن مصابات ببرود تناسلى تام ، و١٤ قيل أن اللذة عندهن « تسمع » فى المهبل ولكن دون حدوث اورجازم ، وفى الباقيات بدون استثناء كانت حشفة البظر هى المركز الاساسى للاحساس ، هذا وان صرح ٦٠ فى المائة منهن بوجود احساس مهبلى أو عجانى أو شرجى فى الوقت نفسه أيضا

ويمكننا اذن أن نرى أن الوالدين المجرمين قد يعطون لاطفالهم عن طريق اهمالهم لهم فرصة أفضل من فرصة أكثر الوالدين حبا لابنائهم . وقد ذكرت أمثلة قليلة فقط لاعمال الوالدين التى تستلفت النظر بصورة واضحة ، والتى قد يكون لها هذا التأثير غير المرغوب فيه . ولكن الى جانب هذا يجب أن نذكر هذا القدر الهائل من عادات الوالدين واعمالهم التى يقومون بها دون التفات فتؤثر أثرا بالغا فى تكييف قوة هذه التثبيتات الطفلية الوالدية . وسأذكر فيما يلى أمثلة لحالات واقعية أوضح بها ما ذكرته الآن

الحالة الاولى : المريض رجل كان أبوه شديدا « صارما » وكانت أمه تعامله فى طفولته بحنان أكثر من المعتاد . أظهر تاريخه ان كل مغامراته الغرامية أثناء الشباب كانت موجهة الى نساء أكبر منه سنا . وعندما بلغ الثانية والعشرين تزوج من امرأة فى الثامنة والثلاثين من عمرها فوجد انه يكاد يكون عنينا معها وان كانت العنة غير كاملة . وماتت زوجته فتزوج بعد قليل من امرأة أخرى تكبره كثيرا فى السن ايضاً . وقد أظهر التحليل انه فى كلتا الحالتين كان — بغير شك على الاطلاق — يرى امه فى المرأة التى يتزوجها ، وانهما كانتا فى التركيب الجسدى وفى نوع الملامح قريبتى الشبه من أمه

الحالة الثانية : المريض شاب أمكن أن يستخلص بسرعة من البحث فى تاريخه عن تعلق عاطفى

شديد بامه مع غيرة طفلية من أبيه. ثم اظهر التحليل فيما بعد انه اثناء الطفولة كان مصابا بامساك شديد وان امه تعودت أن تعالج هذه الحالة عنده بالحقن الشرجية، وهو يذكر انه اخذ يميل الى هذه العملية ورأى فى عقله الطفلى كيف انها اتخذت — فى صورة مقنعة — شيئا من طبيعة الفعل الجنسى بينه وبين أمه. ثم اشتد هذا الاحساس عنده فيما بعد حين كان مريضا فى أحد المستشفيات وقامت احدى الممرضات بعمل حقن شرجية له، وهو يذكر ان اللذة التناسلية عنده فى هذه الاثناء ظهرت دون قناع. وكان وهو صبى تقربه خيالات وهواجس عن كيف يعنى بامه بعد موت أبيه « كان أبوه يكبر أمه بخمس وعشرين سنة » ، وقد عقد عزمه على الا يتزوج اذا كان زواجه يؤثر باى حال فى واجبه البنوى. ثم بدأ يخلط نفسه بامه تدريجيا، ولما مرضت أخذ على عاتقه القيام بجميع الشئون المنزلية، وحين ماتت تحول تثبيته الى احدى اخواته ، وقد أكد لى انه سيكون بمثابة الام لها حتى لا تشعر بافتقادها — هذا على الرغم من أن أباه كان حيا، وان عمته جاءت لترعى شئون المنزل، وعلى الرغم من عدم وجود شىء قط يبرر انشغاله الدائم بشئون المنزل الى درجة شغلت كل وقته ولم تترك له فرصة يستطيع أن يقوم فيها باى عمل يتكسب منه. وكانت أحلامه تدور حول عشق الجنس وذات صبغة شبقية شرجية، الا حين كانت تتناول عمته وأخته فانها كانت عندئذ تناسلية واضحة، وهذه كانت تحدث بضع مرات كل أسبوع

الحالة الثالثة : امرأة سافر أبوها الى الخارج عقب ولادتها مباشرة ، وكان تثبيتها أول الامر على امها ، وكانت تقوم فى هذا التثبيت بالدور المذكر فى العقل الباطن وعند ماكانت فى الثانية من عمرها ذهبت لتقيم مع ابيها ونشأ عندها تثبيت قوى عليه ولكنها كانت لا تزال تقوم بدور المذكر وفى هذه المرة نحو ابيها ، وبذا صار عندنا هذا المركب العجيب : تثبيت امرأة على رجل تثبيتا ينحو الى عشق الجنس. * وتعليل هذا نلتمسه فيما نعرفه من ان كل فرد ثنائى الجنس، وان الاحاسيس التناسلية العقلية فى الاعضاء التناسلية للمرأة هى ذات صفة مذكرة. وقد نشأ الجزء المعتدى أو

---

* هذا الانعكاس فى الدور التناسلى يشير الى النوع المسمى « عشق الجنس المنعكس ». وقد جاءنى حديثا رجل مريض عنده مركب مثل هذا

المذكر فى التكوين التناسلى لهذه الحالة قبل أن يتكون تثبيتها على أبيها . فكان من نتيجة هذا انها قامت بدور المذكر على غير وعى منها . ثم تزوجت فيما بعد من رجل له كثير من الصفات المشابهة لصفات أبيها فكان احساسها التناسلى معه باردا . وفى كثير من أحلامها أظهرت تثبيتا قويا نحو زوجها لا شك فى اتجاهه نحو عشق الجنس ، وكانت فى هذه الاحلام ترى نفسها مرتدية ملابس الرجال ، وكانت ترى زوجها يرتدى ملابس رجال الدين الطويلة

الحالة الرابعة : امرأة فى الثامنة والثلاثين من عمرها كان عندها تثبيت قوى نحو أبيها الذى اعتادت وهى طفلة أن تهرع اليه شاكية له كل همومها ومتاعبها ، واعتاد هو أن يدللها . وكانت تشعر نحو أمها بخصومة ، فكانت فى طفولتها تشعر ان امها لا تستطيع ان تفهمها ولذلك لم تكن تشكو همومها اليها . وقد مات أبوها وهى فى السادسة عشر من عمرها ، وبدأ نيوروز القهر عندها بعد ذلك بقليل ، وقد احبت كثيرين من الرجال فى عهد مراهقتها الاول ، وجميعهم كانوا يشبهون أباها فى نوعه ، واخيرا تزوجت من رجل هو عكس ابيها فى كل شيء من الناحيتين العقلية والجسدية مما يدل على ان مركب العشق الوالدى عندها كان قريباً من الوعى بدرجة لم تسمح لها بالزواج من رجل من نوع أبيها . ومع ذلك ، وعلى الرغم من أن زوجها كان على عكس ابيها ، الا انه كان فى عقلها الباطن يمثل اباها ، ومن ثم كانت تشعر ببرود تناسلى نحوه . وقد اخذت امها لتقيم معها على الدوام احساسا بواجبها نحوها « وهذا نتيجة شعورها بخطيئتها لغيرتها منها فى الايام الاولى » ولكنها كانت دائمة العراك معها لان الام كانت تريد ان تدير شئون المنزل . فكان حبها لامها وكراهيتها لها دائمى العراك فى نفسها اكثر من عشرين عاما ، وفى خلال هذه المدة كان نيوروز القهر موجودا مع نوبات من الزيادة والهبوط . ومما قصته ان امها — بعد موت ابيها مباشرة — كانت تأخذها لتنام معها فى نفس الفراش ، وكانت اثناء النوم تحاول ان تظهر لها الحنان بان تعانقها وتقبلها الخ ، ولكن الفتاة لم يسرها ذلك بل كانت تحنق منه كثيرا لانها لم تكن تطيق أو تمسها أمها فكانت تنتحل مختلف الاعذار لكى تنام بعيدا عنها بقدر الامكان . ومع تقدم التحليل ظهر ان أحلامها كانت ملأى بعلاقات العشق الوالدى مع أبيها ، مع الرغبة فى التخلص من أمها . وحتى بعد اثنتين وعشرين سنة من موت أبيها أصيبت بصدمة قوية تخللتها هزات عنيفة وبكاء شديد لمجرد ان مر عليها هذا

الخاطر: ما اشد حزن أبيها لو علم بالشقاء الذى يسببه لها هذا الاضطراب العصبى «النيوروز» . وكان تحليل هـذه الحالة طريفا من ناحيـة أخرى : ذلك انه دل على ان الاضطرابات العصبية النفسية فى بعض الاسرات ليست مسألة وراثة ولـكنها مسألة بيئة وتدريب مبكر . وفى هـذه الحالة بالذات كان عند الام تثبيت قوى على أبيها ، وكان زوجها بديلا له ، ولذلك لم يستطيعا التوافق فى العلاقة الجنسية ولم يجدا التوفيق فى الحياة الزوجية ؛ فـكان من نتيجة هـذا ان اغدق الرجل عطفه وحنانه على ابنته التى عوضته فى عقله الباطن ما كان ينقصه من حنان زوجته : ونشأ عن ذلك عنـد الابنة تثبيت والدى قوى . وسينتقل هذا الاضطراب العصبى الى ابنة الابنة «وهى لا تزال طفلة صغيرة» مالم يعن بامرها ويعمل لها التحليل اللازم

واحب ان انقل هنا مثالين من بريل لان الامثلة التى ذكرتهـا الان ، وان كانت واضحة كل الوضوح للمشتغلين بالتحليل ، الا انها لاتحوى الصفات البارزة التى تعجب المبتدئين الذين لا يعرفون الحقائق الا معرفة مبهمة

١ــ رجل مثقف كان لايشعر بميل قط الا نحو الخادمات البدينـات ، ولم يكن يعجبه أى نوع آخر من النساء . اظهر التحليل ان دوافعه التناسليه الاولى اثارتها خادمة من هـذا الطراز حلت محل امه

٢ــ امرأة رقيقة مهذبة فى الرابعة والعشرين من عمرها تشكو من برود تناسلى نفسى، ولكنها كانت تهتاج تناسليا كلما رأت رجلا اعرج . وقد ظهر ان هـذا يرجع الى وجود اختلاط مع امها ، لان الام كانت لها علاقة غرامية غير شرعية مع رجل حين كانت الابنة طفلة فى الثالثة أو الرابعة من عمرها . وكـكثير غيرها من الامهات ظنت الام ان ابنتها فى تلك السن لاتفقه شيئا فلم تحاول ان تستتر امامها . واصيب العشيق بكسر فى ساقه فاضطرت المرأة الى الاكثار من زيارته وكانت تصحب ابنتها معها حتى تتحاشى الاقاويل . وعلى الرغم من ان ما كانت تراه فى ذلك الوقت لم يكن له تأثير عليها حينئذ الا انه كان بمثابة جرح تناسلى كون عندها ارتباطا بين الجنس والعرج ، وزاد ذلك حين حل هذا الرجل الاعرج محل ابيها عند زواجه من امها بعد ترملها .

٣ــ امرأة متزوجة صغيرة السن يتسلط عليهـا مركب بغاء اصلى « حقيقى » ، استمرت فى

علاقات غير شرعيه مع رجال مختلفين بينما كانت تقيم مع زوجها . اظهر التحليل انها كانت ابنة وحيدة ، ولكنها على الرغم من تدليل ابيها لها لم تكن تراه الا قليلا اثناء طفولتها الاولى اذ كانت مشاغله تصرفه عن المنزل . وقد استطاعت أن تذكر الى ابعد حدود ذاكرتها مناظر حب بين امها و بين «رجال غرباء» وقد تزوجت هى نفسها من رجل لا يشبه اباها فى نوعه وحسب، ولكن يشبهه فى عمله ايضاً ، وبذلك اختلطت مع امها فى جميع النواحى

الفصل السادس

عشق الذات

تطلق كلمة عشق الذات على ذلك المركب الذى تتضمن أهم صفاته عبادة الذات او الاعجاب بالذات . ولسنا نبحث هنا عبادة الذات الواعيـه التى يمكن ان ترى فى حالات العارضين المصابين بتناسليه ذاتيـة ، ولـكننا نبحث حالة اكثر تقنعاً وخفـاء وعلى الاقل اضعف شبقيـة ، وذلك لان مركب عشق الذات يستمد اسسه الأولى فى ادوار النمو قبل الشبقية كما سنرى عنـد بحث تطوره ونموه .

ولا يمكننا الزعم بان الحياة النفسية للطفل تبدأ منذ عهد ولادته فقط ، وكما ان قلبه وهو جنين فى الرحم يخفق واعضاءه تتحرك فلا شك انه دون وعى يضع ايضا اساس عقليـته المستقبلة ويسجل بصورة ما اثر المنبهات المختلفة التى تصله وهو فى الرحم مثل الحركة والصوت .

ولننتقل الآن الى بحث مركزه هنا واثناء التغيرات التى تسبق الولادة وتعقبها

فقبل الولادة لو انه يملك اى خيال واع على الاطلاق لتوهم نفسه بطبيعة الحال المخلوق الوحيـد فى الوجود ، كما انه يكون ايضا كلى القدرة . وهو لن يعمل ولن يبذل اى جهد ومع ذلك فسيبقى دافئا وسينال حظه من القوت وسيكون بمنجاة من كل شر وبالاختصار كل « رغبات حياته » أو المرغبات غير الواعيه ستنفذ وستبقى كذلك على الدوام .

اما عند الولادة فان هدوء حياته الاولى يضطرب بعنف حين يمر من قناة ضيقة الى العـالم الخارجى البارد ، فيشعر باول الم ويستنشق اول نفس ويقوم باول جهد يصيح صيحاته الاولى حتى يجد كل شىء مناسبا مرة اخرى : يجد الممرضة تلفه وتدفئه وتضعه الى جانب امه ، اى انه يستعيد مكانه الدافىء مرة اخرى بقدر الامكان .

وفى الايام القليلة الاولى تعاد هذه العملية مع تغييرات طفيفة : يصيح فيطعم ، او يصيح فيدلل برفق لينام (كما كان يدلل وهو فى الرحم بحركات الام) ، او يصيح فتقال له اغنية رقيقـة (مثل

الاصوات الخارجية التى كانت تصله وهو فى الرحم) ، فينثنى على نفسه وينام . وبعبارة اخرى عند ما يصيح الطفل يرى ان كل رغباته تجاب فى الحال . وصحيح ان عليه ان يصيح ولكن بغض النظر عن هذا لا يوجد شيء يزعج هدوءه ، فكل العالم الذى يعرفه يتحرك عند صيحته الضعيفه ليجيب رغباته وليهيىء له جوا يشبه الجو الذى كان فيه اثناء الحياة الجنينية

ويستمر الحال على هذا النمط بضعة اشهر من حياة الرضيع ، وفى خلال هذه المدة يتصل الطفل الطبيعى بحقائق الحياة تدريجيا فيكتشف انه ليس كل شيء يخصه وليس كل شيء يؤدى الى سروره وبحسب السن الذى ينكشف فيه هذا الخيال عن الطفل تتوقف قدرته المستقبلة على تكييف نفسه

ومن الواضح ان الطفل الحديث الولادة يعيش فى عالم من الوهم والخيال حيث لا تكون اهميته النسبية واهمية الامور الخارجة عنه منحرفة عن الصواب فحسب بل تكون معدومة تماما . ولو استطعنا ان نفرض (او نتصور) طفلا احتفظ به صناعيا فى هذه الحالة حتى البلوغ : كل رغبة له تجاب على الفور ، وكل قوة يعرفها توجه فقط لاشباع رغباته العاجلة فلن نحتاج الى خيال كبير لنتصور كيف يكون حال هذا المخلوق كلى القدرة من الضياع اذا نزل فجأة الى العالم ليواجه الحياة وحقائقها . لن تكون له رغبة الا العودة الى حالة قدرته الاولى ، ولن يتجه لهجهد الا الى استبعاد الحقيقه او تحويلها الى الخيال اللذيذ الذى كان فيه خلال العشرين عاما التى مضت من حياته ، لانه كان على سبيل التحقيق قبل انقشاع ذلك الوهم عنه يعتقد نفسه الشيء القادر الحقيقى الوحيد فى دنيا من صنعه ومن نسج احلامه .

وحالة متطرفة مثل هذه هى بطبيعة الحال مستحيلة الوجود ، ولكن هناك درجات متفاوتة القرب منها . فاذا كان الرضيع يمنع من معرفة الحقيقة وقتا اطول من اللازم فانه يثبت بدرجة قليلة او كثيرة فى حالة الخيال الذى كان فيه .

وحينئذ يقال ان عنده تثبيتا ذاتيا قويا : مركب عشق الذات .

وهذا المركب موجود فى كل الناس ، ولكن بدرجات متفاوتة ، فكل انسان يعد نفسه اكثر الاشياء صدقا فى الوجود وان كان الاقلون منهم يبالغون فى هذا فيتوهمون ان الغير ليسوا الاجزاء من حلم يكون الحالم هو الشخص الحقيقى الوحيد فيه

شركة مصر

للدخان والسجاير

احدي مؤسسات بنك مصر

تصنع أنقى أنواع السجاير المضنوعة من

أجود أنواع الدخان

(التركى . البلغارى . اليونانى)

اطلبوها فى كل مكان

مطبعة المجلة الجديدة

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش — أغسطس سنة ١٩٣٩

تزيد على ماعند الامم الصغرى فان من البديهات التى يسلم بهـا كل انسان أن أسعـد الامم فى أوربا وأرقاها مدنية واعمها ثقافة هى الامم الصغرى أى سويسرا ودنمركا وأسوج وفنلندا — هذه الأمم التى لاتعرف من الجيوش سوى فصائل صغيرة ينطبق عليها وصف البوليس أكثر من وصف الجيش ولاتعرف من الاساطيل سوى سفن الصيد وزوارقه

وأسوأ مافى حرب الاعصاب الحاضرة انها جعلت الامم المسالمة تتكلم بلغـــة الحرب وتقيس الاشياء والقيم بالمقاييس الحربية وتعمم النظام المدنى الذى يخدم الحرب ويهيىء لها الجـو الذهـنى. وفوق هذا وأبلغ أثراً أن هذه الحرب العصبية أوجدت منذ الآن اقتصاديات الحرب. فان الفاشيـة الايطالية بدأت قبل سنين تطوى الفضائل الحربية وتطعن فى الديمقراطية ومبادىء الثورة الفرنسيـة القائلة بالمساواة ثم انتهت بالغاء النظام البرلمانى ومكافحة الاراء الحرة بجميع ألوانها وهى تعمـل الان للاستـكفاء الاقتصادى حتى أنها بدلا من أن تترك اللبن غذاء للناس صارت تحتجـزه لـكى يغزل وينسج ملابس. وهى الان تعمل للتوسع الامبراطورى وتجنيد الامة قاطبة. وهذا الجو الحربى الذى يعيش فيه الايطاليون قد «تـكيف» بجميع شروطه الحربية. وأولها وأهمها تقييد الحريات جميعها

ولـكن أسوأ مافى الظروف الحاضرة أن هذا الجو الحربى نفسه ساد كل أوربا بما فيها من أمم ديمقراطية جمهورية أوملوكية أو نازية أو فاشية، فان استعدادها للحرب أحدث هذا الجو، وهذا الجو لايتفق وصراحة الضمير وحرية الذهن، ولذلك ليس من الخطأ أن نقول أن الفاشية قد هزمت الديمقراطية الان من حيث انها أجبرتها على اتخاذ بعض خططها أى خطة الاستعداد للحرب. والاستـكفاء الاقتصادى، وتمجيد الشجاعة الحربية والنزعة الوطنية الخ.

فاذا انتهى هذا الاستعداد الى غايته المقصودة وهى الحرب، فماذا تـكون النتيجة

تـكون بالطبع هزيمة فريق من الامم ازاء فريق اخر منتصر. ولا يمكن بعد سفك الدماء ونشر الدمار، أن ننتظر من المنتصرين رحمة. إذ لابد من املاء الشروط التقليديه التى عرفها البشر فى جميع الحروب وأساسها «قرطاجنة يجب أن تدمر» فلا يمكن أن يكون انتصار دون أن يجـر فى أثره أو قبل تحقيقه احتفالا مهيبا بتدمير برلين أو رومة أو باريس أو لندن أى هـدم احـدى الحضارات القائمة كما حدث فى فرساى

ولـكن ذكر فرساى يجب أن يثير فى أذهاننا شيئا اخر . ذلك أن الحرب القـادمه ستـكون أو سوف تـكون نتيجة للحرب الماضية ، كما كانت الحرب الماضية نتيجة لحروب سابقة . وذلك أن أعظم الاسباب للبطش والحرب هى — كما يقول هكسلى — البطش والحرب . وذلك لما تغرسه الحرب أولا من أحقـاد تبعث على التشفى والانتقام . وثانيا لان الحرب والبطش يصيران عادة مألوفة وعرفا عاما بين الدول فلا يستنكران أو يجحدان .

وعلى هذا نحتاج الى كلمة أخيرة هى فى الحقيقة كلمة اليأس إذ لا يمكن تحقيقها القريب . وهى ان حاجة أوربا ليست الى هتلر أو تشمبرلن أو بونيه أو دالاديه أو موسولينى . وانما الرجـل الذى تحتاج اليه هو مثل غاندى الذى يزرع السلم لـكى يحصد السلم

التعليم الالزامى

نقترح على وزارة المعارف أن تصدر تقريرا عما انفقته الدولة على التعليم الالزامى منذ انشائه الى الآن . وعن عدد الذين تعلموا فيه ومقدار المستوى الثقافى الذى بلغوه . فان ما ينفق على هذا التعليم الآن يبلغ مليونى ونصف مليون جنيه . وبدهى أن أمة مثل مصر تواجه حكومتها فى الوقت الحاضر نفقات كبيرة وتطالب بتكاليف لم يسبق لها بها عهد — مثل هذه الأمة ومثل هذه الحـكومة يجب أن تحرصا كل الحرص على ألا تنفقا مليما فى غير وجهه السائغ فما بالك بمليونى ونصف مليون جنيه فى العام ؟

ونقترح هذا الاقتراح لاننا نخشى أن نكون قـد تورطنا فى أسلوب من التعليم قد اتضح خطأه منذ أن أنشأنا أول مدرسة أو أول مكتب له . واننا نسير منساقين فى الخسارة بقوة الابتداء . وأن هذا التعليم قد تفرع وتفشى فى انحاء البلاد ولذلك نفتر عن النشاط الذى يستدعيه الغاؤه كله واستبدال أسلوب آخر به . ولـكن تعدد المـكاتب لهذا التعليم يجب ألا يصدنا . فان الذى يطلب منا ليس هو الغاء المـكاتب وانما هو الغاء الاسلوب التعليمى فيها

اننا نقتصر فى انتقاد التعليم الالزامى على ما يلى :

١ — انه يقصر التعليم على نصف اليوم فلا يجد الصبي أو الصبية الوقت الكافى للتعليم

٢ — ان التلاميذ يخرجون من مكاتب التعليم الالزامى بعد أربع سنوات من المواظبة وهم غير قادرين على القراءة

٣ — أن هذا التعليم حتى لو نجح يفصل بين أبناء الفقراء وابناء الاغنياء لأن الاولين يتعلمون فى المدرسة الالزامية . والآخرون فى المدرسة الابتدائية . وهذا الاختلاف فى الثقافة لا يعمل للتجانس فى الرأى العام المصرى

٤ — ان سهولة انشاء هذه المدارس الالزامية قد ضللتنا عن الغاية وهى التعليم . لأن المدارس صارت تتعدد وليس عندنا تعليم

٥ — ان مبلغ مليونى ونصف مليون جنيه تنفق فى ظروفنا الحاضرة مع عقم النتيجة ليس من الامور التى يمكن أن يتسامح فيها

* * *

هذه هى الاسباب التى تحتم علينا المبادرة باصلاح هذا التعليم . وعندنا أن أكبر عقبة نواجهها هى العقبة السيكلوجية . فاننا عند ماحققنا استقلالنا ونهضتنا الحاضرة كان أعظم مايؤلم نفوسنا ويجرح كرامتنا أن الامية كانت تتفشى فى أكثر من ٩٣ فى المئة من السكان . والتعليم فى مثل هذه الحال يبدو كأنه ترياق لكل داء . ولذلك هرولنا بدلا من أن نسير مطمئنين . والتعليم الالزامى هو ثمرة هذه الهرولة

وعندنا أنه يجب أن نقف هنيهة للتفكير . ولو فعلنا لأدى بنا هذا التفكير الى ايثار المدرسة الاولية التى يتعلم فيها الصبيان طول النهار على المدرسة الالزامية التى لا يتعلمون فيها سوى نصف النهار

* * *

ومع ذلك لانقول أن المدرسة الاولية هى المدرسه المثلى ، ولكن يمكن أن نعتمد عليها ونسير بها رويدا رويدا حتى تصير هى والمدرسة الابتدائية سواء فى النظام والمواد التعليمية . وصحيح أن هذا الطريق بطىء . ولكنه مع بطئه أكيد فى الفائدة . لاننا سنجنى منه تعليما تعليما صحيحا وليس زائفا

كالذى نحصل عليه الان . ثم اننا نجنى منه توحيدا فى الثقافة الاولى عند ابناء الامـة عندما تستحيل المدرسة الأولية الى مدرسة ابتدائية

وقد يقال أن التكاليف ستكون أكثر ، ولـكن إذا نحن اقتصرنا فى السنوات الاولى على اعانة المدارس الاولية الاهلية بمبلغ يتراوح بين ٥٠و١٥٠ جنيه لـكل مدرسة فى العام فمما لاشك فيه أننا نجنى الثمرة الزكية منذ البدء فى هذا المشروع دون أن نتورط فى تـكاليف باهظة

أن جميع المتصلين بالتعليم الالزامى من رجال الوزارة بل جميـع الآباء قـد انتهوا الى أن هـذا التعليم عقيم فى أسلوبه وغايته . ووزارة المعـارف تئن من تـكاليفـه الباهظـة . فأزاء ذلك يجب التفـكير والعمل

كتاب جديد

قبل اشهر ظهر كتاب يدعى « الاتحاد هذه الساعة » لمؤلفه كلارينس ستريت . وقد بعث هذا الـكتاب جميع المفكرين على التعليق عليه ومناقشة نظرياته والاهتمام بارائه . فان المؤلف يرى ان احتفاظ كل امة باستقلالها فى العصر الحاضر يؤدى بطبيعته الى الحرب وان طريق الخلاص من القلاقل القائمة والقادمة ينحصر فى ان تنزل الامم عن استقلالها وتدعمه فى اتحاد عام اى حكومة عامة تكون لهـا وحدها السيادة دونهن جميعا

وليس المؤلف خياليا يرسم فى ذهنه طوبى جميلة يجمع فيها المثليات : فانما هو كاتب سياسى قد امتزج دمه بوقائع الحرب الماضية ومخاوف الحرب المتوقعة . وهو يرسم برنامجا مؤيدا بالاحصاءات عن السكان والمواد الخامة والاموال مع النظر الى المبادىء الديمقراطية التى يصرح بانها مبادئه . ولما كان هذا الـكتاب موضوع المناقشات المتوالية فانا نرى ان نبين هنا للقارىء اغراض المؤلف فيه

« ٠ »

يرى المؤلف أن احتفاظ كل امة فى فى العصر الحاضر باستقلالهـــا وسيادتها يؤدى الى ثلاث مساوىء هى :

١ — الفاقة لاعتماد كل أمة على الوطنية الاقتصادية وسياسة الاستـكفاء واقامة الحواجز الجمركية

٢ — هدم الحرية بين ابنائها لأن المزاحمة الاقتصادية بين كل أمة وأخرى تؤدى الى الاستعداد الحربى ثم الى الحرب، وكلاهما يهدم حق الحرية الشخصية للافراد

٣— التخاذل بين الامم لمنع الاعتداء لأن كل أمة تحرص على مصلحتها الخاصة وقد ترى هذه المصلحة فى المساعدة على هذا الاعتداء لا على منعه

وكل هذه المساوىء مجموعة تؤدى الحرب . ولذلك يرى المؤلف انه لابد من ان تتحد الامم الديمقراطية لايجاد حكومة تتقى بها الحروب . فاذا قيل ان هذه الحكومة قائمة بالفعل فى عصبة الامم رد المؤلف بأن هذه العصبة ليست عصبة أمم وانما هى عصبة حكومات والمطلوب هو اتحاد الامم وليس اتحاد الحكومات . وهو يرى ان هذا الاتحاد ضرورى لكى يجعل حقوق الانسان مقدسة ولكى يزيل العوائق التجارية . ولـكنه يرى أيضا ان جميع الامم التى تعيش على هذه الكرة ليس لها الحق فى هذا الاتحاد . بل ان هذا الاتحاد لن ينجح اذا اندمجت فيه جميع الامم . إذ يجب قبل كل شىء ان تكون الامم التى تندمج فى هذا الاتحاد متجانسة من حيث الرقى السيـاسى والاجتماعى والاقتصادى تعيش فى حضارة ويسودها روح وتشترك فى مؤسسات متشابهة . وهو لذلك يختار خمس عشرة امة ديمقراطية يرى انهن متجانسات فى هذه الاشياء وانهن اذا اجتمعن فى اتحاد لم يحدث بينهن تنافر يؤدى الى الخيبة والتفرق . وهذه الامم هن :

الولايات المتحدة الامريكيه . بريطانيا العظمى . فرنسا . كندا . استراليا . ايرلندا. اسوج ، نروج . دنمركا . هولندا . بلجيكا سويسرا . فنلندا . افريقيا الجنوبية . زيلندا الجديدة

وعنده ان هذه الامم جميعها ديمقراطية روحا وحضـارة ومؤسسات فيمكنهن الاتفاق أذا ألفت من بينهن حكومة اتحادية على النحو الذى ألفت به حكومة الولايات المتحدة الامريكية . فهناك مثلا ٤٨ ولاية . كل منهن مستقلة ، ولـكنهن قد ارتضين حكومة اتحادية منهن فى واشنطن ونزلن لها عن بعض حقوقهن

وبهذه الحكومة صار السلم مأمونا بينهن . واذا ألفت مثل هذه الحكومة الاتحادية كان عدد رعاياها أكثر من ٢٥٠ مليون فلا يمكن أية دولة فى العالم ان تجرؤ على اثارة حرب عليها . ثم ان هذه الحكومة ستختار بالطبع عاصمة . وسيكون لها لغة تتفق عليها هذه الامم اى ان كل امة تحتفظ

بلغتها الاصلية ولـكنها تعلم لغة اخرى هى لغة الحكومات الاتحادية

والمؤلف يرى ان هذه الامة الجديدة المؤلفة من ١٥ امة ستكون رعية واحدة تجيز الهجرة بين ابنائها وتجعل التجارة حرة بلا اى حاجز جمركى . ولـكنه يرى ان هذا لا يجوز ان يحدث فى البداية وانما يسير رويدا حتى لا ترتبك الاقتصاديات فى احد الاقطار بالازدحام او بانتقال الموارد الاقتصادية

ومن المفيد أن نقول انه قسم العالم ثلاثة أقسام هى :

١ — الامم الديمقراطية التى ذكرناها والتى تؤلف الحكومة الاتحادية

٢ — أمم يمكنها أن تدخل فى هذا الاتحاد اذا قبلت الروح والحضارة والمؤسسات التى تمتاز بها الامم الديمقراطية السابقة . وقد رسم خارطة ووضع مصر بين هذه الامم

٣ — الامم التى تحتاج للوصاية

وقد يقول كثيرون أن المؤلف خيالى . ولـكن مثل هذا المشروع لن يكون أغرب سنة ١٩٣٩ مما كان مشروع عصبة الامم غريبا سنة ١٩١٤

تناقص السكان فى فرنسا

ذكرت التلغرافات بعض التفاصيل عن التدابير الجديدة التى ستتخذها الحكومة الفرنسية لمكافحة نقص عدد السكان فى فرنسا . وهى تنحصر فيما يلى :

١ — انفاق ٧٥٠ مليون فرنك تؤدى اعانات للمتزوجين الذين يأخذون منها بنسبة عدد الاطفال

٢ — تعطى قروض تتراوح بين ١٥ الف فرنك و ٢٠ الف فرنك للشبان الذين تزوجوا حديثا واشتغلوا فى الزراعة بشرط ان يبقوا بالريف

٣ — تعطى اعانات بنسبة عدد الاطفال فى الاسرة الريفية والحضرية وبصرف النظر عن مقام الاسرة الاجتماعى

٤ — يعطى للناخب عدد من الاصوات فى الانتخابات يتلاءم مع عدد اطفاله

٥ — تمنع الدعاية ضد الحمل

هذه هى خلاصة المشروع الجديد . وفرنسا من الامم التى فشا فيها ضبط التناسل ومنع الحمل منذ أكثر من مائة سنة . وهذا الى هجرة سكانها من الريف إلى المدن حتى انحطت الزراعة وتضعضعت الاقتصاديات الوطنية

ولذلك اصبحت قلة التناسل مسألة مزدوجة تتصل بانحطاط الريف وبقلة السكان . ولو كانت كل أوربا تسير على الاسلوب الفرنسى فى التناسل وتكف عن الزيادة فى السكان لما عنيت فرنسا باتخاذ هذه التدابير الجديدة . ولكنها — أى فرنسا — تجد نفسها ازاء الزيادة المطردة فى السكان وخاصة فى المانيا وايطاليا مع ركود سكانها أو حتى مع تناقصهم . وقد سبق أن قال أحد القواد الفرنسيين « اننا نخسر كل عام معركة سيدان » وهو يعنى بذلك أن هذه المعركة التى انهزم فيها الجيش الفرنسى سنة ١٨٧٠ أمام الجيش الالمانى تتكرر كل عام لان المانيا تزيد فى السكان كل عام نحو نصف مليون أو أكثر على الشعب الفرنسى

والتجاء فرنسا الى هذه التدابير يقف القارىء على هذه الفكريات الفاشية التى تغزو الامم الديمقراطية . فان موسولينى هو الذى ابتدع الفكرة القائلة بتشجيع التناسل وهو الذى شرع فى تأدية اعانات مالية للمتزوجين . ثم جاءت المانيا فأخذت بهذه الفكرة وزادت عليها . ومع أن كلا من الالمان والايطاليين يشكون ضيق وطنهم فانهم يزيدون هذا الضيق بزيادة السكان . ثم تأتى الامم الديمقراطية التى تعارض المبادىء الفاشية فتأخذ بهذه المبادىء نفسها وهى مضطرة لأنها لا تطيق أن ترى الزيادة المطردة فى خصومها فى حين تقف هى عن الزيادة

وتناقص السكان يصيب الانجليز كما يصيب الفرنسيين ولكن بدرجة خفيفة . وهم فى بريطانيا يتهكنون باليوم القريب حين ينخفض عدد التلاميذ فى المدارس فيلغى بعضها أو تلغى فيها بعض الفصول . والى الان لم يفكر الانجليز فى سن قانون للتشجيع على الزواج

ولكن مادامت أوربا فى حالها الحاضرة من النزاع فان القيمة الكمية للسكان ستزداد بروزا . وكما أن التسابق يجرى الان فى التسلح بالمدافع والطائرات فانه لا بد سيجرى أيضا فى التناسل . فان الجندى هو المادة الانسانية للحرب . ولا قيمة للالات الجهنمية مالم يكن وراءها عدد ضخم من الجنود قد اعدوا للهلاك والاهلاك

التفكير الديني الحديث

في أوربا

لايبعد عن الصواب كثيرا من يقول ان الازمة الاوربية القائمة هي أزمة دينية قبل كل شيء فان العقائد القديمة قد تزعزعت بحملات العلم المتوالية عليها . ولكن في الوقت نفسه لم يقم شيء مقامها لان العلم لايمكن ان يكون عقيدة

وهذا هو مايشعر به العلماء انفسهم بل هذا هو مايشعر به حتى الفلاسفة الذين كانت لهم يد في هدم العقائد الدينيه . والعجب اننا الان نجد ملحدين يدعون الى الدين . ولكنهم يطلقون عليه اسماء مختلفة مثل الروحانية أوالبشرية أو قداسة الحياة أو نحو ذلك . فهذا مثلا برتراند رسل . فانه عالم انجليزي لايفتأ يهدم العقائد الدينية الشائعة بين المسيحيين ولكنه يقول في أحد مؤلفاته :

« اذا كان النظر الديني سيعود الى الاستيلاء على الافكار والمشاعر عند الاحرار والحرائر من الرجال والنساء فان كثيرا مما اعتدنا أن نلصق بالدين يجب أن ننبذه . وأول وأهم تغيير نحتاج اليه هو ايجاد أخلاق الابتكار وليس اخلاق الخضوع : اخلاق الأمل وليس اخلاق الخوف حيث نعمل الاشياء التي يجب أن تعمل ولا نقتصر على الاشياء التي يجب الا تعمل . ولا ينحصر واجب الانسان في أن يمر بالعالم وكل همه أن ينجو من غضب الله . فان هذا العالم هو عالمنا وعلينا وحدنا المسئولية في أن نجعله جنة أم جهنم . والقوة في يدنا . وكذلك يمكن أن يكون الملكوت والمجد لنا اذا كانت لنا الشجاعة والبصيرة حتى نوجدهما . والحياة الدينية التي يجب أن ننشد لن تكون حياة الوقار والمحظورات الخرافية وكذلك لن تكون حياة حزينة ناسكة . ولن تعنى كثيرا بقواعد السلوك . وسيكون الحافزها رؤيا الحياة الانسانية كما يمكن أن تكون . وستكون سعيدة ببهجة الخلق وستعيش

فى عالم حر من الابتكار والامل وستحب النوع البشرى لالظواهره القائمة بل للخيال الذى يعتمد على مافى البشرية من الممكنات »

ثم يقول أيضا فى انتقاد الحياة الدينية التقليدية :

« ان حياة الروح قد تأثرت تأثرا سيئا فى العصر الحديث لاشتراكها مع الديانة التقليدية ولكراهتها الظاهرة لحياة الذهن وأيضا لانها كما يبدو عليها قد انحصر نشاطها فى التحريم . وليس شك فى أن حياة الروح تطلب التحريم حين تدعو الدواعى لذلك . ولكنها فى صميمها حياة ايجابية قادرة على أن تخصب وتغنى الوجود الانسانى كما يخصبه ويغنيه الذهن أو الغريزة . وهى تجلب معها لذة الرؤيا وعمق العالم وأسراره وتأمل الحياة وفوق كل هذا تجلب أيضا لذة الحب العام . وهى تطلق الذين يحيون بها من سجن الشهوات والهموم الدنيوية كما انها تكسب افكار الانسان ومشاعره وعلاقاته بالاخرين حرية وسعة وجمالا . وهى تزودنا بالحل للشكوك وتزيل عنا الشعور بان كل شىء فان لاقيمة له »

« • »

ويرتراند رسل هذا — على أنه ملحد — يرى أن النشاط ينبعث فى الانسان من ثلاثة مصادر هى

١ — الغريزة التى بها نأكل ونشرب ونتناسل الخ

٢ — العقل الذى نفكر به ونستطيع أن نجعل هذا التفكير غير شخصى حين نجمع المعارف مثلا

٣ — الروح الذى يصدر عنه احساس غير شخصى للفنون والدين

وعنده ان السعادة الانسانية لايمكن أن تتحقق الا اذا اجتمع فى الانسان هذه الثلاث ونمت نموا متكافئا

فالناسك الذى ينكر بعض غرائزه ليس سعيدا . والعالم الذى يحصر نشاطه فى الرقى الذهنى ويهمل روحه وغرائزه لايسعد كذلك . وكل من يهمل روحه فلا يفكر تفكيرا نزيها — بعيدا عن شخصه — فى الفنون والانسانية لايمكن أيضا أن يكون سعيدا

وهذا مع ذلك تفكير ملحد . ولعل مما يلذ للقارىء أن يعرف عن برتراند رسل أنه يجحد الحرب وانه حبس مدة الحرب الكبرى لانه رفض أن يقاتل الالمان

ومن المفكرين الاخرين رجل آخر هو البيرت شفايتزر . وهو المانى قد حاز درجة دكتور فى الموسيقا . والطب . واللاهوت . ولكنه معدود بين الاوربيين هرطيقا أى زنديقا . وهو قد ترك أوربا واستقر فى لمبرين فى افريقيا بين الزنوج يعالج مرضاهم وعنده أن الحياة مقدسة واليك مايقول

« كلما آذيت حيا من أى نوع يجب أن أكون واثقا هل هذا الاذى ضرورى أم لا . ويجب ألا اتجاوز أبدا حدود الضرورة التى لامهرب منها حتى فى الحالات التى تبدو كأن لاقيمة لها . فان الفلاح الذى قطع ألوف الزهر فى مرعاه علفا لبقرته يجب أن يحرص وهو عائد الى البيت على ألا يسقط زهرة واحدة اعتباطا وتسلية على حافة الطريق مالم يكن مضطرا الى ذلك بقهر الضرورة »

وقوله : « كلما اضطر حيوان الى خدمة الانسان أصبحت الآلام التى تنشأ من هذه الخدمة موضوع اهتمام كل فرد منا . ولايجوز لأحد أن يسمح بايقاع الألم مادام قادرا على منعه ومادام يتحمل المسئولية عنه . وعلى كل انسان ألا يحجم عن تحمل مسئوليته . . أن حرمة الحياة تضعنا فى مكان مخيف من المسئولية من حيث علاقتنا بغيرنا من الناس . وحرمة الحياة لاتجيز لى ان أمارس حقوقى الممارسة المطلقة ولاتجيز لى مثلا أن أطمئن باعتبارى كفئا بان اتقدم على حساب من هم أقل كفاءة منى . وثم مذهب مقلق يهمس الى : أنت سعيد فيجب أن تعطى كثيرا . وكلما كان نصيبك من الصحة والكفاءة والقدرة والنجاح والطفولة السارة وجو الوفاق فى البيت وجب عليك ألا تستأثر به كأنه قد جاءك عفوا بطبيعة الاشياء . إذ يجب أن تؤدى ثمنه . وهو أن تقدم بالبذل والتضحية من حياتك لحياة الاخرين »

« ° »

هذان مثالان لاثنين من المفكرين الدينيين فى أوربا وهما يدلان على القلق النفسى — يـل الدينى — يصيب العلماء والفلاسفة أزاء الاضطراب العالمى الحاضر

العائمات الثلجية وطرق تدميرها

حينما يفكر الانسان منا فى ان يقضى بضعة من ايام الصيف فى اوربا للسياحة أو الترويح عن النفس لا يجد امامه وسيلة اسهل واوفر للراحة من السفن البخارية الا انه يندر ان يفكر فيما يقابل هذه الماخرات من الصعاب فى الملاحة سواء فى البحار أو المحيطات.

ولعل اخطر طريق للملاحة العظمى بين اوربا وامريكا واعنى شمال الاطلانطى وذلك لوجود العائمات الثلجية به وخصوصا فى فصل الشتاء ومازالت ولاتزال تلك العائمات خطرة للملاحة واى خطر مهما أتخذ نحوها من احتياطات كبيرة كالمراقبة الدولية واذاعة الاشارات اللاسلكية عن محل وجودها ومنطقة خطرها.

وليتصور القارىء ان عائمة من هاته العائمات تسعى تحت جنح الظلام فى عباب المحيط وان مركبا هائلا من هاته المراكب المحيطية سائرة مطمئنة فى طريقها ولم تقع تحت نظر الضابط المنوط لقيادة السفينة . فهناك تأتى اشارة النجاة متأخرة عند وقوع الصدمة وليس هناك متسع من الوقت لنجاة هذا العدد الغفير من الخلق المتجمع على سطحها . وهناك هجوم شديد على قوارب النجاة ونضال عنيف بين الحياة والموت ولا تلبث تلك المحيطية الضخمة بما عليها من ارواح بريئة حتى تأخذ طريقها الى قاع المحيط .

وليست العائمات هى التى تقف سدا فى وجه الملاحة فحسب بل ان تجمد مياه الأنهار الشمالية شتاءا يعوق الملاحة مدة طويلة من السنة فيضيع بذلك ملايين الاموال كان يمكن تجنبها لو ازيلت تلك العوائق .

ولقد كانت الطريقة الوحيدة ولا تزال لتقليل ذلك الخطر هى تدميرها بالديناميت أو مفرقعات أخرى ولـكنها لاتأتى بالنتيجة المرغوبة نظراً لانها تضر بطرق المواصلات العمومية والمساكن التى على ضفاف تلك الأنهار .

ولهذه الاسباب استنبط الاستـاذ هوارد بارنس عضو الجمعية والدكتور فى العلوم بجامعة مونتريال كندا وسيلة لتدمير العائمات الثلجية والميـــاه المتجمدة بالأنهر ولقد قام بعمل تجارب استغرقت سنوات عديدة ـ ولقد كان لاختراعه من الفائدة العظيمة فى امكان تدمير تلك العائمات أو المياه المتجمدة بالأنهر بطريقة جديدة دون احداث اى خطر أواضرار سواء فى البحار أوالأنهار الآهلة بالسكان .

ويتكون هذا الاختراع من استعمال حرارة فى درجة عظيمة تبلغ ما بين ٢٠٠٠ ، ٣٥٠٠ بواسطة الثرميت حتى انه لشدة الحرارة المنبعثة منه تذيب الحديد الذى بداخله لدرجة انه لايمكن النظر اليها الا خلال نظارات سوداء .

معلوم انه اذا وضعنا حديدا منصهرا لدرجة الأحمرار فى مياه او ثلج تتحول ذرات المياه (Hos) الى عواملها الاولية اى او كسجين وهيدروجين والتفاعل الكيماوى الحادث هو اتحاد ذرة من ذرات الاوكسجين مع الحديد لتكوين اوكسيد الحديد وتعمل ذرة الهيدروجين باتحادها مع ذرة الاوكسجين الاخرى الموجودة بالهواء الفرقعة المطلوبة .

وعلى هذا تكونت نظرية الثرميت الحديثة فى عمل الفرقعة المطلوبة وفى تشقيق وتفتيت الكتل الثلجية تدريجيا وهذه الفرقعة لها مزاياها فى فعلها البطىء بانها لا تضر بالكبارى أوطرق المواصلات أو الاسماك الموجودة بالانهار علاوة على ان صوت الفرقعة من الضعف بحيث انه لا يؤثر على زجاج نوافذ المساكن وفى الوقت نفسه فانه غير قابل للفرقعة من نفسه ويمكن التداول به وحمله من مكان لآخر بدون احداث اى خطر يخشى منه كالديناميت والمفرقعات الاخرى . ومن مميزاته ايضا ان كمية الحرارة المنبعثة منه بطريق التشعع لتدمير كمية من الثلج صغيرة لو قورنت بالحرارة اللازمة بالتوصيل لاذابت هذه الكمية عينها من الثلج . فيستنتج من ذلك انه يفعل فعله فى الثلج عن طريق الفرقعة البطيئة فقط وليس عن الحرارة والا لاحتجنا الى حرارة هائلة مستديمة لاذابة تلك الكتل .

وقد قام الدكتور بارنس وجملة من العلماء برحلة الى شواطىء نيوفونلاند الشرقى بالقرب من من خليج نوتردام لتجربة الثرميت فى تفتيت ثلاث عائمات اختاروها من جملة عائمات . ونذكر منها التجربة الاتية فى احداها التى تبلغ فى الطول ٥٠٠ قدم وفى العرض مساحة واسعة جدا وكان الجزء

الظاهر منها ٧٥ قدما . وقد وضع الترميث ووزنه ٥٠٠ رطل فى اناء مصنوع من الحديد الملبس بالمعدن مبطنة حوائطه صنع خصيصا لهذا الغرض . وحفروا له حفرة تبلغ الثلاث الاقدام وأولعوه وتركوه وقد كان لتأثيره ان تشققت تلك العائمة الهائلة رويداً رويداً وتشتت اجزاؤها فى المحيط المتسع حتى انه لم يبق منها شىء بعد يوم كامل .

وقد اثبتت هذه التجارب ومثيلاتها فائدة الترميث العظيمة فى تفتيت تلك العائمات الثلجية ولا تمضى سنوات قليلة حتى نرى مياه المحيطات الشمالية مفتوحة للملاحة الدولية طول العام ؟ ت

التعليم

الشكوى عامة بين طلبة الجامعة وتلاميذ المدارس من صعوبة الامتحانات وقلة الناجحين . والمطالبة بخفض درجات النجاح من ناحية الطلبة والتلاميذ معقولة لان هذا الطريق هو أقل الخطوط عقبات كما يقول الانجليز . ولكن أولياء الامور مضطرون الى أن يراعوا المستوى العام للثقافة والمقابلة بين هذا المستوى فى مصر وغيره فى الاقطار الاجنبية

والواقع ان المستوى قد انحط انحطاطا عظيما جدا فى المدارس الثانوية . فان شهادة الثقافة كادت تنزل الى مستوى الكفاءة قبل عشر سنوات

ويلوح لنا انه يمكن أن تعالج الدراسة فى مصر من وجه آخر هو زيادة حصص التعليم فى الاقسام الثانوية . فقد حسبنا عدد الايام التى يقضيها التلميذ فى مدارسنا فى العمل وقابلناها بالاجازات السنوية والاسبوعية فوجدنا أن الاجازات تبلغ سبعة أشهر تقريبا . اما العمل فيبلغ خمسة أشهر فقط . ومعقول أن ينخفض المستوى التعليمى لهذا السبب

ومدارس الفرير واليسوعيين فى القاهرة يمكن أن تنيرنا عن هذا الموضوع

بمناسبة عقد المؤتمر الرابع للاديان بباريس

التقرب بين الاديان

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

ينعقد فى السوربون بباريس فى صيف هذا العام (٣ — ١١ يوليه) الاجتماع الرابع لمؤتمر العقائد والاديان . وتبذل الحكومة الفرنسية ، التى تقدر حرية العقيدة ، جهدا صادقا من أجل نجاح هذا المؤتمر العالمى وتحقيق الغاية التى قصد اليها . وعملت على أن يمثل فرنسا ومستعمراتها عدد من مختلف الأديان إلى جانب ممثلى أديان الارض

الى هذا المكان سيحضر ممثلو الهندوكيين من الهند والبوذيين من الشرق الاقصى والمسلمين من الشرق الادنى واليهود والمسيحيين من أنحاء أوربا وأمريكا

وستشترك مصر فى هذا المؤتمر إذ تلقت مشيخة الازهر منذ زمن كتابا من الهيئة الدائمة لمؤتمر الاديان يتضمن دعوة الى ايفاد ممثل للازهر وقد لبت المشيخة هذه الدعوة وكلفت مبعوث الازهر بباريس تمثيل الازهر فى المؤتمر

وبالطبع ان هـــذا المؤتمر لن يبحث فى المفاضلة بين الأديان ولن يتنافس فى محاسن كل دين ونقائصه لان تلك كانت مناظرات القرون الوسطى ، أما اليوم فقد تطور معنى الدين وتقاربت وجهات النظر وبدأ العقلاء يدعون إلى العالمية والوحدة والأخاء العام . ولهذا فان أعضاء هذا المؤتمر سيتناقشون فى موضوع رئيسى هو : « كيف نرقى روح الاخاء العالمى عن طريق الدين » وسيتشاورون فى الوسائل التى تحقق السلام العام وتوفر للعالم أسباب الطأنينة والرخاء

فلكل أمرىء أن يبقى فى ولائه لدينه الخاص كما يظل مخلصا لاسرته الخاصة فان ذلك يساعد على خلق رأى عام دينى قوى مؤسس على الخواص الروحية لجميع الاديان :

ولقد شعر منظمو هذا المؤتمر العالمى أن الفرصة ملائمة لعقد مثل هـذا الاجتماع فى وقت تتوالى فيه الازمات وينتشر القلق والاضطراب فى ربوع العالم . فيرى هـذا العالم المتخاصم فى هذا المؤتمر الروحى معنى لانسانية مشتركة متآخية

هذا هو الاجتماع الرابع لمؤتمر الأديان وقد سبقته ثلاثة مؤتمرات كما سبقته الوف المحاولات لجمع هذا القطيع البشرى المبعثر فى حلقة من الوحدة والاخاء والتضامن والسلام

وقد انعقد من قبـل فى ادنبرة مؤتمر الايمان فى صيف عام ١٩٣٧ وكان من أجمل صوره تلك التى ظهر فيها أحد قساوسة الصين ومطران البانيا وأسقف لندن وقمص قبطى وعالم أزهرى جالسين جنبا الى جنب

وفى العالم اليوم مئات الاديان وألوف المذاهب وقد انقرضت ألوف من العقائد والمذاهب ولكن العجيب انه قلما تلقى دينا لا يقول بالتسامح والاخاء

وأهم أديان الارض اليوم البوذية والمسيحية والاسلامية والـكونفوشيوسية والهندوكية واليهودية والزرادشتية والبهائية وعبادة الحيوانات

أما المذاهب التى تفرعت عنها فتكاد لا تحصر

فى القرن الرابع عشر قبل الميـلاد كان أخناتون يدعو الى توحيد الاديان المعاصرة له والايمان بإله واحـد كما كان يدعو الى السلام وكراهة الحرب والاستعمار والاستخفاف بالفروق الجنسية والرؤيا الواسعة الآفاق . ولـكنه كان سابقا لعصره وسرعان ما انطفأ نور دعوته

وكان فلاسفة اليونان يدعون إلى تحرير الفكر والايمان بالعقل وعدم التشبث بالخرافات والتقاليد

وجاء بوذا حوالى القرن السادس قبل الميـلاد وأسس الديانة البوذية العظيمة التى تقول بمحبة خير البشر وبتحرير النفس وخلاصها بضبط النفس والمحبة دون التجاء الى أية طقوس أو تقاليـد أو تعاويذ أو كهنة أو آلهة . وكان يدعو إلى التسامح ومقاومة الشر بالخير والـكف عن ايذاء أى مخلوق

أما اليهود فكانوا يؤمنون بأنهم شعب الله المختار وأن الههم هو اله اسرائيل ، ولـكن ليس بين أنبياء اليهود من لم يدع الى الخـير والرحمة والبر . وكان اشعياء النبى يحـلم بعالم يسوده الاخاء العام والصفاء والسلام فيتنبأ قائلا : «فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل

والمسمن معاً وصبي صغير يسوقها . » ويقول أيضا : « وحينئذ لا يرفع شعب سيفه ضد شعب آخر ولن يعرفوا الحرب بعد ذلك . »

ثم جاء المسيح فأسس ديانته على العالمية والمحبة الشاملة والاخاء العام وعدم التفريق بين الغريب والقريب فيقول : « وتكون رعية واحدة وراع واحد . » ويدعو الى المحبة قائلا : « هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم ، ليس لاحد حب أعظم من هذا : أن يضع أحد نفسه لاجل أحبائه » ويوصى سامعيه بقوله « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويضطهدونكم . » . وكانت الفكرة التى تحمس لها يسوع وشغلت أفكاره هى فكرة تأسيس « ملكوت الله » كما فى السماء كذلك على الارض . وهذا الملكوت الارضى هو الطوبى « يوتوبيا » التى تشمل الانسانية عامة نبيلة قوامها المحبة الشاملة والعطف على الضعيف والصغير والاخاء البشرى فى حمى أب واحد رحيم نحن جميعا أبناؤه بلا تمييز ولا تفريق ولا محاباة

وكان تلاميذه يدعون بعده الى هذا الاخاء العام والتسامح المطلق فكان بولس الرسول يقول . « وصنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض » . . لاننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا إلى جسد واحد يهودا كنا أم يونانيين ، عبيدا أم أحرارا وجميعنا سقينا روحاً واحدا . . . »

ثم جاء الاسلام يدعو أيضا الى الاخاء والوحدة والرحمة . فجاء فى القرآن الكريم : يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله اتقاكم » . . وجاء أيضا « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء »

يقول الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى : « قد عنى الاسلام بفكرة الاخوة الانسانية فقد نبه القرآن الكريم إلى وحدة الابوين الموجبة للتعاون والتعارف والتناصر والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس . ووضع معيارا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل هو تقوى الله »

وأما الآيات والأحاديث التى تدعو إلى بر الاسلام بغير المسلمين فكثيرة

ثم جاء نفر من المفكرين يعملون على التقرب بين الاديان نذكر منهم على سبيل المثال : اكبرخان

وهو سلطان هندى من سلاطين المغول ظهر فى القرن السابع عشر ودعا الى ايجاد دين من كل الاديان وسماه دين الأديان ودعا الى مؤتمر يجمع بين المسيحية والاسلامية والهندوكية

ومنهم رام موهان روى وهو هندى ظهر فى القرن التاسع عشر وكان شغوفا بالحقيقة متحرر الذهن ساح كثيرا ودرس لغات عديدة ومات بانجلترا وكان يعتقد « أن هناك رابطة روحية تربط جميع البشر وأن غاية الدين هى الوصول الى هذا الاتحاد الاساسى فى العلاقات والجهود والاعمال الانسانية »

ثم ظهرت البهائية فى القرن التاسع عشر وكان بهاء الله ثم ابنه عباس عبد البهاء يدعوان الى اعتقاد دينى واحد يأتنف عليه جميع البشر بعد أن يتحرر العقل من الخرافات والاوهام ونصت التعاليم البهائية بان جميع الناس اخوة وحاربت البهائية التعصب الدينى والقومى واللغوى والجنسى والسياسى والاجتماعى ودعت الى العالمية والاتحاد العام والاخاء الشامل . .

وكان تولستوى فى دعوته الى الاخاء يقول : « ليست كل التعاليم الدينية إلا تعاريف للحياة الموصلة الى السعادة الحقيقية التى فى امكان البشر الوصول اليها » وقد دعا تولستوى الى التقرب والتفاهم بين الاديان كما دعا فى انجيله الى توحيد مذاهب المسيحية على تعاليم الأنجيل الذى لم يقل بهذا الانقسام

أما الداعون الى العالمية فى هذا العصر فانهم لم ينسوا الدعوة الى التقرب بين الاديان المختلفة ورأوا أن التعصب الدينى لا يفترق عن التعصب الجنسى فى اثارة المنازعات والمشاجرات والخصام حتى بين بنى الوطن الواحد بل بين بنى الدين الواحد

اننا نرجو فى النهاية أن ينجح مؤتمر الاديان بباريس فى ايجاد هذا التفاهم المشترك الذى تنتظره الانسانية المشتتة منذ أجيال عديدة ؟

دميــــــــاط

مدينة الحقائق والاحلام

تمتاز هذه المدينة بموقع جميل نادر ، فهى جاثمة على مقربة من مصب النيل فى البحر المتوسط ، وهى أشبه بجزيرة تحوطها أمواج البحر من الشمال ومياه بحيرة المنزلة شرقا ، ويتدفق النيل متسعا رحيبا من الغرب - وهى فى عزلتها فى أقصى شمال القطر فى تلك البيئة السحرية الهادئة تجلس صامتة على شاطىء النيل مثقلة بذكرياتها القديمة التى تترامى الى قرون سحيقة . وكان لموقعها هذا عند مصب النيل أن شاهدت الجيوش المصرية تهرع اليها غير مرة لصد الغزوات الاجنبية كما قدر لها أن تكون فى طريق المهاجمين المختلفى الاجناس . ولدمياط تاريخ طويل مثلته فى الحروب الصليبية وفى غزوة نابليون . وقد عسكرت بها جيوش محمد على وشيدت بها الحصون والقلاع .

كما كان لهذا الموقع أثر فى تقدم المدينة فى التجارة والصناعة فهى لقربها من الشام وفلسطين واليونان وتركيا أن كان لأهلها اسطول من المراكب الشراعية يتنقل بين ثغور شرقى البحر الأبيض المتوسط ويحمل اليها الاخشاب والفاكهة وغيرها

وكانت دمياط ثانية موانى القطر المصرى بعد الاسكندرية وكانت ذات شهرة تجارية ذائعة . ثم أخذت أهميتها تضمحل بعد انشاء مدينة بور سعيد ، وبعد أن سد مدخل النيل بالطمى ورمال البحر دون أن توجه الى ذلك عناية الحكومة وبعد أن حلت بها ازمة الحرب العالمية

وبالرغم من ذلك كله فان دمياط تعد اليوم من اهم مدن القطر الصناعية . فيها مصنع عظيم لنسج الحرير تشرف عليه شركة بنك مصر . وقد أنشأ هذا المصنع منذ عهد بعيد المرحوم سيد بك اللوزى .

وكانت دمياط تشتهر منذ القديم بصناعة المنسوجات الحريرية والــكريشة . . وبها اليوم مصانع

لمستخرجات الالبان تصدر الجبن والزبد إلى أنحاء القطر ومن أشهرها مصانع الزيات والجمال ونصار وحطاب . وقد اشتهرت هذه المدينة أخيرا بصناعة الاثاث وتصديره ولا تفترق فى اتقانها والتفنن فيها عن المصانع الاوربية . وكذلك تشتهر بضرب الارز وتصديره الى الخارج ، وبصنع الاحذية والمصنوعات الجلدية ، ثم أنها تصدر الاسماك الطازجة والمملحة . . ومازالت تتجر مع ثغور الشام وفلسطين بالسفن الشراعية الكبيرة ، ومازالت بعض ثغور فلسطين مثل غزة ويافا تصطبغ صبغة دمياطية .

وبدمياط اليوم نحو اربعين الفا من السكان . وقد انتشر بها التعليم أخيرا وزادت نسبة المتعلمين كثيرا وبها مدرسة ابتدائية اميرية لها من العمر نحو نصف قرن وبها اليوم مدرسة ثانوية واخرى صناعية كما أن بها بعض مدارس البنات والتدبير المنزلى وعدد من المدارس الاهلية — وقد بدأت الحياة تدب فيها بعد أن كادت تفارقها فى عديد المحن والازمات التى انتابتها . وكان لمصيف رأس البر أثر عظيم فى تنشيط حركتها التجارية والصناعية . ويعد هذا المصيف المصرى الذى له من العمر اكثر من ستين سنة فى مقدمة مصايف القطر ، وهو آخذ فى الاتساع والتقدم بفضل الاصلاحات المتوالية حتى بلغ عدد المصطافين فيه اليوم خمسة عشر ألفا

ولدمياط من جهة اخرى شهرة فى الجمال والظرف — جمال المناظر الطبيعية التى تكتنفها والتى تتجلى على شاطىء النيل المزدان بأحراش النخيل وبالحقول الفسيحة فى الجنوب ، وجمال البحر المتوسط وشاطئه الذهبى فى الشمال . . وكذا تمتاز بجمال المناخ لاسيما فى الربيع والصيف حين تهب عليها نسمات البحر بليلة منعشة . . وبجمال الوجوه المشرقة البيضاء ذات الطلعة الوسيمة والعيون الصافية . وجمال الاخلاق ووداعتها وندرة الجرائم . . وجمال المآذن المنيفة القديمة العهد

وقد صور الاستاذ « نيقولا يوسف » بعض هذه المناظر فى روايته البديعة « الهام » وجعل أبطال القصة من أهل دمياط . . كما أن احد ادبائها أصدر فى هذا العام كتابا عن دمياط وضع مقدمته الدكتور مشرفة . . وباللغات الاوربية عدد من المؤلفات عن هذه المدينة — ولشوقى بك قصيدة فى مدحها

وكان للجمال اثره فى أمزجة أهلها فهم شعراء بالفطرة يحبون الفن لا سيما الشعر والغناء . ولولا

اضطرار أهلها الى السعى وراء الرزق فى ميادين ضيقة وموارد محدودة واشتغالهم بالتجارة والصناعة لنبغ منهم نفر كثير فى الفنون والآداب

ولكن بالرغم من ذلك فان دمياط هى مسقط رأس عدد وافر من نوابغ الفنون والاداب والعلوم ففى الغناء والموسيقى أنجبت محمد السبع ومحمد عثمان والمظ والوردانية وساكنة وهؤلاء جميعا كانوا نوابغ زمانهم وأبطال فنهم القديم . . ثم أن دمياط هى أيضا مسقط رأس محمد العقاد العازف الكبير على القانون ، وقسطندى منسى استاذ الموسيقى ابن منسى « الآلاتى » الشهير وأخوه عبد الله منسى وكان ضريرا يضرب على العود

وكان محمد عثمان المطرب المصرى المشهور فى بدء حياته غلاما يلهو فى شوارع دمياط وينشد من حين الى آخر أغانى يبعث بها فى الفضاء كما يفعل الكروان كل مساء فسمعه ذات مرة منسى الموسيقار وناداه ثم سأله عن أهله وكانوا « قبآنية » أى يشتغلون بالموازين ويدعون اسرة « العفنى » ثم استأذن أهله فى تدريبه وتعليمه اصول الفن ورحل معه إلى القاهرة حيث انشأ منسى تخته المعروف باسمه . . وكذلك علم منسى . محمد السبع اصول الفن حين سمعه يغنى فى الطريق أما محمد العقاد القانونى الشهير فكان من اسرة « قبانية » أيضا . . أما المظ وساكنة فكانتا من العمال وكانت كل منهما تحمل وعاء فارغا وتسير أمام العمال والبنائين وهى تغنى لتثير حماسهم واقبالهم على العمل . ثم تقدمت المظ فى فن الغناء وذاع صيتها وتزوجت من عبده الحامولى . وكانت المظ بيضاء البشرة نحيفة القامة ذات عمش قليل فى عينيها وكانت الوردانية أجمل منها . وقد اشتركت المظ والوردانية وساكنة الدمياطيات الثلاث فى احياء أفراح الانجال فى سراى الخديوى اسماعيل

أما فى ميدان الشعر فقد اشتهرت دمياط فى عصورها المختلفة بتأليف الأغانى والمواويل والازجال والاشعار . وظهر بها عدد من شعراء الريف والمواويل المجهولين . أما شعراؤها المعاصرون فقد اشتهر منهم الشاعر محمد الاسمر المحرر بالاهرام ، وطاهر الجبلاوى صاحب ديوان ملتقى العبرات وغيره ، والشاعرة جميلة العلايلى صاحبة ديوان « صدى أحلامى » — والشاعر امين المعداوى ، والماص ، وحمام ، وبكرى ، وأبو الوفاء وغيرهم . .

ومن أبناء دمياط الذين ذاع صيتهم فى ميدان العلم الدكتور على مشرفة عميد كلية العلوم

وصاحب الأبحاث العلمية . والدكتور محمد عبد السلام الكردانى مؤلف عدة كتب علمية مثل بسائط الطيران وغيره

ومن الأدباء الدمياطيين الاديب الكبير نقولا يوسف مؤلف الحياة الجديدة والهام ونسمات وزوابع وغيرها . والاستاذ على الغاياتى صاحب جريدة منبر الشرق بجنيف ومصر . والكاتب حامد الصعيدى ، والاستاذ محمد التابعى صاحب آخر ساعة . والآنسة المشهورة ابنة الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) وغيرهم كثير . .

وممن ذاع اسمهم فى مجال السياسة البكوات الدمايطة طاهر اللوزى واداور قصيرى ومحمد البدرى والمرحومان حامد العلايلى وامين ابو يوسف . ومن رجال التعليم الاستاذ محمد بك العشماوى وكيل وزارة المعارف وهو من ضواحى دمياط والاساتذة نقولا باسيور و نقولا يوسف والمرحوم نقولا رزق وغيرهم . ومن رجال الرياضة البدنية مختار حسين البطل الاولمبى وغيره

وقد هجر دمياط عدد كبير من الاسر القديمة وسكنوا القاهرة وغيرها من المدن إلا أن مدينة العتيقة الهادئة ، بلد الحقائق والاحلام ، بدأت تصحو من اغفائها وسيكون لها شأن فى مختلف الميادين م؟

احمد فهمى

جوفانى بوكاشيو

ترجمة تحليلية لحياته

قبل أن تبدأ الكلام عن بوكاشيو يجب علينا أولا أن نشرح الفترة التى عاش فيها ، والعصر الذى ظهر فيه كتابه المشهور المسمى بالديكاميرون ، ثم نحلل بعد ذلك شخصية هذا الرجل العظيم تحليلا علمياً دقيقاً ، ونبحثها على ضوء العصر الذى عاش فيه

ولد بوكاشيو عام ١٣١٣م . ويقول بعض المؤرخين انه ولد فى فلورنسا والبعض الآخر يقول انه ولد فى باريس ، ولكن أغلبهم يميلون الى الرأى القائل بولادته فى فلورنسا

وكان أبوه يدعى بوكاشيو دى شيلينو ، وهو تاجر غنى فلورنسى الجنس

ويقول فيلانى المؤرخ إن والد بوكاشيو تزوج فى باريس فى أثناء وجوده بها لعمل يتعلق بتجارته من سيدة باريسية حسناء ، وقد أنجبت منه هذه السيدة فيما بعد بجوفانى بوكاشيو

ويؤكد بعض المؤرخين أن والد بوكاشيو قد عاشر تلك السيدة معاشرة الأزواج قبل أن يعقد قرانه عليها . وهم يستندون فى ذلك الى أن جوفانى ولد بعد أن تزوج أبوه منها بفترة وجيزة . ولكن هذا لا يهمنا مطلقا ، وهو ليس موضوع بحثنا الآن

ويقول بترارك الذى ولد عام ١٣٠٤م فى خطاب أرسله الى صديقه جوفانى بوكاشيو « لقد كنت فى التاسعة من عمرى حينما ولدت » . وهذا يثبت لنا انه ولد حقيقة عام ١٣١٣ م

وقد بدأ بوكاشيو دراسته فى فلورنسا على يد أحد اللغويين المشهورين فى ذلك الوقت ويدعى جوفانى دى سترادا . ولكن أبوه الذى كان لا يميل الى الادب بتاتاً لم يلبث أن أخرجه من المدرسة قبل أن يتخط العاشرة من عمره وعهد به الى تاجر غنى فى باريس . وبالرغم من أن بوكاشيو مكث

عند هـذا التاجر ست سنوات تقريبا ، الا أن ميله للأدب كان أشد من ميله للتجارة . وقد لاحظ التاجر نفسه ذلك ، ولهـذا أعاده الى أبيه الذى كان لا يزال مقيما بفلورنسا فى ذلك الوقت . وهناك أخذ أبوه يحبب اليه التجارة ويزيد من ميله اليها ولـكن بلا فائدة

ولما بلغ بوكاشيو العشرين من عمره أرسله أبوه الى نابلى لعمل يتعلق بتجارته فى الظاهر، وليبعده عن دراسته الادبية فى الواقع وحقيقة الأمر

وكان روبرت، أوف أنجو وهو حاكم تلك المـدينة فى ذلك الوقت ، يشجع الآداب والعـلوم والفنون . وكان قصده ان يجمع العلماء والادباء والشعراء . وقد مكث بوكاشيو فى تلك المدينة ثمانية أعوام اختلط فى أثنائها بكثير من أدباء ايطاليا وكبار مفكريها ونخص منهم بالذكر بترارك الذى تعرف به هناك وظل صديقا حميما له طول حياته

وهنالك أيضا أحب سيدة جميـلة من أسرة عريقة فى الجاة والحسب ، وهى التى أشار اليها فى كتابه الديكاميرون تحت اسم فيامتا

ويقال أيضا انه أحب هناك ثلاث فتيات جميـلات هن جوانا ، وهى الاخت الـكبرى للملك روبرت ، وماريا وهى أخت جوانا وكانت الثالثة تدعى ماريا أيضا ، وهى التى أطلق عليها المؤرخون مارى أوف أراجون . وبالرغم من كل ذلك فليس هناك ما يؤيد أن بوكاشيو قـد أحب حقيقة كل أولئك السيدات . وقد تكون كل هذه الاقوال من قبيل الاشاعات ليس الا

وقد زار بوكاشيو فى أثناء اقامته فى روما قبر الشاعر العظيم فيرجيل . وكان من نتيجة هـذه الزيارة أن طلق الاشتغال بالتجارة نهائيا ووجه كل همه والتفاته الى دراسة الأدبيات وحدها

ولما قطع أبوه كل أمل فى ابعاده عن الآدب وتشويقه الى التجارة ، ولم يجـد بدأ من الرضوخ لهذا التغيير الفجائى مكرها ، اشترط عليه أن يوجه دراسته شطر القانون وحده . فقبل بوكاشيو ذلك الشرط عن طيب خاطر لأنه كان أحب اليه من مزاولة التجارة التى كان يكرهها كرها شديداً . ويمقتها مقتا لا مزيد عليه

ويؤكد كثير من المؤرخـين أن الذى تولى تعليم بوكاشيو فى ذلك الوقت هو القانونى الضليع والمحامى الشهير يودى بتسويا . ويقولون انه باشر تعليمه ست سنوات تقريبا .

وفى عام ١٣٤٨م توفى والد بوكاشيو وترك له مطلق الحرية فى التصرف فى شئونه وتوجيه دراسته الى الناحية التى يميل اليها

وبعد أن مكث بوكاشيو فى فلورنسا مدة عاد الى نابلى وهناك باع كل أملاكه التى ورثها عن أبيه ثم سافر الى سيسيلى وفينيس وبعض البلدان الأخرى . وقد تردد بوكاشيو فى أثناء طوافه فى تلك البلدان على الجامعات ودور الكتب ، ودرس اللغة اليونانية على يد الأستاذ ليونتس بيلاتس ؛ وعلم الفلك على يد الاستاذ اندالس دى نيجرو . وكان يكثر من الاطلاع على المخطوطات التى ساعدته كثيراً على تكوين ملكاته الادبية ونضوجه الفكرى . وكانت هذه المخطوطات تباع فى ذلك الوقت بأبهظ الأثمان وأغلاها ، وكان بيعها قاصرا على الأغنياء ورجال الكنيسة وحدهم

ولم تلبث ثروة بوكاشيو أن نفدت عن آخرها ولم يجد ما يتعيش منه سوى نسخ الكتب كما كان يفعل كثير غيره فى ذلك العهد . وقد كان من نتيجة مثابرته على هذا العمل أن ازدادت معلوماته ، ونمت مواهبه ، ونضج ذهنه وأصبح من كبار المفكرين الذين يشار اليهم بالبنان

وقد تغلب بوكاشيو بعد ذلك فى عدة مناصب خطيرة . ففى عام ١٣٤٦م شغل منصب السفارة فى رومانيا ثم فى اوستاسيو . ويتضح من مقدمته للديكاميرون انه كان فى عام ١٣٤٨م فى فلورنسا أو فى بلد قريب منها ، وقد قضى هناك طول المدة التى انتشر فيها الطاعون فى بلاده

وفى عام ١٣٧٣م قرر أهالى فلورنسا وضع رسالة عن قصة جحيم دانتى ، وقد اختير بوكاشيو بالاجماع لهذا المنصب الرفيع ، وقررت له الحكومة الايطالية فى نظير ذلك راتباً قدره مائة فلورين فى العام

وفى عام ١٣٦١م حدث لبوكاشيو حادثا هام غير مجرى حياته ، وبدل معيشته كل التبديل . فقد زاره أحد القساوسة فى منزله ذات يوم ، وأخبره أن الأب بترونياس — وهو من أشهر القساوسة فى ذلك الوقت — قد أوفده اليه لينصحه بالاقلاع عن دراساته الادبية ، وأن يتهيأ للموت الذى يوشك أن يحل به . وقد أيد هذا القسيس كلام الأب بترونياس بسرد عدة أمور معينة لا يعرفها الا بوكاشيو وصديقه بترارك فحسب

وقد دهش بوكاشيو بطبيعة الحال لهذا الامر . وكتب فى الحال خطابا لصديقه بترارك يخبره

فيه بعزمه على ترك الأدب والاندماج فى سلك القساوسة

وقد رد بترارك على خطاب بوكاشيو — وهذا الرد موجود ضمن احدى مؤلفاته اللاتينية — فقال له « ان الاب بترونياس وان كان قد عرف بعض أسرارك الخصوصية ، فليس هـذا بالامر الغريب أو بالمعجزة التى لا يمكن تصورها ، لان هناك ظواهر تبدو للناظر اليها لاول وهلة كأنها أمور خارقة للعادة ، وأن ادراك كنهها دون طاقة البشر . » الى أن قال فعنـدما يريد أحـد هؤلاء الذين يدعون معرفة الغيب والتكهن بالمستقبل معرفة أسرار أحـد الناس فانهم يقدرون أولا سنه بالدقة ، ثم يختبرون ذكاءه ومنظره ، ويمتحنون أفكاره وآراءه ، ويدرسون صوته وميوله وحركاته ، ومن كل هذه الاشياء مجتمعة يبنون تكهناتهم ، ويستخلصون تنبؤاتهم التى تبدو للبسطاء من الناس كأنها معجزة المعجزات ، وأعجوبة الاعاجيب ! » وأضاف بترارك الى ماتقدم «وان كان الاب بترونياس قد تنبأ لك بالموت القريب ، فان هذا ليس بالامر الغريب بالنسبة الى رجل قد تخطى العقد الخامس من عمره ، ولا ينتظر من مثل هـذا الرجل أن يعمر طويلا بطبيعة الحال ، ولا سيما اذا كان واهن الجسم ، خائر القوى مثلك . » ثم اختتم خطابه بأن نصح صديقه بوكاشيو بأن يحيا حياة منظمة هادئة ، وأن يجعل من حياة القديسين الابرار ، والانبياء الاخيار قدوة يقتدى بهم ، ونبراسا يسير على منوالهم

وقد كان لهذا الخطاب تأثير عظيم على بوكاشيو ، اذ جعله يصمم نهائيا على الزهد والتقشف فى الحياة . وقـد وجد فى ذهابه الى أحد الاديرة المشهورة فى ذلك الوقت واندماجه فى سلك الرهبان خير ملجأ يكرس فيه ما تبقى من عمره القصير لدراسة الكتاب المقدس

وليس من الصعب علينا أن نشرح تلك الفترة التى قضاها بوكاشيو بين جدران الكنيسة لانه شرحها باسهاب فى كتابه الديكاميرون ، ذلك الكتاب الذى حوى بين دفتيه كثيرا من السخرية اللاذعة ، والتهكم المرير ، والنقد الجارح لرجال الدين الذين كان نفوذهم يزداد يوما بعد يوم . وقد ظهر هذا الكتاب فى الوقت الذى بدأت فيـه أوربا تخلع عنها رداء الضلالة والجهل ، وتنتقل من عصر الظلمات الى عصر المدنية والنور . وقد كان التعليم فى ذلك الوقت قاصرا على الاغنياء ورجال الكنيسة وحدهم ، ولذلك كانوا يستخدمون سلطتهم فى نشر الخرافات الشائعة وبث روح الضلالة

والجهل بين الناس. وقد قال «بكل» فى الفصل الرابع من كتاب تاريخ الحضارة «لم يكن فى أوربا كلها خلال القرون المظلمة سوى ثلاثة أو أربعة رجال يفكرون بأنفسهم، وحتى هؤلاء الكتاب كانوا يخفون معانى كلماتهم تحت ستار خفى من الابهام والغموض والقليلون الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة كانوا يحصرون دراستهم فى أساطير القديسين ورجال الدين وحدهم، وكانت هذه الاساطير منتشرة لسوء الحظ بين الناس كأنها الحقائق التى لا يأتيها الشك أو الباطل من خلفها!»

وقد وقع هذا الكتاب فى نفوس رجال الكنيسة وقوع الصاعقة، وكان له فى الاوساط الدينية دوى هائل كدوى القنابل أذ بعض وقائع هذا الكتاب قد حدث بالفعل، والبعض الآخر أخذه بوكاشيو عن لسان علماء الاغريق الذين فروا من القسطنطينية ابان القرن الرابع عشر والتجأوا الى ايطاليا التى رحبت بقدومهم، وأحسنت استقبالهم. وقد اشتهرت قصص بوكاشيو بأسلوبها السهل الممتنع. ومعناها الجلى الواضح، وعباراتها الجزلة الشائقة، وبعدها عن التكرار والاستعارات وهى تسترعى انتباه قارئها وتمتلك حواسه من مبدئها الى نهايتها

ونرجو ألا يحسب القارىء أن بوكاشيو كان ضالا أو منافقا كباقى رجال الكنيسة الذين كان يهزأ بهم ويسخر من أفعالهم، ويظهرهم بمظهر فكاهى ممتع، وهيئة حقيرة مزرية، بل انه كان على العكس ورعا، تقيا، صالحا. ولم تكن حملاته موجهة نحو الكنيسة نفسها، وانما نحو رجالها المنافقين الذين اتخذوا من لباسهم الدينى ستارا يخفون تحته جرائمهم الشنيعة، ونفاقهم المزرى، وتغريرهم بالزوجات الصالحات، والازواج السذج طيبى القلب!

ولئن كان بوكاشيو قد أظهر بعض رجال الكنيسة فى مظهر لا يتفق وما نعرفه عن أفراد هذه الطائفة المحترمة من شدة حبهم للورع وتمسكهم بالتقوى والصلاح، فانه قد اضطر الى ذلك بحكم ماشاهده فيهم من انغماسهم فى اللذات وعدم تعففهم عن ارتكاب أشنع أنواع الفسق والفجور، وتحقيق ما تصبو اليه نفوسهم الوضيعة من نزعات سيئة، وشهوات حقيرة..

ولم تلبث الكنيسة أن أعلنت الحرب على بوكاشيو وعلى مؤلفه النفيس، وحملت عليه حملة شعواء لاهوادة فيه ولا لين. ولم تكتف بذلك فقط بل انها صادرت كتابه وحرمت تداوله بين الناس، وضيقت عليه الخناق تضييقا شديداً..

وقد طبع خريستون فالدا فار طبعتين من هذا الكتاب فى فينيس عام ١٤٧١ م الاولى منهما تامة صحيحة . والاخرى غير تامة . وهما لاتزالان باقيتين الى الآن . أما باقى النسخ فقد أحرقتها الكنيسة علناً فى سوق فلورنسا عام ١٤٩٧ م .

وقد بيعت النسخة الكاملة الصحيحة فى روكسمبورج الى اللورد بلاندفورد بمبلغ ٢٢٦٠ جنيهاً ، وهو اكبر مبلغ دفع فى كتاب فى ذلك الوقت ، مع أن الثمن الاصلى لهذه النسخة كان لا يتجاوز المائة جنيه . وقد نشب بسبب الحصول على هذا الكتاب نزاع شديد بين اللورد بلاندفورد وبين اللورد سبنسر . وقد انتهى هذا النزاع بفوز الاخير فحصل على كتاب بوكاشيو بعد أن دفع فيه مبلغ ٢٢٥٠ جنيها أى أنه اشتراه بثمن أقل مما اشتراه اللورد بلاندفورد به

أما النسخة الاخرى الناقصة فقد ابتاعها المستر برنارد كواريتش فى المزاد العلنى الذى اقيم فى عام ١٨٨١ م بسوق سندرلاند بمبلغ ٥٨٥ جنيه . وقد ابتاع أيضاً الطبعة الثانية التى صدرت من هذا الكتاب نفسه فى عام ١٤٧٢ م بمبلغ ٤٠٠ جنيه

وقد وصف الناس قصص هذا الكتاب بأنها أنموذج الذكاء الصحيح ، والحوار البارع والفكاهة العذبة ، والبلاغة الحقة ، وهى مكونة من عشرة ايام . وكل يوم يحتوى على عشر قصص مختلفة ؛ أى ان الكتاب كله يحتوى على مائة قصة كاملة .

وقد توفى بوكاشيو فى ٢١ ديسمبر سنة ١٣٧٥ وهو فى الثانية والستين من عمره ، ودفن فى ساحة كنيسة سرتالدو حيث لايزال قبره موجوداً هناك حتى الآن يزوره من يشاء ، ويحج اليه من يشاء . ولايزال البيت الذى نشأ فيه بوكاشيو موجوداً فى فلورنسا الى يومنا هذا . وقد بنى هذا البيت على طراز مبانى القرن الرابع عشر ، وشيد فى أعلاه برج صغير ترى منه التلال المحيطة به . وهناك تل أطلق عليه الناس « تل بوكاشيو » . وقد أسموه بذلك لان بوكاشيو كان كثير التردد عليه ولا سيما فى أوقات الصيف الشديدة الحرارة . وكان هذا التل مفضلا عند بوكاشيو على أى مكان آخر لأنه كان يقضى فيه معظم أوقات دراسته ، ومنه كان يستمد وحى قصصه الخالدة ، وكتاباته الذائعة الصيت .

ويروى عن الاستاذ روزيلينى قصة غريبة فحواها ان سيدة عجوزاً استأجرت هذا المنزل بعد

وفاة بو كاشيو . وبينما هى جالسة تنسج ذات يوم قطعة من القماش فى إحدى الغرف الداخلية ، واذا بها ترى جزءاً من الحائط قد انهار فجأة تحت تأثير حركة المنسج ونتج عن ذلك فجوة صغيرة سقطت منها حزمة كبيرة تحتوى على مجموعة عظيمة من مخطوطات بو كاشيو . وكانت هذه السيدة لسوء الحظ جاهلة كباقى بنات جنسها فى ذلك العهد ، فارتعدت فرائصها واستولى عليها رعب هائل وهلع شديد وقد أدى بها هذا الجهل الى ان تحرق هذه المخطوطات عن آخرها دون أن تبقى لها اى اثر . ولاريب أن الادب قد خسر كثيراً بفقد هذه المخطوطات التى كانت تحتوى بلا شك على كثير من قصص بو كاشيو الرائعة ، وكتاباته الشائقة الممتعة ؟

الاسكندرية — محمد عبد اللطيف حسن

الشعر الحديث

للدكتور ابراهيم ناجى

ماهو رأى مديلتون مرى عن الشعر الصافى ! ذكر انه لابد لكل شعر من «حقل عاطفى» ويضيف الى ذلك انه يجب ان تزرع الصور فى ذلك الحقل بلحمها وعصبها ودمها ، وتظل حية حارة تختلج حتى ينقلها الينا الشاعر بلحمها وعصبها ودمها . . هذا هو الفرق بين الشاعر وغير الشاعر . الصور فى غير الشاعر تزرع فى حقل العاطفة ولكنها تموت وتذبل ولا تنتقل ، او تنتقل ميتة او مشوهة ، والشاعر ينقلها كاملة .

وفوق ذلك فان فى الحياة العامة عادة انفصال بين العقل والقلب ، ولا يتم الاتصال بينهما الا بواسطة الفنان ، فالشاعر يصل القلب بالعقل ، فى نفسه وفى نفس قارئه ، واصدق مثل لذلك تأثير الموسيقا الساحرة فانت تصغى لها بقلبك وعقلك معا ، وكل موسيقا لا تجعلك تصغى بهما معاً فهى ناقصة او ضعيفة .

وهناك رأى جليل فى الشعر لا هو برجسونى ولا صوفى وانما هو هندسى علمى ، ينطبق على المسرح والقصة كما ينطبق على الشعر .

ان هذا المذهب يقول ان المسألة هى اكتشاف علاقات ونسب بين الاشياء ففى الرياضة تكون تلك النسب ارقاما ، وفى الفن حالة تلقائية مفاجئة غير واعيـــة ، للروح . فى الشعر تلك النسبة هى التشبيه او الاستعارة ؛ وفى المسرح العلاقات بين الابطال والحبكة المسرحية ، وفى القصة بين ابطالها وحوادثها

والعظمة هى فى ضبط هذه «النسب» واكتشاف هذه «العلاقات» وفى ذلك الالهام كل الالهام

وليست الرمزية إلا نسبا أو علاقات غير مباشرة ، وعلى هذا التفسير تفقد الرمزية كل غموض بها ولـكن الرمزيين اضافوا الى ذلك التعريف ان الرمزية تقتضى أولا (١) ألموسيقية فى الشعر (٢) التعبير الغير المباشر (الجانبى) (٣) لا الوان وانما ظلال (٤) الحرية ، وأحيانا التمرد على القافية والوزن

ويدعون الرمزية فى الشعر الفرنسى شعر الهمس ، او موسيقى الغرفة . وابطال الرمزية فى انجلترا بيتس وفى فرنسا فرلين وبولير ودى رينييه

* * *

حسبنا هاته التعاريف ولعلى اوضحت كثيرا مما خفى واستبهم

والان اريد ان الم الماما موجزا ببعض الشعراء الذين اثروا فى الأدب الحديث فان الكلام عنهم جميعا يستدعى مجلدات ، وفعلا اعددت موضوعا حافلا ولـكن الوقت مع الاسف لا يسمح بكل ما اعددت .

لابد للذى يشير الى الشعر الحديث ان يتكلم عن كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية ، وقد لا يعده بعض الناس شاعرا على حد تعريف الشعر كما ذكرت وانما لانه مثل موجة من ادب القوة لا يزال اثره دأويا فى اوربا الى اليوم ، وكان من أبطاله ابسن فى السويد ودانو نتسيو فى ايطاليا ، وهذه الموجة السبرمانية النشوية مرت على اوربا فى اواخر القرن الماضى ولم يذهب اثرها بعد ، وهى ترمى الى تمجيد الاستعمار . والحروب ، وتشيد بالقوة وتندد بالضعف . ومن مميزاته ، كلماته المتعددة المعانى الحافلة بالصور الجارفة كالقنابل التى يصفها والحروب التى يمجدها . ومن ضمن قصائده الرائعة قصيدة Récessional وتعريبها : اذا انتشينا بخمرة النصر ونسينا عظمتك يارب وانطلقت السنتنا من عقالها تفخر وتسب ، فاعصمنا يارب وقف معنا ، لئلا ننسى . . لئلا ننسى !

« * »

ومن اعلام الشعر الحديث ومن الخالدين على الزمن الشاعر هاردى . و من لم يقرأ هاردى فهو لم يقرأ شعرا بعد . فهو الشعر الصافى الذى عليه نسيج البقاء . وهاردى ساخر ، فيلسوف ، حزين ، يعتقد ان العالم يتخبط فى شرك قوة هائلة تسخر به وتعبث ، ويعتقد اننا اسماك تتخبط اسيرة فى حوض ماء .

وشعره جبار اذا قرأته لا تنساه

واليـك المثال .

الحانـ الهجر : . .

وقفنا ذات شتاء بجانب البركة وكانت الشمس بيضاء كانما عاتبها الله . .

ووقعت اوراق قليلة على ثرى جائع ، كانما هى رماد يتساقط . .

وكانت ابتسامتك اكثر شىء يموت ، لا بل آخر شيء حى له قـدرة على صراع الموت ، وغشيتك مرارة كجناح طائر البين . . .

ومنذ ذلك اليوم علمتنى الحياة ان الحب خداع . . وظلت تريني شمسا ملعونة واوراقا كالرماد الذاوى تتساقط حول بركة هناك . .

ومن الشعر الرمزى الهائل شعر شارلوت ميد وقد ماتت بائسة فى مستشفى بلندن : — وهاك قصيدتها :

دخلت المدينة

كان قلبه لى قصورا مملوءة بالنور

والأبراج المشرقة .

رأيتها كما أرى حلمـا

لا ادرى كم نمت وانما اذكر الشمس على الجدران . .

هاته الجدران لا تزال قائمة

ذات يوم دخلتها اجتزت ابواب المدينة ثم صحت خائفة : الى الوراء الى الوراء . .

هنا التراب والظلمة والدماء .

هذه المدينة مدينة قلبه ، ويااسفاه انطفأت انوارها ، وجفتها الرياح والامطار السماوية ، وتراكمت فيها الاقذار

ان قلبه كقلب المدينة المقدسة عجوز عمياء ، ولـكن عليها جلال ، تلك المدينة التى بكى عليها المسيـح :

يبقى الان شاعر متتأه فى التجديد ولكنه عظيم القيمة وجدير كل الجدارة ان يقرأ لانه الوحيد الذى سيخلد ذلك هو الشاعر S. Eliot اليوت

رأيته انه يجمع بين القديم والجديد ، وترى فى قصائده الوانا من الهوميرية والملتونية ، الى القصائد التى تصف لك شوارع نيويورك إلى تلك التى تصف لك الحرب الاوربية فى اهوالهـا !

ويسميه بعضهم من شعراء « الضجر » كبودلير وبو . .

وهم شعراء ساخطون على زمانهم ولكن اليوت ساخط غير انه ليس بخارج عليه . .

يقول فى سخطه على العصر الحاضر « نحن فى عصر افلست فيه النظم ، وانتزعت الثقافات ، وانا لنرى النذير بموت كل ما هو جليل وعظيم فى الروح والمعيشة » !

ومن قصائده :

الارض الخربة

لا ماء هناك بل هناك صخور . صخور ولا ماء ، وهذه رمال ، وقد حرم الصمت حتى على رأس الجبل ، فهذان برد ورعد وانما عقيمان لا يمطران !

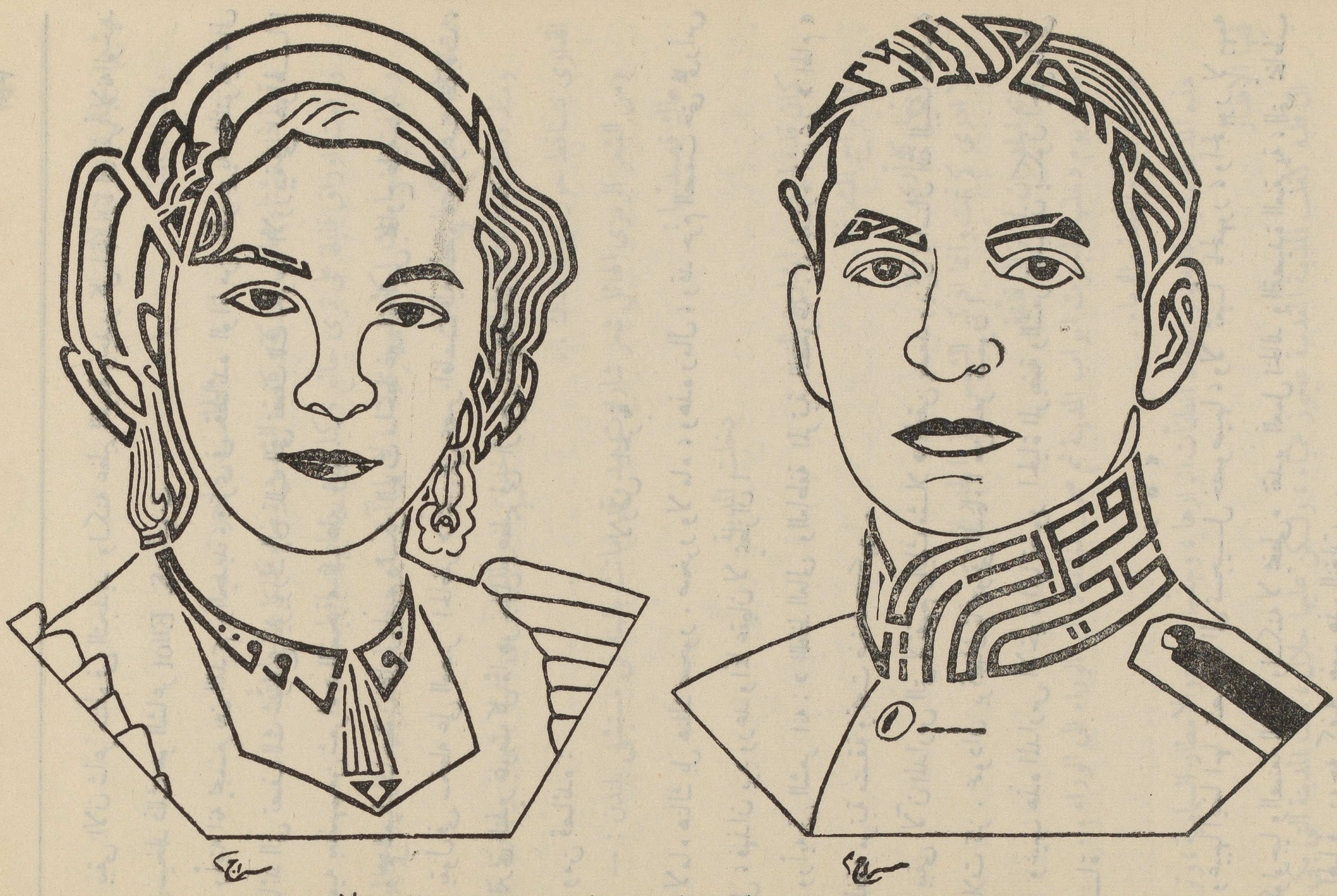
ورأيه فى الشعر انه : « اللفظ العالى والعاطفة المرتبة المضغوطة . او بعبارة اخرى « الهام » وعاطفة ، مرتبة منسقة وتحت ضغط كبير .

يبقى الآن المدارس التى لا تفهم واليك مثلا « المحقن يصعد وينزل ، اسنان الله البيضاء تقضم ، العجلات تئز . عمودان يرقصان تانجو فى السماء ! من شعر تسمون !

وعيب هذه المدارس الاخيرة انها تصور الحياة المريضة والشعر يجب ان يكون اجمل ما فى الحيـاة

« * »

وعيبها أيضا انها تنصرف الى تسجيل خصوصيتها ، ولا تعبأ بالجمهور ، والجمهور لا يهمه السيكولوجيا والصنعة الفنية ولكنه لا يخطىء تقدير العمل الخالد والقصيدة العبقرية ، التى تخاطب جانبا إلهيا فى روحه كفيلا بفهم هذه النغمات . .



صورة تخطيطية بديعة لصاحبي السمو الامبراطوري الشاهبور محمد رضا بهلوي والاميرة فوزية

جائزة نوبل العالمية

وهل تنالها مصر يوما

كان الفرد برنار نوبل ، صاحب هذه الجوائز كيماويا ومهندسا أسوجيا . ولد باستكهلم فى ٢١ أكتوبر ١٨٣٣ وتوفى فى سان ريمو فى ١٠ ديسمبر ١٨٩٦ . وكان ثالث أبناء عمانوئيل نوبل صانع المفرقعات

اشتغل مع والده منذ صباه فى صناعة المفرقعات وطرق استعمالها وأكب على دراسة أنواعها فكشف عن مزيج من المواد الكيماوية التى تدخل فى هذه الصناعة مثل النتروجليسرين وتعرضت حياته للخطر اذ كانت هذه المادة سببا لعدة انفجارات . حتى توصل الى اختراع الديناميت عام ١٨٦٧ ثم تلاه اختراعات أخرى لمتفجرات قوية مركبة من مواد كيماوية مختلفة ثم استنبط بارودا عديم الدخان وكذلك اكتشف طريقة لتقليل خطر الانفجار من استعمال الديناميت

وأسس مصانع عظيمة فى بريفورز باسوج وجمع من هذه الصناعة ثروة طائلة ولكنه سرعان ما أدرك ما سيكون لمفرقعاته من أثر رهيب فى الحروب فى حين أنه صنعها للاستعانة بها فى فروع الهندسة العلمية وأعمال التعدين ولولاها لكان من الصعب القيام بتلك المشروعات الهندسية الضخمة مثل حفر ترعة بناما وحفر النفق والمناجم ومد السكك الحديدية فى الجبال وغيرها

وكان نوبل محبا للسلم العالمى وكان يقول : « ان معاملى يمكنها ان تقضى على الحرب باسرع من مؤتمراتكم السلمية » وهو يعنى بذلك أن تلك المواد الجهنمية التى اخترعها زادت من خوف الناس ومقتهم للحروب فأخذوا يستغلون الديناميت والمفرقعات فى المشروعات العمرانية بقدر ما يهيئونها للحرب .

وكان نوبل مثل اندرو كارنجى كلاهما من كبار الصناع لادوات الحرب ممن وهبوا الملايين

لقضية السلام . لأن السلام قرين الاستقرار الذى تزدهر فيه الاعمال وتستقر الاموال أما أولئك الكارهين للسلم الصائدين فى الماء العكر فهم المغامرون من التجار والصناع الذين لم يصلوا الى حد الثبات والمقدرة المالية والذين لا يبالون بخير الانسانية ما دامت مصائب قوم تعود عليهم بالفوائد والمغانم ، فهم ذوو النفوس الوضيعة التى أعماها الجشع

أما نوبل فكان يحب السلام ويحب الانسانية وكان يدرك أن دعاة الحرب قد يسيئون استعمالها وينحرفون بها عن الاغراض الصناعية التى أرادها فزاده ذلك هما حتى بات نشر السلام بين أمم الارض أعظم أمانيه . فأوصى أن ينتفع بثروته الطائلة من بعده فى سبل شريفة تعود على البشرية وعلى العلم بالخير والنفع . ووقف جانبا من ثروته يقرب من مليون وسبعمائة الف جنيه يوزع ريعه فى آخر كل سنة على خمس جوائز مقدار كل منها أكثر من سبعة آلاف جنيه (أو خمسة آلاف جنيه بحسب السعر الحاضر) تقدم الى العلماء والابرار الذين أدوا للمجتمع خدمات جليلة بتفوقهم فى احدى العلوم الطبيعية أو الكيماوية أو فى نشر السلام بين الامم . وهذه الجائزة الاخيرة التى خص بها السلم تقدم للشخص أو للجمعية التى تقوم بخدمة عظمى نحو الاخاء الدولى أو فى منع وتخفيض التسلح أو فى تأسيس مؤتمرات السلم وجمعياته العاملة

ومما جاء فى وصيته قوله : «ان رغبتى صريحة فى أن توزع الجوائز دون ان تراعى فيها الجنسيات مطلقا حتى ينالها أكفأ الناس سواء أكانوا من اسكندناوه أم من غيرها »

فهو بهذا العمل يعد من رسل العالمية الذين آمنوا بوجوب تعاون الشعوب واخائها من أجل الخير العام والمصلحة العامة وأدوا خدمات للانسانية دون تفريق بين الجنسيات والالوان والاديان

وقد اسند نوبل ادارة هذه الهبة الى بنى وطنه ثقة منه بأمانتهم على أن يسترشدوا بآراء الهيئات العلمية الاجنبية فى ترشيح المستحقين للجوائز . وأوصى بتأسيس معهد نوبل باستكهلم الذى صادق اوسكار الثانى ملك السويد على انشائه عام ١٩٠٠ وتولى فى السنة التالية توزيع الجوائز على مستحقيها وهذا المعهد يشمل مكتبة ومعهدا للطبيعيات والكيمياء ومعهدا للسلم . وتنص الوصية على ألا تزيد نفقات هذه المعاهد على ربع ريع الثروة

وكذلك أوصى نوبل ببناء قصر ذى قاعة كبيرة يحتفل فيها بتوزيع الجوائز فى اليوم العاشر

من شهر ديسمبر فى كل سنة وهو اليوم التذكارى لوفاته . وقد تأخر بناء القصر واستبدل به بيت خاص بمدينة استكهلم حتى عام ١٩٢٧ حين تم بناء القصر الذى به اليوم معهد نوبل

أما الجوائز التى لا توزع فتكون مالا خاصا ينفق منه على الابحاث العلمية وتحقيق الأغراض الاخرى التى نصت عليها الوصية

والى جانب هذه المعاهد التى أوصى نوبل بتأسيسها تقوم هيئات علمية أخرى عهد اليها بالمشاركة فى توزيع الجوائز مثل أكاديمية العلوم الاسوجية التى توزع جائزة العلوم الطبيعية والكيمائية ومثل الاكاديمية السويدية للآداب التى تقدم جائزة الادب . ومثل المعهد الطبي الجراحى الذى يقرر جائزة الطب ، ومجلس نواب نروج الذى يشترك فى منح جائزة السلم

وتعين كل من هذه الهيئات لجنة من ثلاثة الى خمسة أعضاء دون النظر الى جنسيتهم لتضع تلك اللجان تقارير عمن تراهم أهلا لنيل الجوائز ثم تقدمها الى الهيئات التى لها الرأى الاخير

وكثيرا ما يستأنس بآراء الجامعات الكبرى وبأعضاء الاكاديميات واساتذة الجامعات ومعاهد نوبل كما أن المرشحين لجائزة السلم تقدمهم لجنة نروجية تسترشد بآراء المجالس النيابية والحكومات فى جميع الامم وبالهيئات الساعية الى نشر السلم وبعض اساتذة الجامعات والحاصلين على جوائز السلم من قبل

وليس من الضرورى أن يكون لحائز احدى جوائز نوبل كتاب مطبوع ، وهى حين تمنح لاديب لا تنظر الى كتاب معين بل الى مؤلفاته على وجه العموم

وكل من يحصل على جائزة نوبل وهى صك على المصرف بنحو خمسة آلاف جنيه ينال معها أيضا شهادة مكتوبة ووساما ذهبيا على احد وجهيه صورة نوبل وعلى الآخر صورة رمزية

والعادة أن يوزع ملك السويد الجوائز بنفسه فى حفل ومن لا يستطيع حضور الحفل فى استكهلم يتسلم الجائزة من سفير السويد فى بلاده بحضور هيئة خاصة

وقد جرى أول توزيع لجوائز نوبل عام ١٩٠١ وكان أول من نالها العلماء رنتجن مستكشف الاشعة وفانت هوف العالم الالمانى فى الكيمياء ، واميل بيرنج كاشف مصل الدم فى الطب . وفى تلك السنة منحت جائزة الآداب الى الشاعر الفرنسى سولى برودوم (وقد احتج على ذلك طلبة

اسوج اذ رأوا أن تولستوى أجدر منه بنيلها فى تلك السنة) . وكان أول من نالها فى السلم هنرى دونان منشىء هيئة الصليب الاحمر

وممن نالوا هذه الجائزة عام ١٩٠٣ فى العلوم الطبيعية كورى وزوجها ثم نالتها مدام كورى بعد وفاة زوجها فى العلوم الكيماوية عام ١٩١١

وقد وزعت من ١٩٠١ الى ١٩٢٧ من جوائز نوبل ١١٧ جائزة على ممثلى ١٧ دولة

وممن نالوا جوائز العمل على نشر السلام العالمى غير هنرى دونان السالف الذكر تيودور روزفلت ، وودرو ولسون ، وياسى ، وسير كريمر ، وليون بورجوا ، ولانبج ، ونانش ، وسير أوستن شمبرلن وارستيد بريان ، وسترسمان ، ونورمان انجل ، وارثر هندرسون . ومنحت عام ١٩٣٨ الى « مكتب نتصن العالمى للاجئين فى جنيف » . وقد نالت الهند جائزتين : نال احداهما السير جاجاديس بوز العالم النباتى ونال الاخرى تاجور عام ١٩١٣ . .

ولم يمنح فى هذا العام من جزائز نوبل العلمية سوى جائزة الطبيعيات التى نالها الاستاذ انريكو فيرمى العالم الايطالى الذى كشف اربعين عنصرا قابلة للنشاط الراديومى ، أما جائزة الكيمياء وجائزة الطب فلم تجد اللجان من يستحقهما فى هذا العام فقررت ادخار قيمتها . وقد منحت جائزة الآداب الى السيدة بيرل بوك الروائية الاميريكية وهى رابع امرأة نالت جائزة نوبل فى الآداب فقد منحت قبلها الى مدام سلمى لاجرلوف الاسوجية فى سنة ١٩٠٩ ومدام جرانزايا ديليدا الايطالية عام ١٩٢٦ ومدام سيجريد اندرست النروجية فى ١٩٢٨

وقد قاطعت المانيا النازية هذه الجائزة لانها تكافىء على نشر السلام العالمى وهذا معناه فى عرف النازية بقاء الحال على هى عليه فخصصت فى عام ١٩٣٧ جائزة أهلية للفنون والعلوم لتحل محل جائزة نوبل التى منع الالمان من الحصول عليها ويسلمهم هتلر الجوائز مع شارة الحزب الوطنى الاشتراكى أما مصر فلم تنلها بعد منذ انشئت أى منذ ٣٨ سنة ولم يرشح مصرى الى اليوم لنيلها فى العلوم أو الآداب أو السلم فى حين أن الهند نالتها مرتين وحازت عليها أمم صغيرة مثل دنمركا وهولندا وسويسرة ونمسا وبلجيكا . ونالتها عدد من السيدات . أما الاسباب التى حرمتنا من شرف نوال هذه الجائزة فندعها لفطنة القارىء المصرى ونرجو أن يرشح أحد المصريين يوما لنيلها ؟

« نون »

زوج غيور

للقصصي الايطالي الشهير «جيوفاني بوكاشيو»

توفانو رجل غني واسع الثراء . ولهذا الرجل زوجة جميلة اسمها مونا جيتا . وأحس توفانو بعد زواجه من هذه السيدة الحسناء بغيرة شديدة عليها دون أن يكون هنالك مبرر معقول يدعوه إلى ذلك ، أو حجة واضحة يعتمد عليها في تبرير غيرته .

وتضايقت جيتا بمرور الزمن من هذه الغيرة الحمقاء التي كان يبديها زوجها نحوها في كل وقت وكثيرا ما سألته عن الأسباب التي تحدوه الى الغيرة عليها فكان توفانو يلوذ بالصمت ولا يجد جوابا مقنعاً لسؤالها .

والواقع أنه لم يكن هناك ما يدعوه إلى هذه الغيرة العمياء على زوجته ، الا إذا شئنا أن نقول إن الزوج كثيراً مايغار على زوجته بلا سبب ، ولا سيما إذا كانت هذه الزوجة على جانب عظيم من الحسن والجمال .

ولما ضاقت جيتا ذرعاً بزوجها ولم تجد علاجاً ناجعاً لغيرته ، فقد صممت على الانتقام منه بنفس السلاح الذي كان يستخدمه ضدها حتى تخلصه من هذا الداء الوبيل الذي نغص عليها صفوها وجعلها تفضل الموت على هذا الهوان الذي تعيش فيه .

* * *

وفي ذات يوم تذكرت أنها لاحظت شابا جميلا في مقتبل العمر اعتاد ان يمر من أمام منزلها ويبادلها نظرات تدل على هيامه بها ، وتدلهه في حبها . فانتهزت هذه الفرصة وأخذت تشجع هذا الشاب

على المضى فى هذا الطريق الذى كانت تعرف أنه محفوف بالمخاطر ، مكتنف بالصعاب . ولـكنها اضطرت إلى ان تسلك هذا السبيل الوعر لغرض خفى فى نفسها . .

وانتظرت جيتا بفارغ الصبر الفرصه الملائمة التى تمكنها من المضى فى طريقها والعمل على تنفيذ خطتها التى صممت على القيام بها مهما كلفتها من متاعب او كبدتها من مشاق . .

وكان من ضمن العيوب البارزة فى توفانو — عـدا غيرته الحمقاء على زوجتـه — ادمانه على شرب الخمر بدرجة لا تطاق . وقد اتخذت جيتا من ذلك وسيلة لتنفيذ خطتها ، وسلما لبلوغ غايتها

فبدلا من أن تنصح زوجها بالأقلاع عن شرب الخمر وتساعده على التخلص منها ، فانها أخذت بالعكس، تحببها اليه ، وتحثه على الاكثار من شربها !

وبهذه الحيلة الخبيثة وانتهاز الفرصة التى ظلت تترقبها بفارغ صبر واستطاعت أن تقابل عشيقها كل ليلة فى منزله الذى كان لا يبعـد كثيراً عن منزلها . وبدهى أنها كانت لاتفعل ذلك الا اذا غاب زوجها عن وعيه من فرط الشراب !

ولم تكتف جيتا بذلك ، بل لقد بلغت بها الجرأة الى حد انها كانت تدعو عشيقها الى منزلها فى بعض الاحيان فى الوقت الذى يكون فيه زوجها نائما فى فراشه اثر احتسائه مقداراً كبيرا من الخمر!

* * *

واستمر الحال كذلك الى أن لاحظ توفانو فى النهاية أنه فى الوقت الذى كانت تحثه فيه زوجته على الاكثار من الشراب كانت هى نفسها لا تتذوق شيئا منه ! وبدأ الشك يتسرب حينئذ الى نفسه ، وبرر مسلكها هذا بغرض خفى تستره عنه

ولكى يتحقق من هذا الامر بنفسه ، فقد عاد فى مساء ذات يوم الى منزله متظاهرا بأنه فى أسوأ حالات السكر مع انه لم يتناول شيئا من الخمر فى ذلك اليوم ، وكان يترنح فى مشيته ويتعمـد أن يسقط على الارض من حين لآخر

ولما رأت زوجته ذلك فضلت ألا تعطيه شيئا من الخمر فى تلك الليـلة مكتفية — كما ظنت — بهذا المقدار الذى شربه منها ، والذى جعـله فى حالته المزرية التى وجدته عليها ! ولم تفعل شيئا أكثر من انها قادته الى فراشه ثم غادرت الغرفة بعد ان مكثت فيها برهة قصيرة

ولاحظ توفان ان زوجته لم تأو الى فراشها بعـــده فداخله الشك فى امرها وقام من فوره يفتش غرف المنزل واحدة بعد اخرى عله يجـدها فى احداها ولكن بلا جدوى ! ولما تأكد من عدم وجودها بتاتاً ، اسرع الى باب المنزل فارتجه واحـــكم الرتاج ، ثم عاد ادراجه الى غرفته واطل من نافـذتها مترقبا قدوم زوجته

« • »

ولما عادت جيتا إلى المنزل بعد أن قضت مع حبيبها شطراً كبيراً من الليل ووجدت الباب مغلقاً غضبت لذلك غضباً شديداً واستولى عليها شعور داخـلى بالخوف والذعر ، وحاولت عدة مرات أن تفتح الباب ولـكن بلا فائدة :.

وبينا هى كذلك بلغت أذنيها صوت ضحـكة خشنة هازئة ثم سمعت زوجها يقول لها بسخرية وازدراء :

— وفرى عليك هذا العناء ياعزيزتى لأنك تتعبين نفسك بلا فائدة ! والأفضل أن تعودى إلى عشيقك الذى كنت بين أحضانه منذ لحظة قصيرة ! واعلمى جيدا أنك لن تدخلى هذا المنزل إلا إذا شئت أنا ذلك ! . ولن أتكرم عليك بهذا الفضل الا أمام أقاربك الافاضل وجيراننا الاعزاء ..

فاهتاجت جيتا عند سماعها هذا التهـكم المرير الموجه اليها من زوجها وحاولت بكل الوسائل الممكنة أن تقنعه بفتح الباب ، مبررة خروجها من المنزل بذهابها لزيارة إحدى صويحباتها التى تقطن فى منزل قريب من منزلهما ، مدعية أنها سئمت من طول الليل ومن عدم تطرق النوم إلى أجفانها فى تلك الليلة ولم تكن عند عشيق لها كما توهم خطأ . .

« • »

ولما رأت جيتا أن زوجها مصر على عدم فتح الباب ، وأنه يريد من وراء ذلك فضيحتها وتسوئة سمعتها أمام جيرانها وأقاربها الذين لن يلبثوا أن يأتوا على أصواتهما ، فقد لجأت الى تهديد زوجها وقالت :

— اذا لم تفتح الباب فى هذه اللحظة فانى سأجعلك أشقى مخلوق على سطح الارض :.

فضحك زوجها من تهديدها له وقال :

— وكيف ذلك ياعزيزتي ؟

فابتسمت جيتا ابتسامة مريرة وقالت :

— انك تحاول عبثا أن تحط من شرفي أو تشوه سمعتي ، لانني سأرمي بنفسي قبل أن تفعل ذلك في هذه البئر التي تراني واقفة بجوارها الآن ! وعندما يعثر على جثتي فسيقول الناس انك قذفتني فيها في ساعة من سويعات سكرك ، وحينئذ لا يكون لك مفر من ترك بلادك والهرب الى جهة نائية لا يعرفك فيها أحد ، واذا لم تفعل فسيقبض عليك وتعدم بتهمة قتلك زوجتك . .

وكانت جيتا تظن أن زوجها سيخاف من وعيدها فيهرع الى الباب فيفتحه لها ، ولكنه بالعكس لم يتأثر لهذا التهديد أيضاً بل ضحك ضحكة عالية رن صداها في الفضاء الواسع الذى كان يخيم عليه الهدوء والسكون من كل ناحية . .

« • »

وبلغ الغضب بجيتا مبلغا عظيما عند ما لاحظت أن زوجها لم يتحول عن عزمه ولم يغير موقفه معها وصاحت فيه قائلة :

— إنني لا أقدر أن أحتمل تهمتك لي ، وعذابك لي أكثر من ذلك . .

ثم توقفت عن الكلام برهة قصيرة كما لو كانت تفكر في أمر ذي بال ثم تابعت حديثها فقالت :

— والآن . . ليرحمك الله يازوجي العزيز ، وليغفر لك ذنبك لأنك تسببت في قتل زوجتك البريئة المخلصة !

وكان الليل لحسن الحظ مظلماً حالك السواد بحيث لم يكن في استطاعة كل من الزوج والزوجة أن يرى وجه الاخر . فانتهزت جيتا هذه الفرصة واتجهت نحو البئر دون أن يراها زوجها والتقطت من الارض حجراً كبيراً ثم قالت بصوت عال سمعه زوجها :

— اللهم اغفر لي ذنبي واشملني برحمتك ، وهبني من لدنك قوة ومقدرة على احتمال الموت . .

وما كادت تنتهي من القاء عبارتها حتى قذفت بالحجر في البئر فسمع له دوى هائل يصم الاذان .

« • »

وارتاع توفانو عند ما سمع هذا الصوت الذى ظن أنه نشأ عن ارتطام جسم زوجته بماء البئر ،

واعتقد تماماً بأنها قد ألقت بنفسها فيه لتنفى عنها هذه التهمة التى أراد أن يلصقها بها .

ولـكى يتحقق من هذا الامر جيداً ، فقد غادر النافذة فى الحال ثم فتح باب المنزل وذهب إلى البئر وهو يلهث من شدة التعب ، وأدلى فيـه حبلا لينتشل به زوجته التى كان يشك فى بقـائها على قيد الحياة

وما كادت زوجته تراه وهو يفعل ذلك — وكانت مختبئة فى هذه الاثناء بجوار باب المنزل — حتى انفرجت أسارير وجهها وابتسمت ابتسامة الظافر المنتصر ، ثم دخلت المنزل بسرعة بعـد أن أغلقت بابه وراءها بالرتاج ، وقصدت من فورها الى الغرفة التى كان زوجها موجوداً بهـا عنـد بدء هذه المناوشة، ثم أطلت برأسها من نفس النافذة التى كان توفانو يخاطبها منها وقالت له بتهكم وازدراء

— ما الذى تفعله ياعزيزى بجوار هذه البئر !

فارتجف توفانو عند ما سمع صوت زوجته وخيل اليه أنه فى حلم . ولـكنه لمـا تحقق من أن التى تخاطبه انما هى زوجته دون غيرها ، فقد أدرك فى الحال هذه الحيلة الخبيثة التى لجأت اليها، واشتدت بذلك حدته عن ذى قبل . وغلت دماء الحقد والغضب حارة فى عروقه ، وجرى بأقصى سرعة الى المنزل ولـكنه وجـد بابه موصدا أمامه ! فاحتار اذ ذاك فى تعليل موقفه الحرج ولم يدر ماذا يفعل . وحاول عـدة مرات أن يفتح الباب — كما حاولت زوجته من قبل — ولـكن ذهبت كل محاولاته سدى ولم تأت بأى فائدة

* * *

وأرادت جيتا أن تعطى زوجها درساً قاسياً فى هذه اللحظة فقالت له وقد ارتفع صوتها عن ذى قبـل :

— أيها السكير البائس ! لاتطمع فى دخول منزلى هذه الليلة . لانى أصبحت لاأحتمل مجيئك المتأخر فى كل يوم ، ولن آذن لك بالدخول حتى يعلم الناس جميعا أى نوع من الرجال أنت ، وفى أى ساعة من ساعات الليل تأوى الى فراشك ،

فاغتاظ توفانو لهـــذه العبارات القاسية التى تفوهت بها زوجته ، وتحول فى تلك اللحظة من شخص وديع هادىء الى آخر ثائر قد استفزه الغضب ، واستبد به الحنق والغيظ، وأخذ يسب زوجته

وينعتها بأقبح النعوت وأشنع الصفات . ولم يكتف بذلك، فقط بل أخذ يلعنها ويكيل لها التهم جزافا ولم يترك شتمة من الشتائم التى يعرفها الا وألصقها بها ، أو تهمة من التهم الحقيرة الا ووجهها اليها

* * *

ولم يلبث الجيران أن استيقظوا على أصوات شجارهما التى ارتفعت كثيرا فى هذه اللحظة ، وأطلوا من نوافذهم متسائلين عن سبب هذه المشاجرة التى أقلقت راحتهم وجعلتهم يبرحون فراشهم

فانتهزت جيتا هـذه الفرصة التى أتاحتها لها الظروف للانتقام من زوجها فقالت موجهة كلامها لجيرانها :

— إعلموا يا جيرانى الاعزاء أن هذا السكير القذر لا يعود الى منزله كل يوم الا فى مثل هـذه الساعة المتأخرة من الليل ، وقد حاولت كثيرا أن أقوم اعوجاجه ، وأصلح من شأنه ، وأن أبين له المساوىء التى تعود عليه من شرب الخمر ، والاضرار التى تنتج من ادمانه عليها ولم أدخر وسعا فى سبيل نصحه وارشـاده علّه يعود الى صوابه ، ويقلع من تلقاء نفسه عن هـذه العادة الذميمة ، ولكن بلا فائدة ! وأخيرا رأيت بعد أن عيل صبرى وضقت ذرعا به ، ألا أسمح له بدخول منزلى هذه الليلة حتى يرجع عن غيه ، ويتحول عن ضلاله ، ويعاهدنى أمامكم على ترك هـذه العادة القبيحة المزرية ، وانى لواثقة تمام الثقة من أنه سيقلع عن شرب الخمر بعـد أن فضحته أمامكم ، واظهرت حقيقته أمره لـكم ، وأوقفته منكم هذا الموقف المزرى الذى لا أشك مطلقا فى انه سيساعده على التخلص من هذا الداء الوبيل

* * *

ودهش توفانو لـكلام زوجته الذى ليس من الحقيقـة والواقع فى شىء ، ولم يجـد بدأ من أن يخبر الجيران بـكل ما حدث . ومع أن لهجته كانت تدل على انه جاد فى قوله ، صادق فى زعمه ، الا أنهم ارتابوا فى صحة روايته ، وشكوا فى حقيقة أقواله !

وأرادت جيتا أن تنـفى عنها تهمة خيانتها لزوجها فقالت وقـد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة :

— مرحى ! مرحى ! ان زوجى يزعم أننى كنت خارج المنزل فى الوقت الذى كان هو فيـه

داخله ، وقد تفوه بعبارات لم أتبينها جيدا عن البئر ، وكم أود الان أن يكون فى قاعه حتى يستفيق الى نفسه ، ويعيده رشاش الماء البارد الى صوابه ..

وبعد أن استراحت برهة قصيرة تابعت حديثها فقالت .

— واأسفاه ! لقد هيأت الخمر لزوجى اننى أخونه وأثلم شرفه ، وقد تكون هذه التهمة صحيحة فيما لو كنت الان فى موقفه وهو فى موقفى ، ولكن الحال بخلاف ذلك كما ترون . ولعلكم عرفتم الان حقيقة هذا الرجل الذى يتظاهر أمامكم بالغيرة على والخوف على سمعتى ، وتبينتم مقدار الخطأ الذى أوقعه فيه ادمانه على الخمر وتهالكه على شربها ..

وصدق الجيران رواية جيتا وأنحازوا بدورهم الى جانبها وانهالوا على زوجها المسكين سباً وشتما ولم يتركوا له فرصة للدفاع عن نفسه أو لدحض التهم التى وجهتها اليه زوجته ..

« • »

ولم يلبث خبر هذه المشاجرة الليلية أن وصل الى مسامع أقارب جيتا فجاءوا على الفور ليتحققوا من الأمر بأنفسهم ..

وقبل أن يذهبوا الى جيتا اخذوا يستفسرون أولا من جيرانها الواحد بعد الاخر ، حتى اذا تأكدوا أن الحق فى جانبها ، ذهبوا الى توفانو فى محل عمله وانهالوا عليه بالشتائم واللعنات ثم ضربوه ضربا مبرحا بالرغم من أنه حاول أن يبرىء نفسه مما اتهمونه به ..

وبعد أن انتهوا من أداء هذه المهمة خير أداء ، انتقلوا الى جيتا وحملوا أمتعتها وملابسها ثم أخذوها معهم الى منزلهم بعد أن هددوا توفانو بالضرب ان هو حاول تسوىء سمعتها أو الحط من كرامتها مرة أخرى

« • »

وتأسف توفانو كثيرا على ما حدث ، وعرف الان فقط مغبة هذه الغيرة الحمقاء التى انقاد اليها انقياد الاعمى

ولما كان يحب زوجته — بالرغم مما حدث — حبا جماً ، ولا يستطيع الاستغناء عنها بأى حال ، فقد ذهب إلى أحد أصدقائه الذين يثق فى شدة اخلاصهم له ومحبتهم اياه ، وعرض عليه أن يتوسط له

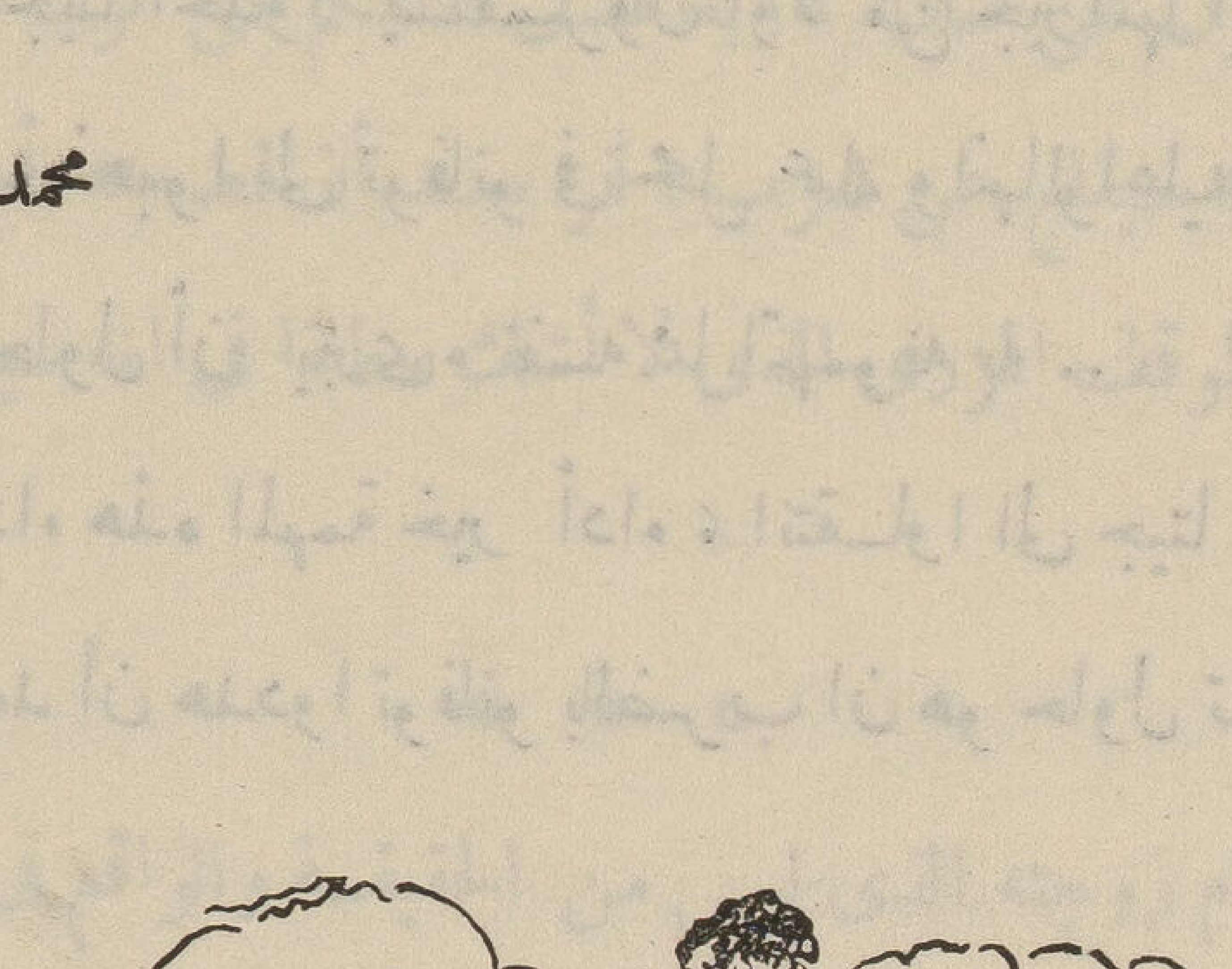
فى الصلح لدى أقارب جيتا لـكى يردوها اليه ، بعـد أن أعطاه وعدا صريحاً بعدم العودة الى هـذه الغيرة ، وبالاقلاع عن شرب الخمر ، وبأن تكون جيتا فى المستقبل حرة فى كل شىء

وقبل صديقه أن يقوم بهذه المهمة التى كلفه بها توفانو عن طيب خاطر فذهب الى أقارب جيتا وعرض عليهم ما طلبه توفانو منه فقبلوا . ثم عرض هـذا الطلب نفسه على جيتا فقبلت هى الاخرى — بعد تمنع قليل — أن تعود الى زوجها لانها كانت تحبـه هى الاخرى حبا قويا جارفا بالرغم من شدة غيرته عليها

* * *

ولما عاد هذا الصديق الى توفانو وأخبره بنجاح مهمته ، سر لذلك سروراً عظيما وكاد يطير من شدة الفرح والابتهاج . وذهب فى الحال الى حيث تقيم جيتا مـع أهلها وعاد بها الى منزله . وقضى الزوجان بعد ذلك بقية أيامهما فى سرور وصفاء وبر توفانو بوعده لجيتا فـلم يعد يتدخل فى أى أمر من أمورها . كما أنه أقلع عن شرب الخمر فلم يعد يتناولها الا فى القليل النادر . زد على ذلك أنه نبـذ هذه الغيرة العمياء التى سببت له كل هاتيك المتاعب والويلات ، ولم يعـد يهتم كثيرا لغياب زوجته عن المنزل او عدم غيابها

محمد عبد اللطيف حسن



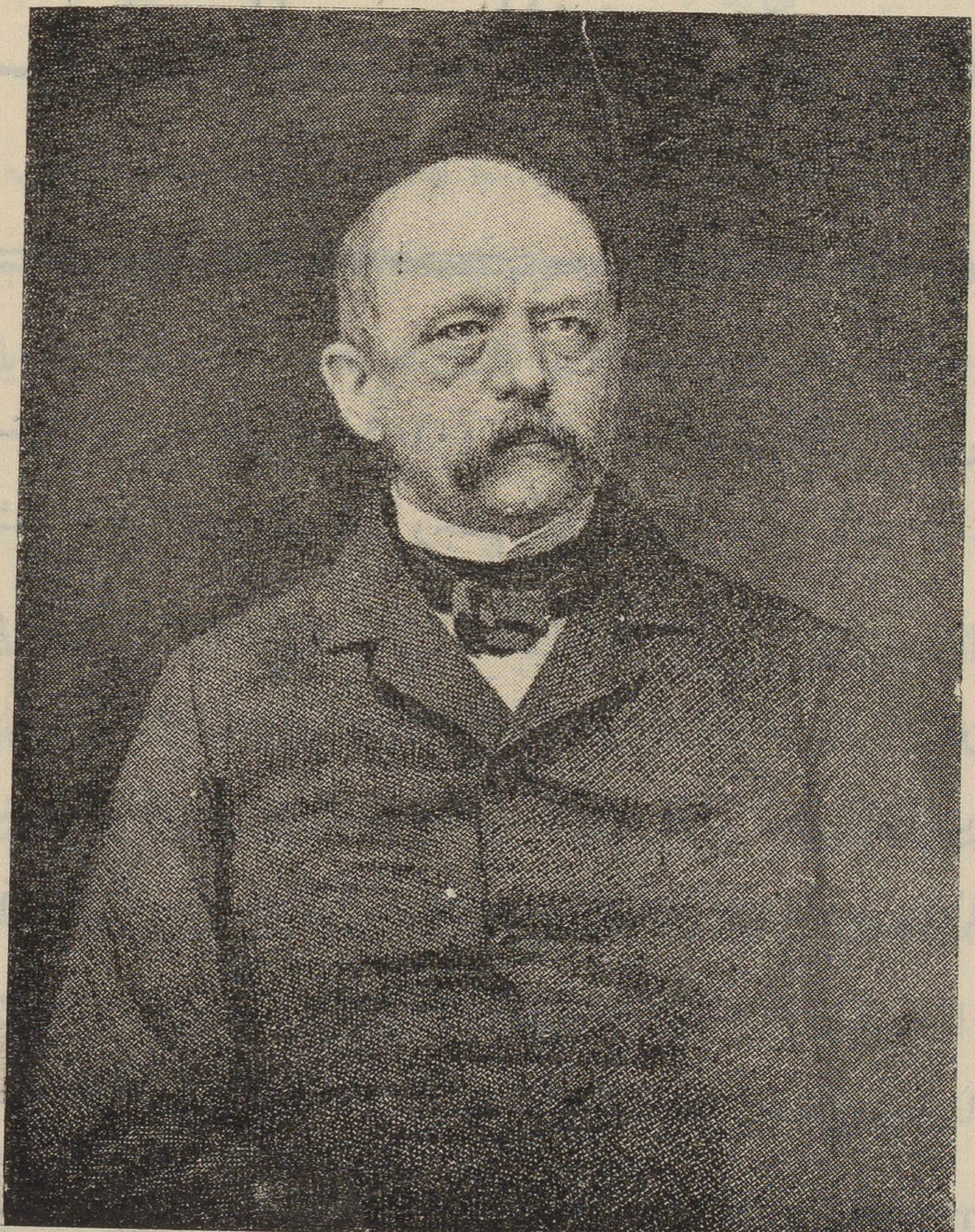
بسمارك: الزعيم الذى سبق هتلر

ولد بسمارك سنة ١٨١٥! ومات سنة ١٨٩٨. وتاريخه منذ منتصف القرن الماضى الى قبيل وفاته هو تاريخ المانيا الحديثة لانه هو الذى الف بينها وجعلها أمة واحدة بعد أن كانت شتاتا من الأمم ينفر بعضها من بعض وأن كانت تعمها جميعها وحدة فى الدم والثقافة

والمقابلة بين بسمارك وهتلر اذا لم تكن منيرة فى الوقت الحاضر فلا أقل من أنها مسلية. فان كليهما زعيم ولكنهما يختلفان من حيث أن بسمارك نشأ فى بيئة المزارعين البروسيين الذين يمتازون بتقاليد الاشراف فى حين أن هتلر قد نشأ من الشعب. وقد عمل كلاهما للوحدة الالمانية بضم الدول المختلفة الالمانية فى دولة واحدة. وداس كلاهما الدستور لتحقيق هذه الوحدة

ولكن الزعيمين على اتفاقهما فى الخطط والأغراض السياسية يختلفان أشد الاختلاف من ناحية المزاج الذهنى بل المزاج الجسمى. فان بسمارك كان أكولا يشرب الخمور بنهم. وكان أحسن ماأعجب به فى انجلترا المائدة التى يتراكم عليها اللحم. وكان يقول أن البروسى الصادق يجب أن يستهلك قبل أن يموت خمسة آلاف زجاجة من الشمبانيا على الأقل. وهو هنا نقيض هتلر الذى يقاطع اللحم والخمور. ثم هناك فرق آخر هو أن هتلر ينزع الى الفنون الجميلة فى حين كان ذهن بسمارك أغلف من هذه الناحية اذ لم يكن يميز لحنا موسيقيا من آخر

وقد قضى بسمارك ثمانى وعشرين سنة وهو مستشار بروسيا أو الحاكم المطلق تقريبا لالمانيا. وقد بدأ حياته السياسية عضوا فى البرلمان سنة ١٨٤٧ ثم تعين فى السفارات، وقد رأى بعينه حوادث سنة ١٨٤٨ حين غمرت أوربا الثورات. ولكنها لم تزعزع عقيدته السياسية المحافظة وكراهته للديمقراطية. فقد كان يكره حكم السواد كما يكرهه هتلر بل أكثر. ولم يبال سنة ١٨٤٩ حين اختلف مع البرلمان أن يصرح بأن العقدة الدستورية اذا لم يمكن حلها فانه يمكن قطعها. وسخر الاعضاء من هذا التهديد وهم



بسمارك

يظنون أنه لن يجرؤ عليه . ولـكنه جرؤ . وحل البرلمان وصار يجمع الضرائب بدون الحاجة الى التأييد الدستورى . وقد أدى مثل هذا العمل فى انجلترا إلى قتل ملك من ملوكها

ولـكن الالمان على الرغم من تفوقهم فى كثير من الشئون هم أضعف الثائرين فى العالم . ولذلك صاروا يؤدون الضرائب بلا برلمان

وشرع بسمارك فى تاليف الوحدة الالمانية بان أغار على دوقتى شلزفيك وهولستين وانتزعهما من دنمركا سنة ١٨٦٥ فى حرب لم تعش طويلا ثم التفت الى «امبراطورية النمسا والمجر» وكانت من حيث النفوذ السياسى تكسف ألمانيا وتوليها مكانة وضيعة وتعقد المحالفات ضدها . فما زال بايطاليا وفرنسا حتى أبعدهما عن هذه الامبراطورية ، ووثق انهما لن تساعداها

ثم حاربها وانتصر عليها فى معركة سادوا وبعد هذا الانتصار دعا البرلمان الذى كان قد الغاه تقريبا فعاد اعضاؤه فى حماسة يهتفون له ويسنون قانونا بشرعية جميع أعماله الماضية مدة غيابهم

ثم اتجه نحو فرنسا فدبر الاسباب للحرب ودبرها بل زور تلغرافا لهذه الغاية. ونشبت الحرب. ورأت فرنسا نفسها وحيدة أمام دولة قوية فندمت حين لا ينفع الندم على أنها لم تساعد امبراطورية هابسبورج على محاربة المانيا والانتصار عليها. وانهزمت أمام المانيا هزيمة منكرة. وهى هزيمة قال فيها الجنرال راندوف « أن فرنسا هزمت فى سادوا » وهو يعنى بذلك انها لو كانت ساعدت امبراطورية النمسا والمجر على الانتصار لما استطاع الألمان أن يهزموها بعد ذلك وهى منفردة أمامهم فى سيدان سنة ١٨٧٠

واستطاع بسمارك فى تلك السنة أن يعلن فى قصر فرساى « الامبراطورية الالمانية » وأن ينزع من فرنسا اقليمى الزاس ولورين ومائتى مليون جنيه. وقد غرس بهذا العمل شجرة من الحقد أثمرت ثمراتها المرة سنة ١٩١٤. وعقد الصلح فى قصر فرساى مرة أخرى سنة ١٩١٨ حين سلم المسيو كليمانصو شروط المعاهدة وهو يقول لممثل المانيا « هذه هى معاهدة فرساى الثانية »

فهل يسير هتلر على الطريق الذى سار عليه بسمارك؟ وهل هو قانع بانتصاراته التى تحققت الى الآن بالوسائل السلمية أم يقع فى حرب قد تقضى على الحضارة الاوربية؟

واحة الكفرة

تكون هذه الواحة نقطة من نقط الهجوم المهمة على مصر وتعتبر اقرب محطه لطائرات الهجوم لغزو قلب مصر من صحراء ليبيا فى الحرب المقبلة — وقد اردنا ان نورد شيئا من تاريخها الحديث ومكتشفيها الكثيرين

كان وجود هذه الواحة مجهولا حتى أوائل القرن الماضى الا انها مع ذلك بقيت سرا من اسرار الصحراء الليبية حتى زمن قريب — ولاحتجابها داخل صحراء من اوسع واجدب صحارى العالم — ووعورة الوصول اليها موقف العداء الذى يقفه اهلها ضد كل أجنبى قد حمى كلاهما هذه الواحة مدة قرن من الزمان من مكتشفى الأوربيين وغزاتهم الفاتحين

وواحة الكفرة أو واحاتها يمكن اعتبارها مجموعة من الجزر وسط محيط من الرمال والصخور. والواحات الاربعة المهمة التى تتكون منها هى تايزربو ، بوفريها ، كسيابو ، ربيانا . وتقع منتشرة داخل دائرة قطرها ١٠٠ ميل تقريبا .

وتكون واحة الكفرة نقطة الاتصال الوحيدة فى الصحراء الليبية بين افريقيا الفرنسية الاستوائية وساحل البحر الابيض ولوقوعها فى منتصف هذا الشريان التجارى بين الشمال والجنوب اصبح لمركزها الجغرافى اهمية عظمى .

وسكان هذه الواحة الاصليون هم قبائل التدا الذين يقال انهم. سليلو الجرمانتيانس أو الهيرودتس أو « الفوندال » ولقد غزاها فى اوائل القرن الماضى قبائل عرب برقة وكان ان اخذت اسمها الحالى عند ما غزاها عرب الاوبا والمغاربة الذين اطلقوه عليها لكفر اهلها .

وكان من نتائج استدامة المعارك على احراش النخيل فى تلك الواحات ان قدم اهلوها ثلث أراضيها الصالحة للزراعة الى الشيخ على السنوسى وهو الذى لعب دورا مهما فى حياة ليبيا . فلقد قام

بتأسيس زاوية فى قرية جوبا وارسل تابعيه الى الكفرة لتحويل اهلها من الفابو الى الاسلام .

ولعل اول زائر لواحة الكفرة هذا المكتشف الالمانى جرهاود روهلفس الذى ابتدأ رحلته سنة ١٨٧٩ من برقة مخترقا جالو جنوبا ووصول الكفرة متبعا طريق القوافل الوحيد فى ذلك الوقت ولتعصب اهالى الواحة الشديد ضد الاجانب كان من الممكن القضاء عليه بين هؤلاء القوم لانتهاكه حرمة بلادهم لولا ان ارسل السيد المهدى السنوسى ابن على السنوسى خطابا يوحى بترك المكتشف والسماح له بالرجوع . ولم تطأ قدم اوربى واحة الكفرة بعد هذا الحادث حتى سنة ١٩١٦ عند ما اعتقل المارشال دى لوجى لابير احد اسرى الحرب والذى فك اعتقاله فيما بعد .

وكان بعد ذلك ان دخل السنوسى الاكبر الثالث ، السيد احمد شقيق المهدى معمان الحرب الحرب الكبرى الى جانب المانيا وتركيا - ولم يكن عمل السنوسى سوى تكملة الحرب التركية الايطالية والتى ابتدأت عام ١٩١٢ والتى لم يتمكن الايطاليون فيها من احتلال اراضى برقة كلها واخضاع داخليتها لهم . وقاموا بالاغارة على مصر سنة ١٩١٦ وسنة ١٩١٧ وكان من نتائج فشل هذه الاغارة ان اعيد تنظيم الجيش السنوسى تحت قيادة السنوسى الرابع الاكبر - السيد ادريس بن المهدى - والذى كان من أشد المعارضين لسياسة عمه ضد الانجليز — فقد ركز السيد ادريس جهوده كلها فى محاربة الغزاة الايطاليين ولقد دامت بينه وبينهم حرب سجال حتى سنة ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ باتفاقه مع الايطاليين وباتفاقية رجمات منح السنوسى لقب امير والحكم داخل برقة واهمها واحة جالو والجغبوب (التى اخذت فى سنة ١٩٢٦ من مصر) والكفرة مع مبلغ عظيم يدفع له سنويا من الحكومة الايطالية

وفى سنة ١٩٢١ زار المكتشف المصرى احمد باشا حسنين الأمين الاول لجلالة الملك - (حسنين بك فى ذلك الوقت) واحة الكفرة باذن من السيد ادريس . وكان يصحبه مسز روزيتا فوربس — ولقد وصلوا هذه الواحة الغامضة بواسطة الطريق الشمالى عائدين الى مصر عن طريق الغبوب ومخترقين بذلك صحراء مجهولة — وبعد عامين سمح لسعادته بزيارة الكفرة مرة اخرى

وفى هذه الرحلة اخترق الطريق جنوبا حتى وصل الى دارفور فى السودان وبذلك كان حسنين باشا المكتشف الأول الذى اخترق الصحراء الليبية من البحر الابيض المتوسط الى السودان مكتشف

بذلك القطر الواقع جنوب الكفرة ـ وفى نفس هذه السنة وصل الضابط بروند دى لابورى واحة الكفرة قادما من الجنوب من الوادى الفرنسى ومع انه كان لا يحمل تصريحا من السنوسى فقد سمح له بالتقدم الى الساحل

ولكن هذه الزيارات المتكررة لم ترق اعين سكان واحة الكفرة فأستأنفوا عداءهم للاجانب وظلت طريق هذه الواحة مقفلة فى وجوههم حتى سنة ١٩٢٨ عند ما سمح للدكتور الايطالى بريزى بزيارتها ولكنه اخذ اسيرا بعد ذلك ولقد ادت هذه الحادثة الى حرب ايطالية سنوسية طويلة المدى

ولم يقم بزيارة هذه الواحة احد ما حتى قيام الحملة التأديبية الايطالية ودخولها الواحة سنة ١٩٣١ قادمة من الشمال مخترقة طريقا غير مكتشف من الغرب . ولقد وصل بعد ذلك الى الواحة المكتشف الهنغارى الماس فى ١٩٣٢ قادما من الواحة الخارجة بمصر وهو يعتبر اول من اخترق الصحراء شرق الكفرة

ولقد اصبحت هذه الواحة المنيعة فى المدة التى سبقت الحملة الايطالية هى الملجأ لكل من لم يخضع للحكم الايطالى من عرب طرابلس وبرقة ـ ولقد كان تقدم الحملة الى الواحة فى اتجاهين مختلفين افتقدمت قوة صغيرة مبتدأة من الغرب بطريق ايواه الكبير وايواه الناموسى وبير معروف نحو تيزربو بينما تقدم قلب الحملة مبتدئا من اجيدسيا بواسطه جالد وذينحين وكانت القوة مكونة من ٦٥٠ يطاليا من ضباط وصف و ٣٣٠٠ وطنى و ٥٠٠٠ جمل و ٥٠٠ سيارة و ٢٠ طيارة .

وفى صباح ١٦ ينباير سنة ١٩٣١ دخلت طلائع الحملة واحة هاورى الشمالية حيث قاومتها قوة من العرب يبلغ عددها ٦٠٠ عربى وكان نتيجة هذا الالتحام هو سقوط ٤ من الضباط والصف للايطاليين و ١٨ من الجرحى قابلهم من العرب موت ٢٠٠ وكثير من الجرحى ولم يدخل الأيطاليون واحة الكفرة . حتى صباح اليوم التالى ولقد هرب عدد كبير من السكان فى اثناء الليل نحو مصر والسودان

ولقد تعقبت الطائرات الايطالية قوافل الهاربين يومين كاملين وامطرتهم وابلا من رصاص مدافعها الرشاشة مما ادى الى موت الكثيرين ومن نجا منهم قد واجهته رحلة مريعة فى صحراء لا فيها غير معروفة لهم من قبل

وفى ٢٢ فبراير عثر على خمسة من هؤلاء الهاربين المنهوكى القوى خارج واحة الداخلة ولقد قصوا

مالاقوه من اهوال وان مئات منهم ماتوا ويموتون فى الصحراء ولقد قام ضباط حدود الحكومة المصرية باعمال مجيدة فى انقاذ مئات منهم كان ينتظرهم الموت فى تلك الصحراء المجدبة

وباحتلال الايطاليين لواحة الكفرة انتهت حروبهم فى طرابلس وتم لهم ماارادوا من فرض السلطان على جميع البلاد وكان آخر عمل من الاعمال الحربية التى قامت بها ايطاليا فى افريقيا قبل الحرب الحبشية . ولقد دامت من عام ١٩١٢ عندما قامت البوارج الحربية الايطالية بضرب ميناء طرابلس الى سنة ١٩٣٢ عندما تم وضع الاسلاك الشائكة بين الحدود الايطالية والمصرية. ولم تكن القوات السنوسية والتركية تملك اكثر من ٦٠٠٠ بندقية طيلة هذه الاعوام فى حرب عصابات طويلة كهذه التى لعبت فيه واحة الكفرة معقل السنوسيين المنيع دورا هاماً فى تاريخها .

محتمس

موسولينى

كتب أحد الصحفيين الانجليز يقول ان الشيخوخة قد بدأ أثرها هذه الايام على موسولينى . وأماراتها تلكؤ وبطء وتوان ولهذه الحال اثرها فى الحرب والسلام . فان الشخصية البركانية التى كنا نعرفها فى الزعيم الايطالى ومازلنا نراها فى الزعيم الالمانى قد هدأت واستكنت وحسب اوربا بركانا واحدا بدلا من اثنين . وقد يكون للشيخوخة محامدها فى الحال الحاضرة حين يدعى موسولينى الى الحرب فيجد أن رزانة الشيخوخة ترجح خفة الشباب وتثقله عن الحركة والتهور

وقد حاول موسولينى ان يرد عادية السنين عن جسمه فاتبع نظاما قريبا من النظام الذى يتبعه هتلر فى الابتعاد عن اللحم والشراب — الا قليلا — ولكن الترهل دب فى جسمه . وليس بين الزعماء الايطاليين من يستطيع ان يحظى بحب الايطاليين مثل موسولينى ولذلك قد يصح القول القائل بان الديكتاتورية تنتهى بنهاية زعيمها القوى

امبراطورية مصر في أيام اسماعيل

مصوع زيلع بربرة

اخرج الدكتور محمد صبرى كتيبا أنيقا يبلغ ٧٦ صفحة يبحث تاريخ مصر فى استعمارها أيام اسماعيل لافريقيا الشرقية وهرر وزيلع وبربرة . وقد أثبت فيه من الحوادث التاريخية ما يجهله كثير من القراء . فان مصر اتجهت فى فتوحاتها أيام محمد على الى الجزيرة العربية وسوريا وآسيا الصغرى . وكان ابراهيم باشا يقول : ان مستقبل مصر فى افريقيا . يعارض بهذا القول الخطط الحربية التى سار عليها أبوه

ولكن هذا الذى كان يقوله ابراهيم باشا ولم تتح له الظروف تنفيذه امكن اسماعيل أن ينفذه . فانه منذ أن تولى الحكم شرع فى وصل مصر بالسودان بخط حديدى تكون نهايته الخرطوم . ولكن اعترضت هذا المشروع عقبات عطلته . وارسل اسماعيل بعد ذلك بيكر باشا الى السودان لكى يكشف عن مجاهل افريقيا الوسطى وينصب عليها العلم المصرى . ثم أرسل بعد ذلك غردون باشا الذى استطاع أن يصل الى البحيرات الكبرى سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٦

ولما نال اسماعيل من السلطان حتى الحكومة الوراثية سنة ١٨٦٦ حرص على أن يشمل فرمان التولية جميع الملحقات المصرية بما فيها سواكن ومصوع . واتجه تفكير اسماعيل منذئذ الى التوسع حول البحر الاحمر والساحل الشرقى لافريقيا . فالف أسطولا لهذا البحر وسلم قيادته لجمالى بك . وقد كتب الضابط الانجليزى وود سنة ١٨٧٥ يقول « ان التنازل عن ميناء زيلع والاستيلاء على بربرة يجعلان ساحل البحر الاحمر الغربى كله فى قبضة مصر . ولا ريب أن المناطق التى كانت من قبل مستوحشة أخذ المصريون يصلون بينها وبين العالم المتمدين . وقد اختصر التلغراف بينها وبين سواكن نصف البحر الاحمر الجنوبى . ومن السهل الاتصال بهذه الميناء من أى نواحى الساحل اذ

يوجد فى كل قرية موظف مصرى ومعه الجند لحفظ النظام »

ويقول القائد جيمس بلير ممثل بريطانيا فى عدن سنة ١٨٨٤ « يجب أن نعترف بان السومال والدناكل والعرب فى خليج عدن سواء أكانوا مستقلين أم تحت الحماية الانجليزية أو الفرنسية أو الايطالية يرفعون فوق سفنهم وفى معظم الاحايين فوق منازلهم ومقابرهم رايات لا يشك الناظر اليها انها مصرية »

وهنا يقول الدكتور محمد صبرى :

ومن الثابت ان المصريين الذين انشأوا مدينة الخرطوم وأوجدوا وطنا للحضارة فى قلب افريقيا على انقاض من العشش يقطنها صيادو السمك هم الذين أسسوا بربرة . وقد اجمع الاجانب من الزوار ايا كانت ميولهم نحو مصر على أن بربرة كانت فتنة للناظرين . كتب جبرائيل فيران الذى كان قنصلا لفرنسا ثم وزيرا مفوضا على أثر زيارة فى سنة ١٨٨٣ يقول : « انشأ المصريون فى بربرة بمعزل عن الحى الوطنى مدينة افريقية صغيرة عليها نضرة ونعيم . وأتوا بالماء من جبل الدوبار الذى يبعد اثنى عشر كيلو مترا من الساحل وأقاموا



الخديو اسماعيل وابنه ولى العهد توفيق باشا

المبانى للمحافظة ودار الشرطة والسجن وبيت الحاكم على الطراز الاندلسى وبداخله حديقة لاقامة الزوار الغرباء . وكان أسلوب البناء مطابقا لمقتضيات الجو الحار . وكانت العناية توجه كل يوم لتنضير الرياض والزهر وزرع الخضراوات طوال السنة . وكان فى الميناء منارة تبعد ١٥ ميلا ورصيف يسمح بتفريغ

السفن وشحنها وتزويدها بالماء »

وفى سنة ١٨٧٥ شرع المصريون يتوغلون فى افريقيا من مدن السواحل . فقام رءوف باشا على رأس حملة مصرية الى زيلع ومنها تحرك لاحتلال هرر . فاجتاز بالسومال ووصل الى هرر بعد نحو ٢٥ يوما . وقد كان امير هرر محمد بن عبد الشكور مستبدا برعيته يحرم أكل الرز والبلح والثريد بحجة أن هذه الاطعمة اللذيذة من حق الملوك وحدهم . وكان يحتكر تجارة العاج والبن وريش النعام . وبلغ من تعسفه انه اذا هم بالبصق تسابق الحضور الى تقديم كم قميصهم . وقد عمم رءوف باشا العدل وحث السكان على الزراعة ووزع بينهم الارض وقمع الفوضى . وأنشأ المحطات لتأمين التجارة فكثرت القوافل بين الساحل وبين هرر حتى صارت ٤٠٠ بعد أن كانت لا تزيد على السبعين . وقد زار هرر الرحالة الايطالى انطون سيكى سنة ١٨٨١ فكتب عنها يقول : ان حالتها المعنوية تطابق حالتها الماديه . وتبدو على المصريين سيماء الفاتحين الذين رفعوا لواء الحضارة اذ هم يعلمون الاطفال القراءة والكتابة والفتيات الصلاة والشريعة السمحاء . والطريقة التى يتعهدون بها الامن فى المدينة وضواحيها جديرة بالاعجاب

ولكن ثورة المهدى فى السودان اجبرت الحكومة المصرية على التخلى عن هذه الامبراطورية التى وضع اسسها اسماعيل وضاعت الجهود التى بذلها المصريون فى نشر الحضارة فى مجاهل افريقيا السوداء

فن الضيافة فى بلادنا

وكيف نعمل على ترقيته

الشائع عندنا أن الضيافة لا تحتاج الا الى الكرم . وهو فى الغالب كرم الطعام والشراب . كأن الضيف كان يحس الحاجة الى ألوان فاخرة من الطعام لم يكن ليجدها الا بمجهود خاص أو نفقة كبيرة فنحن نهيئها له كما وكيفا فى وليمة مطهمة وجمع حاشد من الاخوان . ولكن مثل هذا الكرم لما ينفق عليه من مجهود كبير يضطرنا الى أن ننقطع عن ممارسته فترات طويلة فيكون التعارف بين العائلات أو الافراد قليلا . والرغبة عن البيوت قوية واغراء الملاهى والقهوات جاذبا فعالا

وفى عصرنا وبيئتنا المتمدنة ما يجعل لضيافة الطعام أقل القيمة . لان الاطعمة متوافرة فى مدينة كبيرة مثل القاهرة . وفن الطهى على أرقاه وأغربه معا فى المطاعم . ونحن لانطلب حين نزور بيتا أن نجد فيه ما نجد فى المطعم . وانما نطلب الايناس . فالضيافة هى فى عصرنا هذا ايناس بالحديث المهذب بين الجماعة المثقفة . ولست أعنى من التثقيف أن ينقلب البيت الى مدرسة . ولكنى أعنى انه يجب أن ينتظم الاجتماع بحيث لا نزور الناس جزافا فى غير ميعاد ولا يعم الهرج الاجتماع

ومن المألوف الذى يسيغه النظر القروى ان يقال ان الشرقيين كرماء يحبون الضيافة . فاما من حيث الكرم فان نظرة سريعة على مافى أوربا أو أمريكا من مؤسسات الخير والبر كالمدارس والمستشفيات والملاجىء تدل على اننا نخطىء الفهم لمعنى الكرم . اذ ليس عندنا من هذه المؤسسات شىء الا اذا كانت تقوم به الحكومات . اما هناك فان الافراد هم الذين يقومون بانشائها . وأما عن الضيافة فان هذه فن يحتاج الى دراية بترتيب الغرفة واختيار أثاثها والى مقدار من الثقافة يجعل الحديث مهذبا نيرا . بل يحتاج أيضا الى اجتماع الجنسين . لان البيت هو بيت المرأة قبل أن يكون بيت الرجل وكل مافيه من أثاث حسن أو ترتيب جميل سيعزى اليها . وكل اجتماع لاتحضره المرأة هو

اجتماع ناقص. وهذا الاجتماع الناقص هو السبب الاصلى لما فشا فى لغتنا من بذاء اللفظ الذى لم نتحاش التحدث به لغياب المرأة عن اجتماعنا لان حضورها يهذبنا . ويحملنا على أن نضبط ألسنتنا ونبدو فى أحسن بزتنا — بزة اللباس وبزة الاخلاق معا — حتى يستحيل هذا التحاشى عادة تلازمنا وما أحوجنا اليها من عادة

« * »

لقد مرت بذهنى هذه الخواطر وأنا أستمع لحديث شائق ألقته السيدة نظلة الحكيم فى جمعية الشبان المسيحية عن فن الضيافة . فانها ترى انصراف شباننا خاصة ورجالنا عامة عن البيوت الى القهوة أو الملهى . وهى ترى طغيانا من العادات الغربية يطغى علينا ويجب ازاءه أن نقف موقف الاختيار الدقيق . وانما يكون هذا بأن نتعلم فن الضيافة ونجعل اجتماعاتنا مؤنسة ممتعة مهذبة فتعود الى بيوتنا تلك الحياة الاجتماعية التى يجب أن تكون للبيوت المتمدينة . وأنا هنا ألخص بعض ما قالته . فهى ترى أن كل بيت يجب أن يعين يوما فى الاسبوع أو الشهر لدعوة الضيوف من الجنسين ونحرص على أن يكون بينهم شخصية لها مكانة أو قيمة ما . وقد نكلف أحد الضيوف بأن يلقى علينا كلمة فى موضوع نجهله أو نحب الاستزادة فيه ولكن ليس هذا بالطبع ضروريا . وكل ما فيه من ميزة أنه يفتح الباب للحديث والحوار . فاذا استطعنا أن نجعل الحاضرين يتحدثون فى نشاط واستمتاع واستنارة فقد قمنا بكل ما يطلب من الضيافة . وهنا يجب أن نعرف القيمة الكبيرة لبعض الألعاب المسلية . كما يجب أن يكون ترتيب الاثاث بحيث يتيح للحاضرين أن ينقسموا فئات . هنا أربعة يتحدثون معا . وهناك خمسة يتسامرون وهلم جرا .

وقد تعودنا أن نقدم القهوة للضيوف ولكن مثل هذا الاجتماع الشهرى أو الأسبوعى يجب أن يكون فيه من المشروب ما يزيد على القهوة . فالغرفة التى تتسع لنحو ١٥ أو ٢٠ ضيفا يجب أن توضع فى أحدى زواياها أدوات الشاى وفى زاوية أخرى أدوات القهوة . وفى زاوية ثالثة أدوات المشروب المثلج . وعلى كل من الموائد الثلاث التى تحمل هذه الادوات قليل من الطعام الخفيف . وذلك أن الضيوف فى مثل هذا الاجتماع يقضون ساعتين أو ثلاثا . وفى مثل هذه الظروف يحتاج الضيف الى القليل من الطعام والشراب

وقد يسأل القارىء : هل السيدة نظلة الحكيم تعمل ذلك فى بيتها ؟

فالجواب أن بيتها هو بيت سيدة مصرية متمدينة . وهى لاتقتصر على أن تعمل بما تقول بل هى تزيد عليه عملا صامتا لايدرى به الجمهور . ولكنى هنا أبوح به من دون أن أذكر بالطبع أسماء — لكى تجد سائر العائلات والسيدات فيه مايجرئهن على العمل المثمر فى ترقية اجتماعنا وتقوية بيوتنا

لقد أنشأت جمعية سمتها « الجماعة العائلية » عددها يتراوح بين ٢٥و٣٠ عائلة لاتزيد . ثم تجتمع هذه الجماعة بالمناوبة فى بيت احد الاعضاء من الساعة السادسة الى الساعة العاشرة فى المساء . وهم يتناولون العشاء معا . وأنا أنقل هنا دستور هذه الجماعة لكى تتألف منها جماعات لهذه الغاية أى ترقية فن الضيافة

« * »

١ — تألفت بالقاهرة جمعية باسم « الجماعة العائلية » الغرض منها انماء الروح القومية والاجتماعية بين أعضائها

٢ — تتألف الجماعة من ثلاثين عضوا مقيما ومن خمسة أعضاء غير مقيمين حسب الكشف المحفوظ لدى السكرتير — والعضو المقيم هو الذى يحضر الاجتماعات بصفة منتظمة — والعضو غير المقيم هو الذى يقيم خارج القاهرة لمدة أكثر من ثلاثة أشهر . ويعافى من الاشتراك ومن حضور الاجتماعات

٣ — تقبل الجماعة أعضاء جدداً على أن يدعوا مبدئيا بصفة ضيوف وعلى أن يكونوا أزواجا ـ وفى اجتماع تال يرشحهم أحد الاعضاء ويزكيهم عضو آخر . ويكون الاقتراع سريا . ويتم انتخاب الاعضاء الجدد إذا لم يعارض فى قبولهم أكثر من عشرة فى المائة من الأعضاء المقيمين

٤ — تعقد الاجتماعات فى مساء الخميس الأول من كل شهر ابتداء من سبتمبر لغاية يونيه أى عشرة اجتماعات فى السنة ويقام فى كل سنة بدلا من إحدى هذه الاجتماعات حفلة إفطار يكون موعدها فى ليلة النصف « مساء ١٤ » من شهر رمضان المكرم

٥ — يقوم الأعضاء بادارة الاجتماعات بصفة دورية حسب كشف يعمل فى اكتوبر من كل سنة وفى المكان الذى يرونه مناسبا ويرأس المضيف الاجتماعات ويكون من وظيفته وضع البرنامج وارساله للسكرتير قبل الاجتماع بعشرة أيام على الاقل ويكون اتصاله بباقى الاعضاء عن طريق السكرتير فقط

٦ — ينتخب في أكتوبر من كل عام أحد الاعضاء ليكون سكرتيرا للجماعة وظيفته تدوين المحاضر وطبع وتوزيع البرامج ودعوة الأعضاء والاتصال بهم وجمع الاشتراكات والصرف على الاجتماعات وتقديم حساب شهرى عن الرصيد الموجود بطرفه ولايجوز انتخاب السكرتير لمدة سنتين متتاليتين

٧ — ينتخب في أكتوبر من كل سنة عضوان يشتركان مع السكرتير فى اتخاذ قرارات سريعة نافذة فى تعيين موعد الاجتماعات الشهرية أو مكانها فى حالة ما اذا طرأ مايمنع من عقد الاجتماع فى موعده الدورى وكذا فى الاجتماعات الاضافية والرحلات التى لم يؤخذ عنها قرار من الجماعة وتعد طارئة . ولايجوز انتخاب لجنة الطوارىء لمدة سنتين متتاليتين

٨ — الاشتراك الشهرى لكل عضو هو عشرة قروش صاغ ويخفض الاشتراك الى خمسة قروش للعضو الذى يتغيب عن الاجتماع لعذر قهرى ويخطر السكرتير قبل الاجتماع بيومين على الأقل. وتقدر نفقات الاجتماع الشهرى العادى بمبلغ مائة وخمسين قرشا تصرف للرئيس عقب الاجتماع. أما الاجتماعات الاضافية والرحلات وحفلات الافطار فتقدر اشتراكاتها ونفقاتها حسب مقتضيات الظروف والاحوال

٩ — يجوز لرئيس الاجتماع فقط أن يدعو من الضيوف من يشاء ويعفى من دفع الاشتراكات عنهم فى الاجتماعات الشهرية فقط

١٠ — هذا النظام ينسخ ماقبله من القرارات التى تخالفه ؛ ولا يجوز الحذف أو الاضافة أو التعديل فى مواده كما لايجوز البحث فى أى موضوع يمس كيان الجماعة الا اذا قدم اقتراح كتابى بذلك فى اجتماع يحضره ٧٠ فى المائة من الاعضاء المقيمين وأن يوافق عليه ٧٠ فى المائة من الاعضاء الحاضرين

وافقت الجماعة على النظام فى الاجتماع المنعقد فى يوم الخميس أول ابريل سنة ١٩٣٧ برياسة السيدة (...) حيث كان المقرر الدكتور (...)

سكرتير الجماعة

* * *

وأجيز لنفسى أن أنقل برنامجا انموذجيا للاجتماعات العائلية. وقد حدث فى ١٠ مارس سنة ١٩٣٨.

يقيم الاجتماع فى منزل . . . شارع . . .

الساعة ٦٫١٥ ابتداء الاستقبال الساعة ٦٫٢٩ كلمة المضيفه . . .

الساعة ٦٫٣٠ محضر الاجتماع السابق ..

الساعة ٦٫٣٥ مناظرة (تتمنى المرأة لو كانت رجلا)

مع الموضوع	زكيه ل	وسنيه
ضد الموضوع	أميرة	وأسماء

محتوم على بقية السيدات الاشتراك فى هذه المناظرة والتكلم لمدة دقيقتين سواء كان ذلك فى صف المناظرة أو ضدها وكل من تعتذر عن التكلم تدفع غرامة قدرها قرشان صاغ فقط تودع فى صندوق الجمعية

الساعة ٧٫٣٥ الجراكسة عمر رفقى بك

الساعة ٧٫٥٠ تهنئة الآنسة . . . لحصولها على درجة M Sc. فى علم النفس والتربية من جامعة برمنجهام عزيز ومظهر

الساعة ٨ عشاء واستراحة .

الساعة ٩ حديقة الحيوانات بالجيزة -- عبدالعزيز

الساعة ٩٫٣٠ زجل مظهرى خفيف — مظهر

الساعة ٩٫٤٠ العاب ينظمها مجدى

الساعة ١٠٫١٥ اقتراحات

الساعة ١٠٫٣٠ النشيد القومى

ومع السلامة

« * »

ويمكن كل عائلة أو ربة بيت مستنيرة أن تؤسس مثل هذه الجماعة . وليس من الضرورى أن يكون الاجتماع للعشاء لان الشاى ومايكون الى جانبه يكفى لقضاء سهرة مفيدة مهذبة مسلية

ماذا في روسيا

للكاتب الانجليزى الفيكونت فوربس

«طار الكاتب الكبير الفيكونت فوربس الى روسيا كيما يستطيع الوقوف على حقيقة الحياة هناك ، قبل الحكم عليها أو لها ، وذلك لمناسبة المساعى المبذولة لضم روسيا الى ميثاق مقاومة الاعتداء ، الى جانب الجبهة الديمقراطية ، ويستطيع القارىء أن يتبين ، من هذه المقالة الأولى من سلسلة مقالاته عن رحلته إلى روسيا ، دقة الملاحظة ، وطلاقة التعبير ، وسلامة الفكرة ، مما لا يتيسر كثيرا إلا لعباقرة الكتاب »

قليل من الذين يطعنون على روسيا أو يمتدحونها سعدوا بزيارة تلك البلاد : لذلك عقدت النية على أن أمتطى الطائرة الى موسكو حتى أستطيع الوقوف على حقيقة روسيا دون أن يفجأنى أحد من الناس بهذا السؤال : أزرت قط من قبل تلك البلاد ؟

وهكذا عبرنا البوغاز البريطانى على متن طائرتى . المزودة بمحركين قوة كل منهما ٢٠٠ حصان . وكانت امستردام أولى محطات هبوطنا ، وهنا فقط شهدنا جميع عناصر الخطر الأوربى . فهذه بلاد فى حالة شبيهة بالتعبئة العامة . فمكامن المدافع المضادة للطائرات تحدق بالمطار . لقد كانت امستردام فى تلك الاثناء تعالج تجربة احدى الغارات الجوية

وطرنا من هولندا شطر كوبنهاجن . ولم نحلق فوق البلاد الالمانية فى طريقنا اليها . لقد تجنبنا المرور بسمائها عامدين ، ذلك ان الالمانيين لايسهلون مرور الطائرات الخاصة ببلادهم فهناك من القيود والاشراط ماهو حقيق باحتجاز الطائرات وتعويق المسافرين ، والافضل للمرء ان يطير فوق سطح المحيط ٢٠٠ ميل مستقلا طائرة برية ، على أن يعرض نفسه لخشونة الموظفين الألمان وعنجهيتهم . وهكذا يممت طائرتنا وجهة الشمال ، عابرة فوق بحر الشمال «أو المحيط الالمانى !» كما دعاه الالمانيون فى كتبهم المدرسية ردحا من الزمان

وبصرت بجزيرة هيليجلاند ، من ثنايا المطر المنهمر ، فاذا بها قلعة المانية منيعة ، وقد كانت من قبل ملكا لبريطانيا ، وواصلنا الطيران متجنبين تلك الجزيرة ، حتى استطاع الطرف أن يتبين الساحل الدنمركى ، وعندئذ اختفت السحب الدكناء المفعمة بالمطر والمنذرة بالرعد والبرق ، وتجلى ضياء الشمس ساطعاً باهرا وسرعان ما الفينا أنفسنا نهبط الى كوبنهاجن الحسناء

لقد كان الموظفون المختصون فى المطار ، عظيمى الادب ، كريمى الطباع ، حتى لقد كانوا على أن يغفلوا تنبيهنا الى اظهار جوازات مرورنا . لعمرى ان الانجليزى ليحظى بكل ترحاب فى تلكم البلاد ، أضف الى ذلك ان الدنمركيين — فى الاغلب — يحسنون التكلم بلسان انجليزى صحيح !

وفى استطاعة المسافر الغريب ان يلحظ رخاء مدينة كوبنهاجن العظيم . فالاضاءة فى الشوارع تنبىء عن المرح والاقبال على الحياة بحيث تكاد تحس انك فى غمرة ضياء باريس . وأينما ذهبت ببصرك ألفيت أناسا انيقى الملبس ، نظيفى البزة ، وللدنمركيين ولوع عظيم بالمستحدثات الامريكية . فهذه بعض المطاعم الهولندية قد اصطبغت بالصبغة الأمريكية ، واحتذت أنظمتها — حتى لقد أعدت بها آلات حاسبة ، توضع العملة فى ثقوبها ، فتخرج لك من تلقاء نفسها ما شئت من طعام معد

وانصرمت ليلة أخرى ، وحلقت بنا الطائرة شطر الشمال مرة أخرى . كانت مدينة ريجا محطتنا التالية ، وكنا نتبع الطريق المحاذى لبلاد السويد الجنوبية ، ولجزيرة جوتلاند الكبرى ، وبحر البلطيق حتى ساحل لاتفيا

« * »

وأتممنا هذا الشوط من الرحلة فى ثلاث ساعات ، وانتهينا آخر المطاف الى شعب تجرى السنته بلغة لم أستطع أن أفرق بينها وبين اللغة الصينية

بيد أنهم كانوا — على الرغم من ذلك — عظيمى الكرم ، واتفق ان وصلت فى الوقت الذى تم فيه تعيين مدير جديد للمطار . وكان القوم يحتفلون بالمدير الجديد ، ولم يبطئوا قط عن دعوتنا الى مشاركتهم مباهجهم . كانت حفلة غداء ، وقد طفحت وجوه الاضياف المجتمعين بشرا وايناساً . وكانوا يتبادلون الكؤوس المترعة من شراب « شنابس »

وجاملونا فشنفوا آذاننا بسماع نشيد ترحيب بمقدمنا ، وتلك عادة أهل لاتفيا متى طرقهم غريب .



ستالين

ثم سألونى اذا كان فى استطاعتى الاجابة على هذا الترحيب ، بان أنشد « النشيد الوطنى » !

واذ كنت لا أطمئن كثيرا الى طاقتى الغنائية ، اعتذرت اليهم ؛ قائلا انه ليحزننى ان أنشد مثل هذه الاغنية الوطنية الحساسة وأنا مغترب عن الوطن !

واضطرب مضيفى وقد وعى ما اجبت به ، فقال : « خليق بك ان تستشعر كامل الراحة والطمأنينة ما دمت فى دارى ، كما لو كنت مقيما بدارك . فان كنت معتادا البصق على أرض حجرتك فى دارك ، فبالله عليك لا تتردد فى صنع ذلك بمنزلى ! »

انفقت ثلاثة ايام فى ريجا ، فى انتظار جواب على برقية كان القنصل الروسى قد بعث بها يطلب الأذن لى بالطيران الى موسكو

وكنت أمني النفس ، وأنا فى ريجا ! ان اظفر بالكثير من انباء روسيا ، غير ان غاية ما يدريه أهل « ريجا » عن جيرانهم الأدنين لا يزيد بحال عما فى جعبتنا من انبائهم . سألت صاحب الفندق عما اذا كان يعرف طرفا من انباء روسيا . فذكر لى ان شقيقته تقطن تلك البلاد ولكنه لم يظفر منها بكلمة واحدة اضف الى ذلك أن الطيارين الروس الذى يقودون الطائرات التى تعمل ما بين موسكو وريجا وستوكهلم ، يلزمون الصمت ويعرفون جدوى اطباق افواههم . هم لا يفوهون ببنت شفة امام احد من الناس

وكان الوقت ظهرا حينما امتطيت الطائرة الروسية الوشيكة الرحيل الى معقل البولشفية . لقد كنت المسافر الوحيد الذى اعتلى متن هاتيك الطائرة . كانت محطتنا الاولى فى مطار فيلكيجى لوكى على الحدود الروسية . وحينما نظرت من نافذة الطائرة راعنى ان أشهد الروسيين يجدون فى صنع كثير من الحصون العسكرية على امتداد الحدود . كان من الميسور أن يشهد المرء أخشاب المعسكرات واسطبلات الجياد من الطائرة . وهبطت بنا الطائرة عند فيلكيجى لوكى ، حيث تناولنا غذاءنا . هذه أول وجبة تناولها فى البلاد الروسية ، كانت مؤلفة من قطعة دجاج دسمة ، وكأس من اللبن ولم ندفع شيئا لقاء هذه الوجبة . لقد كانت وجبة مجانية .

وهنا صعد الى الطائرة ركاب آخرون بينهم سيدة روسية فى السادسة والعشرين كانت تحدق فى الطائرة فرحة دهشة . وعندما يممت مكان الجلوس حاولت ان تجرب جميع المقاعد الخالية ، واندفعت من امام نافذة إلى أخرى ، فاتحة جهاز التهوية مقفلته ، على سجيتها . والفرحة والدهشة لا تفارقانها

كانت تبسم للجميع فى طرب ونشوة حتى لقد كان فى وسع المرء ان يتخيلها تناجى نفسها قائلة « أية طائرات عجيبة تلك التى تصنعها روسيا الجبارة ! اى تقدم ذلك الذى ظفرت به بلادى ! »

اما الطائرة فكانت من صنع مصانع سانتا مونيكا من طراز « دجلاس » المعروف !

لا جدال فى ان زميلتى فى الرحلة متوجهة إلى موسكو حيث تشهد بعض مؤتمرات العمال ، أو لعلها لاحقة بزوجها هنالك !

ولما اقتربنا من موسكو ، اختفى الريف الزراعى ، الذى سعدنا بمشاهدة منظره من الجو زمنا

غير قصير ، وآض كل ما حولنا جواً صناعيا مدخنا

هذه مصانع حديثة البناء ، وتلك منازل لايواء العمال !

وكان الطابع الذهنى الذى غمر نفسى وأنا مقتعد الطائرة ، هو ان نظام حكم السوفيات نظام عامل مجد ، وان لم ينته الى الدقة والاحكام للذين تعمل على اساسهما المبادىء الاوربية

وسرعان ما انحدرت بنا مركبتنا الجوية الى مطار موسكو ، القائم فى قلب المدينة نفسها .

وبينما كانت الطائرة تدور بنا حول سماء المطار وهى تعالج الهبوط ، بصرت فى ارض المطار بطائرات مدنية وعسكرية كثيرة كان بعضها جديداً والبعض الآخر قد طال به عهد الاستعمال ، ولكن فى مقدوري القول بان عدد تلكم الطائرات الآوية إلى حظيرة المطار لا يقل بحال عن مائتى طائرة ، وانت لا تستهين بحال ان تظفر بمثل هذا العدد فى أى مطار بريطانى

ويوجد فى هذا المطار مصنع كبير لانتاج الطائرات الحربية ، وفيه تصنع الطائرات الامريكية بترخيص خاص

وعند ما هبطت الطائرة ، تقدمت الى سيدة بارعة الجمـــال وخاطبتني فى لغة انجليزية سليمة وتفضلت فرافقتنى حتى دار الجمرك ، حيث فحصت عن حقيبتى ولقد اصطنع ضابط الجمرك الدقة الكاملة فحل كل شىء فى الحقيبة ، ونقب وفتش فى عناية ودقة عظيمتين . وحسبت انه من واجبى اعادة ترتيب جميع حاجياتى عقب هذه العملية كما هو المتبع فى اميركا ، حيث اعتاد ضابط الجمارك أن يلقى بجميع الحاجيات من الحقيبة على الافريز ؛ ثم يعهد اليك بمهمة التنظيم والترتيب من جديد

بيد ان هذا غير متبع فى روسيا . لقد رفض ضابط الجمارك أن يدعنى حتى ان اساعده فى اعادة حزم متاعى . قائما وحده بالمهمة كلها فى عناية بالغة

وقال لى مترجم المطار أن هنالك سيارة بانتظارى ، وان مترجماً آخر سيصحبنى الى فندق . ولشد ما كانت دهشتى بالغة لدى تبينى ان هذا المترجم الاخر ليس سوى فتاة فى الخامسة والعشرين ، اتقنت اللغة الانجليزية فى مدرسة موسكو العليا للبنات

ومضت طوال رحلتنا الى الفندق تنظم عقود المديح لمسز هدسن عقيلة مستر هدسن وزير التجارة البريطانية فيما وراء البحار

لقد كانت هذه الفتاة مترجمة لمسز هدسن فى أثناء زيارتها الاخيرة لموسكو ، كما أنها صحبتها فى رحلتها الى لينغراد

صاحت زميلتى الروسية فى نشوة الاعجاب : « ان مسز هدسن سيدة انجليزية جذابة ، تفتن فى تجميل زيها »

آه لو تدرين ياصاحبتى ! ليست مسز هدسن انجليزية صميمة ، انها امريكية المولد !

وكانت السيارة التى حملتنا الى الفندق من صنع روسيا . هى عربة كبيرة مقفلة كثيرة الشبه بطراز « البويك » الامريكى وكانت مزودة بمذياع مصنوع فى روسيا وكانت العربة تسير سيراً معتدلا مطمئنا

كان الفندق الذى قادونى اليه فندقا حسنا . لم يكن فندق « الرتيز » ولكنه فندق نظيف سليم الادارة

ويغشاه فى موسم الصيف السائحون الاجانب ، ولكنه فى هذا الوقت من العام كان مزدحماً بالروسيين الذين اقبلوا للاشتراك فى مختلف اجتماعات موسكو . شهدت فى ردهة الفندق أناساً من جنسيات مختلفة بينهم نفر من المغول والصرب والاستراخانيين وغيرهم من جنسيات الاتحاد السوفياتى الاخرى . ولكن ازياءهم متحدة . لم يرتدوا ملابسهم الوطنية وانما تدثروا الملابس الجاهزة التى تنتجها المصانع الروسية

وانطلقت مجولا فى الطرقات وحدى ليلة وصولى ، فأثار اهتمامى أن ابصر الناس رديئى الملابس غير اننى كنت الحظ فى بعض الاحايين ، قليلا من الناس قد عنوا بثيابهم واناقتهم اكثر من اعتناء العامل العادى . وهذه أول ملاحظة يستطيع الزائر الغريب أن يفهم منها أن هنالك فى روسيا طبقة ممتازة

وازدادت هذه الملاحظة قوة وتأييدا عند ما غشيت قاعة الطعام فى الفندق . وفى المساء انطلقت موسيقى « الجياز » تبعث اغانى الرقص المثيرة فى قاعة الرقص الوسيعة . لقد كانت الفرقة مؤلفة من النساء . وراح الضباط الروسيون ، والمهندسون الشبان ، وجميع الطبقة الممتازة فى موسكو يراقصون فتياتهم . وليس الاكل والرقص فى ذلك الفندق مما يكلف القليل . ومهما يكن من شىء فلا تدع هذه العقبات الهينة تصدك عن السفر الى موسكو . فالسائحون لن يرهقوا كثيرا من الناحية المادية .

وكانت رائدتى هى نفس الفتاة التى التقيت بها فى المطار . لقد استطاعت فى سهولة ويسر أن تصور لى حال المنازل قبل الثورة ، والتطورات التى طرأت عليها الآن

واعتزمت الفتاة أن تريني صورة من روائع فن الانشاء الروسى الحديث : تلك هى السكك الحديدية المتوارية تحت سطح الارض

فابتاعت من أجلى — فى حفاوة بالغة — تذكرة ، كيما تقوم برحلة قصيرة فى هذه السكك الحديدية ، الحقيقة بأن تسلك فى عجائب الهندسة الروسية

وأدخل السلم اللولبي المتحرك السرور العظيم على نفسها ، فسألتنى ونحن نهبط درجاته السريعة الانسياب :

« ألا تجد فى لندن مثل هذه الدرجات المتحركة ؟ »

فقلت : بل لدينا مثلها

فملأ الخجل وجهها ، وغمر اليأس والقنوط روحها

لقد جهلت فتاتى حقيقة الامر ، هى لاتعلم أن المهندسين الذين قاموا بوضع تصميم هذه السكك الحديدية المنسابة تحت الارض إنما هم من المهندسين البريطانيين الذين استعارتهم روسيا من اللورد آشفيلد ، مدير المواصلات فى لندن

* * *

ولدى صعودنا من محطة الانتهاء أشارت مرشدتى الى أحد أبراج « التليفزيون » وسألتنى عما إذا كان لدينا فى انجلترا مثيل لها

وذكرت زميلتى أن التيلفزيون أصبح « كثير الاستعمال » . لقد كانت تلجأ الى هذه الاصلاح كلما تحدثت الى عن السلع النافقة فى البلاد الروسية

* * *

والان ، دعنى أصور لك أيها القارىء العزيز أهمية اصطحاب مرشد أو مترجم فى موسكو . انى امرؤ جاهل باللغة الروسية ، حتى ليستعصى على قراءة أسماء الشوارع . ويستحيل على الانسان

التعرف الى اسم انجليزى معروف ، اذا مابحث عنه فى دفتر التليفونات

والان وقد انتهت رحلتى ، وعدت من البلاد الروسية ، لا يفتأ الكثيرون من معارفى يخاطبوننى بهذه العبارة : « لقد جعلوك تشهد هنالك مارغبوا فى أن تشهده . . ! » هذه عبارة تنطوى على كثير من الغباوة ، ذلك أن الروسيين مستعدون لأطلاعك على كل شىء ، اللهم الا مصانعهم ومعداتهم العسكرية

والزائر حر فى أن يطوف بشوارع موسكو كما يشاء له الهوى . فى مقدوره أن يشهد كيف يعيش القوم ، وأى أثاث ومتاع يملكون

ويستطيع المرء أن ينتهى إلى حكم منصف على مبلغ رخاء البلاد ، إذا راح يفحص عن الطريق الذى ينهجه أولئك الناس فى حياتهم

تقع عين الزائر على عدد كبير من الحوانيت الحكومية فى المدينة. ويبهر المرء إذ يشهد واجهات تلكم الحوانيت تضم الكثير من الازياء الجميلة

ويقف الناس عادة صفوفا طويلة خارج تلكم المتاجر ، ينتظرون استلام الاحذية والملابس والزبد واللبن أو سواها من ضرورات الحياة

وموسكو فى حاجة دائمة الى المواد الغذائية والصناعية على السواء . ويرجع ذلك النقص — فى الاغلب — لصعوبة التوزيع ، والحقيقة أن مجهودات الاتحاد السوفياتى ، انما يقصد بها الى الاكتفاء فقط ولقد تزايد عدد سكان موسكو بسرعة بالغة فى بحر السنوات الاخيرة ، وهو يقدر الان بأربعة ملايين ونصف

ومحال أن يتيسر لك ماتبتغى فى هدوء وسهولة ، فاذا مارغبت مثلا فى الحصول على دجاجة لغدائك ، فالواجب يقتضيك أن تقف فى أحد الصفوف مدة تتراوح بين ثلاث أو أربع ساعات

وأن متجرا من تلكم المتاجر المخصصة لتوزيع الملابس الجاهزة « من النوع الشعبى الرخيص » ليشغل الناس ، ويدفعهم الى الوقوف على أبوابه فى صفوف قد تضم ٤٠٠ شخص على أقل تقدير . واذا استطاعت فتاة من فتيات الاتحاد السوفياتى أن تبتاع لنفسها كل عامين « فستانا » من النوع الجيد فهى إذن فتاة مغبوطة مرموقة

وأعربت لى إحدى الروسيات ذات مرة عن أسفها لانتهاء الحرب الاسبانية ذلك أنها تجد مشقة كبيرة الآن فى ابتياع جوارب حريرية . وقد كانت الحكومة الاسبانية تبيع حريرها لموسكو مقابل الحصول على مدافع روسية

* * *

ومتوسط مايتناول العامل الروسى فى الشهر يناهز مبلغ ٢٨٥ روبل ، أى مايكاد يعادل ١٢ جنيها انجليزيا فى الشهر ، وهو مبلغ لا بأس به على الاطلاق ! ولكنه تافه القيمة متى ذهب المرء الى السوق لابتياع حاجياته

يدفع المرء ثمنا لحذاء متوسط ١٥٠ روبل ، أى ما يعادل ٦ جنيهات وان « الفستان » أو المعطف ليكلف مبلغاً يتراوح بين ٥٠٠ و ٧٠٠ روبل ويساوى الرطل من الزبد الجيد ١٠ شلنات ، ورطل الكرنب ٥ شلنات ، ورطل البطاطس ٣ شلنات . ورغيف الخبز الصغير ١ و نصف من الشلنات

ولا يجوز أن نغفل فى مقابل ذلك أن قيمة ايجار المساكن فى موسكو معتدلة للغاية ، ويحظى العمال بالعلاج الطبي وسواه من الخدمات الأخرى مجانا ويحصلون على عطلة شهر فى العام على أن ينقدوا أجرهم طوالها ،وهم يرتاحون من عناء العمل يوماً فى كل أسبوع . ويعملون فى اليوم سبع ساعات

ويعيش الخدم والموظفون والمهندسون والفنانون ورجال المخابرات السرية فى موسكو عيشة رخية . وينقد المهندسون خاصة مرتبات كبيرة توازى تلك التى ينالها زملاؤهم فى هذه الديار (انجلترا) وكذلك يحظى الموظفون ورجال الخدمة السائرة بمزايا لا يظفر بها العامل العادي بحال من الاحوال

ولهذه الطبقات المتميزة متاجر خاصة يبتاعون منها ملابسهم ، ولهم مطاعم راقية يتناولون فيها وجباتهم . وهم يحصلون على جميع ما يصبون اليه من غذاء دسم فى الوقت الذى قد تعانى فيه الطبقة العاملة الصعوبات الجمة فى الحصول على حاجياتهم الغذائية

وفى مكنة الفنانين ورجال الفكر أن يحصلوا من النقود ما يكافىء ايراد زملائهم فى بلادنا : ويستطيع « النجم السينمائى » أو الكاتب أن يجد كل ما يحتاج اليه ميسرا ممهداً بل انهم ليحصلون من النقود على أكثر مما هم بحاجة اليه

ويبيع الكاتب كتبه لدار النشر السوفيتيه ، وينال من المال كفاء ما يناله زميله فى بريطانيا

مثلا ، أو أى بلد رأسمالى آخر . . . وهو يستطيع أن يبتاع بما يقع فى يده من المال ، سيارة أنيقة ، وفى مقدوره كذلك أن يمتلك بيتا فى موسكو وآخر فى الريف !

ويجتمع الفنانون والكتاب وأصحاب المهن المختلفة فى اندية اتحاداتهم ولكل حرفة منتدى ، يهرع اليه الاعضاء ، وهنالك يتناولون الطعام ايد ، ويظفرون بالكثير من مباهج الحياة . وتتيسر العضوية فى هذه الاندية عن طريق الانتخابات

ولقد حدث أن زرت نادى الكتاب وهو يقرب الدار التى كان يقطنها « الدوق الاعظم » ولم تكن مرشدتى تجيد نطق الانجليزية ، حتى لقد حسبتها تقول « البطة العظيمة » وهى تعنى « الدوق الاعظم » !

ولكبار موظفى الوزارات سيارات يستخدمونها فى شئونهم الخاصة الى جانب أعمال الدولة ، ولكل سيارة سائقان ، إذ لا ينتظر بحال أن يقود الموظف الكبير سيارته بنفسه

ويتناول ضباط الجيش والبحرية والطيران مرتبات عظيمة . حتى ان أصغر الضباط مرتبة يتناول مرتبا شهريا يعادل ٤٢ جنيها على حين يتناول القائد ٨٠ جنيها

والتعليم هو الشرط الوحيد الذى يجب توافره فيمن يريد الاندماج فى الطبقة الممتازة ، ويعين الضباط فى الجيش بعد مكابدة أهوال امتحان عسير . ويتعلم المهندس الصغير فى الجامعة مجانا على شرط أن يعمل عامين على الأقل فى أى مصنع هندسى تعينه الحكومة

ولكل امرىء فى الاتحاد السوفييتى الحق فى العمل . وله أن يلح على الحكومة فى أن توفر له أسباب العمل . والحقيقة التى لا مرية فيها أن هناك حاجة ماسة الى الايدى العاملة فى الميادين الصناعية والعامل حر فى أن يختار الصناعة التى يرغب فى مزاولتها

« * »

وموسكو تعج بالسيارات ، وأغلب هذه السيارات من طراز « فورد » و « زيس » (وهى صورة أخرى من سيارات « البويك »)

يضاف الى ذلك عدد عظيم من سيارات النقل ، وانك لتقع فى موسكو على سيارات للنقل ، يستأجرها من عساه يرغب فى نقل أثاث داره على عجل

ولقد كان أعظم مصنع شاهدته مخصصاً لصنع السيارات وعربات النقل اسمه «مصنع ستالين»؟
ويتم المصنع كل يوم صنع ١٥ سيارة من طراز «زيس» و ٢٤٠ عربة نقل . وهذا المصنع مزود بأحدث آلات الميكانيكا الامريكية. ويجيد العمال الروسيون استخدام هذه الآلات وفهم خصائصها ولا يمكنك أن تقارن بين هذا المصنع والمصانع الامريكية المماثلة ، على قدم المساواة ، ولكنك — من ناحية أخرى — متى احتسبت البرهة الوجيزة التى قضتها روسيا فى عالم الصناعة الجبارة الحديثة وراعيت الصعوبات القائمة فى سبيل تحويل الفلاحين البسطاء الى عمال فنيين عظيمى المهارة ، اذن لامتدحت النتيجة ، ولغبطت روسيا على النجاح الذى ظفرت به

« * »

وحدث ان بصرت بكنيسة جميلة على الطراز الايطالى ، وقد كنت أتنزه فى الريف مستقلا السيارة لقد شهدت حشدا عظيما من الخلق مجتمعين خارج الكنيسة . فسألت مرشدتى عن السبب الذى دفع هؤلاء الخلق الى الاحتشاد على ذلك النحو امام بناء الكنيسة دون الاجتماع داخلها . فقالت على الفور أنه لامناص من أن تكون جمهرة أخرى من الخلق مجتمعة كذلك داخل الكنيسة

وعندما دلفنا الى مدخل الكنيسة أبصرنا فى وضوح وجلاء ، أن الاجتماع إنما كان من ذلك الطراز العادى . هؤلاء شبان وفتيات وشيوخ ونساء قد احتضن أطفالهن ، قد وقف الجميع مزدحمين أمام الكنيسة ، على أمل الوصول الى داخلها ، ولكنهم فى الواقع ماكانوا ليتقدموا خطوة إلا على أكتاف من كلت عزائمهم من هول الزحام

ولقد شققت لنفسى بينهم طريقا إلى الكنيسة وأخيرا أنتهيت إلى القاعة الداخلية . وهنالك الفيت قسيساً قد انهكته السنون ، واختفى وجهه الوقور فى لحية بيضاء مرسلة ، كانت ترتعش الهوينا وهو يتمتم فى صوت خفيض صلواته الدينية على حين انطلق الحضور فى غناء دينى رهيب حبيب كان بناء الكنيسة فى حالة جيدة ، وقد علقت بالجدران عدة صور دينية من صنع فنانين ايطاليين وعندما انصرفنا من الكنيسة قالت لى مرشدتى فى دهشة بالغة :

« لقد كنت أحسب ان الشبان قد انقطعوا عن الذهاب الى الكنيسة ! »

وعندئذ خطر لى أن أسأل صاحبتى عن رأيها فى المسيحية فقالت لى أنها كانت تواظب على التوجه

الى الـكنيسه وهى طفلة ، ولـكنها أضافت الى ذلك قولها :

« كيف يتسنى لك الاعتراف بالمسيحية الى جانب اعترافك بالهندسة والعلوم ؟ »

ولقد عرفت فيما بعد أن الحـكومة الروسية لاتزال تبقى على الـكنائس خوفا من أن ينقلب القسس عليها فيبشرون ضد مبادئها

ويرى الروسيون أن قوانين الزواج والطلاق لديهم أحسن منها عند أهل غرب أوربا . ويتكلف المرء ثلاث روبيات ليتم له الزواج وخمسين روبية ليتم له الطلاق

ويتم الزواج والطـلاق فى مكاتب العقود ، ويستطيع الراغب فى الطلاق أن يحصل على بغيته بمجرد اشعار شريكه فى الزوجية . ولـكن الطلاق لايلقى عن كاهل الزوجين الالتزامات المادية المعتادة فالزوجة أو الزوج ، مسؤلان عن تربية الاطفال وتعهدهم ، فاذا لم يكن الزوج قادرا على تعهد الاطفال فعلى الزوجة أن تقوم بالعبء جميعه ، على أن ترعى الزوج كذلك

والأطفال مسئولون قبل الآباء كذلك وهم ملزمون برعاية والديهم متى كانوا فى حاجة الى تلك الرعاية ، كأن يكونوا عاجزين عن الـكسب مثلا

والقانون الروسى ينص على مساواة المرأة بالرجل ، اللهم الا فى شئون المنزل فهى من خصائص المرأة ، التى لاقيمة لرأى الرجل فيها

ولايسمح لرجل ما بدخول موسكو مالم تكن له مهنة خاصة يزاولها ، أما المرأة فيسمح لها بذلك لمجرد كونها تصلح للخدمة المنزلية

أريد أن أضيف الى ذلك كله أن الطلاق قد يكون من الامور الهينة الميسورة ، ولـكن ذلك لايعنى على الاطلاق أنك تستطيع اخراج الزوجة من الدار ، ذلك أن فى موسكو أزمـة خانقـة فى المساكن ، وقبل أن تغادر الزوجة الدار لامناص من اعداد مسكنها الجديد . وقد يحدث أن يعيش رجل مع زوجته المطلقة فى نفس الدار مدة طويلة وهما متخاصمان ومتدابران

مختار الوكيل

الـكتب في الاثنى عشر شهرا الماضية

للاستاذ سلامه موسى

اذيعت فى الشهر الماضى من محطة اذاعة لندن

ليس اخراج الـكتب فى مصر او الاقطار العربية الاخرى من الصناعات المنظمة . فان الناشر الذى هو مركز النشاط فى اوربا فى كل ما يختص بالناحية التجارية للـكتاب لا يزال فى طور التكوين فى مصر . ولذلك كثيرا ما يأخذ المؤلف على نفسه القيام بالنشر والطبع . وهذا عناء يقلل من مجهوده ويثبط عن التأليف . فان محاسبة المطابع والمكتبات ليست من الهينات وخاصة عند طبقة المؤلفين التى لا تدرك الاساليب التجارية . ولكن مع ذلك قد ظهر بيننا ناشرون يعتد بهم من حيث البراعة التجاريه والاتقان الفنى . ويمكن ان نقول بوجه الاجمال ان دار الـكتب المصرية بالقاهرة تختص باخراج الـكتب العربية القديمة مع التفات خاص الى جميع المؤلفات القديمة التى تعالج تاريخ مصر او تتصل به . وقد اخرجت عشرات الـكتب فى هذه الموضوعات . وهى جميعا تتسم بالاناقة والاتقان سواء فى اختيار الورق او جمال الطبع او دقة التحرير

وفى القاهرة حول الجامع الازهر دور كثيرة لنشر الـكتب العربية القديمة وخاصة ما يتصل منها بالدين والفقه

اما الدور التى تأخذ فى نشر الاداب الحديثة فكثيرة ولـكن الناجح منها قليل اذ تنقصها الاساليب التجارية وخاصة توزيع العمل الذى يتيح الاختصاص فان الناشر وهو نفسه الذى يقوم بالطبع . ولذلك يتوزع مجهوده

وللترجمة فى مصر شأن كبير فى الموقف الحاضر . فان احتكاكنا باوربا يجعل الاهتمام بالاداب والثقافة الغربيتين كبيرا . وجمهورنا الذى يقرأ اخبار العالم فى جرائده اليومية عن طريق الوكالات التلغرافية العالمية يشترك من حيث العقلية السياسية مع الجمهور الاوربى . ثم هو بما يسمع من الراديوفون

وبما يرى من القصص والوقائع السينمائية والمجلات المصورة يتجه اتجاها فكريا لايختلف كثيرا من الاتجاه الفكرى الاوربى . ولذلك يقبل المستنيرون منه على قراءة المترجمات العربية للمؤلفات الاوربية الحديثة

ففى اثناء الاشهر الاثنى عشر الماضية مثلا اخرجت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» عدة كتب مترجمة لمؤلفين بارزين منها :

١ — درامة جان دارك تأليف جورج برنارد شو وترجمة الدكتور احمد زكى بك . وقد اخرجها بمقدمتها المسهبة فى ٣٥٥ صفحة تباع ب ١٥ قرشا . وهذه الدرامة تمثل الهمهمة الاولى للنهضة الدينية فى اوربا . وللمؤلف عبارات جريئة كما هو شأنه وكما الف منه قراؤه ومحبو مسرحيـــاته وقد خفف المترجم بعض هذه العبارات

واخرجت هذه اللجنة نفسها اربعة كتب اخرى مترجمة عن الانجليزية هى :

١ — الاغنياء والفقراء تأليف ولز . وهو جزء من كتابه الضخم « عمـــل الانسان وثروته وسعادته » وهذا الجزء يبلغ ٢٢٨ صفحة وثمنه ١٠ قروش . وموضوع هذا الـكتاب كما يدل عليه اسمه اقتصادى اجتماعى

٢ — السمفونية الريفية لاندريه جيد الكاتب الفرنسى وهو ١١١ صفحة وثمنه ٨ قروش . وهو قصة ريفية تجمع بين بهجة الريف ولوعة الحب

٣ — الطلسم تأليف السير وليم سكوت وترجمة الاستاذ محمود محمد . وهى قصة مشهورة عن الحروب الصليبية نجد فيها وصفا لصلاح الدين ولقلب الاسد صفحاتها ٤٠٨ وثمنها ١٥ قرشا

٤ —والـكتاب الرابع المترجم هوتس سليلة در برفيل تأليف توماس هاردى وترجمة الاستاذ فخرى ابو السعود صفحاتها ٤٢٤ وثمنها ١٥ قرشـا . وهى من القصص الانجليزية العظيمة لمؤلف عبقرى

هذه هى بعض الـكتب المترجمة التى تعنى بها المطابع ودور النشر فى مصر والاقبال كبير على ترجمة المؤلفات الانجليزية والفرنسية . وحتى حين يكون المؤلف المانيا يكون النقل فى العادة عن احدى هاتين اللغتين . فقبل بضعة اشهر ترجم الى العربية كتاب نيتشه « هكذا تكلم زرادشت » نقله عن

الترجمة الفرنسية الاستاذ فيلكس فارس وأخرجتة جريدة البصير فى الاسكندرية وثمنه ١٢ قرشا وصفحاته ٢٩٥ . كما اخرج الاستاذ حسنى العرابى قصة الجوع للمؤلف النروجى كنوت هامسون عن الترجمة الالمانية (صفحاته ١١٥ وثمنه ٨ قروش)

هذا من حيث الترجمة . اما من حيث التأليف فان مؤلفات العام الماضى ـ نعنى الاثنى عشر شهراً التى تنتهى فى اخر يونية سنة ١٩٣٩ — فان معظمها مؤلفات تتحدث عن التاريخ القديم او هى نفسها مؤلفات قديمة تبعثها النهضة العربية وتخرجها الى النور عن طريق المطبعة

ففى غضون الاشهر القريبة الماضية اخرجت دار الكتب المصرية بضعة مجلدات هى اجزاء من ذلك الكتاب العظيم « الاغانى » لأبى الفرج الأصفهانى . وهذا الكتاب لا يمكن ان نبالغ فى اطرائه من حيث انه مجموعة من الاخبار فى الاداب والاجتماع ايام الامويين والعباسيين . وعناية دار الكتب بتحريره كبيرة جداً وهى تطبع كل مجلد فى نحو ٤٥٠ صفحة وقد اتمت اكثر من نصف الكتاب. وثمن المجلد ١٢ قرشا

واستطاعت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » ان تخرج كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزى . وقد اصدرت القسم الثالث من الجزء الاول وقد قام بنشره الاستاذ محمد مصطفى زيادة. وهو يبدأ بالسلطان سيف الدين قلاوون . وهذا التاريخ خاص بالايوبيين والمماليك الى زمن المؤلف. وبهذا الجزء من الملاحق والفهارس ما يبلغ مائتى صفحة تقريبا لتيسير البحث

واخرجت دار المعارف بالقاهرة كتابا عربيا قديما هو رسالة الغفران للشاعر العظيم المصرى . وقد قام بالتحرير الاستاذ كامل كيـلانى وعنى بالشكل والتفسير مع زيادات تاريخية وشروح واستطرادات فان المشابهة بين الكوميديا الالهية التى الفها دانتى الجيرى وبين رسالة الغفران جعلته ينقل نصوصا من دانتى ويشرح قصته . ولكنه لا يدلى برأى عن العلاقة بين الكتابين . والكتاب فى الاصل صغير ولكنه مع الشروح والزيادات بلغ ٦٩٣ وثمنه ٣٠ قرشا .

فاذا تركنا النقل جانبا وتركنا طبع الكتب القديمة واخراجها فى حالة عصرية ونظرنا فيما يؤلف الكتاب المحدثون وجدنا ان الالتفات كبير جدا لكل مايتعلق بالتاريخ الاسلامى وتاريخ العرب . ففى غضون الاشهر القريبة الماضية اعيد طبع كتاب الدكتور طه حسين ذكرى ابى العلاء

كما اخرج الدكتور زكى مبارك كتابا ضخما عن تاريخ التصوف الاسلامى . واخرج الاستاذ محمد عبد المجيد العبد كتابا عن تاريخ الاسلام فى الهند . واخراج هذه الكتب الثلاثة يدل على اهتمام مصر والعالم الاسلامى عامة بتاريخ العرب والاسلام . وهذا الاهتمام هو بعض النهضة العربية الأسلامية

وذكرى ابى العلاء وضعه الدكتور طه حسين قبـــل ٢٥ سنة وهو يشرح عصر المعرى وادبه وفلسفته . والمؤلف مثل الشاعر الذى يترجم به كلاهما اعمى . واشتراكهما فى هذه الافة يجعل التفاهم السيكلوجى بينهما سهلا . والحق ان هذا الكتاب فريد فى موضوعه وفلسفته . فان المعرى كان زاهدا متشائما وقد عاش فى زمن اختلطت فيه الدعايات الحقة او الزائفة . وقد اوشك ان يعثر ولا نعرف ماذا كان يحدث له لو لم يفاجئه الموت . فاننا نجده قبيل موته يتصل بداعى الدعاة الفاطمى — اى وزير الدعاية — ثم تنتهى المكاتبات بينهما بتذلله وكأنه قد احس ان هنـاك نية مستورة تراد بها محنته على تهمة الزندقة . والكتاب قد اخرجته مطبعة المعارف وثمنه ١٥ قرشا . اما التصوف الاسلامى فكتاب وضعه الدكتور زكى مبارك وعنى فيه بناحية مهمة وهى تأثير هذا التصوف فى الاداب والأجتماع فهو لا يعالجه من ناحية قيمته الدينية ولكنه يبحث اثره فى الادب باسهاب . واثره فى الاجتماع بايجاز

وهو يرى على وجه العموم ان هـذا الاثر سىء لانه يعتقد أن التصوف بما فيـه من نزعة غالبة تحث على القناعة وكراهة الترف قـد جعل المسلمين يتواكلون ويقنعون بالعيش الضنين فى دنيا تدعو الى التنازع ويخدم فيها الغنى والترف والحضارة والحضارة النامية . والمتأمل لحال أوربا هذه الايام وما جلبه عليها الغنى والترف لايستطيع أن يؤمن على اراء المؤلف كل التأمين . فان قليلا من النظر الصوفى للحياة قد يخفف من هذه الحدة بل هذا الكلب فى المزاحمة الصناعية والاقتصادية فى الحياة الاوربية سواء حياة الفرد أم حياة الدولة وقد ترجم المؤلف بكثير من الصوفيين وشرح مذاهبهم ونقل كثيرا من أقوالهم . والكتاب ٤٠٠ صفحة وثمنه ٢٠ قرشا

والاسلام والدول الاسلامية فى الهند هو أول الكتب الحديثة فى هـــذا الموضوع . والمؤلف يشرح تاريخ السلطان « أكبر » أعظم ملوك الاسلام فى الهند باسهاب . وقد كان هذا الملك عظيما حقا فانه عرف تلك الفضيلة التى يحتاج لهـا العالم فى عصرنا تعنى فضيلة التسامح فقـــد ساوى بين

الهندوكيين والمسلمين ، بل بلغت به الرغبة فى التسامح أن يعقد مؤتمرا من رجال الاديان المختلفة يدعو فيه الى الاتفاق على مذهب يرتضونه جميعا . وقد منع الهندوكيين من ممارسة عاداتهم السيئة مثل احراق الارملة وزواج الأطفال بل اباح زواج الارملة الهندوكية . والقارىء لسيرة أكبر هذه يشعر أنه سبق عصره بجملة قرون . والكتاب يسد نقصا فى الثقافة العربية الحديثة لان تاريخ الاسلام فى الهند مجهول . وهو لذلك يعد مجهوداً ابتدائيا نرجو انه تتلوه مجهودات لتنويرنا عن هذا الموضوع وهو ١٧٣ صفحة . وثمنه ١٥ قرشا

وقد ظهرت ثلاثة كتب تبحث مسائلنا المصرية وجميعها عليها طابع الدرس والجد وهى مستقبل الثقافة للدكتور طه حسين

وخطرات فى عيوب الحكم فى مصر للاستاذ حسن الجداوى . وسياسة الغد للاستاذ مريت بطرس غالى . ومستقبل الثقافة هو من الكتب الفريدة التى يعالج فيها الدكتور طه حسين خططنا التعليمية . وهو هنا عصرى بل غربى يشيح بوجهه عن الشرق ويتجه نحو الغرب . وهو يقول انه يجب علينا « ان نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم اندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة » وهو يرى أن بطالة المتعلمين خطر . ولكن علاجه لها زيادة التعليم حتى تزول الامية وحتى لا يعود مجرد التعلم ميزة تمنع من العمل المتواضع وحتى يعرف الشعب المتعلم حقوقه ويطالب بها . والكتاب ٥٥٠ صفحة افرنجية أخرجته مكتبة المعارف وثمنه ١٦ قرشا

وعيوب الحكم فى مصر هو علامة حسنة . فان للمؤلف الاستاذ حسن الجداوى صبغة حزبية واضحة ولكن هذه الصبغة لم تمنعه من أن ينتقد الادارة المصرية بل الجمهور المصرى انتقادا مرا . وهو يبين عيوب الوزراء والنواب والناخبين والموظفين ويشير بالاصلاح . وهذه قد تعد جرأة جديدة لم نألفها من قبل . ولكنها عند المؤلف تمتزج بالحكمة . ويجب أن نستبشر لأن الولاء الحزبى لم يعد يقتضى التسليم والاطراء الاعمى لكل ما تقوم به الحكومة والمؤلف ينساب فى كتابه بروح المحدث الذى لا يسأمه القارىء

ويجرى على هذا النسق كتاب الاستاذ مريت بطرس غالى . فانه ينتقد الحال الحاضرة فى الادارة والاحزاب والمالية والتعليم والاجتماع . وهو يعتمد على الارقام ويستخرج منها المغزى .

وصفحاته ٢١٠ وثمنه ١٠ قروش

وهذه الكتب الثلاثة لا يمكن أن تخطىء المغزى من ظهورها فى هذا العام الماضى . فانها جميعها تدل على شعورنا بالمسئولية اذ قد القيت تبعات الحكم علينا وأصبح حظنا فى أيدينا فنحن لذلك مضطرون الى التفكير فى الاصلاح . ولم يكن مثل هذه الكتب الثلاثة يصدر قبل المعاهدة التى تحقق لنا بها الاستقلال

ويمكن على وجه عام أن نقول ان المؤلفات التى صدرت عن مطابع القاهرة فى العام الماضى تدل على نهضة ثقافية حسنة . فهى تتجه من ناحية الى بعث التاريخ باحياء الكتب العربية القديمة ودراستها والتعليق عليها . ومن ناحية أخرى تنقل الى اللغة العربية أمهات الاداب الاوربية وأخيرا ينبعث الاهتمام بدرس شئوننا المصرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهذه الكتب التى ذكرناها ليست بالطبع كل ما ظهر بل قد يكون هناك مما لم تذكر أهم منها . ولكننا اخترناها لانها تمثل النزعات الفكرية السائدة

موسولينى

كتب أحد اللغويين يقول أن اسم موسولينى ليس ايطاليا . وانه تحريف للاسم الالمانى موسولاين وأن أسرة الزعيم الايطالى المانية الاصل من المان أقليم التيرول . وقد قلبت الاسم الى الصيغة الايطالية

ولكن لغويا آخر يقول أن الرحالة الايطالى ماركو بولو علل اسم موسولينى بانه نسبة الى الموصل . فان التجار الايطاليين أو غير الايطاليين الذين كانوا يتجرون مع الموصل والعراق قد اطلق عليهم اسم موصليين . وموسولينى هو الصيغة الايطالية للاسم

وسواء اصح الفرض الاول أم الثانى فان هذا الاسم تحيط به الشكوك اللغوية التى تكاد تجعله اجنبيا عن ايطاليا . وتزداد هذه الشكوك عند مانعرف أن اسم موسولينى الاول « بنيتو » اسبانى

تقدم العلوم والفنون

المدرسة الثانوية

بين الاباء والمعلمين بل بين الشباب من خريجى الجامعة استياء وحيرة يبلغان أحيانا حد السخط على اجتماعنا عامة ونظم التعليم خاصة . ذلك لأن الغرض الاصلى وهو أن التعليم يعد الشباب للعمل والتكسب لا يتحقق

فالاباء يشعرون أنهم تعبوا وأنفقوا فى غير طائل . والمعلمون يخضعون لبرامج دراسية يعرفون عقمها فى الحياة العملية . والشاب يسقط فى يده ويسخط على الاجتماع كله حين يرى نفسه متعطلا قد جاوز الخامسة والعشرين او جاوزها وهو تام الصحة مؤهل بالمعارف ولكنه لا يجد من ينتفع به

وعقدة التعليم فى الوقت الحاضر هى المدرسة الثانوية . فان الذى لا يشك فيه أحد أن هذه المدرسة ليست غاية وانما هى وسيلة لنقل التلميذ الى الجامعة . ولما كان من غير المعقول أن يدخل جميع الذين حظوا بالتعليم الثانوى فى الجامعة فان عددا كبيرا منهم يقف فى الطريق وليست له من الكفاية سوى أنه يقرأ ويكتب ويعرف المبادىء لقليل من العلوم . وقد أحسنت الوزارة فى تسمية الشهادة النهائية للمدرسة الثانوية شهادة الثقافة لأنها هى فى الحقيقة كذلك وان كانت ثقافة ابتدائية

ومن الطبيعى أن يتدفق المنتهون من الدراسة الثانوية — بعد عام من الدراسة التوجيهية — إلى كليات الجامعة . لانهم لم يتعلموا فنا يمكنهم أن يتكسبوا به . وتدفقهم الى الجامعة يجعل خريجيها من الكثرة بحيث يعودون متعطلين عند تخرجهم

وهذا الذى نعانيه من المدرسة الثانوية تعانيه أمم أخرى أقدم منا فى اصطناع هذا النظام . فان الحكومة البريطانية قد ألفت لجنة لدرس النظم التعليمية . وأخرجت هذه اللجنة جملة تقارير كان

آخرها خاصا بالتعليم الثانوى . وهذا التقرير نشر قبل أشهر تحت اسم « تقرير سبنس » ومن الحسن أن يدرسه المعلمون والتعليميون عندنا . فانه يرى أن بعض المدارس الثانوية يمكن أن تستبدل به مدارس فنية أو توجد هذه المدارس الفنية الى جانب المدارس الثانوية لكى يلتحق بها الطلبة الذين تتراوح أعمارهم بين ١١و١٦ . فالمدرسة الثانوية تؤهل التلميذ للجامعة . والمدرسة الفنية تؤهله للعمل والتكسب . والدراسة فى المدرستين تنتهى حوالى سن السادسة عشر . وليس الغرض تأهيل التلميذ لحرفة خاصة بل تزويده بالمعارف الفنية التى تؤهله لمجموعة من الحرف

والدخول فى هذه المدارس الفنية يحتاج الى الامتحان نفسه الذى يجيز للتلميذ الالتحاق بالمدرسة الثانوية . وتقوم المدرستان بحاجات الامة ومراعاة التوازن . فاذا احتاجت الى الصناعيين اكثرت من المدارس الفنية واذا احتاجت الى خريجى الجامعات اكثرت من المدارس الثانوية

وهذه المدارس الفنية توصى اللجنة باقامتها بجوار المصانع حتى تكون هذه المصانع بمثابة المعمل التجريبى الذى يرى فيه التلميذ برهان النظريات التى يتعلمها فى المدرسة . بل ترى اللجنة أنه يجب أن يكون انتقال التلميذ من المدرسة الثانوية الى المدرسة الفنية ميسورا اذا وجد أن كفاءته تؤهله للعمل أكثر مما تؤهله للدرس وكذلك العكس فى نقل التلميذ من المدرسة الفنية الى المدرسة الثانوية

كما أنه يجب الاهتمام بالبيئة . فاذا كانت صناعية تعالج الصناعات الثقيلة كالفولاذ ونحوه فان المدرسة يجب أن تعالج فى تعليمها وتدريبها للتلاميذ هذه الصناعات فاذا كانت البيئة زراعية وجب عليها أن تدرس الاقتصاديات الزراعية وصناعات الريف المختلفة

ويبدو من ارتياح الجمهور الى هذا التقرير أن وزارة التعليم البريطانية ستأخذ به . فتقل المدارس الثانويه ولا يبقى منها غير العدد الكافى لايجاد الطلبة الذين يرغبون فى التعليم الجامعى . وعندئذ تكثر المدارس الفنية لتعليم الشبان الصناعات المختلفة

وليس فى مصر مصانع كبيرة تحتاج الى الفنيين . ولكن هذه المصانع تؤسس الآن وهى فى ازدياد مطرد . ولذلك يحسن بنا أن ندرس هذا التقرير لنرى ما يمكن أن نتنفع به منه فى تحويل شباننا عن الجامعة بايجاد المدارس الصناعية التى تعدهم للعمل والتكسب قبل أن يبلغوا العشرين . كما أن مواصلة الدرس فى مدارس فنية عليا لن تنقطع لأن المدرسة الفنية يمكن أن تهيء التلميذ للالتحاق

بمدرسة أخرى عالية . وأن كان بالطبع لن ينتفع بهذا الامتياز سوى عدد قليل

التنـــاسل

أعظم مايؤلم الامم الاوربية الديمقراطية تناقص التناسل بين أبنائها وخاصة لان ايطاليا وألمانيا تؤديان أعانة لتشجيع الشبان على الزواج والتناسل

وقد كان عدد المولودين فى بريطانيا فى السنة التى تنتهى بأخر ابريل الماضى يبلغ ٤٥٧ر٢٥٣ فى حين كان هذا العدد فى السنة السابقة يبلغ ٤٧٩ر٩٧٤ مولود وهذا التناقص يكاديطرد منذ سنة ١٩٢٠ كأنه نتيجة للحرب الكبرى . أو بكلمة أخرى نقول أنه قد بدا على الاباء جزع من ضحايا الحرب فاضربوا عن التناسل الا اقله . وقد كان المتوسط فى عدد التلاميذ فى فصول المدارس التى يديرها المجلس البلدى فى لندن سنة ١٩٣٨ يبلغ ٣١ تلميذا . فى حين كان عددهم سنة ٩٩٢١ يبلغ ٤٥ تلميذا

واذا استمر هذا التناقص فان اليوم لن يكون بعيدا حين تلغى بعض الفصول فى المدارس أو تلغى المدارس نفسها . بل ليس بعيدا أن تؤدى الحكومة البريطانية اعانات لزيادة التناسل

السـكر

من الانباء الخطيرة التى سيمر بها كثير من القراء بأقل الالتفات نبأ تأسيس مصنعين جديدين فى ايطاليا لاستخراج السكر من الخشب . فان هذا النبأ يحمل من الاحتمالات الاجتماعية والسياسية ماسوف يحس أثره جميع الامم أكثر مما يحسون أثر الاستعمار أو الحروب أو التوسع الامبراطورى . والمغزى أن الكيمياء تأخذ مكان الزراعة وأن الغابة ستعود الى مقامها القديم قبل أن يعرف الانسان حضارة الزراعة

ذلك أن الغابات تزرع الان لاستعمال خشب الاشجار فيها لكى يصنع منه الورق والقماش . وقد زادت الاقمشة المصنوعة من الخشب على محصول القطن فى القطر المصرى . والان يصنع منه السكر وكذلك الكحول الذى ياخذ — الى حد ما — مكان البترول والبنزين . وقد زرعت استراليا لهذا السبب أربعة ملايين فدان غابات انتظارا للطلب العظيم عليه بعد عشرين سنة

والكيمياء تغزو ميادين اقتصادية قديمة . اذ هى لاتقنع باستخراج الاقمشة والسكر والكحول من الخشب . بل تستخرج الان الكوتشوك من الفحم . وكذلك العطور والاصباغ التى كانت تستخرج قديما من النبات قد صارت تستخرج بعمليات كيماوية من الفحم

وازاء هذا الرقى الكيماوى هل يمكن أمة زراعية أن تتفاءل عن المستقبل ؟

النفس والجسم

يتجه التفكير الطبى هذه الايام كثيرا الى القيمة الكبرى التى للنفس فوق الجسم . فان أمراضا كثيرة تصيب القلب والشرايين والمعدة والامعاء تعلل الآن بحال نفسية سيئة . كالقلق أو الخوف يؤثر فى القلب ويسرع دقاته حتى تستحيل خفقانا ولغطا ثم يؤثر هذا فى الشرايين فيزيد الضغط . ثم يحدث تصلب الشرايين . أو ربما يزيد الهم على الطاقة فيؤثر فى المعدة فتقل الشهوة للطعام ويتعرض الانسان عندئذ لأى مرض لقلة الغذاء . أو أحيانا تحدث قرحة فى المعدة بسبب الهموم المتراكمة المختلفة : ومن أحسن ماقرأنا حديثا أن السمن فى بعض النساء يعود الى الجمود الذهنى والسأم النفسى لقلة المسليات . فالمرأة تسمن لانها تجد فى الطعام تسلية تروح عنها السأم

بل يزيد بعضهم على هذا قول أحد الاطباء الامريكيين حديثا أن تسوس الاسنان نفسه ربما يعود الى سوء الحال النفسية . وهذا بالطبع لاينفى قيمة الطعام الدسم فى التسمين أو فساد الدم فى تسوس الاسنان

المؤلفات

كساد المؤلفات وخاصة فى مثل السنين الحاضرة من العبارات التى تجرى على السنة المؤلفين . ولكن الحال ليست كذلك فى بعض الاقطار

فقد قرأت مقالا لاحد المؤلفين الانجليز يصف فيه رواج مؤلفات الكاتب المشهور مكسيم جوركى فى روسيا فذكر أرقاما فلكية تتجاوز حدود التصديق . فهو يقول أنه طبع فى السنين العشرين الماضية من مؤلفات هذا الاديب ٣٣ مليون نسخة . وان قصة الام له أيضا قد طبع منها للطبعة الاولى مليون ونصف مليون نسخة

اخبار اجتماعية

اللياقة الصحية والدفاع

جاء فى رسالة من لندن التى نشرتها الصحف منذ اسبوع ان من بين عشرين ألفا من الشباب الذين فحص عنهم طبيا للتجنيد وجد ان ٥ ر٨٤ فى المائة متفوقون أى بلغوا درجة وهى الدرجة التى تعنى أنهم لائقون من جميع النواحى الصحية . ووجد أيضا ٩ فى المائة لائقين ولكن مع بعض العيوب الصحية التى لا تمنعهم من الخدمة العسكرية

والمتأمل لهذه الارقام يناله العجب . فان هذا الفحص الطبى قد أجرى بين أبناء الشعب البريطانى من جميع طبقاته الفقيرة والمتوسطة والغنية . وهو يدل على ان صحة الامة على أحسن ما يمكن ان يطمع فيه الطامعون . ولكن الانجليز مع ذلك لم يجمدوا عند هذه النتيجة بل هم يوالون العناية بالشباب من الجنسين يبنون المنازل الجديدة للفقراء ويوزعون اللبن على تلاميذ المدارس بالمجان بل يقدمون أحيانا وجبات الطعام لهم بالمجان . كما ان العناية بالتدريب الرياضى تخرج من المدارس الى جمهور الشعب الذى ينظم جماعات لكى ينال من ثقافة الجسم على أيدى المعلمين الرياضيين مثلما ينال من ثقافة الذهن بالتعليم الابتدائى والثانوى

والنتيجة لهذه العناية هى هذا الفحص الطبى الذى اثبت ان نحو ٩٤ فى المئة يليقون للخدمة العسكرية . ومع هذه النتيجة الباهرة التى يفخر بها الانجليز بحق ما زال منهم من يتهم حكومتهم بالتقصير فى العناية الصحية لأنه ينشد الحال المثلى حين تكون الأمة كلها أى مئة فى المئة منها سليمة الجسم مدربة على الحركات الرياضية . وهؤلاء يضربون المثل بايطاليا والمانيا حيث العناية بالتدريب الرياضى تخرج عن الغاية المدنية الى الغاية الحربية . ولكن اذا صرفنا النظر عن هذه الغاية فلن يسعنا الا الاعتراف بأن ما تقوم به المانيا وايطاليا فى تدريب الشبان قد رفع المستوى الصحى . والصحة هى

بعض العتاد الحربى بل ربما كانت قيمتها تزيد على ادخار المدافع والذخائر . فان الحرب هى المحنة الكبرى للصحة . لان المجهود الذى يبذله الجندى يزيد جدا على ما يبذله المدنى . اذ هو يضطر أحيانا الى البقاء فى خنادق يرشح فيها الماء ويعلو إلى الركب بل أحيانا قد يحرم من الطعام أياما كاملة وقد يضاف الى الجوع حرمان من النوم . وهذا الى ان البيئة تساعد على نقل العدوى . فاذا لم يكن الجسم سليما وقويا فان التعرض للقليل من هذه التجارب يؤدى الى الموت العاجل

وفى ضوء هذه الحقائق يجب أن نسأل : ماذا اعددنا لشبابنا من الصحة ؟

اننا نشترى بارتياح الذخائر والاسلحة بملايين الجنيهات فهل خطر ببالنا أن نشترى الصحة أيضا وننفق عليها مثلما ننفق على الذخائر والاسلحة

لقد اثبت الفحص الطبي الذى اجرته المدرسة الحربية ان الاغلبية لايليقون للخدمة العسكرية . وهذا مع العلم بان المرشحين لهذه المدرسة هم من ابناء الطبقات الغنية أو المتوسطة ولم يشك أحدهم نقصا فى الطعام أو سوءا فى البيئة المنزلية فكيف تكون حال الامة اذا كانت هذه حال شبابها المتعلمين ؟

وفى الامة ملايين من الاسر تشكو قلة الغذاء وسوء المسكن بل قلة فى الدواء عند المرض

أليس من حقنا أن ننبه الى قيمة الصحة فى هؤلاء الجنود الذين نبعثهم للدفاع وأن ننشد هذه الصحة فى منازل للفقراء الذين هم سواد الامة فنعنى بطعامهم ومسكنهم وتدريبهم الرياضى ؟

الافلام

تشترى دار الكتب المصرية المؤلفات القديمة والحديثة وتختزنها احيانا كثيرة اختزان التكديس لا التنظيم . ولكن الامل كبير فى انها ستجد المكان القريب الذى يتسع لكنوزها الثقافية

على أن الكتاب فى أيامنا ليس كل شيء فى الثقافة . فان الافلام قد أصبحت أو أصبح عدد منها يزاحم الكتاب . والقيمة التاريخية للفلم قد تكون أكبر من القيمة التاريخية للكتاب . وقد ظهرت أفلام مصرية لانقول أنها بلغت حد الاجادة الكاملة ؛ ولكنها تحوى على كل حال صورة لمصر فى القرن العشرين . وتحسن دار الكتب اذا هى جمعت هذه الافلام ورتبتها ترتيبا موضوعيا بحيث يمكن المحقق بعد قرن أو قرنين أن يجد الصورة الصحيحة لما كانت عليه مصر بعد سنة ١٩٢٠

كذلك نظن انها تحسن لوانها اشترت بعض الاقراص الفنوغرافية التى سجلت عليها أصوات عظمائنا وكبار الملحنين والخطباء فى مصر . فان القيمة التاريخية لهذه الاقراص عند الاجيال القادمة لا تقدر

العائلة

ليس فى العالم قطر متمدن لا يساعد العائلة الكبيرة غير مصر . حتى مصانع اليهود فى فلسطين تعطى الاجور بنسبة مئوية لعدد الأطفال . فالعامل الاعزب لا ينال مثل ما ينال العامل المعيل من الاجر . وفى فرنسا مجالس بلدية تؤدى راتبا لكل ولد من اولاد العامل اذا زادوا على ثلاثة وهذا الى الاجور المخفضة فى السكك الحديدية والى مساعدات مختلفة من الجمعيات الخيرية وشركات التعاون والى إعانات التعطل وراتب الشيخوخة

والعائلات الكبيرة فى قطر مثل مصر كان يجب على الاقل ان تلقى بعض المعونة من ناحية المصروفات المدرسية وأجور السكك الحديدية ولكنها لا تلقى شيئا من هذا الان مع ان تعدد الاولاد برهان على أن البيت الذى نشأوا فيه من خير البيوت التى احتوت الشروط الصحية والرعاية الابوية وذلك لان وفيات الاطفال كثيرة فى مصر

فكثرة الاطفال تدل على انهم بما كسبوا من صحة موروثة أو عناية أبوية يستحقون المعونة الحكومية لانهم خير المواد الانسانية فى مصر . وحرام ان تحرم العائلة الكبيرة من قضاء بضعة أيام فى الاسكندرية لان مصلحة السكك الحديدية تطالب عائلها أجرة للنقل فقط ما لا يقل عن ستة او سبعة جنيهات

سودانيان

برح شابان مدينة الخرطوم يوم ٣٠ يونية الماضى كل منهما على بسكليت فوصلا الى القاهرة من ايام . وهما من الكشافة السودانية

وهذا خبر سار . فان هذا الاقتحام يدل على روح قوى قبل أن يدل على جسم قوى . ونحن

نرجو أن يتفشى هذا الروح فى مصر والسودان . واذا كانت حركة الكشف هى سبب وجوده فانها تستحق كل اطراء وكل تشجيع . وقد حدثت اشياء هذه السنوات الاخيرة جعلتنا نشك فى القيمة المزعومة لحركات الشباب . ولكن من حسن الحظ أن كانت حركات الكشافة والرواد لا تزال تحتفظ باعجابنا . وعسى أن يكون للسودان حظه الكامل منها . والشاب الذى يجرؤ على مثل هذه الرحلة من الخرطوم الى القاهرة على بسكليت جديد بان يكون رجلا كاملا يضطلع بالمسئوليات الجسيمة التى يتحملها وهو راض مرتاح الى عنائها

التعليم

كنت أتحدث مع تلميذة فى السنة الثانية بالمدارس الثانوية ولشد ما كانت دهشتى عندما اختبرتها فى اللغة الانجليزية إذ وجدت أن مستواها فى هذه اللغة لا تزيد على ما عرفته من مستوى السنة الثالثة الابتدائية أيام كنت تلميذا . وقد حملنى هذا على أن اختبرها فى بعض المواد الاخرى مثل اللغة العربية والجغرافيا فوجدت الحال سيئة أيضا بل أسوأ مما هى فى اللغة الأنجليزية

ويبدو لى أن مستوى التعليم قد انحط فى جميع المدارس الابتدائية والثانوية . بل هذا هو ما صرح لى به أحد المعلمين الذين قضوا فى التعليم نحو ثلاثين عاما . وهذه حال تدعو الى الحسرة والحزن العميق . ونظن أنها يجب أن ندعو المسئولين فى وزارة المعارف الى بحث اسبابها والتفكير فى علاجها

وأستطيع أن أزيد هنا أن تفشى بعض المجلات الاسبوعية وروح الهذر والسخف الذى يعمها انما يرجع الى انحطاط هذا المستوى فى تلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية . ولو كان هذا المستوى عاليا لما وجدت هذه المجلات من يقرأها منهم

أخبار اقتصادية

الاتجاهات الاقتصادية الديمقراطية

صدرت فى السنوات الأخيرة عدة كتب عن اسوج احدى الامم الاسكندناوية الثلاث . وهى اى اسوج تطل من الجنوب على البحر البلطى ومن الشمال على القطب . وهذه الكتب جميعها تفيض اعجابا بل أحيانا تسرف فى الاعجاب بالسعادة التى يحظى بها الاسوجيون . ونحن فى مصر نتصل باسوج بما نستورده منها من الخشب التى تنبته غاباتها وتحدره انهارها الى موانيها للتصدير

والاعجاب باسوج يرجع الى انها لا تعرف فى سكانها الثراء الفاحش ولا الفاقة المدقعة . وليس المعنى هنا أن الناس يتساوون فى الدخل . ولكننا نقصد الى أن التفاوت ليس كبيرا اى أن الفرق مثلا بين راتب الوزير وراتب الموظف الصغير وكذلك الفرق بين مدير المصنع والعامل لا يتجاوز الضعف فى حين قد يبلغ فى أمة أخرى خمسين ضعفا . وأعظم الاسباب لهذه الحال ان الحكومة الاسوجية تنفق ما عندها من مال على وجوه الرقى الاقتصادى والاجتماعى والتعليمى والصحى

ومن أعظم ما تتسم به أسوج انها تتبع ما يسمى الآن « الطريق الوسط » أى انها لا تجنح الى اليمين فتجمد ولا الى اليسار فتثور . فهى ليست محافظة . ولكنها أيضا ليست شيوعية . وهى تترك الاعمال والمشروعات حرة فى أيدى الافراد والشركات يزاحم بعضها بعضا . ولكنها أى الحكومة تشترك فيما تقوم به هذه الشركات . ولكن يجب تأكيد لفظة « الاشتراك » هنا . أى أن الحكومة لا تحتكر عملا ما ولكنها تشترك فيه . وهى باشتراكها بمالها ورجالها فى الشركات المختلفة تكفل صيانة هذه الشركات من التلاعب كما تكفل الانتاج الحسن للجمهور . ولعل القارىء يستغرب عندما يعرف أن حكومة اسوج تشترك فى انتاج الخمور وبيعها للجمهور ، حتى أن جرسون الحانة يعد بوجه ما موظفا حكوميا

وهـذا الاتجاه الذى اتجهته اسوج فى الاشتراك فى الشركات التجارية والصناعيـة يلفت نظر الاقتصاديين والاجتماعيين فى الامم المتمدنة . إذ هم يرون فى هذا الاشتراك تفاديا من الانحـدار نحو الشيوعية وأيضا ضمانا من التضخم فى الثراء الفردى . لأن عضو الحكومة فى الشركة يمنع الكسب الباهظ . وينظر لمصلحة الجمهور قبل مصلحة الشركة . بل هو أحيانا يمنع افلاس الشركة إذ ينقذها وقت الازمات بما له من اتصال بخزانة الدولة

ونحن فى مصر نعرف شيئا من هذا الاتجاه . فان شركة الاذاعة . وكذلك بنك التسليف الزراعى . وبنك التسليف العقارى — هذه الثلاثة تشترك فيها الحكومة المصرية باسهمها وكل من هذه الاعمال يحظى بميزة العمل الحر الذى لا ترهقه قواعد أو تقاليد حكومية . وهو أيضا تحت الرقابة الحكومية هذه الرقابة التى تكفل للجمهور الخدمة الامينة

وفى بريطانيا فى السنوات الأخيرة اتجاه آخر هو ثمرة هذا الاتجاه السابق . فان كثيرا من الاقتصاديين يقولون بضرورة انشاء وزارة غايتهـا توظيف أموال الجمهور فى الشركات . فان الفرد العادى الذى يملك بضع مئات من الجنيهات تغريه الاعلانات الكاذبة بتوظيف ما يملك فى شركات قد تكون من هباء . فيخسر المسكين ماله . ولـكن اذا وجدت مثل هذه الوزارة استطاع أن يعتمد عليها فى اختيار المضمون الثابت من الشركات وبالطبع فى مثل هذه الحال ترحب الشركات باشتراك الحكومة فيها بمالها ورجالها لأن هذا الاشتراك يكفل لها عندئذ السمعة الطيبة من الحكومة ومن الجمهور

ونرجو أن يكون فى هذا ما ينبه قراءنا الى قيمة هذا الموضوع

كل دقيقة

مصانع موريس الانجليزية مشهورة بالاتومبيل الذى تخرجه بهذا الاسم . وقد أخرجت حساباتها فى نصف عام ينتهى فى ٣٠ يونيه الماضى . ومنه يتضح أنها أخرجت ستين الف أتومبيل أى بمعـدل عربة كاملة فى كل دقيقة من وقت العمل . وهذه نتيجة باهرة يجب أن تفخر بها الصناعة البريطانية

وصاحب هذه المصانع هو اللورد نوفيلد الذى أوشكت تبرعاته للخير أن تبلغ عشرة ملايين جنيه . وقد بدأ حياته فى ورشة صغيرة لاصلاح البسكليتات

كتب الشهر الجديدة

راقصة المعبد للاستاذ توفيق الحكيم

غاية الرسام المصرى للاستاذ رمسيس يونان

جولة فى ربوع العالم الاسلامى للاستاذ محمد ثابت

محمد رسول الله للاستاذ محمد رضا

* * *

١ — راقصة المعبد هى اقصوصة صغيرة . ولكنها تخلو من الوقائع . وقوامها الحوار البارع . اما موضوعها فهو الفنان ازاء الجمال هل يجب عليه ان يخضع ويستسلم ام يعصى ويتراجع . فهنا نرى اثنين احدهما شيخ مجرب والثانى أمرأة جميلة تحترف الرقص يستمعان لحديث احد المسافرين فى القطار معهما فيعرفان انه « عدو المرأة »

فيتراهنان على ايقاعه فى الشرك ويدبران له اللقاء والتعارف والرفقة والخلوة . ولكنه يتماسك ويكسب الرهان من حيث لايدرى . وبراعة الحوار تنزع الى « عصفور من الشرق » التى اجاد فيها المؤلف كل الاجادة ولكنها لا تصل اليها فى النظرات الفنية او الفلسفية . وان كنا احيانا نجد مثل هذه الاوصاف الذهبية . فهو يقول عن القطار « ثعبان قد انساب بين الجبال والوديان . تارة يصعد كأنه يلاحق العصافير . وتارة يهبط كأنه يرد الماء المنحدر من القمم . وتارة يسعى فى نفق مظلم طويل كأنه يختفى عن انظار المطاردين . ذلك هو القطار القادم من سالزبورج الى باريس . وكنت فى مقعدى احمل كتابا ولا اقرأه . وأى عين تستطيع أن تثبت على صفحة وفى القطار نوافذ . وامام

النوافذ طبيعة ترقص احيانا متجردة واحيانا فى اثواب عجيبة الألوان كأنها سالومة فى رقصة الغلائل السبع الحريرية »

وهو يقول عن الفن : « هو الجمال المصنوع . ان من فضائلنا نحن الادميين اننا استطعنا ان نصنع الجمال فى معاملنا البشرية ولم نكتف مثل بقية عناصر الطبيعة بان ننتظم نغماً فى نشيدها العام وحركة فى رقصتها الكبرى »

والقارىء لهذه الاقصوصة تخدره نشوة الحوار وجمال الوصف كما هو الشأن فى مؤلفات توفيق الحكيم . وقد يقف عند القراءة متسائلا : اهنا براعة فى التفكير ام فقط طرافة فى التعبير ؟

« * »

٢ — غاية الرسام المصرى مقال فى فلسفى سيكلوجى قد استعان فيه المؤلف بطائفة حسنة من الرسوم توضح غرضه وهو لا يزيد على ٦٠ صفحة . وفن الرسم هو الان فى ازمة تتصل من بعض نواحيها بازماتنا النفسية (السيكلوجية) والاجتماعية والاقتصادية . فمن الجهة الواحدة نجد ان القمرة الفتوغرافية قد غزت ميدانا كبيرا من ميادين الرسم . فصار الرسامون يقولون ان الرسم يجب ان يمتاز من الصورة الفتوغرافية . هذه تنقل الاصل كما هو وذاك ينقل المغزى . ولذلك من حق الرسام ان يزيد او ينقص او ينقح فى الاصل لكى يصل الى الفكرة المستقرة وراء الواقع الماثل اولكى يبرز المغزى الفنى

ثم اعقب ذلك فوضى تبشها فى نفوسنا واذهاننا حالات جديدة قد اتصلنا بها فى عالم الثقافة وحالات قديمة قد انقطعنا عنها . فاختلفت قيم الاخلاق وتبدلت الأذواق فما يعانيه فن الرسم الان هو بعض ما يعانيه فن الاجتماع هذا الاجتماع المقلقل الذى نخشى انفجاره فى احدى اللحظات حين نصبح ذات يوم فنجد ان شيطان الحرب قد ساد وتصرف بالحديد والنار

والمؤلف الاستاذ رمسيس يونان يحاول — فى غير نجاح تام -- ان يشرح لنا ما انقطع وما اتصل فى الفن الحديث . ماض ميت ومستقبل لم يولد . وان كان جنينا يرتكض . وكأنى بالرسامين يحلمون بتكشف فنى جديد . فبعضهم يرى الكابوس فى حلمه . وبعضهم يرى شمساً تشرق . وقد رأيت قبل أسابيع واحدا من هؤلاء بل احد الزعماء فى هذا التكشف هو بيكاسو . رسم جيرنيكا

المدينة الاسبانية التى دمرتها الطائرات فترك فى نفسى كابوسا وجعلنى لا يمر بذهنى خاطر الحرب الا وارتجف حنقا على الخسة والنذالة والشرور التى تثير مثل هذا الدمار

وحين أتحدث عن الحرب لا أخرج عن موضوع هذا الكتاب . لان أزمة الرسم هى كما قلت أزمة الاجتماع أيضا . قديم قد انقطع . وحديث لم يتصل . ومن هنا ارتباكنا وحيرتنا

« * »

٣ — جولة فى ربوع العالم الاسلامى هو كتاب ضخم تبلغ صفحاته قراب الخمسمئة . والمؤلف الاستاذ محمد ثابت هو سندباد مصرى عصرى قد طوف بالعالم الذى يعده قريته الكبرى : فانه يعرف شوارع توكيو وبكين وممباسا وطهران وواشنطون كما يعرف شوارع القاهرة أو الاسكندرية وهو هنا يحدثنا عن الاقطار الاسلامية التى زارها فى آسيا وافريقيا . وهو يجعل حديثه سمراً لذيذاً خاليا من الجغرافية والاحصاء ولكنه لا ينسى انه معلم . فان أسلوبه مع هذا السمر تعليمى غايته افادة القارىء . وهو يحدثنا عن ايران حديثا ممتعا وعن الاقطار العربية مثل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين . ويتكلم عن الهند الاسلامية . ثم يشرح لنا ما نجهله عن الاسلام فى كنيا وزنجبار وأعالى النيل وافريقيا الشمالية وافريقيا الوسطى والغربية والكتاب يحوى نحو مائتين من الصور الفتوغرافية والخوارطه واسمع اليه يصف البصرة : « الى البصرة مدينة السندباد ارجأت زيارتى لها الى آخر الرحلة بعدعودتى من ايران خشية حرها اللافح فدخلتها وافدا من الخليج الفارسى . فاخذت باخرتنا تشق عباب المياه فى شط العرب الذى كانت تنأى ضفافه لعظيم اتساعه . وكانت غابات النخيل تسد الافاق سدا وتتخلل تلك الغابات مسايل للمياه لا تدخل تحت حصر وهى بعض شعاب شط العرب التى لا نهاية لها . وقد أقيمت عند مصابها مراس صغيرة مدت حولها مساطح البلح يجهز فى صناديق خشبية للتصدير . وغالب البلح من نوع أصفر اللون مكور الشكل نواه صغير للغاية وطعمه لذيذ سائغ شهى وهو أخضر . فان زاد نضجه اضحى رطبا غزير العسل بحيث يفوق بلح الواحات عندنا . ولا عجب فالبصرة من أغنى بلاد الدنيا بالتمر . ويغلب القول على لسانهم أن النخلة يجب تغمر جذورها فى الماء ورأسها فى النار والهجير وتلك الظروف متوافرة فى البصرة بمناقعها الممدودة وحر صيفها المحرق . والبصرة أشبه ببلاد المراكز الصغيرة فى مصر ليس بها ما يروق الزائر سوى غابات النخل الكثيفة التى تحوطها وشعاب شط العرب ،

التى تلاقيك انى سرت بخياتها المدهشة . ولكل بيت فى البصرة زورقة . وهو اجمل مناظر البصرة ومطيتهم الرئيسة يشقون به ارجاء البلدة لأن المجارى المائية تكاد تجانب الطرق جميعا » —

هذه هى مدينة الزبير ومدينة الجاحظ بل مدينة السندباد . ولا يزال بها حى يسمى حى الزبير . ولا يزال بها برج يسمى برج السندباد . وربما كان أحسن مافى الكتاب ذلك القسم الذى يصف ايران وهو يبلغ ثمانين صفحة . وقد زادت قيمته للمناسبة السعيدة التى ربطت بلادنا بهذه البلاد العظيمة

« * »

٤ — وكتاب محمد رسول الله هو مجموعة تبلغ ما يقرب من ستمائة صفحة كبيرة منها نحو ستين صفحة للفهارس الخاصة بالاشخاص والاماكن والقبائل . وقد حاول المؤلف أن يجمع المتفرق من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم من شتات السير وينسقها فى تاريخ يقرأ فى نظام وبلا تكرار . وقد نجح فى هذه المحاولة . ومثل هذا الكتاب سيعيش وسيمثل فى زاوية بارزة فى كل مكتبة . وقد امتاز بميزة المعاجم لوفرة الفهارس التى تجعل البحث سهلا . وقد قال المؤلف فى المقدمة : « بذلت المجهود فى البحث والتنقيب والاطلاع على ما الف فى هـذا الموضوع المترامى الاطراف الذى قضى العلماء فيه أعمارهم من قديم الزمان الى الآن . واستعنت باوفق المصادر

« وحققت ما وجدت من خلاف وجمعت شمل ما تشتت فى بطون الاسفار . فلم أقتصر على كتب السير وهى تفوق حد الكثرة . بل اعتمدت أيضا على تفاسير القرآن الشريف وكتب الحديث الموثوق بها وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم ومعاجم اللغة . وساقنى البحث الى مطالعة كتب المستشرقين للوقوف على طرائق بحثهم وسردهم الحوادث ومواطن شبههم واعتراضاتهم »

هذا ما يقول المؤلف فى المقدمة . وحجم الكتاب ونسق التأليف كلاهما يدل على صدق مجهوده وهو قبل كل شىء مجهود الحب والايمان

كتب اخري ستعالج فى اعداد قادمة

ولم يتسع المقام لعرض و نقد الكتب التالية . وموعدنا الاعداد القادمة :

١ — تاريخ الطب والصيدلة عند قدماء المصريين للاستاذ عبد العزيز عبد الرحمن

٢ — على الدانوب : للاستاذ احمد عطية الله

٣ — اوليات النحالة : للدكتور احمد زكى ابوشادى

٤ — التحقيق التام فى علم الكلام : للاستاذ محمد الحسينى الظواهرى

٥ — امون : قصة للاستاذ احمد صبرى

٦ — الطبع والصنعة فى الشعر : للاستاذ محمد الهمهاوى

٧ — توفيق الحكيم : للدكتور اسماعيل ادهم

٨ — وحى الفن : لذى النون ايوب

٩ — مناقب الامام ابى عمر الاوزاعى للامير شكيب ارسلان

هيتلر

يلذ للانسان أن يقف على الصفات الخاصة التى يمتاز بها الزعماء . ولذلك نحب أن نعرف ماذا يأكل هتلر لكى يحصل على النشاط الذى يتعب به ساسة أوربا

هتلر يقاطع اللحم والخمر والدخان وهو يحاسب نفسه من حيث الكم كما لو كان ممثلة سينمائية تخشى زيادة سنتيمتر فى خصرها . ففى الصباح أى منتصف الساعة السابعة يأكل طبقا من الحب المجروش فى اللبن . وفى الغداء لا يأكل شيئا بل يقعد الى المائدة لكى يحدث ضيوفه . واذا عضه الجوع طلب جريشا فى اللبن او كوبا من عصير الفواكه . فاذا كان وقت العشاء تناول طبقا من البيض وآخر من السلاطة وقليلا من الخضراوات والحلوى . ولما سأله زائر اذا كان يغير هذا النظام أجاب فى فكاهة أنه يغيره لانه احيانا يأخذ السلطة أولا ثم البيض

ويقال أن الطاهى المختص بتهيئة طعامه وجد من الفراغ الكثير ما جعله يدرس الموسيقا ويبرع فيها

وآثار مركب عشق الجنس قوية الوضوح عند الكثيرين من الناس ، ولها علاقة هامة بكثير من حالات الاضطراب العصبى النفسى . فمن مميزاته السهلة والكثيرة الانتشار صفة الملل او الضجر أى الرغبة فى عمل الشيء بمجرد الاحساس (أو ادراك) ارادته حتى ولو تسبب فى ألم مستقبل ، وفى هذه الحالة يوجد نقص فى القدرة على تقدير الثمن الذى سيدفعه المرء فى مقابل العمل الذى يشعر بالرغبة فى القيام به لانه — فى عقله الباطن -- يرى نفسه كلى القدرة ومستطيعا أن يتجنب النتائج السيئة فى المستقبل

وبينما لا يتناول عشق الذات فى أول الأمر الانفعالات التناسلية ، لأنه ينشأ قبل دور الشبقية الطفلية ، اذ نراه بعد أمد طويل أو قصير يتصل بالدوافع الشبقية الطفلية ، ولكن ينبغى الا يخلط بالتناسلية الذاتية كما يحدث كثيراً . ومن الطرق الشبقيـة ، التى كثيرا ما يتحول عشق الذات اليها طريق عشق الجنس . وقد قلنا — حتى الآن — ان هذا يتأثر الى حد كبير من التثبيتات الوالدية ولكننا نرى الفرصة مناسبة الآن لكى ندخل شيئا من التعديل على هذا الرأى ، لأن الشخص المصاب بعشق الذات كما يعد نفسه بغير وعى الشخص الوحيد الحقيقى الهام فانه أيضاً لا يستطيع أن يعجب بشىء فى الآخرين لا يوجد له شبيه فى نفسه ، ومن ثم فانه (هو أو هى) قد يشعر باحساسات شبقية قوية نحو شخص من جنسه له صفات بارزة تشبه ماعنده من الصفات

فاذا لم تصل المسألة الى هذا الحد فان موضع الحب من الجنس الآخر يكون على الارجح قريبا بقدر من الامكان من النوع الجسدى أو العقلى الذى ينتمى اليه الفرد . هذا علاوة على أن المصاب بعشق الذات يشعر باحتقار كبير نحو الجنس الآخر عادة ويحاول أن يعد افراده فعلا وبتركيب الطبيعة أقل منه (أو منها) فى سلم الخليقة

ومن ثم فاننا نستطيع أن نقرر ان مركب عشق الذات والمركب الوالدى هما قوتان مستقلتان فى تكوين موضع الحب عند أى فرد بعينه

وقد يكون الفرد العاشق ذاته سعيدا وراضياً طالما ان الحقائق التى عليه أن يواجهها لا تكون من الصعوبة بحيث يعجز عن التغلب عليها ، أى طالما انه يبقى دون أن تعكر عليه فكرة قدرته المطلقة . ولما كان على الدوام يطرد كل الصعوبات المستقبلة من عقله وتفكيره ، وبذلك يستطيع أن يعالجها

عند وقوعها كأنها حوادث مفردة مستقلة ، فانه كثيرا مايستطيع أن يحقق أمورا كبارا بطريقة تشنجية

ويعيش متفائلا لانه لا يستطيع أن يرى المصائب : لا شىء من هذا القبيل حقيقى . انه هو ذاته فقط الحقيقى . ولكن اذا كانت قوته غير كافية للتغلب على ما يعترضه من هذه الصعوبات فان النتيجة تكون وبالا عليه

وأول ما ينتظر حدوثه هنا كما فى أى مركب آخر ذى أداء لم يحتملها صاحبه فضغطها هو اضطراب عصبى نفسى . غير انه قد يحدث ارتداد أى محاولة الرجوع الى الطفولة وتوهم القدرة بصور أخرى ، فمثلا قد يصبح الشخص مدمنا للخمر لانه تحت تأثير الخمر يفقد الاحساس بالحقيقة غير السارة ، كما يضيع أيضا احساسه بالمسئولية ، وبذلك يصبح الشخص — من الناحية العقلية — فى مثل الحالة غير المسئولة كما كان سابقا حين كانت أمه تعنى بأمره : أى حالة القدرة المطلقة حين يرى كل طلباته مجابة * . وكثيرا ما يكون ادمان المخدرات أيضا نوعا من الارتداد الذى يحدث لنفس السبب

غير أن المريض قد يلجأ الى وسائل أخرى من الارتداد . فمثلا قد يأخذ فى البكاء كطفل ، لان دموعه فى أثناء طفولته كانت قادرة على التغلب على كل المصاعب التى كانت تقابله حينذاك ، أو قد يلجأ الى النوم (النوم المرضى) لانه فى هذه الحالة أيضا يصل الى حالة القدرة الطفلية ، أو قد يثور ويصخب ويشتم لانه فى فترة من حياته كان يستطيع بهذه الوسائل أن ينال من والدية كل رغبه ، أو قد يصبح شخصا تعيسا متشائما دائم الشكوى من كل شىء ومن كل انسان وغير قادر على تكييف نفسه مع الواقع الذى لا يسر والذى يخالف أحلامه ومثله السابقة

وكثيرون من عشاق الذات يشكون من نقص احساسهم بواقع الحياة ، بل قد يقررون أيضا ان الاشياء التى يرونها حولهم لا تبدو لهم حقيقية ، وانهم كثيرا ما يجدون مشقة فى اعتبارها حقيقية

من هذا نرى أهمية سلوك الوالدين نحو أبنائهم فى الشهور الاولى من حياتهم ، لا من ناحية اجتناب تكوين تثبيت شبقى قوى فحسب ولكن من ناحية اجتناب تثبيت قوى نحو عشق الذات أيضا . وكثيرا ما يوجد هذان المركبان بدرجة قوية معاً كما هو المنتظر ، ولكن لما كان عشق الذات

---

* من نتائج الخمر انها تضيع ضياعا جزئيا الضغط فى بعض الحالات وخصوصا فى مركبات عشق الجنس والعرض التناسلي

سابق للاحساس التناسلى وأكثر تبكيرا فى تكوينه من مركب أوديب فاننا نراه أقوى وأشد وضوحا فى بعض الحالات . فمثلا الابن الوحيد لا يكون عنده عشق الذات فقط ولكن مركب اوديب يكون فيه قويا . أما الابن الاكبر فان مركب عشق الذات يكون عنده قويا ولكن مركب أوديب يكون خفيفا (عاديا) ، لان جزءا كبيرا من العطف الذى كان فى أول الامر قاصرا عليه يتحول بعد ولادة الطفل الثانى الى المولود الجديد . ومن المحتمل أن الفكرة القديمة فى توريث الابن الاكبر وفى اعطائه حقوقا خاصة لا يحظى بها بقية افراد الاسرة انما نشأت من أوهامه الذاتية التى أحدثها والداه فى نفسه ، ثم فرضت على العالم بهذه الصورة

الفصل السابع

قواعد التفكير

من الطبيعى أن يجىء هـذا الموضوع عقب دراستنا لعشق الذات بعـد أن رأينا كيف يعيش بعض الناس فى جو من الوهم والخيال اذا عجزوا عن ملاءمة أنفسهم مع الواقع. وقد قسم بعض علماء النفس طرائق التفكير الى نوعين اساسيين لـكل منهما فروع متنوعة، ولـكننا نرى أن نقتصر هنا على التقسيم الآتى : —

١ — التفكير الخيالى (الاحلام النهارية الخ)

٢ — التفكير التوجيهى (التفكير الواقعى)

١ — التفكير الخيالى : رأينا كيف أن المصاب بعشق الذات بعد أن يعجز عن تـكييف نفسه بحسب — أو حتى عن فهم دلالة — البيئة التى يعيش فيها يلجأ الى دنيا أخرى فى داخـل نفسه. دنيا يكون هو ذاته فى الحالات المتطرفة حاكمها كلى القدرة. وسنرى فى فصل الاحلام كيف أن العقل الطفلى يرضى نفسه بخلق دنياه الخاصة؛ فاذا لم يستطع الطفل الحصول على كل رغباته فانه يتوهم انه حصل عليها ويحس الرضى من هذا الخيال أو الحلم النهارى بدلا من الحقيقة، فمثلا قد يريد الطفل حصانا ليركبه ولـكنه لا يستطيع الحصول عليه فيستعيض عن ذلك بكرسى مربوط بقطعة من الخيط أو تكفيه حتى صورة حصان فى كتاب لتكون الموضوع الذى تدور حوله رحلات خيالية الى الجبال والسهول، فاللذة التى يفتقدها فى الواقع يجدها من الخيال. ويلاحظ أن هذه الافـكار لا تؤثر على العالم الخارجى ولا تؤدى الى عمـل ما، فبينما يسافر الطفل ١٠٫٠٠٠ ميل فى الخيال يكون فى الواقع جالسا على الارض

ولـكن التفكير الخيالى ليس بهذه السهولة دائما، فـكثيرا ما يكون — وخصوصا فى المصابين بالهستريا — مصحوبا بما يسمى بالاختلاط. وقد أظهرنا سابقا قوة تأثير الوالدين على الطفل فى تكوين مركب أوديب، وعلى هذا المركب الاخير يمـكن أن تركب مركبات أخرى، فليس من النادر أن

ينشأ الطفل على النظر الى أبيه كأحد عظماء الرجال بينما يتأثر هو بفكرة صغره وضآلته وعجزه الى الأبد عن أن يكون عظيما كأبيه . وقد اظهرنا سابقا أن الطفل فى عقله الطفلى يكون قد ثبت نفسه الى حد ما على أمه ، وبذلك يكون قد جعل اباه فى عقله الباطن خصما أو منافسا له . وهذه المنافسة تقتضى بطبيعتها ان يقارن نفسه بابيه بعض الشيء . ومن الجائز أن يشعر الطفل باستحالة وصوله الى المركز المبالغ فيه الذى وصل اليه أبوه فيكون من الطبيعى أيضا أن يكتسب فى أحلامه النهارية تلك القوة التى لا يأمل ان يصل اليها فى الواقع ، وهذه ضرورة تقتضيها حالة العقل الباطن لانه — كمنافس أبيه — لا يأمل قط أن يصل من قلب أمه الى مثل مركز أبيه الا اذا اظهر مثل صفاته التى هى بحق من العوامل القوية فى تعلق أمه بابيه . ومن ثم فقد يقلد دون وعى منه سلوك أبيه وطريقته فى الكلام بل واخطاءه أيضا الى جانب فضائله ، وبذا يعمل الى درجة كبيرة على أن يخلط نفسه بابيه

وليست هذه الطريقة الوحيدة التى يحدث الاختلاط بواسطتها ، فعاشق ذاته قد يخلط نفسه بعدد كبير من الناس ، كل بدوره على ما يشبه الاسس الآتية : يرى نفسه الشخصية الوحيدة الهامة والحقيقية ، وفى أثناء احتكاكه بالعالم يرى نوعا آخر يمثل أحد مثله العليا أفضل بكثير مما يمثله هو ؛ فيخلط نفسه على التو بذلك الشخص ،ثم يظهر نفسه فى الخيال فى صورة شبيهة . مثال ذلك : لعاشق ذاته ميل قوى الى العرض ولكنه لا ينجح لوجود موانع خارجية تمنعه من اظهار نفسه والفات نظر الناس اليه ، يذهب الى المسرح ويرى ممثلا قديرا ينظر الناس اليه باهتمام ويصفقون اعجابا به ؛ فبمجرد وصوله الى المنزل يستغرق فى خيالات يقوم فيها بدور الممثل فيبدو كبيرا وظريفا ويشغل فى خياله أذهان الناس ، أى انه أخذ يخلط نفسه بالممثل

وهناك طرق أخرى كثيرة يحدث بواسطتها الاختلاط مع شخص آخر فى العقل الباطن . فهناك مثلا شخص عنده تثبيت قوى على أمه : قد يخلط هذا الشخص نفسه بها تدريجيا . وقد ذكرت سابقا حالة الشاب الذى خلط نفسه مع أمه فلما ماتت أمر على أن يقوم باعمال المنزل كلها وبجميع دقائقها

وتلعب مسألة الاختلاط هذه دورا كبيرا فى التفكير الخيالى ، فعندما نقرأ قصة نحس كل

انفعالات البطل أو البطلة وقد تصل درجة عطفنا عليه الى حد البكاء فما سبب ذلك ؟ الحقيقة اننا كنا نحيا فى حلم نهارى نسافر فى بلدان ونخوض تجارب ومغامرات — لا تتاح لها الفرصة فى أثناء حياتنا اليومية — فى شخص البطل أو البطلة التى خلطنا انفسنا به أو بها . وقد مر المؤلف ولاريب بمثل هذه الحالة ، ومن ثم فان جميع كتاب القصة من ذوى التفكير الخيالى . ومثل هذا ينطبق أيضا على الشعر والمسرح . كما أن العطف الشديد على شخص وقع فى احدى المصائب هو أيضا نوع من الاختلاط اذ نضع انفسنا مكانه ونحس احساسه

وفى المرضى المصابين بالهستريا يتجلى الارتباط بين الاختلاط والتفكير الخيالى بصورة واضحة ، اذ أن مرضى الهستريا يكادون يخلطون انفسهم بكل شخص يصادفونه

ويوجد فى كل انسان بطبيعة الحال قدر من هذا التفكير الخيالى ، وليس ثم مايمنع من التمتع به على شرط أن يكون محدودا ، فانه نوع من الراحة ، والراحة يحتاجها كل انسان ، ويمكننا أن ننظر الى النوم كأنه ارتداد الى عشق الذات — أى عودة الى حالة قبل الميلاد . فيمكننا أن ننظر الى التفكير الخيالى اذا كان مقداره قليلا على هذا الضوء . ولكن الخطر من الافراط فيه يشبه خطر أدمان المورفين ، لانه ينمو كما تنمو العادات ، كما أن له كل مساوىء وأضرار العادات ، لان التفكير الخيالى أى التفكير غير الموجه لايمكن أن يوجد فى نفس الوقت مع التفكير الموجه أو التفكير الحقيقى . وهذا التفكير الاخير هو الاهم فى تكوين كل خلق — وفى اصطناع كل عادة . وفى التقدم الجوهرى للعالم

اعتـــــــــذار

نعتذر الى القراء لأن الدكتور صبرى جرجس لم يستطع تزويدنا بباقى هـــذه الملزمة لمرض فاجأه فى اللحظة الاخيرة . ونحن ندعو له بالشفـــاء . وسيستأنف الترجمة فى الاعداد القادمة

انفعالات الطالب أو المعلم [illegible]

[illegible]

اليومية [illegible] شخص الطالب أو المعلم التي [illegible]

هذه [illegible] من نوع التفكير الخيالي [illegible]

الشعر والمسرح . كما أن الطالب [illegible]

أن يقدم [illegible]

وفي [illegible] التفكير الخيالي [illegible]

[illegible]

يوجد في كل [illegible] التفكير الخيالي [illegible]

شرط أن يكون محدودا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أن التفكير [illegible] الموجه [illegible]

وهذا التفكير [illegible]

الى مشتركينا فى الخارج

كثير من مشتركينا فى الخارج يطلبون منا شراء كتب لهم من القاهرة . وهم أحيانا لا يرفقون بطلباتهم ثمن هذه الكتب وأجرة بريدها . فنوجه أنظارهم الى أننا لا يمكننا أن نشتريها مالم يرسلوا الينا ثمنها وأجرة بريدها

حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش

سبتمبر ١٩٣٩

المجلة الجديدة

صاحبها ومحررها سلامة موسى — العدد التاسع من السنة الثامنة

١ — جميع ايصالات الاشتراك أو الاعلان يجب أن توقع بامضاء صاحب المجلة الجديدة سلامة موسى

٢ — الاشتراك فى مصر والسودان لمدة عام هو ٥٠ قرشا ، ٢٥ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٦٥ قرشا

٣ — يزداد الاشتراك فى الاقطار التى لا تدخل فى الاتحاد البريدى الى ٧٥ قرشا فى العام

العنوان : المجلة الجديدة ٢٤ حارة جاد . شارع الفجالة — مصر

عبث الأقــــــدار

للاستاذ نجيب محفوظ

مطبعة المجلة الجديده

(١)

جلس صاحب العظمة الآلهية والهيبة الربانية خوفو بن خنوم على أريكته الذهبية بشرفة مخدعه التى تطل على حديقة قصره المترامية الغناء — جنة منف الخالدة ذات الاسوار البيضاء — بين رهط من أبنائه وخاصته المقربين ، وكانت عباءته الحريرية تلمع حاشيتها الذهبية تحت أشعة الشمس التى بدأت مرحلتها نحو الغرب ، وكانت جلسته هادئة وديعة فكان يسلم ظهره الى وسادة محشوة بريش النعام ويتكىء بمرفقه على نمرقة ذات غطاء من الحرير المنمنم بالذهب وقد تجلت آى عظمته فى جبهته العالية ونظرته الرفيعة وتبدت قوته الخارقة فى صدره الواسع وساعديه المفتولين وأنفه الاشم فاحاطت به مهابة من سن الأربعين وهالة من مجد الفراعين

وكان يقلب عينيه الثاقبتين بين أبنائه وصحابته ، ويرسل بناظريه الى الأمام الى حيث يغيب الافق خلف رؤوس النخيل والاشجار أو ينحرف بها ذات اليمين فيشهد عن بعد تلك الهضبة الخالدة التى يرقب مشرقها أبو الهول العظيم ويسكن جوفها رفات الآباء والاجداد ويملأ سطحها مئات الالوف من الخلق يزيلون كثبانها ويشقون صخورها ويحفرون الاساس الهائل لهرم فرعون الذى أراد أن يجعله آية للناس على كر الايام وتوالى الازمان

وكان فرعون يحب تلك الجلسات العائلية التى تعفيه من أثقال الرسميات وترفع عن كاهله اعباء التقاليد فيغدو فيها ابا رفيقا وصديقا ودودا، ويخلص وصحبه الى النجوى والحديث يطرقون تافه المواضيع وهامها فتلوك السنتهم الفكاهات وتبرم الامور وتقرر المصائر . . وفى ذلك اليوم المدرج فى طوايا الزمان — الذى أرادت الآلهة أن تجعله مبدءا لقصتنا — بدأ الحديث بالهرم الذى شاء خوفو أن يقيمه مثوى لخلده ومستقرا لجثمانه ، وكان ميرابو المعمار النابغة الذى تسنمت به مصر ذروة المجد الفنى يتولى شرح عمله المجيد لمولاه الملك فاسهب فى تبيان دلائل العظمة المرجوة لذلك العمل الخالد الذى يشرف على بنائه وابتكار خططه ، ومضى الملك يستمع الى صديقه الفنان ثم ذكر السنوات العشر التى تقضت على البدء فى العمل فلم يخف تململه وقال للفنان

— أى ميرابو العزيز ، انى أومن بنبوغك ؛ ولكن حتام تستنظرنى ؟ انك لا تفتأ تحدثنى عن

عظمة الهرم الذى لم أر من بنيانه مدرجا واحدا ، وقد مضت على بدء العمل عشرة أعوام طوال حشدت لك فيها الملايين من الرجال الاشداء وعبأت لك خير الكفايات الفنية من شعبى العظيم ، ومع هذا فلا أرى لذاك الهرم الموعود أثرا على ظهر الارض . وكأنى بهاتيك المصاطب التى تحفظ أجساد أصحابها ولم تكلفهم عشر معشار ما نكلف أنفسنا تسخر من جهدنا الضائع وعملنا العابث .»

فبدا الجزع على وجه ميرابو الاسمر الاقتم وارتسمت تجاعيد الارتباك على جبهته العريضة وقال بصوته الرفيع الناعم

— مولاى ، حاشا ان أصرف الوقت عبثا ، أو أضيع الجهد لعبا ، فانى لمقدر التبعة التى تحملتها حين أخذت على نفسى موثقا أن أشيد لفرعون مثوى خلده وان أجعله آية للناس ، تنسيهم ما تقدم من آيات مصر وعجائبها ، ونحن لم نضع الاعوام العشر عبثا بل صنعنا فيها ما تعجز عن صنعه الجبابرة والشياطين فشققنا فى الصخر الجلمود مجرى ماء يصل ما بين النيل وهضبة الهرم وقطعنا من الجبل صخورا شاهقة كالتلال وسويناها فكانت فى أيدينا أطوع من العجين . . ونقلناها من أقصى الجنوب الى اقصى الشمال فانظر يامولاى الى السفن كيف تمخر النهر حاملة أكوام الصخور كأنها جبال عالية تسيرها تعاويذ ساحر جبار . . وانظر الى العمال المنهمكين كيف يكبون على أرض الهضبة كأن ظاهرها انشق عمن يحتويهم منذ آلاف السنين ! .

فابتسم الملك وقال متهكما

— ياعجبا . . امرناك أن تشيد لنا هرما فشققت نهرا فهل تظن مولاك ملكا على الاسماك ؟ .

وضحك الملك وابتسم الصحابة ، إلا الأمير رعخعوف ولى العهد فقد أجد فى الأمر وكان على حداثة سنه جبارا صارما شديد القسوة ورث عن أبيه جبروته دون رقته ، فقال يسأل الفتان

— الحق انى اعجب لتلك السنين التى ذهبت فى التمهيد والتحضير ، وقد علمت أن هرم المقدسة روحه الملك سنفرو بلغ كماله فى أقل من هذا العهد الطويل . .

فوضع ميرابو يده على جبهته وقال بادب جم

— هاهنا ياصاحب السمو الملكى يسكن عقل عجيب ، دائب على الثوره ، نزاع الى الكمال ، خلاق للمثل العليا ، وقد ابدع لى بعد جهد جهيد خيالا جبارا أنا باذل روحى لتجسيمه وتحقيقه

فصبرا ياصاحب الجلالة . . وصبرا ياصاحب السمو ! »

وساد الصمت لحظة لما شاع فى الجو من نغم موسيقى الحرس الفرعونى التى كانت تتقدم فريقا من الحرس الى اماكن حراستهم وتعود باخوانهم الى الثكنات ، وكان فرعون يفكر فى كلام ميرابو فلما خفتت اصوات الموسيقى نظر الى وزيره خومينى كاهن المعبود بتاح رب منف وسأله والابتسامة الجليلة لاتفارق شفتيه

— هل الصبر من شيم الملوك ياخومينى ؟

فتخلل الرجل لحيته بأنامله وقال بصوته الهادىء

— مولاى يقول فيلسوفنا الخالد قاقمنا وزير الملك حونى ان الصبر ملاذ الانسان من القنوط ودرعه ضد الشدائد

فضحك فرعون وسأله

— هذا مايقول قاقمنا وزير الملك حونى . . فما عسى أن يقول خومينى وزير الملك خوفو ؟

فبدأ التفكير على وجه الوزير الخطير وتاهب للكلام ولكن الأمير رعخعوف لم يمهله حتى يتكلم وقال بحماس أمير فى العشرين من عمره

— مولاى ، ان الصبر فضيلة كما قال ، الفيلسوف قاقمنا ، ولكنه فضيلة لاتليق بالملوك لأن الصبر تحمل للارزاء واذعان للشدائد وعظمة الملوك فى التغلب لا فى التصبر وقد عوضتهم الآلهة عن الصبر فضيلة القوة . .

فاعتدل فرعون فى جلسته ولمعت عيناه لمعانا خاطفا — لولا الابتسامة المرسومة على شفتيه — لكان قضاء مبرما ومضى يتذكر ماضى حياته على ضوء هذه الفضيلة مليا ثم قال بصوت حماسى كربه من الاربعين الى ذروة العشرين

— ما أجمل قولك يابنى ، وما أسعدنى بك ! حقا ان القوة فضيلة الملوك بل فضيلة الناس كافة لو يعلمون . . لقد كنت أمير ولاية صغيرة ثم خلقت ملكا من ملوك مصر وماسما بى من الامارة الى العرش إلا القوة ، وكان الطامعون والمتمردون والحاقدون لايفتأون يتربصون بى الدوائر ويتحفزون للقضاء على فما اشل السنتهم وقطع ايديهم واذهب ريحهم الا القوة ، وهم النوبيون مرة بشق عصا

الطاعة وزين لهم الجهل التمرد والعصيان فهل كسرشوكتهم والزمهم الطاعة الا القوة ؟ بل ما الذى رفعنى الى مرتبة القداسة فجعل كلمتى قانونا نافذا ورأيى حكمة آلهية وطاعتى عبـادة ؟ ، اليست هى القوة ؟

وهنا بادر الفنان ميرابو يقول كأنه يكمل حديث الملك

— والالوهية يامولاى ؟

فهز فرعون راسه استهانة وسأله

— وما الالوهية ياميرابو ؟ ان هى الا قوة

فقال المعمار بثقة وطمأنينة

— ورحمة ومحبة يامولاى

فقال الملك وهو يشير بسبابته الى الفنان

— هكذا انتم أيها الفنانون ! تروضون الصخور العاتيات وقلوبكم اندى من نسيم الصبـاح ، وما أحب أن اجادلك ولـكنى القى عليك سؤالا ستجد فى الجواب عليـه فصل الخطـاب : انك ياميرابو تخالط — منـذ عشرة أعوام — جيوش هؤلاء العمـال الاشداء وانك لذلك حقيق بـأن تطلع على خبايا ضلوعهم وما تختلج به نفوسهم فى السر والنجوى . فما الذى تظن أنه يلزمهم طاعتى ويصبرهم على أهوال العمل ؟ قل الحق صراحة ياميرابو . .

فصمت المعمار ساعة يعمل فكره ويدعو الذكريات وقد اتجهت إليه الانظار فى اهـتمام شديد ، ثم قال بتؤدة بلهجته الطبيعية المفعمة حماسة ويقينا

— العمال يامولاى طائفتان ، طائفـة الاسرى والمستوطنين وهؤلاء لايدرون ماذا يفعـلون ويروحون ويغدون بلا شعور سام كما يدور الثور حول الساقية ولولا قسوة العصا ويقظـة الجنود ما وقفنا لهم على أثر ، أما طائفة المصريين ، وغالبيتهم من مصر العليا ، فهم أناس ذوو عزة وكبرياء وجلد وايمان ، تحملهم للعذاب عجيب وصبرهم على الشدائد صارم ، وهم يعلمون ماذا يفعلون وتؤمن قلوبهم بان هذا العمل الشاق الذى يهبونه حياتهم واجب دينى جليل وزلفى للرب المعبود وطـاعة لعنوان مجدهم الجالس على العرش فمحنتهم عبادة ، وعذابهم لذة . وتضحياتهم الجبارة فرض لارادة

الانسان السامى على الزمان الخالد ، تراهم يامولاى فى وهج الظهيرة وتحت نيران الشمس المحرقة يضربون الصخر بسواعد كالصواعق وعزائم كالاقدار وهم ينشدون الاغانى ويترنمون بالاشعار . .

فانبسطت أسارير السامعين وسرت فى دمائهم نشوة الفرح والفخار ، وتبدى الرضا على قسمات فرعون البارزة القوية ، وقام عن أريكته — وقد بعث قيامه الجالسين قياما — وسار فى الشرفة الواسعة على مهل واتزان حتى بلغ حافتها الجنوبية والقى النظر بعيدا الى تلك الهضبة الخالدة التى ترتسم على رقعتها المقدسة خطوط العمال الطويلة وتأمل منظرها الجليل ومشهدهم الرائع . أى مجدوأى جلال ! ، أى عذاب وأى جهاد فى سبيله هو ! هل ينبغى أن تشقى ملايين النفوس الشريفة من أجل مجده ؟ هل ينبغى أن يولى ذاك الشعب النبيل أوجهه قبلة واحدة هى سعادته هو ؟

كان ذلك الوسواس هو القلق الوحيد الذى يضطرب أحيانا فى ذلك الصدر الملىء بالقوة والايمان مثله كمثل قطعة من السحاب التائه فى سماء زرقاء صافية الزرقة ، وكان يعذبه — اذا اضطرب — فيضيق به صدره وينغص عليه صفوه وسعادته ، وقد اشتد به العذاب فولى الهضبة ظهره وطالع صحابته بوجه غاضب دهشوا له وطرح عليهم هذا السؤال :

— من الذى ينبغى أن تبذل حياته لصاحبه ؟ الشعب لفرعون أم فرعون للشعب !

فوجموا جميعا ، واستولى عليهم الارتباك ، وكان القائد اربو ، أربطهم جأشا فقال بصوته القوى النبرات

— اننا جميعا — شعبا وقادة وكهنة — فداء لفرعون !

وقال الامير حرسادف أحد أبناء الملك بحماس شديد

— والامراء أيضا

فابتسم الملك فى غموض ولبث القلق واضحا على وجهه الجليل فقال وزيره خومينى

— مولاى صاحب الجلالة الربانية . لماذا تفرقون بين ذاتكم العالية وبين شعب مصر وأنتم منه كالرأس من القلب والروح من الجسد ؟ انكم يا مولاى عنوان مجده وآى فخاره وحصن عزته ووحى قوته ولئن وهبكم حياته فانما يهبها لمجده وعزته وسعادته وما فى هذه الهبة ذل أو عبودية ان هى الا وفاء جميل وحب عتيد ووطنية سامية .

فابتسم الملك ارتياحا وعاد بخطى واسعة الى الاريكة الذهبية وجلس ، فجلس القوم ، ولم يكن الامير رعخعوف ولى العهد بمرتاح الى وساوس والده فقال له

— لماذا تكدرون صفوكم يا مولاى بأمثال هذه الوساوس ؟ لقد وليت الحكم بمشيئة الآلهة لا بارادة انسان ولك أن تحكم الناس كيف تشاء لا تسأل عما تفعل وهم يسألون !

فقال خوفو

— أيها الأمير . ان أباك اذا تفاخرت الملوك يقول « أنا فرعون مصر »

ثم تنهد بصوت مسموع وقال وكأنه يحدث نفسه

— ان كلام رعخعوف حرى بان يوجه الى حاكم ضعيف لا الى خوفو الجبار ، . خوفو فرعون مصر . . وما مصر الا عمل عظيم لاتقام لبناته الا على تضحيات الافراد ، وما قيمة حياة الفرد ؟ انها لا تساوى دمعة جافة لمن ينظر الى المستقبل البعيد والعمل المجيد ، . لهذا أقسو دون تردد . وأضرب بيد من حديد . وأسوق مئات الالوف الى الشدائد . لا لبلادة طبع أو تحكم أثرة وكأن عينى تنفذان خلل سجف الافق فتطلعان على مجد هذا الوطن المنتظر ، لقد اتهمتنى الملكة مرة بالقسوة والظلم . كلا . ما خوفو الا حكيم بعيد النظر ، يرتدى جلد نمر مفترس ويخفق فى صدره قلب ملاك كريم :

وساد صمت طويل ، وكان الصحابة يمنون أنفسهم بسمر طريف ينسيهم اثقال تبعاتهم الجسام وكانوا جميعا يرجون أن يقترح الملك عليهم رياضة جميلة أو يدعوهم الى مجلس شراب وغناء بعد أن شبعوا من احاديث الاعمال والمهام ، ولكن الملك كان فى تلك الايام يشكو من ملل أوقات الفراغ على قصرها وندرتها ، فلما علم انه قد آن له ان يستريح وان يلهو ران على قلبه السأم ونظر الى صحبه فى حيرة ، وقد قال له خومينى

— هل أملأ لمولاى كأسا من الشراب؟

فهز فرعون رأسه وقال

— شربت اليوم وشربت بالامس..

فقال اربو

— هل ندعو العازفات يامولاى؟فقال بملل

— انى استمع الى موسيقاهن صباح مساء

فقال ميرابو

— ما رأى مولاى فى الخروج الى الصيد ؟» فقال الملك بنفس اللهجة

— شبعت من صيد البر والبحر

— اذا فهل من سير بين الاشجار والازهار ؟» فقال

— وهل فى الوادى مشهد جميل لم أره ؟

وساءت شكوى الملك خلصاءه وتكدرت نفوسهم الا الامير هورداديف فانه كان يدخر لوالده مفاجأة سارة لا عهد له بها فقال

— ابى الملك ، انى استطيع ان أقدم بين يديك لو تشاء ساحرا عجيبا ، يعلم الغيب ويميت ويحيى ويقول للشىء كن فيكون

فصمت فرعون ولم يسارع هذه المرة الى الرفض والتململ ونظر الى ابنه باهتمام ، وكان الملك يسمع كثيرا عن اخبار السحرة ومعجزاتهم ويتسلى بما يروى عن نوادرهم فسره ان يوعد برؤية واحد منهم محضرا بين يديه وسأل ابنه

— ومن هو هذا الساحر ايها الامير هورداديف . فقال الامير

— هو الساحر ديدى يامولاى ، وقد بلغ من العمر مائة عام وعشرة ولا يزال محتفظا بقوة الشباب وفتوة الصبا ، وله قدرة عجيبة يتسلط بها على الانسان والحيوان ، وبصيرة نافذة تهتك حجب الغيب

فازداد اهتمام الملك وسرى عنه الضيق والملل وقال

— هل تستطيع ان تأتى به الان ؟

فقال الامير بفرح

— امهلنى دقائق يامولاى

ثم قام واقفا وحيا والده بانحناءة طويلة ، وذهب ليحضر الساحر العجيب ..

(٢)

وبعد حين قليل رجع الامير هورداديف يسير بين يدى رجل طويل القامة عريض المنكبين حاد البصر ، نافذ النظرات ، يكلل رأسه شعر أبيض هش وتغطى صدره لحية كثة وقد تلفع بعباءة فضفاضة وتوكأ على عصا طويلة غليظة ، وانحنى الامير وقال

— مولاى ، أقدم بين يديك عبدك القانت الساحر ديدى

فسجد الساحر بين يدى الملك وقبل الارض بين قدميه ثم قال بصوت ذى نبرات مؤثره خفقت لوقعه القلوب

— مولاى ابن خنوم ، نور الشمس المشرقة ، ورب العالمين ، دام له المجد وحلت به السعادة

فرعاه الملك بالعطف واجلسه الى كرسى قريب منه وقال له

— كيف لم أرك من قبل وقد سبقتنى الى نور هذه الدنيا بسبعين عاما ؟

فأجابه الساحر المعمر بامتنان قائلا

— وهبك الرب الحياة والصحة والقوة ، أن مثلى لايحظى بالمثول بين يديك إلا اذا دعوته

فابتسم الملك ، ثم نظر اليه باهتمام وسأله

— أحقا أن لك معجزات ياديدى ؟ أحقا أنك تستطيع أن تذعن لارادتك الانسان والحيوان وأن تجلو عن وجه الزمان غشاوة الغيب ؟ »

فاحنى الرجل رأسه حتى انثنت لحيته على صدره وقال

— هذا حق وصدق يامولاى

فقال الملك

— أريد أن أشهد بعض هذه المعجزات ياديدى

وجاءت الساعة الرهيبة فاتسعت العيون وبدا الاهتمام على الوجوه ، ولم يبادر ديدى الى عمله ولكنه جمد مليا كأنما تحول إلا تمثال ، ثم ابتسم عن أنياب حادة والقى نظرة سريعة على الوجوه

وقال للملك

— عن يميني يخفق قلب لا يؤمن بي

فدهش الصحابة وتبادلوا نظرات الحيرة وسر الملك لفراسة الساحر وسأل رجالة قائلا

— هل بينكم من ينكر على ديدى معجزاته ؟

وهز القائد أربو منكبيه استهانة وتقدم بين يدى الملك وقال

— مولاى ، انى لا أومن بألاعيب السحر وارى انها نوع من المهارة يحذقه المتفرغون له

فقال الملك

— وما جدوى الكلام وأمامنا الرجل ؟ هاتوا له أسدا مفترسا نطلقه عليه ولنر كيف يروضه بسحره ويذعنه لارادته

ولكن القائد لم يقتنع وقال لمولاه

— عفوا يامولاى ، لاشأن لى بالاسود ، وها أنذا واقف بين يديه فليجرب فى سحره وفنه وله إن شاء — وشاء أن يجعلنى أومن به — أن يخضعنى لارادته ويتسلط على قوتى ..

وساد صمت ثقيل ، واعتلى الوجوم وجوها ، وتبدت الغبطة وحب الاستطلاع على وجوه أخرى ونظر كلا الفريقين الى الساحر ليروا مافعل به تحدى القائد العنيد فالفوه هادئا ساكنا لا تفارق ابتسامة الثقة بشفتيه الرقيقتين الحادتين ، وضحك الملك ضحكة عالية وقال لاربو بلهجة لم تخل من السخرية

— أهانت عليك نفسك يا أربو ؟

فقال القائد بثبات عجيب

— ان نفسى يا مولاى عزيزة على عزة عقلى الذى يهزأ بالاعيب السحر

وتجلى الغضب على وجه الامير هورداديف فوجه كلامه للقائد قائلا بلهجة حادة

— فليكن ما تريد وليتفضل مولاى الملك ويأذن لديدى بالرد على هذا التحدى

ونظر الملك لابنه الغاضب ثم الى الساحر وقال

— هيا أرنا كيف يقاوم سحرك جبروت صديقنا أربو

ولحظ القائد أربو الساحر بعين متعالية وأراد ان يولى عنه وجهه باحتقار ، ولكنه أحسن بقوة

تجذبه من عينيه الى الرجـل ، ولفحه الغضب وشد بقوة على رقبته وحاول أن ينتزع عينيه من القوة الهائلة التى تجذبها فآب بالخيبة والعجز ، وثبتت عيناه على عينى ديدى الجاحظتين البراقتين اللتين كانتا تلتمعان ويلتهبان كبلورتين يعكسان أشعة الشمس . فكسف نورهما عينى أربو فاظلمتا وغاب عنهما نور الدنيا ، وخارت قوى الرجل الجبار فالقى السلم والاذعان .

ولما اطمأن ديدى الى فعل قوته الخارقة قام واقفا وأشار الى مقعـده وصاح بالقائد بلهجة آمرة شديدة « اجلس » . . وصدع القائد بالامر فى خنوع فسار يترنح كالثمـل وارتمى على الـكرسى فى استسلام المشفى على الهـلاك . فصدرت من أفواه الناظرين آهـة دهشة وابتسم الامير هور داديف ابتسامة ارتياح وتشف ، أما ديدى فقد نظر الى فرعون باحترام وقال بادب جم

— مولاى، أستطيع أن آمره بما اشاء ولن يخالف لى أمرا ولكننى أشفق من أن أمثل بقائد من قواد الوطن العظام وحوارى من حوارى فرعون فهل يقنع مولاى بما رأى ؟

وهز فرعون رأسه دلالة الموافقة

فبادر الساحر الى القائد المذهول وجرى على جبهته باصابعه الخفيفة وقرأ بصوت خافت تعويذة غريبة فأخذ الرجل يفيق رويدا رويدا ومضت الحياة تدب فى حواسه حتى استعاد وعيه ، ولبث زمنا كالحائر ينظرفيما حوله وكأنه لا يدرك مما يرى شيئا ، ثم استقرت عيناه على وجه ديدى فتذكر والتهب جبينه وخداه بالاحمرار ، وتحاشى النظر الى الرجل الرهيب وقام الى مقعده يرسم على أرض الشرفة خطى الارتباك والقهر المتعثرة

وابتسم الملك اليه وقال برقة

— ما صاحبك بكاذب !

فاحنى القائد رأسه وقال بصوت خافت

— جلت قدرة الآلهة . وتعالت معجزاتها فى السماوات والارض

ثم قال الملك للساحر

— أحسنت ايها الرجل القادر ، ولـكن هل لك على الغيب سلطان كالذى لك على الخلق ؟

فقال الرجل بثقة واطمئنان

— نعم يا مولاى

وفكر الملك مليا ، وساءل نفسه عما عسى يطرح عليه من الاسئلة ، وأضاء وجهه بنور الهدى فقال للساحر

— هل تستطيع أن تقول لى حتام يجلس على عرش مصر ملوك من ذريتى ؟

وبدا على الرجل القلق والتهيب ففطن فرعون الى ما يختلج فى صدره فقال

— انى أطلق لك حرية القول وآمنك من عاقبة ما تقول .

فالقى الرجل بنظرة عميقة على وجه مولاه ثم صعد رأسه الى السماء واستغرق فى صلاة حارة ، ولبث ساعة لايتحرك ولا يتكلم فلما أن عاد بوجهه الى الملك وصحابته كان شاحب اللون ممتقع الشفتين، حائر النظرة ، فجفلت قلوب القوم وأحسوا بدنو شر مستطير ، ونفذ صبر الامير رعخعوف فقال له

— مالك لاتتكلم وقد أمنك فرعون ؟

فكتم الرجل أنفاسه اللاهثة وقال للملك

— مولاى لن يجلس على عرش مصر من بعدك أحد من ذريتك !

وأحدث قوله فى النفوس اضطرابا كأنه هبة ريح مباغتة اصابت دوحا ساكنا ،فحدجوه بنظرات قاسية كأنها عيون حمئة يتطاير منها الشهب ، وقطب فرعون جبينه وأربد وجهه فحاكى وجه أسد ضار اجنه الغضب،واصفر وجه الامير رعخعوف واطبق شفتيه القاسيتين فانذرت هيئته بالويل والهلاك

وكأن الساحر أراد أن يخفف من وقع تنبؤته فقال

— سوف تحكم يا مولاى آمنا مطمئنا حتى نهاية عمرك الطويل السعيد

فهز فرعون كتفيه استهانة وقال بصوت رهيب

— ان من يعمل لنفسه فكأنما يعمل للفناء ، فدع عنك تعزيتى وخبرنى هل تعرف من تدخره الآلهة ليخلفها على عرش مصر ؟

فقال الساحر

— نعم يا مولاى ، هو طفل حديث العهد بالوجود ، لم ير نور الدنيا الا صباح اليوم

— فمن أبواه ؟

— أما أبوه فهو من رع الكاهن الاكبر لرع معبود أون وأما أمه فالسيدة الشابة رده ديديت التى تزوجها الكاهن على كبر لتلد له هذا الطفل الذى كتب فى سجل الاقدار من الحاكمين

فقام فرعون هائجا كالاسد المتوثب ، وقام لقيامه القاعدون ، ودنا من الساحر خطوتين فزاغ بصر الرجل وكتمت أنفاسه ، وقال له

— أواثق أنت مما تقول ياديدى ؟

فرد الساحر قائلا بصوت مبحوح

— لقد كاشفتك يامولاى بما طالعتنى به صفحة الغيب !

فقال له الملك

— لا تخف ولا تحزن ، فلقد بلغت رسالتك ، وستنال ما تستحق من الجزاء الحسن

ونودى على حاجب من حجاب القصر وأمر أن يكرم الساحر ديدى ويعطيه خمسين قطعة من الذهب ، فاصطحبه الرجل ومضيا معا ..

وكان الامير رعخعوف فى حالة من البلاء شديدة وقد طفحت عيناه بقسوة قلبه وبدا وجهه الحديدى كرسول للموت وأما فرعون فلم تتبدد غضبته انفعالات وزئيرا ولكنها كتمت وصبت فى دفين ارادته فتحولت الى وثبة عزيمة تدك الجبال دكا وتحرك الاهوال وقد تحول الى وزيره خومينى وسأله بصوت عظيم

— ما رأيك ايها الحكيم خومينى هل يغنى الحذر عن القدر ؟

فرفع خومينى حاجبيه فى تأمل ولكن شفتيه المنطبقتين لم تنفرجا حيرة وحزنا فقال الملك معاتبا

— ارى انك تخشى فى قولة الحق وتهم بانكار الحكمة لترضينى ، كلا ياخومينى ان مولاك أجل من ان يضيق بقول الحق ..

وما كان خومينى جبانا ولا مداهنا ولكنه كان مخلصا للملك وولى عهده ويشفق من ايلامهما فلما لم ير بدا من القول قال بصوت خافت

— مولاى ، لقد اتفقت كلمة الحكمة المصرية التى لقنتها الارباب للسلف وأذاعها قاقمنا على الخلف بأن الحذر لا يغنى عن القدر

فنظر خوفو الى ولى عهده وسأله

— وأنت أيها الامير ما رأيك فى القدر ؟

فنظر الامير الى والده بعينين متقدتين كأسد فى شرك فابتسم فرعون وقال

— ايها السادة ، لو كان القدر كما تقولون لسخف معنى الخلق ، واندثرت حكمة الحياة ، وهانت كرامة الانسان ، وساوى الاجتهاد الاقتداء ، والعمل الكسل ، واليقظة النوم ، والقوة الضعف ، والثورة الخنوع ، كلا أيها السادة ، ان القدر اعتقاد فاسد لا يخلق بالاقوياء التسليم به ..

فاشتعل الحماس بقلب القائد اربو وصاح

— تعالت حكمتك يامولاى ..

فابتسم فرعون وقال باطمئنان

— أمامنا طفل رضيع ، على بعد منا يسير ، فيا ايها القائد اربو اعد حملة من العربات الحربية سأقودها الى اون لاشهد بنفسى مخلوق الاقدار الصغير ..

فقال خومينى دهشا

— هل يذهب فرعون بذاته ؟ فضحك الملك وقال

— اذا لم اذهب للدفاع عن عرشى فمتى يحق لى الذهاب .. هيا ايها السادة .. انى ادعوكم الى ركابى لتشهدوا معركة هائلة بين خوفو والاقدار ..

(٣)

وخرجت الحملة الفرعونية فى مائة عربة حربية ، عليها مائتا فارس من فرسان الحرس الفرعونى الاشداء ، يتقدم صفوفهم الملك وسط هالة من الامراء والصحابة والى يمينه الامير رعخعوف وإلى يساره القائد اربو .

وقد انطلقت تعدو شمالا شرقى فرع النيل الأيمن صوب مدينة أون ، تنهب الارض نهبا وتزلزل الوادى زلزالا وتبعث من صلصلة عجلاتها مايشبه الرعد ، وتثير من خلفها جبالا من الغبار تحجب

عن عيني منف الجميلة العربات المنطلقة والجياد المطهمة والراكبون الجبابرة ، الذين ينتصبون كالتماثيل متقلدين سيوفهم ، مدججين بقسيهم ونبالهم مدرعين بتروسهم يذكرون نا ثم الارض بجنود مينـــا الذين اثاروا غبارها منذ مئين من السنين حاملين الى الشمال نصرا مبينا ووحدة عزيزة وتاريخا مجيدا ساروا بقضهم وقضيضهم يقودهم الجبار الذى تخشع القلوب لذكر اسمـــه وتنكس الابصار ، لالغزو بلد ولالقتال جيش ولـكن لحصار طفل رضيع مايزال طاهراً قماطه ، وتجفل عينـاه من رؤية نور الدنيا ، وقد غدا بكلمة ساحر يهدد أكبر عروش الدنيا ويزلزل أشد قلوب الخليقة . . .

وكانوا يقطعون أرض الوادى بسرعة جبارة ويمرون بالقرى والدساكر مر السهم الخاطف ، ويرسلون بابصارهم الى الافق الرهيب المنطبق على الطفل الرضيع الذى اصطنعته الاقدار لتمثيل دور خطير . . .

وتبدى لهم فى الافق البعيد غبار ثائر لم تستطع اعينهم رؤية مايظله من الخـــلائق ، ومضت المسافة بينهم وبينه تقصر رويدا رويدا فاستطاعوا أن يروا شرزمة من الفرسان تعدو فى اتجاههم فلم يشكوا فى انها فرقة من حرس مقاطعة رع .

وازدادوا منهم قربا فوضح لاعينهم انهم فوارس يعدون خلف واحد منهـم أما انه يتقـدمهم وأما انهم يطاردونه ، فلما أن دنوا من هدفهم صحصح لهم ما كانوا منه فى شك مريب فاذا بالمتقدم امرأة على ظهر جواد عار وقد انحلت ضفائرها وبعثرت وطارت خلفها مع الهواء كأنها أعلام فى رأس شراع ، وقد انهكها التعب نخارت قواها ولحق بها العادون خلفها وأحاطوا بها من كل جانب . . .

وتصادف حدوث ذلك مع وصول فرعون وجنوده ، وكان الركب الفرعونى قد اضطر الى تهدئة عدوه تفاديا للصدام ، ولم يحفل فرعون ولا أحد من رجاله بالمطاردين والمطاردة وظنوا انهم شرطة يؤدون واجبا من واجباتهم وكادوا يمرون بهم مر الـكرام لولا أن صاحت بهم المرأة قائلة .

— الغوث ايها الجنود . . الغوث أن هؤلاء يقطعون على الطريق الى فرعون . . »

هنا توقف فرعون فتوقفت العربات من ورائه ونظر الى الرجال المحيطـين بالمرأة وصاح بهم بصوته الامر .

— دعوا هذه المرأة ؟

ولكنهم لم يصدعوا بالامر الذى جهلوا آمره وتقدم فارس منهم برتبة ضابط اليه وقال بخشونة

— نحن قوة من حرس أون جئنا ننفذ أمر كاهنها الاعظم .. فمن أى مدينة انتم وماذاتريدون؟

وتبدى الغضب على الوجوه لحماقة الضابط وهم اربو بانتهاره وتحذيره ولكن فرعون أشار اليه أشارة خفية فسكت وهو كظيم ، وصرف ذكر كاهن رع فرعون عن الغضب الى التفكير والتأمل وأراد أن يستدرج الضابط الى الكلام فسأله قائلا

— ولماذا تطاردون هذه المرأة ؟

فقال الضابط بصلف

— أنا لاأؤدى حسابا عن مهمتى الا امام رئيسى

فصاح فرعون غاضبا بصوت كالرعد

— اطلقوا سراح هذه المرأة

وذعر الجنود وايقنوا انهم أمام رئيس خطير فتركوا التى هرولت الى عربة الملك وارتمت تحتها فى خوف ووجل وهى تصيح « الغوث . . ياسيدى الغوث . . »

وترجل القائد اربو عن عربته وتقدم من ضابط القوة فلما رأى هـذا علامة النسر والشارة الفرعونية على كتفه تولاه الرعب ووقف وقفة نظامية وسل سيفه وأدى عليه التحية العسكرية وصاح بجنده « حيوا قائد الحرس الفرعونى » فسل الجنود سيوفهم ووقفوا كالتماثيل .

ولما سمعت المرأة قول الضابط علمت انها أمام رئيس حرس فرعون فقامت اليه وقالت له بتوسل

— سيدى . . أأنت حقا رئيس حرس مولانا الملك ؟ بحق الارباب الا قدتنى اليه ، لقد فررت ياسيدى مولية وجهى نحو القصر الفرعونى . . الى اعتاب فرعون التى لايعجز عطفه شفتى أى مصرى أو مصرية لثمها - فسألها اربو

— ألك حاجة ياسيدتى تريدين قضاءها ؟

فقالت المرأة وهى تلهث

— نعم ياسيدى فى صدرى سر خطير أريد أن أبوح به لذاته المعبودة

فأرهف فرعون السمع وسألها أربو

— وماهذا السر الخطير ياسيدتى ؟ — فقالت بتوسل

— سابوح به الى ذاته المقدسة —

— انى خادمة المخلص الأمين على سره

فترددت المرأة وقلق بصرها بين الحاضرين وكانت شاحبة اللون زائغة العينين مضطربة الصدر فرأى القائد أن يستدرجها بالتى هى أحسن فسألها

— ما اسمك ؟ وأين تقيمين ؟ —

— ادعى سرجا ياسيدى وكنت الى صباح اليوم خادمة فى قصر كاهن رع الاكبر —

— ولماذا كانوا يطاردونك ؟ هل وجه مولاك لك احدى التهم ؟

— انى امرأة شريفة ياسيدى ولكن كان سيدى يسىء معاملتى . . .

— وهل هربت فرارا من معاملته لك ؟ هل تلتمسين رفع شكواك الى فرعون ؟

— كلا ياسيدى ، ان الامر لاعظم خطورة مما تظن ، لقد وقفت على سر خطير فيه ماينذر مولاى الملك بالخطر فهربت لاحذر ذاتة المعبودة كما يقضى الواجب على فارسل سيدى هؤلاء الجنود ورائى ليقبضوا على ويحولوا بينى وبين واجبى المقدس ! —

فارتعدت فرائص الضابط وقال بسرعة يدفع عن نفسه التهمة

— لقد أمرنا صاحب القداسة بالقبض على امرأة فارة على ظهر جواد فى طريق منف فصدعنا بما أمرنا دون أن نعلم من أمره ولا أمرها شيئا

فقال أربو لسرجا

— انك تكادين أن تتهمى كاهن رع بالخيانة ؟ — فقالت المرأة

— دعنى يا سيدى أصل الى أعتاب فرعون كى أبوح له بما يضيق عنه صدرى

ونفد صبر فرعون وأشفق من ضياع الوقت الثمين فقال للمرأة فورا

— هل رزق الكاهن بطفل هذا الصباح ؟

فتحولت اليه المرأة داهشة ذاهلة وتمتمت

— ومن ادراكم بهذا يا سيدى وقد تكتموا الخبر ؟ حقا ان هذا عجيب !

وبدا الاهتمام على حاشية الملك وتبادلوا النظر فى صمت أما الملك فسألها بصوته المهيب

— هل هذا هو السر الذى تريدين ابلاغه لفرعون ؟

فهزت رأسها قائلة ولما يفارقها ذهولها

-- نعم يا سيدى . ولكن ليس هذا جميع ما أريد قوله

فقال لها فرعون بحدة وبلهجة آمرة شديدة الوقع لا تبقى على التردد

— فما الذى ينبغى أن يقال ؟ تكلمى

فاندفعت المرأة الى الكلام بخوف ، قائلة

— لقد أحست مولاتى السيدة رده ديديت بدبيب آلام الوضع منذ الفجر ، وكنت ضمن الوصيفات اللائى احطن بفراشها يخففن عنها العذاب بالحديث تارة وبالعقاقير أخرى ، وقبيل الوضع بزمن يسير دخل علينا الكاهن الاكبر وبارك سيدتى وصلى للرب رع صلاة حارة ، وكأنه أراد أن يشرح صدر سيدتى المعذب ويخفف عنها ويلات الساعة فبشرها بانها ستلد طفلا ذكرا وانه سوف يرث عرش مصر المكين ويحكم وادى النيل خليفة للاله رع اتوم .

وقال لها وهو لا يملك نفسه من الفرح حتى لكأنه نسى وجودى — انا التى لا تحظى مثل غيرها بثقته — ان تمثال الرب المقدس زف اليه هذه البشرى بصوته الربانى ، ولما وقع بصر سيدى على انقبض صدره وارتسم القلق على وجهه ، ولكى يأمن شر الوساوس قبض على وحبسنى فى مخزن الحبوب ولكننى تمكنت من الفرار وامتطيت جوادا وانطلقت به فى الطريق الى منف لابلغ الملك بما سمعت والظاهر ان سيدى أحس بفرارى فارسل فى طلبى هؤلاء الجنود الذين لولاكم لقادونى الى حتفى .

وكان الملك وصحابته يستمعون الى قصة سرجا بانتباه وامعان ودهشة ، فتحققت لديهم نبوءة الساحر ديدى العجيبة وكان الامير رعخعوف شديد الجزع فقال لفرعون

— لن يذهب تحذيرنا سدى ! فقال فرعون

— نعم يا بنى ... ولكن ينبغى ألا نضيع الوقت .

والتفت الى المرأة وقال لها

— سوف يجزيك فرعون عن اخلاصك خير الجزاء ، وما عليك الآن الا أن تقولى لنا عن الوجهة التى تولينها ؟ فقالت سرجا

— ارجو يا سيدى أن أذهب آمنة الى قرية قونا حيث يقيم والداى

فقال فرعون للضابط

— انت مسئول عن حياة هذه المرأة حتى تبلغ دارها

فاحنى الضابط هامته طاعة واشار فرعون الى القائد اربو فصعد الى عربته ، ثم أمر الملك قائد عربته بالسير فانطلقت كالقضاء ومن ورائها العربات ، الى أون التى بدا للعين سورها المحيط ورؤوس اعمدة معبدها الكبير معبد رع اتوم .

(٤)

كان كاهن رع فى تلك الاثناء يجثو الى جانب سرير زوجه ويصلى صلاة حارة ويقول

— رع ، ايها الرب الخالق الموجود منذ الأزل والوجود بعد ماء جار فى فضاء محيط يجثم عليه ظلام ثقيل ، خلقت ايها الرب بقدرتك كونا جايلا جميلا ، شملته بنظام فاتن يسرى حكمه الواحد على الافلاك الدائرة فى السماوات وعلى ذرات الثرى المنتثرة على وجه البسيطة ، وجعلت من الماء كل شيء حى فالطير يحلق فى السماء والسمك يسبح فى الماء والانسان يضرب فى الارض والنخل ينبت فى جوف الصحراء القاحلة ، وبثثت فى الظلمات نورا بهيا يتجلى فيه وجهك ذو الجلال والاكرام ، يبعث الدفء وينشر الحياة ، ايها الرب الخالق ، ابث اليك همى وحزنى وأضرع اليك ان تكشف عنى الضر والبلوى ، أنا عبدك المؤمن وخادمك الامين ، اللهم انى ضعيف فهبنى من لدنك قوة ، اللهم انى خائف فانزل على الطمأنينة والسلام ، اللهم انى مهدد بشر عظيم فاشملنى برعايتك ورحمتك اللهم انك وهبتنى على الكبر طفلا باركته وكتبت له فى سجل الاقدار ملكا وحكما فادفع عنه السوء وقه شر العدا .

نطق من رع بهذا الدعاء بصوت متهدج وقـد سحت عيناه دمعا ساخنا ، انحدر على خديه الناحلين وبلل لحيته البيضاء ، ثم رفع رأسه الكبير ونظر بعطف الى وجه زوجه النفساء الشاحب اللون ، ثم نظر الى الطفل الصغير ، وكان ساكنا هادئا ، يرفع جفنيه عن عينين صغيرتين سوداوين ويسبلهما جفولا من نور ذاك العالم الغريب

ولما أحست زوجه رده ديديت بفراغه من الصلاة قالت له بصوت ضعيف خافت

— أما من خبر عن سرجا ؟

فتنهد الرجل وقال

— سيلحق بها الجنود بأمر الرب فقالت بقلق

— اواه يا مولاى . اتعلق خيط حياة طفلنا باحتمال قد يصيب وقد يخيب ؟

— كيف تقولين هذا ياردة ديديت ! انى لم انفك — مذ هربت سرجا — أفكر فى وسيلة تقيكما السوء وقد هدانى الرب الى حيلة ولـكنى أخشى عليك وأنت نفساء لا تحتملين الشدة . ؟

فمدت اليه يدا ضارعة وقالت بتوسل

— افعل يازوجى مافيه نجاة طفلنا ولايهولنك ضعفى فانى استمد من امومتى قوة دونهـا قوة الأصحاء . . —

فقال الـكاهن المتألم

— اعلمى ياردة ديديت انى اعددت عربة وملأتها بالحنطة وجعلت لك فى ركن منهـا مـكانا ترقدين فيه مع الطفل ، وجهزت صوانا من الخشب ونزعت قعره فاذا وضع عليـكما اخفاكما عن الانظار وستسير بها وصيفتك الامينة كاتا الى عمك فى قرية سنكا . .

— ناد الخادمة زايا لأن كاتا نفساء كسيدتها وقد ولدت طفلا ضحى اليوم . .

فدهش الرجل وقال

— اولدت كاتا ؟ وعلى كل حال فزايا لاتقل اخلاصا عن كاتا . .

— وانت يازوجى ؟ ! هب أن الحظ عثر وباء وأن سر طفلنا بلغ فرعون فارسل اليك بجنده فبم تجيبهم لو سألوك عن الطفل وأمه ؟

ولم يكن الكاهن قد أعد العدة لنفسه فيما لو وقع المحذور ولكنه لم يقم لذلك وزنا الان همه كان محصورا فى انقاذ الطفل وأمه ولذلك كذب على زوجه قائلا

— اطمأنى يارده ديديت فلن تفلت سرجا من رسلى وماتهربي لك خفية الا حذرا وحيطة ، ومهما يكن من أمر فلن تباغتنى الطوارىء ولسوف تصلك أخبارى عما قريب . .

وخشى أن تزداد مخاوفها فاراد أن يصرفها عن التفكير فقام واقفا ونادى بصوته الجهورى على زايا فاتت الخادمة سريعا وانحنت له فى احترام فقال لها

سأعهد لك بسيدتك والطفل المولود لتسيرى بهما الى قرية سنكا . . وعليك بالحذر فانت تعلمين بالخطر الذى يتهددها .

فقالت الخادمة باخلاص

— انى فداء لمولاتى وطفلها المبارك

وطلب منها الكاهن أن تعينه على حمل سيدتها الى مخزن الحبوب ، ودهشت الخادمة لذلك الطلب ولكنها صدعت بما أمرت ، ووضع الرجل زوجه على اللحاف الوثير ووضع يديه تحت منكبيها ورأسها ورفعتها زايا من تحت ظهرها وفخذيها وسارا بها الى البهو الخارجى وهبطا الدرج الى الفناء ودخلا الى المخزن ، وأرقداها فى المكان الذى أعده لها الرجل فى العربة ، ثم صعد الكاهن واتى بطفله وكان يعول ويصرخ فقبله قبلة حارة ووضعه فى حضن أمه ، وأطل عليهما هنية من جدار العربة ورأى رده ديديت تنتحب وتضطرب فقال لها وقلبه يتقطع

— ثبتى قلبك من أجل طفلنا العزيز ولاتدعى للخوف الى نفسك سبيلا . .

فقالت المرأة وهى تبكى

— أنك لم تسمه بعد . . ، فقال وهو يبتسم

— أدعيه باسم ابى الراقد الى جوار أوزوريس . . ددف . . ددف رع . . ددف بن من رع ، اللهم اجعل اسمه مباركا وادفع عنه كيد الكائدين . .

وأتى الرجل بالصوان ووضعه على العزيزين واقعد زايا مقعد السائق ووضع زمام الثورين بين يديها وقال لها « سيرى على بركة الرب الحافظ »

وما أن تحركت العربه حركتها البطيئة حتى فاضت عيناه بالدمع الغزير ، وجعل يرقبها خلال دموعه وهى تقطع أرض الفناء . حتى غيبها الباب عن ناظريه ، وهرول الى السلم وصعده بقوة شاب وذهب الى النافذة التى تطل على الطريق وراقب العربة التى تحمل قلبه ووجدانه . .

وبغتة باغت مخيف لم يكن يتوقع حدوثه بمثل السرعة التى حدث بها ، فلما أن نفذ قضاؤه ملأه رعبا يعجز البيان والتعبير ، فنسى حزن الفراق وجوى الوداع وحنين الابوة واحترق رعبا وخوفا . حتى فقد الشعور والادراك ، فشبك كفيه وجعل يضرب بهما صدره وهو يقول بذهول « أيها الرب رع . . أيها الرب رع » ويكررها بلا وعى وعيناه تنظران الى كتيبة العربات الفرعونية التى ظهرت فجأة من منعرج طريق المعبد وتقدمت الى قصره وهى تقوم بحركة حصار بديعة فى سرعة ونظام دقيقين حالا بين العربة وبين التقدم خطوة أخرى

يارب السماء لقد جاءت جنود فرعون باسرع مما دار له بخلد ، ينبىء مجيئها عن توفيق سرجا فى مهمتها وهربها من جنوده والا ما استطاعت أن ترسل رسل الموت الزؤام بمثل هذه السرعة

وجاء جند فرعون كالمردة الجبابرة تصهل جيادهم وتصلصل عجلاتهم وتتوهج خوذاتهم فى شعاع الشمس المائل ، ماذا جاءوا يفعلون ؟ جاءوا ليقتلوا الطفل البرىء ، والابن الحبيب الذى شرح الرب به صدره على الكبر واليأس . .

وكان من رع مايزال يضرب صدره بكفيه المشتبكين ويهز رأسه هزات الذهول والبله ويقول بلهجة الثكلى التى تندب ولدها (ايها الرب . . ان جماعة منهم تحيط بالعربة ، وواحدا منهم يطرح الاسئلة الصارمة على زايا البائسة ، ترى عم يسألها ؟ وبم تجيبه ؟ وماعسى أن تكون عقبى هذا التحقيق ؟ وان حياة طفلى وزوجى لرهن بكلمة واحده تنطق بها زايا ، رباه ! يارع المعبود . ثبت قلبها وطمئن نفسها واجر على لسانها كلمة الحياة لا الموت ، وانقذ طفلك الحبيب لتقضى قضاءك الذى قضيت وبه بشرت . . .

وجن جنونه من الجزع وخيل اليه أن ساعات طويلة تمر ثقيلة متباطئة على هذا الجندى وهو لايفتأ يسأل زايا ويسد عليها المنافذ ، أواه لو يحرك واحد منهم الصوان أو يداخله شك فيما يشتمل عليه ؟ بل أواه لو يعلو صوت الطفل بآهة أو صراخ .

— صه يا بنى . . اللهم الهم أمه أن تضع ثديها فى فمه . . صه يا بنى . . أن آهه تخرج من فمك كفيلة بالقضاء عليك . . رباه أن قلبى يتفتت وروحى تصعد فى السماء . .

وسكت الكاهن فجأة واتسعت عيناه وصاح ولكن بفرح شديد هذه المرة

— الحمد لرع . . انهم يتقدمون والعربة تسير فى طريقها آمنة من غير سوء . . باسم رع مسيرها وحطها . . الحمد لك أيها الرب الرحيم . .

(٥)

تنفس الكاهن الصعداء وأحس - لفرحه - بحنين الى البكاء لولا أن تذكر ما ينتظره من الاهوال والشدائد فلم ينعم بالطمأنينة الا لحظات سريعة ، ودلف الى منضدة عليها ابريق من الفضة صب منه من الماء القراح ماروى به غلته

وما لبثت ان صكت أذنيه جلجلة القوة التى صارت بفناء قصره والتى جاءت خصيصا للقضاء على المولود الذى كان خطر الموت منه قاب قوسين أو أدنى .

وجاءه خادم يسعى مضطربا خائفا وأخبره بان قوة من حرس الملك تحتل القصر وتراقب منافذه وجاءه آخر يبلغه أن رئيس القوة أرسله فى طلبه سريعا ، فتظاهر الكاهن بالثبات ورباطة الجأش ، ووضع العباءة المقدسة على منكبيه والقلنسوة الكهنوتية على رأسه ثم غادر حجرته فى خطوات وئيدة تحف به المهابة والجلال الحقيقان بشخصية أون الدينية الكبرى ، ولم يتهاون الكاهن فى حق هيبته فوقف على عتبة بهو الاستقبال ووجهه الى الفناء والقى نظرة سطحية على جنود القوة الواقفين فى أماكنهم لا يبدون حراكا كأنهم تماثيل منصوبة من العهد القديم ثم رفع يده تحية وقال بصوته الرقيق الجليل دون أن يقر نظرة على وجه بذاته

— يا بنى . . حللتم أهلا وسهلا . وليبارككم رع المعبود بارىء الكون وخالق الحياة

فسمع صوتا مهيبا يرد عليه قائلا

— الشكر لك يا كاهن رع المعبود

فانتفض جسمه لدى سماعه كما ينتفض الجمل لزئير الاسد ، وذهبت عيناه زائغتين تبحثان عن صاحب الصوت العظيم حتى استقرتا على قلب القوة فتولاه العجب والرعب ان يأتى فرعون بذاته الى بيته ، ولم يتردد عن اداء واجبه فهرع الى سدته لا يلوى على شىء فلما بلغ عربته سجد بين يديه وقال بصوت متهدج

— مولاى فرعون بن الرب خنوم ، نور الشمس المشرقة وواهب الحياة والقوة ، انى يامولاى أضرع الى الرب أن يوحى إلى قلبك الكبير بالاغضاء عن سهوى وجهلى كى أفوز بعفوك ورضاك

فقال له الملك

— انى أعفو عن هفوات الصادقين

فخفق قلب الكاهن وقال

— أما وقد تفضل مولاى بزيارة قصرى الوضيع فليتفضل ويحل أشرفه

فابتسم فرعون وترجل عن عربته وتبعه الامير رعخعوف واخوته الامراء وخوميني واربو وميرابو ، وسار الكاهن بظهره يتبعه الملك يتبعه الامراء والصحبة حتى حلوا بهو الاستقبال ، وجلس الملك فى الصدر وحوله حاشيته واستأذن من رع فى الذهاب لاعداد ما يجب اكراما لهم ولكن فرعون قال له

— نحن نعفيك من واجب ضيافتنا لاننا جئنا فى أمر خطير لا يحتمل الاناة

فانحنى الرجل وقال

— انى رهن اشارة مولاى

اعتدل الملك فى جلسته وسأل الكاهن بصوته النفاذ المهيب

— انت رجل من صفوة رجال المملكة ومقدم عليهم بالعلم والحكمة فهل تستطيع أن تقول لى لماذا تولى الآلهة الفراعنة على عرش مصر ؟

فقال الرجل بثبات وايمان

— انها تختارهم من بين أبنائها وتبعث فيهم روحها الآلهى ليصلحوا البلاد ويسعدوا العباد

— أحسنت أيها الكاهن ، فكل مصرى يسعى فى الحياة لنفسه أو لاسرته أما فرعون فينهض

يحمل اعباء الملايين ويسأل عنها جميعا أمام الرب . . فهل تستطيع أن تقول لى عما ينبغى لفرعون نحو عرشه ؟

وأجاب من رع بشجاعة فائقة

— ان ما ينبغى لفرعون نحو عرشه هو ما ينبغى للانسان الامين نحو وديعه الآلهة المكرمين بين يديه أن يقوم بواجباته ويؤدى له حقوقه ويحافظ عليه محافظته على شرفه

فهز فرعون رأسه راضيا وقال

— أحسنت أيها الكاهن الفاضل ، والآن خبرنى ماذا ينبغى أن يفعل فرعون لو هدد عرشه مهدد ؟

نخفق قلب الكاهن الشجاع وأيقن انه يحكم على نفسه بجوابه ولكنه — وهو رجل الدين والتقوى والعزة ابى الا أن يقول الحق فقال

— ينبغى لجلالته أن يبيد الطامعين

فابتسم فرعون والتمعت عينا الامير رعخعوف ببريق قاس ، وقال الملك

— أحسنت . . أحسنت . . لانه إن لم يفعل خان عهد الرب وفرط فى وديعته الآلهية وأضاع حقوق العباد .

ثم تصلب وجه الملك وبدا عليه عزم يميد الجبال وقال بصوت رهيب

— أيها الكاهن . لقد وجد الذى يهدد العرش

فنكس الكاهن عينيه وغلبه الصمت فاستطرد فرعون

— وهزأت الاقدار كعادتها فجعلته طفلا .

فتساءل الكاهن بصوت خافت

— طفلا يا مولاى ؟

فطفر الغضب من عينى فرعون شررا وصاح

— كيف تتجاهل أيها الكاهن ؟ لقد حرصت على الصراحة والصدق فى حديثك فلم تترك الكذب يتسلل الى قلبك فى حضرة مولاك ؟ ، وانك لتعلم علم اليقين انك ابو الطفل و نبيه !

فتدفق الدم الى وجه الكاهن وعصر الالم قلبه الكبير وقال بتسليم وحزن

— ابنى طفل رضيع لم يجاوز عمره بضع ساعات

فقال فرعون

— لكنه آلة فى يد الاقدار والاقدار اذا أرادت أن تفعل استوى لديها الطفل والرشيد . .

وساد الصمت والسكون هنيهة ، وتولى الجميع رهبة غريبة فكتموا الانفاس فى انتظار الكلمة التى ستطلق سهم الموت الى قلب الطفل البائس ، ونفذ صبر الامير رعخعوف فقطب جبينه وازدادت قساوة وجهه الطبيعية شدة وصلابة . .

ثم قال فرعون

— ايها الكاهن لقد اقررت منذ لحظة بانه ينبغى لفرعون أن يهلك من يهدد عرشه ، اليس كذلك ؟

فقال الكاهن بقنوط

— بلى يامولاى

— ولاشك أن الآلهة قد قست عليك بخلقها هذا الطفل ولكن القسوة عليك اخف من القسوة على مصر وعرشها .

فقال الكاهن

— هذا حق يامولاى

فقال فرعون

— اذاً فأد واجبك أيها الكاهن !

فوجم من رع وارتج عليه القول أما فرعون فقد استطرد

— إن لنا — معشر الفراعنة — تقاليد موروثة فى احترام الكهنوت ورعايته لاأحب أن تضطرنى الى خرقها . .

ياعجبا ماذا يريد فرعون بقوله هذا؟ ايريد أن يفهم الكاهن أنه يحترمه ولا يحب أن يقتل ابنه وانه لذلك ينبغى أن يقوم هو بالمهمة التى يجفل منها الملك ؟ وكيف يتأتى له أن يذبح طفله بيده ؟ حقا

أن الاخلاص الذى يكنه لفرعون يقضى عليه بتحقيق رغبته الربانية دون أدنى تردد وأنه ليعلم علم اليقين أن أى فرد من شعب مصر لا يتوانى عن أزهاق روحه لو احس بأن موته يلقى رضاء فرعونيا ساميا فهل يلحق بطفله العزيز ويغمد خنجره فى قلبه ؟

ولكن من الذى قضى أن يكون ابنه خليفة خوفو على عرش مصر ؟ أليس هو الرب رع ؟ أو ليس يعد سعيه لقتل الابن البرىء تحديا لارادة الرب الخالق ؟ ومن الذى يجب أن يؤثر بطاعته خوفو أم رع ؟ لا يحتاج الجواب الى روية ولكن ماعسى أن يفعل وفرعون وملاؤه ينتظرون كلمته ؟ ماذا ينبغى أن يفعل وقد بدأوا يتململون ويغضبون ؟

وتراءى له خاطر سريع وسط لجة الحيرة والارتباك كما يلتمع البرق فى السحاب المظلم المكفهر ، تذكر كاتا وطفلها الذى ولدته هذا الصباح ! ! وتذكر انها نائمة فى الغرفة التى تواجه غرفة سيدتها على كثب منه ، حقا انها فكرة جهنمية شيطانية يبرأ منها قلب كاهن مثله ولكن القلب لا يتيقظ اذا تسلط عليه مايتسلط على قلبه من الانفعالات والاضطرابات ، وهيهات أن يصحو ضمير أمام رهبة فرعون ورجاله . . كلا انه لا يستطيع أن يتردد

وأحنى الكاهن رأسه المثقل احتراما ، وذهب ليرتكب اشنع جريمة ، فتبعه فرعون وتبع فرعون الامراء والكبراء ، وصعدوا خلفه الى الطابق الاعلى ، ولكنهم حين رأوا الكاهن يهم بولوج باب الحجرة وقفوا فى الردهة وهم سكوت ، وتردد من رع لحظة ثم التفت الى مولاه وقال

— مولاى ليس لى سلاح اقاتل به . . فأعرنى خنجرا . .

ونظر اليه فرعون دون ان يبدى حراكا . .

وضاق صدر الامير رعخعوف ، فاستل خنجره واعطاه الكاهن بعنف ، فاخذه الرجل بيد مرتجفة وأخفاه فى عباءته ودخل الحجرة لا تكاد تحمله قدماه . .

وانتبهت اليه كاتا . . فابتسمت ابتسامة امتنان وشكران ، واعتقدت ان سيدها جاءها يباركها فكشفت عن وجه الطفل البرىء وقالت له بصوت ضعيف

— اشكر الرب بقلبك الصغير ، الذى عوضك عن موت ابيك حنانا مقدسا . .

فجفل الكاهن مذعورا ، وخذلته نفسه فانقلب مدحورا ، وفاضت عواطف قلبه فجرف سيلها

زيد الاثم . . ولـكن أين المفر ؟ وكيف الخلاص أن فرعون واقف بالباب ، وليس لديه مهلة للتفكير والروية ، واشتدت به الحيرة حتى أذهلته عن وعية ، فزأر زئيرا مخيفا ، ونفس عن صدره بتنهـــده عميقة واستل الخنجر يائسا قنوطا وطعن به نفسه، فاستقر فى قلبه ، وانتفض جسمه انتفـــاضة هائلة وسقط على أرض الحجرة جثة هامدة . .

ودخل الملك الحجرة غاضبا وتبعه رجاله وجعلوا ينظرون الى جثـة الـكاهن والنفساء المرتعبة بعيون من زجاج . . الا الامير رعخعوف فلم يلهه شيء عن هدفه واشفق من ضياع الفرصة السانحة فاستل سيفه من غمده ورفعه بقوة فى الهواء وهوى به على الطفـل . . الا أن الام أدركت بغريزتهـا غرضه . . فالقت بسرعة البرق نفسها على طفلها . . ولـكنها لم تمنع القضاء فطـاح السيـف رأسها ورأس الطفل بضربة جبارة واحدة . .

ونظر الاب الى ابنه ونظر الابن الى أبيه وغلبهم وجوم شديد ، لم ينقذهم منه الا الوزير خوميني اذ قال

— فليتفضل مولاى بمغادرة هذا المـكان الدامى . .

وخرجوا جميعا وهم سكوت

واقترح الوزير على مولاه أن يشدوا الرحال الى منف ليبلغوها قبل جثوم الليل ولـكن الملك قال

— انى لا أفر كالمجرمين ، ولـكن سادعو كهنة رع . واقص عليهم قصة الاقـدار التى ختمت بفاجعة رئيسهم البائس ولن أعود قبل ذلك الى منف

(٦)

سارت العربة على خطى الثورين البطيئة تقودها زايا ، فقطعت طريق أون فى ساعة من الزمان ، ثم اجتازت باب المدينة الشرقى وانحرفت الى الطريق الصحراوى الذى يؤدى الى قرية سنكا حيث يقيم اصهار سيدها الـكاهن

وما كانت زايا تستطيع أن تنسى تلك الساعة الرهيبة التى أحاط بها الجند فيها يسألونها ويعمنون

النظر فى وجهها ، ولـكنها تشعر ـ نخورة ـ بأنها حافظت على رباطه جأشها رغم هول الموقف وانها أقنعتهم بشباتها فتركوها تسير بسلام ، وآه لو انهم علموا بما تحمل عربتها !

وانها لتذكر انهم جنود أشداء ولن تنسى ما حيت عظمة ذلك الرجـــل الذى يتقدمهم ، ولا هيبته ولاجلاله حتى لـكأنه تمثال آله . دبت فيه حياة انسانية

ولـكن ياللعجب ، لقد أتى ذلك الرجل الجليل لقتال طفل لم ير نور الدنيا الا هذا الصباح !

وهنالك نظرت الى الوراء لترى سيدتها ولـكنها وجـــدتها كما أنامها سيدها الـكاهن تحت الصوان . . يا لها من امرأة بائسة لم يدر بخلد انسان أن تنام هذه النومة الشنعاء وهى نفساء ! . وما كان زوجها العظيم يحلم بتلك المتاعب التى ساقها الاقدار بين يدى طفله ولو تكشف له الغيب ما تمنى الابوة وما تزج من السيدة رده ديديت التى تصغره بعشرين عاما !

ولـكنها أحست بحسرة وحزن وتنهـدت قائلة « ليت الرب يهبنى غلاما ولو يحمل الى مولده بؤس الدنيا جميعا !

كانت زايا زوجا عاقرا تذهب نفسها حسرات على طفل تتمناه على الآلهة كما يتمنى الاعمى رؤية النور ، وكم استشارت من أطباء وكم سألت من ساحرين وكم لجأت الى الحشائش والعقاقير دون جدوى أو أمل ، وكانت الى ذلك تشفق من يأس زوجها كاردا الذى يحزنه أشد الحزن أن يرى العمر يتقدم به عاما بعد عام دون أن يوهب غلاما يحبو فى داره ويدفىء صدره بالأمل والخلود ، وقد ودعها آخر مرة وهو يشد الرحال الى منف حيث يشتغل فى بناء الاهرام — وهو ينـذرها بالزواج مرة أخرى اذا هى لم تلد ، وانقضى على سفره شهر وشهران وعشرة أشهر وهى تراقب نفسها وتتحسس ايات الحمل ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم دون جدوى وبلا أدنى أمل ، رباه ! لماذا تحرمها الآلهة من الامومة؟ وما حكمة خلقها امرأة اذا ؟ اذ ما امرأة بلا أمومة ؟ ان امرأة بلا أمومة كخمر بلا نشوة . أو وردة بلا رائحة أو عبادة بلا ايمان . فوا يأساه . !

وعنـد ذاك سمعت صوتا ضعيفا ينادى « زايا » فاسرعت الى الصوان ورفعته ووضعته جانبا . ورأت سيدتها والطفل فى حضنها نائما ، وكانت متعبة مجهدة والاصفرار يعلو وجهها الاسمر الجميـل فسألتها « كيف حالك ياسيدتى ؟ » فاجابتها بصوتها الضعيف

— بخير بفضل الارباب .. أما من خطر يتهددنا الآن يا زايا ؟ فقالت الخادمة

— اطمأنى يا مولاتى لقد بعد الخطر عنك وعن مولاى الصغير

فتنهدت المرأة تنهدا عميقا وسألتها

— هل يبقى أمامنا سفر طويل ؟

فقالت زايا برقة

— يبقى أمامنا مسير ساعة على أقل تقدير .. والاولى لك ياسيدتى أن تنامى فى حمى الرب رع .

فتنهدت المرأة والتفتت الى الطفل النائم وقد اكتسى وجهها الشاحب الفتان بالمحبة والحنان ، ثم اغمضت عينيها طلبا للنوم : . ومضت زايا تنظر اليها والى الطفل ، تنظر الى صورة الامومة الحلوة السعيدة رغم الآلام والمخاوف . . ماأجمل منظرها ! الا ليتها تذوق الامومة ولو مرة واحدة ! مرة واحدة ولو تدفع حياتها ثمنا لها !

رباه ! لا الرب يرحم ولا الطب ينفع ولا كاردا يعذر . . ولعله لايفوت وقت طويل قبل أن تضحى مطلقه شريدة تعانى الآم الوحدة وعذاب العزوبة !

وحولت زايا نظرها عن الام السعيده الى الثورين وتنهدت قائلة (لو كان لى مثل هذا الطفل لو آخذ هذا الطفل واصطنعه ابنا بعد أن ابت على الآلهة ابنا طبيعيا !

ولم تكن تضمر بقولها سوءا ولكنها تمنت ! والنفس تتمنى المستحيل ، وتتمنى ماتمتنع عن فعله خوفا أو رهبة أو اشفاقا

وقد تمنت زايا ، وحلقت فى سماوات السعادة بجناحى الاحلام ، ورأت نفسها تسير بهذا الطفل الجميل الى كاردا وتقول له (انظر لقد ولدت لك هذا الطفل الجميل) ورأت زوجها يتهلل ويطير من الفرح ويقبل عليها وعلى ددف الصغير يحتضنهما ويقبلهما معا ! وانتشت بنشوة السعادة الخيالية فتمددت على جنبها الايمن وأمسكت زمام الثورين بيد ووضعت رأسها على الاخرى ، واسترسلت فى عالم الاحلام ، وجرت — فى غفلة منها — أنامل النوم على عينيها بخفة ورشاقة فحجبت عنهما نور اليقظة كما أخذ أفق الغرب يحجب نور الشمس عن الدنيا . .

ولما عادت زايا الى عالم الشعور ظنت انها نائمة على سريرها بقصر سيدها كاهن رع تستقبل

الصباح ، ومدت يدها لتسحب اللحاف عليها لأنها احست بتيار هواء بارد فانغرست يدها فيما يشبه الرمل ، ففتحت عينيها دهشة فرأت كونا مظلما وسماء مزدانة بالنجوم . . وأحست بجسمها يهتز اهتزازا غريبا . . فتذكرت . . تذكرت العربة والسيدة رده ديديت وطفلها الصغير الهارب وجميع الذكريات التى انتزعها منها سلطان النوم القاهر . .

ولكن أين هن ؟ وفى أى ساعا من الليل ؟

ونظرت فيما حولها فرأت فضاء مظلما محيطا يطبق عليها من ثلاث نواح وتراآى فى الناحية الرابعة نور خافت عن بعد سحيق لم تشك فى أنه يشع من القرى المنثورة على شاطىء النيل . . وسوى ذلك فليس بالمكان الذى ضل فيه الثوران مايدل على حياة . .

وتسربت وحشة السكون الى نفسها ونفذت ظلمته الى قلبها ، فانكمشت مرتجفة مذعورة واصطكت اسنانها من الخوف وجعلت تنظر إلى الظلام بعينين تتوقعان المخاوف فتخلقها خلقا مزعجا وقد خيل اليها أنها ترى فى أفق الظلام أشباح قافلة من البدو ، وكانت تذكر أشتاتا مما يرون عن قبائل سيناء وسطوهم على القرى وخطفهم للتائهين والضالين وقطعهم الطريق على القوافل ، وكانت لا تشك فى أن العربة التى تقودها على غير هدى تعد غنيمة ثمينة بما فيها من حنطة وبالثورين اللذين تشد اليهما وبالمرأتين اللتين يحق لعاب رئيس القبيلة أن يسيل عليها . . فاشتد بها الخوف وجن جنونها فقفزت على رمل الصحراء ، واتجه نظرها الى المرأة النائمة وطفلها وكانت ترى وجهيهما على ضوء النجوم الخافت ، فمدت يديها بلا وعى ولا تدبر الى الطفل ورفعته بخفة ، وأحكمت لف القماط حوله وأطلقت ساقيها للريح صوب أنوار المدينة ، وخيل اليها وهى تعدو أنها سمعت صوتا ينادى عليها بفزع فظنت أن البدو أحاطوا بسيدتها فازداد بها الرعب وضاعفت سرعة عدوها ؛ لا يعوقها الرمل المكدس ولا الحمل العزيز ولا التعب الشديد ، فكانت كالمتردى فى هاوية يهوى بحكم ثقله دون أن يستطيع لنفسه امساكا ولعلها لم تكن قد توغلت فى الصحراء توغلا بعيدا أو لعلها قطعت بعدوها شوطا يجاوز تقدير المقدرين وتصور المتصورين لأنها أحست تحت قدميها بارض ممهدة كارض الطريق الصحراوى ، ونظرت خلفها فلم تر الا ظلاما وكانت عند ذاك قد استهلكت قوتها الجنونية فهدت من سرعتها ، وثقلت خطاها ، ثم ارتمت على ركبتيها وهى تلهث بعنف وشدة مخيفين ، وكانت

ما تزال مذعورة مجنونه ولـكنها لم تستطع حراكا مثلها مثل فريسة الـكابوس الذى تطارده الاخطار ولا تطيعه قدماه ، فجعلت تتلفت يمنة ويسرة لا تدرى عن أى طريق يأتى الفرج ولا فى أى ناحيـة يجثم الهلاك .

وخيل اليها انها تسمع وقع عجلات وصهيل خيـل ! ترى هى عجلات عربات وخيل فرسان أم نبض الدم باذنيها ورأسها ؟ ولـكن الاصوات وضحت فتأكدت وبدت فى الظلمـة أشباح الراكبين العادين الآتين من الشمال ، ولم تدر ان كانوا يحملون لها سلاما أم هلاكا ولم تستطع اختفاء لان ددف علا صوته بالصراخ والعويل ولم تكن تأمن فى ركعتها وسط الطريق ان تلتهمها عجلات العربات المندفعة فرفعت عقيرتها صائحة

« أيها الراكبون » واندفعت تكررها بصوت المستغيث وقـد أسلمت نفسها للمقادير ، وأتى الركب سريعا ووقف على بعد منها قريب وسمعت صوتا يسأل عن الصارخ خيل اليها انه ليس غريبا عنها فشدت يديها على الطفل وتنبه بها الحذر فقالت بلهجة ريفية قحة غيرت بها نبرات صوتها

— أنا امرأة هالـكى ، قصر بى الجهد عن متابعة الطريق وغشينى الظلام وهذا طفلى يكاد يقتله هواء الليل الرطيب

فسألها صاحب الصوت الاول

— والى أين تقصدين ؟

فقالت زايا وقد بدأت تطمئن الى انها فى حضرة جنود مصريين

— اقصد يا سيدى الى منف .

فضحك الرجل وقال متعجبا

— الى منف يا سيدة ؟ ! ألا تعلمين أن الراكب يقطع هذا الطريق فى ساعتين ؟

فقالت زايا بذلة وبؤس

— انى أسير ياسيدى منذ العصر ، وقد اضطرتنى أسباب انقطاع الزاد الى الهجرة فتوهمت انى استطيع أن أبلغ منف قبل جثوم الليل . .

— ومن لك فى منف ؟

— زوجي كاردا الذى يشتغل فى بناء هرم مولانا فرعون . .

ومال الرجل الى رجل فى العربة التى الى يساره وأسر اليه بكلمات فقال الرجل

ـ الاوفق أن يعود بها جندى الى بلدتها

فقال الأول

—كلا ياخوميني فلن تلقى فى بلدتها الا الجوع والمهانة فلنحملها معنا الى منف .

وصدع خوميني بأمر مولاه فترجل عن عربته وذهب الى السيدة وعاونها على القيام وسار بها الى أقرب عربة وأركبها وطفلها ووصى عليهما جندى العربة

أما فرعون فقد التفت الى المعمار ميرابو وقال له

— لقد شق على قلبك الرقيق ياميرابو أن ترى طفلا بريئا وأمه يذبحان ذبحا بلا ذنب ولاجريرة فاياك أن تتهم مولاك بالقسوة . . انظر الى كيف ارضى أن أحمل امرأة جائعة وطفلها الرضيع لاقيهما شر البرد والجوع وابلغ بهما بلدا ما كانا بالغيه ولو بشق الانفس ، ففرعون رحيم بعباده ، ولم أك أقل رحمة حين خرجت للقضاء على ذاك الطفل السيء الحظ ، ذلك أن فعال الملوك كفعال الآلهة قد تلبس رداء الوحشية ولـكنها فى جوهرها حكمة سامية

وقال الامير رعخعوف

— الاولى لك أيها المعمار ميرابو أن تعجب بقوة الارادة الهائلة التى هزمت الاقـدار وقضت على قضاء القضاء

وعاد خوميني إلى العربه وأمر الملك قائد عربته بالمسير فانطلق الركب صوب منف يشق أمواج الظلماء . .

(٧)

وصلت زايا الى منف قبيل منتصف الليل بزمن قليل ، مع الركب الفرعوني ، وقد نفحها الملك بقطعتين من الذهب فسجدت بين يديه شاكرة ممتنة وقد اعتقدت أنه قائد من القوادالعظام ، وودعته فى ظلمة الليل دون أن ترى وجهه أو يرى وجهها

وكانت زايا فى حالة بائسة من الخور الجسمانى والفزع النفسى فتاقت نفسها الى حجرة تخلو فيها لى نفسها ، واستدلت بشرطى على فندق متواضع تبيت فيه بقية ليلها ، ولما وجدت نفسها والطفل ولا ثالث لهما تنهدت تنهدة عميقة وارتمت على السرير . .

وكأنها اطلقت — باستلقائها — العنان لالم جسمها ومخاوف قلبها ولكن مخاوف القلب طغت على آلام الجسم واستبدت بشعورها ، كانت ذاهبة الفؤاد مذعورة النفس لاتبرح مخيلتها صورة سيدتها النفساء التى خطفت طفلها وتركتها على عربة ضالة وسط الصحراء تغشاها الظلمات وتحيط بها الوحشة ويطبق عليها رجال سلب ونهب لاتعرف قلوبهم الرحمة ولا الشفقة ولعلها الآن أسيرة بين أيديهم يسومونها سوء العذاب ويفرضون عليها الرق والعبودية وهى تبث الآلهة شجوها وذلها وتشكو اليها مالاقت من غدر ويأس وماتلقى من عذاب . .

وازدادت زايا عذابا وخوفا ومضت تتقلب على فراشها ذات اليمين وذات الشمال ، وأشباح فعلتها التكراء تطاردها مطاردة عنيفة وتنهال عليها بالوخذ والالم والرعب ، واستصرخت النوم العزيز لينقذها من ويل ليلتها الوبيل ولكنها تقلبت كثيرا وسهدت طويلا وذاقت مر العذاب والخوف قبل أن يرفق النوم بجفنيها وينتزعها من الجحيم الذى اصلاها نار العذاب فنامت متعبة منهوكة القوى مقلقلة النفس

واستيقظت على عويل الطفل ، وكانت أشعة الشمس تنفذ من كوة الحجرة وتفرش أرضها بساطا من الانوار ، فحنت على الطفل وهزته بلطف وقبلت فمه بحنان ، وكان النوم قد شفى اسقامها وطأن نفسها وان لم يخل قلبها من قلق ونفسها من عذاب ولكن الطفل استطاع أن يحول شعورها اليه فانقذها من عذاب الليل وويله ، وحاولت ملاطفته ولكنه زاد فى العويل وواجهت بغتة مشكلة تغذيته وتحيرت من أمرها ، ولكنها فطنت الى الحل الواحد فقامت الى باب حجرتها وصفقت بيديها فجاءتها امرأة عجوز تسألها عما تريد فطلبت منها نصف رطل من لبن الماعز

وحملت ددف بين ذراعيها وذرعت به الحجرة ذهابا وجيئة ووضعت حلمة ثديها فى فمه تلهيه وتصبره ثم نظرت الى وجهه الجميل وصاحت بنشوة فرح مفاجىء كأنه تسلل الى قلبها خلسة فى غفلة عن الهجوم « تبسم يا ددف . . تبسم وقر عينا فسترى والدك بعد حين قليل »

وسرعان ما تنهدت وقالت لنفسها بخوف « ترى هل أفوز به رغم كل شيء ؟ »

لقد انتهى أمر أمه الحقيقية وكذا أبيه . !

أما أمه فقد أخذها البدو اسيرة وما كانت تستطيع هى — أى زايا — أن تفعل شيئا لانقاذها ولو ترددت لحظة أخرى عن الهرب لوقعت معها غنيمة باردة فى أيدى البدو المعتدين فلا يجوز أن تحمل نفسها وزر جريمة لم ترتكبها ولم تعن على ارتكابها

واما أبوه فلا شك أن قتله جنود فرعون انتقاما منه لتهريبه زوجة وطفله

وارتاحت الى تفكيرها هـذا فعاودته مرة أخرى لترضى نفسها وضميرها وتقضى على أشباح الخوف ونحس الآلام فرجعت تحدث نفسها بأنها أحسنت صنعا بالهروب وخطف الطفل ولو انها لبثت الى جانب سيدتها ما استطاعت أن تدفع عنها شر العدا ولهلكت معها ، وما كان فى مقدورها أن تحملها وتدب بها ، ولم يكن من الرحمة أن تترك الطفل بين احضانها حتى يقتله رجال سيناء فقد أحسنت صنعا بالهرب وأحسنت صنعا بخطف ددف ولا خوف عليها ولا ينبغى أن تحزن !

ما أعذب هذا التفكير ، بل ما أجمل أن ينتهى بها الى أنها أم ددف دون شريك !

هى أمه دون شريك وكاردا أبوه وكأنها أرادت أن تطمئن الى هذه الحقيقة فجعلت تناديه نداء منغوما قائلة « ددف رع بن كاردا . . ددف رع بن زايا . .

وجاءت العجوز بلبن الماعز وبدأت الأم الصناعية ترضع الطفل رضاعا صناعيا .. حتى ظنت أنه شبع ولم يبق أمامها الا أن تتأهب للخروج الى كاردا . . فاستحمت ومشطت شعرها ووضعت خمارها على منكبيها وحملت ددف بين يديها وغادرت الفندق . .

وكانت شوارع منف مزدحمة كعادتها بالمارين ، راجلين وراكبين ، ذكورا وأناثا ، من وطنيين ومستوطنين وأجانب ، ولم تكن زايا تعرف الطريق الى الهضبة المقدسة فسألت شرطيا وأجابها بان الهضبة « جنوب شرقى سور منف يقطعها الراجل فى ساعتين أو يزيد والراكب فى نصف ساعة »

وكانت يداها مملوئتين بالقطع الفضية فاكترت عربة ذات جوادين وجلست باطمئنان وسعادة

وسرعان ما انتزعتها أحلامها من الدنيا وحلقت بها فى سماء السعادة والغبطة ، فسبق خيالهـا العربة الى كاردا زوجها الحبيب ، المفتول الذراعين ، الاسمر الوجه ، فما أجله فى وزرته القصيرة التى

تكشف عن ساقية الحديدتين وما أحب وجهه المستطيل بجبهته الضيقة وانفه الكبير وعينيه الواسعتين وصوته الخشن العريض ذى اللهجة الطيبة القحة وكم ذا تشتاق الى ضم ساعديه وتقبيل فمه وسماع صوته

وكان فى أمثال هذه المقابلات التى يسبقها غياب طويل يقبل عليها بشوق ويقول لها مـداعبا « تعالى يا أمرأة . . كأنى بك أرض صخرية تشرب الماء ولاتنبت شيئا » أما هذه المرة فلن يقولها وكيف يقولها وهى تلقاه وعلى يديها أجمل من حملت الامهات ؟ ! ولاريب أنه سينظر اليها كالذاهل فتلين عضلات وجهه الصلبة وتمتلىء عيناه البراقتان بنظره حنان تذوب رقة وعطفا ويهتف بها وهو لايتمالك نفسه من الفرح (وأخيرا ولدت يازايا ! أحقا هذا طفلى ؟ تعالى الى . . تعالى الى . .)فتقول له وهى ترفع رأسها بكبرياء وانفه (خذ طفلك يا كاردا وقبل قدمه الصغير . . واسجد شكرا للرب رع . . أنه ذكر وقد سميته ددف)

واقسمت لتحملن زوجها على العودة إلى طيبة مسقط رأسه ، لأن قلبها بات يوجس خيفة — لاتدرى ما كنهها — من الشمال وأهله ، وفى طيبة الجميلة وتحت رعاية الرب آمون تربى ابنها وتحب زوجها وتعيش الحياة التى حرمتها دهرا طويلا . .

وأيقظتها من أحلامها جلبة أصوات وضجيج حياة فنظرت الى الطريق ورأت العربة تصعد طريقا ضيقا ملتويا والرجل يلهب الخيل بسوطه ، ولم تستطع فى جلستها أن ترى ماعلى سطح الهضبة ولكن طرقت أذنيها أصوات احياء ودوى آلات وأناشيد العمال ، وعرفت من بينها نشيدا كان كاردا يترنم به فى أوقات الصفاء وهو

نحن رجال الجنوب نأتى مع مياه النيل
من تلك الارض التى اختارتها الآلهة سكنا والفراعين
نسوق بين أيدينا الخصب العميم والعمران
انظر الى المدن العامرة والمعابد ذات العمدان
كانت — قبلنا — خرائب تأويها الاوابد والغربان
ان الصخر لنا يلين ويذعن و كذا الماء الجبار
سل عن بأسنا قبائل النوبة وطور سيناء
سل عن جهادنا زوجات ينتظرون فى وحدة وعفاف .

وسمعت المنشين يرددونها بقوة وحنان معا ، فهفت نفسها اليهم كما يهفو الحمام الى صفير صاحبه وانشد قلبها مع المنشدين .

وبلغت العربة سطح الهضبة بعد أن اجتازت الطريق المسمى وادى الموت ، ونزلت منها زايا وسارت صوب الخلق المحشود المنتشر على رقعة الهضبة كأنه جيش عارم فى ميدان، ومرت فى طريقها بمعبد أوزوريس وتمثال ابى الهول ومصاطب الآباء والاجداد الذين أهلتهم أعمالهم في الدنيا للرقاد فى بطن تلك الارض الطاهرة ، وشاهدت النهر الطويل الذى شقه العمال ليصل الهضبة بالنيل وكانت تجتازه المراكب الضخمة تباعا محملة بالصخور الجبارة حيث ينتظرها عند المراسى جماهير العمال بالعربات الزاحفة ، ورأت عن بعد أساس الهرم الذى لا يحيط بحدوده بصر والعمال على سطحه كالنجوم المنتثره فى رقعة السماء . وكانت تختلط أصوات الاناشيد بصياح الرؤساء وأوامر الحراس وطقطقة الآلات فوقفت زايا حيرى وطفلها على يديها تتلفت يمنة ويسرة لا تدرى أين المستقر ، وترى عبث النداء فى ذاك المحيط اللجى ، وقد تعبت عيناها قلقا وترددا بين الوجوه .

ومر بها أحد الحراس فاستغرب وقفتها ودنا منها وسألها بصوت أجش

— ماذا جئت تفعلين هنا يا سيدة ؟

فقالت له بسذاجة

— ابحث ياسيدى عن زوجى كاردا

فسألها الجندى وهو يقطب جبينه متذكرا

— كاردا ؟ هل هو معمار أم حارس ؟

فقالت فى استحياء

— هو عامل يا سيدى .

فضحك الرجل ساخرا وقال لها وهو يشير الى بناية على بعد قريب

— اسألى عنه فى مكتب المفتش

فسارت زايا الى هدفها وكانت البناية متوسطة الحجم جميلة المشهد ويقف على بابها حارس من الجند وقد اعترض طريق زايا ولكنها أخبرته بما جاءت من أجله فاوسع لها ، فدخلت حجرة واسعة

تصطف فى جوانبها المكاتب ويجلس خلفها الموظفون ، وكانت جدرانها ملأى بالرفوف المكدسة باوراق البردى ، وفى اتجاه الداخل يرى باب موارب ، دلها الجندى عليه بعصاه فاجتازته الى حجرة اصغر حجما وأجمل منظرا وأثمن أثاثا ، وكان يجلس فى ركن منها — خلف مكتب فخم — رجل ربعة القوام بدين الجسم يميزه رأس كبير وانف ضخم قصير فى وجه ممتلىء عظيم الشدقين منتفخ الخدين كقربتين صغيرتين ، وكانت عيناه جاحظتين وجفناه ثقيلين ، وقد جلس جلسة كبرياء وعظمة وانكب على ما بين يديه فى تيه وسلطان

وقد أحس بالداخل ولكنه لم يرفع عينيه ولم يبد عليه اهتمام حتى فرغ مما بين يديه فنظر الى زايا نظرة شوس وتيه وسألها بصوت تياه نخور

—ماذا تريدين يا امرأة ؟

فاستولى الارتباك والخوف على زايا وقالت بصوت مضطرب ضعيف

— جئت أبحث عن زوجى ياسيدى

فسألها بنفس اللهجة

— ومن زوجك ؟

— عامل يا سيدى

فضرب المكتب بقبضة يده وقال بلهجة حادة وبصوت كأنه يرن فى قبو

— وما الداعى الى تعطيله عن عمله واقلاقنا ؟

فذعرت زايا وتفرق منطقها شعاعا ولم تحر جوابا . فادام اليها النظر وشاهد وجهها الخمرى المستدير وعينيها العسليتين الساخنتين وشبابها الغض فعز عليه أن يجثم الخوف على مثل ذاك الوجه الصبوح ، ولم يكن له من السلطان الا ظاهر وزهو أما قلبه فطيب وأما عواطفه فرقيقة ، فعطف على المرأة وقال بصوته الاجوف ولكن بلهجة رقيقة ما استطاع

— لماذا تبحثين عن زوجك ياسيدة ؟

فتنهدت زايا ارتياحا وزال عنها الرعب وقالت بامتنان

— انى آتية من أون بعد أن ضاقت بى سبل العيش وأرجو يا سيدى أن يعلم بوجودى

فنظر المفتش الى الطفل الذى تحمله على ذراعيها وقال كالمرتاب

— امن أجل هذا جئت حقا . . أم جئت تبشرينه بهذا المولود ؟

فتورد خدا زايا وعلا الحياء وجهها ، ونظر اليها الرجل هنية ملذوذا ثم سألها

— حسن . . من أى بلد زوجك ؟

— من أون يا سيدى ومسقط رأسه طيبة

— وما اسمه يا سيدة ؟ »

— كاردابن عن يامولاى

فنادى المفتش كاتبا وقال له بلهجة الامر والخيلاء التى تنازل عنها من أجل عينى زايا

— كاردا بن عن من أون

فذهب الكاتب وبحث بين الدفاتر واستخرج واحدا منها وقلب فى أوراقه باحثا عن حرف الكاف وعن اسم كاردا ثم عاد الى رئيسه ومال على أذنه وهمس بصوت خافت ورجع الى عمله .

واجد المفتش فى مظهره ونظر الى وجه المرأة طويلا ثم قال بصوت هادىء خافت

— آسف ياسيدتى ان انعى اليك زوجك . فقد مات فى ميدان العمل والواجب !

وصكت كلمة الموت أذنى المرأة ففرت من صدرها صرخة رعب وفزع . ولبثت لحظة كالذاهلة ثم سألت المفتش بتوسل اليم

— أحقا مات زوجى كاردا بن عن ؟

فاجابها بوجوم

— نعم ياسيدتى . . استوصى بالصبر

— ولكن .. كيف عرفت ذلك ياسيدى ؟

— هذا ماأنبأنى به الكاتب بعد أن فحص أسماء عمال أون

— ومن ادراك ياسيدى فقد يخدع البصر وتتشابه الاسماء

وطلب المفتش الدفتر الى مكتبه ونظر فيه بنفسه ثم هز رأسه أسفا ونظر الى وجه المرأة الذى لون الرعب صفحته بصفرة الموت ، ورسم الامل فى عينيه نظره تضرع وتوسل ورجاء وقال

— استوصى بالصبر ياسيدتى واذعنى لارادة الالهة

فانطفأ نور الامل الخافت واجهشت زايا فى البكاء فطلب المفتش لها كرسيا ومضى يقول لها

— تشجعى ياسيدة .. تشجعى .. هذه إرادة الالهة

ولـكن زايا كان يلوح لها الامل كما يلوح السراب للظمآن فى المفاوز فسألته

— الا يجوز ياسيدى أن يكون الميت واحدا غريبا يحمل اسم زوجى ؟

فقال لها المفتش بلهجة اليقين

— كاردا بن عن هو العامل الوحيد الذى استشهد من عمال أون

فصاحت المرأة بذل وألم

— يالسوء حظى ياسيدى .. الم تجد الاقدار هدفا لسهمها غير صدرى الضعيف؟

— هدئى روعك ..

— ليس لى رجل سواه ياسيدى

وكأن المفتش الطيب القلب أراد أن يطمئنها فقال لها

— أن فرعون لاينسى عباده المخلصين ، وتسع رحمته الضحايا والمستشهدين جميعا . . أصغ الى لقد أمر مولانا الملك ببناء بيوت لاسر العمال الذين قضوا فى أثناء العمل وقد شيـدت البيوت عنـد سفح الهضبة وأوى اليها العشرات من النساء والاطفال ، وقد اجرى عليهم الملك اعانات شهرية كما اقتضت ارادته اختيار الرجال من ذوى قرباهم للمعاونة فى الحراسة . . فهل لك قريب تريدين تعيينه مراقبا للعمال ؟

فقالت زايا وهى تنتحب

— ليس لى فى هذه الدنيا غير هذا الطفل

فقال الرجل

— ستأويان الى حجرة نظيفة ولن تعرفا ذل السؤال

وهكذا غادرت زايا مكتب مفتش الهرم أرمـلة بائسة تندب زوجهـا السىء الحظ وطالعها المنـكود .

(٨)

وكانت البيوت التى أمر فرعون باقامتها لاسر العمال المستشهدين تقع خارج أسوار منف البيضاء شرقى الهضبة المقدسة ، وكانت بيوتا متوسطة الحجم يتكون كل منها من طابقين وكل طابق من أربع حجرات متسعة ، وقد أقامت زايا فى حجرة هى وطفلها والفت نفسها تعيش بين أولئك الخلق من الارامل والثكليات والاطفال ، منهن من لاتفتأ تندب قتيلها ومنهن من اندمل جرحها وعفا الزمان على احزانها ، وكانوا جماعة ذوى همة ونشاط ، فاشتغل الصبيان بتوزيع الماء على العمال ، واتجرت النسوة بالاطعمة والجعة وتحول الحى البائس الى سوق ناشئة رخيصة دبت بها حركة العمران والعمل وبشرت بان تكون جنين قرية نافعة . .

وقد امضت زايا أيامها الأولى بسكنها الجديد فى حزن متصل وبكاء اليم على الزوج الفقيد ، وعذبها الحزن عذابا لم يخفف بلواه عنها ماتلقى من توفر الرزق وماتنعم به من عطف بشارو مفتش الهرم العام ولكن وأسفاه . . فلو ذكر المصابون فى قلوبهم أن الموت فناء يطمس الذكرى ويذهب الاحزان فى قلب الحى بنفس السرعة التى يفنى بها وجود الميت لوفروا على انفسهم جهدا ضائعا وعذابا مريرا ، فقد تعزت وانسيها متاعب الحياة مرارة الموت لانها احست بتأفف فى مقامها الجديد وضاقت به ولما تمضى به سوى شهور قلائل واقتنعت بأنه ليس المكان اللائق بها ولا بابنها ولكنها لم ترى عن الصبر محيدا فسكتت على الحزن والضيق .

وفى أثناء تلك الشهور زارها المفتش بشارو عدة مرات ، لأنه كان يجيئها كلما ذهب للتفتيش على المساكن وتفقد أحوالها ، حقيقة أنه كان يزور كثيرات من الارامل ولكن زيارته لزايا امتازت برحمة ومودة ، ومامن شك فى أن الاخريات لم يكن أقل بؤسا من زايا ومنهن من يفقنها شقاء ولكن لم يكن لواحدة منهن عينان عسليتان ساخنتان كعينى زايا ، ولاجسم ممشوق لدن كجسمها ، وقالت زايا لنفسها وهى مستغرقة فى لجج التأمل والتفكير ماطيبه من رجل ، انه بدين قصير . غليظ القسمات ، فى الاربعين من عمره أو يزيد ، ولكنه طيب القلب عظيم المودة . . ! وكانت تلحظ بعين نافذة خفية أنه اذا وقع بصره على جسمها اللدن اضطرب جفناه الثقيلان وانفرجت شفتاه

الغليظتان وحل الهوان فى طلعته محل الخيلاء والكبرياء فتعاطيه تثنيا رقيقا يسمره فى مكانه ثوان كأنه خنزير محاصر ، وتولدت المطامع فى قلب زايا فسلت سلاحها للاستيلاء على المفتش العظيم ، وقد انتهزت مرة فرصة حضوره فشكت اليه سوء ماتلقى من الوحشة والكآبة فى مقامها البائس وقالت له

— لعلى أكون ذا نفع ياسيدى فى غير هذا المكان ، فانى خدمت طويلا فى قصر احد ثراة أون ولى خبرة عظيمة بأعمال الوصيفات . .

فارتج جفنا الرجل الغليظين ونظر الى الارملة الحسناء بعين طامعة وقال

— فهمت يازايا فليس ماتشكين هو العطلة أو الخمول ولكن نفسك الفت نعيم القصور فلا يتأتى لها الصبر على مثل هذه الحياة البائسة . .

فابتسمت الماكرة فى رقة ودلال وكشفت عن وجه ددف الجميل وقالت

— هل يليق هذا المكان بمثل هذا الوجه الحسن ؟

فقال المفتش

— كلا . . ولا بك يا زايا

فاحمر وجهها وأسبلت جفنيها حتى مست أهدابها نقرتى خديها ، فقال الرجل

— ان لى ذلك القصر الذى تريدين ولعله يريدك أيضا .

— انى رهينة اشارة مولاى .

-- لقد ماتت زوجتى تاركة لى ابنين ، وعندى من الجوارى أربع فهل تكونين الخامسة يا زايا ؟

ومنذ ذلك اليوم انتقلت زايا وطفلها ددف من حى البائسات إلى حريم مفتش الهرم بشارو بقصره الجميل الذى تمتد حديقته حتى تبلغ مجرى النيل المقدس ، وانتقلت الين كجارية ذات حظوة ليست لغيرها . ووجدت الجو خاليا لمكرها وسحرها لأن القصر كان بدون ربة مسيطرة ولان ابنى المفتش كانا حبيبين صغيرين فعملت على أسر لب سيدها ونجحت فى مسعاها حتى حملته على الزواج منها ، وسرعان ما صارت زوج المفتش بشارو وربة قصره والمشرفة على تنشئة ابنيه خنى ونافا ، ولم تكن زايا يخونها المكر أبدا فمنذ تسنمت مكانتها العالية اقسمت فيما بينها وبين نفسها لتحسنن معاملة الصبيين وتكونن لهما نعم الام الحنون .

وهكذا ابتسم الحظ لزايا بعد تقطيب واقبلت عليها الدنيا بعد أدبار .

(٩)

ذلك هو القصر الذى قضت الأقدار بأن يكون مرتع طفولة ددف رع

وقد تمتع الطفل بطفولة خالصة ثلاث سنوات كاملة — كما جرت العادة بمصر على أيامه — لم يفارق فيها حضن أمه الا حين النوم ، وقد ترك — فى تلك السنوات الثلاث — أثرا على صدر زايا لم يمح منه طيلة العمر ، فملأه أمومة ورضع منه حنانا ومحبة ، ولا نستطيع أن نحدث عن طفولة ددف الاولى باكثر من مس ظواهرها لانها — ككل طفولة — سر مغلق وسعادة فى قمقم لا يعرف كنهها الا الآلهة التى تحوطه بالعناية وتلهمه النجوى وقصارى ما يقال انه كان ينمو سريعا كما تنمو أشجار مصر تحت أشعة شمسها المشرقة ، وان نفسه كانت تتفتح كاشفة عن حسنها كما تتفتح الوردة اذا سرى فى عودها دفء الحياة وانبعث فيها روح الجمال وانه كان سعادة زايا ونور عينيها كما كان لعبة نافا وخنى الثمينة المفضلة ، يتخاطفانه ويقبلانه ويعلمانه الاسماء والنطق والمشى . ، وانه ختم طفولته الاولى تلك بعلم لا يستهان به فتعلم كيف يقول لزايا «أماه» ، وعلمته المرأة أن يقول لبشارو «ابتاه» وكان الرجل يتقبلها منه بحبور وكان يتفاءل بوجهه الصبوح الجميل الذى يكتسب رونقه من بهاء اللوتس ، وما زالت أمه به حتى تعلم كيف ينطق رع وكانت تطلب اليه النطق بها قبيل النوم وعقب الاستيقاظ لتستدر عطف الرب على ابنه الحبيب

وحين بلوغه الثالثة هجر حضن زايا ومضى يحبو فى حجرة أمه أو يسير متوكئا على المقاعد والدواوين ما بين البهو والحجرات ، ودلته غريزة الاستطلاع على نقوش الوسائد وزخرف المناضد ورسوم الجدران والتحف المنثورة والمصابيح المدلاة فعبثت يده بما استطاعت الوصول اليه ومد قبضته للعزيز الممتنع حتى اذا أعياه القصد صاح (رع) أو نفس عن صدره الصغير باهة عميقة واستأنف السير وأجد فى البحث والاكتشاف . . ثم أتاه المفتش بشارو بثروة عظيمة من اللعب كالحصان الخشبي والتمساح الفاغرفاه والعربة الحربية الصغيرة فكان يعيش معها فى دنيا غير الدنيا ،

دنيا يخلق فيها الحياة ويسيطر على المصائر ويقول للشيء كن فيكون ، فكان للحصان الخشبي حياته وآماله وللتمساح الفاغرفاة حياته وأطماعه بل كان للعربة نفسها حياتها ومطالبها وكان يحادثها فتحادثه ويأمرها فتطيعه وتكشف له فى كل حين من أسرار الجماد ماتخفيه عادة من الراشدين . .

وعلى ذلك العهد ولد جاموركا من أبوين عريقين من سلالة ارمنت ، وقد استقبله ددف زعِ استقبالا خفيا ، ووهبه حجره يأوى اليه ، وتوثقت عرا المودة بينهما منذ ذلك العهد المبكر ، وقد قضت محبة ددف لصديقه أن ينشأ هذا نشأته الاولى فى حضنه وأن يتبعه فى أثناء نموه كظلة ، وأن يلقن اسمه « جاموركا » بلسانه الحلو وأن يكون أول نباحه نداء عليه وأول تحريك ذيله القصير حفاوة به ولكن واسفاه لم تخل طفولة جاموركا من عذاب فكان التمساح الفاغرفاه واقفاله بالمرصاد ينغص عليه سعادته ويكدر صفوه وكان اذا رآه نبح وبرقت عيناه وتصلب جسمه وكروفر ولايهدأ حتى يخفى ددف تمساحه المخيف

وكانا لايكادان يفترقان ، فاذا آوى ددف الى سريره رقد جاموركا الى جانبه ، واذا قعد ساكنا — وقليلا مايفعل — جلس قبالته وبسط ذراعيه ، أو مضى يلعق خديه ويديه كيف شاء حنانه واقتضت مودته ، وكان يتبعه الى مماشي الحديقة ويركب معه القارب اذا حملتهما زايا اليه للتريض فى بركة القصر فكان يطلان برأسيهما من حافة القارب وينظران الى صورتيهما فى الماء أماجاموركا فلايسكت عن النباح وأما ددف فيعجب لذاك الصغير الجميل الذى يشبهه ويعيش فى باطن البركة

وكانوا إذا اتى الربيع وصدحت السماوات باناشيد الطير وانشقت أردية الشتاء الكثيفة عن نور الشمس البهيج واحتفى الكون بعيد الشباب فلبست الاشجار حللا من سندس وازينت الشجيرات بالوان الورود والرياحين وتدفق الحب فى القلوب ، كانوا يكثرون من رياضة الزورق على سطح الماء وكانوا يتركون الاطفال عرايا ألا مما يستر ، فكان خنى وناقا يقفزان الى الماء ويسبحان ويتقاذفان بالكرة ويقف ددف الى جانب جاموركا يشاهدهما بسرور وغيرة ، وربما طلب الى أمه أن يفعل مثلهما فترفعه من تحت ابطيه وتغطسه فى الماء الى الوسط فيلعب بقدميه ويصيح فرحا مسرورا

فاذا ارتوت نفوسهم لهوا ولعبا عادوا جميعا الى حجرة الحديقة الصيفية وجلست زايا على الديوان وجلس بين يديها ددف وخنى وناقا وأمامهم جاموركا باسطا ذراعيه فتقص عليهم قصة

البحار الذى تحطمت سفينته وقذفت به الامواج على لوح من الخشب الى جزيرة مهجورة ، وتروى لهم كيف ظهر له الثعبان الهائل صاحب الجزيرة و كيف كاد يفتك به لولا أن علم أنه رجل مؤمن محمود السيرة وأنه من رعايا فرعون ، فطاعته ووهبه سفينة من عنده محملة بالنفيس من الكنوز عادبها سالما آمنا الى وطنه

وما كان ددف يسمع بأذنيه ولكنه كان يرى بعينيه السوداوين الجميلتين

كان سعيدا محبوبا ، ومنذا الذى كان يستطيع الا يحب ددف ذا العينين السوداوين الدعجاوين والانف الطويل المستقيم والروح الخفيف الضاحك ؟ كان يحب اذا تكلم واذا سكت ، يحب اذا لعب واذا سكن ، يحب اذا رضى واذا غضب ، وقد تمتع بنعمة الحب واللهو فى حياة قوامها الحب واللهو والخيال ، يعيش كالخالدين دون أن يسأل عن غد .

الى أن بلغ الخامسة من عمره وبدأت الحياة تكشف له عن بعض خبيئتها

وفى ذلك الوقت بلغ خنى الحادية عشرة ونافا العاشرة واختتما تعليمهما الاولى ، واختار خنى أن يلتحق بجامعة بتاح ليرقى مدارج علمها المتتابعة ويتفقه فى الدين والاخلاق والعلوم والسياسة اذ كان الغلام ميالا للعلم شغوفا بالحكمة وكان يرغب فى شغل وظيفة دينية أو قضائية أما نافا فلم يتردد فى الالتحاق بمعهد خوفو للفنون الجميلة لانه كان يهوى الرسم والتصوير .

وجاء الدور على ددف ليلتحق بالمدرسة الاولية وليقضى عليه بهجر زايا وجامور كا وعالم الاحلام كل يوم أربع ساعات كاملة ، يصرفها مع الاطفال الأغراب فى تعلم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والهندسة والدين والاخلاق والتربية الوطنية .

وكان أول ما قيل له ولهم فى اليوم الاول « عليكم بالاصغاء التام ومن يأبى ذلك منكم فاعلموا أن أذنى الطفل فوق خديه وهو يرهف السمع كلما ضرب »

ولاول مرة فى حياة ددف اشتركت العصا فى التفاهم معه . على انه ابدى استعدادا طيبا للتعلم وأقبل بشوق عظيم على درس اللغة الهيروغليفية الجميلة وبرع فى فهم مسائل الجمع والطرح

وكان لمدرس الاخلاق أثر عظيم فى نفسه ، لانه كان ذا شخصية قوية محبوبة وكان يبتسم ابتسامة حلوة تبث فى أنفس التلاميذ المودة والاطمئنان وزاد من حب ددف له أن وجد شبها بينه

وبين أبيه بشارو فى بدانة الجسم وانتفاخ الشدقين وجهارة الصوت وغلظه فكان يصغى اليه بجامع وجدانه وهو يقول « انظروا ماذا يقول حكيمنا قاقمنا ، انه يقول — تقدست روحه فى السماوات — احذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتستوجب عقاب الرب ، ويقول إن قلة الادب بلادة ومذمة ، ويقول أيضا اذا دعيت الى وليمة وقـــدم لك من أطايب الطعام ما تشتهيه فلا تبادر الى تناوله لئلا يحسبك الناس شرها . فان جرعة ماء تروى الظمأ ، ولقمة خبز تغذى الجسم » ثم يأخذ بعد ذلك فى التفسير وضرب الامثال وقص القصص ، وكان كثيرا ما يقول لهم « يجدر بالطفل منكم الا ينسى ما تكلفته أمه من المتاعب من أجل راحته ، فقد حملته فى بطنها تسعة أشهر ، وحضنته ثلاث سنوات وغذته بلبنها . احذر أن تغضبها فالرب يستمع الى شكواها ويستجيب دعاها . »

كان ددف يصغى الى مدرسة بوعيه الـكامل ويتلذذ بأمثاله وقصصه ويتأثر بقوله غاية التأثر ، وامضى فى تعليمه الاولى سبع سنوات أتم فيها مبادىء العلوم وأتقن الـكتابة والقراءة

وفى أثناء تلك الفـترة توثقت أواصر الود بينه وبين أخيه نافا ، فـكان يجلس الى جانبه وهو يرسم أو يصوريتتبع بعينيه الفاتنتين هاتيك الخطوط التى يخلق تلاحمها أجمل الاشكال وأبدع المعانى على ان نافا كان يملك قلبه بضحكه الذى لا ينقطع وبروحه المرحة وبنكاته اللطيفة ،

وكان لخنى أثر بين فى عقله جعل علمه الناشىء يجاوز المبادىء ويتصل بالآلهيات والعلوم العالية فى تلك السن المبكرة ، وذلك ان خنى كان يعجبه خط ددف فـكان يملى عليه مذكراته ومحاضراته فاضاء عقله الصغير قبس من نور قاقمنا ووحى من كتاب الموتى ونفثات من أشعار تايا ، وكانت تنساب الى عقله فى لطف ولكن فى هالات من الغموض والابهام ايقظته من سبتاه وبثت فيه القلق والحيرة والحياة

وقد أحب خنى أيضا — رغم رزانته وتجهمه — وكان اذا شبع جريا ولعبا هو وجامور كما آوى الى حجرته ليكتب له محاضراته أو ليقلب فى الـكتب المحلاة بالصور ، فتأمل من صغره صورة فتاح رب منف وصولجانه ذى الثـلاث علامات الدالة على القوه والحياة والخـلود ، وصورة العجل ابيس المقدس الذى تحل فيه روح بتاح المعبود ، وكان يمطر خنى بالاسئلة فيجيبه الشاب عليها بصبر ويروى له الاساطير ، وما أعظم ما كانت تستولى عليه ! ، كان يجلس القرفصاء مصغيا الى

أخيه وجامور كما أمامه يوليه وجهه ، ويولى الاستاذ وأساطيره الدينية ظهره . !

وانتهت تلك المرحلة السعيدة الممتعة ، وأوفى منها ددف على الغاية وأكثر ، بل فاق عقله عمره فكان مثله مثل شجرة الورد التى تنبت الزهر الجميل ولما تعل عن الارض أشبارا .

(١٠)

واها . ان الزمان يتقدم غير ملتفت إلى الوراء وينزل — كلما تقدم — قضاءه بالخلائق وينفذ فيها مشيئته التى تهوى التغيير والتبديل لانه ملهاته الوحيدة التى يستعين بها على ملل الخلود ، فمنها ما يبلى ومنها ما يتجدد ، ومنها ما يموت ومنها ما يحيى ، ومنها ما يبتسم شبابه ومنها مايرد الى أرذل العمر ، ومنها ما يهتف للجمال والعرفان ومنها ما يتأوه لدبيب اليأس والفناء

وقد فعل الزمان فعله بأسرة بشارو

فقد بلغ الرجل الخمسين من عمره ودب الترهل فى بدانته وخط المشيب رأسه وأخذ يودع شيئا فشيئا القوة والشباب والفتوة ، وازداد جهازه العصبى حساسية فكثر صياحه وصخبه وانتهاره الحراس وزجر الكتبة ولكنه كان كالثور المصرى عظيم الخوار عديم الاذى ، لان طبيعته تمسكت بصفتين لا تتنازل عنهما ولا تخضع فيها لحكم زمان ، نخاره وطيبة قلبه ، فهو مفتش عام هرم خوفو وويل لمن يخاطبه فلا يقرن باسمه وظيفته والقابه ، وهو لا يمل الحديث عن نفسه ما استطاع الى ذلك سبيلا ولا يسره حديث كحديث الملق والاطراء

وكان اذا دعى الى المثول بين يدى فرعون بحكم وظيفته نشر الخبر فى كل مكان تصل اليه دعايته فيعلم به أهل بيته صغيرا وكبيرا وأصحابه ومرؤوسيه ولايكتفى بذلك فيقول لنافا وخنى وددف « هلموا اذيعوا النبأ الجيد بين اخوانكم ، وتنافسوا أيها الصغار لتبلغوا الذروة التى تسنمها أبوكم بالاخلاص والعمل والمواهب العالية . » ولكنه ظل كما كان الرجل الطيب الذى ينفر قلبه من الاذى ولا يجاوز غضبه طرف اللسان

وقد بلغت زايا الاربعين ولم تنل منها السنين الا قليلا فاحتفظت بمعالم جمالها وكمل نضجها ،

وصارت السيادة والكرامة من طباعها الثابتة . فمن يرها تقوم على قصر بشارو لايجر له على بال انها تلك التى كانت زوجا للعامل كاردا وخادما للسيدة رده ديديت ، بل هى نفسها أدرجت ذكريات الماضى أكفان النسيان ومنعت الذاكرة عن التسلل الى زوايا التاريخ المنطوى ، لتتمتع بسعادتها الأولى — أمومتها لددف — متعة خالصة ، والحق أن حناياها كانت تهفو اليه كأنه سكنها تسعة اشهر كما كان أعز آمالها أن تراه رجلا مجيدا سعيدا

وفى ذلك الوقت كان خنى قد قطع مرحلة طويلة فى تعليمه العالى ولم يبق أمامه سوى ثلاث سنوات للتخصص ، ولما كان الشاب بطبعه ميالا الى الدراسة والتعمق فى أسرار الكون فقداختار اللاهوت وآثر الانخراط فى سلك الكهنوت ، ولم يك الامر متوقفا على محض اختياره لان الكهنوت علم عزيز لايلج أبوابه الا من يجتاز — بعد اتمامه الدراسة العالية بما فيها التخصص — اختبارات نظرية وعملية شاقة عدة سنوات فى أحد المعابد ولكن قوبل طلب خنى بالعطف لما ابداه فى أثناء حياته الدراسية من الذكاء والفطنة والاخلاق النبيلة ، وكأنه لم يرث من والده الا صوته الاجش الاجوف وسوى ذلك فكان نحيفا دقيق القسمات هادىء الملامح تذكر صورته بصورة أمه التى اتصفت بالورع والتدين

وكان فى ذلك على النقيض من شقيقه نافا الذى ورث عن والده جسمه البدين ووجهه الممتلىء والكثير من اعماق روحه فكان طيبا مرحا وكان من حسن حظه أن خرجت قسماته أدق من قسمات والده الغليظة الثقيلة وقد حاز الشاب أعلى شهادة فى فن الرسم والتصوير واكترى — بمعونة والده — بيتا صغيرا فى شارع سنفرو — وهواهم شوارع منف التجارية — وجعله محلا لعمله ومقاما لمعرض آياته الفنية وكتب على لافتة بالخط الهيروغليفى الجميل « نافا بن بشارو أجازة معهد خوفو للفنون الجميلة » ومضى يعمل ويحلم وينتظر صابرا جمهور الطالبين والمعجبين ، ولم ينج جامور كامن فعل الزمن فنمى وضخم وقصر شعره الاسود الذى كان مسبلا وتبدت على وجهه آى القوة والشدة وعلى أنيابه بينات القسوة والويل واجش صوته وأخشوشن فكان إذا نبح دوى نباحه دويا وبعث الرعب فى افئدة القطط والثعالب والذئاب وأعلن للملأ أن حارس قصر المفتش ساهر ، وكان على صلابته وشدته أرق من النسيم على صاحبه وحبيبه ددف ، الذى زادت الايام ما بينهما توثقا ومودة

فكان اذا ناداه لبى واذا أمره أطاع واذا انتهره ذل وسكن ، بل انهما استغنيا بنجوى السرائر عن لغة الظاهر ، فكان جامور كا يحس بمجيء ددف الى البيت احساسا خفيا ، فيهرع الى لقائه ولما يره وكان يتعارف على باطنه بقدرة عجيبة قد تخون أقرب الناس اليه فكان يعرف حالات رضاه فيقبل عليه ملاعبا ويقفز واضعا يديه على منطقة وزرته ، كما كان يحس بحالات تعبه أو ضيقه فيسكن بين قدميه مكتفيا بتحريك ذنبه

أما ددف فقد بلغ الاثنى عشر عاما من عمره ، وجاء الوقت الذى ينبغى أن يختار فيه وجهته التى يوليها فى الحياة والحق أنه الى ماقبل ذلك بقليل لم يجر تفكير فى تلك المسألة الخطيرة وكان الغلام يبدى نشاطا عاما محمودا وقد خدع خنى بتشوفه الى الفلسفة حتى حسبه كاهنا وحسب الكهنوت مستقبلة دون غيره ولكن نافا — وكان بحكم فنه انفذ بصرا — كان يشاهده وهو يسبح وهو يجرى وهو يرقص وكان يرى جسمه النامى وقده الممشوق فيقول لنفسه وهو يكسيه بخياله اللباس الحربى « ياله من جندى ! » وكان نافا عظيم التأثير فى ددف للحب المتبادل بينهما فوجهه ذاك التوجيه الذى باركته زايا وتحمست له ، ومنذ ذاك اليوم ولا شيء يجذب عينى زايا فى الاعياد مثلما يجذبها منظر الجنود والفرسان وفصائل الجيش

ولم يكن بشارو ليحفل بما يختار ددف من فنون الحياة ، فهو لم يتدخل مطلقا فى حرية اختيار خنى أو نافا لمستقبلهما ولكنه وجد ميلا الى التأمل فقال لددف — وكانوا جميعا جلوسا فى الحجرة الصيفية — وهو يربت بلطف على كرشه العظيم

— ددف ، ددف الذى كان يحبو بالامس القريب !، ددف اضحى يجهد رأسه الصغير فى التفكير فى اختيار سبيل له فى الحياة ينهجه كرجل مسئول ! لقد دار الزمان دورة غادرة ، حنانيك أيها الزمان رفقا ببشارو . أو رفقا به حتى يكمل بناء الهرم فانك لن تجد له خلفا صالحا . »

وقالت زايا تعلن رغبتها

— لا داعى لكثرة الاسئلة فان من ينظر الى وجه ددف الجميل وقامته الفارعة وقوامه المعتدل لا يرتاب لحظة فى انه يرى ضابطا من ضباط العجلات الفرعونية .

وابتسم ددف إلى أمه التى وافق حديثها هواه وذكر فرقة العجلات التى رآها تشق طرق منف

— يوم عيد بتاح — فى صفوف متحاذية منتظمة لا تشذ عنها يمينا أو شمالا ولا الى الامام أو الى الخلف والفرسان على العربات منتصبون ، لا يميلون ولا يضطربون كأنهم مسلات مشيدة ، ترمقهم الابصار وترنو اليهم عيون الحسان

ولكن خنى لم يرض عن اختيار زايا وقال بصوته الغليظ الذى يشبه صوت أبيه

— كلا يا أماه ان ددف كاهن بالفطرة ، وطالما وضح لى استعداده للتعلم وميله للعلم والمعرفة وطالما الحت على أسئلته الكثيرة الدالة على الفطنة والذكاء فمكانه المختار جامعة بتاح لا المدرسة الحربية . . ما رأيك يا ددف ؟

وكان ددف شجاعا صريحا لا يتردد عن ابداء رأيه فقال

— يؤسفنى أن أجيب رجاءك هذه المرة ايها الاخ ولكن الحق انى راغب فى الجندية .

فوجم خنى اما نافا فقد ضحك ضحكة عالية وقال لددف

— أحسنت الاختيار يا ددف ، فما صورتك الا صورة جندى ، هكذا اقنعنى خيالى ، ولو انك اخترت فى الحياة فنا آخر لذقت مر الخيبة وتزعزعت ثقتى بنفسى .

وهز بشارو منكبيه استهانة وقال

— سواء لدى أاخترت الجندية أم الكهنوت ، وعلى كل حال امامك عدة أشهر فيها متسع للتفكير والروية . . ايه لكم أيها الابناء ! يخيل الى انه لن يخلف أحدكم أباه ، وان واحدا منكم لن يعيد تمثيل الدور الخطير الذى قمت به فى الحياة .

وفاتت الشهور دون أن تغير من رأى ددف ، فقر رأى الاسرة على الحاقه بالمدرسة الحربية .

وفى تلك الاثناء واجهت بشارو ازمة فكرية مرة ، هيأت اسبابها ابوته المزعومة لددف ، وقد تساءل الرجل فى حيرة هل ينبغى ان يحافظ على ادعاء هذه الابوة ام انه آن الاوان لاعلان حقيقتها وفصم عراها ، وكان خنى ونافا يعرفان حقيقة المسألة ولكنهما لم يشيرا اليها بتاتا لا فى السر ولا فى العلانية حبا فى الغلام وضنا به ؛

وكان بشارو يقدر وقع الصدمة على نفس الغلام البريئة السعيده فيقشعر بدنه ، ويذكر زايا وما يحتمل من غضبها وسخطها فيحجم اشفاقا ، وهو مافكر فى ذلك عن سوء قصد او عن زهد فى ددف

ولـكنه كان يعتقد ان هذه الحقيقة ستعلن عن نفسها اذا لم تجد لسانا يعلن عنها وان الخير كل الخير ان تنكشف له الان ليخلص من محنتها لا ان تدخر له حتى يكبر فيضاعف له عذابها ، وتردد الرجل الطيب فلم ينته الى عزم ولما كان ينبغى ان ينتهى الى رأى قبل الحاق ددف بالمدرسة الحربية فقد اسر الرجل بذات نفسه الى ابنه خنى ولكن الشاب هاله الأمر وقال لابيه بألم وحزن عميقين

— ان ددف اخونا ، بل ان ما يربطنا به من الحب لاقوى من الاخوة الطبيعيـــة وما الذى يضيرك يا ابتى لو انك تركت الامور على ماهى عليه ولم تفجأ الغلام العزيز بضربة الذل والمسكنة ؟ »

وكان الشأن الوحيد الذى يعمل له حساب فى ابوته هو الميراث ولكن بشارو لم يكن له من حطام الدنيا سوى راتب كبير وقصر فخم فلن يؤذى ابوته لددف احدا ، ولذلك اشفق الرجل من لهجة خنى الغاضبة وقال يدفع عن نفسه

— كلا يابنى لن تقع ضربة الذل ابدا ، لقد دعوته بابنى وسأظل ادعوه بها ، ولسوف يكتب اسمه بين طلبة المدرسة الحربيه ددف بن بشارو »

ثم ضحك الرجل كعادته وقال وهو يفرك يديه

— ربحت ابنا جنديا »

فقال خنى وهو يمسح دمعة سالت على خده

— بل ربحت رضاء الرب وغفرانه »

(١١)

اوشك شهر توت على الفوات ولم يبق منه الا عدة ايام هى كل ما بقى لددف من الزمان فى بيت بشارو ، ثم يغادر بعدها إلى المدرسة الحربية وكانت تلك الأيام اشد أيام زايا المصيبة ، غلب عليها فيها الشرود والذهول ، والتفكير بمرارة فى الشهرين الطويلين اللذين سيحتجبها ددف داخل اسوار المدرسة . . والاعوام الطويلة التى لن تتاح لها رؤيته فيها سوى مرة كل شهر ، فتحرم من رؤية

وجهه الجميل وسماع صوته الحبيب ويغيب عن قلبها الاطمئنان الذى يقر فيه لقربه والهناء الذى يشمله لوجوده . . فما اقسى الحياة ! وقد غشى الحزن قلبها قبل حدوث اسبابه وظلت حياتها غشاوات من الالم مثل هاتيك السحائب المنتثرة ساقتها الرياح بين يدى غيم هاتور وكيهك الداكن المكفهر . .

وحين صاحت الديكة عند الفجر معلنة قدوم اليوم الاول من بابه استيقظت زايا على صياحها وقعدت فى سريرها مضطربة حزينة وتنهدت تنهدة حارة كانت اول ما استقبل اليوم من عالم الاحزان ، ثم تركت فراشها وسارت فى خفة الى مخدع ددف لتوقظه وتودعه، ودخلت الحجرة على أطراف أصابعها كيلا تزعجه فاستقبلها جامور كما وهو يتمطى وخاب ظنها لانها وجدت الغلام قد استيقظ دون مساعدة وكان يغنى بصوت خافت نشيد « نحن أبناء مصر انحدرنا من سلالة الالهة » استيقظ الغلام وحده يلبى أول نداء للجندية وقد نادته من قلبها (ددف) فانتبه اليها مهللا وجرى نحوها كطائر يستقبل نور الصباح وتعلق بعنقها ورفع اليها فمه ، فقبلته بحنان ، وقبلت خديه ورفعته بين ذراعيها فقبلت ساقيه ، ثم حملته الى الخارج وهى تقول

— تعالى ودع أباك

ووجدا بشارو مايزال يغط فى نومه ويصعد أنفاسا ناشزة من شخير ونخير فهزته بيدها فانتفض مرتعبا وصاح « من؟ .. من؟ . . زايا»

فضحك وصاحت به

— الا تريد أن تودع ددف ؟

فجلس فى فراشه وفرك عينيه ثم نظر الى الغلام على ضوء المصباح الخافت وقال

— ددف . . أذاهب أنت ؟ تعالى أقبلك . . والان أذهب محوطا برعاية بتاح !

وقبله بشفتيه الغليظتين مرة أخرى واستطرد

— أنت الآن طفل ياددف ولكنك ستغدو جنديا ماهرا . . انى أتنبأ بهذا ، ونبوءة بشارو خادم فرعون لاتخيب . . أذهب يابنى آمنا وساصلى من أجلك فى المحراب . .

وقبل ددف يدى والده وخرج مع والدته ، وفى الصالة الخارجية لقيا خنى ونافا ذاهبين، وضحك نافا وقال

— هيا أيها الجندى الباسل أن العربة فى الانتظار

وحنت عليه زايا بوجه غيره التاثر فرفع اليا وجها يطفح بالفرح والحب

وأها لقد . . مرت الشهور سراعا وحمت ساعة الوداع ، فلا الحضن يشفى ولا القبلة تعزى ولا الدموع تخفف البلوى . . . لقد هبط ددف السلم يسير بين أخويه واطمأن الى مكانه من العربة جانبهما ، وابتعدت العربة بالحمل العزيز وهى ترنو اليها خلل دموعها ، حتى بلعتها زرقة الفجر . .

(١٢)

وبلغت العربة (مرعى أبيس) أجمل ضواحى منف حيث تقع المدرسة الحربية — ولما تشرق الشمس ، ولكنهم وجدوا الميدان الممتد أمام المدرسة مزدحما بالراغبين فى الالتحاق بها وفى صحبة كل منهم واحد أو أكثر من أقربائه وكان كل واحد منهم ينتظر دوره فى النداء عليه والذهاب للكشف وبعدها أما يبقى داخل المدرسة أو يعود من حيث اتى

وكأن الميدان — ذلك الصباح — كان معرضا للجياد المطهمة والعربات الفخمة لانه لم يكن يتقدم الى المدرسة الحربية الا أبناء الطبقة الحربية والصفوة من أبناء الاثرياء ، وتلفت ددف يمنة ويسرة فرأى وجوها ليست غريبة عليه لأنه زاملها أعواما فى المدرسة الاولية فانتعشت نفسه وملئت مسرة وشجاعة

وكان صوت المنادى لا ينقطع عن النداء وسيل التلاميذ لا يتوقف عن الدخول من باب المدرسة الكبير منهم من يبقى فى الداخل ومنهم من يخرج مرة أخرى بوجه كاسف ونفس أسيفة .

وكان خنى ينظر الى هاتيك الجموع بوجه جامد فلم يرتح ددف الى مظهره وسأله بقلق

—أواجد على يا أخى ؟

فربت الشاب على منكبيه وقال

— معاذ الرب يا عزيزى ددف ، ان الجندية حياة سامية على شرط أن تكون واجبا عاما يؤدى كل قسطه منه الى حين ثم يعود بعده الى حياته الانسانية فلا يهمل موهبه من مواهبه السامية ويصون

روحه عن التلف ، وانى مطمئن يا ددف الى انك لن تطمس التشوف الذى أثار روحك فى حجرتى ، أما الانغمار فى الجندية والتفرغ لها فمعناه النزول عن الانسانية وتدمير الحياة العقلية والرجوع القهقرى الى مراتب الحيوان

فضحك نافا كعادته وقال

— الحق انك يا أخى تنشد الحياة الطاهرة الحكيمة حياة الكهنوت ، أما أمثالى فينشدون الجمال والمتعة ، ويوجد غيرنا آخرون — هم هؤلاء الجنود — يمتعضون من التأمل ويعبدون القوة ، وحمدا للام ايزيس فانها وهبتنى عقلا يستطيع أن يرى جمالا لكل لون من الوان هاته الحيوات ولكنى لا أملك الا أن أوثر فى النهاية حياتى . والحق ان الفصل بين هذه الحيوات لا يتأتى الا لواحد عليم بها غير متعصب لاحداها . . وهيهات أن يوجد هذا القاضى .

ولم يطل الانتظار بددف فسمع المنادى يصيح « ددف بن بشارو » فخفق قلبه وسمع نافا يقول له

— وداعا يا ددف فلا احتمال لعودتك معنا اليوم .

فعانق الغلام أخويه وسار الى الباب الرهيب ثم ادخل الى حجرة على يمين الداخل ، حيث تلقاه جندى فأمره بان يخلع ملابسه ، فخلع الغلام ثيابه وتقدم الى طبيب مسن ذى لحية بيضاء فحصه عضوا عضوا والقى على هيئته نظرة عامة ثم قال للجندى « مقبول » فارتدى الغلام ثيابه فرحا مسرورا وقاده الجندى الى فناء المدرسة وتركه يلحق بمن سبقه من المقبولين

وكان الفناء عظيم الاتساع ، تربو مساحته قرية كبيرة ، محاط من ثلاث جهات ، بسور ضخم مزخرف بالنقوش الحربية ومحلى بصور الجنود والمواقع والاسرى وفى الجهة الرابعة تقام الثكنات ومخازن الذخيرة والاسلحة . ومكاتب القواد والضباط ، واصطبلات الخيل وحظائر العربات فهو أشبه بحصن منيع

وقد القى الغلام على المكان نظرة دهشة وسار الى حيث لحق بزملائه المتجمعين ، ووجدهم يتفاخرون بالانساب ويتنافرون بالآباء والاجداد وقد سأل أحدهم ددف قائلا

— هل أبوك من رجال الحرب ؟

فتضايق الغلام وهز رأسه سلبا ولكنه قال بلهجة ملئت كبرياء

— أبي بشارو مفتش هرم الملك

ولـكن لم يبد على وجه محدثه انه اقتنع بعظمة المفتش وقال

— ابى سا كا قائد فرقة الصقر من المشاة حاملى الرماح

فامتعضت نفس ددف ولم يشترك فى احاديثهم وتوعدتهم نفسه الفتية بالظفر والتفوق ، واستمرت عملية الـكشف والاختبار ثلاث ساعات متوالية ، وظل الناجحون ينتظرون حتى اتاهم ضابط من ناحية الشكنات ، ألقى عليهم نظرة صارمة وصاح بهم

— منذ هذه الساعة ينبغى لكل منكم ان يودع الفوضى وداعا ابديا ويروض نفسه على النظام والطاعة ، كل شيء من الآن فصاعدا يخضع للنظام الصارم ولا استثنى الاكل والشرب والنوم . .

ورتبهم الضابط صفا واحدا وسار بهم صوب الشكنات ، وامروا بالدخول واحدا فواحد ، وكان كل منهم يمر على كوة مخزن كبيرا فيعطى صندلا ووزرة وحلة بيضاوين ؛ ثم يتفرقون الى عنـابر كل عنبر يحوى عشرين سريرا فى صفين متقابلين ، وخلف كل سرير صوان متوسط الحجم على سقفة لوح من الورق فى اطار خشبى طلب الى كل منهم ان يكتب اسمه عليه بالخط المقدس .

واحسو جميعا بجو غريب ، يخضع للنظام الصارم ، وتنبث فيه روح الصرامة والخشونة فقد لحق بهم ضابط وامرهم بأن يخلعوا ملابسهم المعتادة ويرتدوا الملابس الحربية ، ونبه عليهم بأن يخرجوا الى الفناء اذا سمعوا صوت النفير . . فصدعوا جميعا بالأمر ودبت فى العنابر حركة سريعة كانت اول ما ابدى أولئك الصغار من النشاط العسكرى . . وقد فرحوا باللباس الحربى الابيض وهللوا له ، وحين نفخ فى النفير هرعوا خفافا الى الفناء حيث رتب الضباط جمعهم فى صفين مستقيمين وحضر على الاثر مدير المدرسة وهو ضابط كبير برتبة قائد ، فى لباسه الرسمى المحلى بالنياشين والاوسمة ، يحيط به كبار ضباط المدرسة ، واستعرضهم بعناية ثم وقف امامهم وخطب فيهم قائلا

— كنتم الى الامس اطفالا احرارا وانتم اليوم تبدءون حياة الرجولة الحقة الممثلة فى الجهاد العسكرى ، وكانت انفسكم ملكا لكم ولآبائكم وامهاتـكم اما اليوم فهى ملك الوطن وفرعون ، واعلموا ان حياة الجندية هى القوة والجهاد والتضحية فعليكم بالنظام والطاعة لتقوموا بواجبكم المقدس نحو مصر وفرعون

ثم هتف المدير باسم خوفو فرعون مصر وردد الجنود الصغار هتافه ثم امرهم ان ينشدوا نشيد « يا آلهة مصر احفظى ابنك المعبود وملكه السعيد من منبع النيل الى مصبه » وامتلأ جو الفناء الواسع اصوات العصافير ، تغنى فى حماس دافق وجمال رائع ، وتجمع بين الارباب وفرعون ومصر فى نغمة واحدة

وفى ذلك المساء، حين رقد ددف لأول مرة على فراش غريب فى جو جديد مسه السهاد وجثمت على قلبه الوحشة ، فتنهد من اعماق نفسه ونادت مخيلته الى ظلمة العنبر اطيافا سعيدة من بيت بشارو فكأنه رأى زايا وهى تحنو عليه رنافا وهو يضحك ضحكته المرحة وخنى وهو يحدث حديثه المنطقى المتدفق . . . وخال جامور كا العزيز يلعق خده ويحييه بذنبه ، ولما ارتوت نفسه من الاحلام رنق النوم بجفنيه فنام نوما عميقا لم يستيقظ منه الا على نفخ النفير عند مطلع الفجر . فقعد فى سريره دون تريث ، ونظر فيما حوله دهشا فرأى أقرانه يستيقظون ويغالبون سلطان النوم بصعوبة ، وعلت فى المكان أصوات التثاؤب والتذمر واختلط بها الضحك أيضا . .

لاراحة بعد اليوم فقد بدأت حياة النشاط والجلاد .

(١٣)

وفى ذلك الوقت طلب المعمار ميرابو الحظوة بالمثول بين يدى فرعون ، واستقبله الملك فى بهو الاستقبال الرسمى . وقد جلس جلالته على عرش مصر الذى تربع عليه خمسة وعشرين عاما حافلة بجلائل الاعمال ، وكان مهيبا قويا صارما يرتد البصر عن جلاله وهو كليل كما ارتدت خمسون عاما تنفس فيها الحياة عن ان تؤثر فى صلابة بنيانه أو تدفق حيويته فابقت على حدة بصره وسواد شعره وحكمة عقله . .

وقد سجد ميرابو بين يديه وقبل حاشية ثوبه الملكى فقال الملك بعطف

— السلام عليك ياميرابو ، قم وتكلم فيما جئت من أجله

فوقف المعمار أمام رب العرش وكان وجهه يتلألأ بانوار الفرح ثم قال

— مولاى واهب الحياة ومنبع النور : اليوم أشبع اخلاصى لذاتكم العليا بالعمل المجيد وأتوج حياتى فى خدمتكم بالاثر الخالد ، فأنال فى ساعة سعيدة واحدة مايتمناه المخلص من اخلاصه والفنان من فنه ، فلقد شاءت الآلهة التى يتعلق كل خلق بمشيئتها أن أزف اليوم الى ذاتكم المعبودة بشرى الانتهاء من تشييد أعظم أثر أقيم على أرض النيل منذ عصر الآلهة وأكبر بناء أشرقت عليه شمس مصر منذ اشرقت على الوادى ، ويقينى يامولاى أنه سيظل باقيا على الاجيال مقرونا باسمكم المقدس منسوبا لعهدكم المجيد ، حافظا لروحكم الآلهية ، معلنا عن جهاد الملايين من أيدى مصر العاملة وعبقرية العشرات من رؤوسها النابهة ، وأنه اليوم لعمل مجيد لانظير له وغدا هو المثوى لاجل روح حكمت أرض مصر وبعد غد والى ابد الابدين هو المعبد الذى تأتلف فى ساحته قلوب الملايين من عبادك يسعون اليه من الجنوب ومن الشمال

وسكت الفنان الخالد لحظة ريثما شجعته ابتسامة الملك ثم استطرد

— لقد شيد اليوم يامولاى شعار مصر الخالد وعنوانها الصادق ، فهو ابن القوة التى تربط شمالها بجنوبها وهو وليد الصبر الذى يعمر صدور بنيها جميعا من الضارب الارض بفأسه الى الكاتب على الطرس بقلمه وهو وحى الدين الذى تخفق به قلوب أهلها وهو مثال العبقرية التى جعلت من وطننا سيدا على الارض التى تسبح الشمس حولها فى السفينة المقدسة ، وسيظل أبدا الوحى الخالد الذى يهبط على قلوب المصريين فيؤيدها بالقوة ويلهمها الصبر ويحثها على الدين ويدفعها الى الابداع

وكان الملك يصغى الى الفنان وعلى فمه ابتسامة رضا ، ويرنو بعينيه النافذتين الى وجهه المكتسى ببهاء الحماس والفرح فلما انتهى قال له

— انى أهنئك ايها المعمار على نبوغك المنعدم النظير ، واشكرك على العمل المجيد الذى شيدت لمكك ووطنك ، مما يوجب لك التقدير والحمد ، ولسوف احتفل بآيتك الكبرى احتفالا مهيبا يليق بعظمتها وخلودها

وكان المعمار يحنى الرأس وينصت الى ثناء فرعون كأنما ينصت الى لحن آلهى

واحتفل فرعون بالهرم احتفالا رسميا شعبيا مهيبا ، شهدت فيه الهضبة المقدسة من الخلق أضعاف ما شهدت من جموع العمال الاشداء ، ولكنهم لم يحملوا اليها هذه المرة الفؤوس والعدد ولكن حملوا

الاعلام وأغصان الزيتون وسعف النخل والرياحين وتغنوا بالاناشيد المقدسة الطاهرة ، وصنع الجند بين تلك الجموع طريقا عظيما يمتد من وادى الابدية ويميل شرقا ثم يدور حول الهرم ، يعرج غربا حتى يصب فى وادى الابدية مرة أخرى ، وفى ذاك الطريق سارت الهيئات الرسمية للطواف بالبناء الكبير تتقدمها جموع الكهنة بطبقاتهم المختلفة والنبلاء والسراة ، ثم اخترقت الطريق فرق الجيش المعسكر فى منف من ركبان ومشاة . ثم بدا للعيان موكب فرعون والامراء ، فولى العباد وجوههم شطره وهتفوا له من أعماق القلوب وانحنوا انحناءة واحدة كأنهم فى صلاة هو قبلتها

وحيى فرعون الهرم بكلمة موجزة وباركه الرئيس خومينى ثم عاد الركب الفرعونى وانفضت الهيئآت الرسمية ، أما جموع الشعب فجعلت تطوف بالبناء الكبير مهللة مكبرة هاتفة منشدة ولم تتفرق جموعها إلا حين سكب الفجر بهاءه وبث روحه الهادىء السحرى فى أرض الوادى الزبرجدية

وفى ذاك المساء دعا فرعون الامراء والصحابة المقربين الى جناحه الخاص ، وكان الجو ميالا الى البرودة فاستقبلهم فى بهو استقباله العظيم حيث جلسوا على مقاعد من الذهب الخالص

وكان فرعون على صلابته ومتانه بنيانه يبدو على نظرة عينيه شعوره بالتبعات العظيمة الملقاة على عاتقه وكان ظاهر الملك لم يتغير حقا ، أما باطنه فقد طرأ عليه من طوارىء الزمان مالم يخف عن أعين المقربين أمثال رعخعوف وخومينى وميرابو وأربو فلاحظوا مثلا ان الملك يزهد قليلا قليلا فى الرياضة غير مستثن ما كان منها أحبها الى قلبه كالصيد والطرد وانه يميل الى التشاؤم والتفكير والقراءة فكان ربما طلع عليه الفجر وهو جالس فى مخدعه يقرأ كتب اللاهوت وفلسفة قاقمنا ، وتطورت فكاهته الاولى الى سخرية لا تخلو من سوء الظن والريبة

وكان أعجب ما فى ذلك المساء — وهو ما أعجز الحسبان — ان يبدو على الملك آى من الهم والقلق ، ذاك المساء الذى احتفل فيه بأعظم عمل فى التاريخ ، وكان أشد الناس قلقا لذلك المعمار ميرابو ، ولم يتمالك أن سأل مولاه

— ما بال مولاى بادى الانشغال ؟

فنظر اليه الملك بشىء من السخرية وقال له متسائلا

— وهل عرف التاريخ ملكا خالى البال ؟

ولم يقنع الفنان بجواب الملك فقال

— ولكن ينبغى لمولاى ان يفرح هذا المساء فرحا خالصا

— ولماذا ينبغى لمولاك ان يفرح ؟

فوجم الفنان ، وكاد ينسيه تساؤل الملك الساخر جميل ثنائه وعظيم احتفاله ، ولكن الامير رعخعوف الذى لم يرض عن تطور الملك النفسى قال

— لان مولانا احتفل اليوم بتبريك اعظم آية فنية فى تاريخ مصر الطويل

فضحك الملك وقال

— أتعني قبرى ايها الامير ؟ وهل ينبغى للانسان ان يفرح لبناء قبره ؟

فقال الامير

— اطال الرب بقاء الملك ، ان العمل المجيد حقيق بالفرح والتكريم

— نعم .. نعم .. ولكن اذا ذكر بالموت الا يوجب شيئا من التأسى ؟

فقال ميرابو بحماس

— انه يذكر بالخلود يا مولاى

فابتسم فرعون وقال

— لا تنس انى معجب بفنك ياميرابو ولكن نذير الموت يملأ النفس شجنا ، نعم لا انكر ما يوحى به عملك المجيد من معانى الخلد ولكن الخلد موت لحياتنا الفانية العزيزة »

فقال خومينى برزانة وتأمل وايمان

— مولاى ان اللحد عتبة الحياة الابدية ..

فقال الملك

— صدقت ياخومينى ، ولكن المقبل على سفر كثير التدبر ، واحرى هذا بمن يولى وجهة تلك الرحلة الابدية ، واياك ان تظن ان فرعون خائف او آسف . كلا . كلا انى اتعجب فقط لتلك الرحى التى تدور وتدور وتطحن كل يوم ملوكا وسوقة ،.

وتضايق الامير رعخعوف من تفلسف الملك وقال

— ان مولاى الملك يكثر من التأمل

وكان فرعون يفهم ذات ابنه فقال

— لعل هذا لا يرضيك ايها الامير

فقال الامير

— العفو يامولاى ، ولكن الحق ان التأمل وظيفة الحكماء ، اما الذين عهدت الآلهة اليهم بتبعات الحكم فما احرى ان يتفرغوا لشئونه الصعاب »

فسأله فرعون بسخرية

— أفترى أيها الامير انى اتردى فى هاوية العجز ؟

فارتاع الاصدقاء وكان الامير اعظمهم ارتياعا فقال

— معاذ الرب يا أبتى !

فقال الملك الساخر ولكن بلهجة قوية

— لا تقلق يارعخموف واعلم ان اباك لن يزال قابضا على السلطان بيد من حديد

فقال الامير

— يحق لى يامولاى ان اهنىء نفسى ولو انى لم اسمع جديدا ،

— ام انك ترى ان الملك لا يكون ملكا الا اذا اعلن حربا ؟

وكان الامير رعخموف يشير على ابيه دائما بأن يجرد جيشا لتأديب قبائل سيناء ، ففطن الى تلميح الملك فصمت وهلة يفكر ، وفى اثناء ذلك قال خوميني

— ان السلم اشد حاجة من الحرب الى الملك القوى الصالح

فقال الامير بلهجة قوية حاكت ما ارتسم على وجهه من الصلابة والقسوة

— ولكن ينبغى الا تعوق سياسة السلم الملك عن خوض غمار الحرب اذا اجد الجد !

فقال الملك

— اراك تحوم حول موضوع قديم

— نعم يامولاى ولن اكف عنه حتى تذهب بواعثه ، فان قبائل سينا تفسد فى الارض وتهدد

هيبة الحكومة »

« قبائل سينا ! . . قبائل سينا ! . . ان قوات الشرطة تكفى الآن لتـــأديب شراذمهم اما تجريد جيش نغزو حصونهم فنية فى صدرى لم تهيأ الظروف بعد لتحقيقهـا نظرا لان الوطن ينوء بالجهد الجهيد الذى بذله عن طيب خاطر من اجل تشييد هرم ميرابو الخالد . . وسيأتى يوم قريب اقضى فيه على شرهم واكفى الوطن عدوانهم

وساد صمت مقدار دقائق ، ثم ردد الملك بصره الحاد بين الحاضرين وقال

— ايها السادة ، انى دعوتكم هذه الليلة لاكاشفكم برغبة عظيمة تخفق فى صدرى

فنظر اليه الملأ باهتمام فقال

— ساءلت نفسى صباح يوم . ماذا صنعت من اجل مصر وماذا صنعت مصر من اجلى ؟ولا اكتمـكم الحق ايها الاصدقاء فقد وجدت ان ما صنعه الشعب لى اضعاف ما صنعته له ، فاحسست بشىء من الالم ـ وكثيرا ما اتألم هذه الأيام ـ وذكرت المولى المعبود مينا الذى وهب الوطن وحدته المقدسة فلم يهبه الوطن بعض ما وهبنى فاستصغرت نفسى واقسمت لاجزين شعبى احسانا باحسان وجميلا لجميل

فقال القائد اربو بحماس

— لقد قسا جلالة الملك على نفسه فى الحساب

فقال خوفو دون ان يعير حديث قائده اهتماما

— ان الملوك ليظلمون كثيرين وان توخو العدل والانصاف . وأنهم ليأذون كثيرين وان حرصوا على النفع والخير . وما من عمل سوى عمل الخير الخالد يكفر عن السيئات ويمحو الهفوات وقد هدانى الالم الى عمل نافع عظيم . .

ونظر اليه الملأ متسائلين فقال

— انى افكر ايها الساده فى تأليف كتاب عظيم اضمنه تجارب الحكمة واسرار الطب الذى ولعت به منذ صباى ، فاترك من بعدى ارثا عظيما لشعب مصر يهدى ارواحهم ويصون اجسامهم

فصاح ميرابو بفرح عظيم

— ياله من عمل مجيد يامولاى ستحكم به شعب مصر الى الابد

فابتسم فرعون الى المعمار وقال هذا مرة أخرى

— ستزيد كتبنا المقدسة كتابا جديدا

وكان الامير رعخعوف يزن ماينوى الملك صنعه فى عقله فقال

— ولكنه يامولاى عمل يقتضى أعواما طويلة

وقال القائد اربو

— لقد كتب قاقمنا كتابه فى عشرين عاما !

ولكن الملك هز منكبيه العريضين وقال

— سأهبه ماتبقى من حياتى

صمت الملك لحظه ثم قال

—أتعلمون أيها السادة أين هو المكان الذى اخترته لانشىء فيه كتابى ليلة بعد ليلة؟

ونظر فرعون الى الوجوه المتسائلة وقال

— حجرة التابوت بالهرم الذى احتفلنا به اليوم

وبدت على الوجوه الدهشة والانكار فقال فرعون

— أن قصور الدنيا تغلب عليها جلبة الحياة الفانية فلا تصلح لانتاج عمل خالد !

وانتهى الاجتماع عند ذاك لان الملك لم يكن يحب المناقشة فيما بت فيه برأى نهائى ، فانصرف الاصدقاء ، وحين ركب ولى العهد عربته مال على رئيس حجابه وقال بامتعاض شديد

— أن فرعون يؤثر الشعر على الحكم !

أما الملك فقد ذهب الى قصر الملكة ميرتيتفس ، ووجدها فى مخدعها مع الاميرة الصغيرة مرى سى عنخ شقيقة رعخعوف التى لم تتجاوز العاشرة ، وقد جرت الاميرة اليه كالحمامة والفرح يلمع فى عينيها السوداوين الجميلتين . .

مرى سى عنخ ذات الوجه البدرى واللون الخمرى والعينين اللتين تشفيان بصفائهما من السقام ولم يتمالك فرعون من ان يبتسم ابتسامة الحب ويزيح عن صدره الهموم والاحزان ويتلقاها بذراعين مفتوحين

(١٤)

هبت نسمة من الفرح على قصر بشارو ذلك اليوم ، تبدت آثارها فى وجه زايا الضاحك ونافا والمفتش نفسه ، وكأن جاموركا قد استبشر خيرا وأحس إحساسا باطنيا بأنه ينبغى له أن يفرح فتمطى ونبح وعدا فى ممرات الحديقة كالسهم الطائش . .

وكانوا جميعا ينتظرون ، فسمعوا جلبة فى الحديقة وعلا صوت خادم يقول بفرح « سيدى الصغير » فهبت زايا واقفة وجرت نحو السلم وهبطت الادراج لاتلوى على شىء ، وفى نهاية الردهة رأت ددف فى بدلته البيضاء وقلنسوته الفرعونية بهيا كشعاع الشمس ففتحت ذراعيها ، الا أن جاموركا كان أسرع اليه منها ، فهجم على سيده بعنف واحتضنه بيديه وعلا نباحه يشكو اليه مالقى من عـذاب الشوق وآلام الحنين ، فازاحت زايا الـكلب جانبا وضمت الابن العزيز إلى قلبها وأشبعته لثما وتقبيلا وهى تقول له

— ردت الروح الى يابنى . . كم وحشتنى عينيك وكم هزنى الشوق الى اجتلاء وجهك الجميل ، . . . عزيزى أنت أنحف كثيرا مما كنت وقـد لفحت الشمس وجهك . انت متعب جدا ياددف!

واتى نافا مع جلبته وضحكه وقال يحيى أخاه

— أهلا بالضابط العظيم

فابتسم ددف وسار بين أمه وأخيه وجاموركا يرقص أمامه طربا ويقطع عليـه الطريق من كل جانب ، واستقبله المفتش استقبالا جميلا عاطفيا وقبل خـده ، ونظر اليه مليا بعينيه البارزتين اللتين تدعيان الفراسة وقال

— تغيرت يابنى فى هذين الشهرين ، وبدت عليك الرجولة حقا . وقد فاتك الاحتفـال بالهرم العظيم ولـكن لا تأسف على هذا فسآخذك لمشاهدته بنفسى فانى مازلت ولن أزال مفتشا على منطقته حتى أحال على المعاش . ولـكن لماذا أنت متعب يابنى ؟

فضحك ددف وقال ويده تعبث برأس جاموركا

—الحياة العسكرية شديدة قاسية .. وسحابة النهار فى المدرسة تمضى عادة بين الجرى والسباحة وركوب الخيل ، . وانى الآن فارس ماهر !

فقالت الام

— فلتحفظك الآلهة يابنى

وسأله نافا

— وهل ترمى الرمح وتطلق السهام ؟

فقال ددف يشرح لاخيه نظام المدرسة باسهاب التلميذ المفتون

— كلا . . اننا نتدرب فى السنة الاولى على الالعاب وركوب الخيل والسباحة وفى السنة الثانية نتعلم المبارزة بالسيف والخناجر والمزاريق ، وفى السنة الثالثة نتمرن بالرماح وتلقى علينا دروسا نظرية والسنة الرابعة للقسى والعلوم التاريخية والسنة الخامسة للتدريب على العجلات الحربية أما العام السادس فللعلوم الحربية وزيارة القلاع والحصون

وقال نافا

— أن قلبى يحدثنى بانى ساراك قائدا كبيرا ياددف . . ان وجهك يثير فى النفس الحماس ، لا ريب فى هذا ، فان صناعتى استيحاء للسجايا من ملامح الوجه . .

وكأن ددف تذكر أمرا هاما فتساءل باهتمام

— اين خنى ؟

فقال بشارو

— الا تعلم انه انخرط فى سلك الكهنوت؟ وانهم يحتفظون به الآن خلف جدران معبد بتاح ويلقنونه العلوم الدينية ويفقهونه فى الاخلاق والفلسفة ، فى عزلة بعيدة عن جلبة الدنيا وضوضائها وانه ليتدرب على حياة هى اقرب الحيوات شبها لحياة الجندية ، فهو يغتسل فى النهار مرتين وفى الليل مرتين ، ويحلق شعر رأسه وبدنه ، ويلبس الصوف ويصرف عن اكل السمك ولحم الخنزير والبصل والثوم . . انه يابنى يجوز اشد الامتحانات قسوة ويلقن اسرار العلم المحرمة على غيره من البشر ، فلندعو له جميعا ان تثبت الآلهة قدمه لتخلق منه خادما مخلصا لها ولعبادها المؤمنين »

فقالوا: جميعا فى نفس واحد « آمين » وسأل ددف

— ومتى يسعدنى الحظ برؤيته ؟ :

فقال نافا بلهجة اسيفة

— لن تراه قبل اربع سنوات وهى سنى التجربة العظيمة

فاكفهر وجه ددف حزنا وشوقا الى معلمه الاول ، اما زايا فسألته

— وكيف نراك بعد اليوم؟

— فى اول كل شهر

فقطبت جبينها ولكن نافا ضحك وقال

— لا تستحثى الحزن ياماه . . ولننظر كيف نقضى يومنا هذا . . مارأيكم فى نزهة نيلية ؟

فصاحت زايا منكرة

— فى كيهك ؟ !

فقال نافا ساخرا

— وهل يهاب الجندى قساوة الانواء؟

فقالت زايا بحدة

— ولكنى لا اقدر على جو كيهك ولا على مفارقة ددف دقيقة واحدة هذا اليوم فلنبق جميعا فى البيت . . وانى مدخرة له حديثا طويلا لا قبل لى بحفظه فى صدرى بعد الآن

ولاحظوا جميعا ان ددف فتر مرحه وندر حديثه وغشيته حالة جديدة من الرزانة والجمود وقد نظر اليه نافا قلقا بطرف خفى وساءل نفسه ترى هل يتشبث ددف بطبيعته الجديدة ابدا ؟ انه ينفر من الرزانة والجمود ولعله لم يحس بوحشة لغياب خنى لما عرف به من الرزانة والجفاء ، ولكنه انكر على نفسه مخاوفها وقال إن ددف ما يزال حديث عهد بالحياة العسكرية وانه لذلك لن يتم له هضمها فى وقت قصير فلن تزال بنفسه جفوة منها والم حتى يألفها ويتطبع بطباعها وحينذاك تنجاب عن قلبه الوحشة وترتد اليه طبيعة المرح والسرور ، وظن أنه لو صحبه الى معرض فنه فربما استطاع ان يعيد اليه انشراحه فقال له

— ايها الضابط . ما رأيك فى زيارة معرض صورى ؟

ولـكن زايا قالت بغيظ .

— لاتفتأ تحاول سلبه منى ! كلا ياسيدى لن يبرح اليوم البيت

فتنهد نافا وسكت ، وخطرت له فكرة فاحضر لوحة وقلما وقال لاخيه

— سارسم صورتك فى هذا الرداء الابيض الجميل ، وساحتفظ بالصورة ذكرى جميلة تنظر اليها بعينى الحنان والشوق حين تزين منكبيك بوشاح القيادة !

وباشر عمله بهمة ونشاط . وقضت الأسرة يوما سعيدا فى سمر وأحاديث

وكانت امثـال تلك الزيارة تقع كل شهر مرة وتفوت كلمح البصر ، وقد انجابت وساوس نافا وفارق الجفـاء ددف ورجع سريعا الى طبيعته المرحة الجسورة واستعاد جسمه القوة والفتوة وسار قدما فى طريق النمو والقوة والجمال ..

وكان الصيف — حين تغلق المدرسة ابوابها — أسعد ايام زايا وجاموركا ، وكانت تعاود البيت فيه جنبة الحيـاة ومرح النشاط اللذان سكتا به منذ تفرق شمل الاخوة كل الى حال سبيله ، وكانت الاسرة كثيرا ما ترتحل الى الريف او شمال الدلتا للصيد والقنص فكانوا يشغلون قاربهم ويمخرون به عباب البحيرات التى تظلها نباتات البردى واشجار اللوتس ، ويقف بشارو بين ابنيه نافا وددف وكل ممسك بعصا الصيد المعقوفة حتى اذا حلقت بطة لا تدرى بما يخبئه لها القدر احكم كل منهم تسديد الهدف وقذف بها بما يستطيع من القوة والمهارة ..

وكان بشارو صيـادا ماهرا ... وكان صيده اضعاف صيد ابنيه معا ، وكان يحدج ددف بنظرة متعالية ويقول بصوته الاجش « الا ترى ايها الجندى كيف يحكم أبوك الرماية ؟ لا تعجب فقد كان والدك ضابطا فى جيش الملك سنفرو وكانت قوته كافية لتشتيت قبيلة من الهمج بغير قتال

وكانت رحلات الصيد تنطوى فى متعة وفرح ورياضة لا نظير لها فى الايام الاخرى ، ولـكن لم يهدأ بال بشارو حتى اصطحبه معه الى زيارة الاهرام وكان غرضه الاول من الزيارة ان يطلعه على نفوذه وسلطانه ويريه استقبال الجند والموظفين له

ودعاه نافا لزيارة معرضه وأطلعه على صوره ذات الالوان ورسوماته الجميـلة وكان الشاب ما

يزال يعمل جاهدا بلا طائل على رجاء ان يدعى يوما للاشتراك فى عمل فنى له قيمته فى احد قصور الاغنياء او الهواة او ان يشترى احد الزوار بعض معروضاته . . وكان ددف يحب نافا فاحب آثاره واعجب خاصة بالصورة التى رسمها له فى بدلته الحربية البيضاء فجاءت آية على ملامحه ونظرة عينيه

وكان نافا فى ذلك الوقت يرسم صورة للمعمار الخالد ميرابو الذى صنع اكبر معجزة فنية فى الوجود وقد قال لددف وهو يريه الرسم التخطيطى للصورة

— لم ابذل من قبل فى صورة نصف ما بذلت فى هذه ، ذلك أن بطلها ينزل من نفسى منزلة الآلهة

فسأله ددف

— هل ترسمها من الذاكرة يا أخى ؟

فقال

— نعم ياددف لأنى لا ارى الفنان الاعظم الا فى الاعياد والحفلات الرسمية التى يظهر فيها فى ركاب رعون ولكنها تكفى لحفر صورته فى قلبى وعقلى !

واستدار العام وذهب ددف مرة اخرى الى المدرسة ودارت عجله الزمان . وتقدمت حياة اسرة بشارو فى طريقها المقدر الاب الى الشيخوخة والام الى الكهولة وخنى الى التفقه فى الدين ونافا الى اتقان فنه الجميل

واوسع ددف خطاه نحو التفوق والنبوغ واتقان الفنون الحربية فاكتسب شهرة فى المدرسة الحربية لم يفز بها تلميذ من قبل

(١٥)

سار ددف فى شارع سنفرو الذى لا ينقطع تيار المارين به يلفت الأنظار ببذلته الحربية البيضاء وجسمه الفارع وجماله الجاهر ، حتى انتهى به المسير الى مدخل بيت « نافا بن بشارو اجازة معهد خوفو للرسم والتصوير » وقرأ اللافتة باهتمام كأنما يراها للمرة الأولى وقد ارتسمت على فمه الجميل

ابتسامة حلوة مشرقة ثم اجتاز الباب ، وفى الداخل رأى أخاه مكبا على عمله غير شاعر بما حوله فصاح به ضاحكا

— السلام عليك ايها المصور العظيم

فالتفت اليه نافا بوجهه الحالم الدهش ، فلما عرف القادم قام واقفا واقبل عليه مرحبا وهو يقول « ددف ! . . ياللحظ السعيد . كيف حالك يارجل ؟ هل زرت البيت ؟ »

وتعانق الاخوان مليا وقال ددف وهو يجلس الى كرسى قدمه اليه الفنان

— نعم زرته ثم اتيت اليك رأسا ، فانت تعلم ان بيتك هذا جنتى المختارة !

فضحك نافا بصوته العالى وطفح وجهه بالسرور وقال

— ماأسعدنى بك ياددف ! وان كنت أعجب كيف تهوى نفس ضابط مثلك الى هذا الرسم الهادىء الحالم الجميل ! أين هو ياددف من ميدان القتال وقلاع بوسيريس وبريمس !

فقال ددف

— لاتعجب يانافا فأنا جندى حقا ولكننى حببت الى الفن الجميل كابث فى خنى حب الحكمة والمعرفة

فرفع نافا حاجبيه اعجابا وقال

— لكأنك ولى عهد المملكة ! الا ترى انهم يهيئونه للعرش بتعليمه الحكمة والفن والحرب ؟ وانها لسياسة سامية جعلت من ملوك مصر آلهة وستجعل منك قائدا عديم النظير ..

فتصاعد الدم الى وجه ددف وقال مبتسما

— أنت يانافا — كأمى — لا ترانى حتى تنعتنى بسجايا الخير جميعا

فضحك نافا ضحكا عاليا متواصلا ، واسترسل فى الضحك حتى اشفى على التهلكة واثار دهشة ددف

فسأله

— مالك . ؟ ماالذى يضحكك هكذا؟

فرد عليه الشاب وهو ما يزال يضحك

— انى اضحك ياددف لانك شبهتنى بأمك ؟

— وماذا يضحك فى هذا ؟ . إنى اعنى ..

— لا تكلف نفسك مشقة الشرح أو الاعتذار فانى اعلم تماماً تعنى ولكن المسألة ان هذه هى المرة الثالثة التى اشبه فيها اليوم بامرأة . فقال لى والدى صباح اليوم واجدا « انت كالفتاة سريع التقلب » وقال لى الكاهن شلبا منذ ساعة وكان يحدثنى فى شأن صورة له . انت ياسيد نافا يتغلب عليك الوجدان كالنساء » وها انت ذا تقول أنى كأمك ؛ فهل يا ترى رجل انا ام أمرأة ؟ ؟

فضحك ددف بدوره وقال

— انت رجل يانافا ولكنك رقيق النفس حساس الوجدان ، الا تذكر ان خنى قال مرة ان الفنانين جنس بين الرجال والنساء ؟ فقال نافا

— ان خنى يعتقد ان الفن يقتضى اعارة من الانوثة ولكنى اعتقد أن وجدانية المرأة تناقض وجدانية الفنان فى الغاية لأن المرأة بطبعها نفعية تتوخى ما يحقق غايتها الحيوية على اكمل الوجوه أما الفنان فلا غاية له الا استكناه ذوات الاشياء وهذا هو الجمال ، لأن الجمال هو استجلاء ذات الشىء الذى يجعل منه ومن بقية المخلوقات وحدة ذات انسجام ..

فضحك ددف وقال

— اتظن انك بتفلسفك هذا قادر على اقناعى بأنك رجل ؟

فحدجه نافا بنظرة تحد وقال

— أما تزال محتاجا الى دليل ؟ .. اذا فاعلم انى سأتزوج

فبدت الدهشة على وجه ددف وسأله

— أحقا ما تقول ؟

فاغرق نافا فى الضحك وقال

— أيبلغ بك الشك انكار الزواج على ؟

— كلا يانافا .. ولكنى اذكر انك اغضبت والدنا عليك لزهدك فى الزواج

فوضع نافا يده على قلبه وقد تبدت على وجهه آيات الجد وقال

— احببت ياددف .. أحببت بغتة !

فتجمع وجدان ددف فى انتباه واحد وسأله فى لهفة

— بغتة ؟!

— نعم ، كنت كالطائر الذى يحلق فى السماء امنا وما يشعر الا وسهم يستقر فى قلبه فيهوى !

— متى وأين؟

— ددف اذا قيل حب فلا تسل عن الزمان والمكان !

— من هى ؟

فقال باجلال كأنه ينطق باسم ايزيس

— ماتا ابنة كامادى المفتش بوزارة المالية

— وماذا أنت فاعل ؟

— سأتزوج منها

فقال ددف بصوت الحالم

— أهكذا تتغير الامور ؟

— وبأسرع من هذا ، سهم وأصاب فماذا يصنع الطائر ؟

حقا ان الحب شىء عظيم ، لقد عرف ددف الفن والحكمة والسيف أما الحب فهذا لغز جديد وكيف لا يكون لغزا وقد فعل فى ساعة ما عجز عنه بشارو فى سنين ؟ وأحس بوجدانه يفور وروحه تهيم فى وديان بعيدة الافاق

أما نافا فقد استطرد يقول

— ويشاء الحظ السعيد أن أوفق فى حياتى الفنية فقد دعانى السيدفانى الى زخرفة بهو استقباله وغدوت تثمن بعض صورى بعشر قطع من الذهب فآبى أن أبيعها . انظر الى هذه الصوره الصغيره »

فحول ددف وجهه الهائم الى حيث يشير أخوه فرأى صورة صغيرة تمثل فلاحة صبية على شاطىء النيل عند الغروب وقد خضب الشفق أفق السماء ، وكأنه ارتاع لجمال الصورة التى جذبته من وديان الاحلام فدلف اليها حتى صار منها على بعد ذراع ، وشاهد نافا اعجابه فسر سرورا لا مزيد عليه وقال

— الا ترى،انها صورة غنية بالالوان والظلال ؟انظر الى النيل والافق !

فقال ددف بصوت الحالم

— بل دعنى انظر الى الفلاحة

وكان نافا يتأمل صورته فقال

— ان الريشة تخلد مشية النيل ذات الاجلال

فقال ددف بلا اكتراث لما يقول الفنان

— يا للارباب .. انه جسم لدن .. له استقامة الرمح

— انظر الى الحقول و الى الزرع المائل ، علام يدل ميله ؟..

فقال ددف و كأنه لايسمع ما يقول صاحبه

— ما أجمل الوجه الخمرى البدرى ؟

— انه يدل على ريح الجنوب

— ما أجمل العينين السوداوين .. ان لهما لنظرة آلهية

— ليست الفلاحة كل شيء فى الصورة . ، انظر الى الشفق فالآلهة وحدها تعلم كم اجهدنى فى تصويره وتلوينه

فنظر ددف اليه وقال بحماس جنونى

— انها حية يانافا . انى اكاد اسمع غمغمتها . . كيف تعيش معها يانافا تحت سقف واحد ؟

ففرك نافا يديه حبورا وقال

— رفضت فى سبيلها عشر قطع من الذهب الخالص

— لن تباع هذه الصورة ابدا

— ولم ؟

— هى صورتى ولو دفعت لها حياتى !

فضحك نافا وقال

— واها ياسن السابعة عشر ! انك نار تضطرم . . ولهب يندلع . انك تبثين الحياة والانوثة

فى الاحجار والمياه والالوان . انك لتعشقين الاوهام والاخيلة وتخالين الاحلام حقائق واقعة . . وتصلين ابنك عذاب الجحيم . . !

فالتهب وجه الشاب دما وسكت عن الكلام فاشفق نافا من اغضابه فقال

— لبيك ايها الجندى

فقال ددف بتضرع

— لا تفرط فى هذه الصورة يانافا

فقام نافا الى الصورة ورفعها من مكانها وقدمها الى اخيه وهو يقول

— هى لك ياددف العزيز

فوضعها ددف بين يديه برفق كانه يمسك بقلبه وقال بصوت الممتن الشكور

— شكرا لك يا نافا !

وجلس نافا راضيا اما ددف فلازم وقفته لا يريم ... واستغرق فى تأمل الفلاحة الالهية ثم قال

— كم يفتن الخيال المبتدع ؟

فقال نافا بهدوء

— ليست من خلق الخيال

فزلزل قلب الشاب وسأل برجاء

— أتعنى أن صاحبتها من الاحياء؟

— نعم ..

— وهل .. وهل هى كصورتها؟

— ربما فاقتها حسنا ..

— نافا !

فابتسم الفنان وسأله الشاب المفتون

— أتعرفها ؟

— رأيتها مرات على شاطىء النيل

— أين ؟

— شمال منف

— هل تذهب دائما الى هناك ؟

— كانت تذهب كل اصيل هى واخوات لها فيجلسن ويلعبن ويختفين مع اختفاء الشمس ... وكنت اتخذ مكانى خفية خلف شجرة جميز وانتظر حضورهن بفارغ الصبر !

— وهل يواظبن على حضورهن ؟

— لا أدرى فقد انتهت متابعتى لهن بانتهائى من الصورة

فنظر اليه بارتياب وسأله بخوف

— وكيف استطعت؟

فابتسم نافا وقال

— هذا جمال اعبده ولكنى لا أحبه

فلم يعبأ ددف بكلامه وسأله

— فى أى بقعة كانت ترى ؟

— شمال معبد ايبس

— ترى هل ما تزال تذهب الى هناك ؟

— وما الداعى الى تساؤلك ايها الضابط ؟

فتحيرت فى عينى ددف بنظرة ملتهبة فقال نافا

— هل قضى ان يصيب السهم الاخوين فى اسبوع واحد؟

فقطب ددف جبينه وعاد الى تأمل الصورة ، فقال نافا

— لا تنس انها فلاحة

فتمتم ددف قائلا

— بل ربة جميلة

فقال نافا ضاحكا

— واها ياددف العزيز ، لقد أصابنى السهم فترديت فى قصر كامادى ، واخشى إن كان أصابك أن تقع على كوخ متهدم . . !

(١٦)

وكان اليوم يحمل طابع الاحلام . فلدى عصره وضع ددف الصورة على صدره وذهب الى شاطىء النيل واكترى قاربا اتجه به صوب الشمال . .

ولم يكن يعى مايفعل ولا يقدر عاقبة تصرفه وكل مايمكن قوله أنه مسه سحر الافتتان فطاع وحيه وأصاخ الى ندائه ، فانطلق يعدو الى غايته المجهولة مدفوعا بعاطفة قهارة لاتقاوم ، فقدأصابه مس من الافتتان واستقر الافتتان فى قلب شجاع لايهاب الموت ، جسور لايلوى على المخاطر فكان من الطبيعى أن ينطلق لأنه ليس من عادته أن ينكمش وليكن مايكون . .

وراح القارب يشق الماء مدفوعا بقوة التيار وشدة الساعدين الفتيين وجعل ددف يرسل بناظريه الى الشاطىء يبحثان عن ضالته ، فما رأتا أول الامر الا حدائق قصور أغنياء منف التى تهبط الى سطح النيل بدرجات رخامية ، وسار فراسخ لايرى سوى الحقول المنبسطة حتى لمح عن بعد حديقة القصر الفرعونى فمال بقاربه الى وسط النهر ليبتعد عن منطقة الحرس النيلى ثم عرج مرة أخرى الى الشاطىء عند مقام معبد أبيس ثم أوغل شمالا محاذيا للبقعة التى لاترى الناس إلا فى المواسم والاعياد وكاد يشفى على اليأس والقنوط لولا أن رأى على بعد قريب قطيعا من الفلاحات يجلسن على الشاطىء تاركات سيقانهن فى الماء الجارى ، فخفق قلبه خفقة شديدة طردت القنوط طردا والتمعت عيناه بنور الأمل البهيج ، فاشتد ساعده وحول القارب الى الشاطىء وكان كلما قطع ذراعا التفت اليهن وأمعن النظر ، فلما أن دنا منهن واستطاع أن يرى وجوههن فرت من فمه صيحة خافتة ، كصيحة الاعمى الذى ترد اليه نعمة الابصار على حين فجأة ، وذاق غبطة الغريق الذى صادفت قدماه صخرة ناتئة وقد اشفى على الغرق ، فقد رأى الفلاحة المنشودة . صاحبة الصورة التى على قلبه ، جالسة على الشاطىء وسط هالة من اترابها ، وكان كل شىء — كما قلنا — موسوما بروح الاحلام ، فرسا القارب قريبا

منهن ووقف فيه ددف بقامته الفارعة وبزته البيضاء الانيقة . يتيه بجسم كأنه تمثال القوة المعبودة ، وجمال فاتن كأنه آله النيل انحسرت عنه أمواجه القدسية ، وجعل يرنو الى ذات الوجه الملائكى بوجه شفه الهيام والافتتان ، فتولت الحيرة الفلاحة ومضت تقلب عينيها فى وجوه صويحباتها ومضين يقلبن أعينهن فى وجهها المشرق ، وكن يظنه عابرا فلما رأينه واقفا سحبن سيقانهن من النيـل وارتدين صنادلهن وتولاهن الانـكار . .

فقفز ددف من القارب فصار على بعد ذراع منهن وقال للفلاحة بصوت رقيق

— طيب الرب مساءك أيتها الفلاحة الجميلة

فرمقته بنظرة انكار و كبرياء وقال له أكثر من صوت من أصوات العصافير المحيطة بها

— ماذا تريد منا ياسيدى ؟ ! . . سر فى حال سبيلك !

فوجه اليها نظرة عتاب وقال

— ألا تردين تحيتى ؟

فولت عنه برأسها المتوج بتاج الليل غضبا وصاحت به الكثيرات

— سر فى سبيلك ايها الشاب ، نحن لا نـكلم من لا نعرفه !

فقال ددف

— ترى هل عادة البلد الطيب الذى أنبتكن أن يلقى الغريب بمثل هذا الجفاء ؟

فقالت واحدة بحدة

— الذى يبدو على وجهك الاستهتار لا الغربة !

— كم تقسين على !

— ان كنت غريبا حقا فليس هذا المـكان بغاية الغرباء عد جنوبا الى منف أو سر شمـالا الى حيث شئت ودعنا فى سلام فنحن لا نـكلم من لا نعرفه !

فهز ددف كتفيه استهانة وقال وهو يشير الى الفلاحة الجميلة

— أن مولاتى تعرفنى حق المعرفة

فتولاهن الانـكار ونظرن الى الفتاة الجميلة فالفينها غاضبة وسمعنها تقول له

— أتفترى على كذبا ؟ !

فقال الشاب

— ابدا وحق الرب ، لقد عرفتك منذ زمن طويل وما جددت فى طلبك الا بعد ان خاننى الصبر ولج بى الشوق

فقالت الجميلة الغاضبة

— كيف تزعم هذا ومارأتاك عيناى قبل الآن ؟

وقالت احدى صويحباتها

— ولاتحب ان تراك بعد الآن !

وقالت اخرى بلهجة مرة

— ما اقبح ان يهاجم الجنود الفتيات !

ولكنه لم يبالهن وقال للتى لا تتحول عن وجهها عيناه

— طالما رأيتك وطالما امتلأت بك نفسى

— كاذب . . عديم الحياء .

— حاشاى ان اكذب ولكنى احتمل كلامك القاسى بشغف اكراما للفم الجميل الذى ينثره

— بل انت كاذب مدع يبغى طريقه عوجا !

— قلت حاشاى ان اكذب . . واليك الدليل .

قال ذلك ودس يده فى صدره وأخرج الصورة وواجهها بها وهو يقول

— هل أستطيع ان ارسم هذه الصورة دون ان تمتلىء عيناى بسناك ؟

ونظرت الصبية الى الصوره فلم تمالك ان تصيح بانكار وسخط وخوف وامتلأت نفوس البنات سخطا وهجمت عليه احداهن بغتة تريد ان تنتزعها منه ولكنه رفع بها ذراعه بسرعة البرق وابتسم ظافرا وقال

— أرأيت كيف انك ملء خيالى و نفسى ؟

فقالت بغضب شديد

— هذه خسة ونذالة

— ولمه ؟ ألانه راقنى حسن فصورته

فقال بحدة لم تخل من توسل

— رد الى هذه الصورة

فقال وعلى فمه ابتسامة حلوة

— لن فرط فيها ما حييت

— ارى انك من جنود المدرسة الحربية فاعلم ان سوء ادبك هذا يعرضك الى اقسى العقوبات

فقال بهدوء

— انى اعرض نفسى بالنظر اليك الى ما هو أشد قساوة

— ياعجبا لقد ابتليت بك ابتلاء

— وابتليت انا ابتلاء احق بالرحمة !

— ماذا اردت بهذه الصورة ؟ وما تريد منى الآن ؟

— أردت بالصورة أن تشفينى مما فعلته بى عيناك وأريد منك الآن أن تشفينى مما فعلته بى الصورة

— لم أكن أحلم قط أن يتعرض لى انسان بمثل سفاهتك ؟

— وهل كنت أحلم أنا أن أسلب عقلى وقلبى فى لحظة عابرة ؟

وهنا صاحت به فلاحة أخرى

— هل سعيت الينا لتنغص علينا سعادتنا ؟

وصاحت به أخرى وقالت

— يالك من شاب وقح سفيه ، انى انذرك بانى اذا لم تذهب سريعا استصرخت بالناس

فنظر باطمئنان الى الفضاء المحيط وقال بهدوء

— لم اعتد أن أطلب شيئا فيعز على !

فصاحت به الفلاحة الجميله

-- هل تريد ارغامى على الاستماع اليك ؟

— كلا ولكنى .. ولكنى أطمع أن يلين قلبك فيهوى الى الاستماع الى !

— واذا وجدت قلبي كالصخر لا يلين

— وهل يشتمل هذا الصدر الرقيق على صخر ؟

— انه يتحول الى صخر حيال سفاهة السفهاء

— وحيال شكوى المحبين ؟

فضربت الارض بقدمها وقالت بعنف

— يصير اشد قساوة

— ان قلب اقسى الفتيات كقطعة الثلج . اذا مسها نفس حار ذابت وتدفقت ماء نميرا . .

فقالت بسخرية

— ان هذا الكلام الذي تظنه رقيقا دليل على انك جندي فاسد . يخفي جسم فتاة خلف رداء الجندية . . ولعلك سرقت هذا الرداء العسكري كما سرقت صورتي من قبل . . .

فاحتقن الدم بوجه ددف الجميل وقال

— سامحك الرب . . انا جندي صادق الجندية ، وسيحالفني النصر على قلبك كما حالفني في جميع الميادين !

فقالت بلهجة اشد سخرية

— اي ميادين هذه التي تتكلم عنهـــا ؟ ان الوطن يتمتع بالسلام من قبل ان تتشرف بك الجندية ، فيالك من جندي يعقد له النصر في ميدان السلام والطمأنينة !

فاعتلاه الارتباك وقال

— الا تعلمين يا جميلة ان حياة التلميذ في المدرسة الحربية كحياة الجندي في الميدان ؟ ولكن لا عليك من هذا سيغفر قلبي لك سخريتك مني . .

فقالت بغيظ

— حقا اني استحق اللوم لأني صبرت على سفاهتك

وهمت بالمسير ولـكنه حال بينها وبينه وقال مبتسما

— لا ادري كيف اكتسب مودتك ؟ انا سيء الحظ . . هل لك في نزهة نيلية في القارب ؟

وارتاع البنات لتعرضه لصاحبتهن واحطن بها وصاحت به احداهن

— دعنا نذهب فقد لحقنا المغيب

ولكنه لم يدعهن يذهبن ؛ وكانت واحدة منه تطلب منه غفلة فلما لاحت لها الفرصة انقضت عليه كاللبؤة وارتمت على ساقه وتعلقت بها وعضته فى فخذه ، وارتمت عليه الفتيات جميعا منهن من تعلقت بساقه الاخرى ومنهن من احتضنته بقوة ، وجعل يقاومهن بالصبر دون المدافعة ، ولكنه عجز عن الحركة ورأى ـ وهو يكاد يجن ـ الفلاحة الجميله تجرى ناحية الحقول كالغزال النافر فناداها وتوسل اليها ! وقد اختل توازنه فسقط على الحشائش الخضراء وما يزلن يتشبثن به ولم يتركنه حتى اطمأنين الى اختفاء صاحبتهن ، وقام مهتاجا غاضبا ، وجرى فى الطريق الذى ذهبت فيه ولكنه لم ير الا فضاء فعاد قانطا وقد رجـا ان يهتدى اليها بواسطة صاحباتها ولكنهن كن دهاة فقعدن هادئات لا يبرحن اماكنهن وقالت له واحدة بسخرية

— ابق الآن او اذهب كما تشاء

وقالت اخرى بخبث

— عسى ان تكون هذه اول مرة تهزم فيها ايها الجندى

فقال بغضب شديد

— لم تنته المعركة بعد . . وسأتبعكن ولو رحلتن الى طيبة !

فقالت التى عضته

— سنبيت ليلتنا هنا . .

(١٧)

وكان الشهر الذى قضاه فى المدرسة بعد ذاك المساء الجميل أطول الشهور وأشدها قسوة وكان فى أول الامر كثير التألم لكرامته وكبريائه يسائل نفسه مغيظا محنقا كيف أخيب هذه الخيبة وماينقصنى الجمال ولا الشباب ولا القوة ولا الغنى ؟ ! وكان يديم النظر الى المرآة ويحدث نفسه ما الذى يعيبه ؟

ما الذى ينفر الحسان منه ؟ لماذا أصلته إهانة تلو إهانة وسخرية بعد سخرية ! لماذا فرت منه كما يفر السليم من الاجرب ؟ ثم يجد رغبة شديدة الى معاودتها وملاحقتها ولكنه يذكر الشهر الطويل الذى تحجزه فيه المدرسة بين جدرانها فتذهب نفسه حسرات وتسيل جوى ولوعة ، فقد يستطيع لو ثابر على مغازلتها يوما بعد اليوم أن يكبح جماحها ويلين عريكتها ويكتسب مودتها وأى فتاة تقسو الى الابد؟ ولكن أنى له هذا وهو حبيس هذه الجدران الضخمة التى ترتد عنها القسى والنبال ؟ !

وبالرغم من كل شىء ظل مفتونا بها ، لاتفارق صورتها صدره ، كى يخلو اليها كلما خلا الى نفسه؟ ترى من هى تلك الجبارة الفاتنة ؟ فلاحة صغيرة ؟ حقا أن هذا عجيب ، وأين أعين الفلاحات من عينيها النيرتين الساحرتين؟ وأين بساطة الفلاحات من كبريائها وعنادها ؟ وأين سذاجة الفلاحات من سخريتها المريرة وتهكمها المتعالى ؟ لو انه باغت فلاحة بما باغتها به لربما فرت هاربة أو استسلمت راضية ولكن هيهات ! وهل يستطيع أن ينسى جلستها وسط صويحباتها كالاميرة بين أفراد حاشيتها ووصيفاتها ؟ وهل ينسى كيف دافعته عنها مدافعة المستميت ؟ وهل ينسى كيف لبثن بين يديه بعد فرارها — لايبرحن حذرا أن يتبعهن اليها صابرات على البرد والظلمة ؟ فهل يفعلن كل هذا من أجل فلاحة مثلهن ؟ ! كلا وكلا ، ولعلها ريفية نبيلة بل عسى أن تكون كذلك حتى لايقول نافا مرة أخرى أنه وقع على كوخ متهدم ؟ ولكن هل وفق معها لكى يقول ذلك نافا مرة أخرى ؟ وأسفاه . . . ! !

ومهما يكن فقد انتهى الشهر الذى خاله لاينتهى أبدا ، وغادر المدرسة كمن يغادر سجنا رهيبا وذهب الى البيت بشوق مدخر لغير أهله وقابلهم بفرح ليس هم الباعث عليه ، وجلس بينهم بقلب غائب فلم يلاحظ ماطرأ على جامور كامن الجمود والفتور وانتظر العصر بصبر فارغ ، ذلك العصر الذى عد الدقائق اليه شهرا كاملا ، ثم انطلق إلى بقعة أبيس الطاهرة تنشد عيناه الوجه الحبيب . . !

وكان الشهر برمودة والجو معتدلا رطبا ، آخذا من البرد بقبضة تنعش واخذا من الدفء بنفس حى يغرى باللهو والهوى ، وكانت السماء بيضاء رقيقة البياض ، يشف بياضها الرقيق عن زرقة باهتة والقى على المكان العزيز نظرة ملأها الحنو وساءل نفسه المشوقة . أين الفلاحة ذات العينين الفاتنتين ؟ ترى هل تذكره ؟ أم هل لاتزال تجد عليه ؟ وهل مايزال رجاؤه لديها عسيرا ؟ أيستحيل

أن يلقى حبه صدى فى قلبها ؟ ولـكن أين هى ؟

ان البقعة خلاء لا تجيب ، صماء لا تلبي نداء ، فما من معين على البلوى أو صارخ على الشكوى ، والقلب يستشعر وحشة ويحس بدبيب الخيبة ويجثم عليه روح تشاؤم وقنوط

والوقت — اذا غره الأمل انه لا يزال أمامه متسع لمجيئها — يمر ثقيـلا بطيئا ، واذا خيل اليه القنوط ان موعدها انقضى أحس بالزمن ينطلق انطلاق السهم وكأن الشمس تركب عربة سريعة تعدو بها الى الافق الغربى .

ومضى يحوم حول المكان الذى رآها فيه أول مرة ، وجعل ينظر الى الحشائش الخضراء طمعا أن يرى أثرا لصندلها أو سحب ذيلها ، ولـكن الحشائش لم تحفـظ من جسمها اللدن أكثر مما حفظ الماء من ساقيها !

ترى هل تواظب على زيارة هذا المكان كما كانت تفعل من قبل أم انها زهدت فى نزهتها زهدا فى رؤيته ؟ أين هى ؟ وكيف السبيل اليها ؟ هل ينادى بغـير اسم ؟ هل يصرخ فى الفضاء ؟ وجعـل يدور حول المكان الحبيب حائرا ، نافد الصبر ، يتقاذفه القنوط والامل . . ولاحت منه التفاتة الى السماء فرأى الشمس تميل الى الافق ، ورأى توهجها يخبت فتقـدر العين على النظر اليه كأنها جبار مارد اذلته الشيخوخة وأطمعت فيه الضعفاء ، فذوى أمله وغرق فى لجة اليأس ، واعتلاه حزن شديد وولى وجهه شطر الحقول فرأى هيكل قرية ، فشخص اليها وما يدرى ما يفعل ، وفى منتصف الطريق التقى بفلاح ائب بعد جهد النهار الواصب فسأله عن القرية فقال الرجـل وهو ينظر الى بدلته باحترام «هى قرية آشر ياسيدى» فكاد من الياس أن يريه الصورة الساكنة على صدره ويسأله عن صاحبتها.

واستأنف رحلته ، ولم تكن له غاية محدودة ، ولـكنه وجد فى السير راحة لم يجدها فى الوقوف والدوران ، وكأن الامل الخالب الذى غرر به ساعة على شاطىء النيل طار الى ربوع تلك القرية فاتبع أثره ، وكان مساء لا ينسى . ، فقد اخترق طرقات القرية يقرأ الوجوه ويسائل الديار ، فاثار منظره الفضول ولفت جماله الانظار ، واتجهت اليـه العيون من كل صوب ، وما لبث أن وجد نفسه يسير وسط أمة من الفتيات والغلمان والصبيان وأخذ يعلو الحديث والهتاف وما وجد لضالته أثرا ءفتحاشى أهل القرية وغادرها سريعا وأسرع الخطى نحو النيل فى ظلمة من النفس وظلمة من الـكون .

كان حزينا ، يائسا ، تحرق اللوعة صدره ، وتمزق الحسرة قلبه ، وقد ذكرته حاله بمأساة الربة ايزيس حين ذهبت تبحث عن اشلاء زوجها أوزوريس التى فترها ست فى تضاعيف الرياح ، وقد كانت الام ايزيس أسعد حظا منه ، أما هو فلو كانت حبيبته طيفا من أطياف الاحلام لكان الأمل فى العثور عليه أدنى الى قلبه .

أحب ددف الجميل ، ولكنه كان حبا غريبا ، حبا بلا حبيبة ، حبا ليس عذابه الصد أو الخيانة أو ويلات الزمن وكيد الناس ، لكن عذابه انه بلا حبيبة ، كانت حبيبته كنسمة هائمة حملتها ريح هوج وذهبت بها الى حيث لا يعلم انسان . فقلبه ضائع لا يعرف له مستقرا ، لايدرى ان كان قريبا أم بعيدا ، لا يدرى ان كان بمنف أم فى أقصى بلاد النوبة ، فيالها من أقدار قاسية تلك التى حولت عينيه الى تلك الصورة التى يحتفظ بها على قلبه ، كانت أقدارا قاسية تعرفها الارواح الشريرة التى يطيب لها عذاب البشر .

« • »

وعاد الى البيت ، والتقى باخيه نافا فى الحديقه فقال الفنان

— اين كنت ياددف ؟ لقد طالت غيبتك . الا تعلم ان خنى فى حجرته ؟

فقال ددف بدهشة

— خنى ! . . احقاماتقول ؟ ولكنى لم اجده حين مجيئى . فقال نافا

— جاء منذ ساعتين وهو ينتظرك

فهرع الى حجرة الكاهن الذى لم تقع عليه عيناه منذ سنوات ، ورآه جالسا كما تعودان يراه فى الايام الخوالى والكتاب فى يده ، فلما رآه قام اليه وهو يقول بفرح

— ددف ، كيف انت ايها الضابط الهمام !

وتعانقا طويلا وقبله خنى فى خديه وباركه باسم الرب بتاح وقال له

— كم تمر الاعوام سريعا ياددف ! ان وجهك هو هو الوجه الجميل ، ولكنك تنمو نموا عظيما ، وكأنى ارى فيك صورة جندى باسل من الملوك الذين يباركهم الملك عقب المواقع الكبرى وتخلد بطولتهم جدران المعابد . . ياعزيزى ددف كم انا سعيد برؤيتك بعد هذه الاعوام الطوال !

فقال ددف والفرح يغمره

— وانا سعيد جدا ياأخى العزيز ، تالله لقد غدوت صورة صادقة من رجال الكهنوت فى نحافة جسمك وهيبة محضرك ونفاذ عينيك ، هل انتهيت من الدراسة ايها الاخ العزيز ؟

فابتسم خنى وقال وهو يجلس ويفسح له مكانا إلى جانبه

— ان الكاهن لا ينتهى من العلم ابدا ؛ لأنه لا نهاية للعلم وقد قال قاقمنا ان العالم يطلب العلم من المهد الى اللحد ويموت جاهلا ، ولكننى اتممت الدراسات التعليمية الأولى

— وكيف كانت حياتك فى المعبد ؟

فنظر اليه الشاب بعينين حالمتين وقال

— واها لك ايها الزمان ، كأنى استمع اليك قبل عشر سنوات وانت تطرح على السؤال تلو السؤال ، اتذكر ياعزيزى ددف ؟ . . لاداعى للعجب فحياة الكاهن تمضى بين سؤال وجواب او سؤال ومحاولة الجواب ، ان السؤال خلاصة الحياة الروحية ، معذرة ياددف ما الذى يهمك من حياة المعابد ؟ ليس كل ما يعرف يقال وحسبك ان تعلم انها حياة الجهاد والطهر ، انهم يعودوننا ان نجعل الجسم طاهرا مطيعا لارادتنا ثم يلقوننا العلم الآلهى ، وهل ينثر الحب الطيب الا فى ارض طيبة ؟

— وماذا انت فاعل الآن ايها الاخ ؟

— ساعمل قريبا خادما لقرابين الرب بتاح تعالى اسمه المبارك ، ولقد حزت عطف الكاهن الاكبر ، وتنبأ لى بانه لن تمضى عشر سنوات حتى انتخب قاضيا من قضاة منف العشرة . .

فقال ددف بحماس

— انى اومن بأن نبوءة قداسته ستتحقق قبل ذلك .. انت رجل عظيم ياخنى

فابتسم خنى ابتسامته الهادئة وقال

— اشكرك ياعزيزى ددف ، والآن قل لى هل تقرأ شيئا مفيدا ؟

فضحك ددف قائلا

— اذا حسبت خطط القتال وتاريخ الجيش المصرى قراءة مفيدة فأنا أقرأ أشياء مفيدة !

فسأله باشفاق

— والحكمة ياددف ؟ ! . . لقد كنت تصغى الى أقوال الحكماء بشغف وشوق فى هذا المكان قبل عشر سنوات !

— الحق أنك زرعت حب الحكمة فى قلبى ، ولكن حياتى العسكرية لاتترك لى فراغا للمطالعة التى أهواها ، ومهما يكن فقد قصرت الشقة بينى وبين الحرية

فقال خنى بامتعاض

— إن العقل الفاضل لايستغنى عن الحكمة يوما كما أن المعدة السليمة لا تزهد فى الطعام بعض يوم ، ينبغى أن تعوض مافاتك ياددف ، لاتنس هذا مطلقا ، أن فضيلة علم الحرب أنه يؤهل الجندى لخدمه وطنه ومولاه بالقوة ، ولكن الروح لاتفيد منه شيئا ، والجندى الذى يجهل الحكمة كالحيوان الامين ليس الا ، قد ينفع بوحى غيره فاذا ترك لنفسه عجز عن إفادة نفسه فضلا عن الاخرين ، وقد ميزتنا الآلهة عن الحيوان بالروح واذا لم تتغذ الروح بالحكمة هوت الى حضيض الحيوانية ، لاتغفل عن هذا ياددف لانى أشعر من اعماق قلبى بان روحك سامية وأقرأ على جبينك الجميل أسطرا باهرة من المجد والجلال ، باركك الرب فى روحاتك وغدواتك . .

وتسلسل الحديث بينهما عذبا شهيا لقلبيهما . وكان آخر ماتحدثا به زواج نافا وعلم به خنى من ددف لاول مرة فبارك الزوج والزوجة ، وهنا خطر لددف خاطر فسأله

— ألا تتزوج يأخى ؟

فقال الكاهن الشاب

— كيف لا ياددف أن الكاهن لايستطيع أن يخلد الى طمأنينة الحكمة مالم يتزوج ، وهل يستطيع المرء أن يتطلع الى السماء وفى النفس تزوع الى الأرض ؟ أن فضيلة الزواج أنه يخلص من الشهوات ويطهر الجسد . .

***

وغادر ددف حجرة أخيه عند منتصف الليل ، وآوى الى حجرته وأخذ يخلع ثيابه ويستعيد حديث الكاهن ثم أخذت تعاوده احزانه ويتذكر عذاب يومه وخيبته فيه ، وقبل أن يضطجع على فراشه سمع طرقا خفيفا فاذن للطارق بالدخول فدخلت زايا يبدو على هيئتها الوجوم وسألته

— هل أيقظتك ؟

فقال وقلبه يتوجس خيفة

— كلا يا أماه لم أنم بعد ، خيرا ؟

وترددت المرأة ، وهمت بالكلام فلم يطاوعها لسانها ، فاشارت اليه أن يتبعها ، فتبعها قلقا حتى أنتهيا الى مخدعها ، وأشارت الى الارض فنظر فرأى جاموركا ممددا كأنه أصيب بسهم قاتل فلم يتمالك نفسه أن صاح بذعر

— جاموركا . . . جاموركا . . . ماله يا أماه ؟ !

فقالت المرأة بصوت مختنق

— تشجع ياددف . . تشجع ياعزيزى .

فانخلع قلبه فى صدره وركع الى جانب الكلب العزيز الذى لم يلقه كعادته بالقفز والفرح ووثب على جسمه . فلم يبد حراكا ، فنظر إلى أمه بعينين كئيبتين وسألها

— ماله يا أماه ؟

فقالت المرأة

تشجع ياددف انه يحتضر !

فارتاع الشاب لتلك الكلمة المرعبة وقال محتجا

— كيف حدث هذا ؟ لقد لاقانى فى الصباح كعادته

— لم يكن كعادته ياعزيزى . الا اذا كان فرحه بك محا آلامه ساعتئذ ، لقد طعن فى العمر ياددف وبدا عليه فى الايام الاخيرة وهن الوداع . . .

فاشتد الالم بددف وتحول الى الصديق الأمين وهمس فى اذنه بحزن عميق

— جاموركا . . الا تسمعنى ؟ جاموركا !

فرفع الكلب الامين رأسه بصعوبة ونظر الى مولاه بعينين لا تريان شيئا كأنه يودعه الوداع الأخير ثم عاد الى نومه الثقيل . . وجعل يئن بصوت مبحوح ، فناداه مرة بعد اخرى ولكن نداءه لم يحرك به ساكنا ، وخيل اليه ان وطأة الموت تشتد على الصديق الامين . ، ورآه يلهث

ويفتح فاه ويغلقه . . ثم رآه ينتفض انتفاضة ضعيفة ويسكن الى الابد . وناداه من اعماق قلبه قائلا « جامورکا » فضاع النداء سدى . . ولاول مرة فى حياته العسـكرية ذرفت الدموع من عينيه ، وانتحب باكيا يودع رفيق الطفولة وحبيب الصبا وصديق الشباب . .

ورفعته امه بين يديها وجففت دموعه بشفتيها ، واجلسته الى جانبها على فراشها وعزته بكلمات رقيقة ، ولـكنه لم يسمع اليها ولم تنفرج شفتاه تلك الليلة الا عن قوله « اماه اريد ان يحنط ويحفظ فى تابوت فى الحديقة فى البقعة التى كنا نلعب فيها معا ، حتى ينقل الى قبرى حين يدعونى الرب . »

وهـكذا اختتم ذلك اليوم الحزين ..

(١٨)

مضى العام السادس والأخير لددف فى المدرسة الحربية

واقامت المدرسة حفلتها التقليدية السنوية التى يتبارى فيها المتخرجون قبل توزيعهم على فرق الجيش المختلفة . واشرقت حياة الفرح ـ ذلك اليوم ـ على المدرسة العظمية وازينت اسوارها باعلام الفرق الحربية وصدح جوها بانغام الموسيقى الحماسية

وفتحت أبوابها تستقبل المدعوين نساء ورجالا الذين يتـكون جمهورهم من اسرات الضباط والقواد والمتخرجين وكبار الموظفين

وبعد ان انتصف النهار حضر كبار رجال الدولة يتقدمهم الـكهنة والوزراء وعلى رأسهم صاحب القداسة خومينى ، وقواد الجيش العظام وعلى رأسهم القائد اربو ؛ وكثير غيرهم من خاصة الموظفين والـكتاب والفنانين ليكونوا جميعا فى استقبال حضرة صاحب السمو الفرعونى الامير رعخعوف ولى عهد المملـكة الذى أنابه صاحب الجلالة الملك عن ذاته فى ترأس الحفلة

ولما أزف موعد الامير هرع كبار رجال الدولة الى مدخل المدرسة ووقفوا ينتظرون بين صفين من الجنود ، ومالبث أن ظهر فى الميدان الفسيح المنبسط أمام المدرسة موكب ولى العهد تتقـدمه كوكبة من عربات الحرس الفرعونى ، فصدحت الموسيقى بالتحية ووقف الجمهور إجلالا وتعالى هتافه

لفرعون وولى عهده

ووصل موكب الامير الى مدخل المدرسة فتقدم مديرها حاملا بين يديه نمرقة من الحرير المحشو بريش النعام ترجل عليها صاحب السمو الفرعونى ، وكان فى صحبة الامير شقيقته صاحبة السمو الاميرة مرى سى عنخ وأخوته الامراء رعباونف وحردف وحرسادف وكاعب وسددف وخوفوخعف وهتا ومراب . .

وانحنى الكبراء بين يدى الامير ، وسار سموه بقامته الربعة ووجهه الصلب الذى زادته الكهولة صلابة وصلفا ، وسارت إلى يمينه الأميرة مرى سى عنخ ، واتخذ مجلسه فى الوسط وجلست الى يمينه الاميرة والامراء والى يساره خومينى والوزراء والقواد وكبار الموظفين وبعد وصول الامير سكت الهتاف وجلس المدعوون وابتدأت الحفلة ونفخ فى الصور فصدحت الموسيقى وظهرت فرقة الضباط المتخرجين ، من ناحية الثكنات تسير أربعة أربعة يتقدمها قائد المدربين حاملا علم المدرسة وقد ارتدوا للمرة الاولى ملابس الضباط ذات الوزرة الخضراء والقميص الاخضر والسترة المصنوعة من جلد النمر ، فلما أن صاروا بازاء العرش الجالس عليه صاحب السمو سلوا سيوفهم ومدوا بها أذرعهم وهى عمودية اذبتها الى السماء ، فرد الامير التحية واقفا

وابتدأت بعد ذلك المباراة العظيمة بسباق الخيل فامتطى الضباط الجياد المطهمة ووقفوا صفا ثم نفخ فى الصور فاندفعوا كالسهام المنطلقة عن أقواس مردة ، وزلزلت أرجل الخيل الارض زلزالا شديدا وكادت لشدة عدوها تغيب عن الابصار ، وثبت البواسل عليها كأنهم سمروا فى ظهورها تسميرا ، وكانوا صفا ثم فرق بينهم العدو الشديد ، ثم شذ عنهم فارس كان لسرعته كأنما يركب ريحا مجنونا وكان أسبقهم فى العودة الى المبتدأ . . وقد أذاع المدرب اسم الفارس الفائز « ددف بن بشارو » فاستقبل بهتاف شق عنان السماء ولو أتيح للشاب أن يسمع أباه وهو يهتف « لابن بشارو » بصوت كالرعد لما تمالك نفسه من الضحك !

وبعد مدة وجيزة بدأ سباق العربات ، فركب الضباط وانتظروا صفا ثم نفخ فى الصور فانطلقوا كالعمالقة يبعثون بين أيديهم رهبة ويتركون خلفهم دويا كشق الصخور وانهيار الجبال ، وكانوا على ظهور العربات يتمايلون ولا يتزحزحون كأنهم سيقان نخل راسخة هبت عليها ريح عاصفة تريد اقتلاعها

فارتدت عنها خائبه مولولة . . . ثم انطلق من بين صفوف العادين راكب ، سبقهم بقوة مارد فبدا وبدوا كأنه عاد وهم وقوف وتوجه الفوز حتى النهاية ، وأعلن المدرب اسم الفائز « ددف بن بشارو » وتعالى باسمه الهتاف واشتد له التصفيق . . .

ثم أعلن المنادى عن سباق القفز على الحواجز ، فامتطى الضباط جيادهم ، وأقيم فى وسط الفناء الطويل مصاطب من الخشب يزداد مع التقدم ارتفاعها رويدا رويدا ونفخ فى الصور فعدت الخيل بعنف وطارت فوق الحاجز الأول كأنها نسور منقضة ، وقفزت على الثانى كأنها أمواج الشلال الكاسرة ، وتقدموا يكلل هاماتهم النصر المبين ، ولكن خان الحظ البعض فعجزت الجياد غير صائخة الى صراخ فرسانها البواسل ، وسقط آخرون بين أصوات الاشفاق ، الا فارسا قفز الحواجز جميعا كأنه قدر محتوم أو فوز مجسم وأعلن النادى اسمه « ددف بن بشارو » بين التهليل والتكبير

وحالفه الفوز فى جميع المباريات فكان المبرز فى اصابة الاهداف بالرمح والقوس ، وكان المنتصر فى المبارزة بالسيف والضرب بالمزاريق ، وآتته الآلهة نصرا مبينا جعله بطل اليوم دون شريك ونابغة المدرسة العديم النظير واحله مكانة الاعجاب والتقدير فى كل قلب .

وكان على الفائزين أن يذهبوا الى ولى العهد ليهنئهم على نبوغهم فذهب ددف -- ذاك اليوم — وحده وأدى للامير التحية العسكرية فوضع الامير يده فى يده وقال له

— انى أهنئك أيها الضابط الباسل ، أولا على تفوقك ، وثانيا على اختيارى لك ضابطا فى حرسى الخاص

فطفح وجه الشاب بالفرح وأدى التحية للامير وعاد مثلج الصدر سعيدا ، وسمع فى أثناء مسيره المنادى يعلن للحاضرين تهنئة الامير واختياره له فى حرسه فخفق قلبه وذكر بالفرح أسرته . بشارو وزايا وخنى ونافا الذين يسمعون خطاب المنادى ويفرحون له الفرح الذى يجل عن الوصف .

وسارت بعد ذلك فرقة الضباط الجدد الى عرش الامير ليخطب فيهم وقام الامير وخطب فيهم قائلا بصوته الشديد النبرات

— أيها الضباط البواسل

انى أعلن على الملأ اعجابى العظيم بشجاعتكم ومهارتكم وحماستكم ، وتميزكم بسجايا الجندية الجليلة

ورجائى أن تظلوا كمن سبقكم من اخوانكم عنوان مجد للوطن ولفرعون رب العالمين

وهتف الضباط للوطن ولفرعون ، وبذلك أعلن انتهاء الحفلة وغادر الامير المدرسة وعاد فى موكبه الرسمى الى القصر الفرعونى وانصرف المدعون .

وكان ددف فى تلك الاثناء فى حالة غريبة من الذهول اشذته عما حوله ، لا يرجع تفسيرها الى نشوة الفوز ولكنه الى أمر أعظم رهبة فى نفسه وأمعن أثرا . اذ كان يستمع مع زملائه الى خطاب الامير . وتحركت عيناه الى الخطيب فعثرتا فى طريقهما بوجه الاميرة مرى سى عنخ فرآى منظراً عجبا انخلع له قلبه فى صدره وكاد لقوة المباغتة أن يصعق صعقا ويخر على وجهه خرا ، يا آلهة السماوات ما هذا الذى يرى ؟ ! انه وجه الفلاحة التى يحمل صورتها على قلبه ؟ وود لو يستطيع أن يديم النظر اليه ولكنه خشى أن يفتضح أمره فنظر الى الامام لايلوى على شىء . وانتهت الحفلة ولما يفق من وقع المفاجأة والدهشة فعاد الى الثكنات كمن به مس .

ترى هل يمكن أن تكون فلاحته الجميلة هى صاحبة السمو الاميرة مرى سى عنخ ؟ ياله من أمر بعيد عن التصديق ، عسير على تصور الخيال

ومع هذا هل من الميسور ان يصدق بوجود وجهين بهذا الجمال الفتان ؟ وهل ينسى ما لاقته به صاحبة الصورة من كبرياء لم يكن قط من أخلاق الفلاحات ؟ ولكن جميع هذا لا يسوغ له قبول هذا الفرض الغريب ، فليته استطاع ان يتحقق من قسمات وجهها !

اما لو كانت هى الاميرة فقد اتى امرا كبيرا لا يستطيع ان يتنبأ بعواقبه ولم يتمالك عند ذاك من ان يضحك ضحكة ساخرة مريرة ويقول لنفسه . ياللغرابة ! ان ددف بن بشارو يحب الاميرة مرى سى عنخ ! ثم نظر الى الصورة طويلا بعينين حزينتين و تنهد قائلا

— هل حقا انت الاميرة الجليلة ، كونى فلاحة بسيطة ، فرب فلاحة مفقودة اقرب الى القلب من اميرة موجودة !

---

(١٩)

وتأهب ددف لمغادرة قصر بشارو - لاول مرة - كرجل مستقل ، تاركا فى النفوس حزنا ممزوجا هذه المرة - بالفخر والاعجاب - وقد قبلته زايا حتى بللت خده بدمعها ، وباركه خنى ودعا له - وكان يأخذ أهبته ايضا لترك البيت الى المعبد . ، وشد نافا على يده بحرارة وقال له « ان نبؤتى تحققها الايام ياددف » وودعه كذلك عضو جديد فى اسرة بشارو هى مانا ابنة كامادى زوج نافا ، اما بشارو العجوز فقد وضع كفه الغليظ على كتفه وقال له بخيلاء « انى سعيد ياددف لانك تخطو الخطوات الاولى فى طريق والدك العظيم » ولم ينس ددف ان يضع زهرة لوتس على تابوت جامور كا قبل ان يودع بيته فى طريقه الى قصر صاحب السمو الفرعونى الامير رعخعوف ..

ومن المصادفات السعيدة انه وجد ان زميله بمخدعه بشكنات قصر الأمير صديق قديم ترجع صداقتهما الى زمالة الصبا ، وكان شابا ودودا مخلص القلب ، صريحا ثرثارا ، ففرح بمقدم صديقه القديم واستقبله استقبالا وديا وقال له ضاحكا

— أدائما فى اثرى ؟

فابتسم ددف وقال

— مادمت فى طريق المجد

— المجد لك ياددف ، لقد كنت الفائز فى سباق العربات اما انت فجندى لم يسبق بمثله ، انى هنئك من صميم قلبى

فشكره ددف ، وفى المساء احضر سنفر من صوان ثيابه زجاجة من خمر مريوط وكأسين من الفضة وقال

— اعتدت ان اشرب كأسا من خمر مريوط العذبة قبل النوم وهى عادة مفيدة .. الا تشرب ؟

— انى اشرب الجعة ولكنى لم اذق الخمر !

فقال سنفرو مقهقهاً

— اشرب . . ان الخمر داء الجنود

وعلى حين فجأة قال له بلهجة جدية

— أيها الاخ ددف ، أنك مقبل على حياة صارمة

فابتسم ددف بشيء من الاستهانة وقال

— لقد الفت نفسى حياة الجندية

فقال سنفر

— جميعنا يألف حباة الجندية ، ولكن حياة صاحب السمو شيء آخر

فبدت الدهشة على وجه ددف وسأله

— ماا تعنى ؟

— انى أنصحك أيها الاخ بدافع الاخوة لتكون على بينة من الامر ولتأخذ حذرك فان خدمة الامير شدة لامثيل لها

— كيف ؟

— ان سموه شديد القسوة ، له قلب كالحجر أو أشد صلابة ، الهفوه عنده خطأ مبين والخطأ جريمة لاتغتفر ، وستجد فيه مصر حاكما صارما ، لايداوى الجرح بالبلسم كما يفعل جلالة والده أحيانا ولكنه لايتوانى عن بتر العضو لأهون خلل يعتوره !

— إن الملك الحازم يحتاج الى شيء من القسوة

— شيء من القسوة . . لا القسوة كلها ، سترى كل شيء فى حينه فلا يكاد يفوت يوم لا يصدر فيه عقوبات عده يصيب بعضها الخدم وبعضها الجند وبعضها الوكلاء وربما أنصبت على الضباط ، وان الايام لتزيده صلفا وخشونة !

فقال ددف

— العادة ان تلين عريكة الرجل بتقدم العمر ، هكذا يقول قاقمنا

فضحك سنفر ضحكا عاليا وقال

— لا يجمل بالجندى أن يستشهد فى كلامه بقول حكيم هكذا يقول صاحب السمو ! ، وان حياة سموه لتشذ عن رأى قائلنا ، لماذا ؟ . . انه فى الاربعين . . ولى عهد فى الاربعين من عمره ! ، تأمل !

فنظر اليه الشاب بعينين متسائلتين فاستطرد سنفر بصوت خافت

— يود أولياء العهد لو يحكمون شبابا ، فاذا قست عليهم الاقدار انقلبوا قساة !

— اليس سموه متزوجا ؟

— وله بنون وبنات

— فالعرش مضمون لنسله !

— هذا لا يغنى عن الاسف شيئا . . وليس هذا ما يخشاه الامير

— فما الذى يخشاه ؟ ان اخوته مخلصون لقوانين المملكة

— مافى هذا شك ، ولعلهم لا يطمعون فى شىء لان أمهاتهم من الحريم ، وجلالة الملكة لم تلد سوى ولى العهد وشقيقته مرى سى عنخ فالعرش من حق هذين الاثنين قبل أى انسان، ولكن الذى يقلق له الامير هو . . قوة بنية جلالته !

— ان فرعون معبود مصر جميعا

فنظر الضابط إليه وقال

— بلا جدال . . انى يخيل الى انى استشف أمانى النفوس التى تعيش فى الاعماق دون ان يسمح لها الضمير الحى بان تطفو ، معاذ الرب ان يوجد خائن فى مصر . . كلا ايها الآخ ، والآن قل ما رأيك فى خمر مربوط ؟ . . انى طيبى ولكنى غير متعصب

فقال ددف

— هى خير ماقدمت يا سنفر

واكتفى سنفر بهذا المقدار من الحديث وقام للنوم ، أما ددف فلم يذق جفنه المنام ، لان ذكر مرى سى عنخ على لسان صاحبه أثار شجونه ولو اعجه كما يثير الطعم الملقى على سطح الماء خافى السمك ، فاهتاجت نفسه وتبلبل فكره وقضى سواد الليل يناجى قلبه المحزون

(٢٠)

وكان فى قصر ولى العهد يحس من الاعماق بأنه قريب من ذاك السر الغامض وأنه يعيش فى الافق الذى يشرق فيه ، وان لابد أن يشع عليه شعاع من أشعته الوهاجة ، وكان ينتظر على أمل وخوف ولذة ، وانه ليتجول فى مروج القصر المطلة على النيل ، والوقت يسير بين العصر والاصيل وشمس هاتور تنسكب أنوارا بهيجة ترد الزمان الهرم الى عنفوان الشباب وبهاء الفتوة واذا به يرى سفينة ملكية ترسو الى سلم الحديقة ، ولم يكن فى استقبالها أحد من الحجاب ، فاسرع — كما يقضى واجبه — الى استقبال الرسول الكريم ، ووقف تلقاء السفينة كالتمثال الجميل .

ورأى صورة آلهية كريمة تتخفى فى ثياب الاميرات تنزل من السفينة وتصعد أدراج السلم فى عظمة فرعونية ورشاقة خيالية كأن ثقلها ينجذب الى أعلا لا الى أسفل . رأى صاحبة السمو الاميرة مرى سى عنخ . !

واستل سيفه الطويل وأدى عليه التحية العسكرية ، ومرت به الاميرة كالحلم الجميل وسرعان ماغيبتها متعرجات الحديقة .

كيف لا تكون هى هى ؟

ان البصر يخدع . والسمع يخدع ،أما القلب فلا يخدع أبدا ولو لم تكن هى ذاتها ما خفق هذه الخفقة الشديدة التى كاد لها ينخلع ، ولما تركه من النشوة كالسكران المترنح ، ولكن ما بالها لاتحس به ، ولا تذكره وقد جرى بينهما من الامر ما يستحق التذكر ؟هل يمكن أن تنسى هكذا سريعا تلك المقابلة الغريبة؟أم أنها تتناساها ترفعا عن ذكرها

وما الفائدة من أن تذكره أولا تذكره ؟ وما الفرق بين أن تكون الاميرة هى صاحبة الصورة أو تكون أخرى تشابهها ؟ فالقلب ما خفق بالحب الا لهذه الصورة البهية وسيظل يخفق لها سواء أحلت بجسم أميرة من البيت الفرعونى أم بجسم فلاحة من قرى منف ، وسيظل على يأس منها فى الحالتين ، فما من الحب بد ، وما من اليأس بد .

والقى بنظرة الى الاشجار المتفرعة . وشاهد الاطيار تتجاذب اغصانها ، وهى لا تكف عن التغريد وينبىء مظهرها الفرح عن الهيام والوداد ، فاحس نحوها بعاطفة لم تزر قلبه من قبل . احس نحوها بالحسد ان تلهو بغير حساب وان تعشق بلا عذاب وان تسمو بفطرتها عن الأوهام والشكوك ، ثم نظر الى حسامه والى بدلته ذات الالوان والى قلنسوته ذات الكبرياء فاحس بصغار ووجد رغبة الى الضحك المرير والهزء الأليم .

لقد اتقن الرماية وبرع فى ركوب الخيل وتفوق فى المبارزة ونال كل ما يتمناه شاب طموح ولكن ما اعجزه عن اسعاد قلبه ! وقد كان نافا اسعد حظا فتزوج من مانا ذات الجيد الطويل والعينين العسليتين ، وسوف يتزوج خنى فى هدوء وبساطة لانه يرى الزواج واجبا دينيا ، اما هو فيلبث حاملا بين اضلعه حيا يائسا مكتوما ، يذوى به قلبه كما تذوى الشجرة الفارعة اذا منعت نور الشمس وماء النيل

وظل ملازما لموقفه يعلل نفسه برؤيتها مرة اخرى ، ولم يكن يشك فى ان الزيارة غير رسمية والا لعلم بها كل من فى القصر ولاستقبلت الاميرة استقبالا يليق بمكانها فى الاسرة المالكية - وعلى هذا لا يبعد مطلقا ان تعود الى السفينة بمفردها ، وصدق بعض ظنه فعادت الاميرة بعد ان ودعها صاحب السمو الملكى عند مدخل القصر

وكان ددف بمكانه عند سلم الحديقة ، فوقف مستعدا حتى اذا صارت بازائه سل سيفه وادى التحية ، وعلى حين فجأة توقفت الاميرة والتفتت اليه فى نبل وكبرياء وقالت بلهجة ساخرة

— هل تعرف واجباتك ايها الضابط ؟

فقال ددف وقد زلزلت نفسه

— نعم ياصاحبة السمو

فسألته بلهجة مرة

— هل من الواجب ان تخطف الفتيات فى غير زمن الحرب ؟

فاستولى الارتباك عليه وتلبثت لحظة تحدجه بنظرة قاسية ثم قالت

— وهل من واجب الجندى ان يغدر ؟

فلم تحتمل نفسه الالم وقال

— كلا يامولاتى . . ان الجندى الشجاع لا يغدر !

فسألته بسخرية

— فما قولك فيمن يتربص بالآمنات خلف الشجر ويصورهن خلسة ؟

وغيرت لهجتها فقالت بصلف

— يجدر بك ان تعلم انى اريد تلك الصورة

واطاع ددف كما تعود ان يطيع فدس يده فى صدره واخرج الصورة من مخبئها الدفين وقدمها الى الاميرة

ولم تكن تتوقع هذا ، فبدت على وجهها - بالرغم من كبريائها - الدهشة ، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ومدت يدها البضة واخذت الصورة ،

ثم سارت فى طريقها الى السفينة يحوطها الجلال والعظمة

(٢١)

وظلت حياة ددف فى قصر الامير لايشرق فى أفقها جديد حتى كان يوم عرف فيه قلبه مشربا للالم جديدا . .

فى ذلك اليوم خرج صاحب السمو الامير رعخعوف فى بدلة التشريفه الكبرى تتقدمه كوكبة من الحرس كان بين ضباطها صديقه سنفر ، وعاد الامير لدى المساء ، ورجع سنفر الى مخدعه فى الوقت الذى رجع فيه ددف اليه بعد قيامه بواجب الحراسة وتفقد الحراس ، وكان من الطبيعى أن يسأل صاحبه عن دواعى خروج الامير بتلك الحال التى لاتتأتى الا فى الاعياد ولكنه كان يعلم بطبعه الذى لايستطيع السكوت على سر ، وفى الواقع مااستراح سنفر قليلا حتى قال وهو يرتدى منامته

— اتعلم الى أين ذهبنا اليوم ؟

فقال ددف بهدوء

— كلا

فقال سنفر باهتمام

— حضر اليوم الى منف صاحب السمو الامير ابوور حاكم مقاطعة أرسينة وكان ولى العهد فى استقباله!

فسأله ددف

— أليس سموه ابن خال جلالة الملك ؟

— بلى ، ويقال إن سموه جاء يحمل تقريرا عن قبائل سيناء التى تعددت حوادثها فى ربوع الدلتا الشرقية

— اذا فسموه رسول حرب؟

— نعم ياددف ، والذى علمته يدل على أن ولى العهد كان يميل منذ زمن طويل الى تأديب قبائل سيناء وأن القائد اربو كان يؤيده فى رأيه ، ولكن الملك كان يفضل التريث ريثما تستعيد البلاد قواها بعد الجهد الجهيد الذى بذله فى أوجه العمران واخصها بناء هرم الملك ، ولما مضت فترة الاستجمام استنجز الامير فرعون ماوعد ولكن يقال أن جلالة الملك منهمك هذه الايام فى تأليف كتاب عظيم يرجو أن يجعل منه المصريين أكبر مرشد للدين والدنيا فلم يبد جلالته استعدادا للتفكير جديا فى مسألة الحرب ، فاستعان الامير رعخعوف بقريبه الامير ابوور واتفق معه على أن يحضر بنفسه ليطلع الملك على حقيقة عبث القبائل واستهتارها بهيبة الحكومة ومايخشى من تماديها إذا طال السكوت عليها ، فلا يبعد وقد اتى الامير أن تسير فرقة من الجيش الى الشمال الشرقى فى القريب العاجل

وساد الصمت فترة وجيزة ثم قال سنفر بدافع من حب الكلام

— وقد أولم جلالة الملك وليمة عشاء للامير ، حضرها جميع أعضاء البيت الفرعونى وعلى رأسهم جلالة الملكة والاميرات . .

نخفق قلب ددف لدى ذكر الاميرات ، وذكر الاميرة الفاتنة ذات البهاء والكبرياء فتنهد وهو لايدرى تنهدا جذب اليه سمع سنفر فنظر الشاب اليه منكرا وصاح

— وحق بتاح انك لاتصغى لما أقول !

فانزعج ددف وقال

— كيف تقسم على هذا ؟!

— لانك تتنهد تنهد من أعجزه فكره وفر الى حبيبه

فاشتد خفقان قلبه وحاول أن يقول شيئا ولكن سنفر لم يمكنه من غايته فضحك ضحكا عاليا وقال باهتمام

— من هى ؟ . . من هى يا ددف ؟ . . آه . انك تنظر الى نظرة انكار ؟! لن ألح عليك الآن فسأعرفها يوما وهى أم أبنائك ، يا للذكرى ! اتدرى يا ددف ؟ . لقد تنهدت فى هذا المخدع منذ عامين كتنهدك هذا وبت ليلى أناجى أطياف الاحلام وفى العام الثانى صارت زوجى المحبوبة وهى هذا العام أم ابنى فانا . فيالها من حجرة موبوءة بالغرام ! . ولكن الا تقول لى من هى ؟

فقال ددف بحدة أملتها علية أحزان قلبه

— انت واهم يا سنفر !

— أواهم أنا ! أشباب وجمال وقوة وجفاف ؟! مستحيل !

— هو الحق يا سنفر !

— كما تشاء يا ددف ، فلن الحف عليك بالسؤال ، وبمناسبة حديث الغرام هذا أقول لك انى سمعت همسا فى أروقة القصر الفرعونى يدور حول ذكر أسباب أخرى لمجىء الامير أبوور غير سبب الحرب الذى حدثتك عنه

— ماذا تعنى ؟

— يقولون انه ستتاح للامير فرصة مشاهدة صغرى الاميرات عن كثب وهى ممن يضرب بجمالهن المثل ، فربما زف الى الشعب المصرى قريبا بشرى خطبة الامير ابوور للاميرة مرى سى عنخ وكان هذه المرة شديد الخور ، فتماسك وكتم عواطفه ، وتلقى الضربة بصبر عجيب ، ولم يعلن وجهه عن شىء مما يعترك فى قلبه وامن خطر عينى صاحبه النافذتين ولسانه الثرثار الالبم ، وحاذر ان يعلق على كلام صاحبه بكلمة ، أو ان يستزيده من الايضاح خشية أن تفضحه نبرات صوته ، فصمت صمتا ثقيلا رهيبا كأنه جبل شامخ أقيم على فوهة بركان

ولم يكن يدرى سنفر ما بصاحبه فاستلقى على فراشه وقال وهو يتثاءب

— ان الاميرة مرى سى عنخ على جمال عظيم . ألم ترها ؟. انها أجمل الاميرات،وهى كشقيقها ولى العهد شديدة الكبرياء ذات ارادة من حديد ، ويقولون انها تتمتع بحب لا نظير فى قلب فرعون فثمن جمالها سيكون عاليا بلاريب . . حقا ان الجمال يذل أعناق الرجال »

وتثاءب سنفر مرة أخرى وأغمض عينيه ، وكان ددف يرمقه على ضوء المصباح الخافت بعينين كدرهما الحزن والاسى ، فلما ان اطمأن الى استسلامه للنوم أطلق لنفسه عنان التألم والحزن، وتيابه الفراش وأحس بضيق شديد يزهق النفوس فترك الفراش على أطراف أصابعه وانسل الى خارج الحجرة ، وكان الجو رطبا والنسيم باردا والليل حالك الجلباب تلوح أشجار النخيل فى ظلمته كأشباح نائمة أو أرواح تعسة أضناها الخلود .

(٢٢)

وبعد انقضاء بضعة أيام علم كل من فى القصر ان سمو ولى العهد دعا الأمير ابوور وصاحبة السمو الاميره مرى سى عنخ وشتيتا من الامراء والأصدقاء الى رحلة صيد بالصحراء الشرقيه

وفى صباح اليوم الموعود جاءت الأميرة مرى سى عنخ وكان وجهها كهالة من بهاء ونور يشرق سناه على القلوب فيعمرها بحياة الافراح ، وجاء على أثرها سمو الامير ابوور مصحوبا بالحاشية وكان فى الخامسة والثلاثين ، قوى البنيان ، مهيب الطلعة ، يدل مظهره على النبل والشرف والبسالة

وكان كبير حجاب القصر يشرف بنفسه على اعداد قافلة الصيد وتزويدها بما يلزمها من الماء والزاد والسلاح والشباك ، واختار رئيس الحرس لمرافقتها مائة جندى من جنود الحرس جعل على قيادتها عشرة ضباط من بينهم ددف ، وهؤلاء غير الخدم ومساعدى الصائدين ، ولدى نزول ولى العهد الى حديقة القصر تحركت القافلة العظيمة ، وكانت تتقدمها كوكبة من الفرسان الخبيرين بطريق الصيد ، وسار خلفهم صاحب السمو الفرعونى الأمير رعخعوف والى يمينه الاميرة الفاتنة مرى سى عنخ والى يساره الامير ابوور ، تحيط بهم هالة من الامراء والنبلاء ، وتبعت ذاك الموكب الجليل عربة تحمل قرب المياه واخرى تحمل الزاد وادوات الطهى والخيام تليهما ثالثة ورابعة وخامسة

تحمل ادوات الصيد والقسى والسهام . تسير جميعا بين صفين من الفرسان وتتبع العربات القوة الباقية من فرسان الحرس المرافق للرحلة يتقدمها ضباطها الذين كان منهم ددف . . وسارت القافلة صوب الشرق تاركة خلفها المدينة العامرة والنيـل المعبود تولى وجهها شطر الصحراء لا ترى حيثما تلقى الطرف الا فضاء . وافقا رحيبا يعز بلوغه على الانسان مهما طال به المسير كأنه ظله الممدود امامه يتقدمه كلما تقدم

وكان صباحا نديا ، وكانت الشمس طالعة يفرش سناها ارض الصحراء ببساط من الانوار ولكن جعلها النسيم البارد السـارى فى تضاعيف الهواء بردا وسلاما عليهم فـكانوا تحت اشعتها كالاشبال بين انياب اللبؤة . .

وتقدمت القافلة فى طريقها تتبع المرشدين . .

وكان ددف إذا ارسـل الطرف يرى عن بعد الاميرة الصغيرة التى استبدت بقلبه واصلته جوى اليما ، تمتطى صهوة جوادها المطهم وتتمايل على متنه كالغصن الرطيب ، وكانت تبـدو على سيماها الجلال والـكبرياء إلا أنها كانت تنظر إلى شقيقها احيانا تحادثه او تستمع إليه فيلوح نصف رأسها الايسر كصورة الام ايزيس على جدران المعابد ، وشاهد الشاب الامير ابوور يميل بقامته المتينة البنيان ويحادثها ويبتسم ، وشاهدها تحادثه وتبتسم ، وكانت المرة الاولى التى يرى فيها ذاك الـكبرياء والبهاء يجود بابتسامة ، كأنها سماء مصر صفاء وحسنا وجمالا وندرة غيث

ودبت الغيرة السامة فى قلبه الطاهر النبيل وارسل الى الامير السعيد نظرة ملتهبة ، ذلك الامير المجدود الذى جاء رسولا للحرب فالتقى فى طريقه برسول السلام والحب . . وعانى قلبه انفعالات مريرة لم تعهدها نفسه الصافية من قبل ومضى يحادث نفسه حديثا ثائرا غاضبا . . .

ايجوز ان يهوى قلبه ويذوى بهواه فى برودة القنوط ويخسر الدنيا جميعا ؟ . . ايعقل ان يصلى نار الحب وعذابه ومن يهوى يسير على بعد قفزة جواد منه ؟ فما قيمة الحيـاة ؟ وما قيمة الآمال التى تمد نفسه بالقوة والجـلاد ؟ بل ما اشبه حياته بحيـاة وردة غضة لم تنشق عنها اكمامها ، عاجلتها ريح صيف عاصفة ، فاقتلعتها من غصنها الحنون ودفنتها فى رمال الصحراء الملتهبة . .

من ذاك العبد الذى يسمونه بالطاعة ؟ ومن ذلك الظالم العاتى الذى يدعونه بالواجب ؟ ما الامارة

وماالعبودية ؟ كيف تهصر هذه الاسماء قلبه وترمى به فى هوة اليـأس الأليم ؟ لماذا لايسل حسامه ويهجم بجواده البرق على تلك المتمالية القاسية ويحملها قوة واقتدارا ويغيب بهـــا فى بطن الصحراء ويقول لها بصوت جهير انظرى الى ، ها أنا رجل جبار وانت امرأة ضعيفة ، ابسطى هذه التقطيبـة التى رسمتها على جبينك تقاليد القصر الفرعونى ونـكسى هذه الدقن التى رفعتهـــا عادات الامـارة والسيادة . وتطهرى من هذه النظرة العالية التى تعودت على أن تلقيها من عل على الركم السجود ، وتعالى جاثيه بين يدى فان شئت حبا رويتك بالحب وأن ابيت الا استكبارا . . .

ياله من هذيان كغليان المرجل المـكتوم ، ويالها من غضبة مختنقة عديمة الاثر ، وهاهى القافـلة تسير وها هو الهوى يلعب بالقلوب فتتمايل لسحره القدود وتفتر الشفـاه وهاهى الصحراء الواسعـة تشهد فى صمتها الابدى . . يالها من صحراء ! وقد تأمل الخلاء مليا ، فانتشلته الرهبة من لجة احلامه وآلامه وافرغت فى قلبه الاعجاب والاجلال ، وكأن القافلة فى ذلك المحيط الجليل قبضه من ميـاه فى بحر خضم لاترى له شطئان ، وماحرى الحدأة المحلقة أن تراها كتلة من الـكتـاكيت . . واهـا ماحبه ! وما آلامه . . من يحس بها فى ذلك الفضاء الفسيح ؟ كم شهد من محبين وغير محبين منذ عهد مينا ؟ وقد ضاعت ذكراهم كما يضيع النداء فى ذلك الـكون اللانهائى . . فما ددف وماحبه ؟ !

وانتبه بغتة — على صهيل جواده — الى ماحوله وكانت القافلة تتقدم تقدما مطردا حتى بلغت مقدمتها بقعة الريان وأناخت عندها ، وكانت بقعة الريان من أصلح نواحى الصحراء للصيد ، وكان يمتد بها جبل ست من الشمال الى الجنوب وهو مأوى للحيوانات المختلفة التى يغرم الهاوون بصيدها ويمتد من سفح جبلها الى مايليه شرقا تلان عـظيمان يحصران بينهما رقعة واسعـة من الصحراء ثم يضيقان كلما امتدا شرقا حتى لايفصل بينهما الا عشرون ذراعا فى مكان نادر المثال اعدته الطبيعـة للصيد والقنص والطرد

وكان السادة يحسون ببعض التعب فسارع الخدم والجنود الى نصب الخيام وعنى آخرون بتهيئة أدوات الطهى وأوقدوا النيران ، وكان العمل يسير بهمة ونشاط فما هى الا دقائق حتى تهيـأ معسكر كامل من خيام ومرابط للخيل ومطبخ ميدان واخذ الحراس أماكنهم وآوى الامراء الى الخيمة الـكبرى المرفوعة على عمد من الخشب المـكفت بالذهب الخالص . . واستراح الأمراء ساعة

فاستعادوا نشاطهم وقوتهم ثم قاموا للصيد . .

ونصب الخدم شبكة صيد عظيمة عند مقترب التلين وتفرق الجند على أضلاع المثلث الذى يرسمه جبل ست والتلان الملتقيان بالشبكه العظيمة ، وعدا آخرون الى سفح الجبل ليثيروا الحيوانات المطمئنة فى حين أن امتطى الامراء جيادهم ، وتفقدوا أسلحتهم وتوزعوا فى الميدان الفسيح وكل على أهبة الاستعداد

وامتطت الاميرة مرىسى عنخ جوادها الكريم ووقفت به أمام الخيمة الكبرى ، تشاهد الصراع المرتقب حينا بعد حين بين الانسان والحيوان . . وكانت تراقب حركات الامراء بعينين عظيمتى الاهتمام ، والظاهر أنها استبطأت الصيد والطرد فسألت — بصوت مسموع — الضباط الذين يقفون وراءها دون أن تلتفت اليهم

— مالى لاأرى صيدا ؟

فاجابها صوت تعرفه حق المعرفة

— ذهب الجنود ينفرونها ، وعما قليل تربنها ياصاحبة السمو اذ تهبط من سفح الجبل وهى تعوى وتخور وتزأر . .

وامتد نظرها الى سفح جبل ست ، وصدق الضابط فى قوله ، فما لبثت أن رأت فصائل من الغزلان والارانب والايل تنحدر فى مشياتها المختلفة جاهلة بما تخبئه لها المقادير ، وتحفز الأمراء على ظهور الجياد ، ثم انطلق كل الى هدفه ، وابتدأت المعركة ، وكانت همة الصائدين موجهة الى مطاردة الوحوش وتوجيهها الى مضيق التلين حيث تنتظرهم الشبكه فاغرة فاها

وكان الامير رعخعوف أمهر الصائدين قاطبة ، وقد تبدت للعيان خفته ورشاقته ، وكامل تسلطه على جواده وحسن توجيهه له وبراعته فى محاورة الوحش وحصاره وسوقه أمامه الى غايته المنشودة . . فلم يكن يفشل طراده ولايخيب تصويبه فانهك كلابه تعبا فى طلاب ضحاياه العديدة

وأظهر الامير أبوور كذلك مهارة نادرة المثال فاثار الاعجاب بسرعة انقضاضه ودقة اصابته الاهداف وخفة حركاته وكان فارسا لايشق له غبار

ومضى الامراء فى لهوهم العنيف والوقت ينطوى خلسة ساعة بعد ساعة وكاد الصيد ينتهى فى

سرور لامزيد عليه لولا وقوع حادث كدر الصفو وافزع القلوب . . إذ كان الامير رعخموف يطارد غزالا نافرا تحت سفح الجبل ، وانه ليمر — فى عدوه — بربوة عالية اذ اعترض سبيله وراءها أسد هائل الهيكل كاشر الانياب ، فصرخ جند كثيرون يحذرون مولاهم ولم يكن الامير متأهبا لمثل هذا اللقاء الخطر المفاجىء ولكنه كان ثابت القلب صلب العزيمة فوضع يده على رمحه يريد أن يستله من قرابه ، ولكن الاسد لم يمهله فوثب وثبة عظيمة وضرب الجواد بيده الجبارة على وجهه وكان يريد فارس الجواد بنفسه فلم يبلغ اليه ، وسرعان ماثقلت أقدام الجواد وخارت قواه وترنح كالثمل وأوشك على السقوط ، وكان الاسد ينكمش استعدادا لوثبة أشد من الاولى . . وتتابعت الحوادث سراعا فتمكن الامير من أشهار رمحه وصوبه نحو الاسد المتوثب وقذفت بقوة ، وفى تلك اللحظة سقط الجواد فاقد الحياة من أثر ضربة الاسد ، فاخطأ الرمح مرماه ونجا منه الاسد ، ووقع الامير الجليل على ظهره فغدا تحت رحمة الاسد الكاسر اعزل من كل سلاح . .

وفى تلك الأثناء كان الامراء والجند والضباط يطلقون لجيادهم العنان نحو الامير المهدد كل يود لو يفتديه بروحه ، وكان ددف يطير بجواده فى الهواء طيرا ، فكان يطوى المسافة التى تفصله عن الامير طيا سريعا ، وقد سبق الجميع اليه وصادف وصوله وثوب الاسد وثبته القاضية فلم يضع لبه ، وسل رمحه الطويل وأمسكه بيديه ووثب من ظهر جواده المنطلق كالسهم شاهرا رمحه فسقط كشهاب نارى على الاسد الغاضب وانغرس رمحه فى فم الوحش ونفذ منه الى الارض الرملية وصاحبه معلق به لا تدعه يداه . ولحق به الامراء والجند فاحاطوا بالامير وأطلقوا سهامهم على الاسد المحتضر فقضوا عليه ؛ وحضرت الاميرة مرى سى عنخ على ظهر جوادها وكانت مرتاعة مذعورة يكسو وجهها الجميل لباس الخوف والرعب فلما رأت شقيقها واقفا معافيا سليما ترجلت عن جوادها وهرعت اليه وعانقته وهى تقول بامتنان صادر من أعماق قلبها .

— حمدا للرب الرحيم بتاح

وأقبل الامراء على ولى العهد يهنئونه بالنجاة وصلوا جميعا للرب بتاح شكرا وامتنانا

وكان الامير رعخموف ينظر الى جواده القتيل باسف ظاهر ، وسار الى جثة الاسد الذى كاد يورده حتفه فرآها والسهام تغشاها كشعر القنفذ ثم نظر الى الفارس الواقف الى جانبها كالتمثال الجميل

وسرعان ما تذكره وعرف فيه البطل الذى اختاره بنفسه ليكون بين ضباط حرسه الخاص فكأن الالهة اختارته بيده لهذه الساعة العصيبة وأحس الامير نحوه باعجاب وامتنان فاقترب منه ووضع يده على كتفه وقال

— أيها الضابط الباسل. لقد أنقذت حياتى من الموت المحقق، وسأجزيك على بطولتك العديمة المثال بما أنت أهله من الخير

وتقدم الاميرابوور من ددف وكانت تهز نفسه النبيلة أعمال البسالة فشد على يده بحرارة وقال

— أيها الجندى الشجاع، لقد أديت للوطن والملك خدمة فوق مثال التقدير

ثم عادوا جميعا الى المعسكر، يخيم عليهم صمت ثقيل ويشتت نفوسهم الذهول الذى يعقب النجاة من خطر داهم، وفى أثناء الطريق قال أحد رجال حاشية الامير أبوور له

— لم ترض الآلهة أن تفجع قلب الملك الكبير الذى يحبس ذاته العالية فى حجرة التابوت الموحشة يكتب للشعب الذى يحبه رسالة النجاة من الشر والامراض. وهل جزاء الاحسان الا الاحسان؟!

واستراح السادة الاجلاء ثم قدمت لهم مائدة الطعام ودارت عليهم كؤوس مترعة بخمر مريوط وأمر الامير الخدم أن يوزعوا على الجند كؤوسا من خمر مريوط ابتهاجا بنجاته فشرب الجند وصلوا للرب صلاة الشكر ثم انشدوا جميعا نشيد فرعون باصوات كهزيم الرعد دوت فى فضاء الصحراء ولبثوا ما لبثوا ثم تأهبوا للرحيل فرفعت الخيام والاثقال وغنائم الصيد، وسارت القافلة على نفس الترتيب الذى أتت به الا أن الامير أمر الضابط ددف أن يسير فى معيته فاعلن بذلك عن نيته فى جعله من الخاصة المقربين.

وخفق قلب الشاب الشجاع بنشوة المجد والفرح لانه لا يحظى بهذا الشرف العظيم الا الامراء ورجال الدولة المبرزين، وأحس بسعادة لا توصف اذ يسير فى جناح هالة تتوسطها الاميرة مرى سى عنخ، وخالها تسمع دقات قلبه العنيفة الخافقة بالحب والهيام.. وما كان يستطيع أن يعطف رأسه اليها ولكنه كان يرى وجهها الجميل رؤية العين يراه فى الفضاء الممتد أمامه، ويشاهد سناه بالرغم من السمرة التى شابت الافق ايذانا بالمغيب لو انها جادت عليه بكلمة شكر مع الشاكرين!

لكانت حسبه من المجد ومن الدنيا جميعا !

(٢٣)

وكان ولى العهد جادا فيما نوى من مكافأة ددف بما هو أهله كأنما الاقدار اختارته من بين الخلق ليمهد للشاب السعيد طريق المجد ، فلم تمض أيام قلائل على حادث الصيد حتى استقبل فرعون مصر ولى عهده وفى معيته الضابط ددف بن بشارو ، وكانت مفاجأة سارة للشاب اكثر مما تهدف له احلامه وآماله ، ولكنه سار خلف الأمير رعخعوف بقلب تثبته شجاعة فائقة . واجتازا معا الردهات الطويلة ذات الاعمدة الشاهقة والحراس الجبابرة الى ان مثلا بين يدى من يحجب جلاله وجهه عن الابصار

وكان الملك رابضا على العرش ، لا يدل على السنين التى بلغها سوى شعيرات بيضاء تتلألأ تحت تاج مصر المزدوج وذبول خفيف فى خديه ، وتغير فى نظرة عينيه صرفها عن حدة الفتوة والجبروت الى تأمل الحكمة والعرفان

وقبل الامير يد والده العظيم وقال،

— هو ذا يامولاى الضابط الشجاع ددف بن بشارو الذى انقذ بشجاعته الفائقة حياتى من بين براثن الموت المحقق . يمثل بين يدى جلالتكم كما اقتضت مشيئتكم المقدسة

فتعطف الملك ومد إليه يده فقبلها الشاب جاثيا باحترام دينى عميق وقال له الملك

— لقد استأهلت ايها الضابط بشجاعتك رضائى عنك

فقال ددف بصوت متهدج

— مولاى صاحب الجلالة ، انى كجندى من جنود الملك لا اعرف لنفسى غاية اسمى من ان ابذل حياتى فى سبيل العرش والوطن

وهنا قال الامير رعخعوف

— انى التمس من مولاى الملك الموافقة على تعيين هذا الضابط رئيسا لحرسى

واتسعت عينا الشاب الذى لم يكن يتوقع هذه المفاجأة ، وكان جواب الملك ان سأله

— ماعمرك ايها الضابط ؟

فقال ددف

— عشرون عاما ياصاحب الجلالة

ففطن الامير الى مغزى سؤال الملك وقال

— ان العمر الطويل والحكمة والعرفان فضائل تؤهل للكهنوت يامولاى . اما الجندى الباسل فتتخطى به شجاعته عوائق السن

فابتسم فرعون وقال

— لك ما تشاء يارعخعوف .. انت ولى عهدى ورغبتك عندى لا ترد

فسجد ددف عند اقدام العرش وقبل الصولجان فقال له الملك

— انى اهنئك بثقة صاحب السمو الفرعونى الامير رعخعوف ايها القائد ددف بن بشارو.

واقسم ددف يمين الاخلاص للملك وانتهت عند ذاك المقابله وغادر ددف القصر الفرعونى قائدا من قواد الجيش المصرى

وكان يوم فرح عظيم فى بيت بشارو لا نظير له فى الايام وقد قال نافا للقائد الشاب

— ان نبؤتى تتحقق ايها القائد . . دعنى اصورك فى رداء القياده .

ولكن بشارو صاح به بصوته الاجش الذى زاده غرابة ضياع اربع اسنان من فمه

— ليست نبؤتك التى خلقت ددف ايها المصور ، ولكنه حزم والده ، إذ قضت الآلهة ان يكون الابن كأبيه من المقربين الى فرعون

ولم تعرف زايا يوما من الايام ضحكت فيه وبكت مثل ذاك اليوم السعيد وقد كر بها الفكر الى غياهب الماضى البعيد المنطوى منذ عشرين عاما ، وذكرت الطفل الصغير الذى احدث مولده تنبؤات خطيرة واثار حربا صغيرة ذهب والده طعمة لها .. فياللذكرى .. !

ولما خلا ددف إلى نفسه ذاك المساء ارتد الى حالة غريبة من الحزن والوجوم كأنها رد فعل للفرح العظيم الذى غمره طوال يومه ، ولكن كانت لها اسباب اخرى ما تفتأ تأكل قلبه كما تأكل النار

الهشيم وقد رنا الى نجوم السماء من خلل نافذته وقال وهو يتنهد

— انت وحدك ايتها النجوم التى تعلمين ان قلب ددف القائد السعيد أشد حلكة من الظلام الذى تعيشين فى لجته الخالدة .

(٢٤)

وفى اليوم الثانى تقلد ددف بن بشار و منصبه الجليل رئيسا لحرس ولى العهد ، وقد احسن الامير صنعا فنقل كبار ضباط حرسه الى فرق الجيش المختلفة واحل محلهم غيرهم ، واستقبل الضباط الرئيس الجديد بالترحيب و الاحترام والاعجاب ، ولم يكد يطمئن به كرسى القيادة بحجرته الجديدة حتى استأذن الضابط سنفر فى الدخول فأذن له ، ودخل الضابط يطفح وجهه بشرا فادى التحية العسكرية وقال

— ايها القائد الرئيس ، لم يقنع قلبى بالتهنئة الرسمية فسعيت اليك لاصرح لك على انفراد بما يكنه لك قلبى من الاعجاب و المحبة

فابتسم ددف ابتسامة مودة وقال بلطف

— انى اقدر هذا الشعور النبيل حق قدره ياسنفر ، ولا اجد نفسى فى حاجة الى شكرك عليه

فقال سنفر بتأثر

— لعل هذا ما يعزينى عن خسارتى فى زوال صحبتك الجميلة

فقال له القائد الشاب مبتسما

— لن تزول صحبتنا ياسنفر لأنى انتويت من اللحظة الاولى اختيارك امينالى

ففرح سنفر وقال

— لن ابرح جانبك أيها القائد فى السراء والضراء

وبعد بضع ايام دعى ددف الى مقابلة ولى العهد ـ لاول مرة ـ كقائد حرسه وكانت المرة الاولى كذلك الذى ينفرد به فيها الامير ، فطالع عن قرب جدة اساريره وقسوة ملامحه وكان من

عادة الامير ان يخلص الى غرضه رأسا فقال باهتمام

— اعلمك أيها القائد بأنك مدعو مع قواد الجيش وحكام الاقاليم الى الاجتماع بصاحب الجلالة الملك للتشاور فى مسألة طور سيناء وتلقى الامر بقتال القبائل

اذا توطد العزم على خوض غمار الحرب بعد طول التردد ، ستشهدن مصر مرة اخرى ابناءها يحشدون لا لبناء هرم آخر ولكن للانقضاض على بدو الصحراء الذى يهددامن الوادى السعيد ، وقال ددف بحماس

— اسمح لى ياصاحب السمو أن أرفع الى مقامكم العالى التهنئة لنجاح سياستكم .

فابتسمت الاسارير الحديدية وقال

— انى أثق فى بسالتك ياددف ثقة كبرى ، وانى أدخر لك مفاجأة سارة ابشرك بها بعد اعلان الحرب .

وعاد ددف من مقابلة الامير سعيدا مغتبطا ، وكان يساءل نفسه عما عسى أن تكون المفاجأة السارة التى يعده بها الامير ، والحق لقد رفعه الامير فى غمضة عين من ضابط صغير إلى قائد عظيم فما الذى يخبئه له من بشريات المجد والسعادة فهل يدخر له حظه السعيد أسبابا جديدة للعلا والافراح ؟

وجاء يوم الاجتماع العظيم وأتى القواد والحكام من مصر العليا والسفلى وشهد البهو الفرعونى رؤوس مصر مجتمعة فى صعيد واحد كحبات العقد الفريد عن يمين العرش المكين وعن يساره ، فجلس الحكام صفا وجلس القواد صفا ، واتخذ الامراء والوزراء أماكنهم خلف العرش ، وكان ولى العهد يتوسط الامراء ، وكان الكاهن خومينى يتوسط الوزراء ، وجلس على رأس الحكام سمو الامير ابوور وجلس فى مقابله على رؤوس القواد القائد العام اربو الذى كلل المشيب هامته

وأعلن كبير حجاب القصر قدوم صاحب الجلالة الملك فقام الجمع المحتشد واقفا وادى القواد التحية العسكرية واحنى الحكام والوزراء الهامات اجلالا ، وجلس الملك واذن لمثه فجلسوا ، وكان الملك واضعا على منكبيه وشاحا من جلد الاسد فعلم من لم يكن يعلم أن فرعون دعاهم من أجل الحرب

واستغرق الاجتماع زمنا يسيرا ولكنه كان على قصره رهيبا حاسما ، وبدا الملك فيه قويا نشيطا واستعادت عيناه بريقهما المعروف ، وقد قال لكبراء مملكته بصوته العظيم الذى يملأ القلوب إجلالا واكبارا

— ايها الحكام والقواد ، لقد دعوتكم لأمر جلل تتعلق به سلامة الوطن وطمأنينة شعبنا الامين فقد ابلغنى صاحب السمو الامير أبوور حاكم ارسينة أن قبائل طور سيناء لاتنفك عن السطو على القرى النائية وتهديد قوافل التجارة ، وقد دلت التجارب على أن قوات الشرطه لاتستطيع القضاء عليها قضاء يكفى البلاد شرها وانها لاتملك الوسيلة لغزو الحصون التى يمتنع بها رجالها وقد آن الاوان لدك هذه الحصون وتأديب المتمردين لدفع شرهم عن الشعب الآمن واعلاء كلمة الحكومة الفرعونية

وكان القوم ينصتون الى مولاهم فى صمت رهيب وانتباه شديد فوضح الاهتمام على وجوههم وتبدى التحفز على انضمام شفاههم وبريق أعينهم ، والتفت الملك الى القائد اربو وسأله

— أيها القائد ، هل الجيش على استعداد للقيام بواجبه ؟

فقام القائد الخطير واقفا وقال

— صاحب الجلالة ملك مصر العليا والسفلى ومنبع القوة والحياة ، ان مائة الف جندى بين الجنوب والشمال على كامل الاهبة للقتال تشد أزرها عدد حربية لا تعد ولا تحصى ويسدد خطاها قواد مدربون ، ومن الميسور تجنيد أضعاف هذا العدد فى زمن قصير

فاعتدل فرعون على عرشه وقال

— نحن فرعون مصر العليا والسفلى خوفو بن الرب خنوم حامى النيل وسيد بلاد النوبة ، نعلن الحرب على قبائل طور سيناء ونأمر بهدم حصونها وتأديب رجالها وسبي نسائها ، وانى آمركم أيها الحكام أن تعودوا الى مقاطعاتكم وان يرسل كل حاكم منكم فرقة من حامية اقليمة

واشار فرعون الى القائد اربو فاقترب القائد من مولاه وقال له الملك

— اعلم انى لا أرغب أن يزيد عدد الجيش المقاتل عن عشرين الفا

وقام فرعون على الاثر فقام الجمع واقفين وهتفوا باسمه بحماس عظيم ، وانتهى بذلك الاجتماع الخطير وعاد ددف فى ركاب ولى العهد ، وكان الامير مسرورا مبتهجا على غير عادته فلم يشك الشاب فى انه يفرح لنجاح سياسته ويفوز بالغاية التى طال تربصه بها ، وتذكر ما وعده فخفق قلبه خفقان الحيرة والفرح وود لو يستطيع استنجازه وعده على أن الامير لم يمد له حبل القلق والحيرة فقال له وهو يدخل الى القصر

— وعدتك بمفاجأة سارة فاعلم انى نلت موافقة والدى الملك على اختيارك قائدا للحملة الموجهة الى سيناء

(٢٥)

وشملت مصر من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال حركة نشاط عظيم واسعة النطاق ، وكان الجند يحشدون فى كل مكان ، وكانت السفن الكبيرة تمخر عباب النيل آتية من الشمال والجنوب محملة بالجند والاسلحة والمؤن قاصدة إلى منف العظيمة ذات الاسوار البيضاء فازدحمت بهم ثكنات العاصمة وأسواقها وضج جوها بصلصة أسلحتهم الثقيلة وأنغام أناشيدهم الحماسية ، فعلم القاصى والدانى بأن حربا على الابواب وان أبناء النيل ينشطون للذود عن سلامة وطنهم

وفى فترة الاستعداد سافر الامير ابوور الى مقاطعته لامور تتعلق بالحرب والاستعداد لها وتلقى القائد ددف خبر سفره بقلب لم تنسه هموم الواجب أشجانه وهواجسه فساءل نفسه ترى هل فاز الامير السعيد بأمانيه الخاصة فوزه فى مهمته السياسية العامة وهل عاد الى مقاطعته سعيدا باعلان الحرب وابرام ميثاق الهوى ؟ ترى ما الذى حدث بينه وبين الاميرة الجميلة ذات الدل والكبرياء ؟ ماذا شهدت خمائل حديقة القصر الفرعونى من مناظر الهوى ؟ وماذا سمعت أطياره من مناجاة الحب وهمساته ؟ هل رأت الاميرة المتكبرة اذ تذل للناموس الذى لا يعرف الرحمة ولا يترفق بالكبرياء؟ وهل سمعتها اذ تبوح بأنات الجوى باللسان الذى تعود الامر والنهى ؟

ولكن صبرا فغدا يذهب للقتال،وانه ليذهب بقلب لايهاب الموت،ونفس تهوى المخاطر،وروح تتوق الى المغامرات والاهوال ، ليته يحقق النصر لوطنه ويدفع حياته ثمنا للنصر والمجد ، فيقوم بواجبه كجندى ويخلد الى الراحة التى ينشدها قلبه المعذب ، ياله من خاطر جميل حرى بأن تنزع اليه النفس الباسلة اذا غررت بهاامانى الحب الغرور ، ولكن كيف يودع الوطن وداعا لارجعة منه دون ان يحظى منها بنظرة اخيرة ؟ وهل كان حبه لهوا ولعبا ؟ ان قلبه ليشتاق الى رؤية وجهها اشتياقا اليما ، وان نظرة من وجهها لاعز عنده من نور البصر ونعمة السمع وطيب الحياة ، وهل

احس بأفراح الدنيا وبهجة الحياة الا على ضوء وجهها الحبيب ؟ فلا بد من رؤيتها ومحادثتها ، وهو طلب يعز على الاحياء جميعا ولـكن ما ايسره على طالب الموت ..

ولم يدر القائد الشاب كيف يحقق أمنيته المنشوده ومرت ايام الاستعداد القلائل سراعا حتى جاء اليوم الذى تقرر ان يسير الجيش غداة غده وارادت الآلهة أن تهبه بعد عسره يسرا وان تدنى اليه ما ارهقه طلبـه يأسا فجاءت الأميرة تزور شقيقها زيارة من زيارات المفاجأة وكان الامير قد ذهب لتفتيش الشكنات الحربية وعلم رئيس الحرس بمقـدم الاميرة نخف طائرا الى انتظارها ، ولم تغب الاميرة طويلا داخل القصر فظهرت بوجهها الفتان وكان فى توديعها كبير الحجاب ، واقبل عليها الشاب بجسارة لم تؤاته فى محضرها الا مرة واحدة على شاطىء النيل ! وادى لها التحية العسكرية ، ثم سار فى معيتها بمفرده بعد ان تخلف كبير الحجاب عند مدخل القصر ، وكان يتأخر عنها مقـدار خطوتين فاستطاع أن يملى عينيه من حسن قامتها ورشاقة قدها وفتنة حركاتها ، والتهب صدره عطفا ووجـدا وتمنى لو يفرش لها قلبه تطأه بقدميها ليحس فى سويدائه بوقع خطاها ولمس أناملها وتردد انفاسها ، ياعجبا ، ان حكمة الطبيعة لاتخلو من فـكاهة ممتعة ، انظر اليها كيف توطىء الفوز لهـذا الفارس على جميع القوى الجبارة ، وانظر اليها كيف تذل عنقه لهـذا المخلوق الدقيق البـديع الذى لم يخلقه لطعان !

وكان يقطعان الممشى الطويل — المزدان جانباه بالورود والرياحين والتماثيل والمسلات - بخطى وئيدة . وكانت السفينة الفرعونية ترى عن بعد راسية الى ادراج الحديقة ، فتولى الجزع قلب الشاب وكبر عليه ان تذهب من بين يديه دون كلمـة وداع ، وكان قلبه يضيق بكلمة يود ان يلقيها الى مسمعيها المحبوبين ، ولـكن جمودها لم يدع له فرصة للـكلام ، ورأى المسافة تقصر والسفينة تقترب فاشتد به الجزع وطغت عليه موجة من الاستهتار حلت عقدة لسانه فقال لها بصوت متهدج

— كم أنا سعيد ياصاحبة السمو لأنى رأيتك قبل الرحيل غدا

فبدا عليها كأنها بوغتت بقوله وحدجته بنظرة استغراب قاسية وقالت

— لقد بلغت أيها القائد مكانة رفيعة .. فما لى اراك تقامر بمجدك ومستقبلك !

فقال باستهانة

— المجد والمستقبل ياصاحبة السمو ؟! ان الموت يردهما الى الهوان !

فقالت باحتقار

— ارى ان والدى جعل على رأس جيشه قائدا يستحوذ على روحه قنوط الموت لا النصر والظفر !

فاندفع الدم الى وجهه الجميل وقال بأباء

— انى أعرف واجبي ياصاحبة السمو وساقوم به كما ينبغى لقائد مصرى شرفته الآلهة بنيل ثقة مولاه ، وسأبذل حياتى ثمنا له .

فهزت منكبيها وقالت

— ان الرجل الشجاع لاينسى ماضيه ولايخرق تقاليده لواذا بالموت

وكانت روح الاستهتار تستأثر به فى تلك اللحظة فقال

— هذا حق ياصاحبة السمو ، ولكن ماحيلتى اذا كانت هذه التقاليد تعقل لسانى عن البوح بما يضطرم فى فؤادى ؟ أنا ذاهب غدا ، وقد تمنيت على الآلهة أن أراك قبل ذهابى . . فأدنت الى امنيتى وما كان ينبغى لى أن أجحد العطف الآلهى بالصمت والجبن

— يحسن بك أن تتعلم فضيلة الصمت !

— بعد أن أقول كلمة واحدة

— ماذا تريد أن تقول ؟

فتبدى على وجهه الجميل الهيام وقال

— انى أحبك يامولاتى ، قد احببتك حين وقع نظرى عليك ، وهى حقيقة رهيبة ما كانت تؤاتينى الشجاعة على البوح بها لسموك لولا قوتها الخارقة فى نفسى . . عفوا ياصاحبة السمو

— أهذا ماتسميه ، كلمة واحدة ، ومع هذا فما كان أغناك عن قولها لانى سمعتها يوما قهرا على شاطىء النيل .

فاهتاجته الذكرى وهزته قولتها «شاطىء النيل» فقال

— لا أمل قولها كل دقيقة من حياتى يامولاتى فهى أجل ما نطق بهلسانى واجمل ماسمعت أذناى

وكانا قد بلغا الادراج الرخامية فتولاه الجزع وقال بتوسل

—أما من كلمة وداع

فالتفتت اليه وقالت

— استودعك الآلهة أيها القـائد ، سادعو بتاح العظيم أن يحقق عـلى يديك النصر لوطننـا المحبوب . .

ثم هبطت إدراج السلم إلى السفينة فى تؤدة ومهابة

وتركت ددف يرنو اليها بعينين حزينتين ، ويشهد بقلب خفاق السفينة اذ تبتعد عن الشاطىء رويدا رويدا! . . ولبثت الاميرة على سطحها لا تدخل مقصورتها ، فعلقت بها عيناه ومازال يرسل ناظريه حتى غيبها عنه منعطف الماء . .

وسار بخطى ثقيلة — مهيض الجناح ، تتجمع فى صدره ثورة جامحة ، وغضبة كاسرة ، على انه كان لددف فضيلة لاتخونه فى الملمات وهى أنه لايخضع لانفعال خضوعا يضل عن الصواب ويتنكب به عن السداد وعلمه اخوه خنى كيف يراجع نفسه ويلزمها الحق والانصاف فانتحل للاميرة العـذر عن قسوتها وجمودها ، قائلا انها اذا لم تصغ جوارحها الى شكاته فما ذلك الا لانها لاتحبه وليست هى ملزمة بحبه ولاتقع على عاتقها خيبته المريرة ، بل ما احراه أن يقر لها باللطف والرحمة ، الم يقل لهـا مالا يقال لاميرة من البيت الفرعونى ؟ فماذا صنعت هى ؟ لا شىء الا أن أصغت اليه وعفت العفو الجميل ولو شاءت لقضت عليه بالهوان وردته أسفل سافلين ! فصرفت مراجعته لنفسه الثورة عن قلبه ولـكنها لم تعزه عن خيبته شيئا فانطوى على الم حزين صامت ...

« • »

وامضى مساء ذلك اليوم فى بيت بشارو ليودع أهله ، وحاول ما استطاع ان يظهر بمظهر الفرح والمرح الذى عهدوه فيه واجتمعوا جميعا حول مائدة العشاء . بشارو وزايا وخنى ونافا وزوجه مانا وتوسط المائدة القائد الشاب ، وتناولوا طعاما شهيا وشربوا الجعة . ومضى بشارو يتحدث فى اثناء الاكل بلا انقطاع غير مبال بالفتات الذى يتطاير من فمه الأهتم ، وقص عليهم كـثيرا من قصص الحروب وخاصة الحروب التى خاض غمارها فى شبابه وكأنما اراد ان يطمئن زايا التى دل شحوب

لونها على ما يعتاج فى صدرها من المخاوف فقال

— ان اوزار الحرب تلقى فى الاغلب على عاتق الجنود اما القواد فيحتلون مكانا آمنا يفكرون ويرسمون الخطط

وفطن ددف الى مرماه فقال

— صدقت ياوالدى . ولكن ترى هل ابليت بلاءك الحسن فى حرب النوبة ضابطا صغيرا ام قائدا كبيرا ؟

فاستقام جسم الشيخ فخارا وقال

— كنت حينذاك ضابطا صغيرا فى فرقة الرماح .. وكانت سيرتى فى الحرب احد المزايا التى رشحتنى فيما بعد لمنصب مفتش عام الهرم الفرعونى

ولم تنقطع ثرثرة بشارو وكان ددف ينصت اليه حينا ويشرد احيانا وربما غلبه الالم فتبدو فى عينيه نظرة حزينة ، وكأن زايا كانت تلهم احزانه الهاما لانها كانت صامتة ثقيلة القلب فلم تتناول طعاما وقنعت من الوليمة بكوب من الجعة ..

واحب نافا ان تختم تلك الليلة ختاما سعيدا فدعا زوجه مانا الى العزف على القيثارة وانشاد الاغنوة الجميلة « ظفرت فى الحب والحرب » وكانت مانا ذات صوت رخيم وكانت عازفة ماهرة فملأت جو الغرفة نغما فاتنا وصوتا عذبا ..

واضطرمت فى قلب الشاب نار موقدة لم يصل لظاها فى الحاضرين سواه ، وكان نافا امعنهم فى الجهل والسذاجة فقد دنا من ددف وهمس فى اذنه

— ابشر خيرا ايها القائد ، بالامس ظفرت فى الحب وستظفر غدا فى الحرب

فاستولى الذهول على ددف وقال

— ما معنى قولك هذا ؟

فابتسم المصور ابتسامة ماكرة وقال

— أتظن انى نسيت صورة الفلاحة الجميلة ؟ .. آه . ما اجمل فلاحات النيل . . ان الواحدة منهن لتتمنى ان ترقد بين يدى ضابط جميل على الحشائس الخضراء التى تكسو شاطىء النيل .. فما

بالك لو كان هذا الضابط ددف الجميل الفاتن ؟!

فقال له باستياء

— صه يانافا . . انت لاتدرى شيئا

واهتاجه حديث نافا كما اهتاجه غناء مافا وأحس برغبة فى الفرار ، وهم بتنفيذ رغبته لولا أن تذكر أمه ، ولاحت منه التفاتة اليها فرآها تديم النظر اليه تخشى أن تقرأ صفحة قلبه بعينيها الملهمتين فيصيبها من ذلك حزن كبير فابتسم اليها واقبل نحوها يختال فى حبور وفرح .

(٢٦)

وانبثق نور فجر الغد

وكان القائد ددف جالسا فى خيمته وسط معسكر الجيش خارج أسوار مدينة منف ، يطلع على خريطة لشبه جزيرة سيناء وسورها الكبير والطرق الصحراوية المؤدية اليها ، وكانت تشمل المعسكر حركة حياة صاخبة فالخيل تصهل والعجلات تصلصل والجند تذهب وتجىء ، ويغشى الجميع نور الفجر الازرق الهادىء .

وقد دخل الضابط سنفر على القائد وحياه باحترام وقال

— اتى رسول من لدن صاحب السمو الفرعونى الامير رعخعوف ويطلب الاذن بالدخول على سعادتكم .

فبدا الاهتمام على وجه ددف وقال

— دعه يدخل

فغاب سنفر لحظة ثم عاد يتقدم الرسول ثم غادر الخيمة ، وكان الرسول يرتدى ثياب الكهنوت الفضفاضة التى تغطى الجسم من المنكبين الى رسغى القدمين ، ويضع على رأسه قلنسوة سوداء ، ويرسل لحيته الكثة الى ثغرة صدره ، فعجب ددف لمرآه لأنه كان يتوقع أن يلقى وجها مألوفا لديه من

الوجوه التي يراها عادة فى قصر ولى العهد ، وسمع صوتا — خيل اليه رغم خفوته انه لا يسمعه لاول مرة — يقول

— جئت يا صاحب السعادة فى أمر خطير فارجو أن تأمر باسدال الستار على الباب وبمنع الدخول الى الخيمة بغير اذن

فنظر ددف الى الرسول نظرة فاحصة وكاد يخالجه التردد ولكنه هز منكبيه العريضين استخفافا واستهانة ونادى سنفر وامره باسدال الستار على مدخل الخيمة وبعدم السماح لانسان بالدنو منها ، وصدع سنفر بما أمر ، وحين خلا المكان نظر ددف الى الرسول وقال له

— هات ما عندك

ولما اطمأن الرسول الى خلو الخيمة رفع عن رأسه قلنسوته السوداء فبدا شعر اسود غزير هفت خصلاته فسقطت على المنكبين فى ترنح ورسمت هالة حول رأس بديع ثم امتدت يد الرسول الى لحيته فازالها برشاقة وفتح عينيه اللتين كان يضيقهما بمشيئته فسطع وجه مشرق تلألأ نورا فى جو الخيمة مع أول شعاع أرسلته الشمس فى فضاء الصحراء .

وطار قلب ددف فى صدره وهتف بصوت متهدج

— مولاتى مرى سى عنخ

وخف اليها كالطير المذعور وجثا عند قدميها ولثم اهداب ثوبها الفضفاض ، وكانت الاميرة ترسل بناظريها الى الامام فى خفر واستحياء وينتفض جسمها اللدن كلما احست بانفاس الشاب الحارة تتسلل من نسج سروالها وتهب على ساقها المعطرة .. ، ثم لمست رأسه بأناملها وهمست بصوت خافت « قم » فقام الشاب تلمع عيناه بنور فرح بهيج لم يسلس قط لبيان وجعل يقول

— احقا هذا يامولاتى ؟ أحقا ما اسمع ؟ وحقا ما أرى ؟

فرنت اليه بنظرة استسلام كأنها تقول له « غلبت على امرى فجئت إليك » فقال الشاب

— ان آلهة الافراح جميعا تشدوا فى قلبي هذه الساعة ، وقد انسانى شدوها عذاب الشهور وتسهيد الليالى ، ورحضت انغامها قلبي من مرارة القنوط وظلمات اليأس ، رباه ! من يقول إنى أنا الذى هانت عليه الحياة بالأمس ؟!

فبدا على وجهها التأثر وقالت بصوت خافت كتغريد اليمام

— أهانت عليك الحياة حقا ؟

فقال وعيناه تلتهمان الشفتين اللتين تنثران الحديث

— نعم هانت وتمنيت الموت صادقا ، والموت تشتهيه النفوس التى خسرت آمالها ، ولم اك جبانا قط يامولاتى فلبثت أؤدى واجبى ولكن كان يعذبنى احساس بتفاهة الغاية وعبث الجهد وكانت تثقل على وحشة تجثم على صدرى وتغشى عينى بالظلمات »

فتنهدت وقالت

— وكنت انا اكافح كبريائى واجاهد نفسى والقى منهما عذابا واصبا .

— كم كنت قاسية على ؟

— وكنت على نفسى اشد قساوة ، أتذكر ذلك اليوم على شاطىء النيل ؟ لقد عدت يومها يدب فى أعماق قلبى قلق غريب ، وعلمت فيما بعد انه قدر لقلبي ان يستيقظ على صوتك من سباته العميق واكتشفت هذه الحقيقة تتقاسمنى لذة المجازفة والخوف من المجهول ثم ذكرت فخارك واعتدادك بنفسك فثرت وتمردت وكنت كلما وقع نظرى عليك قسوت على نفسى وقسوت عليك

فتنهد وقال بلهجه اسيفة

— كم عذبنى غرورى ! اتذكرين ثانى لقاء لنا فى قصر صاحب السمو ؟ لقد انتهرتنى فى شدة وعنفتنى تعنيفا قاسيا ، وبالامس لم تسمعى لشكاتى وتركتنى دون كلمة وداع ، فهل تعلمين كم تعذبت وكم تألمت ؟ هيهات .. فليتنى اطلعت على الغيب ! ، كانت اشد اوقاتى عبوسا احقها بالسعاده ، وكنت اشكو الى الآلهة عذابى فتضحك من جهلى !

فابتسمت وقالت

— وكانت تشهد الآلهة كبريائى فتضحك من هوانى فهل رأيت مثلنا العوبة من قبل ؟

— ولما نزل العوبة تستحق الرثاء فانى كلما اذكر ما اضعنا من وقت ثمين !

وتنهد آسفا حزينا . فقالت

— على رأسى يقع وزر ذلك

فنظر اليها بحنو وقال

— فدتك نفسى من كل شر

فابتسمت ابتسامة حلوة وقالت

— أظن ان الوقت يقسو علينا هذه المرة

فتنهد آسفا و نظر إليها بعينين مكتئبتين فقالت تبث فيه روح الأمل

— امامنا مستقبل طويل مشرق بالأمل .. فتمن الحياة كما تمنيت الموت ..

فقال بسعادة وابتهاج

— لن يقدر الموت على قلبى ..

فوضعت اصبعها على فمه وقالت

— لاتقل هذا

ولكنه قال بحماس جنونى

— ماذا يصنع الموت بقلب جعله الحب من الخالدين ؟ فقالت

— سالبث بالقصر ، لا ابرحه حتى اسمع الابواق تزف بشرى النصر والعودة !

— فلندع الارباب ان تقصر فراقنا

— نعم ساصلى الى بتاح ولكن فى ان تقصر لا هنا لأنه ليس لدينا متسع من الوقت

ووضعت القلنسوة على رأسها فتألم لاختفاء الشعر الاسود الحالك عن عينيه وقال

— اهون على أن أفارق عضو عزيز من جسمى !

فنظرت اليه بعينين يلتمع فيهما نور الحب والأمل ، ولكن خيل اليها ان وجهه يكفهر وصدره ينقبض وتظلل جبينه سحابة مظلمة ، فساورها القلق وسألته

— فيم تفكر ؟

فقال باقتضاب

— الامير ابوور !

فضحكت قائلة

— هل بلغك ماتناقلته الألسن حينا من الزمن ؟ ياعجبا ، لايخفى شيء في مصر وان كان من اسرار القصر الفرعوني ، ولكنك علمت شيئا وغابت عنك أشياء ، فالامير انسان نبيل ، سامى الخلق ، وقد حادثني يوما — ونحن منفردان — في الموضوع الذى اذيع فاعتذرت وقلت له انى اوثر أن ابقى صديقته ، ولا اشك فى أنه احس بخيبه ولكنه ابتسم ابتسامته النبيله وقال لى إنى امير أحب الصدق والحرية وتكره نفسى أن تستذل نفسا نبيلة ...

فقال ددف بفرح

— ياله من انسان نبيل !

— نعم ، انه امير كريم ...

— الا يوجد فى افقنا مايدعو الى التشاؤم ؟ اعنى .. ؛ اخشى فرعون !!

فخفضت عينيها خفرا وقالت

— لن يكون ابى أول فرعون يصاهر أحد أفراد شعبه المقربين !

فاطر به جوابها واسكره خفرها وحنت ضلوعه إليها حنينا موجعا وامتدت يده الى يدها — وكانت تهم بلصق اللحية بوجهها — اشفاقا من مغيب هذا الوجه الحسن المشرق ، فاسلمت يدها إلى يده ، وكان استسلامها عذبا ساحرا فجثا الشاب أمامها ، ولثم يدها هيمانا مفتونا ، وقالت له

— استودعك الالهة جميعا

ثم الصقت اللحية المستعارة بوجهها ، وضغطت على القلنسوة حتى مست حافتها حاجبيها فردت الى هيئة رسول الامير ولى العهد ، وقبل أن توليه ظهرها وضعت يدها فى صدرها واخرجت الصورة الصغيرة العزيزة التى اتخذتها الطبيعة علة لهذا الغرام الجميل واعطتها اليه بغير كلام ، فاخذها بحنو وهيام ولثمها بفمه ثم دفنها فى صدره ، فى مكانها الاول المعهود ، والقت عليه ابتسامه وداع ، وكأنما أرادت أن تضاحكه فأدت له التحية العسكرية وسارت فى مشية الجنود الى الخارج

ولم يكن الفتى الذى تركته ذاهلا من الفرح مشرق الوجه بنور الامل هو الذى رأته حين مقدمها كاسف البال ، شارد الخاطر ، متهافت النفس ، فقد بعث الحب نفسه بعثا جديدا وأحياها بعد موات وزارت مخيلته — فى تلك اللحظة السعيدة — أطياف من ماضى قلبه ، من معرض نافا الجميل

وشاطىء النيل الاخضر الفسيح ، وقطيع الفتيات الحسان ، ثم ذكر حزنه ويأسه وتلف نفسه الجـلدة الصبورة ، ثم ذكر الأمل المشرق الذى أدركه فى غمرات القنوط والأحزان ، فتمثلت له حقيقة الحب والحياة كنهر يسقى بستانا ناضرا ، تتألق ازهاره وتغرد أطياره ماجرى ماؤه عذبا ، فاذا نضب معينه خوى البستان على عروشه وذوى حسنة وتجرد كفلاة مهجورة

واعاده الى اليقظة دخول سنفر ، واخبره الضابط بان كل شىء على قدم الاستعداد ، فأمره بالنفخ فى الصور ايذانا بالرحيل ، فانبثت على الاثر فى المعسكر حركة هـائلة ، وعزفت الموسيـقى وتحركت طليعة الجيش ، وركب ددف عربة القيادة التى يتولى قيادتها سنفر ، وركب كبار الضبـاط وسارت جماعتهم الى قلب فرقة العجلات ، ثم نفخ فى الصور مرة أخرى فتحركت عربة ددف فى الطليعة بين جناحين من عربات الضباط العظام ، وتبعتهـم فى صفوف متوازية فرقـة العربات المـكونة من ثلاثة آلاف عربة حربية مثقلة بالسلاح ، وسارت خلفها فرق المشاة ، تحمـــل كل علمها ، تتقدمها فرقة القسى وتليها فرقة الرماح ثم فرقة السيوف ، وتبع الجيش عربات المهمات الـكبيرة محمـلة بالاسلحـة والمئون والعقاقير الطبية تحيط بها قوة من الفرسان . .

اخترق ذلك الجيش الصحراء يهدف الى السور المنيع الذى اتخذته القبائل وكرا آمنا وقد طلعت عليهم شمس الضحى ولفحهم وهج الظهيرة ، وهب عليهم نسيم المغيب وهم يضربون فى الارض كالمردة ، تـكاد الارض تشكو من حمل أثقالهم ولا يشكون من شىء . .

(٢٧)

ورؤيت عربة استـكشاف تنهب الأرض صوبهم فتطاعوا إليهـا باهتمام شديد ، وتقدم قائدها من القائد واخبره بأن عيونهم عثرت على جماعات من البدو منتشرين حول تل الدوما ، وكان من رأى الضبـاط ان يسيروا اليها فرقة من الجيش لقتالها ، وبسط ددف خريطة الصحراء أمامه وبحث باهتمام عن تل الدوما ثم قال

— ان تل الدوما يقع جنوب طريقنا ، والمعروف عن اولئـك البدو انهم يسيرون جماعات

صغيرة للنهب والفرار وانهم لا يخطر لهم على بال مهاجمة جيش جرار كجيشنا فلا خوف علينا من مواجهة حركة التفاف

فقال له احد الضباط

— اظن ياصاحب السعادة انه ليس من الحكمة تركهم ..

ولكن الشاب قال

— لاشك اننا سنصادف فى طريقنا كثيرا من امثال هذه الجماعات فلو أننا سيرنا الى كل جماعة منها كوكبة من جنودنا لتشتت قوتنا ، فلنضع نصب أعيننا الهدف الأول وهو اختراق سورهم الحصين وضربهم فى عقر دارهم والقبض على زعيمهم خانو ..

ولكنه رأى عن حكمة ان يعزز القوة التى تحرس عربات المؤن والاسلحة .

وتقدم الجيش فى طريقه ولم يروا فى اثناء سيرهم اثرا لرجال القبائل واتهم الاخبار بأن من كان يضرب فى الصحراء منهم ولى الادبار — حين سمع بانباء الجيش الزاحف — صوب شبه الجزيرة فشقوا طريقا آمنا خاليا حتى بلغوا مقاطعة ارسينة فالقوا عصا الترحال ليأخذوا قسطهم من الراحة وحاجتهم من المؤن ، وبادر الامير ابوور الى زيارتهم واستقبل استقبالا رسميا يليق بمكانته السامية وتفقد الامير وحدات الجيش ، ومكث مع القائد وكبار معاونيه يتحدث اليهم فى شئون الحملة ، وقد اقترح عليهم ان يوجدوا حلقة اتصال بينهم وبين ارسينة ليطلع على اخبارهم اول بأول وليمدهم بما يحتاجون اليه وقال لهم فى ذلك

— واعلموا ان جميع قوات ارسينة مشمرة للقتال ، وان قوات عظيمة من سرابيوم وذقعه ومندس فى طريقها الى ارسينه

فقال ددف

— ندعو الآلهة ياصاحب السمو الا نحتاج الى قوات جديدة احتراما لرغبة صاحب الجلالة الذى يحرص على ارواح العباد

ونام الجيش تلك الليلة نوما عميقا هادئا ، ثم استيقظ على نفخ الابواق عند صراخ الديكة ، واستأنف مسيره شرق ارسينة فى جلبة وعظمة ، ومازالوا فى حل وترحال حتى لاح لهم عن

بعد السور الكبير الذى يبتدىء جنوبا من خليج هيربوليس وينعطف شرقا راسما قوسا عظيما ، فانعطف الجيش ناحية الشمال ومال قليلا نحو الشرق ثم التى اثقاله وعسكر فى موضع لا تصل اليه سهام المحاضرين

واستطاعوا — من معسكرهم — ان يشاهدوا متانة بنيان السور وان يروا الحراس الذين يعتلونه والقسى فى ايديهم استعدادا للذود عن حياضهم ضد الجيش المغير ..

واتفق رأى ددف والضباط على أن الانتظار لايجدى فى حالتهم كما قد يجدى فى حصار مدينة بتجويع سكانها واجتمعت كلمتهم على وجوب البدء بمناوشات خفيفة ليختبروا بها قوة عدوهم

وكان من الخطر أن تهجم العربات فى أول المعركة خشية أن يخسروا جيادهم المطهمة ، فتقدم بضع مئات من الجنود المدرعين حاملى القسى فى شبه نصف دائرة يفرق بين الواحد ورفيقه عشرات الأذرع من الخلاء ، حتى إذا بلغوا موضعا ظن العدو أنه صائبهم فيه أطلق عليهم سهامه فقابلوه بمثلها وابتدأت أول معركة بين الفريقين ، وكانت السهام تنطلق جماعات كثيفة كسحب الجراد ولكن كان أكثرها يضيع هباء لبعد المسافة . .

وكان ددف يراقب المعركة باهتمام شديد ، ويشاهد باكبار مهارة الجنود المصرية فى الرماية التى اكسبتهم شهرة تقليدية لامثيل لها ، ورأى فيما رأى باب السور الكبير فقال لسنفر

— ياله من باب عظيم كأنه باب معبد بتاح — فقال له الضابط المتحمس

— عسى أن يتسع لعرباتنا التى ستخترقه بعد حين !

ولم تذهب المناوشة سدى فقد لاحظ ددف أن رجال القبائل لم يبنوا على السور ابراجا تقى رماتهم سهام المهاجمين فلا يستطيعون أن يرموا عن قسيهم إلا إذا تعرضوا لخطر القتل فوضحت له فائدة الهجوم بالدروع الكبيرة المعروفة بالقباب . . وكان الدرع من هذه الدروع اشبه مايكون بالمحراب المجوف فى حيطان المعابد ، وهو لكبر حجمه يمكن أن يخفى الجندى من الرأس الى القدم ولسمك جسمه يستطيع أن يرد السهام فلا تنفذ منه الا اذا اصابت منافذ صغيرة فى أعلاه يصوب منها حامله

وقد أصدر ددف أمره بأن يتقدم بضع مئات بهذه الدروع لقتال حرس السور ، فاصطفوا جميعا

خلف دروعهم فى شبه نصف دائرة واسعة ، ثم تقدموا نحو السور لا يبالون وابل السهام المتساقط عليهم ، ثم وضعوا القباب على الارض ورشوا سهامهم وبدأت بينهم وبين عدوهم معركة عنيفة دموية تطايرت فيها رسل الموت من الجانبين ، وكان رجال القبائل يتساقطون بكثرة ولكنهم ابدوا جلدا غريبا وشجاعة نادرة المثال فكانوا كلما سقط منهم طائفة حلت محلها أخرى ، وكانوا رغم امتناع المصريين بدروعهم الغريبة يصيبونهم خلل المنافذ الصغيرة ، فسقط من المصريين قتلى وجرحى كثيرون .

ومازالوا فى قتال عنيف حتى تخضب الافق الغربى بدم الشفق وصدرت الاوامر الى المصريين بالتقهقر فرجعوا القهقرى وقد نال منهم التعب كل منال . .

(٢٨)

وكانت منف تنتظر انباء القتال فى هدوء المطمئن ، للثقة العظيمة التى توليها جيشها ، والاستهانة البالغة التى تشعر بها نحو قبائل البدو الناهبة ، ولكن قلوبا كبيرة كانت تخفق خفقان المشفق ، ويخلق لها الحنان الاوهام ويصور لها المخاوف ، منها قلب عاهل النيل العظيم الذى تحول على الكبر الى الحكمة ومضى يكتب بمداد قلبه رسالته الخالدة الى شعبه الحبيب ، ومنها قلب زايا الذى اضناه الالم وعذبه الخوف وارقه السهاد ، وقلب آخر لم يعرف من قبل معنى الالم ولا ذاق طعم الخوف ، هو قلب الاميرة مرى سى عنخ ، مرى سى عنخ التى وهبتها الآلهة أبهى مالديها من حسن وهيأت على الارض لها امتع مافيها من الترف والنعيم ، وسخرت لحبها أعظم قلوب البشر طرا ، وازلت لها قوى الطبيعة فلا يقرصها برد الشتاء ولا يلفحها حر الصيف ولا تهب عليها ريح الجنوب ولا ينفذ اليها مطر الشمال ، فما زالت تمرح وتلعب حتى مس قلبها الحب ، كما تمس انامل الطفل الطليق السنة أللهيب ، فاكتوت بناره وفتحت صدرها لعذابه وهوانه ..

ولم تخف حالها على وصيفاتها وعلى وصيفتها ناى على وجه الخصوص وقد قالت لها يوما وهى تراقبها بعين الريبة والاشفاق

— أتتنهد مولانى ؟ فماذا يفعل من لا تحنو عليه الآلهة والفراعين ؟ أتجثين ضارعة متوسلة ؟ فمن الذى نتوسل به و نضرع أليه ؟ أتخفضين عينيك يامولاتى ؟ فلمن خلقت الكبرياء ؟

ولكن حلم الاميرة لم يتسع لمداعبات وصيفتها فكانت تؤثر فى تلك الايام الشديدة الخلوة الى نفسها ، وكانت تود لو تستطيع ان تحافظ على قولها لحبيبها انها لن تغادر القصر حتى تسمع ابواق العودة الظافرة ولكنها وجدت حنينا الى زيارة قصر شقيقها ولى العهد لتلقى تحية قلبية على المكان الذى كان يلقاها ددف فيه كلما ذهبت لزيارة اخيها ،

وكان ولى العهد يستقبلها ويتحدث اليها ، ولم يخف عنها عاطفة كانت تجهلها فيه ، وهى تململه من سياسة الملك حتى قال لها مرة بلهجة الغضب

— ان والدنا يهرم سريعا

فنظرت اليه نظرة انكار فاستطرد يقول

— حقا انه مايزال يحافظ على سلامة بنيته وحدة ذهنه ولكن قلبه يشيخ ويهرم ، الاترين أنه يولى ظهره سياسة الحكم ويميل بقلبه وعقله الى التأمل والرحمة ويصرف وقته الثمين فى الكتابة ؟ اين هذا من واجب الحاكم القوى ؟

فقالت له الأميرة بامتعاض

— الرحمة كالقوة من فضائل الحاكم الكامل

فقال بسخرية

— لم يلهمنى والدى هذه الحكمة يامرى سى عنخ ، ولكنه ضرب لى الامثال الخالدة بآثار القوة الخلاقة لجلائل الاعمال ، فسخرامة لبناء الهرم وزحزحة الجبال وترويض الصخور العاتية ، وكان يزأر كالأسد الهصور فتخر القلوب فرقا ورعبا وتأتيه النفوس طوعا او كرها فيقتل من يشاء ويغفر لمن يشاء ، ذلك هو والدى الذى افتقده ولا اجده ، ولا ارى سوى ذلك الشيخ الذى يمضى الليل الا قليله فى حجرة التابوت يفكر ويملى . ذلك الشيخ الذى ينفر من الحرب ويشفق على الجنود كأنهم خلقوا لغير القتال ..

فقالت مرى سى عنخ

— لاتتكلم عن فرعون بهذه اللهجة أيها الامير ، لقد خدم والدنا الوطن يوما بقوته وسيخدمه اضعافا بحكمته

على ان زياراتها لقصر الامير لم تكن تقطع جميعا بأمثال هـذا الحديث المضنى ، ففي يوم من الايام المعدودة فى العمر — وكان قد مضى على رحيل الجيش المصرى عشرون يوما — وجدت الامير مغتبطا راضيا ورأت وجهه الصلب يلين عن ابتسامة قليلا ماترى عليه ، فخفق قلبها وطار خاطرها الى الحبيب البعيد فسألت شقيقها

— ما وراؤك ياصاحب السمو ؟

فقال

— بلغتنى انباء سارة تقول ان جيشنا حاز انتصارات باهرة وانه عما قليل يقتحم حصن العدو

فصاحت به

— زدنى من هذا النبأ السعيد ؟

— يقول الرسول ان جنودنا تتقدم مدرعة بالقباب حتى صارت على قيد ازرع من السور ، واستحال على رجال القبائل الظهور على السور ، ومن تحدثه نفسه منهم بالمجازفة ترديه نبالنا قتيلا.

وكان هذا النبأ اسعد ما سمعت من شقيقها فى حياتها ، وقد تركت قصر الامير قاصدة الى معبد بتاح وصلت الى الرب العظيم ودعت للجيش بالنصر ولحبيبهـا بالسلامة واستغرقت فى صلاتها استغراقا عميقا لا يعرفه الا المحبون ، وعادت الى القصر الفرعونى يدب فى قلبها الجزع ، الذى يقل صبره كلما دنا من غايته ..

(٢٩)

وكانت الجنود المصرية قد دنت من السور الحصين واستطاعت ان تمسه بأسنة رماحها ، واحاط به الرماة من كل جانب مسددين قسيهم كلما ظهـر رجلا اردوه قتيلا ، ولم يجد العدو من حيلة الا أن يلقى عليهم الاحجار ، وان يسدد نباله ليصيد بها من يعتلى السور منهم ، وظلوا على تلك الحال

زمنا يسيرا وكل فريق يتربص لغريمه وفى فجر اليوم الخامس والعشرين للحصار اصدر ددف امره للرماة بالهجوم العام فانقسموا طائفتين ، واحدة لمراقبة السور واخرى تقدمت مستظلة بمجاها بحمل رجالها السلالم الخشبية والدروع الطويلة والقسى والسهام ، واسندوا السلالم الى السور وصعدوا ادراجها ناشرين أمامهم الدروع كأنها الاعلام ، ثم اثبتوا الدروع على السور فبدا كحائط الحصون المصرية المدرع بالقباب ، وتلقوا بها آلاف السهام التى ترامت عليهم من كل حدب وصوب وتساقط منهم عدد غير يسير ، واجابوا عدوهم بسهام لا تطيش ملأت الجو ازيزا مخيفا . وعلاه الصياح يشق عنان السماء ، واختلط هتاف الفوز بانات الالم وصراخ الرعب ، وفى اثناء القتال المستعر هجم فريق من المشاة يحملون جذوع النخل صوب الباب الكبير وصكوه صكا شديدا دوى دويا مرعبا ..

وكان ددف يقف على ظهر عربته الحربية يراقب القتال بعينين قلقتين وقلب متحفز للقتال وكان يقلب وجهه بين الجنود المعتلية للسور والمتوثبة لأعتلائه وبين الهاجمين على الباب الضخم الذى بدأ تتزعزع اركانه ويضطرب بنيانه

وبعد زمن ليس باليسير رأى الرماة يقفزون داخل السور ورأى المشاة من حاملى الرماح يصعدون السلالم ورماحهم مجردة ودروعهم مشهرة فعلم ان العدو اخذ يخلى مواقعه خلف السور ويتقهقر داخل شبه الجزيرة .

ومرت ساعة على قتال عنيف وانتظار جزوع ، وكانت فرقة العربات - وعلى رأسها القائد الشاب تنتظر صفوفا ، ولم يلبث ان فتح الباب على مصراعيه بعد ان رفع الجنود المصرية بداخل السور مزلاجه ، وامر ددف سنفر بالهجوم فترك للجوادين العنان وانطلقت خلفه العربات تجلجل جلجلة الجبل المنهار وتثير خلفها ريحا من النقع والرمال ، واجتازت الباب عربة عربة ، وكانت تنعطف واحدة الى اليمين والاخرى الى اليسار ، فرسمت جناحين مديدين يلتقيان فى عربة القائد وهاجمت العدو كقبضة يد هائلة تهصر عصفورا هزيلا ، وفى اثناء ذلك احتل الرماة الاماكن الحصينة والتلال العالية ، وتقدمت فرقة الرماح ، لتحمى مؤخرة العربات وتقاتل من يلتف للاحداق بها

وكان سنفر يقود عربة القائد ببسالة وثبات وكان ددف يطلق سهامه التى لا تخيب فتعرف

مستقرها فى الرقاب والقلوب ، وقد ولى العدو الادبار ومن تخلف منهم انقض عليه الجنود الزاحفون برماحهم ، فلم ينج من الموت الا هارب أو اسير او جريح

وانتهت المعركة الفاصلة فى ساعات قلائل ، وباتت قرى القبائل تحت رحمة الجنود المحتلة ، وامتلأ الميدان بجثث القتلى والجرحى من الفريقين ، وانتشر الجند هنا وهناك بغير نظام ، واقبل الجنود المصريون يبحثون بين الجثث عن اخوانهم الابطال الذين سقطوا فى ميدان القتال ومضوا يحملونهم الى المعسكر خارج السور واخذ غيرهم يجمعون جثث العدو ليحصوها عدا وجعل آخرون يقيدون الاسرى بالحبـــال ويستولون على اسلحتهم ويجمعونهم صفوفا صفوفا ، ثم اخليت القرى الصغيرة من النساء والاطفال واحضرن جماعات جماعات وهن يصرخن ويعولن الى جانب الاسرى واحاط الحرس بالجميع من كل جانب ثم عاد الجنود كل طائفة الى حيث نشر علم فرقتها ووقفوا صفوفا كل فرقة على رأسها ضباطها الذين نجوا من شر القتال

واتى القائد يتبعه قواد الفرق فاستعرض الجيش المنتصر الذى ادى له التحية بحماس عظيم وسلم على الضباط البواسل وهنأهم بالفوز والنجاة وحيا ذكرى من سقط منهم شهيدا ، ثم سار مع اركان حربه الى البقعة التى القيت فيها جثث الاعداء وكانت الجثث ممددة بعضها الى جانب البعض وقد سالت دماؤها انهرا ووجد على حراستها ثلة من الجند على رأسها ضابط فسأله ددف

— كم عدد القتلى والجرحى ؟

فأجاب الرجل

— قتل من العدو ثلاثة آلاف رجل وجرح خمسة آلاف

فسأله

— وكم عدد ضحايانا ؟ فقال

— قتل منا الف وجرح ثلاثة آلاف

فاكفهر وجه الشاب وقال

— كلفتنا قبائل البدو غاليا !

وسار القائد الى حيث يوجد الاسرى ، وكانوا جمعا غفيرا ، تنتظمه الحبال الطويلة جماعات

جماعات ، وتقيد أذرعهم الى الخلف ، وقد نكست رؤوسهم حتى مست لحاهم صدورهم ، والقى ددف نظرة عليهم وقال لمن حوله

— سوف تهلل مناجم قفط — التى تشكو قحطا فى عمالها — فرحا بهؤلاء الرجال الاشداء

وانتقل ومن معه إلى منطقة صاخبة مولولة هى منطقة السبايا اللاتى لم يستطعن هروبا وكانت أطفالهن تصرخ وتعول وكن يلطمن وجوههن ويندبن حظهن ورجالهن القتلى أو الجرحى أو الاسرى أو المتشردين ولم يكن ددف يعلم بلغتهن فالقى عليهن نظرة غريبة لم تخل من أشفاق ، ووقع بصره على طائفة منهن تبدو عليها آى النعيم فسأل الضابط الذى يشرف على حراستهن

— من هؤلاء النسوة ؟

فقال الضابط

— هن حريم زعيم القبائل

وتأملهن القائد وعلى فمه ابتسامة وكن ينظرن اليه بأعين جامدة لاشك تخفى خلفها نارا مضطرمة يودن لو يصلتنها على القائد الظافر الذى أسر سيدهن واستذلهن وأسامهن من بعد غزة هوانا

وشذت واحدة منهن عن نطاق اترابها وارادت أن تتقدم من القائد فحال بينها وبين بغيتها جندى وأشار اليها مهددا منذرا ولكنها صاحت بالقائد باللغة المصرية المبينة

— ايها القائد دعنى اقترب منك وليباركك الرب رع

فدهش ددف ودهش من معه جميعا لطلاقة لسانها وحسن نطقها المصرية كأحد الناطقين بها وأمر القائد الجندى أن يتركها تتقدم منه ، فتقدمت بخطى وئيدة حتى دنت من الشاب وانحنت أمامه فى احترام واجلال ، وكانت امرأة فى الخمسين من عمرها وقورة الطلعة فى وجهها أثر لحسن قديم عفا عليه الزمان والشقاء وفى قسماتها شبه عجيب من بنات النيل فقال لها ددف

— أراك تعرفين لغتنا أيتها السيدة

فتأثرت السيدة تأثرا شديدا حتى اغرورقت عيناها بالدموع وقالت

— كيف لاأعرفها وقد نشأت لاأعرف لغة سواها ؟ أنا مصرية يامولاى !

فزاد العجب بالشاب وأحس نحوها بعطف شديد وسألها

— أحقا أنت مصرية ياسيدتى ؟

فقالت له بيقين وحزن

— نعم يامولاى ، مصرية بنت مصريين

— وما الذى جاء بك الى هنا ؟

— جاء بى حظى التعس، اذ خطفنى على أيام شبابى هؤلاء الرجال الغلاظ الاكباد الذين نالوا جزاءهم على أيديكم الباسلة وسامونى سوء العذاب حتى انقذنى زعيمهم من شرهم ليبتليـنى بشره فضمنى الى حريمه حيث عانيت ذل الاسر وحسرته عشرين عاما . .

فاشتد تأثر ددف وقال للمرأة البائسة

— اليوم ينتهى اسرك ايتها السيدة التى تربطنى بها اخوة الجنس والوطن فقرى عينا

فتنهدت المرأة التى قسا الدهر عليها عشرين عاما طويلة ، وارادت ان تجثو عنـد قدمى القائد ولـكنه امسك بيدها برقة وقال لها

— هدئى رَوعك ياسيدتى .. من اى البلاد انت ؟

— من أون يامولاى مقر الرب رع

— لاتحزنى ، لقد ابتلاك الرب بشر عظيم لحـكمة يعلمها هو ولـكنه لم ينسك ولسوف اقص على مولاى الملك قصتك واضرع اليه ان يفك رقبتك فتعودى الى مسقط رأسك راضية سعيدة ..

فساور المرأة القلق وقالت للقائد بتوسل

— اضرع اليك يامولاى ان ترسلنى الى بلدتى توا عسى أن تمن على الآلهة بالعثور على اهلى

ولـكن الشاب هز رأسه وقال

— ليس قبل ان ارفع امرك إلى فرعون ، لانك الآن - شأنك شأن جميع هؤلاء الاسرى - ملك للملك ولابد من تسليم الوديعة الى صاحبها ولكن اطمئنى ولاتخشى شيئا ففرعون رب المصريين لاآسرهم ولامذلهم

وأراد أن يدخل الطمأنينة على نفسها المعذبة فارسلها الى المعسكر المصرى معززة مكرمة . .

وعندما اتى مساء ذلك اليوم كان الجيش قد انتهى من دفن قتلاه وتضميـــد جراح جرحاه ،

وآوت الجند الى الخيام تأخذ قسطها من الراحة بعد نصب اليوم المرهق ، وجلس ددف أمام مدخل خيمته يصطلى نارا ويتأمل ماحوله بعينين حالمتين ، وكان أعظم مايستولى على مشاعره على الارض تلك الاعلام المصرية الخفاقة المنشورة على السور الحصين ، وفى السماء هاتيك النجوم التى كأنها عيون تتألق ابدا اعجابا بقدرة الخالق وجمال المخلوق . . وكانت تحلق بسماء خياله أطياف جميلة — مثل النجوم — تمثل لقلبه ذكريات منف السعيدة وأحلامها وآمالها ، ولم ينس فى أحلامه تلك الساعة الرهيبة المقبل عليها حين يقف بين يدى فرعون ويطلب اليه قلب اعز مخلوق الى نفسه فى مصر يالها من ساعة رهيبة ! ! ولكن ماأجمل الحياة اذا أطردت من نصر الى نصر وتنقلت من سعادة الى سعادة ! ليتها تسير كذلك ابدا وليت الاقدار ترحم الانسان ! ولكن الظاهر ان السعادة نادرة الوجود فى هذه الدنيا ، وهل يستطيع أن ينسى صورة تلك المرأة البائسة التى اختطفها البدو من بين يدى سعادتها واهتصروا شبابها وساموها الذل عشرين عاما ! يالمسكينة !

نعم لم يستطع ددف أن ينسى فى سعادته وفوزه بؤس تلك المرأة . . !

(٣٠)

واشرقت الشمس على منف ذات الاسوار البيضاء وكأنها تستقبل عيدا من أعياد الرب بتاح ، فالاعلام ترفرف على أسطح البيوت والقصور ، والطرق والميادين تموج بجموع الشعب كأنها عباب النيل أبان الفيضان ، والجو يضج بالاناشيد الوطنية تحية لفرعون والجيش الظافر والجنود البواسل وسعف النخل وأغصان الزيتون تلوح فى الفضاء كأنها أجنحة طير اليف تداعب هامات كللها الظفر واطربها الفرح ، وبين تلك النفوس السعيدة المغتبطة شقت مواكب الامراء والوزراء والكهنة طريقها الى باب المدينة الشمالى لاستقبال الجيش المظفر وقائده الباسل

وفى الموعد الموعود حمل النسيم انغام موسيقى الجيش الظافر وبدت طلائعه فى الافق ترفرف عليها الاعلام فتعالى الهتاف ودوى التصفيق ولوحت الأيدى بالاغصان ، وغمر القوم موجة من الحماس الدافق جعلتهم كالبحر الخضم المتعارك الامواج

وتقدم الجيش بنظامه المعهود تتقدمه جموع الاسرى مكتوفة الاذرع منكسة الذقون ، تتبعها عربات كبيرة تحمل السبي من النساء والاطفال والمغانم ، ثم بدت فرقة العربات يتقدمها القائد الشاب يحيط به السادة المستقبلون من كبار رجال المملكة وتتبعه صفوف العربات الحربية المهيبة يشملها نظام دقيق رائع ، وتأتى على الأثر فرق الجيش من الرماة وحاملى الرماح الى حاملى الاسلحة الخفيفة ، تتقدم صفوفا صفوفا تسير كل على أنغام موسيقاها وقد تركت أماكن من سقطوا فى المعركة الظافرة شاغرة تحية لذكراهم وذكرى لاستشهادهم النبيل فى سبيل الوطن وفرعون

وكان ددف سعيدا فخورا ينظر الى جموع الشعب المتحمس بعينين لامعتين ويرد التحيات الحارة بالتلويح بسيفه العظيم ، وقد فتشت عيناه فى الجموع عن الوجوه الحبيبة التى لم يداخله ارتياب فى أنها تراه وتهتف باسمه حتى خال هنيهة أنه يسمع صوت أمه زايا وخوار والده بشارو المختال الفخور ، ثم خفق قلبه خفقة شديدة اهتزت لها حناياه وتساءل ترى هل تشاهده الآن هاتان العينان السوداوان اللتان الهمتاه الحب كما الهمت الشمس البازغة قلوب المصريين عبادة الله ؟ هل تراه فى مجده ؟ وتسمع اسمه تهتف به الالوف المحتشدة ؟ هل ترى وجهه الذى اضناه الشوق والبعاد ؟

وتقدم الجيش فى مسيره الى القصر الفرعونى ، وبرز الملك والملكة الى الشرفة المطلة على الفناء الواسع المعروف بساحة الشعب ، ومرت أمامهما جموع الاسرى واثقال المغانم والسبايا وفصائل الجيش ، ولدى اقتراب ددف من الشرفة الملكية جرد سيفه ومد به يده تحية ولفت وجهه الى الملكين ، وكانت الاميرات حنوتس ونفر حتيس وحتب حرس ومرى سى عنخ واقفات خلف الملك والملكة فانجذبت عيناه الى عينين فتانتين لهما عليه سلطان ليس لشىء فى الوجود ، وتبادلت الاعين رسالة نارية خفق لها القلبان ، حملت شوقا مضنى وجوى ، فلو أنها مست فى سبيلها حاشية علم من الاعلام لاشعلت به نارا موقدة .

* * *

ودعى القائد ددف للمثول بين يدى فرعون ، فذهب بقلب ثابت ونفس مطمئنة ، ومثل فى الحضرة الجليلة مرة أخرى ، وقد تعطف الملك وقدم له الصولجان فلثمه ساجدا ، ثم وضع على أعتاب العرش مزلاج باب السور الحصين الذى اقتحمه جيشه ظافرا ، ثم قال

— مولاى صاحب الجلالة فرعون مصر العليا والسفلى ، سيد الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وصاحب بلاد النوبة ، مولاى ، لقد ايدتنا الآلهة على عمل عظيم وفتح مبين ، فضمت الى ملككم السعيد ملكا جديدا وادخلت فى طاعتكم افواجا كانوا الى الامس عصاة طاغين ، وطوت تحت جناحى ربوبيتكم قلوبا خاشعة اقسمت فى ذل الاسر يمين الاخلاص لعرشكم العتيد

فقال له فرعون الذى كلل هامته المشيب

— ان فرعون يهنئك أيها القائد الظافر على اخلاصك وبسالتك ويرجو أن تمد الآلهة فى عمرك لينتفع الوطن بمواهبك

وتعطف فرعون فمد يده الى القائد الشاب الذى لثمها باحترام عميق وقلبه يدق دقا عنيفا ، وسأله الملك

— ماعدد جنودى الذين استشهدوا فى سبيل الوطن وفرعون ؟

فقال ددف بصوت خافت

— استشهد من الابطال الف يامولاى

— وماعدد الجرحى ؟

— ثلاثة آلاف يامولاى

فصمت قليلا ثم قال

— ان الحياة العظيمة توجب تضحيات عظيمة فسبحان الرب الذى يخلق الحياة من الموت

ونظر الملك الى ددف طويلا ثم قال

— لقد أديت الى خدمتين جليلتين ، فانقذت بالاولى حياة ولى عهدى وانقذت بالثانية طمأنينة شعبي فماذا تطلب ؟

رباه ! جاءت الساعة الرهيبة التى طالما منى نفسه بها وطالما صورت لقلبه فى الاحلام السعيدة ، وكان ددف شجاعا لايفقد جنانه فى المواقف العظيمة فقال

— مولاى ، مافعلت فى الاثنتين ألا مايفرضه الواجب على الجندى فلا أطلب لقاءهما ثمنا ، ولكن لى أمنية اتقدم بها تقدم الطامع فى رحمة مولاه ..

فقال الملك

— وماهى أمنيتك أيها القائد ؟

فقال ددف

— ان الآلهة يامولاى لحكمة تعلمها سمت بقلبى البشرى الى سماوات مولاى الملك فتعلق باقدام مولاتى الاميرة مرى سى عنخ

فنظر اليه فرعون نظرة غريبة وسأله

— لكن ماذاصنعت الآلهة بقلب الاميرة ؟

فارتبك ددف وخيم عليه صمت ثقيل فابتسم فرعون وقال

— يقولون أنه لايدخل الى قدس الرب عبد الا اذا كان مطمئنا الى رضاه ، وسنرى ما اذاكان هذا حقا . . !

وكان فرعون راضيا وكأنما أراد أن يلهو قليلا فارسل فى طلب الاميرة مرى سى عنخ ، ولبت الاميرة نداء والدها وجاءت تسعى فى جلال الحسن ، ولما رأت الماثل بين يديه خفق قلبها وتولاها الحياء والارتباك وترددت كغزال رأى رجلا ... فنظر اليها فرعون بحنان وقال بلهجة رقيقة لم تخل من سخرية

— ايتها الاميرة ! يزعم هذا القائد الظافر انه غزا حصنين سور سيناء وقلبك ؟ !

فقال ددف بتوسل

— مولاى . . !

واعياه الكلام فسكت مقهورا مرتبكا ، ورأى فرعون قائده وقد خانته شجاعته ، ورأى ابنته وقد تولى عنها الكبرياء واضناها الحياء والارتباك ، فهوى قلبه اليها ، وناداها الى جانبه ثم نادى ددف فاقترب الشاب فى تهيب شديد ، ووضع الملك يد الاميرة على يده فى تؤدة وقال بصوته الجليل الذى تقشعر له القلوب

— انى اباركما باسم الآلهة جميعا .

(٣١)

واستقبل ددف على اثر انتهاء المقابلة الفرعونية السعيدة فترة من الزمن مقدارها اثنتا عشر ساعة . توالت فيها الحوادث الجسام الغريبة التى تزلزل النفوس وتحطم العقول فكانت فى عمره السعيد الهادىء مثل مسقط الشلال فى مجرى النيل الرزين الجليل ...

ماذا فعل ددف فى تلك الفترة القصيرة الحافلة بالعجائب ؟

خرج من الحضرة الفرعونية فطلب مقابلة الوزير خومينى وعرض عليه مظلمة المرأة المصرية الاسيرة التى لا تكاد تغيب عن خاطره ، واخلى الوزير سبيلها واحضرها الى القائد وقال لها ددف

— اهنئك ياسيدتى باسترداك لحريتك بعد طول الاسر . ولما كان الوقت متأخرا فستنزلين ضيفة على الى الغد ثم تولين وجهك شطر اون مصحوبة برعاية الآلهة

فكان جوابها ان امسكت بيده ولثمتها بامتنان عظيم ولما رفعت وجهها انحدر دمعها على خديها وعنقها ، واصطحب السيدة معه إلى عربته ، ورأى سنفر ينتظره على مقربة منها فادى التحية لهوقال

— كلفنى صاحب السمو الفرعونى الامير رعخعوف ان ابلغ القائد بانه يرغب فى محادثته فى الحال

فسأله ددف

— اين يوجد سموه الآن ؟

— فى قصره

فاستقل العربة وركب معه الضابط والسيدة . وحملتهم الى قصر ولى العهد ، وطلب الى السيدة ان تنتظر فى مكانها ودخل القصر يتبعه الضابط وطلب مقابلة الامير فدعى الى حجرته ، ووجده الشاب على غير عادته مضطربا وان حاول ان يمسك زمام نفسه، ولم يتمن هذه المرة برد تحيته وابتدره قائلا

— ايها القائد ددف ، انى اذكر دائما اخلاصك الذى انقذ حياتى من موت محقق ، وارجو ان

تذكر نعمتى عليك اذ كنت جنديا صغيرا فجعلتك قائدا كبيرا وكانت هامتك بالمجد والخلود

فقال ددف بحماس

— انى أذكر هذا ولا أنساه ، وهيهات أن انسى آلاء مولاى الامير .

فقال الامير

— انى أحتاج الى اخلاصك هذه الساعة ، فاصدع بما تؤمر واتبع وصاياى بعناية لا تدع للتردد سبيلا الى قلبك . أيها القائد لا تسرح جيشك . بل استبقه حيث هو معسكرا خارج أسوار منف ، وانتظر أوامرى التى تأتيك عند مطلع الفجر ، واياك ان تتردد عن تنفيذها مهما كانت غريبة واذكر دائما أن الجندى الباسل ينطلق كالسهم إلى هدفه دون أن يسأل مطلقه

فقال ددف

— سمعا وطاعة ياصاحب السمو

— انتظر رسلى فى المعسكر عند الفجر ولا تغفل عن ذكر وصاياى

قال الامير ذاك ثم وقف معلنا انتهاء المقابلة فانحنى ددف لسموه وغادر الحجرة متعجبا ، شارد الخاطر متحيرا من امره يقول لنفسه ترى ماهى الاسباب التى دعت الامير الى أمره بابقاء الجيش فى معسكره ؟ وما عسى أن تكون الاوامر الغريبة التى ستأتيه بها الرسل عند الفجر ؟ ما من عدو يهدد الوطن وما من عصيان يهدد الامن وكل مصرى يتخذ وجهته الطبيعية تحت رعاية فرعون وحكومته فما وجه الحاجة الى الجيش ؟

وعاد قلقا الى العربة التى انطلقت به وبالسيدة التى تصحبه ، وكان كلما اقتربت به العربة من بيت بشارو تخف حيرته وتذهب وساوسه ويتحول عقله الى أهله الذين ينتظرونه على الجوى بعد أن طال الشوق به وبهم ، ووصلت العربة الى البيت فأدخل الشاب السيدة حجرة الضيوف وصعد الى الاعزة المشوقين فتلقته أمه زايا بذراعين مفتوحين وانهالت عليه بالقبل وضمته الى صدرها بشدة ولم تتركه الاحين انتزعه من بين يديها بشارو وهو يقول

— أهلا بالابن الظافر والقائد الباسل !

وقبله فى خده وجبهته . ثم عانق ددف أخويه خنى ونافا وسلم على زوج الاخير وكانت تحمل على

ذراعها طفلا رضيعا فقدمته اليه وهى تقول

— أنظر الى سميك ددف الصغير ! . سميته باسمك عسى أن توفقه الآلهة للمجد كعمه العظيم

فنظر ددف الى نافا وحمل الصغير بين ذراعيه وقبل شفتيه الرقيقتين وقال لاخيه

— ياله من صورة جميلة

فابتسم نافا الذى كان سعيدا بابنه سعادته بفنه وأخذ الطفل بين يديه .

ووجد ددف الفرصة سانحة لاعلان خطوبته السعيدة فقال لنافا

— لن تكون أبا وحدك يا نافا

فانتبه الجميع الى قوله وصاح نافا بفرح

— هل اخترت شريكتك أيها القائد ؟

فاحنى ددف رأسه قائلا « نعم »

فنظرت أمه اليه بعينين يتألق فيهما الفرح وقالت

— أحقا يا بنى ما تقول ؟

فقال بهدوء « نعم يا أماه »

فصاحت به

— من هى؟

وسألت مانا باهتمام شديد

— من هى ؟

وقال نافا ضاحكا

— انت قادم من ميدان القتال فهل عشقت احدى السبايا ؟

فقال الشاب بهدوء ونخار

— هى صاحبة السمو مرى سى عنخ »

فصاح الجميع

— مرى سى عنخ ! .. ابنة فرعون !!

فقال

— هى دون غيرها

وملكت الجميع دهشة عظيمة ، واهتزت قلوبهم بسعادة طاغية جعلت الكلام عسيرا ، وقص عليهم ددف قصته وذكر نعمة فرعون عليه ودموع الفرح تشرق بعينيه الجميلتين ، ولم تتمالك زايا نفسها فبكت وكانت تصلى للرب بتاح الواهب المنان ، واهتز بشارو طربا فجعل يروح ويجىء بجسمه المنتفخ المتهدل ، اما نافا فقد قبل الشاب السعيد واسترسل يضحك ضحك الفرح والابتهاج ، وباركه خنى واكد له ان الآلهة لاتقضى بهذه الامورة الجليلة الا وهى ترسم له غاية مجيدة لم يفز بها انسان من قبل ! ومضى كل منهم يعبر عما يختلج فى ضميره من الفرح والسعادة ،

وذكر ددف السيدة التى تركها فى حجرة الضيوف فقام من فوره وذكرلهم بسرعة قصتها وقال لامه

— ارجو ان تكرمى مثواها يا أماه حتى تترك بيتنا فقالت امه

— سانزل يابنى للترحيب بها

وصحب ددف أمه ودخلا الى حجرة الضيوف معا ، وهى تقول

— اهلا بك ياسيدتى .. لقد حللت فى بيتك ..

ونهضت السيدة من جلستها واحنت قامتها المثقله بهوان السنين وذل الايام ثم مدت يدها الى مضيفتها الكريمة ، فالتقت عينا المرأتين لاول مرة ، وبسرعة البرق نسيتا ما كانتا فيه من تبادل التحايا ، ونظرت كل منهما الى الاخرى بغرابة ، وكأنها تجهد نفسها لاختراق الحجب الكثيفة التى وضعها الزمان على وجه الماضى البعيد ، واتسعت عيناه المرأة الغريبة وصاحت فى دهشة جنونية

— زايا..!

فتولى الذعر زايا وجعلت تنظر اليها بذهول شديد ، وجعل ددف يقلب وجهه بينهما فى حيرة وهو يعجب للمرأة التى عرفت امه مع انها قضت عشرين عاما من حياتها فى منفاها وسألها دهشا

— كيف عرفت أمى ياسيدتى ؟

ولكن المرأة لم تأبه لقوله ، ولعلها لم تسمعه قطعا ، لأنها كانت منتبهه الى زايا بكل وجدانها ، وقد ضاقت بخرسها فصاحت بها

— زايا ! . . زايا . . ! . . الست زايا ؟ . . مالك لاتتكلمين ؟ . . تكلمى . . ايتها الخادمة الخائنة . . تكلمى . . وقولى لى ماذا فعلت بابنى ؟ . . اين ابنى ايتها المرأة ؟ . .

ولم تتكلم زايا ، ولا تحركت ، ولا تحولت عيناها عن المرأة الغاضبة ، ولكن أعياها الاضطراب ومزقها الخوف فجعلت ترتجف وحاكى وجهها وجوه الموتى ، فأمسك ددف بيدها الباردة وأجلسها الى أقرب مقعد ثم تحول الى المرأة فى غضب وقال بجفاء

— كيف تؤاتيك الجرأة على توجيه مثل هذا الكلام الى امى ايتها المرأة التى اكرمتها وانقذتها من عذاب الاسر ؟

وكانت المرأة تلهث بشدة كالمحتضر ، فتأثرت لكلام القائد الذى انقذها واردت أن تتكلم فاعياها الحصر فما استطاعت الا ان تشير الى أمه كأنها تقول له « سلها هى »

فانحنى الشاب الى أمه بحنو وسألها برقة

— أماه . . هل تعرفين هذه المرأة ؟

فلم تقل زايا شيئا ، ولم تطق المرأة سكوتها فقالت وقد عاودها غضبها

— سلهـا هل تعرفين ردده ديديت زوج رع ؟ . . سلها هل تذكر المرأة التى هربت معها حاملة طفلها الصغير منذ عشرين عاما فرارا من الطغاة ؟ . . تكلمى يازايا ، قولى له كيف فررت تحت جنح الظلام ، وكيف خطفت ابنى الرضيع ، وكيف تركتينى فى مجاهل الصحراء نفساء بائسة لاتملك لنفسها ضرا ولانفعا ، حتى عثر بى الوحوش واخذونى أسيرة وسامونى سوء العذاب وذل الاسر عشرين عاما . . تكلمى يازايا . . وقولى لى ماذا فعلت بطفلى . . تكلمى . .

فاشتدت الحيرة بددف وهمس فى أذن أمه متألما

— أماه . . سامحينى ، أنا الذى احدثت لك هذا العذاب ، أنا الذى جئت بهذه المرأة التى افقدها الحزن رشادها ، سامحينى يأماه . . ساطرد هذه المرأة

ولكنها امسكت بيده تمنعه فسألها بتوسل

— لماذا لاتتكلمين يأماه ؟ . . هل تعرفين هذه المرأة ؟

فانت زايا أنينا مؤلما وقالت لأول مرة بعد أن غشيها الذهول

— لافائدة . : تحطمت حياتى . .

فصاح الشاب بصوت كزئير الآساد

— اماه . لاتقولى هذا . فدتك نفسى يا أماه !

فتنهدت بحرقة وقالت

— أواه ياددف العزيز ، يالله لم اقترف سوءا ، ولم اتعمد شرا ، ولـكن كان القدر يقضى بما ليس فى مقدور انسان دفعه . رباه . كيف تنهار حياتى دفعة واحدة !

فـكاد الشاب يجن من الالم وقال

— اماه ، لاتنسى انى الى جانبك ادفع عنك كل سوء ، ماالذى يؤلمك ؟ . ما الذى يحزنك ؟ سواء لدى مايطويه ماضيك من خير او شر ، ومايهمنى ان أعلم شيئا إلا انك امى وانى ابنك الذى ينصرك ظالمة ومظلومة ، شريرة وخيرة . اتوسل اليك الاتبكى وانا الى جانبك

— هيهات ان تسطيع معونتى !

— محض أوهام يا أماه ! .. أى خطب جسيم هذا ؟!

— لن تستطيع معونتى يادداف العزيز .. رباه . كم بنيت الامال ولـكنى أقمتها على شفا جرف هار فما كادت تستوى حتى انهارت الى الحضيض مخلفة قلبى خرابا تنعق فيه الغربان .

واشتد التأثر بالشاب وتحول غاضبا الى المرأة ولـكن هـذه لم تلن وما انفكت تسأل زايا قائلة

— قولى لى اين ابنى . اين ابنى ؟

وبهتت زايا هنيهة ، ثم وقفت بحالة عصبية وصاحت بالمرأة

— اتظنين اننى غادره يارده ديديت ؟ كلا . لم اك غادرة قط . لقـد سهرت عليك ذاك اليوم العصيب ، ولـكن هاجمنا البدو فلم ار مناصا من الهرب ، واشفقت على طفلك من اذاهم فحملته على ذراعى وعدوت به كالمجنونة ، فـكان فرارى ضرورة طبيعية وكان وقوعك بين ايديهم قضاء محتوما ثم عنيت بطفلك ، ووهبته حياتى ونفعه حبى فنشأ رجلا تفخر به الامم وهاهو ذا يقف امامك فهل رأيت مثله انسانا من قبل ؟

وتحولت رده ديديت الى ابنها وارادت ان تتكلم فلم يطاوعها لسانها ، ولم تستطع الا ان فتحت

ذراعيها وهرعت اليه وشبكتهما حول عنقه وشفتاها ترتعشان بهذه الكلمة « ابنى . ابنى . » وكان الشاب ذاهلا كأنه يرى حلما عجيبا ، فبقى ساكنا ، ينظر تارة الى زايا التى غدا وجهها يحاكى وجوه الموتى واخرى الى المرأة المتعلقة به التى تعاطيه قبل الأمومة وتحتويه بصدرها الخفاق ، ورأت زايا استسلامه ، وشاهدت فى عينيه نظرة حنو وعطف ، فانت يائسة وولتها ظهرها ثم فرت من الحجرة كالدجاجة المذبوحة ..

واتى ددف حركة ، ولكن ازداد تعلق المرأة به وتوسلت اليه قائلة « ابنى . . ابنى .. هل تترك امك ؟ .

فجمد الشاب فى مكانه والقى على وجهها نظرة طويلة ، فرأى الوجه الذى حرك قلبه من النظرة الاولى ، ورآه هذه المرة اعظم طهرا وجمالا وبؤسا ، فخفق قلبه وفاضت نفسه حنانا ، ومالت رأسه نحوها بغير شعور حتى ضغطت شفتاه على خدها ، وتنهدت المرأة بارتياح واغرورقت عيناها بالدموع ثم انتحبت باكية ، فاخذ يهدىء روعها واجلسها على ديوان وجلس الى جانبها ، وكفكف دموعها وكان مازال موزعا بين الذهول وبين هذا الحب الجديد ..

ونظرت اليه المرأة وقالت

— قل لى يا أماه

فقال لها بصوت خافت

— اماه ..

ثم قال بحيرة

— ولكنى لا اكاد أفهم شيئا .. فقالت له

— ستعلم كل شىء يابنى ..

قالت ذلك ثم سردت عليه قصتها الطويلة وحدثته عن ولادته وما احاطه بها من التنبؤات الخطيرة وما اعقبها من الحوادث الجسام حتى الساعة السعيدة التى ردت روحها الى صدرها برؤيته حيا سعيدا جليلا ..

(٣٢)

وساقت الاقدار بشارو الى سماع قصة رده ديديت عن غير قصد . فانه أراد أن يبالغ فى اكرام ضيفة ددف فنزل لاستقبالها بنفسه ، وصادف وصوله خروج زوجه زايا جريا كالمجنونة ، فأخذه العجب واستولت عليه الحيرة ودنا من باب الحجرة فى حـــذر فوصل الى مسمعيه صوت رده ديديت التى كانت تفيض بالحديث فى حالة عصبية أنستها أن تخفت من صوتها . فاسترق السمع ، وأنصت مع ددف الى قصة المرأة من مبتداها الى منتهاها !

ثم انسحب من مكانه فى خفة وحذر وقصد الى حجرته لا يلوى على شىء وقد اكتسى وجهه بهيئته جـد ورزانة واهتمام ندر أن عرفها وجهه الا فى الملمات ، ونبا به مقعده فجعل يروح ويجىء مضطرب النفس مشتت البال مهتاج الخاطر ، وكان يفكر فيما سمع ويديره فى عقله المبلبل ويقلبه على على وجوهه المختلفة حتى أضنى التفكير المحموم رأسه وجعلها كقطعة الحديد المنصهرة ، وقال لنفسه بصوت مسموع كأنه يحدث شخصا غريبا

— بشارو ! . أيها الشيخ البائس . ان الآلهة تبتليك بمحنة شديدة

وأى محنة !

ددف الجميل العزيز الذى احتضنه طفلا رضيعا فانقـذه من الجوع والفقر ، ورعاه بعين الابوة الرحيمة حابيا وصبيا وغلاما يافعا ، ورباه تربية أبناء النبلاء ومهد له سبيل النجاح فكان رجلا يزن أمة من الرجال ، ومنحه عطف الاب وقلبه وتقبل منه محبة الابن وبره . ددف العزيز الجميل تظهره الاقدار على حقيقته فاذا به عدوا لفرعون ! . إذا به الوسيلة التى ادخرها الرب رع لقلقلة العرش المكين وطعن ربه الجليل وسلب حق ولى عهده النبيل ، وتأبى الاقدار الا أن تطلعه — وهو خادم فرعون الأمين — على هذه الحقائق الهائلة فى ساعة من ساعات القضاء التى يدبرها من وراء الغيب ويلبسها هيئة المصادفات . فأى محنة ، وأى ابتلاء !

وصاح بشارو مرة أخرى يحدث نفسه قائلا

— بشارو ! . أيها الشيخ البائس . ان الآلهة تبتليك بمحنة شديدة

واشتد الكرب بالرجل وثقل على صدره القلق فمضى يحدث نفسه بحزن وألم قائلا

— ددف . أيها العزيز . لتكن ابن العامل الشهيد أووريث كاهن رع الاعظم فلحقا انى أحبك حبي خنى ونافا ، وانك لم تعرف ابا سواى . . ولهذا منحتك اسمى رحمة ومحبة . وتالله انك لشاب يفيض الاخلاص من طبعه فيض الشعاع من الشمس ولكن يا أسفا لقد ادخرتك الآلهة وانت الامين لاكبر خيانة عرفها التاريخ خيانة رب العرش المكين . خيانة عهد خوفو مولانا العظيم ، خوفو الذى نعلم أبناءنا التسبيح باسمه قبل أن نلقنهم حروف الهجاء . واها أيتها الاقدار ! لماذا تلتذين بتعذيبنا ؟ لماذا ترمينا بالمحن والويلات فى أوقات سعودنا ؟ . وماذا كان يضيرك لو ختمت حياتى كما بدأت هنيته سعيدة راضية ؟ !

وازدادت حالته سوءا ، وأحس بدنو أجله فدلف الى المرآة والقى نظرة على وجهه الحزين الاسيف وقال يخاطب صورته

— بشارو ! . أيها الرجل الذى لم يأذ انسانا فى حياته هل يكون ددف العزيز أول ضحية تمتد لها يدك بالاذى ؟ . يا للعجب ! . ولماذا كل هذا العذاب ؟ . لماذا لا تطبق شفتيك وكأنك لم تسمع شيئا ؟ . لماذا ؟ . رباه . ان الجواب حاضر . ان قلبك لا يستريح لأنه قلب بشارو مفتش الاهرام وخادم الملك . بشارو الذى يعبد واجبه عبادة . هنا الداء . انت تؤمن بالواجب . حقا انت لم تؤذ انسانا ولكنك لم تحد عن الواجب قط ، .. والان ايهما ترى اولى بالاتباع ؟ .. الواجب ام تجنب الاذى ؟ ... يستطيع اى تلميذ فى مدرسة منف الاولية ان يبتده الجواب ابتداها ولكن من منهم يشعر بمحنته؟فبعدا للضعف والخور . ان بشارو لن يختم حياته بالخيانة كلا لن يبيع مولاه فرعون اولا .. وددف ثانيا .. وتنهد من قلب محزون اليم ، ونفس طعنتها الحسرة بخنجر مسموم .. وابعد عن مخيلته اطياف ددف وزايا واخذ يرتدى ثيابه الرسمية بعزم ثابت ..

ثم غادر حجرته بخطوات ثقيله وهبط الى حديقة البيت ، ومر فى طريقه بحجرة الضيوف ، ورأى ددف واقفا ببابها يدل مظهره على التأمل العميق والاهتمام فخفق قلبه لرؤياه خفقانا غريبا ، واضطرب كل شىء فيه اضطربت نفسه وصدره وجفناه ، وتحاشى النظر إلى عينيه ، واشفق من ان

يحادثه فتنم لهجته على ثورة قلبه ، و نظر الشاب الى ثياب ابيه الرسمية نظرة غريبة وسأله بصوت ضعيف

— الى اين انت ذاهب الآن يا ... أبتى ؟

فقال بشارو وهو يسرع فى خطاه .

— الى واجب لا يؤجل يابنى

ثم ركب عربته وقال للسائق

— الى القصر الفرعونى ..

وانطلقت العربة فى طريقها ، وكانت جيوش الليل تتجمع فى الآفاق للانقضاض على النهار المحتضر الذى غاب عنه حارسه ، فتأمل بشارو الجو بعينين حزينتين ونفس منقبضة وقلب مظلم كالليل الزاحف ، وقال لنفسه وهو يتنهد آسفا محزونا

— عرفت الواجب ذا مشقة ولذة وها أنا اتجرعه مرا لا لذة فيه كالسم الزعاف

(٣٣)

قصت رده ديديت قصتها الحزينة وعيناها لا تكفان عن البكاء ، وكان ددف يجلس الى جانبها يستمع الى صوتها المتهدج ويحس بانفاسها الحارة تتردد على وجهه ويديم النظر الى عينيها الدامعتين الحبيبتين ، وقلبه آخذ فى الخفقان يكاد يتمزق من الالم والحنان والاشفاق

وحين انتهت من سرد مأساتها سألت ابنها

— من كاهن رع يابنى ؟

فاجابها بحزن

— شودا رع !

فقالت

— يا اسفا قضى ابوك ضحية لا ريب فى هذا

فقال ددف بصوت الداهش الذاهل

— ان الدهشة تذهلنى عن نفسى يأماه ؟ ! .. بالأمس القريب كنت ددف بشارو وانا اليوم شخص جديد يحفل ماضيه بالفواجع ، ولد الساعة من اب قتيل وام بائسة عانت ذل الاسر عشرين عاما ! ياللعجب.. كان مولدى شؤما فمعذرة يأماه !

— لا تقل هذا يابنى الحبيب ولا تحمل نفسك الطاهرة وزر الشيطان الرجيم

— ياللتعاسة ايقتل ابى وتلاقين العذاب عشرين عاما ؟

— فلترحمنا الآلهة يابنى ... انس احزانك وفكر فى الخلاص ... إن قلبي لا يطمئن ..

— ماذا تعنين يا اماه ؟

—الخطر ما يزال محدقا بنا يابنى .. ويهددك اليوم من انعم عليك بالامس

— ياللعجب .: ايكون ددف عدوا لفرعون ؟ .. ايكون فرعون الذى يهبنى كل يوم من نعمائه ويضفى على من افضاله قاتل ابى ومعذب امى ؟ ..

— هيهات ان يسكت العجب عمن يراقب الناس والدنيا .. .. فهيا يابنى إلى الخلاص لأنى لااريد ان افقدك اليوم وماوجدتك الا بعد عذاب السنين

— الى اين يأماه ؟

— بلاد الرب واسعة

— كيف افر فرار الجناة وما اقترفت ذنبا ؟

— وهل كان اقترف والداك ذنبا ؟

— ان طبعى يابى على الفرار

— اشفق على قلبي الذى يمزقه الخوف

— لا تخافى يأماه ، ان اخلاصى وخدماتى للعرش يشفعان لى عند مولاى الملك

—لن يشفع لك شىء إذا علم انك غريمه القديم الذى خلقته الآلهة ليرث عرشه

فاتسعت عينا الشاب دهشة وقال

— آرث عرشه ؟ ! .. يالها من نبوءة ضالة

— اضرع اليك يا بنى ان تطيعنى ليطمئن قلبى .

فأخذ يدها بين يديه وضغط عليها بحنو وقال

— عشت عشرين عاما لا يعلم احد بسرى ، ولا انا نفسى ، وقد طواه النسيان ولن يبعث مرة اخرى

— لا ادرى يا بنى لماذا افرق واتطير .. لربما زايا ..

— زايا لقد دعوتها امى عشرين عاما طويلة ، وإذا كانت الامومة رحمة ومحبة وبذل نفس فهى امى ايضا يا أماه لن تشى بنا زايا ابدا .. انها امرأة بائسة كملكة مخلصة فقدت عرشها على حين فجأة ...

وقبل ان تفتح فاها دخل خادم مسرعا واخبر القائد بان امينه سنفر يرجو لقاءه فى الحال وبدون ادنى ابطاء ، فعجب الشاب لان سنفر كان معه منذ زمن قصير ، وهدأ روع أمه وأستأذن منها وخرج لمقابلة سنفر فى الحديقة ، ووجد الضابط قلقا نافذ الصبر ، مضطربا ، وحين رآه سنفر اقبـــل عليه مسرعا وقال له بسرعة دون تحية اوسلام

— سيدى القائد . لقد اطلعتنى المصادفات على حقائق خطيرة الشأن تنذر بشر مستطير !

تخفق قلب ددف والتفت دون ارادة الى حجرة الضيوف وهو يسـاءل نفسه ترى ما الذى تخبئه الاقدار من الحدثان الجديدة ثم التفت الى امينه وسأله

— ماذا وراؤك ياسنفر ؟

فقال الضابط بلهجة مضطربة

— دخلت أصيل اليوم الى مخزن الخمور لانتقى زجاجة نبيذ جيـد ، وفيما أنا أفتش عن ضالتى — وكنت واقفا الى جانب الكوة المطلة على الحديقة — إذ وصل الى مسمعى صوت رئيس حجاب ولى العهد يحادث شخصا غريبا هامسا فلم أتبين حديثه ولـكنى سمعت جيدا ما ختمه به من الدعاء للأمير رعخموف الذى سيصبح فرعون مصر عنـد الفجر ! ، فانتفض جسمى هولا ورعبا وأيقنت ان جلالة الملك انتقل الى جوار أوزوريس ، ونسيت ما أنا فيه من التفتيش وهرعت خارجا الى ثكنات الجند فوجدت الضباط يقصفون ويتسامرون كعادتهم حين الراحة فظننت أن الخبر المشئوم لم يبلغهم

بعد ولم أحب لنفسى أن أكون نذير الشر فانسللت الى الخارج واستقللت عربتى وتوجهت بها الى القصر الفرعونى لعلى أقف على حقيقة الخبر، فوجدت القصر هادئا، وأنواره تتلألأ كالكواكب الزاهرة، والحراس يروحون ويجيئون فى طمأنينة ودعة. فلم أرتب فى أن رب القصر يتمتع بالحياة والصحة. فعجبت لما سمعت بأذنى فى مخزن الخمور، وفكرت فيه طويلا فساورتنى المخاوف وتوزعتنى الهواجس، ولاح لخاطرى شخصك مصادفة فكان لى ما تكون المنارة لسفينة ضالة تكالبت عليها الامواج الهوج والرياح العاصفة والظلمات المحيطة فوليت وجهى نحوك وجئتك على عجل أروم عندك حسن التدبير.

فسأله ددف باضطراب وقد نسى همومه الشخصية وما صادفه فى يومه من العجائب

— أواثق أنت من أن أذنك لم تخدعك؟

— ثقتى بوجودى أمامك الآن

— أكنت ثملا؟

— لم أذقها فى يومى هذا

فنظر اليه الشاب نظرة جامدة وسأله بصوت خيل اليه انه صوت غريب

— وما الذى فهمته من هذا؟

فصمت الضابط صمتا رهيبا كأنه يتحامى بصمته الجواب ويدعه للقائد نفسه، وفهم ددف صمته على حقيقته، فخفق قلبه، وسها اليه، وذكر فى تلك اللحظة وصايا الامير رعخعوف الغريبة وأمره اياه بعدم تسريح الجيش وانتظار أوامره عند الفجر واتباعها مهما كانت غريبة، ورجعت به الذاكرة القهقرى فذكر ما حدثه به سنفر هذا الواقف أمامه يوم التقائهما الاول فى حرس الامير عن أخلاق ولى العهد ونفاذ صبره وتبرمه. ذكر هذا كله بسرعة وارتياع. رباه. ماذا وراؤك أيها الغيب؟. هل فرعون فى خطر؟. هل هنالك خيانة.؟!

وسمع سنفر يقول بحماسة

— نحن جنود رعخعوف. ولكننا أقسمنا يمين الاخلاص للملك. والجنود جميعا جنود فرعون الا خائنا

فعلم أن وساوس سنفر تلتقى بوساوسه ، فقال

— أخشى أن يكون الملك فى خطر !

— أنا لا أرتاب فى ذلك وينبغى أن نفعل شيئا أيها القائد

— ان الملك يلبث عادة أغلب ليلة فى جوف الهرم مع وزيره خومينى يملى عليه كتابه العظيم فينبغى ان يوجه انتباهنا الى الهرم

— أخشى أن يغدروا به فى حجرة التابوت

— دون هذا والمستحيل ففتح باب الهرم سر لا يعلمه الا ثلاثة الملك وخومينى وميرابو ، والهضبة المحيطة بالهرم عامرة ليل نهار بالحراس وكهنة المعبود أوزوريس .

— هل يسير فى ركاب الملك أحد من حرسه ؟

— كلا . ان العاهل الكبير الذى وهب حياته مصر لا يشعر بحاجة الى حرس فى وطنه وبين رعاياه واعتقادى يا سنفر — اذا صدقت شكوكنا — ان الخطر يجثم فى وادى الموت فهو طريق طويل خال من الآدميين تغرى وحشته الغادر بالتربص لفريسته

فسأل سنفر وهو يلهث

— وما الذى ينبغى عمله ؟

— ان مهمتنا مزدوجة يا سنفر : ان ندرأ الخطر عن الملك ونقبض على الخائنين

— ولو كانوا من الامراء !

— ولو كان بينهم ولى العهد نفسه !

— سيدى القائد ينبغى الا نعتمد على حرس ولى العهد

— نطقت بالحكمة يا سنفر ، ولا حاجة بنا اليه ، فلدى جيش باسل لا يتردد جندى من جنوده عن بذل حياته فى سبيل مولاه . .

فاضاء وجه الضابط وقال

— فلندع الجيش بلا ابطاء

ولكن القائد الشاب وضع يده على كتف أمينه المتحمس وقال

— الجيش لا يدعى الا لقتال جيش مثله وعدونا — اذا صدقت ظنوننا — نفر قليل يلوذ بالظلام ويدبر غدره بليل فينبغى أن نتربص له ونضربه الضربة القاضية قبل أن يسدد الينا ضربته .

— الا يرى القائد انه يحسن بنا أن نحذر فرعون ؟

— يئس الرأى يا سنفر ، اننا لا نملك دليلا على هـــذه الخيانة المروعة سوى شكوكنا ، وقد تكون محض أوهام فلا نستطيع أن نقيم العذر لفرعون عن اتهامنا الخطير لولى عهده .

— فما العمل يا سيدى القائد ؟

— العمل الحكيم أن أختار بضع عشرات من الضباط الذين أثق فى شجاعتهم وستكون من بينهم يا سنفر ثم نقصـد فرادى خفية الى وادى الموت ونوزع أنفسنا على جانبيه فى حـــذر وعناية وننتظر . ينبغى ألا نضيع الوقت سدى اذ يجب أن نسبق عدونا الى كمينه فنراه ولا يرانا .

ولم يضع الشاب وقتا ، ولـكنه لم يستطع بالرغم مما هو بسببه من أمر خطير ان ينسى أمه فذهب بها الى جناح نافا وعهـد بها الى زوجه مانا وعاد الى سنفر وركب معه عربته وانطلقا بها الى معسكر الجند خارج أسوار منف وكان يحادث نفسه قائلا : فهمت الآن لماذا امرنى الامير أن أنتظـــر أوامره عند الفجر فهو يدبر حيلة لقتل والده وفى نيته اذا تحققت غايته أن يأمرنى بالزحف بالجيش على العاصمة للقضاء على قوة الحرس الفرعونى ورجال الملك المخلصين امثال خومينى وميرابو واربو وغيرهم من بطانة الملك ، فيخلو له الجو ويعلن نفسه الجزوعة ملـكا على مصر .. ياللخيانة السافلة ..

لاشك ان صبر الأمير نفد ولـكن طمعه سيقضى على آماله وهى قاب قوسين أو أدنى . . فهل تصدق شكوكنا ياترى أم أننا نتخبط فى ضلال الاوهام .. ؟

(٣٤)

وطلع الفجر فدبت الحياة مرة أخرى فى هضبة الهرم المقدسه ، وتجاوبت فى السماء نداءات الحراس ونفخ الابواق وترتيلات الـكهنة ، وعند ذاك فتح باب الهرم وخرج منه شبحان ثم اغلق مرة أخرى وكان كل منهما يتلفع بدثار سميك اشبه بعباءة الـكهنة التى يرتدونها فى حفلات القربان ، قال اقصر

الرجلين قامة

— انك يامولاى تجهد ذاتك العلية اجهادا قاسيا

فقال الملك

— الظاهر ياخومينى اننا كلما تقدم بنا العمر نرد الى الطفولة مرة اخرى ، فما اشبه ولعى بهـذا العمل المجيد بانكبابى فى زمن مضى على القنص وركوب الخيل . ينبغى ان اضاعف مجهودى ياخومينى فما بقى من العمر الا اقصره ..

فقال الوزير الأمين ويداه مبسوطتان

— أطالت الأرباب بقاء الملك

— فلتستجب الالهة دعاءك حتى اتم رسالتى .

— لست مناعا للخير ولـكن اتمنى ان يخلد مولاى الى الراحة والدعة

— كلا ياخومينى . لقد شيدت لى مصر مثوى روحى الخالدة وما أهبها إلا حياتى الفانية !

وكف الرجلان عن الحديث وصعد الملك الى العربة الملـكية وركب بعده الوزير ، وقبض على اللجام وسارت الجياد خببا ، وكانت العربة كلما مرت بجماعة من الـكهنة او الجنود سجدوا تحيـة واحتراما ، ومابرحت الجياد تجد فى السير حتى قطعت أرض الهضبة واجتازت حدودها الى وادى الموت الذى يؤدى ألى ابواب منف ، وكانت الظلمة ماتزال حالـكة والسماء ملأى بالنجوم ، يخالها المتأمل لشدة توهجها هابطة الى فلك أدنى وقد شملها جلال ساحر تخبت له القلوب وتفتتن الافئدة ، وتوسطت العربة وادى الابدية ، وكان الملك ووزيره يجلسان هادئين متأملين ، وسمعا بغتـه أحد الجوادين يصهل بشدة ويقفز عاليا ثم يسقط على الارض ، وأعاق سقوطه العربه عن المسير فتوقف الجواد الثانى ، وعجب الرجلان وهم الوزير بالنزول ليرى ما اصاب الجواد ولـكنه قبل أن يتحرك صرخ بتألم شديد وصاح « الحذار يامولاى .. لقداصبت »

فادرك فرعون إن مخلوقا أصاب الجواد واردف بوزيره ، وظنه من قطاع الطرق فصاح بصوت شديد « الى الوراء ايها الجبان من يريد أن يغتال فرعون ؟ »

ولـكنه سمع صوتا كالرعد يصيح « الى ياسنفر . » فنظر الى مصدره — وهو يسندخومينى إلى

صدره - فرآى شبحا قادما من جانب الوادى الايمن كالسهم المنطلق ، وسمعه يصيح مرة اخرى « اختبئ يامولاى خلف سور العربة » ثم رآه يقف فى طريق شبح آخر آت من الجهة اليسرى واشتبك الاثنان فى قتال عنيف ، وتبادلا طعنات قاتلة بسيفيهما ثم صاح احدهم وسقط على الارض قتيلا بغير شك ... ترى من الذى سقط الصديق أم العدو ؟ ولم تطل الحيرة بالملك لانه سمع صوت المنقذ يقول « هل مولاى بخير » فاجابه « نعم ايها الشجاع ولكن اصيب وزيرى »

سمع الملك مرة اخرى صلصلة سلاح وراء العربة فالتفت بسرعة فرأى ثلة من الجنود تلتحم فى قتال عنيف ، ورأى الرجل الشجاع الذى قتل عدوه ينضم اليهم وينصر فريقا على فريق ، فوقف الملك الاعزل يشاهد المعركة وهو كظيم .

ورجحت كفة رجال الملك وتساقط اعداؤهم واحدا فواحدا ، والقى الرعب فى قلوبهم ان شاهدوا عن بعد كوكبة من الفرسان قادمة تعدوا من ناحية الهضبة المقدسة حاملة المشاعل هاتفة باسم الملك الجليل ، فزلزلوا زلزالا شديدا وركنوا الى الفرار ولكن كان الذين يقاتلونهم اشداء جبابرة فأمعنوا فيهم قتلا ولم يبقوا منهم على احد

واحاط الفرسان بعربة الملك والقت مشاعلهم ضوءا على الوادى فظهرت جثث القتلى وبدت وجوه الرجال الذين دافعوا عن الملك وقد سالت الدماء الزكية من جباههم واعناقهم ، وتقدم رئيس الفرسان من عربة الملك ولما شاهد مولاه واقفا حمد الرب وقال وهو يجثو راكعا

— كيف حال مولانا الملك ؟

فترجل فرعون وهو يسند وزيره وقال

— فرعون بخير بفضل الارباب وشجاعة هؤلاء الرجال . . ولكن كيف انت ياخومينى ؟

فقال الرجل بصوت ضعيف

— بخير يامولاى ... اصابتى فى ساعدى وليست بذات خطر .. فلنصل جميعا شكرا لبتاح الذى انقذ حياة الملك ...

ونظر الملك فيما حوله فرأى القائد ددف فقال له

— أهنا انت أيها القائد ددف ؟ .. كأنك تأبى الا ان تدين الاسرة الفرعونية جميعا ؟

فانحنى الشاب فى احترام عظيم وقال

— حياتنا جميعا فداء لمولاى

فسأل الملك

— ولـكن كيف حدث هذا ؟ .. يبدو لى ما وقع لم يكن حادثا تافها وليد المصادفات واكاد المح فى الظلام خيانة احبطت باخلاصكم وشجاعتكم .. ولـكن دعونا نرى وجوه القتلى اولا . ولنبدأ بهذا الذى سدد الينا سهما طائشا ..

وسار فى اتجاه العربة وددف وسنفرو رئيس الفرسان يسيرون بين يديه بالمشاعل وخومينى يتبعه فى خطوات بطيئة ، فعثروا بالجثة على بعد قريب ، وكان صاحبها منبطحا على وجهه والسهم القاتل نافذ فى جنبه الايسر ويئن أنينا أليما ، فاضطرب الملك لسماع انينه وسارع اليه واماله على ظهره والقى عليه نظرة قلقة ولما تبين وجهه صرخ بقوة

— رعخموف .. ابنى ... !

ونسى فرعون جلاله ونظر فيمن حوله كأنه يستغيث بهم على دفع بلاء لا مرد له وامعن النظر ثانية فى وجه الملقى تحت قدميه وقال بحزن وفزع :

— أأنت الذى حاولت الفتك بى ؟

ولـكن الامير كان يعانى ألم النزع الاخير . ويتيه فى غيبوبة الاحتضار ، فلم ينتبه الى العيون المرتاعة المحدقة به ، وجعل يئن أنينا موجعا وصدره يعلو وينخفض بشدة ، فتملك ددف الرعب والالم وكأن تلك الفاجعة تبغته بغير نذير ، وساد الجميع وجوم ثقيل ، نسى فيه خومينى آلام ذراعه وجعل يختلس نظرات الاشفاق من وجه الملك وهو يدعو الرب أن يكفيه شر تلك الساعة ، وكان فرعون ينحنى على ابنه المحتضر وينظر اليه بعينين جامدتين جعلهما الحزن كبحيرتين راكدتين . وكانت نفسه جياشة مضطربة تعترك فيها العواطف المتناقضة والافـكار المتنافرة وهو بين هذه وتلك مستسلم للجمود ، ولبث يديم النظر الى وجه ابنه المعذب الذى ذهب عنه الجلال والقسوة ولبس لبـاس الذل والهوان ، حتى فاضت روحه وسكنت حركة جسمه الى الأبد ..

وظل الملك ملازما لجموده الغريب زمنا ليس بالقصير ، ثم استعاد جلاله وثباته ، فاعتدلت قامته

والتفت الى ددف وسأله بصوت غريب

— اخبرنى ايها القائد بما تعلم من تفاصيل هذه المأساة

واخبر ددف مولاه بصوت حزين متهدج بما قصه عليه الضابط سنفر وصارحه بالشكوك التى وسوست فى صدريهما ومادبرا من حيلة لانقاذ حياة مولاهما . .

ياللآلهة !

كان يروح ويجىء مطمئنا ففاجأه الغدر من حيث لم يحتسب ، من ولده الاعز وولى عهده ، وانقذته الآلهة من الشر العظيم ولكن اقتضت مشيئتها لذلك ثمنا غاليا هو الروح التى صعدت الآن ملوثة بأشنع اثم حمل وزره إنسان . . فنجا من الهلاك ولكنه لم يهنأ بالفرح ، وقتل ولى عهده ولم يدر كيف يحزن . . وطالعته الدنيا بانكد وجوهها وهو فى نهاية الطريق . . !

(٣٥)

وعاد الملك وصحبه الى القصر الفرعونى ، وكان الصباح قد زان الكون بشمس مشرقة ،وأحس العاهل الكبير بتعب وخور فآوى إلى مخدعه سريعا واستلقى على فراشه ، وانتشر الخبر الاسيف فى رحاب القصر فخفقت له القلوب خفقان الأسى والحزن والهلع ، وزلزل له فؤاد الملكة ميرتيتفس واضطرمت فيه نار موقدة لاتقوى مياه النيل باسرها على اطفاء جذوة منها ، ولحقت المرأة بزوجها العظيم ، تستغيث بقربه من ويل هذا الشر وتطلب فى محضره العزاء والطمأنينة فوجدته نائما أو كالنائم فلمست بانامِلها الباردة جبينه ووجدته ساخنا كأنه كتلة من النار يتصاعد منها حمم . فهمست بصوت خافت

— مولاى

وانتبه الملك الى صوتها وفتح عينيه بحالة هياج مستعر ، وجلس فى فراشه يعنف غريب .

ونظر اليها بعينين يتطاير منهما الشرر وقال بصوت جنونى لم تعهد سماعه من قبل

— اتبكين أيتها الملكة القاتل الاثيم؟

فقالت بذلة ودموعها ذوارف

— انى ابكى حظى التعس يامولاى

فصاح بها بغضب جنونى

— لقد ولدت لى مجرما ايتها المرأة

— مولاى

— واقتضت الحكمة الآلهية ان تورده حتفه لأن العرش لم يخلق ليجلس عليه المجرمون !

فصاحت المرأة مولولة

— الرحمة يامولاى . رحمة بقلبي وقلبك . لاتحدثن بهذه اللهجة التى ترعبنى . انى بحاجة الى العزاء ، فهلا تناسيت تلك الذكرى الاليمه ؟ كان ابننا وما أحقه بالرثاء الآن !

فهز رأسه هزات عنيفه جنونيه وقال

— اراك تترحمين عليه !

— يحق لنا أن نبكيه يامولاى . الم يخسر الدنيا والابدية؟

فامسك الملك رأسه وقال بذهول

— رباه .. ماهـذا الجنون الذى يدوى فى رأسى ؟ . ماهـذه الضربات التى تتوالى على رأس فرعون ؟ . كيف لهذا الرأس يحمل تاج المصريين بعـد الآن وهو ينوء بالشعيرات البيضاء التى ابقاها الدهر له ؟ . ايتها الملـكة . ان فرعون يعانى عهدا جديدا بالحياة ولن ينفعه توجعك فالى بأبنائى وبناتى .. الى بأصدقائى جميعا . نادى خومينى وميرابو واريو وددف . هيا ...

وغادرت الملـكة التعسة مخدع فرعون وارسلت فى طلب الامراء والاميرات والاصدقاء ودعت من نفسها طبيب الملك الخاص كارى

ولبى الجميع النداء وحضروا سراعا واجمين ، ينوءون بصمت مرهق ، كأنهم يقصدون الى مأتم رهيب ، ودخلوا مخدع الملك فلم يلبث فراشه أن صار بين صفين من ال بيته واصدقائه المقربين ، وكان الملك مازال مهتاجا عنيفا زائغ البصر فنظر الى طبيبه كارى وقال بعنف

— لماذا اتيت ايها الطبيب ولما ادعك ؟ لقد لازمتنى اربعين عاما طويلا لم اشك اليك فى اثنائها

مرة وأحرى بمن يستغنى عن الطبيب فى حياته أن يستغنى عنه فى مماته .

فاضطربت النفوس لذكرى الموت ، وهالها ماترى من هياج الملك واختلاط اعصابه ، اما الطبيب كارى فقد ابتسم برقه وقال

— مولاى يحتاج لجرعة ...

وقاطعه الملك صائحا

— دع مولاك واغرب عن وجهى

فبان الحزن على وجه الطبيب وقال بصوت خافت

— مولاى قد لايمتثل الطبيب لامر مولاه احيانا

فاشتد غضب بالملك وقلب عينيه الزائغتين فى وجوه الواقفين الواجمين وصاح بهم

— ألا تسمعون مايقول هـذا الرجل ؟ . ألا تحركون ساكنا . ؟ .. ياللعجب ! . هل لوثت الخيانة القلوب جميعا ؟! . هل هان فرعون على جميع أبنائه واصدقائه ؟ . أيها الوزير خومينى قل ماجزاء من يعصى فرعون ؟

فتقدم خومينى فى اعياء ظاهر من الطبيب وهمس فى أذنه فانحنى الرجل لمولاه وتقهقر الى الوراء حتى غادر المخدع ، ودنا خومينى من فراش مولاه وقال

— هدىء روعك يامولاى ، فما يريد الرجل الا الخير ، أيريد مولاى ان احضر له كأسا من الماء ؟

وخرج الوزير من الحجرة قبل ان يؤذن له ، واعطاه الطبيب كارى كأسا ذهبيا من الماء مذاب فيه دواء مسكن ، فحمله الوزير الى مولاه . وتقبله الملك من يد وزيره وشربه حتى الثمالة وجاء اثره سريعا فهدأت حركات الملك العنيفة وعاودت عينيه نظراتهما المألوفـة ، ورد الى وجهه المحتقن لونه الطبيعى ، ولـكن بدا عليه هزال وخور بالغان .

وتنهد الملك تنهدا عميقاً وقال

— ويل للانسان من الشيخوخة والضعف ! .. انهما يهزءان باشد الجبابرة !

ونظر الى الجمع الملتف بفراشه وقال

— ايها السادة .. لقد كنت يوما حاكما جبارا ، اشهر فى يمناى الفاصل بين الحياة والموت ،

وانطق بالقوانين والشرائع ، وألهم الطاعة والعبادة . ولم اغفل فى حياتى لحظة عن توخى الخير والاصلاح ، واردت الا ينتهى انتفاع العباد بى بانتهاء حياتى على الارض فكتبت رسالة مطولة فى الطب والحكمة سيدوم الانتفاع بها مادامت الأمراض لا ترحم الانسان ومادام الانسان لا يرحم نفسه .. وامتد بى العمر كما ترون وارادت الآلهة ان تبتليني ببلاء شديد لحكمة اجهلها واختارت ابنى آلة لها وجردت جيوش الشر فى قلبه فانقلب عدوا لى وتربص بى فى الظلام يريد اغتيالى ، ولكن كتبت لى النجاة ودفع الابن التعس حياته ثمنا لبضع ساعات يمتدها عمرى ..

فقال الجميع برجاء

— اطال الله بقاء الملك

فرفع الملك يده فساد سكوت وعاد يقول

— ايها السادة لقد حمت النهاية وقد دعوتكم لتسمعوا كلمتى الأخيرة فهل انتم مستعدون ؟

فاشرق خومينى بالدمع وقال

— مولاى .. لا تذكر الموت .. ستنكشف هذه الغمة وتعيش طويلا لمصر ولنا

فابتسم فرعون وقال

— لا تحزن ايها الصديق خومينى ، فلو كان الموت شرا يدفع لخلد مينا على عرش مصر ، ولذلك فخوفو لا يحزن للموت ولا يخشاه ، وان الموت لاهون من شرور كثيرة تشوه وجه الحياة ، ولكنى اريد ان اطمئن على تركتى العظيمة ..

ثم التفت الى ابنائه ينظر اليهم واحدا فواحدا كأنه يحاول ان يقرأ ما يظهرون وما يبطنون ثم قال

— اراكم تكاتمون قلقا خفيا ولهفة مستترة ، ويرمق الواحد منكم أخاه بعين الريبة والحنق ، كيف لا وقد مات ولى العهد ، واحتضر الملك وكلكم طامع فى العرش راغب فيه ، وما انكرانكم فتية نبلاء وعلى خلق عظيم ولكن اريد ان اطمئن على تركتى وعلى اخوتكم ..

فقال الامير رعباوف وكان اكبر الامراء سنا

— ابتى ومولاى ، مهما فرقت قلوبنا الأهواء فهى تأتلف على طاعتك وان مشيئتك لدينا هى الشريعة المقدسة التى تلزمنا طاعتها بغير قسم

فابتسم الملك ابتسامة حزينة وسها اليهم بعينيه اللتين جرى بمحجريهما الذبول وقال

— أحسنت القول يا رعباوف ، والحق أقول لكم انى فى هذه الساعة الرهيبة أجد من نفسى قوة عظيمة على السمو على العواطف البشرية وأحس بأبوتى للعباد تغلب فى ابوتى الابناء فاعينونى على قول الحق وفعله

وعاد الى تفرس وجوههم ثم استطرد

— يظهر لى ان كلامى لا يقع منكم موقع الاعجاب ، والحق انى لا أجحد أبوتى لكم ولكنى أجد بين يدى من هو أحق بالعرش منكم ، ومن توليه للملك حرى بان يصون لكم اخوتكم طاهرة هو شاب، علت به همته الى القيادة قبل الاوان ، وحققت له شجاعته نصرا عزيزا للوطن ، وأنقذت بطولته حياة الملك من الخيانة ، واياكم أن تقولوا كيف يتولى العرش من ليس يجرى فى عروقه دم الفراعين فهو زوج الأميرة مرى سى عنخ التى يجرى فى عروقها دم الملك والملكة معا . !

فبدت الدهشة على وجه ددف وتبادل ومرى سى عنخ نظرات الذهول ، وبوغت الامراء ورجال الدولة مباغتة الجمت السنتهم وحيرت أعينهم . واتجهوا جميعا بانظارهم الى ددف

وكان الامير رعباوف أول من خاطر بمتزيق هذا السكون فقال

— مولاى ان انقاذ حياة الملك واجب على كل انسان وليست هى بالعمل الذى يتردد عنه مخلوق فكيف يكون جزاؤها العرش ؟

فقال الملك بلهجة صارمة

— أراك تقدح شرر العصيان بعد أن تغنيت بأناشيد الطاعة منذ حين ، أيها الابناء انكم أمراء المملكة وسادتها وسيكون لكم الجاه والنفوذ والثراء وسيكون العرش لددف . هذه وصية فرعون يلقيها على أبنائه بحق ماله عليهم من واجب الطاعة ، فليستمع اليها الوزير ليتعهدها بسلطانه وكلمته وليستمع اليها القائد ليسهر على تنفيذها بقوة جيشه ، هذه وصية خوفو الاخيرة يتركها بين يدى من أحبهم وأحبوه وعاشرهم بالحسنى فعاشروه بالمحبة والاخلاص .

وساد صمت رهيب لم يجرؤ أحد على تعكيره وخلا كل الى أفكاره ، حتى دخل رئيس الحجاب وسجد للملك ثم قال

— مولاى ، ان مفتش الاهرام بشارو يضرع الى جلالتكم أن تسمحوا له بالمثول بين يديكم

فقال الملك

— دعه يدخل فهو منذ الساعة من آل بيتى

ودخل بشارو بقامته القصيرة وجسمه المتهدل ، وسجد بين يدى فرعون ، وأمره الملك بالقيام واذن له بالكلام فقال الرجل بصوت خافت

— مولاى ، أردت المثول بين يدى جلالتكم ليلة الامس لامر هام ولكن أنى مجيئى بعد ذهاب مولاى الى الهرم فاضطررت إلى الانتظار على جزع حتى الصباح .

فسأل فرعون

— وماذا وراؤك يا أبا ددف الباسل ؟

فقال الرجل بصوت أشد خفوتا وهو ينظر الى الارض

— مولاى لست أبا لددف ولا ددف أبنا لى .

فعجب فرعون لانكار بشارو وقال بتهكم

— بالامس انكر ابن أباه واليوم ينكر أب ابنه !

فقال بشارو بتألم وحزن

— مولاى ، تعلم الآلهة جميعا انى أحب هذا الشاب محبة الأب لابنه ، وما كنت أقول هذه الكلمة لولا أن اخلاصى للعرش أكبر فى نفسى من شتى العواطف الانسانية

فزاد عجب الملك ، وبدا الاهتمام على وجوه الحاضرين جميعا ، وخاصة الامراء ، الذين تمنوا للشاب شرا ينقذهم من قضاء الملك ، وردد الجمع انظاره بين المفتش بشارو وبين ددف الذى امتقع لونه وجمد صبره

وسأل الملك مفتش أهرامه

— ماذا تعنى أيها المفتش ؟

فقال بشارو وعيناه الى أرض الحجرة

— مولاى . . أن ددف هذا هو ابن كاهن رع السابق من رع . .

الملك فعرف مصدره ، ونظر اليها بعطف وحنان ، وأشار لها بيده فهرعت اليه كحمامة تتعلم الطير ، وانكبت على يده .

ونظر الملك الى وزيره خوميني وقال

— الى أيها الوزير باوراق البردى لاختم حكمتى بأبلغ عظة تعلمتها فى حياتى . أسرع فما بقى فى العمر الا لحظات ...

وأحضر الوزير ملفات البردى فوضعها فرعون على حجره ، وأمسك بالقلم ومضى يكتب حكمته الاخيرة ، وكانت مرى سى عنخ جاثية الى جانب فراشه ، والى جانبها الملكة الحزينة ، وكتمت الانفاس فما كان يسمع الا صرير القلم .

وانتهى فرعون ، فرمى القلم فى اعياء شديد ، وقال وهو يسلم رأسه الى الوسادة

— تمت رسالة خوفو الى شعبه الحبيب .

ومضى فرعون يتنهد تنهدا عميقا ثقيلا ، ولكنه قبل أن يستسلم الى الراحة نظر الى ددف واشار اليه فاقترب الشاب من فراش الملك ووقف كالتمثال ، فأخذ فرعون يده ووضعها على يد مرى سى عنخ ووضع يده النحيلة على يديهما ثم نظر الى القوم وقال

— أيها الامراء والوزراء والاصدقاء ، حيوا جميعا ملكى الغد .

فلم يتردد انسان ، واتجهوا جميعا بانظارهم الى مرى سى عنخ وددف وأحنوا الهامات .

ونظر فرعون الى سماء الحجرة ، وسها اليها لا يحرك ساكنا . فقلقت الملكة ومالت عليه قليلا فرأت وجهه وقد اكتسى بنور سماوى كأنما يرى بعين بصيرته وجه أوزوريس العظيم يرنو اليه من العلى . . .

« انتهت »

الى مشتركينا فى الخارج

كثير من مشتركينا فى الخارج يطلبون منا شراء كتب لهم من القاهرة . وهم أحيانا لا يرفقون بطلباتهم ثمن هذه الكتب وأجرة بريدها . فنوجه أنظارهم الى أننا لا يمكننا أن نشتريها مالم يرسلوا الينا ثمنها وأجرة بريدها

حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

مطبعة المجلة الجديدة

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش

أكتوبر سنة ١٩٣٩



صاحب السعادة

حافظ عفيفي باشا

كان أسف الجمهور عظيما جدا لاستقالة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا من ادارة بنك مصر . فقد تعودنا ان ننظر اليه وطنيا مخلصا وزعيما حكيما ومبتكرا للمشروعات الاقتصادية العديدة ولكن حاجته الى الراحة بعد حياة مليئة بالمجد والجهاد هي التي جعلت هذه الاستقالة ضرورية . ونحن ندعو له بالهناء والصحة في شيخوخة مديدة

وبمقدار اسف الجمهور على استقالة محمد طلعت حرب باشا كان سروره واغتباطه لأن يقتعد مكانه صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا الذي يعد طرازا جديدا للسياسي المصري الذي يجعل للاقتصاديات الوطنية المقام الاول في الاعتبارات الوطنية لأنها هي الأساس للحال الاجتماعية . وبنك مصر سوف يكون في المستقبل — كما كان في الماضي — مؤسسة ولوداً تخرج منها المشروعات الاقتصادية النافعة التي تعمم الخير لابناء الوطن

الحرب

نشبت الحرب في ٢ سبتمبر الماضى بغارة المانيا على بولونيا واعلان الحرب على المانيا من فرنسا وبريطانيا. وقد اضطررنا الى ان نغير البرنامج الذى كنا اعددناه لاخراج هذه المجلة فى ميعادها اول اكتوبر بسبب ظروف الحرب الجديدة. ومن هنا التأخير فى صدور هذا العدد وقلة الصور واستعمال هذا الورق الذى زادت اثمانه بمقدار ٣٥ فى المئة تقريبا ونحن نأمل ان يكون فى مستطاعنا قريبا ان نتلافى جميع الوان النقص التى اوجدتها ظروف الحرب

وكارثة الحرب التى نرجو أن تبقى مصر بعيدة عنها لا يستطيع احد ان يتكهن الآن بمداها او مدتها. فانها محملة بشتى الممكنات. وكل ما نرجو ان تنتهى الحرب بفوز الحلفاء لان فى ذلك النصر انتصارا للانسانية

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد العاشر

المجلة الجديدة

العـدد العاشر
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

أكتوبر ١٩٣٩

افتتـــــــــاحيات

من طلعت حرب الى حافظ عفيفى

اذا كانت البنوك من المؤسسات التجارية فان لبنك مصر مكانة أخرى فى قلوب المصريين اذ هو مؤسس قومى غرسته النهضة المصرية سنة ١٩١٩ وبقينا طول هـذه السنين الماضية نرعاه وننظر اليه بالفخر . ذلك أننا طول السنين السابقة كنا نعير بحق بتخلفنا فى ميدان الاقتصاد وكانت الازمات تنتابنا فتسحقنا فى حين يخرج غيرنا من الامم ، بل الطوائف التى تعيش بين ظهرانينا ؛ وهى ناجية قادرة على استئناف نشاطها واجتياز الأزمة بقوة مالها من بنوك وهيئات أخرى مالية واقتصادية

وكان بيننا رجل ينظر بعين الاسف الى هذا التخلف . ولكنه لم يقنع بالتحسر بل كان دائبا فى التفكير والتدبير يضع الخطط ويبتكر هنا وينقح هناك ويستشير ويستثير ويبعث الهمم حتى استطاع أن يجمع القلوب ثم الايدى على التكاتف والتضامن . وبعد أن أعد ، مع عدد قليل من الوطنيين الذين اقتنعوا برأيه، مبلغا متواضعا أسس بنك مصر . وأسسه طفلا صغيرا لم يكن أحد ممن يجهلون الاخلاق المتينة التى بنى منها زعيمنا الاقتصـادى يظن أنه سيعيش . ولـكن أولئك الذين عرفوه سواء من الاصدقاء أم من الخصوم عرفو أيضا أن هذا البنك المتواضع الصغير جاء ليبقى . وأنه سوف ينمو وسوف تنفشى بذرته فى أنحاء البلاد وتنشأ منها مؤسسات أخرى

وهكذا كان . فان بنك مصر الذى بدأ حياته بثمانين الف جنيه ما زال ينمو حتى صار بناء ضخما

تتصرف فى الملايين . ثم أخذ يتوالد شأنه فى ذلك كشأن المؤسسات الحية فصار لا يكاد يمر بنا عام حتى نرى أثره فى شركة جديدة تؤسس فى المحلة للغزل والنسج وفى النيل أو فى البحر المتوسط أو فى البحر الاحمر للنقل أو نرى له المحالج تضم آلاف العمال فى عشرات المدن المصرية . أو المعامل أو المصايد أو التامين أوغير ذلك. واصطبغ بنك مصر بالصبغة المصرية. فصرنا نقرأ بالعربية الاجراءات المالية بعد أن كانت لغتنا من اللغات الممنوعة أو فى حكم الممنوعة . وصار بنك مصر وشركاته مدرسة يتعلم فيها شبابنا الابتكارات الجديدة فى الحياة الاقتصادية . وهذا الى اقتناص الربح الذى كان فى غير أيدينا قبل انشاء البنك وفروعه

وها نحن الآن نرى الربان يغادر السفينة لأنه فى حاجة الى أن يهنأ بشيخوخته ولان السفينة فى حاجة الى فتوة الشباب و تجارب الكهولة. ولذلك يسلمها طلعت باشا لصاحب السعادة حافظ عفيفى باشا وهذه فرصة للاغتباط العام. فان الأمة تودع الربان القديم داعية له بالهناء ومزجية له الشكر على ما أسدى اليها من الخدمة والولاء . وفى الوقت نفسه تستقبل الأمة الربان الجديد وقلوبها مفعمة بالأمل فى أن حياتها الاقتصادية تزداد نشاطا وتوسعا وقوة ، وفى أن ترى سفينتها الاقتصادية تمخر عباب الحياة منتصبة السارية ومنبسطة الشراع

* * *

وليس فينا من يجهل حافظ عفيفى باشا فان عبقريته التى جملته قبل عشرين سنة ابرز الاطباء قد عادت فوضعته فى المقدمة حين احترف السياسة . ولكن السياسة فى ايامنا هى جزء من الاقتصاد والمشكلات السياسية العالمية هى فى صميمها مشكلات اقتصادية . ولذلك لم يلبث حافظ باشا ان راى نفسه ينغمس فى درس الاقتصاديات و يشتبك فيها . وقد استطاع ، بالزمن القصير الذى قضاه فى ادارة شركة مصر للتأمين ، ان يجعل لهذه الشركة مكانة من الاحترام والنشاط تتجاوز رأس مالها اوتاريخها . وذلك لان الجمهور احسن الثقة فى وجوده على رأسها . والثقة هى كل شىء فى الاعمال المالية

وهذه الثقة تنتقل الان الى بنك مصر وجميع فروعه . ولذلك ترى فى تعيين حافظ عفيفى باشا مديرا لبنك مصر فرصة للاغتباط العام والتهانىء المتبادلة . لان وديعتنا المصرية هى الان وكما كانت فى ايدى المخلصين القادرين

عودة الآنسة مي الي مصر

قبل ثلاث سنوات كانت الآنسة مي نجما من نجوم الادب فى مصر نقرأ مقالاتها ونشترى مؤلفاتها ونحضر اجتماعاتها . وكان بيتها صالونا يجتمع فيه الادباء فيكون السمر المثمر الذى يحث على التفكير والتأليف

ثم فوجئت الدوائر الصحفية والادبية بان مى مريضه . وماكاد اصدقاؤها يسألون عنها أو يطلبون عيادتها حتى فوجئوا بانها قد سافرت الى لبنان للاستشفاء وستعود بعد اسابيع او اشهر . ولكن الاشهر طالت الى سنوات . فلما سألنا قيل لنا أن مرضها قد استعصى وانها لهذا السبب قد نقلت الى مستشفى فى لبنان . وهو مستشفى للمجانين . وفى مثل هذه الظروف يغم على الذهن الحزن والاسف فلا سؤال ولا بحث لان المريض غائب والحجة عند المشرفين عليه المتصلين به . واستقر عندئذ فى اذهاننا ان هذا النجم الذى تألق فى سماء القاهرة اكثر من خمس وعشرين سنة اختفى وزال فلم نعد نذكر مى الا مع الحسرة والالم

وليس لبنان فى أقصى الارض اذ هو يعد — من حيث المسافات — من ضواحينا وعشرات من الذين كانوا يزورونها فى صالونها الجميل ويستمتعون بحديثها النير ووجهها الصبوح يسافرون الى هذا الجبل كل عام . ولكنهم مع الاسف لم يذكروا مى وهى فى محنتها بين المجانين . وكانوا يتنزهون على الجبل وهى على قيد امتار منهم عطشى الى كلمة حنان تتلهف على ذكر مصر -- مصر التى درجت فيها طفلة وشبت فيها فتاة ترى مجدها ينمو تحت سمائها . ولكنها للاسف لم تجد من واحد من هؤلاء المصطافين من يسأل عنها

والآن قد عادت مى — مى بشخصها وشخصيتها . لم تتغير فى شىء الا فى هذا الشعر الابيض الذى عم رأسها وعمه فى أقل من أثنى عشر يوما بعد دخولها للمستشفى حين رأت نفسها بين المجانين وهى العاقلة الاديبة الاريبة التى كانت تعيش فى مصر بين سبعة آلاف مجلد فاذا بها تحرم حتى من قراءة خطاب او جريدة

وقد لدثنا يحالى مى ساعات فرأينا ذلك النشاط الذهنى الذى تعودناه منها وتلك اللباقة التى

عرفناها وهى لما تكد تتجاوز الطفولة . ووجهها هو ذلك الوجه المعرب الصريح الذى يكاد يقرأه الانسان سفرا واضحا يكشف عن نفس زكية لاتعرف المواربة أو الختل . ولا يتمالك من ينصت الى حديثها ان يتسائل كيف مرضت مى ؟ وهل مثل هذا النشاط الذهنى والاحاطه الثقافية التى لاتبلغهما غير مى — هل كان كل ذلك مفككا مبعثراً ثم تماسك وتركز وعادت اليها الصحة بعد المرض ؟

ثم تسمع ما ترويه من اختباراتها فى المستشفى فكأنك فى جحيم دانتى وتبلغ الخسة الانسانية بخصومها ان يكون اليوم الذى تعقد فيه المحكمة للحجر عليها لانها معتوهة بعد افلاتها من المستشفى هو نفسه اليوم الذى تقف فيه مى تلقى محاضرة يحضرها الالوف فى بيروت . ولسنا نعرف هؤلاء الخصوم ولسنا ندافع الان عن مى . فقد مضى هذا الليل الحالك واسفرت حياتها عن صبح جديد

ولذلك لم يكن لدينا الا أن نقول لها : ان الحياة تبدأ فى الخمسين . وان نذكرها بقول نيتشة : كل ما لا يقتلنى يقوينى

ولـكنها لا تزال مى الرقيقة التى تقول أن ما نزل بى من اختبارات قاسية لا اطيق ان ينزل بعدوى قبل صديقى

واذا كان قد قرح فى صدرها كنود الاصدقاء فان زكاوة نفسها وتسامحها وسخاء قلبها كل ذلك سينسيها هذا الالم . وعن قريب سنرى مى على المنابر وسنقرأ مؤلفاتها ونستمتع بسمرها

ولكن يبقى شىء آخر هو لعل فى هذه المستشفيات كثيرين وكثيرات من امثال مى لا يحتاجون فقط الى نزاهة الطبيب المخلص بل الى تحقيق النيابة اذ ربما يكون الذين ادخلوهم الى المستشفى مجرمين

أمم سعيـــــدة

تستهلك الحرب أو الاستعداد للحرب جهود الامم الاوربية . حتى أنها تستنفد نحو ٥٠ أو ٦٠ بل أحيانا ٧٠ أو ٨٠ فى المئة من ميزانياتها العامة تذهب كلها اما فى اعداد الاسلحة واما فى سداد الاقساط للديون التى عقدت لهذا الاستعداد أو لتلك الديون الاخرى الباقية من نفقـــات الحرب الكبرى الماضيه . وحسب القارىء أن يعرف من هذه الحال التعسة أن بريطانيا تنفق هذا العام ٧٣٠ مليون جنيه أى نحو مليونين كل يوم لهذا الاستعداد . وهذا المبلغ يساوى الدين العام على الحكومة البريطانية

قبل الحرب الكبرى . وهذا أيضا هو الشأن فى المانيا وروسيا وفرنسا وايطاليا وان تفاوتت الدرجة

ولكن فى وسط هذا الشقاء تعيش أمم سعيدة . وهى سعيدة لانها لا تعرف الحرب . نعنى بها الامم الاسكندناوية الثلاث . وسويسرا وهولندا . فان ميزانيات هذه الامم بدلا من أن تنفق على « الصواريخ » التى يلعب بها الاطفال الكبار فى اوربا تنفق على السعادة . أى مكافحة الجريمة والمرض والفاقة . وزيادة العلوم والآداب والجمال والرفاهية بل الترف . ففى هذه الامم الخمس التى ذكرنا يعيش العامل فى رفاهية لا يبلغها أحيانا الموظف الكبير عندنا الذى يبلغ راتبه عشرين أو ثلاثين جنيها فى الشهر . ذلك ان العامل هناك يمتاز بانه يعيش فى مدينة نظيفة ليس فيها ذبابة ولا صرصور . وهو لا يخشى لصا ولا يرى دعارة ولا يهدد من المجرمين ولا يهتم لمرضه أو شيخوخته أو تعطله لانه مؤمن من كل هذه الفواجع

وحسبنا أن ننظر فى مثال واحد هو اسوج ففى هذه الامة السعيدة التى لم تعرف الحرب منذ مئة سنة بل اكثر تعنى الحكومة بخدمة الشعب وهى تبتكر المشروعات لا لزيادة ثروته او قوته بل لزيادة سعادته . فان المدارس تنشأ على شواطىء البحار لكى يستمتع التلاميذ بنسيم البحر يستنشقونه ومياه البحر يستحمون فيها . والقهوات تنشأ على سطوح المنازل العالية فوق عشرين أو ثلاثين طبقة حيث يرف الهواء فينعش كأنه نسيم الجبال . وهناك يمكن الانسان أن يشترى شقته فى منزل بدلا من ان يشترى منزلا كاملا . فاذا تقرر هدم المنزل نال هو ثمن شقته . وهناك فى استوكهولم العاصمة قد شيدت دار للمحافظ اى عمدة المدينة . وقد صنعت الدار فى فخامة تليق بالشعب الاسوجى وعلى الجدران من الخارج نصبت تماثيل . ولكنها ليست تماثيل الامراء او العلماء أو الملوك السابقين والاحياء وانما هى تماثيل العمال الذين بنوا بايديهم هذه الدار . وبعض هؤلاء العمال لا يزالون احياء فى استوكهولم . فانظر وتأمل وتذكر الديمقراطية

وعند ما يتزوج عروسان فى اسوج يقترضان من الحكومة قرضا قدره خمسون جنيها . وكذلك يمكنهما ان يشتريا شقة فى بناء ربما لا يقل ثمنه عن ربع مليون جنيه وهما يؤديان ثمن الشقة اقساطا فى عشرين سنة . ولهما ان يبيعا هذه الشقة فى أى وقت

وسكان اسوج لا يزيدون على ستة ملايين ليس فيهم فقير . لان الحكومة تحارب الفقر كما تحارب

الجريمة أو الخمور المسكرة . ونحو ١٣ فى المائة من التجارة والصناعة فى اسوج فى ايدى جمعيات التعاون أى فى أيدى الفقراء . وهذه الجمعيات تبنى المنازل وتؤسس البنوك وتدير المزارع وتتجر بكل شىء تقريبا . وليس من الضرورى أن يكون الانسان عضوا فى احدى جمعيات التعاون لكى ينال آخر العام الربح على مقدار مشترياته من مخازنها لان هذا الربح يوزع على العضو وغير العضو بالسواء حسب قيمة المشتريات . وقد اثبتت الارقام ان ثلث سكان اسوج هم اعضاء فى هذه الجمعيات التعاونية

والتعليم فى اسوج مجانى بمراحله الثلاث الابتدائى والثانوى والجامعى . فلا يمتاز ابناء الاغنياء على ابناء الفقراء

ولا تختلف الحال فى سائر الامم الاسكندناوية عن ذلك . بل كذلك الحال فى سويسرا فان السعادة هى الهدف الذى يسدد اليه نشاط الحكومات فى هذه الامم

المجمع اللغوى

أخرج المجمع اللغوى المجلد الرابع من المجلدات السنوية التى يخرجها كل عام . وبهذا المجلد ابحاث ومقالات فى مختلف الشئون اللغوية . ولا يمكن أى قارىء أن يقول أن المجلدات الاربعة التى أخرجها المجمع منذ تأليفه الى الآن تساوى المبلغ الذى أنفق عليه الى آخر العام الماضى وهو — كما قال وزير المعارف — يبلغ نحو خمسة وثلاثين جنيه . بل نستطيع أن نقول أن بعض ما كتب فى هذه المجلدات الاربعة ليس فقط خاليا من الفقة اللغوى أو الثقافة العربية بل هو أحيانا لا يدل على الحكمة التى يجب أن تسيطر على الغاية من كل بحث

وهذا هو العيب الأساسى فى المجمع . فان الخطط والغايات لعمله غير واضحة أو معينة أو محدودة . فهناك المرحوم الشيخ السكندرى مثلا الذى كان يحاول ترجمة أوكسيجين وايدروجين من الالفاظ الكيماوية مع انه رحمه الله لم يشتغل قط بالكيمياء ولم يعرف أن ألوف الالفاظ التى تسمى بها مسمياتها انما هى شبكة متصلة باصول الكلمات ومشتقاتها واننا لا نستطيع أن نشرع فى الترجمة الا اذا وجدنا مثل هذه الشبكة فى لغتنا . وهيهات . ثم هناك من يحاول تصحيح الاغلاط الشائعة على نحو ما نجد فى الجرائد اليومية دون زيادة أو استقصاء فى التحرير . وهناك أيضا مجهود بعض اللغويين الألمان

الذين يردون الالفاظ الى مصادرها السامية أو الآرية . والمتأمل لهـذه المجهودات يرى تخبطا بلا نظام . فاذا تعمق فى التأمل استطاع أن يرجع السبب الى أن الوقت لم يحن لايجاد مثل هـذا المجمع لكى يقوم بالعمل الذى وكل اليـه أو الذى اضطلع به الاعضاء كما ظنوا أن مهمتهم تقتضى ذلك . وبدهى أن كل لغة انما تنمو بقدر ما فيها من أداب وفنون وعلوم . فان الالفاظ لا تلد الفاظا ولا تتكاثر بمحض وجودها . وانما الذى يعمل لتكاثرها هو الاداب والعلوم والفنون . فصاحب الشأن فى سك الالفاظ هو الاديب للادب . وهو الفنان للفن . وهو العالم للعلم . كما أن النجار أحق من غيره بان يسك اللفظة التى يراها اليق للتعبير والتفاهم فى صناعة النجارة . وكما أن المحامى أحق من أى انسان فى سك اللفظة التى تخدمه المحاماه . وهلم جرا

وانما مهمة اللغوى أن يدون ويراجع ويمنع التناقض واللبس . وعندنا أن خير من يسك لنا الالفاظ هو لهذا السبب أساتذة الجامعة لانهم هم المشتغلون بهذه الالفاظ فى علومهم وأدابهم . وهم المعلمون . وهم الفنانون . ورجال الصناعة والمزارعون وكل من يعمل وينتج بالذهن أو باليد

ولهذا السبب نعتقد ان كل الاموال التى انفقت على هـذا المجمع لم تثمر الثمرة المرجوة ولن تثمر لأن الخطط والغايات التى يعمل لها تختلط عليه اختلاطا يبدو أثره من تصفح مجلداته الاربعـة التى صدرت . فانه اشبه الاشياء بمجلة غير منظمة تجد فيها صفحات من الادب الى جنب صفحات من اللغة الى ابحاث مختلفة قد استقصى فيها يجاورها ملخصات عجيبة بل ترجمات تعسفية لبعض الاسماء العلمية

واذا كانت وزارة المعارف — على ماروت الصحف — ستعيد النظر فى هذا المجمع فان اهم مايجب عليها ان تعين الخطط والغايات . وان تعرف أن اللغة لاتأكل نفسها لـكى تشبع وتنمو . فرجل اللغـة لايمكننا ان نعتمد عليه فى التوسع الثقافى وانما نعتمد على العالم والاديب الفنان

البلهارسيا في مصر

وأثرها في مختلف نواحي النشاط الحيوى

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

مرض البلهارسيا فى مصر نوعان :

الأول — تسببه دودة خاصة تؤثر فى الجهاز البولى ، وخاصة المثانة ، لكنها قد تتعدى المثانة فتصيب الكليتين ، والحالبين والجهاز التناسلى للرجل والمرأة . وفى قليل من الأحيان تصيب الامعاء . « والبول الدموى » ومضاعفاته من أهم أعراض هذا النوع كما أن من أعراضه الحصيات فى المثانة والكلية ، والتهاب سائر الجهاز البولى والنواسير البولية والسرطان .

الثانى — يسببه نوع آخر من الديدان التى تؤثر فى الامعاء ، ونادرا ما تؤثر فى الجهاز البولى . وأهم أعراض هذا النوع من البلهارسيا دوسنتاريا خاصة ، وله مضاعفات أهمها تضخم الطحال المصرى وتليف الكبد . وهذ النوع اشد فتكا بالانسان من النوع الاول ومن حسن الحظ أن الأماكن التى ينتشر فيها لا تتعدى الدلتا فالوجه القبلى خال منه تماما . أما النوع الاول فعظيم الانتشار فى سائر أنحاء مصر . وتقل وتكثر الاصابة بالنوعين تبعا لدرجة انتشار الرى الصيفى .

وإذا لم تعالج البلهارسيا فانها تكون السبب المباشر أو الغير المباشر فى ٢٥ فى المائة من الوفيات فى مصر حسب تقدير كوفمان . وقد بنى كوفمان تقديره هذا فى اواخر القرن الماضى على فحص عدد كبير من الأموات بالمشرحة التابعة للقصر العينى .

زيادة على ما تحدثه البلهارسيا من تأثير فى الفرد المصاب ، فان لها تأثيرا سيئا فى كفاءة الأمة إذا تفشت فأصابت عدداً كبيرا من سكانها . ويمكن تلخيص هذا التأثير فيما يلى :

١ — إذا أصيب الاطفال فى سن مبكرة (كما هو الحال فى الاماكن التى توطن بها المرض عندنا) أبطأ نموهم الجسمانى بصورة محسوسة ، حتى ليخيل للناظر اليهم عند بلوغهم العشرين من عمرهم أنهم فى الثانية عشرة .

ويمكن تقدير ماينجم عن ذلك فى القطر المصرى ، إذ نسبة من يرفضون فى أثناء التجنيد لقصر قامتهم بنسبة انتشار البلهارسيا فى بلادهم ، على النحو المبين فى الجدول التالى :

الاقليم	عدد المقترعين	المعافون لقصر القامة		النسبة المئوية لانتشار البلهارسيا
		العدد	النسبة المئوية	
الوجه البحرى	٢٦٢٤٦	٥٧٤٣	٢١و٨٨ فى المائة	٨٠ فى المائة
مصر الوسطى (الجيزة — أسيوط)	١٥٢٥٥	٢٨٥٨	١٨و٧ «	٦٨ «
مصر العليا (جنوب أسيوط) . .	١١٤٨٢	١٠٨٠	٩و٤١ «	٥ «
القاهرة	٢٦٦٥	٨٠	٣ «	صفر «
الاسكندرية	١١٢٣	٢٨	٢و٤٨ «	صفر «
دمياط	١٨٧	٤١	٢١و٩٢ «	١٠٠ «

ومن الطريف أن نذكر أن جميع جنود الحرس الملكى والسوارى فى الجيش — وهم يختارون من ذوى القامات المديدة — يكادون أن يكونوا من أهالى الصعيد جنوبى أسيوط .

٢ — يتبع بطء نمو الجسم ضعف القوى البدنية ، وعلى ذلك يقل الانتاج فى الاعمال اليدوية وقد أمكن تقدير هذا النقص فى بعض البلاد الأخرى بالنسبة لمرض الانكلستوما الذى يتفق فى تأثيره الجسمانى مع البلهارسيا فاتضح أنه يبلغ ٣٣ فى المائة وقد قام مستر براون مدير قسم البساتين فى وزارة الزراعة بعمل مقارنة بين انتاج الفلاح المصرى وزميله الانجليزى ، فوجد أن نفقات حفر قناة فى انجلترا تقل عن نفقات حفر قناة تماثلها فى مصر ، على الرغم من أن أجر الفلاح الانجليزى يبلغ أضعاف أجر الفلاح المصرى ؛ لكن هذا الفارق الكبير فى الاجر تعوضه الزيادة العظيمة فى

نتاج الفلاح الانجليزى على إنتاج الفلاح المصرى الذى يتقاضى ملاليم قليلة ثمنا لعرق جبينه .

٣ — لهذا المرض تأثير فى القوى العقلية ودرجة الذكاء . وفى هذا الباب يماثل تأثير البلهارسيا تأثير الانكلستوما وبعض الطفيليات . وقد وجد أن نقط ذكاء طفل مصاب عمره ١١ سنة يقدر بسنتين ونصف ، أى أنه يماثل فى ذكائه طفلا سليما فى الثامنة والنصف من عمره .

ومن هذا يتبين بجلاء السبب فيما تنطوى عليه كلمة فلاح عند أبناء المدن من معنى الغباوة وقد اتضح حديثا عند الجيش المصرى الميكانيكى أن جميع الجنود الذين حذقوا استعمال هذه الآلات يكادون أن يكونوا جميعا من سكان القاهرة والاسكندرية وبور سعيد ، أى من سكان البلاد الخالية من مرض البلهارسيا .

٤ — تسبب البلهارسيا وكذلك الانكلستوما ضعف الجسم وعدم قدرته على مقاومة الأمراض العامة نتيجة تأثيرهما فى القوى البدنية ، كما تسببان زيادة نسبة الوفيات فى حالة الاصابة بالأمراض وهناك مثل مدهش حقا حدث فى جزيرة سيلان سنة ١٩١٨ عند ما اجتاحها وباء الانفلونزا الشهيرة بالاسبانيولية فى أثناء قيام بعثة من معهد روكفلر بعلاج الانكلستوما هناك فقد بلغت نسبة الوفيات فى الاقالم التى لم تعالج ، ضعف نسبتها فى الاقاليم التى عولجت منها

وعلاوة على ذلك فان هذه الامراض تسبب عقما نسبيا وزيادة فى نسبة الاجهاض لدى الحوامل

٥ — وللمرض تأثير فى الناحية الاجتماعية ، فهناك ظاهرة ملحوظة فى المجتمعات التى تتفشى فيها الامراض الطفيلية تعزى الى شعور الافراد بضعفهم الجسمى والعقلى وخوفهم من مواجهة الحياة منفردين . هذه الظاهرة هى قلة المهاجرة فى المناطق الموبوءة ، بينما يهاجر الصعايدة من سكان جرجا وقنا واسوان فينافسون سكان الدلتا فى عقر دورهم ، يحفرون المصارف والترع ويكادون يحتكرون أعمال شحن السفن وتفريغها فى الثغور ، واعمال البناء والأعمال الهندسية الكبرى كانشاء الطرق وإقامة الكبارى .

وثم ظاهرة أخرى هى الشعور بالكرامه والاستقامة الخلقية ، فهى بارزة بين سكان المناطق الخالية من هذه الامراض ، وتكاد الصحف اليومية تقيم الادلة على ذلك ، فكل حوادث الانتقام للعرض والشرف والاخذ بالثأر وقف على سكان أهالى الصعيد ، بينما الدس والكذب والتفريط

فى العرض خصال ذميمة شائعة بين سكان الدلتا بنسبة انتشار الطفيليات .

تتناسل ديدان البلهارسيا بوضع وولادة بويضات تخرج من جسم الانسان مع البول والبراز حسب مكان العدوى ، وهذه البويضات لاتفقس إلا فى الماء العذب ، ولا ينمو الجنين الذى يخرج منهـا إلا بداخل أنواع خاصة من القواقع تعيش فى المياه العـذبة . وتتناسل بالانقسام إلى أن تتكون من نسلها معمذنبات تخرج من القواقع ، وتسبح فى الماء ، وتخترق جلد الانسان اذا ما لامسته وتنفذ الى داخل جسمه وتتخذ طريقها الى الوريد البابى داخل الكبد حيث تنمو الى ذكور وإناث . ثم تهاجر بعـــد ذلك الى الجهاز البولى أو الأمعاء حسب نوعها وهناك تضع بويضاتها ، ثم تعيـد دورتها على نحو ما ذكرنا .

يمـكن من الوجهة النظرية التخلص من مرض البلهارسيا إذا قطعنا سلسلة دورتها فى أى حلقة منها . وهذا سهل من الوجهة النظرية لكنه صعب جدا من الوجهة العملية . وقد أجمع الباحثون على أن الحلقة التى يبشر قطعها بأعظم النتائج عمليا هى مقاومة القواقع ، إذ أنه بتقليل عددها فى مجارى المياه ، يمكن أن تهبط نسبه الاصابة الى درجة التلاشى

ولا شك فى أن ازدياد انتشار البلهارسيا فى مصر حديث العهد ، وقـد جاء نتيجة للاستعاضة بالرى الصيفى عن رى الحياض لما تبع ذلك من انتشار الترع والجداول والمصارف

ومما يثبت ذلك حالة المناطق المنعزلة فى مديريتى قنا وأسوان قبـل وبعـد ادخال نظام الرى الصيفى بدلا من رى الحياض سنة ١٩٣٤ بواسطة طلمبات

اسم البلد	النسبة المئوية للبلهارسيا	
	سنة ١٩٣٤	سنة ١٩٣٧
السباعية	صفر فى المائة	٤٤ فى المائة
الكلح	٧ «	٥٠ «
بنبان	٢ «	٧٥ «
المنصورية	١١ «	٦٥ «

وضح مما تقدم أن البلهارسيا تصيب ٧٥ فى المائة من المصريين ، فتعيق نموهم الجسدى والعقلى وتقلل من انتاجهم وتجعلهم أكثر استهدافا للامراض الأخرى وأقل مقاومة لها

ولا شك فى أن هذا أعظم عقبة تعترض تقدم مصر من جميع الوجوه حربيا واقتصاديا وعلميا واجتماعيا ، وتجعلها غير قادرة على منافسة الامم الاخرى التى لا تفتك بها هذه الامراض

فاذا قارنا المجهود الذى تبذله مصر الآن فى مكافحة «دودة ورق القطن» بما يجب أن تبذله فى مكافحة «دودة دم الانسان» (البلهارسيا) لجزمنا بأن الجهود الموجهة لانقاذ الايراد من القطن — مهما بلغت قيمته — يجب أن تكون ضئيلة بالنسبة للجهود التى يجب أن توجه ضد البلهارسيا لانقاذ رأس مال مصر ، ألا وهو الفلاح . وجلى أن نتيجة النجاح فى هذا الكفاح ستؤدى الى :

١ — تقليل نسبة المرض ونسبة الوفيات فى مصر

٢ — تحسن النسل والنمو البدنى

٣ — زيادة الانتاج اليدوى والعقلى

٤ — رفع مستوى الجيش ومضاعفة قوى الدفاع

٥ — رفع مستوى التعليم والمستوى الاجتماعى والخلقى

«١» تنقسم القواقع من الوجهة الحيوية ثلاثة أقسام . «ا» قواقع المياه الملحة «ب» قواقع المياه العذبة «ج» قواقع الارض اليابسة التى تشاهد فى صحراء مصر وعلى سيقان بعض الاشجار . ولا يمكن لأى نوع من هذه الاقسام أن يعيش فى الوسط الخاص بالقسم الآخر حتى أنه فى مياه البحيرات الواقعة فى شمال الدلتا التى تختلط فيها المياه العذبة بالمياه الملحة تعيش أنواع خاصة من القواقع تموت إذا وضعت فى ماء البحر أو المياه العذبة ، وعلى ذلك تجد فى بحيرة المنزلة جميع قواقع البلهارسيا التى وصلت من المصارف التى تصب فى البحيرة ميتة .

« ٢ » تبين من الابحاث التى قمنا بها فى واحة سيوة سنة ١٩٣٣ أنه لا أثر لوجود البلهارسيا محليا بين سكانها ولا توجد القواقع الناقله للبلهارسيا فى مياه العيون بها مع أن كليهما موجود فى الواحة الداخلة والبحرية والخارجة التى تبعد عن وادى النيل مسافة البعد بين واحة سيوة عن مديرية البحيرة المتوطن بها المرض ، وقد وجدأن السبب فى ذلك هو ملوحة مياه العيون فى سيوة ، إذ يبلغ

مقدار الاملاح بها من ٥ الى ١٠ مرات مما هو موجود فى مياه الواحات الأخرى .

« ٣ » تبين من الابحاث التى نشرناها سنة ١٩٢٤ فى تقارير معامل الصحة رقم ٦ أن ملح الطعام بنسبة ١ فى المائة يقتل القواقع الناقلة للبلهارسيا فى ثلاثة أيام ، ولكن النية انصرفت فى ذلك الوقت إلى استعمال كبريتات النحاس بنسبة ٥ فى المليون ، واجريت بنجاح فى قرية الراشدة فى الوحات الداخلة .

« ٤ » تبين من أبحاث أجريناها لمعرفة درجة المقاومة للملوحة فى قواقع البولنوس الناقلة للبلهارسيا البولية والبلانوربيس الناقلة للبهارسيا المعوية أن القواقع الثانية اكثر مقاومة ولكن بمقدار ١ من ملح الطعام إذ أن الاولى ماتت فى ٦ فى الالف والثانية فى ٧ فى الالف .

ولكننا لم نعمل على تطبيق ذلك فى مقاومة البلهارسيا نتيجة للمعلومات التى حصلنا عليها فى ذلك الوقت من بعض المشتغلين فى مجلس مباحث القطن بأن نبات القطن لا يقاوم ملوحة فى ماء الرى مقدارها ١ فى الالف . وقد تبين أخيرا فى أثناء محادثة مع الدكتور ويلیامس كبير الكيمائيين الزراعيين فى وزارة الزراعة بأن ذلك لا يعتمد على أساس صحيح ، ولكننا عدلنا طريقة المقاومة بحيث تغلبنا على هذا العامل أيضا ، ولو كان صحيحاً ، وذلك بقصر المقاومة فقط مرة واحدة فى السنة على أن يكون ذلك فى مدة الجفاف فى الشتاء حتى لا يصل الملح الى الارض إلا مخففا جدا بدرجة لاتؤثر فى اى نوع من المزروعات .

ومن الطريف أن وجدنا فى المراجع العلمية مقالا لتوماس سنة ١٨٨٣ عن الدودة الكبدية فى الاغنام جاء فيه أن نثر ملح الطعام على مراعى الاغنام فى المناطق الموبؤة يقيهم شر العدوى ، وأشار الى خلو الغنم من الدودة الكبدية إذا كانت ترعى فى المستنقعات المالحة . وهناك مرجع آخر لموتو واوسامى فى اليابان سنة ١٩١٨ عنوانه « تأثير اكتساح مديرية شيزوكا بموجة مد عالية من البحر فى القواقع الناقلة «للبلهارسيا اليابانية» وللاسف أن هذا المقال نشر باللغة اليابانية فقط ولم يظهر أى ملخص له باللغات الاوربية ولم يمكننا الحصول على الاصل اليابانى .

صراع عشرين سنة

بين رسل السلام وزبانية الحرب

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

انقضى عشرون عاما منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ، وما أن ظهرت بشائر الصلح حتى هب نفر من محبي خير البشر يدعون بمختلف الوسائل الى السلام العالمي والقضاء على فكرة الحرب ومكافحة الداعين اليها . وكان ان اشتد ، ولما يجف مداد معاهدة فرساي ، ذلك الصراع الهائل بين رسل السلام والاخاء العام والعالمية ، وبين عشاق الحرب والتسلح والوطنية المتطرفة . وقد ظل هذا الكفاح عشرين سنة ثم انجلى غباره عن حرب جديدة توارت وراءها الى وقت ما جهود جبارة بذلت فى سبيل السلم واحتجبت ألوف المطبوعات والدعايات والخطب والمحاضرات ومئات الجمعيات والهيئات والمؤتمرات التى تكاتفت جميعا على صيانة السلم والدعوة الى الاخاء العام واحترام حقوق الجار والالتجاء الى التحكيم والمفاوضة بدلا من القتال والغزو

وهذه الدعوة الى السلام التى استغرقت عشرين سنة منذ فرساى الى اليوم ان هى إلا حلقة جديدة فى سلسلة مديدة تترامى فى أعماق التاريخ قبل أن يبشر اخناتون بالسلام والمحبة ، وقبل أن تشرق على الأرض أنوار موسى وبوذا وكنفوشيوس وزرادشت والمسيح وبولس ومحمد وبهاء الله وتولستوى ممن دعوا الى الرحمة والبر والمحبة والاخاء والسلام .

ويقينى أن ما غرس فى هذه السنوات العشرين الأخيرة من مبادىء مثلى تدعو الى السلام العالمى والى العالمية والتعاون الدولى لا يمكن أن يزول أمام هذه الحرب الجديدة الوقتية كما أن البذور الحية لا تموت تحت أكفان الثلوج ! ويقينى أن هذه العاصفة ستزيد الانسانية شوقا الى جمال الربيع ! إن هذه الحرب ستثبت أقدام السلام والتعاون والديموقراطية بعد أن تدفع البشرية ثمنها غاليا ! وكل

ما غلا ثمنه زادت صيانته و كبر فى العيون !

أريد هنا أن أسجل بعض جهود رسل السلام فى العشرين السنة الفاصلة بين حربين ، ولعل أشد أولئك الرسل سطوعا على مسرح السلم هو الرئيس وودرو ولسون الذى حدثت الحرب العظمى ابان رياسته ، و كان يعتقد أن الاخلاق والسياسة يجب أن تسيرا جنبا الى جنب ولكنه ما لبث أن رأى الالمان يعلنون حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط فذهب ضحيتها كثير من غير المحاربين كما ذهب ضحيتها الباخرة لوزيتانيا وغرق كثير من الامريكيين المحايدين فاشتد سخط الشعب واضطر ولسون الى اعلان الحرب الى جانب الحلفاء ولو أنه كان يمقت الحرب ولكنه كان يحلم فى سلام عالمى يعقب هذه الحرب الأخيرة وفى عصر جديد تتحرر فيه الشعوب وتنزع الامم فيه سلاحها وتؤسس عصبة للامم تكون بمثابة حكومة عالمية تفض المنازعات. وقد تحقق بعض هذا الحلم ولكن معظمه ما برح أن تبدد أمام الاحقاد والاهواء ومات ولسون عام ١٩٢٤ وهو يرى أن عصرا ذهبيا تسوده تلك المبادىء النبيلة التى دعا اليها لم يحن وقته بعد . وقد نثر البذور وتركها تنبت وتترعرع بعده .

و كان هناك رجل عظيم يدعو الى السلام والاتحاد والاخاء فى خطبه وأحاديثه ورسائله ومقالاته قبل أن تشب الحرب وفى أثناء اضطرامها و بعدها حتى توفى عام ١٩٢١ وهو عباس عبد البهاء . وقد طاف فى عدة ممالك شرقية وغربية نادى فيها بالسلام العالمى ومن قوله فى احدى محادثاته بباريس:

« إن الدين الالهى يجمع القلوب المتفرقة ويزيل المنازعات والحروب عن وجه البسيطة فيخلق الدين روحانية و نورا وحياة لكل نفس . »

وقوله :

«فلما أشرق نور بهاء الله من الشرق أعلن بشرى وحدة الانسانية وخاطب جميع البشر قائلا: « كلكم أثمار شجرة واحدة » فلا يوجد شجرتان شجرة للرحمة الالهية وأخرى للشيطان . إذاً ينبغى لنا أن نعامل بعضنا البعض بمنتهى المحبة فلا نعتبر قوما ملأ الشيطان بل نعلم ونقر بأن الجميع عبيد لاله واحد . »

وقوله :

« أما بخصوص التعصب الجنسى فهذا وهم وخرافة واضحة لأن الله خلقنا جميعا جنسا واحدا .

ومنذ الابتداء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد فى الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم وفى نظر الله لا يوجد فرق بين الامم المختلفة فلماذا يخلق الانسان مثل هذا التعصب ولماذا تقام الحروب من أجل وهم باطل كهذا . فلم يخلق الله الخلق ليهلك بعضهم بعضا فجميع الامم والقبائل والأجناس متساوون أمام مواهب أبيهم السماوى . ولا فرق بينهم فى الحقيقة إلا فى درجة الاخلاص والطاعة للقوانين الالهية . »

وقد دعا عباس عبد البهاء الى إنشاء جمعية للامم لتوطيد السلام سنة ١٨٧٥ والى تأسيس محكمة دولية للفصل فى المنازعات عام ١٩١١ والى تحديد التسليح ايجاد لغة دولية مشتركة والى مقاومة والتعصب القومى والدينى والجنسى

وكان رومان رولان الكاتب الفرنسى الشهير من أعظم المروجين لمبادىء العدل والسلام ، الثائرين فى وجه الحرب ، الداعين الى الاخوة البشرية فى أثناء التحام الجيوش . وقد هاجر الى سويسرا حيث أخذ ينشر عددا من الرسائل ينافح فيها عن السلم ويحمل على الحرب ومثيريها وقد جمعها فى كتاب أسماه «فوق المعمعة» . وقد اشتهر رومان رولان بدفاعه عن حرية الرأى وبمناوأة الديكتاتورية والاستبداد والطغيان فى كافة البلاد . وقد ترجم الى العربية كتابه عن المهاتما غاندى

ومن رسل السلام ليون بورجوا وبرتراند رسل وبرناردشو وولز وتاجور وغاندى ولكل من هؤلاء مؤلفات وخطب ومقالات يصعب حصرها . ويعد هـ . ج . ولز أنشط الداعين إلى العالمية والمنددين بالحرب فى هذا العصر وله آراء جريئة ومبادىء تدور حولها قصصه ومؤلفاته التى نيفت على الخمسين وأكثر هذه المؤلفات معروفة لدى القراء .

وقد ظهر فى العشرين السنة الاخيرة الوف الكتب التى يدعو فيها مؤلفوها إلى السلام أو الاخاء أو الوحدة العالميه أو الى معاونة عصبة الامم كما ظهر عدد كبير من القصص التى تنفر من الحرب وتصور فظائعها . ومنذ بضعة أشهر نشر سلفادور دى مدرياجا كتابا أسماه «النظام العالمى» اقترح فيه الوسائل العملية التى تؤدى إلى اقامة نظام للحكومة العالمية تتقارب الامم فى ظلها وتتحد وتتمتع بالسلم . ونشر كلارنس ستريت كتابه «الوحدة الآن» دعا فيه الى توحيد الدول الديموقراطية على مثال الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية فتؤلف هذه الدول حكومة اتحادية وتختار لها عاصمة ولغة

مشتركة . وأصدر المستر تشمبرلين كتابا اسمه « كفاح فى سبيل السلم » ضمنه الجهود التى بذلها فى الميدان الدولى منذ توليه رياسة الوزارة

وبين تلك المؤلفات كتاب « تاريخ السلام » الذى وضعه ا . ف . بيلز . وكتاب الحكومة الدولية لولف. ونشير هنا إلى ظهور أربعة كتب عن عصبة الامم باللغة العربية

وفى سبيل صون السلم أنشئت عصبة الامم بجنيف بعد أن تألفت لهـذا الغرض عدة جمعيات كانت أهمها « عصبة العمل لتنفيـذ مبدأ السلام » الفها فى الولايات المتحـدة سنة ١٩١٥ رجال من الحزبين الجمهورى والديمقراطى يتزعمهم المستر تافت أحـد رؤساء الجمهورية الامريكية السابقين ومثل لجنة بريس فى انجلترا التى وضعت مشروعا لمنـع الحروب و كونت جماعة أسمتها عصبة الامم ومثل جماعة عصبة الامم الفرنسية التى تكونت تحت رئاسة المسيو ليون برجوا

ولما عقد مؤتمر الصلح كان تأسيس عصبة الامم فى مقـدمة قراراته ففى جلسته العلنية الثانية التى عقدت فى ٢٥ يناير سنة ١٩١٩ قرر تأليف لجنة برياسة ولسون لوضع دستور العصبة . وتقرر المواد (٨ الى ١٩) بنوع خاص برنامج المنع المباشر للحرب

وتقرر المادة ١٤ من ميثاق العصبة ان محكمة العدل الدولية الدائمة تنظر فى جميع الخلافات ذوات الصبغة الدولية

وتنص المادة الثامنة على أن « يعترف أعضاء العصبة بأن صون السلام يتطلب تخفيض التسلح القومى إلى الحد الادنى التى يتفق مع السلامة القومية ومع تنفيذ التعهدات الدولية المفروضه باتفاق عام »

وانشئت هيئة العمل الدوليـة التى تساعد على بث روح الوحـدة والسلام وتألفت لجنة التعاون الفكرى عام ١٩٢٢ وبدأت هيئتها التنفيذية أعمالها فى سنة ١٩٢٥

وفى سنة ١٩٢٥ عقـدت الدول الغربية الاربع الكبرى معاهدة لوكارنو لنبـذ الحرب وصيانة السلم وفى ١٩٠٨ وافقت معظم الدول على ميثاق بريان — كيـلوج الذى يقضى فى مادته الاولى بنبذ الحرب كأداة للسياسة الوطنية .

وعقـد « مؤتمر انقاص وتحـديد السلاح » سنة ١٩٣٣ وما تلاها ووضع لنفسه برنامجا للنزع المعنوى للسلاح

وعنيت لجنة التعاون الثقافى من بادىء الأمر بحمل الدول المختلفة على تلقين شبابها غايات عصبة الامم وأعمالها وأوحت الى ادارات التعليم المدرسى باعادة النظر بروح عدم التحيز والتسامح الدولى فى الكتب المدرسية التى تبث التحامل على الشعوب الاخرى ونشرت كتابين طبعا بباريس سنة ١٩٣٢ هما « تنقيح الكتب الدراسية » و « السلام عن طريق الشباب » . وأعدت الهيئة اتفاقية دولية خاصة باستعمال الاذاعة اللاسلكية لخدمة السلام وابرمت بجنيف فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٦

وفى سبتمبر ١٩٣٦ افتتح فى بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر السلام العالمى حضرة مندوبون من ٣٣ دولة بلغ عددهم ٤٩٠٠ مندوب وكانت أهم أغراض هذا المؤتمر اقناع حكومات العالم بأن الشعوب تنشد السلام وتريده وكانت المبادىء الاساسية التى اتفق عليها الأعضاء وتعهدوا بالدعاية لها هى(١) خفض السلاح وتحديده باتفاق بين الدول يحول دون الربح من وراء صنع الاسلحة أو الاتجار بها (٢) تقوية عصبة الامم لاتقاء الحروب ومنعها وذلك بايجاد نظام فعال للسلامة المشتركة والتعاون المتبادل (٣) ايجاد نظام وطيد فى نطاق العصبة لمعالجة المشاكل التى تنشأ بين الدول والتى يخشى أن تؤدى الى الحروب (٤) عدم المساس بالتعهدات التى تلزمها المعاهدات . . وقد ساهمت مصر فى هذا المؤتمر فانتدبت وفدا للاشتراك فيه يمثل أهم الجماعات السلمية بمصر

وفى مساء ٢٥ اغسطس ١٩٣٧ اقيم بقاعة السوربون بباريس حفلة افتتاح المؤتمر الدولى الثانى والثلاثين للسلام العالمى وقد ترأس الحفل المسيو فرنسوا دى تيسان وكيل وزارة الخارجية الفرنسية ومثل مصر وزير مصر المفوض بفرنسا وألقى مندوب الشبيبة المصرية كلمة فى ذلك المؤتمر

وفى ٢٣ يوليه ١٩٣٨ شهد ٥٨ مندوبا عن ثلاثين دولة المؤتمر الدولى للحملة فى سبيل السلم وظل يومين يبحث التدابير التى تتخذ بشأن القاء القنابل على المدن المكشوفة واعادة السلم الى نصابه وكان فى جملة مندوبى بريطانيا عشرة من أعضاء مجلس العموم وعدد من ممثلى الكنائس واتحادات العمال وارسلت اسوج وتشكوسلوفاكيا وفدين قويين ومثل الهند المستر لال نهرو . وقد رأس اللورد سيسيل هذا المؤتمر ورأى أنه يجب أن يساعد الاتحاد الانجليزى الفرنسى على تأييد القانون والحق . ثم تكلم المسيو ليون جوهر السكرتير العام لاتحاد العمال الفرنسى فقال: « نحن سائرون فى طريق الحرب فالمستعدون للعمل هم وحدهم الذين يدافعون عن قضية السلم » وتكلم مندوب

امريكا فأشار إلى حماسة الشعب الامريكى فى سبيل تأييد السلم وأكد القس شيستر الحاجة الى تضامن جميع البلاد المتمدينة التى تؤمن بالسلم وتقف إلى جانب بعضها ضد المعتدين واقتراح مقاطعة البلاد المسئولة عن حوادث الارهاب واطلاق القنابل على غير المحاربين

وقد تألفت فى أنحاء العالم مئات الجمعيات والأندية والمعاهد والهيئات التى تعمل فى سبيل صيانة السلم وتوطيد روح الاخوة والتعاون بين الشعوب المختلفة

ففى جنيف تأسس « اتحاد الطلبة الدولى » — و « مدرسة الدراسات الدولية » — و « الاتحاد البريطانى لعصبة الامم » — « ومعهد جنيف للعلاقات الدولية » — والمكتب الدولى للسلام » و « الاتحاد الدولى لجمعيات عصبة الامم » — و « الاتحاد الجامعى الدولى لنشر مبادىء عصبة الامم » « عصبة النساء الدولية للسلام والحرية » — « هبة كارنجى للسلام الدولى وغيرها »

ومن أهم الهيئات التى رأيتها فى جنيف « لجنة السلام ونزع السلاح للجمعيات النسوية الدولية » وهى مكونة من اثنتى عشرة هيئة دولية وخمس جمعيات وطنية ولها فروع فى ٥٦ دولة تضم من الأعضاء ٤٥ مليون امرأة وغاية هذه اللجنة نشر مبادىء السلام ونزع السلاح وقد اتيح لى التحدث مع الرئيسة مس مارى دنجمان وتزودت منها بنشرات ومعلومات سأفرد لها فصلا خاصا فى القريب ..

والفت بفرنسا هذا العام « جمعية الأصدقاء فى العالم » وجعلت شعارها « المودة الحقيقية هى الفعالة » .. وغايتها جمع الناس من كل المذاهب والاديان والأجناس على تأييد فكرة السلام ومواجهة سيطرة الدكتاتوريات على الادارة وحرية التفكير . وهى تدعو الى الصداقة بين الجميع على أن يحترم كل منا آراء الاخرين واعتقادهم ومذهبهم وجنسيتهم وقد تألف لهذه الجمعية فرع فى مصر

والفت فى نيويورك فى عام ١٩٢٩ « جمعية التاريخ الجديد » وجعلت من أغراضها بث روح السلام والدعاية ضد الحرب وخلق جيل جديد لايؤمن بالحدود ولابالجنسيات وفى ١٩٣٠ أنشأت هذه الجمعية هيئة ملحقة بها اسمتها « القافلة » وجعلت من أغراضها أن تخلق بواسطة الفنون والآداب مجتمعا أرقى لاتفصل بينه حدود ولاتقوم فوارق ولاتسود بغضاء . وفى سنة ١٩٣٨ ألفت جمعية التاريخ الجديد هذه جبهة لاختيار سفير عالمى للديمقراطية والسلام

وفى سنة ١٩٣٨ اقيمت مبارة دولية لوضع نشيد عالمى للسلام ولكن لم تعرف نتيجة هذه المباراة

وفى السنة نفسها وضع احد المهندسين بارجنتين مشروعا بمساعدة حاكم مديرية بونس ايريس لحديقة نسمى حديقة السلام تغرس فيها كل أمة زهرة تمثلها فتتفتح جميعا فى تربة واحدة . وقد انشئت فعلا هذه الحديقة

وفى سبيل السلام دعا البعض إلى تكوين « الولايات المتحدة الاوربية » وإلى « اتحاد جمهوريات الامريكتين » والى « اتحاد نساء العالم » و « اتحاد عمال العالم » و « عصبة امم الدول الديمقراطية » وغيرها من المقترحات . وفى سبيله عقدت مئات المؤتمرات الدولية ومن أجله نشبت هذه الحرب الجديدة . ونحن الذين كرسنا حياتنا لخدمة السلام والدعوة الى تحرير الشعوب والديمقراطية والعالمية سنظل دائما ندعو إليها

الاورق المالية والحرب

للاستاذ فوزى كامل

يقدم كثيرون من متوسطى الحال وأكثر هؤلاء من الموظفين وغيرهم على شراء بعض الاوراق المالية مما يتبقى عادة من مرتباتهم . وهؤلاء اذا نعتناهم بمتوسطى الحال فاننا غالبا نكون على حق فيما نقول اذ ان طبقة الموظفين على العموم اصبح لها فى الايام الاخيرة باع كبير فى سوق الاوراق المالية. ولا يفهم من هذا اننا نريد بالتالى هضم حقوق الاغنياء فى هذا الميدان المالى وانما الذى يقول هذا هو فى الحق لا يعلم الشىء الكثير عن الحالة المالية والاقتصادية فى اى بلد من بلدان العالم المتمدين اليوم . فالاغنياء لهم الباع الاول فى ادارة وتنظيم وسير معظم المشروعات من صناعية وتجارية وزراعية فهم يمدونها بالمال منذ الخطوات التأسيسية الاولى . وهم الذين يجازفون باموالهم ، وهم الذين يكون لهم الربح اولا اذا ماقدر للمشروع نجاح او فلاح .

بعد هذه الكلمات القصيرة ارجو ان اوفق لعلاج موضوع من المواضيع التى تهم جميع الناس على اختلاف انواعهم ومناحيهم فى الانجاه المالى . لكى يتبين من يهمه الامر منهم بصفة مباشرة معرفة بعض اسرار الموقف المالى بالضبط . ومعنى ذلك ان من كان منهم عنده لبس سيزول بمجرد ان يعرف الاسباب الحقيقية التى دعت لهذا اللبس .فيترك الاشاعات التى يعمل على ترويجها بعض الناس احيانا من غير نية واحيانا اخرى عن سوء نية وايضا لاغراض فى نفوسهم . ولا يتبادر لذهن احد منا ان هذه الاشاعات الكاذبة غالبا ليست ذات اهمية فى السوق المالية وانما يجب ان نعلم جيدا ان هذه الاشاعات لها مركز خاص هام بين مختلف العوامل الحقيقية وغيرها التى تؤثر تأثيرا عظيما على اسعار الاوراق المالية تارة بالصعود وتارة اخرى بالهبوط

كان اذن من الواجب ان ننبه الاذهان الى ما يجب عمله ازاء مالك عنده فى خزانته او قل تحت يديه نقود او اوراق مالية اسهما او سندات او كليهما . هذه تمثل ما ادخر هذا الرجل او هذه السيدة للمستقبل الغامض . وما كان يحفزنا على التحدث فى هذا الموضوع الخطير غير اهتمامنـــا باموال مواطنينا الاعزاء من الضياع . ولو كان الوقت يسوده السلام لما كان هناك مجال للكلام . ولـكن الوقت الحالى ينذر بحرب بين آونة واخرى وليت الامر اقتصر على قيام حرب مقبلة ولـكن هذا تبعه من الاشاعات والتهويلات التى يروجها البعض مما يزعج النفوس المطمئنة فعلا . وكان ان نتج عن هذه الحالة المزعجة حالة ذعر شديد على ضياع الاموال واضطربت بالتالى اسعار البورصة تبعا لذلك .

ويشاهد ذلك كل متطلع على اعمال المصارف او فى الاندية التى تجمع عادة بعضا من المشتغلين بهذه الاوراق المالية . والظاهرة التى يتحتم ان يراها كل منا هى انه اذا استولى الذعر على جماعة من الناس فلا تجد من جماعة اخرى ثباتا وطمأنينة وانما تجد ان روحا كهذه تسرى من فرد الى آخر حتى تصيب الجميع روح اليأس والقنوط والكل ينظرون بمنظار اسود نحو مستقبل اموالهم التى توظف فى الاوراق المالية فانتشار روح اليأس الاولى كانت سببا فى تولد اخرى وهكذا حتى وصلنا الى الحالة الراهنة وهم يعملون فى الوقت نفسه على ايجاد ارتباك شديد فى السوق المالية يعقبه حالة عدم التوازن بين العرض والطلب فى الاوراق المالية .

قد يعترضنا هنا أحد الناس فيقول لنا ـ ان الاضطراب وجد بسبب الاشاعات عن وقوع حرب مقبلة فما ذنب هؤلاء فى ارتباك السوق المالية وعدم توازنه والجواب على ذلك بسيط بل وعند كل فرد منا وذلك بالرجوع الى أبسط القواعد الاقتصادية وهى مسألة العرض والطلب ـ فانت اذا عملت على عرض اسهمك فى السوق المالية وعرض جارك بالمثل والكل اصبحوا فى خوف ووجل فماذا تنتظر ان تكون النتيجة لهذا العمل المرتبك ؟ اتعتقد بعد هذا انك ستجد سعرا مرتفعا للبيع فى السوق ام ستجد سعرا هو اقل من المعدل وهل تعتقد بوجوب التوازن بين العرض والطلب بعد هذا فى الحق انك تغالط نفسك اذا انتظرت بعد ان فعلت بيديك وعملت على الارتباك فى السوق المالية ان تبيع اسهمك بثمن مرتفع . بل انت يجب عليك فى هذه الحـــالة ان تجنى ثمرة ما فعلت

وتبيع بسعر اقل من المعدل وهذا على ما اعتقد يشاهده الكثير منا فى كل يوم والذى يستفيد فعلا من هذه العمليات التى تكون نتيجتها احيانا كثيرة انهيار كثير من البيوت لا سيما من متوسطى الحال وغيرهم ايضا من الاغنياء ؟ يستفيد من هذا جماعة من المضاربين من الماليين الذين عركوا السوق المالية وعرفوا اسرارها . هم يدخلون السوق غير خائفين يتصيدون العمليات الرابحة لهم وطبيعى انها خاسرة على الآخرين وذلك تبرهنه النظرية اوقل البديهية الآتية « لا يربح أحد الناس الا بحساب خسارة الآخر » وعلى ذلك ينقصنا ان ننظر الى السوق المالية نظرة حقيقية ، ينقصنا ان نكون بعيدى النظر لا تؤثر فينا الاشاعات او غيرها من مختلف الاختلافات او الاراجيف ونريد ان ننبه الاذهان هنا بعد هذا الشرح الموجز الى مسألة فى غاية الاهمية وهى : —

اننا يمكننا تقسيم الذين يتعاملون فى السوق المالية الى قسمين رئيسيين وهما

اولا — أما ان يكون الشخص (سواء كان من الرجال او النساء) مالكا لبعض الاوراق المالية فى ايام الهدوء والسلام وفى هذه الحالة يكون من المشترين غالبا بأثمان عالية ومرتفعة عن سعر اليوم. ونقصد باليوم اى يوم من هذه الاوقات التى تنذر بحرب بين آونة واخرى

ثانيا — واما ان يكون مالكا لبعض الاسهم والسندات وايضا يملك فى خزانته او فى صندوق التوفير بعضا من النقود يقتصدها من مرتبه لغرض التثمير .

هذا بالاجمال وصف للحالات التى يمكن ان توجد بين صفوف المتعاملين فى الاسواق المالية والذى يهمنا هنا قبل أى اعتبار آخر هو اننا نقصد غرس حالة الثبات فى الشعب المصرى مهما كانت الظروف الداعية للانزعاج والذعر . والجماعة الناس الاولى وهم الذين يملكون اسهما وسندات من ايام السلام والهدوء وقد قلنا انهم كانوا قد اشتروها باسعار مرتفعة فما هو مركز هؤلاء اذا ما رأوا ان اسعار السوق المالية هبطت بل ومستمرة فى الهبوط المخيف اليوم بعد الاخر هل يندفعون فيبيعون ما عندهم ام ماذا يكون حالهم ؟

أما عن رأى قادة الفكر الاقتصادى والمالى واساتذة الاقتصاد من اوربيين الى امريكيين من القدماء وايضا من الحديثين من المصريين واضف الى ذلك رأى التجارب فانهم قالوا انه اذا عاد انتشار اعراض عدم الثقة بالسوق المالية بسبب ذعر من قيام حرب او ما شابه فالواجب الاول على حملة

القراطيس المالية ان يثبتوا ولا ينزعجوا فيجب ان يبقوا فى اماكنهم ولا تهزمهم تلك الاعراض التى تجتاح السوق المالية فى ايام الحرب او ايام تنذر بالحرب

ولنضرب لذلك مثلا يعطينا فكرة صائبة عما نقول بوجوب عدم الاسراع ببيع ما فى ايديهم من الاسهم او السندات فهؤلاء يقولون اننا انما نبيع ما فى ايدينا من الاوراق اولا لننقذ ما يمكن انقاذه من اموالنا المثمرة فى هذه الاوراق . وثانيا هم يقولون اننا نتخلص من اوراقنا لاننا نعتقد ان الشركة التى تعمل فى العمل (كذا) هى معرضة قبل غيرها للخراب او الدمار وبالتالى تضيع اموالنا علينا وكل هذه الاسباب الداعية لبيــع ما فى اليد من اسهم او سندات تظهر لاول وهلة انها وجيهة بل ومعقولة .

ولــكن ما الراى اذا سالنا السؤال التالى ؟

ماذا عمل صاحب او ما لك من الاتى :—

الـكوخ او البيت المتوسط او العمارة الشاهقة هل باعها وماذا عمل صاحب الاطيان هل رأيته باعها او تركها دون رجعة؟

فى الحق ان كل واحد منا عنده الجواب على ذلك فصاحب الكوخ البسيط مازال يعتز به وينسقه كما يرى . وصاحب البيت المتوسط مازال فى بيته يفخر به . وصاحب العمارة الشاهقة مازال يتعهدها بالسهر عليها وعلى راحة من بها من الناس . وصاحب الاطيان مازال الاخر يزرعها ويجد فى حرثها معتزا بها ولو انها كما نعلم كثيرا ما تجر على صاحبها بعض الخسائر

فما بالك ياصاحب الاسهم والسندات مالك مرتبك البال وتضيع اموالك فيما ليس له معنى وليس له مساس من الصحة غير الاشاعات الباطلة؟

اعتقد بعد هذا المثل الواضح اننا اذا كنا من حملة الاسهم المشتراة بسعر مرتفع قبل هذه الايام اننا سنعقد النية على الثبات والهدوء مهما هبطت الاسعار ونزلت نزولا فاحشا

فاذا ما نزلت اسعار الاسهم نزولا اسميا فاحشا ولم تجد بالتالى من يعرض اسهمه للبيع فانها لا تلبث ان ترتفع ثانية هذه بفعل عوامل اخرى سنعالجها فى مواضيع اخرى والا فانها ستظل على الاقل ثابتة ولا تستمر فى الهبوط واذا ما وصلنا الى حالة الثبات هذه فاننا نستبشر خيرا اذ ان هذه الحالة

اى حالة الثبات تجر ثباتا اخر . هذا ما قاله ايضاقادة الفكر الاقتصادى فى القديم والحديث وفوق ذلك فان حالة الثبات هذه تعتبر كملطف للحالة المالية العامة ومهبط لشدتها

واذا ما اعتقدنا بالتالى بهذه النتيجة وهى ان حالة الثبات تكون كملطف للحالة المالية العامة لن يمكننا انكار الآثار الطيبة والمفيدة التى تتركها حالة التسكين هذه فى السوق المالية

اما عن القسم الثانى من الناس الذين يملكون بعضا من النقود المدخرة فى هذه الايام. وهؤلاء ايضا فى حالة ذعر مالى فهم لا يعلمون أيقدمون على شراء بعض الاسهم او السندات او ان يبقوا على نقودهم فى خزائنهم او فى صندوق التوفير ولكن الحق الذى يجب ان يسير عليه هؤلاء اذا ما رأوا استثمار اموالهم احسن استثمار وبسعر فائدة عال ومفيد جدا . الحق انهم يجب عليهم الاقدام بالشراء فى هذه الايام التى تعتبر اسعارها اسعارا استثنائية فيقدموا لانفسهم خدمة مالية ويخدمون السوق المالية من طريق اخر

فلا يخلو الامر كما نعلم من جماعة من المساهمين فى شركة ما محتاجين لنقود لاعذار قهرية تدعوهم للبيع باى سعر مرتفع او منخفض . هؤلاء يذهبون لعرض بعض او كل اسهمهم فى البورصة وهؤلاء لهم عذرهم . فاذا ما اقبل الناس وهم الذين يدخرون نقودا للاستثمار على الشراء فانهم يعملون بالتالى على ايجاد التوازن المطلوب بين العرض والطلب فى السوق المالية وهم يستفيدون كما قلنا سابقا اذ يشترون فى ظروف استثنائية باسعار هابطة عن الاسعار العادية فى ايام الهدوء فلولا ظروف الحرب وما يلابسها من اشاعات وروح التشاؤم لما نزلت الاسعار عامة . تلك اذن حالة استدعت العناية من كل مفكر فى الشئون المالية والاقتصادية فى هذا البلد حتى لا تضيع الاموال على اصحابها فى ظروف عصيبة كهذه .

نحن نشكر صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء على بيانه الاخير بوجوب الثبات الذى وجهه الى الشعب المصرى ونشكر معالى وزير المالية على عنايته الفائقة وسياسته الحكيمة فى تثبيت الحالة المالية ليس فقط بالمنشورات الرسمية التى تصدرها الوزارة من آن لاخر ولكن ايضا بالعلاجات الفعالة فاصدار قانون منع اصدار الذهب الذى نذكره جميعا بالخير .

ولكن مما يجدر ذكره انه اذا كانت الحكومة المصرية قد قامت فعلا بتنبيه الاذهان الى عدم

وجود حالة يستدل منها على الفزع والخوف . وهذا حسن بل ومحمود من جانب ولاة الامور ولكن هناك واجبا على الشعب المصرى عامته وخاصته ان يعملوه وهو واجب الثبات كما قلنا وعدم تغلب روح الذعر على الناس بدون ان يكون هناك داع لذلك وليستفيد منهم من كان يملك النقود المدخرة كما قلنا فالظرف على ما نعتقد مكسب كبير لمن يملك نقودا .

واذا ماتعاون الشعب المصرى بل وحملة الاسهم والسندات بنوع خاص مع ما يذاع من الحكومة المصرية من آن لآخر ومع التدبيرات التى تتخذها ادارة البورصة لمنع التدهور العظيم فى الاسعار . نعتقد اعتقادا راسخا ان هذا سيحسن فعلا من المركز المالى كثيرا

والله يوفقنا الى مافيه خير البلاد فى ظل صاحب الجلالة الملك المعظم

عشرة كتب فى السياسة

فى هذه الايام القلقة نقرأ الجرائد بتلهف وننعم النظر فى كلمة هذا الوزير أو تهديد ذاك الزعيم . و نتسمع الى دمدمة الحرب ونتساءل عن هذه الفكريات السائدة فى احدى الدول وتناقضها للفكريات الاخرى السائدة فى أمة اخرى . ومن آن لآخر تذكر المستعمرات والمواد الخامة . ومعاهدة فرساى والديمقراطية والديكتاتورية والوطنية . والعالمية والحرب والسلام . الخ

ومن حق القارىء وواجبه معاً أن يعرف جميع احقائق التى ينبنى عليها النزاع العالمى الحاضر. بل النزعات العالمية الحاضرة وقد اخترت عشرة كتب عربية يمكن ان تكون أساسا ومرجعا لدرس هـذه النزعات . ولا اقول انها مرجع كاف واف . ولكنى أقول انها أحسن ما لدينا . وهى خير مايمكن أن يعتمد عليه القارىء اذا كان يجهل اللغات الأوربيه الكبرى .

وهذه الكتب هى :

١ — أسباب الحرب العالمية .. للاستاذ فاى وترجمه الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقى

٢ — أطلس تاريخ القرن التاسع عشر للاستاذين أحمد نجيب هاشم ومحمد مأمون نجا

٣ — الديمقراطية تأليف بورنز . وترجمة الاستاذ محمد بدران

٤ — عصبة الأمم تأليف سكرتيرية عصبة الامم

٥ — أتاتورك تأليف عزيز خانكى بك

٦ — مؤلفات جوستاف لوبون ترجمة الاستاذ محمد عادل زعيتر

٧ — الانجليز فى بلادهم لحافظ عفيفى باشا .

٨ — على هامش السياسة لحافظ عفيفى باشا

٩ — سياسة الغد لمريت بطرس غالى بك .

١٠ — تحليل نتائج التعداد للدكتور السيد صبرى

هذه هى الكتب العشرة التى اخترت ، والسبعة الاولى منها تعالج المسائل العالمية التى تتصل بالنزعات السياسية الحاضرة ، التى نقرأ عنها كل يوم فى الجرائد .. والتى قد تتبلوت يوما ما — فى حرب عاتية .

أما الثلاثة الاخيرة فتعالج موضوعاتنا الداخلية السياسية . وبكلمة أخرى ، أقول ان هذه الكتب العشرة يحتاج اليها قارىء الجرائد اليومية لكى يتتبع الاخبار وهو على هدى يستطيع أن يعلق النتائج بالاسباب

* * *

أول هذه الكتب هو « أسباب الحرب العالمية » — أى تلك الحرب التى وقعت بين سنة ١٩١٤ و١٩١٨ وهى التى انتهت بمعاهدة فرساى . والكتاب يبلغ نحو ٧٠٠ صفحة كبيرة . والمؤلف استاذ امريكى . وقد انتهى من تحقيقاته الى أن هذه الحرب لم تردها واحدة من الدول التى اشتركت فيها . وانما وقعن فيها كلهن . وهذا الاستنتاج يجب أن يبعث على القلق العظيم فى نفوسنا لأن معناه أن نشوب الحرب لايحتاج الى نية الحرب لان تيار الحوادث يجرف السياسيين والعسكريين معا ويلقيهم جميعا فى أتونها . أما كيف وصل الى هذا الاستنتاج فان ذلك قد احوجه الى ملء ٧٠٠ صفحة بالتفصيلات المستخرجة من الوثائق والمرسلات الرسمية . أو بكلمة أخرى تقول أنه لولا مصادفة قتل ذلك السربى المفتون للارشدوق النمسوى لما وقعت الحرب . ولكن هل نحن صادقون فى هذا القول؟

إن الجو المسمم بغازات الحقد تكفيه شرارة للاشتعال . فالسبب المباشر للاشتعال هو الشرارة ولكن لو لم يكن الجو مسمما لما اشتعل . فاوربا كانت فى سنة ١٩١٤ مسممة بدعايات سياسية مختلفة تبطن احقادا كالرجل المغيظ الحانق يبقى صامتا هادئا الى أن يعثر خصمه بكلمة قد تعد تافهة ولكنه يتعلل بها لأن يسطو عليه وينفجر فيه . وهكذا انفجرت اوربا سنة ١٩١٤ من حيث لاتريد الانفجار وهذا الكتاب يجب أن نقرأه هذه الايام لكى نعرف الظروف التى تحدث الحرب اذ ربما تعانى مثلها الآن ونحن لاندرى

والكتاب الثانى هو أطلس تاريخ القرن التاسع عشر . وهو يبدأ بعصر نابليون و يتتبع التطور السياسى فى اوربا إلى ان وضع نظام الانتداب . واحسن مافيه ٧٠ خارطة تبين حركات التوسع الحربى أو الامبراطورى إلى سنة ١٩٣٠ ويجد القارىء فصولا عن الثورة الروسية الاخيرة . ومؤتمر فرساى . وخسائر المانيا . وتركيا الجديدة . وهذا الى بيانات عن المواد الخامة وتوزعها بين الدول وتاريخ عصبة الامم واعمالها . وأعظم مايتركه هذا الكتاب من الاثر فى ذهن القارىء ان الحرب هى الحال المألوفة . أما السلم فهى هدنة موقتة . فان المائة من السنين الماضية حافلة الحروب . ولذلك لاتستغرب خيبة عصبة الامم إذ هى لاتجد الجو السلمى الذى تستطيع ان تتنفس فيه نسيم الحياة لأن العالم لايزال يتحدث عن امنيته السلم بلغة الحرب ولا يرجى خير مع هذه الحال

* * *

والديمقراطية كتاب يجب ان يقرأ فى الظروف الحاضرة ، لاننا نسمع كثيرا عن الصراع القائم بين الدول الديمقراطية والدول الجامعة ولكل من هذه الدول فكرياته السائدة ومثلياته العليا والمؤلف هنا يشرح مبادىء الديمقراطيــة ويبين الفروق بينها وبين الفاشية الايطالية ولكنه لايتحدث عن النازية الالمانية الا قليلا لانه اخرج كتابه فى سنة ١٩٣٤ ولما يكن للنازية شأنها الحاضر . والمؤلف متفائل بمستقبل الديمقراطية . وهو يختم كتابه بهذه الكلمات « وإذن فالروح الديمقراطى الذى يقوم على الثقة بعامة الشعب قد أوتى من القوة مايبعث فى نفوسنا الأمل فى المستقبل وكل مايحتاج اليه هذا الروح هو أن تزداد قوته حتى تتغلب على كل مابقى من اثار الهمجية وعلى كل مايحول دون عودتها »

و المؤلف يقتصر على الواقع فيصف حرية الفرد وعيشته فى الامم الديمقراطية ويقابلهما بما هما عليه فى الامم الديكتاتورية

* * *

وعصبة الامم من الكتب التى يجب ان تقرأ هذه الايام ايضا . وقد وضعته سكرتيرية العصبة نفسها وهى تشرح تاريخها وأعمالها الى الوقت الحاضر . وبدهى ان فكرة العصبة فكرة ديمقراطية عالمية . وهى من هذه الناحية تخاصم بوجودها الامم التى تغالى فى الوطنية . ثم هى لاتطرى نفسها فى

هـذا الـكتاب إذ تعترف بالخيبـة وتعزوها الى أسبابها ويقول المؤلفون بعد أن شرحوا تضارب الآراء : « على ان بين الفريقين فريقا آخر يمثل اكثرية الدول ويجمع بين الفريقين الـكبيرة منهـا والصغيرة وهو على رأى وسط بين الرأيين . وهذا الفريق يقارن بين الواجبات المفروضة على الاعضاء وبين المزايا والفوائد التى لايمكن ان يستفيدها العضو فى الوقت الذى يكون فيه عرضة للخطر . ويزن بين الحالين لـكى يعلم اذا كان فى الامكان ان تستوى الواجبات والفوائد ، واعضاء هـذا الفريق يقدرون تمام التقدير إخفاق العصبه فى مهمتها الاساسية أى فى تحريم الحروب وحل المشكلات بين الدول بالاساليب السلمية ويعترفون بأن فكرة العدول عن تصفية الحسابات بين الامم بواسطة السلاح كانت مستحيلة التنفيذ بالسرعة التى اريد التنفيذ بها » وأن عصبة الامم هى الآن فى وجودها أو موتهـا توبيخ صارخ لجميع الامم فانها رمز للسلم فى عالم يستعد للحرب والقارىء لهذا الـكتاب يرى بذور المستقبل فى الحاضر وأسس المثليات التى يرجو كل انسان ان تتحقق وتزول بها ويلات الحروب ومظالم الاعتداء

* * *

وكتاب أتاتورك هو صورة لتركيا الجديدة . وهو من الـكتب التى يجب الايخلو منها رف خاص بالمؤلفات السياسية فى أى مكتبة . لانه يقفنا على تطور أمة كبيرة ووثبتها من مركز الضعة إلى مركز المساواة بأمم الغرب العظمى . ونحن بالطبع بمزاجنا وتاريخنا ننكر الشىء الـكثير ممـا تحسبه تركيا الجديدة رقيا . ولكن فيها مع ذلك ألوانا كثيرة من الاصلاح يصح ان تأخذ بها فى الاقتصاديات والاستعداد الحربى والنهضة الزراعية . والمؤلف الاستاذ عزيز خانكى بك يتحمس كثيرا لاصلاحات أتاتورك . وكان يحسن لو انه غلب عقله على قلبه وانتقد إلى جنب الاطراء .

وهنا سؤال لابد أن يخطر على بال المستمع وهو : ماهى قيمة النهضة التركيـة فى درس السياسة العالمية الحاضرة

فالجواب هو سؤال آخر أسأله أنا وهو : ماهى قيمة درس السياسة العالمية ؟ إن قيمتها تنحصر فى اخراجنا من دائرة النظر القروى . فان مصر ليست كل الدنيا وعلينا نحن المصريين أن ندرس شؤون هـذه الدنيا ونقيسها بمقاييس أخرى تختلف عن مقاييسنا . ونحن مشتبكون بتطور العالم

خاضعون لكل تغيير فيه ان كثيرا وان قليلا . ونحن نؤثر فيه ونتأثر به ولابد لهذا السبب من أن ندرس نزعاته السائدة ونمتحنها . وتركيا ببعض اصلاحاتها تتحدانا فيجب أن نعرف ماتخالفنا فيه . كما يجب ان نعرف ما هي الفاشية أو النازية

* * *

والكتاب السادس فى درس السياسة الخارجية هو مؤلفات جوستاف لوبون وهى أربعة جمعتها أنا فى مجلد لسهولة المراجعة . وهى عندى كتاب واحد موضوعة الفرد هو أن العقائد السياسية لاتسير على المنطق . وأن سواد الامم لايؤتمن على الحكم الصالح . وأن الاصلاح بالقوانين ليست له قيمة كبيرة لأن القوانين لاتغير الاخلاق وأن النزعة الاشتراكية التى تتفشى فى الامم الديمقراطية هى نكبة يجب ان نكافح . وان الدنيا صائرة الى الخراب بالنزعات المتطرفة الحاضرة . وأظن اننا كلنا خصوم لهذا الكاتب . ولكن لهذا السبب نفسه يجب أن نقرأ مايقوله الخصم للمبدأ والعقيدة التى نعتقد . والمؤلف فى غاية الذكاء ولباقة التعبير والترتيب كثير الاعتماد على تاريخ فرنسا فى القرن الماضى . والمترجم الاستاذ زعيتر يحسن الاداء فى لغة مقتصدة . ولست أريد أن يفهم القارىء ان الكاتب رجعى ولكنه — من حيث لايدرى — يؤيد النزعات الرجعية لانه لايثق بالجماهير التى لايمكن الحكم الديمقراطى ان يقوم بدون الاعتماد عليها

* * *

والكتاب السابع هو « الانجليز فى بلادهم » وهو يصف لنا أمة ديمقراطيه ويشرح مؤسساتها المختلفة . وحسن ان يعالج هذا الموضوع رجل سياسى لجمهور القراء المصريين . ولا أقل فى الازمات السياسية الحاضرة من أن نقرأ كتابا يوضح لنا الديمقراطية ليس من حيث انها مبدأ أو فكرة أو نزعة بل من حيث انها عمل وحركة واتجاه فى الحكم . وعناوين الفصول وحدها تبين المدى الذى يصل اليه بحث المؤلف . فان منها ابحاثا عن . نظام القضاء الانجليزى . الامبراطورية البريطانية . التعليم فى بريطانيا . تكوين الرأى العام المسائل المالية . السلطة التشريعية .. الخ

* * *

هذه هى الكتب السبعة التى اخترت لدرس السياسة العالمية . ولا أقول انها وافية . وانما أقول انها عندى أحسن مانجد فى اللغة العربية . وقد اخترت ثلاثة كتب أخرى لدرس السياسة الداخليه وكان يمكنني ان اختار اكثر من هذا العدد . ولكن قارىء الجريدة هذه الايام يجد ان للمشكلات الخارجيه بروزا شاذا . والقلق خوفا من ان تتبلور هذه الازمه العالميه الى حرب يبعث على الاهتمام بدرس العوامل التى تختفى خلف النزاع او النزاعات الحاضرة

* * *

وأول ما يدرس فى السياسة الداخلية هو كتاب الدكتور حافظ عفيفى باشا أيضا « على هامش السياسة » فانه يعالج شؤوننا الوطنية . ويبدأ كما ينتظر من دكتور بدرس الصحة التامة — كدت أقول الامراض العامة — فى نحو خمسين صفحة . ثم يلتفت الى التعليم فالمالية فالشؤون الاقتصادية فالصناعة المصرية . وأخيرا التجارة . وهو فى كل هذه الابحاث يكتب بلهجة العالم المحقق الذى لا يستسلم للخيال وانما يطلب ما يمكن تحقيقه فى حدود الظروف الحاضرة أو المنتظرة . وقد يقال ان الغرض من اختيار هذه الكتب العشرة أن نقرأ الجرائد بتفهم ونحن على دراية بقيمة الاخبار ومرامى الخطب والمناقشات . فهل ننتفع بكتاب «على هامش السياسة» فى هذا الميدان ؟

فالجواب ان الكتاب يبتدىء بدرس الامراض المصرية وينتهى بدرس الواردات والصادرات فاذا كنت تطلب الجسد والدرس من الجريدة التى تقرأ فأنت تنتفع كثيرا بهذا الكتاب . واذا كنت لا تطلب الجد والدرس فاقرأه أيضا لكى يبعث فى نفسك هموما وطنية جديدة مفيدة

* * *

والكتاب الثانى هو سياسة الغد للاستاذ مريت بطرس غالى بك . فانه يسير على نسق الكتاب السابق ولكنه يزيد عليه فى عدد الموضوعات التى يعالج . فانه قد تناول بالنقد شؤوننا السياسية والادارية فى نحو أربعين صفحة . ثم بحث مسائلنا الاقتصادية والاجتماعية والتفت التفاتا خاصا الى مسألة الغذاء . هذا ولم يذهب عن بالنا ما أثبته على اسلام باشا من تناقص الارض الزراعية فى مدى الثلاثين من السنين الماضية على الرغم من زيادة السكان . وهنا يثبت مريت بك أن متوسط الغذاء بين السكان قد نقص أيضا . وهذه حقائق مرعبة يجب أن تكتب بخط الثلث فى ذاكرة جميع

المشتغلين بالسياسة .

* * *

أما الكتاب الأخير فلا أنصح به الا لخاصة من القراء الذين لهم الجلد على قراءة الارقام ومقارنتها . فان الدكتور السيد صبرى قد أخذ التعداد وغربله ووضع كل نوع من الحب فى ناحية ثم قدم لنا النتيجة لهذا التحليل . فشرح الزيادة والازدحام فى السكان والهجرة من الريف الى المدن وتقدم الصناعات والمهن التجارية . والمالكون والاجراء فى الزراعة . ودرس الاحصاءات قد يعد شاقا ولكنه ضرورى لكل من يتصدى لبحث المسائل المسائل الاجتماعية والاقتصادية أو أى مسائل وهو عندئذ يعود على الباحث باجزل الفوائد لانه يصل به الى نتائج يقينية . وبذلك نجعل الترسيم للاصلاح بعيدا عن الخطأ والخيال معا

* * *

هذه هى الكتب العشرة وهى — كما قلت — ليست كافية لدرس السياسة . ولكنها أحسن ما لدينا . وهى تجعلنا نقرأ الجرائد بذكاء ودراية فنميز بين التافه والخطير ونؤثر الاهم على المهم . وفوق ذلك كله ننظر بعين العالم الى مشكلات العالم

مقام المرأة

في الديمقراطية والفاشية والنازية

أعظم ما تمتاز به الدولة الديمقراطية انها تنظر بعين المساواة أو ما يقارب المساواة الى الجنسين . واذا لم تكن هــذه المساواة مطلقة الا فى روسيا والامم الاسكندناوية فانها أى المساواة هى الحال المثلى التى يقول بها المنطق الديمقراطى . ولكن الامم الجامعة — باستثناء روسيا — فى حملتها على النظم الديمقراطية قد انكرت على المرأة هذه المساواة . ويمكننا أن ننظر نظرة عجلى فى حال المرأة فى كل من ايطاليا والمانيا لكى نستنير بها عن المرامى والنزعات التى يقول بها الفاشيون والنازيون

فالفاشية وكذلك النازية تكبر من شأن القوة وتؤمن بمذهب الحرب . ولما كانت المرأة تمثل الضعف فى وهم السواد كما أن التاريخ الماضى يؤكد سلطان الرجل عليها وخاصة فى الامم الحربية مثل الرومان — حيث كان يجوز للزوج أن يقتل زوجته — فان الفاشية وكذلك النازية ترى أن المجد والشرف يقتضيان البعد عن صفات المرأة . وهى صفات الضعف . كما أن المساواة التى حققتها المرأة أو كانت تنشد تحقيقها فى النهضة الديمقراطية يجب أن يستبدل بها خضوعها الجديد للرجل . وقد تحدث قبل سنوات الاديب المعروف اميل لدفيج مع موسولينى فقال له هذا : «يجب على النساء أن يخضعن . وعندى أن وظيفة المرأة فى الدولة تنافى الرأى العصرى عن حقوقها . ولو أنى منحت المرأة حق التصويت لضحك الناس منى . لأن المرأة فى نظام دولتنا يجب ألا يكون لها حساب» ثم أضاف موسولينى على ذلك قوله أنه لا يعجب باحد من اسلافه مقدار اعجابه بواحد لانه قتل زوجته التى خانته

ولكن هــذا الحديث الشخصى صغير القيمة فى جنب القوانين والقواعد التى تعمل بها الدولة الفاشية فى ايطاليا الآن . فقد حرم على المرأة أن تعلم الصبيان اذا زاد عمر أحدهم على ١١ سنة أية مادة تؤثر

فى أخلاقهم خشية أن ينشأوا وقد تلوثوا باخلاق النساء . وكان أدنى سن لزواج الفتاة والشاب ١٥ و ١٨ بالتو الى فصار فى الدول الفاشية الجديدة ١٤ و١٦ . وربما يقصد من هذا الى زيادة التناسل التى يحرص عليها موسوليني . ولكن لا يسع المتأمل لهذه السن الصغيرة التى عينت للفتاة (١٤ سنة) الا أن يشعر بان شخصيتها لم تقلق بال موسوليني. وهذا الاحتقار لشخصية المرأة تراه فى تحديد العقوبات. فقد كان القانون السابق ينص على عقاب الزوج الذى يضرب زوجته ويحدث لها عاهة دائمة بالسجن خمس سنوات. فانزلت هذه العقوبة الى ستة أشهر فى النظام الفاشى . واذا ماتت الزوجة من الضرب فالعقوبة هى السجن ثمانى سنوات. بدلا من الاعدام قبل الفاشية . وليس فى القوانين الفاشية ما يمنع الزوج من ضرب زوجته ما دام لا يحدث لها عاهة . واذا تركت الزوجة زوجها فان البوليس يبحث عنها . وعند الاهتداء اليها يلقى القبض عليها وتعاقب بالسجن سنة أو بالغرامة التى تبلغ ١٠ آلاف ليرة . أما اذا ترك الزوج زوجته فلا عقاب . وفى جريمة الزنا تعاقب الزوجة بالسجن سنتين . ولا يعاقب الزوج الا اذا اقتنى خليلة . وحتى هذا لا يكفى اذ لابد أن يصبح موضوع هذه المخالة حديث الناس . . وكان التلبس بالزنا قبل الفاشية يجعل عقوبة الزوج الذى يقتل زوجته السجن من ٣ الى ٧ سنوات . أما بعد الفاشية فلا عقاب بتاتا على الزوج القاتل وقت تلبس زوجته بالجريمة

ولننظر الآن فى المانيا حيث النازية أى الاشتراكية الوطنية . فان النازيين قد جهروا قبل استيلائهم على الحكومة بان الامومة يجب أن تكون الغاية الاولى والوحيدة من حياة المرأة . ولذلك كان فى مقدمة مشاريعهم التى نفذوها مكافأة الزوجين يوم الزواج بالف مارك (٩٠ جنيها) تعد دينا اذا لم يثمر الزواج أطفالا . ويلغى هذا الدين باعتبار ربعه لكل طفل أى يلغى كله عند تمام أربعة أطفال . وهذا الاتجاه نحو الامومة قد كانت له نواحيه السلبية بمنع المرأة من ممارسة الحقوق المدنية. فمنذ أن تولى هتلر الحكم طردت النائبات من مجلس الريشتاج . كما طردن أيضا من المجالس البلدية والمحلية . وسن قانون يمنع استخدام المرأة فى الحكومة أو المصانع أو المكاتب فى ثلاث حالات : أن تكون دون الخامسة والثلاثين . وأن تكون متزوجة بموظف أو ان تكون متزوجه بغير آرى . بل سن قانون آخر بفصل الموظفات اذا كن متزوجات أو اذا وجد رئيس المكتب الذى يعملن فيه ان لهن من يعولهن وان لم يكن متزوجات. وكذلك تفضل المرأة غير المتزوجة اذا كان لها من يعولها . وحدد

عدد الفتيات اللاتى يلتحقن بالجامعات بعشرة فى المئة فقط من الناجحات فى البكلوريا .ثم بعد ذلك حدد عدد النساء الحاصلات على شهادات جامعية ويرين الاشتغال بما تعلمنه من فن أو علم بعشرة فى المئة أيضا

فالروح السائدة فى الفاشية والنازية واحدة من حيث الرغبة فى قصر نشاط المرأة على البيت لكى تكون زوجة واما

الفرنسية

كتب أحدهم يقول ان المكتب الذى أنشأته الحكومة للبحث عن الأعمال الحرة للمتعطلين من المتعلمين قد استطاع أن يجد هذه الاعمال لسبعين من المتقدمين اليه . وجميع هؤلاء السبعين من الشبان الذين تعلموا فى المدارس الفرنسية فى مصر

وهذا الخبر هو أسوأ وأشأم تعليق على خطة التعليم التى اتبعناها فى مدى الخمسين من السنين الماضية ، فقد أثبت هذا الكاتب أن هذا المكتب لم يستطع أن يجد عملا حراً لخريجى المدارس الحكومية أو المدارس الاهلية التى تسير على برنامج الوزارة لانهم جميعهم يجهلون اللغة الفرنسية وهى اللغة التى لا تستغنى عنها المكاتب والمتاجر فى القاهرة والاسكندرية وغيرهما . فالملايين التى تنفقها وزارة المعارف لا تؤهل شابا لان يجد عملا حرا

ونظن انه يجب أن نسلم بأن اللغة الفرنسية هى الآن لغة التجارة والمال فى مصر . اذ لا يمكن بنكا أو متجرا يملكه أجنبي أن يستخدم شابا يجهل هذه اللغة . ويجب على وزارة المعارف أن تسلم بهذه الحقيقة لمصلحة أولادنا المساكين

قصة من الادب الايطالي

التعويذة

تأليف القصصى الايطالي الشهير « جيوفانى بوكاشيو »

جيانى لوترنجى نساج غنى ناجح فى عمله ، ماهر فى صناعته . وكان هذا النساج يقيم من قديم الازل فى أحد منازل شارع سانت برانكازيو بفلورنسا .

وقد وهب الله هذا الرجل صوتا شجياً عذب النغمات ، وحنجرة قوية سليمة النبرات ، ولهذا السبب اختير رئيساً لفرقة الموسيقى بكنيسة سانت ماريا التى كان افرادها يكثرون من التردد على منزله لهذا الغرض .

وكان جيانى هذا ذا منزلة جليلة ، ومكانة محترمة بين راهبات هذه الكنيسة ورهبانها لأنه كان يقدم لهم بين الحين والآخر كثيراً من الهدايا الفاخرة كالقلانس والمعاطف والاحذية وغيرها .

وإن كان فى هذا الرجل عيب فهو فى سذاجته وبساطته وقلة إدراكه للأمور . وقد اكتشف رجال كنيسة سانت ماريا لسوء حظه نقطة ضعفه هذه فكانوا يطلبون منه باستمرار كثيرا من الهبات والعطايا التى كان لا يتأخر فى تقديمها لهم عن طيب خاطر . .

وكان جيانى متزوجا من شابة جميلة حسناء صغيرة السن اسمها تسا . وهى أمرأة حكيمة عاقلة ذكية الفؤاد وعلى قسط وافر من الجمال والجاذبية

وقد نشأت بمرور الزمن بين هذه السيدة وبين شاب جميل اسمه فدريجو دى نيرى علاقة غرامية أثيمة ، وساعدها على ذلك طيبة زوجها وبساطته من جهة ، وشدة ذكائها وسرعة بديهتها من جهة أخرى . .

***

ولكى تتمكن تسا من مقابلة عشيقها المحبوب سراً ، فقد اتفقت معه على أن ترسل اليه خادمتها كلما شاءت مقابلته لكى يوافيها فى منزل ريفى جميل يتملكه زوجها فى قرية صغيرة اسمها كاميراتا ، حيث اعتادت أن تقضى فيه شطرا كبيرا من فصل الصيف .

وقبل فدريجو ذلك الطلب عن طيب خاطر لأنه لم يكن يتمنى فى الحقيقة أكثر منه ! فكان يذهب اليها بين الفينة والفينة ويتناول معها طعام العشاء ثم يقضيان الليل معاً ويعود فى الصباح الى مقر عمله الذى كان لا يبعد كثيرا عن منزلها . .

ولما كان فدريجو كثير المرور من ناحية منزلها ، فقد اتفقت تسا معه لكى لا تضايق نفسها من دوام إرسال الخادمة اليه ، على أن ينظر صوب تكعيبة خشبية مثبت فى أعلاها رأس تمثال متحرك كبير الحجم ، وكانت هذه التكعيبة مشيدة فى ركن بعيد من حديقة المنزل . فاذا رأى وجه هذا التمثال متجهاً نحو فلورنسا فمعنى ذلك أن زوجها غير موجود بالمنزل وله الحق حينئذ فى أن يخف لزيارتها وهو آمن مطمئن . واذا اتفق وكان الباب مغلقا ، فيجب عليه فى هذه الحالة أن يقرعه ثلاث مرات متواليات لتنتبه تسا لقدومه فترسل خادمتها أو تذهب بنفسها لتفتحه له . أما اذا رأى وجه التمثال فى اتجاه مدينة فيسول ، فمعنى ذلك أن زوجها موجود بالمنزل وحينئذ يجب عليه أن يرحل على الفور . .

وبهذه الحيلة الطريفة استطاعت تسا وعشيقها من أن يقابلا بعضهما سرا ويتمتعا بهذه الساعات القليلة التى كان يقضيانها معاً

« • »

واستمر الحال كذلك الى أن جدت حادثة لم تكن فى الحسبان . فبينما كانت تسا تنتظره ذات ليلة لمجىء فدريجو ليتعشى معها كالعادة بعد ان كانت قد هيأت له دجاجتين وزجاجة من النبيذ الجيد وبضع بيضات ، إذ جاء زوجها الى المنزل على حين غرة ، وفى ساعة مبكرة من الليل ؛ ولكن الحظ ساعدها فى تلك المرة لأن فدريجو لم يكن قد أتى لزيارتها بعد . .

وارتاعت تسا لمجىء زوجها الفجائى ، وأوبته الغير المنتظرة ، وقابلته بابتسامة مفتعلة وبشاشة متكلفة لم يلحظها زوجها . ولكيلا تدع للشك أو الريبة مجالا الى نفسه ، فقد أخذت تلاطفه وتمازحه

وتقص عليه كثيرا من الانباء التافهة والأخبار السخيفة ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه منشغلة بفدريجو الذى كانت تنتظر قدومه بين لحظة وأخرى . .

وانتهزت تسا فرصة ذهاب زوجها الى غرفة نومها فنادت خادمتها وأعطتها الدجاجتين والبيض وزجاجة النبيذ بعد أن وضعتها جميعا فى احدى السلال ثم كلفتها بوضعها تحت شجرة التفاح الوحيدة الموجودة فى حديقة منزلها . .

ولشدة عجلتها وكثرة ارتباكها نسيت أن تأمر خادمتها بانتظار فدريجو لتخبره بوجود سيدها فى المنزل وانه يجب أن يأخذ هذه السلة ويغادر المنزل على الفور . .

« • »

ولم يمض على إيواء تسا وزوجها والخادمة الى فراشهم طويل وقت حتى جاء فدريجو وقرع الباب ثلاث مرات متواليات . وكان هذا الباب لسوء الحظ قريباً من غرفة نوم تسا فسمعت هذا القرع المتواصل كما سمعه زوجها الذى استيقظ على اثر سماعه له مباشرة . وتظاهرت تسا حينئذ بالنوم حتى لا يفتضح أمرها ، وينكشف سرها الذى كانت تحاول أن تخفيه عن زوجها بكل الوسائل الممكنة . .

ولما لم يسمع فدريجو ردا عليه من داخل المنزل أعاد الطرق مرة أخرى ولكن بصوت أعلى من المرة السابقة . فاندهش جيانى لهذا الأمر وصاح فى زوجته التى كانت نائمة بجواره وقال :

— ألم تسمعى ياتسا للآن هذا الطرق المتواصل على باب منزلنا ؟

فتظاهرت تسا بالفزع عند ما سمعت صياح زوجها وقامت من نومها بتثاقل وخمول مع أنها سمعت هذا الطرق بوضوح أكثر منه وقالت له بحدة وغضب .

— ماذا جرى حتى توقظنى بصياحك فى مثل هذه الساعة المتأخره من الليل ؟

فاغتاظ زوجها من إجابتها هذه وقال

— لقد قلت لك إن هناك شخصاً يطرق باب منزلنا فى هذه اللحظة .

فادعت تسا بأنها لاتدرى شيئا عن هذا الامر وهزت كتفيها ثم قالت له متسائلة

— وهل أنت متأكد ياجيانى من ذلك ؟

فهز زوجها رأسه هزة الواثق من كلامه وقال :

— نعم ما فى ذلك شك . .

وبعد أن فكرت تسا فى هذا الأمر الخطير برهة قصيرة قالت مخاطبة زوجها :

— ولكن ألا تعلم من هو هذا الزائر الذى جاء ليزعجنا ويكدر علينا صفو راحتنا فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

والظاهر أن هذا السؤال لم يعجب زوجها لأنه لم يلبث أن قال :

— وكيف تتسنى لى معرفته وأنا لم أشاهده بعد ؟

فانتزعت تسا من بين شفتيها ابتسامة صفراء هازئة وقالت له بصوت خافت ونغمة هادئة :

— إنك محق ياجيانى فى عدم معرفتك له لأنه ليس إلا شيطانا رجيما اعتـــاد أن يقلق راحتى ويزعجنى من نومى منذ عدة ليال ، حتى أننى كنت أغوص فى الفراش من شدة خوفى فى الوقت الذى أشعر فيه بمجيئه بعد أن أغطى وجهى وسائر أعضاء جسمى كلها جيداً ! وأظل على تلك الحال حتى يطلع نهار اليوم التالى وحينئذ أضطر الى النوم من جديد لكى أعوض هذه الساعات القليلة التى أبعد فيها ذلك الشيطان الكرى عن عينى . .

فارتاع جيانى عند ما سمع منها ذلك ولكنه أخفى مخاوفه وقال :

— ولكن مم تخافين الآن وأنت تعلمين اننى صليت قبل ذهابنا الى الفراش وتلوت بعض التعاويذ التى لا تجعل لمثل هذه الأرواح الشريرة أية قوة وتسلبها من كل سلطان : ؟

ولكيلا تدع تسا مجالا لفدريجو لتسوىء سمعتها أمام زوجها فيما اذا قام بعمل طائش يلفت أنظار الأخير اليه ، فقد رأت من الحكمة ورجاحة العقل أن تبرح فراشها وتفهمه بطريقة خفية أن زوجها موجود فى المنزل . ولذلك لم تلبث أن قالت لزوجها بعد أن مرت بين الاثنين فترة سكوت قصيرة :

— إن ما فعلته ياجيانى قبل ذهابنا الى الفراش قد يكون مفيدا بالنسبة اليك وحدك ، ولكن لى فانه لا يفيدنى بشىء إلا فى حالة واحدة ، وهى أن نتلو معاً هذه الصلوات والتعاويذ من جديد . .

فاندهش جيانى لهذا الطلب الذى عده غريبا بعض الشىء وقال :

— هذه فكرة لا بأس بها ولكن . .

ثم سكت كمن يفكر فى أمر ذى بال ، فتضايقت زوجته من سكوته وقالت :

— ولكن ماذا ؟

فتابع زوجها كلامه وقال :

— ولكن كيف يمكنك ذلك وأنت كما أعلم لا تعرفين شيئا من هذه الصلوات والتعاويذ التى أعرفها ؟

فضحكت تسا لهذه الحيرة التى بدت إذ ذاك على وجه زوجها وقالت

— إن هذا بسيط للغاية . فبالأمس ذهبت الى كنيسة فيسول وهناك قابلتنى راهبة عجوز طيبة وقد ارتاعت هذه الراهبة حينما رأت مخاوفى التى كانت مرتسمة بوضوح على صفحة وجهى . ولما سألتنى عن سبب هذه المخارف كاشفتها بالحقيقة كاملة . فأخذتها الشفقة على وعلمتنى تعويذة بعد أن أكدت لى بأنها مفيدة جدا لمن كانت فى مثل حالتى . ولكننى لا أجد فى نفسى الشجاعة الكافية لكى أتلوها الآن وحدى ، ولكن بما انك موجود معى فلا بأس من أن نذهب سوياً الى الباب ونتلوها هناك معا .

ولم يبد زوجها أدنى اعتراض على ذلك بل لقد سر فى الحقيقة لهذه الفكرة الوجيهة وسار الاثنان بخفة نحو الباب فى الوقت الذى كاد يمل فيه فدريجو من طول وقفته . .

وقبل أن يصل الاثنان الى الباب قالت تسا مخاطبة زوجها .

— عند ما آمرك بأن تبصق على الارض بشدة فيجب عليك أن تفعل ذلك فى الحال . .

فتوقف زوجها عن المسير عند ما سمع منها ذلك ، وظهرت على وجهه دلائل الحيرة والاستغراب وسألها قائلا :

— ولم ذلك ياتسا ؟

فاتخذت تسا مظهراً جدياً وقالت له بصوت هادىء متزن النبرات .

— لأن ذلك — كما أخبرتنى الراهبة — أحد الشروط اللازمة لنجاح هذه التعويذة !

ولم يجد زوجها بداً من إطاعة أمرها وتابع سيره بعد أن هز رأسه علامة الموافقة والقبول !

ولما وصل الاثنان الى الباب بدأت تسا تتلو تعويذتها فقالت :

— انى آمرك أيتها الروح الشريرة بأن تغادرى هذا المكان على الفور وتذهبي الى حديقة المنزل حيث ستجدين هناك تحت شجرة التفاح التى نجلس تحتها دائما سلة فيها دجاجتان وبضع بيضات وزجاجة من النبيذ المعتق ، فخذى هذه السلة وابتعدى من هنا دون أن تؤذينى أنا وزوجى الواقف الآن بجانبي !

ولما انتهت من تلاوة تعويذتها الغريبة التفتت لزوجها وقالت :

— والآن ابصق على الأرض بشده يازوجى العزيز ! !

فأطاع زوجها الذى كان يتابعها فى تلاوة هذه التعويذة المضحكة هذا الامر مرغماً وبصق على الارض بكل قوته !

* * *

ولما سمع فدريجو ذلك ـ وكان قد توقف عن طرق الباب عند ما بدأت تتلو تعويذتها ـ أخذ يضحك فى سره من غباوة هذا الزوج الذى تأكد الآن فقط من وجوده بالمنزل . وأعجب فى الوقت نفسه بذكاء تسا وسرعة بديهتها التى أوحت اليها بهذه التعويذة الفكاهية التى لم يسمع بمثلها إنسان قط

ولم تكتف تسا بتلاوة تعويذتها مرة واحدة فقط ، بل أعادت تلاوتها مرتين حتى اذا ما تأكدت من رحيل فدريجو وابتعاده عن المنزل عادت فى صحبة زوجها الى غرفة نومها بعد أن اطمأن الاثنان الى زوال هذا الشبح الموهوم !

ولم يلبث فدريجو أن ذهب الى الحديقة وحمل معه سلة الاطعمة التى وصفت له تسا مكانها منذ لحظة وعاد بها فرحاً الى منزله . .

وبالرغم من أنه قد تكدر قليلا لعدم تمكنه من مقابلة تسا والعشاء معها فى تلك الليلة ، الا أنه كان فى الحقيقة مسرورا من هذه التعويذة التى سمعتها أذناه منذ برهة قصيرة ، وبلغ به السرور الى الى حد أنه ظل يقهقه طول الطريق بصوت عال حتى كاد يستلقى على قفاه من كثرة الضحك وشدة المرح والسرور . .

محمد عبد اللطيف حسن

من عصور الفراعنة

يضرب المثل بالنقش على الحجر للدوام والبقاء . ومن احسن حظوظ مصر بل العالم كله ان الفراعنة نقشوا تاريخهم على الحجر فنحن نقرأه الآن صفحات سافرة منيرة عن احقاب تاريخية قديمة قد انقطع مابيننا و بينها بتقلبات الزمن وقيام الدول واختلاف اللغات و تبدل الحضارات . وهذه الاحجارهى مشكاة يهتدى العلماء بمصباحها فى توضيح ظلمات التاريخ ليس فى مصر وحدها بل فى الاقطار الاجنبية ايضاً . فقد يدأب المنقبون فى الحفر فى مدينة مطمورة فى فلسطين او سوريا وهم فى حيرة عن العصر الذى يدرسون اثاره الماثلة امامهم . فتقع اعينهم مصادفة على جعل مصرى من الحجر فيسفر ظلام الحيرة عن نور اليقين . وبقليل من هذه الجعلان مثلا صار من المستطاع توضيح تاريخ العبرانيين فى فلسطين وسوريا . والفضل يعود الى اسلافنا الذين مهروا فى النحت والحفر فى الصخر الصلد فعاشت مخلفاتهم فى مصر والاقطار الاجنبية التى رحلت اليها جيوشهم او تبادلت مصر معهم التجارة . وفضل مصر فى البنـاء اى البناء بالحجر تشهد به اطلال لاتزال قائمـة فى وسط بلادنا . وهناك من العلماء من يعزو الالفاظ العصرية الشائعة فى البناء فى جميع اللغات الاوروبيـة الى لغة الفراعنـة . وبدهى ان القائلين بذلك يعلمون بان فن العمارة اى البناء مرجعه الى مصر . اعتبر ذلك مثلا فى لفظة هرم . فهى ارم عند العرب . وبرم عند الاغريق . واعتبر ذلك فى لفظة طوب القبطية التى مازلنا نستعملها فى قوالب طوب البناء التى جففت فى الشمس فان هـذه الـكلمة تستعمل فى اسبانيا كما فى فرنسا الجنوبية لهذا المعنى . وفى الانجليزية لفظة مشتقة منها وهى دوب وقدانتقلت الى الى اقطار بيرو ومكسيكا بل الى تكساس فى الولايات المتحدة

وقد قام الاغريق فى نشر الثقافة المصرية القديمة مقام العرب — بعد ذلك — فى نشر الثقافة الاغريقية القديمة . وكما ان هؤلاء كانوا احيانا يترجمون اللفظة الاغريقية او يعربونها كذلك كان يفعل

هذا الاغريق بالالفاظ المصرية . احيانا يترجمونها .وأحيانا يأخذونها كما هى فى الاصل المصرى . ولهذا السبب شاع فى اوربا كثير من الالفاظ المصرية بنصوصها الاصلية او مترجمة الى الاغريقية

فنحن مثلا نظن ان اسم « سوزان » هو اسم اوربى وان المتفرنجين المتحذلقين هم الذين يختارونه اسما طريفا لبناتهم ولكن الحقيقه ان هذا الاسم مصرى تداوله اسلافنا فى مصر فى الدولة الوسطى وهو يعنى « زهرة اللوتس »ومنا من يسمون ايزدورا ويظنون انهم قد اغربوا وابعدوا . والحقيقة انهم لم ينتقلوا من مكانهم . لأن هذه اللفظة هى كلمة اغريقية منحوتة من « ازى » اى الربة اسيس ومن « ادورا » اى عطية . فالاسم يعنى هبة اوعطية اسيس

وهنا يجب ان نلاحظ ان الاسماء المصرية لاتنتهى بالسين . فان اسيس واوزيريس هما فى الحقيقة ايسى واوسير . والقرى الخمس او الست التى لاتزال فى مصر وتسمى ابوصير تعنى مكان الرب اوسير . وتعود المدن التى تسمى بهـذا الاسم الى والاسطورة الدينية القديمة عن تمزيق جسمه ودفن أشلائه فى امكنة مختلفة لاتزال تسمى باسمه . ثم هناك لفظة ابنوس الشائعة فى العربية . فانها عند مانجردها من السين الاغريقية تعود الى اصلها المصرى القديم هيبين او ايبين كما هى الآن فى الفرنسية .وقبل نحو سبعين سنة لاحظ الاستاذ جودين الانجليزى ان لفظة ميجرين الفرنسية بمعنى وجع الرأس هى ترجمة حرفية لهذا المرض كما كان يسميه الفراعنة . لأن هذه اللفظة كانت تعنى عند الفراعنة نصف الرأس . فنقلها الاغريق بمعناها الحرفى . وانحدرت منهم الى اللغات الاوربية الحديثة. ولفظة الصمغ العربيه هى جوم الانجليزية والفرنسية . وهى كميت عند المصريين القدماء . وقد نقلها الاغريق لفظا ومعنى فاخذتها عنهم اللغات الاوربية الحديثة .

وبقاء هذه الالفاظ فى لغتنا وفى اللغات الاوربية هو برهان على تفشى الثقافة المصرية القديمة التى تناولت الفنون والعلوم والعقائد .

* * *

والآن ننظر فى ناحية اخرى للثقافة المصرية القديمة . فان الشائع ان المصريين القدماء كانوا منغمسين فى الدين قد سادهم الكهنة وقد ارصدوا كثيرا من وقتهم ومالهم للعناية بالشعائر الدينية. والحق ان هـذا هو الاثر الذى تتركه فى الذهن المخلفات الباهرة التى نجـدها فى مقابرهم والعناية

الفائقة التى كان يلقاها جثمان فرعونهم . ولكن التأمل القليل فى هذه المخلفات يثبت ان فنون الحياة كانت تجد من المصريين القدماء اعظم العناية لأن هذه المخلفات هى بعض اثارها الباقية ولم يكن المصريون يسلمون كل التسليم بالعقائد الدينية . او يتعصبون لها التعصب الاعمى . كما تدل على ذلك ثورة اخناتون الذى دعا الى التوحيد وحطم الاصنام . وهناك من المخلفات الادبية مايدل على ان الاديب كان يقف احيانا موقف الشك من العقائد ولايبالى ان يعلن شكه . وقد عثر على قصيدة منقوشة على الحجر هى اغنية كانت تتغنى بها النساء فى الجبانات ترجمها ادولف ايرمان. وهذه القصيدة رويت على صيغتين الاولى ترجع تاريخها الى سنة ١٨٠٠ والاخرى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد. وموضوع القصيدة أن الدنيا فانية وكل شىء فيها الى زوال فلنأكل ولنشرب لاننا غدا سنموت ولاندرى ماسوف يكون بعد الموت . لان الموتى لايعودون . ولهجة القصيدة هى لهجة عمر الخيام فى رباعياته . ولكن العجيب ان اسلافنا كانوا يتغنون بها فى الجبانات حيث كان يجب على الاقل ان تحترم العقائد . والترجمة التالية هى مزيج او توفيق بين الصيغتين . والكلام موجه الى الميت اولا . ولفظة « الاخت » فى القصيدة يقصد منها الى الحبيبة . فان المصرى القديم كان يصف زوجته أو حبيبته بلفظة « اختى » ولعل لهذا علاقة بزواج الاخ باخته :

— ١ —

الهناء لحبيبنا وسيدنا لقد كان حظه الحظ السعيد وهو النوم

وهذه الاجسام التى تمر والتى تولد على مدى العصور لم تعرف بعد قصدهم

والملوك الذين كانوا اربابا قد رقدوا فى اهرامهم السنين التى لاتحصى

وبيوت العز التى شيدها العظماء فى الازمنة القديمة قد سقطت

— ٢ —

رع يشرف فى الصباح ثم يولى وجهه فى المساء نحو ارض الغرب والناس يتوالدون والنساء يحملن . بلا توقف

والاجيال الجديدة تبذر بذارها

وانوفهم تمتلئ بالنسيم الذى يحمل الحياة للارض فى هبوبه ولكن مع ذلك تأتى الايام التى

يرقد فيها الاباء والابناء معا فى توابيت الحجر

— ٣ —

حكيمان : امهوتيب وهارداديف . كانت كلماتهما ينطق بها فى ايامهما القديمة
ومازال لكلماتها رنين فى اذاننا . وقلوبنا تعى الاشياء التى عناها كل منهما
ولكنهما هما قد ذهبا . وجدران منزليهما قد هدمت وتبددت
وعبث ان نبحث عنهما فى الارض اذ هما كأن لم يكونا

— ٤ —

اين الارواح التى ذهبت وماذا لقيت ؟ لا يعود الينا احد يحمل منهما رسالة
وماذا تشتهى تلك الارواح فى تلك الارض البعيدة ؟
لا يأتى الينا احد لكى نعرف منه
حتى تقوى قلوبنا وحتى يزول عنها القلق من الظلال المنذرة
الى ان نذهب نحن هناك الى حيث سبقنا الجميع وذهبوا

— ٥ —

أقبل على الفرح فى الحياة ايها الانسان . لا تقف لحظة لكى تحسب متى يكون يوم التحنيط والادراج فى لفائف الجنازة
هلم وهلم — وانت طليق غير خائف — الى رغبات قلبك كما تشير عليك
واستمتع بالطيبات وامدد يدك وتناول منها

— ٦ —

وليكن لباسك جميلا من الكتان الابيض . وليكن عليك تاج من زهرة اللوتس ولا تبخل على رأسك بالمر ولا بالمرهم النادر المقدس يتضوع ارجه
واستمتع بالموسيقا والغناء . واعرف وانت تحتضن كل مايحتويه
جسمها — اختك — التى تميل عليك لاحقة بك

— ٧ —

واتبع هواك وانت على الارض — فى سرور — ولا تخش الغد

وأعمل الآن ماتريده الارادة . لأن يوم الرثاء يقترب

وذو القلب الصلد (اوسيريس رب الموتى) لا يبالى البكاء والحزن

لم يسترجع قط من حقول الابدية واحداً ممن ذهبوا

* * *

هذه هى القصيدة ومنها نرى انه كان عند المصريين القدماء قبل ٣٥٠٠ سنة شعراء لهم نزعة عمر ابن الخيام واسلوبه ودعوته الى الاستمتاع بالحياة قبل ان يحل فناء الموت



ميادين العمل في الصناعة والتجارة

لصاحب المعالى سابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة

حدثنى أحد أصدقائى عن رجل من أغنياء الريف ورث عن أبيه أرضا زراعية طيبة تدر عليه ايرادا وفيرا. وقد حاول صاحبي أن يقنعه بأن يوظف بعض دخله فى مشروع صناعى جديد فيكتتب ببضعة أسهم فى الشركة التى تقوم بتحقيق هذا المشروع. فلقى منه اعراضا واستخفافا بأمر الصناعة واشفاقا من ضياع ماله فيها

ثم عرضت لهذا الغنى فرصة اضافة عدد من الأفدنة الى مايملكه فلم يتوان ولم يتردد فى عقد الصفقة وخاطر بأطيانه القديمة واستدان عليها مايكمل به ثمن الأرض الجديدة

ليس هذا المثال فريدا، وأنما هو يصور مايمكن أن نسميه العقلية الزراعية التى لاتزال تعبر عن تفكير الغالبية من أهل البلاد وهى تتلخص فى الاعتداد بالثروة العقارية دون سواها والرغبة الملحة فى تملك الأرض والاستزادة منها والاستئثار بها والمحافظة على القديم من طرق استغلالها وتحصيل ريعها، وقد جرى مجرى الحكم والأمثال لدى رجال القانون منذ عهد الرومان ذلك القول المأثور عن تفاهة المال المنقول بمقارنته بالمال الثابت:

ولعل بين ذكرياتنا أمثلة كثيرة شبيهة بحالة هذا الغنى الريفى الذى أبى أن يساهم ببضعة جنيهات فى مشروع صناعى ولكنه ضارب بكل ثروته ليزيد فى الأطيان المكلفة عليه. وكم شاهدتم أو سمعتم عن بعض هؤلاء المضاربين فى الثروة العقارية الذين داهمتهم الأزمة المالية فلم يتيسر لهم سداد الأقساط وتراكمت عليهم الديون والفوائد فنزعت ملكيتهم وذهب طارف الثروة بتليدها.

ضعوا ازاء هذا الثرى الريفى المثال الآتى لما يمكن أن نسميه العقلية الصناعية. أعرف رجلا كانت

له أعمال واسعة اضطر الى تصفيتها لظروف خارجة عن ارادته واجتمعت بين يديه كنتيجة للتصفية بضعة آلاف من الجنيهات .

كان ذلك فى سنة ١٩٣١ عند مابلغت الضائقة المالية منتهى شدتها ولعلكم تذكرون ان أسعار الأراضى الزراعية هبطت وقتئذ الى مستوى غاية فى الانخفاض فكانت الفرصة ذهبية لكل من بيده نقد فى تلك الظروف القاسية ليشترى مايشاء من الاطيان بأبخس الأثمان

ولكن صاحبى كان عصاميا منذ نشأته ميالا الى التجربة والتجديد فذهب الى مصلحة التجارة والصناعة التى استحالت فيما بعد الى الوزارة التى أتشرف بالاضطلاع بمسئولياتها ، وهناك قابل حضرة المدير الذى كان يقوم بالعمل اذ ذاك وقال له : أنا رجل أعمال ولدى الآن نصاب من المال ولست أرضى أن أوظفه فى الزراعة لأنها ليست مهنتى . فهل تدلنى على صناعة قامت ببحثها المصلحة يمكن أن أوظف فيها مالى وعملى .

وتصادف أن كان بمصلحة التجارة والصناعة وقتئذ خبير استقدمته لدرس احدى الصناعات الجديدة فكلفه حضرة المدير بأن يضع نتيجة أبحاثه تحت تصرف صديقى

لقد أسفر هذا الاتصال أيها السادة عن أن كسبت البلاد صناعة جديدة مزدهرة وضع فيها صديقى كل مايملك من مال وجهد وأشرك معه بعض اصحابه الصادقى العزيمة فجزاهم الله بما صبروا وصابروا ورابطوا أحسن الجزاء وأجزله .

هذه الصورة لعمل صناعى مصرى صميم تتمثل فيها العقلية الصناعية بمميزاتها الاساسية وهى الاقدام والابتكار والتعاون والشركة .

فبينما نرى العقلية الزراعية مستأثرة حذرة محافظة بطبعها تعتز بالملكية الفردية وتستمسك بالقديم نجد أن العقلية الصناعيه مجددة متوثبة تدرك اهمية التضامن والعمل فى جماعة وتقوم على تأليف الشركات التى تجمع شتات الجهود وتنسقها وتوجهها نحو الانتاج المثمر .

وليس النجاح المادى هو الذى يعنينى أيها السادة من أمر هذا العمل الوطنى العظيم ولكننى حرصت على أن أضع أمامكم بصفة عامة وأمام شباب مصر الطموح الى المجد بصفة خاصة هذه القدوة الحسنة لما يوصل اليه الاعتماد على النفس وتبادل الثقة والتضامن فى الخير والنفع العام ، فالجيل الجديد الذى

تنتظره مسئوليات جسيمة يجب أن يعرف أن الوقت قد حان لان يتفق المصريون على أن يتفقوا لا على أن لا يتفقوا وأن يتعاونوا على البر بأنفسهم وبلادهم لا أن يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم .

لقد صورت العقلية الزراعية والعقلية الصناعية لكى أصل من طريق المقارنة الى تحديد الصفات اللازمة لارتياد ميادين العمل فى الصناعة والتجارة

ولست أود أن تظنوا لحظة اننى بحكم صلتى بوزارة التجارة والصناعة أريد ان أحمد العقلية الصناعية وأروج لها على حساب الزراعة

فالزراعة والصناعة كما قال كولبير وزير لويس الرابع عشر هما الفرعان اللذان يدران الثروة وكلاهما أساسى لكيان البلاد ورخائها

ولعل مرتادى السينما منكم ما زالوا يذكرون تمثيل بول مونى على الشاشة البيضاء فى رواية الارض الطيبة تأليف السيدة بيرل بك حيث يتجلى التعلق بالارض والتفانى فيها .

وليس لمصرى فضل فى حب أرض مصر التى وصفها عمرو ابن العاص لثانى الراشدين عمر بن الخطاب ذلك الوصف الشعرى الجميل تلك الارض التى احتملت أقدم مدنية عظيمة عرفها التاريخ وتلك التربة التى كانت على ممر العصور ولا تزال مضرب الامثال فى الخصب والتى اذا مسها ماء النيل اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج

ولست أنسى قول صديق لى كان يمر بى بين مزارعه عن الارض التى ورثها عن أبيه أن هذه الارض أعز شيء لدى بعد ولدى فلان وفلان

ولكننا نريد ألا يقتصر حب الارض على سطحها وأن يتعدى القشرة الرقيقة التى نعيش عليها من طمى النيل الى ماتحت الارض ومافوقها

نود أن يشمل الاعتزاز بالأرض مافى باطنها فى ثروة معدنية دفينة وما فى الهواء من احتمالات صناعية يكشفها لنا العلم .

لعلكم تعجبون لقولى وتتساءلون هل يمكن استغلال الهواء فى الصناعة !

والرد على هذا أن فى مصر صناعة لغاز الاوكسجين الذى يتحول الى هواء سائل يستعمل فى لحام المعادن وان العنصر الآخر الغالب من عناصر الهواء وهو النيتروجين أو الأزوت سيستعمل

عما قريب أهم صناعة من الصناعات التى تعد فى طليعة ما تحتاج اليه البلاد وهى صناعة الاسمدة الكيميائية التى نستورد منها الآن من الخارج ما يزيد عن النصف مليون جنيه من الاطنان تتراوح قيمتها بين الثلاثة ونصف والاربعة ملايين من الجنيهات تتسرب سنويا من دخلنا الاهلى الى الخارج .

ان ميادين العمل فى الصناعة مترامية الأطراف متسعة الافق لا يحدها الا جهلنا بأسرار الطبيعة وما أوتينا من العلم الا قليلا .

لقد كان ما نعرفه عن الثروة المعدنية فى مصر الى وقت قريب هو اننا تنقصنا الخامات الاساسية اللازمة للصناعات وبخاصة الفحم والحديد واننا بسبب هذا النقص يستحيل علينا أن نصبح بلدا صناعيا

فالحـــديد مفتاح لصناعات متعددة وهو سبب رخاء فى السلم وسبب عزة ومنعة فى الحرب فله منافع كثيرة وفيه بأس شديد .

والفحم كان قوام عصر البخار الذى ارتقى بالعمران وسما بالمدنية الى المكانة الرفيعة التى وصلت اليها فى أواخر القرن التاسع عشر بعد الثورة الصناعية

على أنه فى الحقبة الثانية من القرن العشرين قبيـل الحرب العظمى اخترع المهندس الالمـانى ديزل الماكينة التى يطلق عليها اسمه . ثم فى الحقبة الثالثة كشف مهندس فرنسى طريقة توليد الحرارة من احتراق الذرات المتناثرة من المازوت تحت ضغط الهواء .

واذا بهذين الكشفين يحدثان انقلابا عظيما فى عالم الصناعة واذا بالبترول يحتل مكانا ممتازا بين المواد الاولية التى تقوم عليها المدنية الحديثة .

ثم كان من نتائج التقـدم الميكانيكى أن أصبح توليـد الكهرباء من مساقط المياه ميسورا ، والكهرباء اليوم مصدر هام للقوة المحركة والحرارة .

ونحمد الله لتوافر هـذه العناصر المطلوبة فى بلادنا ؛ فقد وجد نوع ممتاز من خام الحديد بمنطقة أسوان ، وفى بعض مواقع على شاطىء البحر الأحمر .

ووجد البترول فى الغردقة ، ثم كشف منابع جديدة له فى رأس غريب ، تكفى لتزويد البلاد بحاجتها من المازوت وتزيد ولا يزال رجال العلم يرتادون الصحارى المصرية للبحث عنه فى أماكن أخرى . ولنا فى انحدار مياه النيل الى مصبه مصدر عظيم للكهرباء .

أما ميادين العمل فى التجارة فقد حبت الطبيعة مصر مركزا ممتازا وسط قارات العالم القديم ، ووضعتها فى ملتقى طرق المواصلات العالمية . كما أن نيلها الذى كان مصدر حياتها ، والذى سيصبح مصدرا هاما من مصادر القوة المحركة فيها ، عند توليد الكهرباء من مساقط مياهه ، هو فى الوقت ذاته شريان تجارى عظيم يجتاز أرضها من أقصى الجنوب الى شمال الدلتا حيث يصب فرعاه العظيمان فى البحر الابيض المتوسط

لم يبق من عناصر الانتاج الاقتصادى الا عنصر واحد وهو أهمها ، وأعنى به العنصر الانسانى فقد أصبح أمرنا بيدنا ، وليس يقعد بنا عن استغلال هذه الموارد الغنية الا أن نتغافل عنها أو نتكاسل فى الاستفادة منها . ولم أر فى عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام .

تحتاج بلادنا بجانب الزراعة وتحسينها بالطرق العلمية الى أن توجه قسطا متزايدا من العناية بالصناعة والتجارة وهذا يقتضى منا أن نعمل على ايجاد رأى عام مستنير يتفهم العقلية الصناعية التى وصفتها ويشد أزر المشاريع الاقتصادية الناشئة ويزودها بعناصر التأييد اللازمة لها

نريد أن يقيض الله لبلادنا العزيزة العدد الكافى من الرجال الأمناء الاشداء الصادقى العزيمة الذين يصلحون للقيادة والزعامة فى ميدان الأعمال الحرة . أولئك الذين سيكون على أيديهم حل مشكلة العاطلين عامة والمتعلمين منهم خاصة ورفع مستوى المعيشة للطبقات العاملة . أولئك الذين سيكون على أيديهم حل مشكلة الزيادة الهائلة فى عدد السكان وضيق الموارد الزراعية عن سد حاجاتهم

بين يدى الاحصاء السنوى العام الاخير وهو يدل على أن بين احصاءين عشريين زاد عدد السكان من ١٤ر١٧٧ر٨٦٤ نسمة فى سنة ١٩٣٧ الى ١٥ر٩٠٤ر٥٢٥ نسمة فى سنة ١٩٣٧ فى حين أن الاراضى المنزرعة بقيت كما هى تقريبا حيث كانت مساحتها فى سنة ١٩٣٧ — ٥ر٦٦٨ر٧٧٧ فدانا فأصبحت فى سنة ١٩٣٧ — ٥ر٨٣٠ر٤٦٩ فدانا بزيادة ١ر٦٦٨ر٦٦١ نسمة فى عشر سنوات لا يقابلها سوى زيادة ١٦٦ر٤٩٣ فدانا من الارض المنزرعة فى نفس المدة

هذه أكبر مشكلة ستواجهها البلاد فى المستقبل القريب ولست أجد لها الا حلا واحدا هو تطبيق أساليب الزراعة العلمية والبحث عن موارد رزق جديدة فى التجارة والصناعة

ومن حسن الحظ أن البلاد قد بدأت تخطو خطوات واسعة فى هذا السبيل فى ظل جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله للصناعة المصرية خير نصير

الصحراء الشرقية المصرية ومعادنها

رحلة لبعثة الجمعية الزراعية الملكية

لفؤاد اباظه باشا

قمنا من السويس فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٥ متجهين الى الجنوب محاذين شاطىء خليج السويس ثم البحر الاحمر حيث مررنا على « غبة البوص » الساعه ١٢ والدقيقة عشرين ووصلنا الى « السخنة » الساعه ١٢ والدقيقة ٥٠ أى بعد مسير ساعة وربع الساعة. وطول الطريق من السويس ٥٥ كيلو مترا، وكان سطحها متموجا متعبا يصعب اجتيازه بالسيارات العادية إلا فى ضعف هذه المدة

أما غبة البوص فهى نقطة لمصلحة الحدود بها بعض المساكن ومطار صحراوى وبجوارها بئر عديب وحديقة تجارب لقسم البساتين بوزارة الزراعة

وعيون السخنة كما يتضح من اسمها عيون ينبع منها ماء كبريتى حار لدرجة ما تنبع من السفح الشمالى لجبل الجلالة البحرية المواجه لبئر عديب وغبه البوص. وتمر الميـــاه على سطح الوادى حيث يكثر نبات البوص والسمار التى تنفجر من بينها المياه وتتجمع وتصب فى البحر بكمية كبيرة. وقد قامت مصلحة الحدود فى سنة ١٩٢٦ ببناء حوض صغير من السمنت للاستحمام فى نهاية مجرى هذه المياه قبيل مخالطتها بمياه البحر

وغادرنا السخنة فى الساعة ١ والدقيقة ٢٠ الى الزعفرانة مارين بفنار « أبو الدرج » وكانت الطريق من السخنة الى فنار ابى الدرج مقطوعة فى سفح الجبل على شاطىء البحر متعرجة ضيقة خطرة ولكن جمالها رائع ولا شبيه له بالقطر المصرى ويشابه الى حد ما شاطىء الريفيير بفرنسا مع الفارق

أما من فنار ابى الدرج الى الزعفرانة فالطريق رملية يصعب السير عليها حتى بسيارات الصحراء

وصلنا الى الزعفرانة الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر وقد كنا تناولنا الغداء فى الطريق واستغرق ذلك نصف ساعة ، والمسافة من السخنة الى الزعفرانة ٥٠ كيلومترا - وقبيل وصولنا الى الزعفرانة استقبلتنا سيارات مصلحة الحدود لارشادنا عن الطريق وقد ساعدنا رجال الحدود كلما عطل الرمل السيارات عن السير — وبالزعفرانة استقبلنـــا حضرات البكباشى على بك علوى مفتش مصلحة الحدود لجميع منطقة البحر الاحمر وحضرة الاستاذ حنفى افندى السيد فهمى مفتش مصلحة المناجم للبترول بالغردقة وقاما معنا حيث كانت الساعه ٤ والدقيقة ٤٥ الى دير الانبا انطونيوس فوصلناه اليه الساعه ٦ والدقيقه ٢٥ . وكانت الطريق متعرجة فى واد فسيح يسمى وادى العربة والسير فيها متعب الى حد ما ، والمسافة بين الزعفرانة والدير المذكور نحو ٥٠ كيلومترا . ومن مصر الى الدير المذكور ٢٨٢ كيلومترا والدير فى مكان منعزل فى السفح البحرى لجبل الجلالة القبلية وقد امضينا الليلة فى ضيافة حضرة أمين الدير الذى أكرمنا احسن اكرام .

وفى صباح الثلاثاء ٣ يناير سنة ١٩٣٩ شاهدنا الدير المذكور وهو يقع على سفح الجبل المذكور على خط عرض مدينة بنى سويف فى وادى النيل وتبلغ مساحته ١٨ فدانا يحيط به سور مرتفع متين مبنى من الحجر يبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشرة مترا وعرض حائطه من الاعلى نحو ثلاثة امتار وبه كنائس كثيرة ، ومخازن لحفظ الحبوب وطاحونتان تداران بالبغال ومخبز كبير لعمل احتياجات الدير من الخبز اولا بأول ومكان لتناول الطعام يطلقون عليه اسم « السماط » ويتصدق رهبان الدير المذكور بدقيق وخبز على الاعراب الفقراء الموجودين بهذه المنطقة — وللدير المذكور وقف من الاراضى الزراعية بناحية بوش بمديرية بنى سويف يرسل لهم كل مايحتاجون اليه من مأكل وغيره . ويستغرق الوصول من وادى النيل الى الدير بالجمال أربعة أيام . أما حديقة الدير ففيها شجر الزيتون والخروب والرمان والبرتقال والعنب والتين مختلطة أشجارها ببعضها البعض وتروى من عين تنساب من الجبل ماؤها عذب . وقد بنى هذا الدير فى القرن الرابع أى قبل الاسلام بما يزيد على مائتى سنة فيكون مضى على تشييده للآن ستة عشر قرنا .

ويدير شؤون هذا الدير حضرة أمين الدير ومعه اثنان من القمامصة احدهما يساعده فى ادارة الدير والثانى المباشرة شؤون المكتبة وهى مكتبة بها كثير من الكتب الاثرية الدينية وكذلك

هناك أسلحة اثرية جديرة بان تهدى للمتحف الحربى الذى بدأ فى انشائه جلالة مولانا الملك . وبالدير اربعون راهبا آخرون .

ومما يجدر بالذكر انه قد تجدد بناء بعض اجزاء الدير وبالاخص السور فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل على نفقة الحكومة .

وبعد زيارة الدير وملحقاته عادت البعثة فى الساعة ٩ والدقيقة ١٥ صباحا الى الزعفرانة ثانيا فوصلت الساعة ١٢ والدقيقة ٢٥ .وقد تعطلت عربة الركوب المؤجرة واستبدلت بغيرها بالزعفرانة وجدت هناك مصادفة . وهنا حضر سعادة حسن شعراوى باشا الذى كان تخلف بمصر أمس ولحقنا اليوم وقد زرنا فنار الزعفرانة .

وقمنا جميعاً فى الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ الى رأس غريب فوصلنا الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ وكان بعض الطريق فى غاية الرداءة والمسافة بينه وبين الزعفرانه ٩٥ كيلو مترا .

وفى رأس غريب تقابلنا مع مدير شركة البترول واسمه « المستر الزورث » فدعانا لتناول طعام الغداء وبعدها زرنا آبار البترول . ومما يحسن ذكره ان هذه المنطقة حديثة الاكتشاف وآبارها لاتزال غزيرة البترول وقد حفروا للآن خمس آبار يأخذون منها الآن حوالى ٨٠٠ طن يوميا ويمكن أن تعطى لغاية ١٣٠٠ طن ولكن لاعتبارات خاصة لايستخرجون اكثر من تلك الكمية الآن حتى تتم استعدادات الشركة لتخزين البترول بالحقل ثم شحنه للسويس للتكرير

وبرأس غريب وجدنا أن الشركة تعد المنازل اللائقة الصحية سواء للعمال أو الموظفين بحيث تضمن لهم الراحة مع عائلاتهم فى هذه المنطقة الجرداء المنعزلة . وبهذه المناسبة نضيف بانهم يستوردون مياه الشرب من السويس بواسطة البواخر وأن لهذه الشركة فرع من شركة شل وتسمى « انجلو اجبشيان أويل فيلد لمتد » وانهم مجدون فى العمل وحفر الآبار بالطرق الحديثة وسترد عنها البيانات اللازمة مقارنة مع الطرق القديمة فيما بعد

وقد قمنا من الغريب الى الغردقة الساعة ٦ مساء فوصلناها الساعة ١٠ و ١١ مساء بعد أن مررنا على معهد الاحياء المائيه التابع للجامعة المصرية الذى يقع قبل الغردقة بمسافة ٥ كيلو مترات ونزلنا فى استراحة الشركة السابقة الذكر والمسافة من رأس غريب للغردقة ١٦٣ كيلو متر

وفى يوم الاربعاء ٤ يناير سنة ١٩٣٩ تقابلنا مع مدير الشركة بالغردقه (المستر هود) ومعنا الاستاذ حنفى افندى السيد فهمى مفتش مصلحة المناجم للبترول ورافقنا لمشاهدة البترول ومعداته وشرحا لنا بكل تفصيل وبيان طرق استخراجه من الآبار ودعانا جنابه لتناول طعام الغذاء فى منزله كما دعانا صاحب العزة البكباشى على بك علوى مفتش البحر الاحمر لتناول طعام العشاء بمنزله فلبينا الدعوات شاكرين

وقد زرنا بلدة الغردقة وجامعها ومدرستها الابتدائية وبعض المحال التجارية

وقد تفضل الاستاذ حنفى السيد فهمى مفتش مصلحة المناجم للبترول واعطانا البيانات القيمة الآتية :

* * *

اختلف العلماء على أصل البترول وكيفية تكوينه وهناك عدة نظريات تقدم بها هؤلاء العلماء وبعضها يحتاج الى الاثبات وهى :

١ — انه من أصل سماوى ويدللون على ذلك بوجود المواد الهيدروكربونية فى عدة نيازك ولكن المشاهد والمعروف أن عدد النيازك التى سقطت فى عمر الانسان لايمكن أن تفسر الكميات الكبيرة والمعروفة فى البترول

٢ — تفاعل كيماوى بين الكربيد والمياه ومنها يتولد غاز الاسيتلين وبضغطه يمكن أن نجد تفسيراً معقولا لأصل البترول

وبالبحث والتحرى فى القشرة الارضية لم يثبت وجود الكربيد بكميات جديرة بالذكر

٣ — من مواد حيوانية والمعروف أن الاسماك يمكن أن يستخرج منها زيت كزيت الحوت وزيت السمك الخ :

والمعروف أيضا أن كميات السمك الموجودة بالبحار لا حصر لها لو قارناها بما يصاد سنويا ويمكن أن يفسر ذلك بوجود كميات كبيرة من البترول ولكن وجود نسب كبيرة من النتروجين والكربيد يحتم علينا أن نبحث على مورد آخر لهذين العنصرين ونجد ذلك فى بقايا النباتات ولا يمكن أن تنفرد بقايا الحيوانات أو النباتات كل على حدة لتفسير تكوين البترول

تتحول المواد العضوية تحت ضغط طبقات الارض التى تراكمت عليها بملايين السنين وتنتهز أول فرصة العوامل جيولوجية مثل الضغط وتنتقل من مصدرها الاصلى الى طبقة أرضية يشترط فيها أن تكون مسامية يمكن تخزين البترول بها وتكون على شكل قبو محدب وتكسو هذه الطبقة المسامية طبقة أخرى غير مساميه تمنعها من التسرب الى سطح الارض

قبل استخراج البترول الخام كان الهنود الحمر بأمريكا يستعملون البترول كدواء وكانوا يجمعونه مما يطفو على مياه بعض الانهار بواسطة بطاطين من الصوف يفرشونها على سطح تلك المياه فتتشرب البترول ويعصرونه منها لاستعماله كدواء

وقد وجد البترول فى منطقتين :

الاولى — فى أحد أنهار بنسلفانيا بأمريكا

الثانية — فى روسيا حيث كانوا يعبدون النار بسبب حريق الغاز الذى كان يخرج من الارض وبجواره كانوا يجدون البترول

لما ظهر نفع البترول وزاد الطلب عليه اضطروا للبحث عنه فى كل مكان تظهر فيه علاماته على سطح الأرض

واستعملت طريقة حفر الآبار بطريق المصادفة اذ كانوا يبحثون عن مياه ارتوازية للشرب فظهر البترول بقوة وكان ذلك بمدينة تيتوسفيل بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية

وما زالوا الى الآن — فى بعض الاحيان — عندما يحفرون بئرا للبترول فانه ينبع مخلوطاً بالمياه وفى هذه الحالة يتبعون طرقا خاصة لفصل الماء عن البترول

كما وأنه وجد بجوار احدى آبار البترول بالغردقة بئر تخرج ماء باستمرار فوضعوا عليها طلمبة لاستخراجه ومنع وصوله الى بئر البترول المجاورة فيفصلونه مبدئياً أولا بأول على حدة بدلا من تركه يختلط مع البترول ثم يتكلفون لفصله مصاريف باهظة

واستمر البحث عن البترول على غير أساس علمى وانما بطريق الحدس والتخمين الى أن تجمعت معلومات عن عدة آبار واضطرت الشركات لاستخدام الرجال الفنيين لمعاونتها فى العمل

وبما توافر لدى هؤلاء الاخصائيين من المعلومات الفنية بعد حفر عدة حقول بترولية أمكنهم

الاستدلال بسهولة على الاماكن التى ينتظر أن يوجد بها البترول وعلى ذلك أوجدوا فن البحث عن البترول بالطرق الفنية البحث

* * *

كيف يستدل على كون البترول ؟

١ — وجود غازات وبترول على سطح الارض

٢ — بعض الاحجار الجيرية عند ماتكسر توجد بترولية

٣ — أحجار مشبعة بالاسفلت كما هو موجود بجهه دربة على الشاطىء الشرقى من خليج السويس بين ابو زنيمة والطور

٤ — وجود البترول على سطح مياه البحر الاحمر بجانب الشاطىء بجبل الزيت بالزيتية بين رأس غريب والغردقة .

أما الاحجار البترولية فرائحتها بترول واذا أحرقت تخرج منها مواد بترولية كالموجود فى سلسلة جبال العش بين رأس غريب والغردقة وبوادى طيبة شمال ابو زنيمة

والحفر الابار هناك طريقتان كل منها تستلزم بناء هيكل حديدى خاص وأدوات خاصة

١ — الطريقة التى رأتها البعثة برأس غريب وتسمى طريقة الحفر بالدوران وتتكون من سكين متصلة بأنابيب سميكه لسطح الارض تديرها طبلية يحركها محرك كهربائى وهذه الانابيب مجوفة بحيث تسمح بمرور المياه الطمية فى داخلهـا وفى عودة هذه المياه خارجها تحمل معها فتات الصخور التى قامت بتكسيرها السكينة الموجودة فى اسفل وفى قاع البئر فيلزم لذلك طلمبات لضغط المياه لادارة الطبلية

٢ — طريقة الدقاق كالمشاهد فى الغردقة وتتكون من سلك صلب فى آخره سكينة مركبة بطريقة فنية ترتفع وتنخفض بآلة ميكانيكية تسمح لها بضرب الارض عند النزول فتفتت الصخور وتمتزج بما يضاف اليها من ميـاه بعد ذلك يستعمل ما يسمى بالشفاط لنزح المياه وفتات الصخور . والطريقة الاولى تمتاز عن الثانية بالسرعة والاقتصاد فى النفقات .

وعند الانتهاء من عملية الحفر والعثور على البترول إما أن يفور البترول من تلقاء نفسه بحـــكم

الضغط الموجود عليه من طبقات الارض سواء كان ذلك بعامل الغاز المضغوط معه كما يحدث عند فتح زجاجة غازوزة أو بقوة الدفع وهذا هو الحاصل فى حقل رأس غريب .

واذا كان الضغط غير كاف فيلزم استعمال طريقة ميكانيكية لرفع البترول من باطن الارض والطريقة المتبعة فى الغردقة هى استعمال الطلمبات التى توضع فى قاع البئر وتحركها سيقان من الصلب على سطح الارض .

والبترول الخام مكون من بنزين وكيروسين ومازوت

البنزين يستعمل للسيارات والطائرات والكروسين للآلات الدقيقة والمازوت يمكن تنقيته لاستخراج زيت الديزل والاسفلت لرصف الشوارع وهذا من اختصاص معامل التكرير .

* * *

علمنا أن نسبة الماء فى بترول رأس غريب بسيطة جدا أقل من واحد فى المائة فى حين أنها فى آبار الغردقة تصل الى ٨٠ فى المائة — ولهذا السبب أقيمت بالحقل الاخير أجهزة خاصة لفصل الماء عن البترول بعد استخراجه من الآبار وهى عملية تستدعى مصاريف إضافية يكونون فى غنى عنها لولا هذه المياه المختلطة بالبترول

* * *

تكلفت البئر الاولى برأس غريب ١٢٠٠٠ جنيه وما أعقبها من آبار كانت تكاليفه ما بين ٦ و ٨ آلاف جنيه

* * *

يبلغ متوسط عمق الابار حوالى ٢٥٠٠ قدم أى ٨٠٠ متر تقريباً فى رأس غريب ، وفهمنا أن الطبقة المدرة للبترول سميكة جداً بخلاف حقل الغردقة وعلى ذلك ينتظر استخراج كميات كبيرة من البترول من آبار رأس غريب

وفهمنا أن الابار التى حفرت فى الغردقة نحو ١٢٨ بئراً منها ٧٨ بئرا يستخرج منها البترول الآن والباقية نضبت أو لم تنتج بترولا

وقد علمنا أيضا أن ٧٨ بئراً بالغردقة تخرج يومياً حول ٤٠٠ طن فى حين أن خمس آبار رأس

غريب تنتج أكثر من ضعف ذلك

وأنه بلـغ مجموع الانتاج من حقل الغردقة حتى نهاية سنة ١٩٣٨ ما يقرب من أربعة ملايين ونصف المليون طناً من مساحة قدرها ٤٫٥ مترا مربعا

ومما يلفت النظر أن اسمى رأس غريب والغردقة حرفهما الاجانب تحريفا كبيرا اذ أن غريب يحرفونه الى (غارب) والغردقة يحرفونها الى (هور جادة)

ومن المناظر الطبيعية التى تلفت الانظار منظر جبـل الشايب من بين الابار البترولية أوان الغروب ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٠٠٢ أمتار

وكنا سعداء الحظ أثناء اقامتنا على سواحل البحر الاحمر اذ لم تصادفنا الرياح الشديدة التى تسمى بالأزيب والتى تعصف من الجنوب الشرقى وهى رطبة مشبعة بالميـاه ولها تأثير سيء على الناس اذ تحدث لهم انقباضا وصداعا شديدين وعدم مقدرة على التفـكير وتمكث بضعة أيام ويلاحظ أيضا تأثيرها على الحيوانات بما يظهر عليها من الخمول والكسل كما أنه بلغنا أن لها تأثيرا فى اهلاك الاسلاك الكهربائية .

« • »

وفى يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٣٩ قامت البعثة من الغردقة فى الساعة ٩ صباحا فوصلت الى سفاجة الساعة ١٠٫٣٥ ثم ذهبت رأساً لمنجم الفوسفات بجهة أم الحويطات على بعـد ٣٠ كيلو مترا من مركز الشركة على شاطىء البحر بسفاجة حيث تجرى فقط الاعمال النهائية للفوسفات قبل الشحن

وبالمنجم شاهدنا العملية الاولى لاستخراج الفوسفات من جوف الجبل ويصلون اليه بسراديب تنحدر وتتفرع فى باطن الجبل حيث طبقات الفوسفات

يخرج منجم أم الحويطات اكثر من ٢٠٠ طن يوميـــا أو ما يقرب من ثلث مايستخرج من الفوسفات من منجم القصير الذى يستخرج منه يوميا حوالى ٧٠٠ طن من الفوسفات .

ويعمل بمنجم سفاجه حوالى ٣٠٠ عامل يتناوبون العمل ومعهم ثلاثة شبان مصريين موظفين فنيين تحت رياسة مدير المنجم وهو بريطانى .

وقد عدنا الى سفاجة وتناولنا طعـام الغداء بمنزل جناب مدير الشركة المستر دافيد كروكستن

اجابة لدعوته .

ومما يستحق الذكر ان مياه الشرب فى هذا المنجم وملحقاته تكثف من مياه البحر المالح بطريقة المكثفات (الكندنسر) وقمنا من سفاجة فى الساعة الرابعة والدقيقة ٣٠ الى القصير فوصلنا الساعة ٧ مساء

والطريق من الغردقة الى سفاجة	٦٥ كيلو مترا — جيدة جدا
ومن سفاجة لمنجم أم الحويطات	٣٠ كيلو مترا — جيدة جدا
ومن سفاجة للقصير	٨٢ كيلو مترا — جيدة

وبالقصير نزلنا فى استراحة مصلحة الحدود ومنزل السنيور ديشيا مفتش عام شركة الفوسفات بالقصير الذى أضافنا مع الشكر مدة إقامتنا بالقصير

« • »

وفى يوم الجمعة ٦ يناير سنة ١٩٣٩ قمنا مع مفتش عام الشركة الى مناجم الفوسفات بجبل ضوى بوادى انبيضا وهو يبعد ٢٥ كيلو مترا من القصير ورأس مال هذه الشركة ايطالى ولو أن اسمها شركة الفوسفات المصرية وبها حوالى ٧٥٠ عاملا يتناوبون العمل وكذلك بعض الشبان المصريين الموظفين يتدربون على العمل لاحلالهم محل الاجانب

ويوجد بالقصير مكثفتين للمياه احداهما ملك الحكومة والثانية للشركة . وتقوم الاولى بتموين البلد عامة والثانية لاعمال وعمال الشركة خاصة . ومما يلفت النظر أن مواعيد الاعمال بالشركة تسير حسب أوقات ما يسمونه ساعة الشركه وهى متأخره ٢٠ دقيقة عن ساعة الحكومة

وقد بدأ العمل الجدى فى مناجم هذه الشركه منذ ١٦ سنة تقريبا أى حوالى سنة ١٩٢٢ وقد بلغ عملها الآن حدا محترما منظما أحسن تنظيم سواء داخل المناجم أو خارجها . ويبلغ ما يستخرج حوالى ٧٠٠ طن من الفوسفات الخام يوميا ولها عدا منجم جبل الضوى السابق الذكر وهو أهم مناجمها مناجم أخرى بجهة الحميضات وابو تلصم والبحث مستمر عن مناجم أخرى

وقد بلغ عمق بعض نقط مناجمهم الى ٣٢٠ مترا منها ١٧٠ مترا تحت سطح البحر وتجرى بها خطوط حديدية ومصاعد كهربائية لنقل الخامات وتمتد بالمناجم مواسير للهواء المضغوط لتغيير جو

المنجم وتنقيته ممـا يلوثه من الاتربة والهواء الفاسد وكذلك لاستعماله فى الاجهزة التى تدار بالهواء المضغوط .

« ٥ »

يظل البحث جاريا وراء طبقة الفوسفات حتى اذا عثروا عليه ثقبوا فيه عدة ثقوب يضعون فيها الغام الديناميت ثم يفرقعونها لتفتت الطبقات ثم يجرى تهشيمها حسب الحجم الذى يمكن معه نقلها فى المصاعد المتعددة المعدة لذلك

والفوسفات الذى يستخرجونه من المنجم يحتوى على ٧٠ الى ٧٢ فى المائة فوسفـات و ١٤ الى ١٥ فى المائة ماء والباقى مواد حجرية يفرزونها باليد والغرابيل

يجفف الفوسفات بعد تنقيته من المواد الغريبة إما فى الشمس لمدة ٤ أو ٥ أيام صيفا أو ٨ الى ١٠ أيام فى الشتاء بعد تقليبه يومياً أو بواسطة أفران مخصوصة يوضع فى كل فرن نحو ٥٠٠ طن لمدة ٢٤ ساعة بالاستمرار وبذلك تنخفض نسبة الرطوبة الى ٢ أو ٣ فى المائة ثم يطحن بواسطةماكينات خاصة طحنا دقيقا قبل تصديره

وعلمنا بأن غالبية المستخرج يصدر الى اليابان ـ حيث يستعمل إما بحالته الخامة كسماد فى مزارع الشاى وخلافه أو يحول بواسطة علاجه بحامض الكبريتيك ليكون سوبرفوسفات وهو السمادالمشهور

وفى يوم السبت ٧ يناير قمنا من القصير فى الساعة السابعة صباحا الى منجم السكرى وعلى بعد ٥٥ كيلومترا من القصير شاهدت البعثة فى جهة أم غيج بقايا أدوات شركة تعدين تسمى شركة أم غيج كانت تعمل لاخراج الرصاص ولـكنها لم تستمر فى عملها لنفاد رأسمالها

ووصلت البعثة مرسى علم فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ وبعد تناول طعام الغداء على مائدة المستر فولى مدير منجم السكرى اجابة لدعوته ذهبت البعثة الى المنجم وهو تابع لمصلحة المناجم لمشاهدته ابتدأت الحكومة فى استغلال منجم السكرى فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ فقط مع أن قدماء المصريين سبق أن استغلوا هذا المنجم من آلاف السنين وكان أكثر استغلال لهذا المنجم فى عهد الملك سيتى الاول ، وقد وجد أن استغلالهم عروق المرو الذى يحتوى على الذهب تمتد الى مسافة ٣٠٠ مترطولا والى عمق ٨٠ متراً ويغلب على الظن أن الذى منعهم من الاستمرار فى عملهم هو أنهم وصلوا لنهاية

العمق الممكن لهم . واستغلت المنجم شركة انجليزية قبل الحرب العالمية عدة سنوات ولكن نشوب الحرب منعها عن مواصلة عملها ولم تصل الى نتيجة عملية .

وفى سنة ١٩٢٨ حصل أحد الاعيان المصريين على رخصة لتشغيل المنجم وجرت بينه وبين شركة انجليزية وأخرى فرنسية مباحثات كادت تأتى بنتيجة مع الثانية ولكن لأمر مالم يتم المشروع حتى أتى الدور الحالى من استغلال مصلحة المناجم للمنجم

ففى سنوات ١٩٣٢ و١٩٣٣ و ١٩٣٤ أرسلت مصلحة المناجم البعثات للبحث عن صلاحية استغلال المنجم وقرروا أولو الشأن على ضوء هذه الابحاث صلاحية استغلال المنجم المذكور . وهنا يلاحظ أن وجهة نظر مصلحة المناجم فى ذلك لم تكن قط البحث عن مكسب مادى وانما الغرض هو حث المليئين المصريين على استغلال ثروة مصر المعدنية وذلك بجعل منجم السكرى أنموذجا لما يمكن أن يستغل فيه المصريون رؤوس أموالهم

وفى نوفمبر سنة ١٩٣٥ ابتدأ العمــــل جديا بالمنجم بعد أن مهد الطريق من البحر الاحمر للمنجم ومسافته ٢٨ كيلو مترا وأقيمت المبانى اللازمة ودخل المنجم فى دور الانتاج فى يوليه سنة ١٩٣٧

يوجد الذهب بمنطقة السكرى على شكل حبيبات دقيقة جـــدا فى عرق المرو وهو من حجر كوارتز وهذا العرق يوجد ممتدا بين أنواع أخرى من الحجارة كالجرانيت وغيره

ويبلغ طول العرق الذى يستغلونه الآن حوالى ٣٠٠ متر ولم يحـدد بعد مدى امتداده داخل الجبل ولكن الاعمال تجرى فيه الآن على عمق ٢٠٠ متر

وقد قام الاخصائيون بحفر أربع آبار وهى سراديب مائلة فى جوف الجبل محاذية لبعضها ويزيد عمق ثلاث منها عن مائة متر لكل منها والرابعة يبلـغ عمقها نحو ٢٠٠ متر ثم قاموا بتوصيل هـذه الآبار ببعضها بواسطة سراديب أفقية تحت الارض وذلك لتحديد قطـع المرو على شكل مربعات يستخرج المرو منها الواحدة بعد الاخرى

وطريقة تكسير المرو هى القيام بعمل ثقوب بواسطة مثقاب كبير يدار بالهواء المضغوط يتراوح عمق الثقب بين متر ومتر ونصف وهذه الثقوب تملأ بالديناميت وتشعل فيتكسر حجر المرو وينقل

الى سطح الارض عن طريق احدى الآبار بواسطة عربات خاصة حيث تفرغ بطريقة أوتوماتيكية فى عربة أخرى تنقل للمستودع او الى الطاحونة

* * *

يؤخذ المرو من المستودع السالف الذكر بواسطة عربات ديكوفيل وتفرغ مباشرة الى الكسارة حيث يكسر المرو الى حجم نصف بوصه ثم يؤخذ الى الطاحونة (ويوجد منها أربع طواحين) ويكسر المرو فى هذه الطاحونة والناتج من عملية التكسير والطحن يمر من غربال ذى ثقوب دقيقة بنسبة ٦٠٠ ثقب للبوصة المربعة. وأثناء عملية الطحن يخلط الحجر بالماء ويلاحظ أنهم يستعملون ماء البحر المالح ويستحضرونه بواسطة فناطيس كبيرة فانها أوفر من الماء الحلو ثم يمر الناتج من الطحين على صينية مائلة مصنوعة من نحاس مطلى بقشرة فضية ويضاف الى سطح الصينية كمية محدودة من الزئبق كل نصف ساعة فتتحد حبيبات الذهب بالزئبق ويتكون خليط يسمى (أملجم) وهذا يجمع من الصينية كل ١٢ ساعة وذلك بحك سطح الصينية حكا خفيفاً بقطعة من المطاط ويستخرج بهذه الطريقة من ٦٠ الى ٧٠ فى المائة من كمية الذهب الموجودة فى المرو فيبقى حوالى ٤٠ فى المائة من كمية الذهب فى المخلوط الذى مر بعد الصينية فيؤخذ هذا المخلوط بعد تصفية المياه منه ويوضع فى خزانات كبيرة ويضاف اليه محلول مخفف من سيانور الصديوم ٢ ونصف فى الالف ويترك لمدة ثلاثة أيام فيذوب الذهب فى سيانور الصديوم فيؤخذ هذا المحلول ويمر على ستة صناديق الواحد بعد الآخر ويحتوى كل من هذه الصناديق على الياف الزنك فيرسب الذهب على هذه الالياف وتغسل هذه مرة كل شهر لاخذ الذهب ويكون فى هذه الحالة على شكل طمينة سوداء وهى تحتوى على ٢٠ الى ٣٠ فى المائة من كمية الذهب الموجود أصلا فى المرو

* * *

١ — ذهب الاملجم — يؤخذ الاملجم مرتين فى اليوم من الصينية ويغسل وذلك بأضافة كمية مخصوصة من الزئبق اليه وتطحن باليد فى هون من الصينى لمدة خمس دقائق ثم يكشط ما يطفو على سطح المخلوط من الاقذار ثم يصفى هذا بقطعة من جلد ما عز فيبقى بعد ذلك الاملجم النقى

يؤخذ هذا الاملجم النقى آخر كل شهر ويوضع فى بوتقة من الصلب متصلة بأنبيق يوضع فوق

نار حامية فيتبخر الزئبق ويتكاثف داخل الانبيق فيجمع ويستعمل ثانيا على سطح الصنيه ويتبقى داخل البوتقة ما يسمى بالذهب السفنجى لوجوده على شكل الاسفنج — ثم يؤخذ هذا الذهب الاسفنجى ويصهر داخل بوتقة من الجرانيت ويصب فى القوالب

٢ — ذهب السيانور — تؤخذ الطينة السوداء من صناديق الزنك وتجفف على نار هادئة فى أوعية مسطحة ثم توضع فى بوتقه من الجرانيت ويضاف اليها ثانى كربونات الصودا والبوراكس والجير والرمل بنسب معينة لتساعد على سهولة الصهر ولتكون مادة سائلة أخف من الذهب المصهور فيرسب الذهب فى القاع ثم تخرج البوتقة من الفرن وتترك حتى تبرد ويفرغ ما بها فيبقى الذهب فى القاع منفصلا عن باقى المواد فيصب هذا الذهب فى قالب كما ذكر بالنسبه للاملجم

وفى يوم الاحد ٨ يناير سنه ١٩٣٩ قمنا فى الساعه السابعه صباحا من مرسى علم فوصلنا منجم الحنجليه فى الساعة التاسعه صباحا وهو منجم ذهب تابع للحكومة أيضا ويتبع فى ادارته لمنجم السكرى

وليس به عمل كمنجم السكرى وانما يكسر فيه عرق المرو وينقل لمنجم السكرى لتشغيله والمسافة من مرسى علم للحنجلية ٥٥ كيلومترا .

ثم استأنفت البعثة السير الى البرامية وهو منجم ذهب قديم وليس به عمل الآن .

ولم تستطع البعثة الوصول فى نفس اليوم الى قنا كما كان مقررا بالنسبة لطول الطريق واتساع الوادى و كثرة الرمال به فاضطرت للمبيت بالطريق وسط واد يسمى « وادى زيدون »

وفى صباح الاثنين ٩ منه قامت البعثة حيث مرت بجهة اللقيطة وهى نقطه هجانة وسط الصحراء تبعد عن قنا حوالى ٥٠ كيلومترا وهى بقعه زراعيه نوعا ما وبها بعض النخيل وحقول صغيرة بها قمح وفجل والارض صالحه للزراعه وبهذا المكان خمس آبار إلا أن سكانها قليلو العدد وفى غاية الفقر ولو أمكنهم استخراج المياه من الآبار بأكثر من ذلك لزرعوا مساحه أكبر تساعدهم على معيشتهم

وقد رأت هيئة البعثه أن تمد يد المساعدة للبدو الفقراء بهذا المكان وذلك بأن تتبرع الجمعية بمبلغ مائة جنيه حتى يمكن تحسين حالة الآبار وتركيب سواق عليها وزراعه حديقة مواح

صغيرة بصفة نواة لزيادة المساحة المنزرعة معاونة للاهـالى على معيشتهم تذكارا لهذه الرحلة وخدمة بسيطة من الجمعية لبدو هذه المنطقة وكذلك لامكان توسيع الاستراحة الصغيرة الموجودة بأمـل تشجيع المصريين على ارتياد هذه المنطقة

ثم غادرت البعثة بئر اللقيطة الى قنا فوصلت فى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ ومنها أخذنا القطار الى مصر فوصلنا صباح الثلاثاء ١٠ يناير سنة ١٩٣٩!

وقبل ختام هذه المذكرة نبدى اعجابنا الزائد بمن قابلناهم من مواطنينا الشبان الذين رأيناهم يعملون بجد ونشاط فى هذه الصحارى والجبال وقد تركوا المدن وما بها من رفاهية وراحة وتسلية وسكنوا تلك الاصقاع النائية والصحارى والجبال الموحشة بعيدين عن أهاليهم وذويهم وصحابهم فانهم حقا جديرون بكل اعجاب وثناء لجلدهم وتحملهم تلك المشاق فى سبيل القيام بعمل جدى لبلادهم وهم حقا مثل حسن لما يجب ان يكون عليه الشباب المصرى .

ولاشك أنه يطرأ على مخيلة من يشاهد هذه المناجم ويجول بين هذه الجبال والصحارى ما يجعله يفكر فيما تحتويه من كنوز وخيرات ربما يوفق الانسان يوما لاستخراجها

أما عن صعوبة الطريق فانها لا شك تذلل أمام من يحسن الاستعداد لاجتيازها كما وانه يخفف صعوباتها أيضا ما بها من مناظر خلابة ومشاهد ساحرة

وبرغم ما اجتازته سياراتنا من مســافات شاسعة من الطريق غير معبدة فانهـا بحمد الله لم يصبها عطل كثير سوى أن تعطلت كهرباء واحدة بالقرب من الزعفرانة وتحطمت يايات اخرى وأصلحت بورش الغردقة وكسر جزء رئيسى من ماكينة ثالثة فى نهاية الرحلة ولم يتيسر اصلاحها الا فى قنا

وكأن الصحراء أبت إلا أن تثأر منا اذ قطعنا عليها مسـافات شاسعة تم لنا فيها النصر عليها فهيأت لاحدى السيارات (مطباجامدا) قذف بالسيارة الى أعلى وجذبها الى أسفل فانبطحت رأس زميلنا حسين بك فريد بطحا بسيطا والحمد لله سجلت به زيارتنا لها . !

***

ملحوظة : كان من دواعى سرورنا أن حضر لنا حضرة صاحب السعادة محمد عقل باشا مدير

عام مصلحة خفر السواحل سابقا مع سعادة حسن شعراوى باشا فى صباح يوم ٣ يناير قبل مغادرة الزعفرانة وشاركنا فى بقية الرحلة

* * *

يتبين لنا مما شاهدناه فى أثناء رحلتنا فى الصحراء الشرقية من السويس الى القصير على شاطىء البحر الاحمر ومنها الى مرسى العلم ومنجم السكرى واللقيطة وقنا أن هناك مجالا كبيرا للاستغلال والاصلاح

وأن أهم ما يجب أن تتجه اليه وسائل الاصلاح هو تعبيد طرق المواصلات بين البحر الاحمر ومختلف عواصم مديريات الوجه القبلى .

وكما سبق أن ذكرت بعد رحلتنا للواحات المصرية فى أكتوبر سنة ١٩٣٧ أنه يجب ألا ننظر لانشاء الطرق وسط الصحارى نظرة مادية فحسب من حيث تكاليفها وقلة مواردها للحكومة فان فى انشائها فائدة كبيرة لمصر لا من حيث التعمير ورفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى وزيادة عدد السكان ومساعدة اهليها على تصريف حاصلاتهم ومتاجرهم فحسب . بل يلزم أن تكون بحيث يمكن الاعتماد عليها فى النقل التجارى والنقل الحربى اذ أن الطرق بالصحراء الشرقية بحالتها الراهنة لا يمكن الاعتماد عليها لتحقيق هذه الاغراض

كما أن نظرية ترك الصحراء كدفاع طبيعى ضد غارات جيش مهاجم وعدم تمهيد الطرق بها اصبحت لا تتفق مع الوقت الحاضر فان خلق أسلحة جديدة كالطائرات والدبابات والحملات الميكانيكية قد غيرت وسائل الدفاع وقلبتها رأساً على عقب

ولست أدعى الخبرة بالمسائل الحربية ولكن المنطق والالمام بما هو جار فى العالم يجعلنى لا أتردد فى المناداة بترك هذه النظرية القديمة وربط البحر الاحمر بالنيل بطرق عديدة ممهدة

فاما أن تقوم بها وزارة الحربية كطريق للدفاع للوصول بسهولة لموانىء البحر الاحمر التى اذا ما حصناها وزودناها بالاستعدادات العسكرية اللازمة نكون مستعدين للطوارى، حيث تكون بمثابة نقط أمامية وليس التاريخ ببعيد عن أهمية مدينة القصير ومافيها من قلاع وتحصينات

وإما أن تقوم كل مديرية بربط عاصمتها بالميناء المقابلة لها على البحر الاحمر .فكما أن القاهرة

متصلة بالسويس بطريق ممهدة فيلزم أن يربط بنى سويف بالزعفرانة بطريق مثلها تمر بدير الانبا انطونيوس وتربط المنيا برأس غريب وأسيوط بالغردقة وسوهاج بسفاجة وقنا بالقصير وأسوان برأس بناس .

وتقوم مجالس المديريات بهذا العمل تدريجيا بالاتفاق مع وزارة الداخليه بمعنى أن يقوم مدير كل مديرية بتمهيد عدة كيلومترات فى كل سنة حتى يتصل شاطىء البحر الاحمر بشاطىء النيل على توالى الزمن وفضلا عما ينشأ عن ذلك من حركة الاتجار والعمران فان المصايف تنشأ على سواحل البحر الاحمر فيقصدها جمهور الأهالى والموظفين ويتبع ذلك جمهرة السائحين الذين تستهويهم الصحراء بسحرها وجمالها فتنشأ الفنادق وغير ذلك مما لا يمكن حصره من المنشآت حتى تدب الحياة فى الصحراء وتفيق من رقدتها تلك السنوات الطويلة .



الصوف من اللبن

رغبت إيطاليا فى كفاية نفسها اقتصاديا عن استيراد المنتجات الاجنبية التى قد تمنع عنها فى حالة وقوع الحروب ، فكان ذلك حافزا لها على اكتشاف طريقة عمل الصوف الصناعى «لانيتال» من لبن البقر . وهكذا استطاعت إيطاليا أن تخرج من كازين اللبن أليافا وأقمشة بديعة عظيمة الفائدة . ولما كان كازين اللبن الناتج بأمريكا لا يختلف عن الناتج منه بايطاليا ، لذلك فان اليوم الذى تستطيع فيه الولايات المتحدة انتاج مثل هذه الألياف الاصطناعية بشكل تجارى ليس ببعيد ، حيث قد استطاع اخصائيو وزارة الزراعة بالولايات المتحدة عمل الصوف الصناعى فى معامل التجارب ، كما أمكن للمعامل الامريكية إنتاجه بمعامل أبحاثها . ولم تقتصر المسألة على فائدة ألياف الصوف الاصطناعى وإمكان استخدامها فى عمل أحدث أزياء الملبوسات ؛ بل إن تكاليف انتاجها قليلة ، ويرجع ذلك الى إمكان استخدام الآلات المستعملة الآن فى صناعة الحرير الاصطناعى لانتاج الصوف الاصطناعى بعد ادخال بعض تعديلات بسيطة عليها .

ومادة الكازين — التى تعرف بأنها الجزء الاساسى فى الجبن — هى العنصر القاعدى للمادة الجديدة التى تنافس الصوف الطبيعى المأخوذ من الاغنام . ويلاحظ أن مزايا طريقة عمل الصوف من اللبن أن جميع عناصر اللبن الأخرى ينتفع بها ، فلا يضيع منها شىء فيفرز اللبن أولا للحصول على القشدة لعمل الزبدة منها . أما اللبن المفرز فيعامل بحامض ليتجمع الكازين بهيئة خثرات ، والمخيض الذى ينفصل فى هذه العملية تغذى به الخنازير بعد معالجته لمعادلة الحمض .

ثم يعمل مسحوق الكازين الجاف من خثرات الكازين ، وهذه هى الخطوة الاولى فى عمل الياف الصوف . وكل رطل من هذه الالياف ينتج من نحو رطل من الكازين ؛ هذا مع العلم بأن كل ٢٦ جالونا من لبن البقر يعطى ٦ ، ٦ أرطال من الكازين خلاف ٨ ، ٠ أرطال من الزبدة وعلى حسب الاسعار السائدة الان فى امريكا ، فان ثمن الكازين اللازم لصنع بذلة مكونة من ثلاث قطع يساوى

نحو ٥٠ سنتيما فقط ، أذا راعينا ثمن المادة الخامة فقط

هذا ومع أن الكازين المأخوذ من لبن البقر هو المادة المستعملة تجاريا فى عمل الصوف الصناعى فمما لا شك فيه أن صناعته ليست مقصورة على كازين اللبن إذ الواقع أن البروتين الموجود فى الكازين هو المادة الكيميائية التى تصنع منها هذه الالياف ، ولذلك نجح كثير من الكيماويين بأمريكا وغيرها من البلدان فى صناعة الالياف من البروتينات الاخرى ، ففى أمريكا تصنع ألياف الصوف من فول الصويا ، وفى اليابان وألمانيا يستخدم بروتين السمك كمصدر لصناعة ألياف الصوف ، ولكن هذا لايزال فى حيز التجربة . ولقد ظهر من التحاليل الكيماوية أن ألياف الصوف الصناعى تحتوى على جميع العناصر الكيماوية التى يحتوى عليها الصوف الطبيعى بنسب تكاد تكون متعادلة فى كل ، غير أن نسبة محتويات الصوف الصناعى من الكبريت أقل منها فى الصوف الطبيعى ، وفيما يلى تحليل يبين نسبة المحتويات الكيماوية فى كل من الالياف الطبيعية والاصطناعية .

	صوف صناعى	صوف طبيعى
الكربون	٥٣	٤٩،٢٥
الايدروجين	٧	٧،٥٧
الاكسيجين	٢٣	٢٣،٦٦
الآزوت	١٥،٥٠	١٥،٨٦
الكبريت	٠،٧٠	٣،٦٦

ومجمل طريقة صناعة ألياف الصوف (وفيها يستخدم كثير من الآلات المستعملة حاليا فى صناعة الحرير الصناعى) هو أن يذاب الكازين كيماويا ليكون سائلا فى قوام الشراب ، فاذا صار فى القوام المناسب أمرر خلال فتحات دقيقة تسمى « جهاز الغزل » وبخروج هذه الخيوط السائلة التى لا يحصى عددها من « جهاز الغزل » تدخل فى حمام من الفورمالدهيد الكيميائية

وعندئذ تيبس الخيوط وتصير أليـــافا . وهذه الخيوط التى كونت حديثـــا تمرر بطريقة مستمرة فى صهاريج أخرى تحتوى على محاليل خاصة ليتم تحضيرها ؛ وأخيراً تجفف فتصبح كأنها صوف طبيعى نظيف جز من ظهور الغنم . ويمكن عندئذ غزلها الى خيوط للنسج بالطريقة العادية . ومن صفات الصوف الصناعى أن أليافه مصمتة ، وأنه يمكن عملهـــا بالطول والقطر المطلوب . وألياف الصوف الصناعى تعادل — من حيث كونها مصمتة — أجود أصواف الغنم ، إذ أن هذه الاخيرة مصمتة أيضا ، فى حين أن الأصواف الرديئة تكون أليافها مجوفة .

ومنذ اختراع طريقة عمل الصوف الصناعى أخذ الباحثون يفكرون فيما إذا كانت البكتريا التى تهاجم اللبن فى استطاعتها أيضا مهاجمة الالياف الاصطناعية المصنوعة من الكازين . ولقد قام أخيرا عالمان هولنديان بعدة اختبارات فى هذا الموضوع ، فوجدا أن بكتريا الهواء التى تستعمل فى غذائها الكازين يمكنها أن تتلف ألياف الصوف الصناعى ، بأن تفرز إنزيمات تقوم بهذا العمل ، كما وجد أن الحرارة تتلف هذا الانزيم . ولكن قبل أن نتخيل ضرورة المداومة على غلى الملابس المصنوعة من الصوف الاصطناعى لوقايتها من التلف ، يجب أن ندرك أن أهمية هذه المسألة تنحصر فى الناحية العلمية أكثر منها فى الناحية العملية . فالمعروف منذ سنوات عدة أن الجزء الاكبر من الأزرار يصنع من الكازيين وهذه الازرار تكون عرضة أيضا للتلف بالبكتريا فى الاختبارات التى تجرى بالمعامل ومع ذلك فان هذا لم يمنع استعمال الازرار المصنوعة من الكازين ، فالواقع أن هذه المسألة عديمة الاهمية وخاصة أن الظروف تكون عادة غير ملائمة لفعل إنزيمات البكتريا فى الكازين .

محمد مختار خفاجي (ترجمة)

ذكرى ..

الى روح الشاعر

م . ع . الهمشرى

للاستاذ صالح جودت

قال لى صاحبي وقـد جنت الشمـس فألقت بجسمها فى المـاء :

ألنـا أن نسير حتى نرى الصبـح فنفضى له بسر المسـاء ؟

قم بنا ننتهى إلى ضفـة النيـل وعشب الجزيرة الحسنـاء

خطوات النهـار للنـاس لـكن   خطوات الظـلام للشـعراء

نحن من نملأ العقول ضـياء   مابنـا حاجـة لنور ذكاء

« ٠ »

وانتهينـا إلى الجزيرة ، مغنى الطـير والزهر والربى الغنـاء

لفهـا النيـل فى ذراعيه وانسـاب يغنى لهـا نشيـد الولاء

ورمى الموج تحت أقدامهـا السمر دعابا فأطرقت من حيـاء

« ٠ »

وتعرت رضـية فى يديه   وتراخت . تراخى الغيـداء

ثم لمـا خاف الظنون عليها   لفهـا فى غـلالة خضراء

جنـة الحب ياجزيرة شطآ   نك ملهى القلوب والأهواء

جنـة الخلد غير أن رباهـا   أمنت آدماً على حـواء

وأنى شاعر من الخلد يروى   بالأغانى صـدى القلوب الظماء

وأطل الهـلال حيناً فألفى   كوكباً فى الضفاف حلو الضياء

وأطل الزمان حيناً فألفى | أجلا فى الشباب جم الرجاء
وأطلت عين الخلود فقالت | إن هذا مكانه فى السماء

« * »

يارفيق الصبا ، وهيهات أنسى | الليالى المخلدات الصفاء
يوم كان الزمان كالزهر فى الفجر | وكنا عليه كالأنداء
يوم كنا نموج الماء ضحكا | فى ضفاف المنصورة الحسناء
لم نكن نعرف التواريخ إلا | فى وعود الحسناء عند الوفاء
لم نكن نعرف العشيات إلا | إلا من غناء الكروان عند المساء

« * »

ثم مرت من الزمان صروف | وهبطنا مدينة الضوضاء
وبدأنا الكفاح فى عالم العيش | ودنيا تنازع للبقاء !
فحملنا لقاءنا فترات | ينفد الصبر من خطاها البطاء
كم حثثنا تسيارها وجهلنا | أنها تنتهى لغير لقاء !

« * »

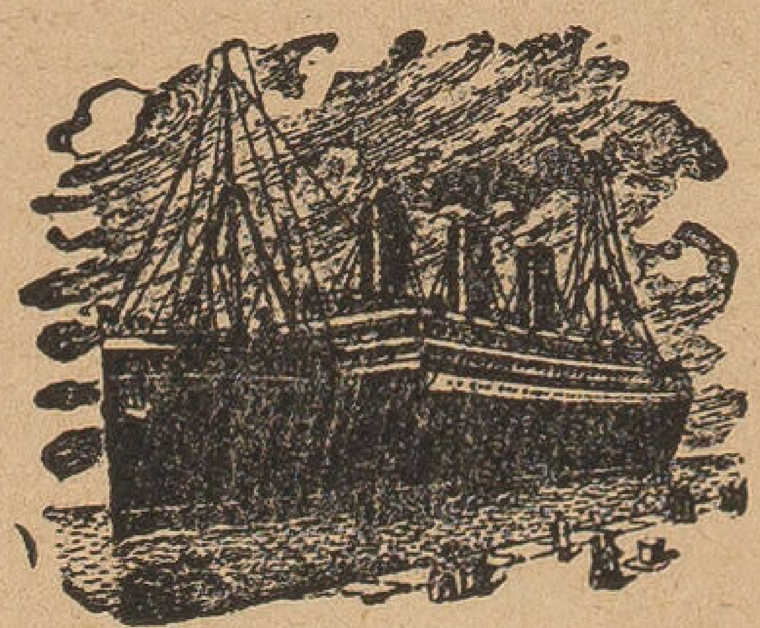
أين هذا الشباب والأمل الضا | حك بين الخطوب والأرزاء
وأحاديثك المليئة بالأحلام | فى عالم قليل الرجاء
كنت ألقاك والحياة تجافينى | وإعصارها يهد بنائى
فاذا ماسمعت ضحكتك العذ | بة أحببت بعدها أعدائى
وتمشى السلام فى جو نفسى | وتطهرت من طويل عنائى
وقرأت الحياة فيك كتاباً | شاعرى الآمال والآلاء
وشباباً هو الربيع الموشى | برقيق الظلال والأضواء
حين تبدو وعروة الصدر فى ثو | بك تزهو بالوردة الحمراء

واحمرار الحياة يشعل خديك ، ونور الشباب فى لألاء
تطأ اليأس باعتداد الأمانى وتذل الزمان بالكبرياء
وتغنى وتنهب العيش نهباً شأن من ألهم اقتراب الفناء

« ٥ »

ها أنا عدت للجزيرة وحدى أتملاك خلف تلك المرائى
ومضت قبضتى تصافح يمنا ك فصافحت قبضة من هواء
وتلفت باحثا عن أمانيك فلم تهدنى سوى الأشلاء
غير أنى أراك فى شعرك الخالد روحا تهيم بالاسراء
وأرى طيفك المغرد بين الزهر والطير والربى والماء
فأقول : الخلود لله ، والله يريد الخلود للشعراء

صالح جودت



بولندا شهيدة الحرية

وقعت بولندا فى الشهر الفائت فريسة عدوان وحشى من جارتها الغربية القوية . وبينما هى تناضل مستبسلة للدفاع عن كيانها وحريتها نضالا أثار اعجاب العالم كله ، تلقت من الوراء طعنة غادرة أخرى من جارتها الشرقية ، فيها كل معانى الغدر الدنىء والخيانة السافلة . وتخبطت بولندا جريحة بين عدوين قويين يفوقانها عددا وقوة وبطشاً

وتاريخ بولندا حافل منذ القرن السادس عشر بالمآسى الدامية والحوادث المفجعة . والبولنديون الأصليون هم قبائل الصقالبة الذين استوطنوا ضفاف نهر الفستولا فى القرن التاسع . وبعد مائة سنة من هذا التاريخ اعتنق زعيمهم أو ملكهم الديانة المسيحية . وأنشأ ولده من بعده مملكة امتدت من شواطىء بحر البلطيق الى جبال الكربات . وقد ثارت فى القرون الوسطى حروب متتابعة حافظت فيها بولندا على مكانتها القوية فى وسط أوربا

وبدت تتوالى عليها المصائب والكوارث من سنة ١٧٥٢ ب . م . فانهارت الاسرة المالكة فيها وغدا التاج هدفا لدسائس جيرانها الأقوياء . وزادت مصاعب الحكومة فيها على أثر وضع دستور غريب قضى ألا تصبح القوانين نافذة المفعول الا اذا صدق عليها البرلمان بالاجماع .

والبولنديون شعب مرح باسل ، يتفانى فى حب وطنه والبذل فى سبيله ، ولكن أعوزتهم منذ بدء تاريخهم تلك الجامعة القوية التى تكفل سلامة استقلالهم فى وجه جيرانهم الاقوياء الحاسدين

ولقد تعرضت من جراء ذلك الى التقسيم ثلاث مرات ، وهو التقسيم الذى يعتبر من أفظع جرائم التاريخ . وحدث التقسيم الأول فى سنة ١٧٧٢ والثانى فى سنة ١٧٩٣ والثالث وهو الذى محاها من خريطة أوربا فى سنة ١٧٩٥ وقد تم هذا التقسيم بين روسيا وبروسيا والنمسا . وقد كان تاريخهم خلال القرن التاسع عشر سلسلة من الثورات الباسلة فى وجه غاصبيهم

وقد اضطر البولنديون فى الحرب العظمى أن يحاربوا فى خدمة ثلاثة من السادة ، ولكن فعلوا ذلك على كره منهم وأخيرا نالوا بغيتهم فى معاهدة فرساى التى ضمنت لبولندا استقلالها بالحدود التى كانت عليها فى القرن الثامن عشر

على أن العداوة بين روسيا وبين بولندا لم يكن قد خبا أوارها . ففى سنة ١٩١٩ كاد البلاشفة يدخلون عاصمتهم وارسو ، ولكن البولنديين قاموا على الأعداء المغيرين بهجمة معاكسة أفسدت عليهم خطتهم وعقد الصلح بين الطرفين بشروط فى صالح بولندا واستتب لها استقلالها الذى كانت ترجو أن يكون طويلا

وفى مارس سنة ١٩٠١ تأسست فيها حكومة جمهورية وبرلمان بالانتخاب المباشر العام . وكان رئيسها الأول الماريشال بلسودسكى الذى كان قد تولى قيادة الجيوش النمساوية ضد روسيا فى الحرب الكبرى

وتقدر مساحة بولندا قبيل الغزو الالمانى الحديث بـ ١٤٧٠٠٠ كيلو مترا مربعاً ويربى عدد سكانها على ثلاثين مليوناً منهم حوالى عشرين مليونا من البولنديين ، والباقون من اليهود والالمان والروس البيض . ويكون اليهود أكثرية السكان فى ست عشرة مدينة بين الثلاث والاربعين مدينة التى يتفاوت عدد سكانها بين عشرة آلاف وعشرين الف نسمة . كذلك يكونون الاكثرية فى أربع وخمسين مدينة بين ثلاث وسبعين مدينة من المدائن الصغرى

وظل البولنديون أجيالا طويلة منقسمين الى طبقتين : النبلاء أصحاب الاقطاعيات ، والفلاحون الأميون وكان من أثر ذلك أن احتكر اليهود كل تجارة البلاد ، ووقع النبلاء فى الدين تحت سيطرتهم. وأما فى القرى فقد قبض اليهود على كل شىء تقريباً حتى نفد صبر الفلاحين وقاموا بمذابح دورية انتقاماً لانفسهم . ولليهود فى بولندا خواص يمتازون بها ، وهم يعرفون بين يهود العالم بعقصات شعورهم الطويلة وذقونهم المرسلة وقبعاتهم المغطاة بالفرو وأرديتهم السوداء الطويلة الاذيال

ومعنى كلمة « بولندا » أرض الحقول وفيما عدا الاقاليم المتاخمة لشواطىء البلطيك فى الشمال الغربى والاقاليم المتاخمة لجبال الكربات فى الجنوب ، فان أرضها سهل كبير منبطح . وسهولها رائعة فى مناظرها الطبيعية وألوانها الهادئة وأساطيرها التاريخية . وفى المناطق المتاخمة لجبال الكربات

بحيرات جميلة ومساقط مياه طبيعية ، ويقطن هذا الاقليم عنصر الروتانيين الذين يتكلمون لغة قريبة الشبه باللغة الروسية . وهم عنصر جميل قوى ، ولكنهم ما يزالون على الفطرة فى معيشتهم ، يلعبون بالمزمار ويحفرون الابار ويعملون فى حقول الزيت المجاورة . وهم روم كاثوليك بينهم وبين كاثوليك بولندا منازعات فى مسائل الدين واللغة والتربية وحق الانتخاب

وحوض الفستولا هو مهد العنصر البولندى ، وهو أكبر الانهار التى تصب فى بحر البلطيق ، وعلى ضفتيه مسافة ٦٣٠ ميلا يقطن العنصر البولندى الاصيل

وبولندا هى الدولة الحاجزة بين الشرق والغرب ، والفاصل بين مناخين ، مناخ أوربا الغربية ومناخ روسيا القارس فى برده ، وجوها شديد القرس فيما بين ديسمبر ومارس ، يذوب الثلج فجأة فتكتسى الطرق بالاوحال وتفيض الأنهار على شواطئها ويتعذر السير فى الطرقات

وعاصمتها مدينة وارسو التى يبلغ عدد سكانها أكثر من مليون نسمة تمتد على نهر الفستولا اليسرى مسافة ٦٠٠ متر . وبها مبان كبيرة وعربات الترام وأحياء تعج بالحياة ، وأخرى أشبه بالاحياء القذرة فى بعض مدن الشرق الكبرى . فيها تشهد العين الغنى والفقر معاً ، العربات الفخمة بجيادها المطهمة والعربات الروسية القديمة بخيولها العجفاء وأجراسها الرنانة . ومن أكبر مبانيها القصر الملكى الذى دمرته فى الشهر الماضى الطائرات الالمانية بقنابلها الثقيلة وهو القصر الذى كان يقيم فيه ملوك بولندا المنتخبون ، وبه القاعة القديمة الكبرى التى كان يلتئم بها أعضاء مجلس النواب ، وقاعة للرقص بسقوف أثرية منقوشة . وبها كنيسة روسية قديمة ذات خمس قباب مذهبة ، والقصر الازرق الذى شيده فى بضعة أسابيع الملك أغسطس الثانى لابنته المتبناة .

وبمدينة وارسو جامعة قديمة أقفلت أبوابها فى سنة ١٨٣٢ ثم عادت الى الحياة فى سنة ١٨٦٩ ولكن أغلب الكتب القيمة التى احتوتها مكتبتها نهبها الروس ونقلوها الى عاصمتهم بطرسبرج فى سنة ١٧٩٤

ومن أشهر مدنها كراكو أو كراكوفا التى قيل ان الالمان احتلوها فى بدء غارتهم على هذه البلاد وهى العاصمة القديمة لبولندة النمساوية . وبها كاتدرائية عظيمة يرجع تاريخها الى سنة ١٣٢٠ فيها دفن كثير من الملوك والزعماء البولنديين . وهى مدينة ترزح تحت أثقال الحروب الماضية ليس فيها

من معالم التجديد والحياة الا القليل . وعلى مقربة من هذه المدينة مناجم للملح التى كانت يوماً ماقصورا لامعة وكاتدرائيات من البلور منقورة فى بطن الارض .

ومن مدنها أيضاً « لودز » التى قاومت الالمان مقاومة عنيفة ، وهى بمثابة منشستر بولندا . و« بوزن » أقدم المدن البولندية التى كانت مقر ملوكها حتى نهاية القرن الثالث عشر . ولمبرج لفوف عاصمة إقليم غاليسيا الذى تنافس كل من الروس والالمان فى الحصول عليه

والبولنديون شعب يتفاوت مزاجه بين المرح والغبطة وبين الحزن والبكاء ، فتارة تراهم يسرفون فى الهتاف وثورة العاطفة ، وفى اليوم التالى تراهم يستسلمون الى الحزن ويستذكرون آلام الماضى ومآسيه وأبطالهم الذين قضوا فى سبيل الوطن . ولكنهم فى كل تاريخهم لم يجد اليأس الى نفوسهم سبيلا .

هذه هى بولندا التى استكانت للموت الى حين ، ولكنها ستنهض للحياة بعد فوز الديمقراطية ونرجو أن يكون هذا اليوم قريبا .

تقتلها زنبورة

قضت سيدة انجليزية نحبها ، وهى تتلوى من الالام ، بعد ان لسعتها زنبورة بعشر دقائق . ويفحص الحشرة القاتلة ، قال حشرى ، ان الزنبورة ملكة ، وهى تحمل كمية من السم اكبر مما تحمله باقى الزنابير

* * *

طحالب تحتوى على الذهب

اكتشف عالمان تشيكوسلوفاكيان ، عند فحص رماد طحلب خاص ، انه يحتوى على كميات صغيرة من الذهب ، فقد لاحظا وجود من ١ الى ٢ مليجرام من الذهب فى كل ١٠٠٠ جرام من رماد هذا الطحلب ، فى حين ان الزنك والنحاس الموجودين ايضا فى البقايا قدرا بخمسة جرامات من الاول وجرام واحد من الثانى .

تقدم العلوم والفنون

الطائرة

قبل ثلاثين سنة طار بليريو من فرنسا الى انجلترا ونال جائزة الديلى ميل أى عشرة آلاف جنيه . وقد عرضت طائرته فى حانوت سلفردج وأتيح لى ان أراها فلم استغرب من شىء قدر جنون هذا الطيار الذى جازف بحياته فوق هذه المركبة التى تشبه لعب الاطفال

والآن أقعد بعض الايام فى روض الفرج فارى الطائرات الفخمة التى تهبط على مياه النيل فتأخذ المسافرين والبضائع وتثب فى الجو كأنها الرخ الذى ذكرته قصص الف ليلة وليلة . واقرأ عن الطائرة الجديدة التى بنتها بريطانيا وسمتها « الوعل الذهبى » والتى ستحمل ١٥٠ مسافر . فيمتلىء قلبي اعجابا بأولئك المجانين الاول الذين جازفوا بحياتهم وارتادوا الجو لكى يغزوه من بعدهم الطيارون.

ويجب أن نعترف كارهين بفضل الحرب على الطيران . فان بليريو قد طار من فرنسا الى انجلترا سنة ١٩٠٩ ومع ذلك لم يتقدم الطيران الى سنة ١٩١٤ حين أعلنت الحرب الكبرى . ونذكر أنه فى سنة ١٩١٢ او حوالى ذلك قدم فيدرين الطيار الفرنسى الى مصر بعد أن حمل طائرته فى الباخرة الى الاسكندرية واعلن عن استعداده لان يحمل من يريد على طائرته فوق السحاب فلم يتقدم له غير جعفر ولى باشا . وكان أى فيدرين يؤجل النهوض بطائرته من يوم الى آخر حتى « يعتدل » الجو أو حتى تعتدل اعصابه للمحنة المنتظرة

فلما جاءت الحرب تغير كل ذلك . لان الاختيار بين الحياة والموت بعث الشجاعة . والشجاعة بعثت التفكير . فكبرت الطائرات كما لو كانت أحياء تنمو

وهى الآن لم تكبر فقط بل تضخمت وتفيلت حتى صارت تبنى لكى تسع ١٥٠ مسافر .

المريخ

كوكب المريخ من الكواكب التى كثيراً ما أثارت الجدل وكانت موضوع القصص الخيالية . لان المظنون ان جوه قريب الشبه من جو الارض وأن الحياة لهذا السبب يرجح نشوؤها فيه . وذلك لان الفلكيين الذين رصدوه وجدوا به خطوطا تتغير وتسير فى استقامة تدل على انها مصنوعة مدبرة بعقل هندسى . فرجحوا انها قنوات للرى . كما رأوا على قمم الجبال فى هذا الكوكب ثلوجا تتكون ثم تغيب . والمؤكد ان فى المريخ هواء وماء . ولكن الاكسيجين فى هذا الهواء ليس كثيرا ، وهو يقدر بثلثى مقداره عند قمة جبال همالايا . ولكن حتى هذا المقدار يكفى لنشوء حياة قد تكون فى مراتبها دون الحياة الارضية

وهذا الكوكب اقترب فى الشهر الاسبق من الارض حتى بلغت المسافة بيننا وبينه ٣٦ مليون ميل فقط . وهو لا يقترب هكذا الا مرة كل ١٥ سنة . والعادة انه يبعد عنا بمقدار ١٤٢ مليون ميل وقد رؤى بالعين فى ناحية الجنوب الشرقى . وقد بدا أحمر او يضرب الى الحمرة

بريتانيكا

قعدت سويعة غرقت فيها فى صفحات الموسوعة البريطانية « بريتانيكا » وهى كنز من العلوم والآداب والفنون والثقافة يصح أن يكون أساسا لاتحاد بشرى يقوم على توحيد فى الاتجاه الذهنى . وهذه الموسوعة هى خلاصة مستقطرة من المعارف البشرية التى قضى العالم فيها أكثر من عشرة آلاف سنة . ففيها يرى القارىء كيف كان يعيش أسلافنا قبل خمسين ألف عام . وكيف ظهرت على أرضنا حيوانات يزيد جرم بعضها على بيت من بيوتنا ثم انقرضت كأنها لم تدب على أرضنا مع أنها عاشت ملايين من السنين . وفيها يجد القارىء شروحا وافية للفنون والصناعات وتواريخ للاشخاص والجماعات

وقد انطبقت المجلد وانا اتأسف على اننا لم نترجم هذه الموسوعة الى لغتنا . ولو فعلنا لأحدثنا نهضة رائعة للشرق العربى كله وليس لمصر وحدها . ولا أظن ان هذه الترجمة مع سائر التكاليف تحتاج الى اكثر من خمسين الف جنيه اى نحو ماانفق على المجمع اللغوى الذى لاننتفع منه بشىء

فكاهات غريبة

لكل أمة أسلوبها فى الفكاهة . ونحن ننقل هذه القصص التالية عن دنمركا ونروج

— كانت الحرب الكبرى تسمى الحرب لالغاء الحرب . أما صلح فرساى فيسمى الصلح لالغاء الصلح

— الملاكمة من الرياضة المهذبة . لانه لايتلاكم اثنان الا وعلى ايديهما القفازات

— كان اثنان فى براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا القديمة يتنزهان فى شوارع العاصمة فقال احدهما للآخر من كان يظن قبل عام أن مميل سوف تصبح من موانينا ؟

* * *

— فى شبابى حاربت قبائل الزولو فى افريقيا الجنوبية

— هذا بديع . وفى أى جانب كنت تحارب ؟

* * *

« كنت والهة فى حبه . ولكنى الآن لا أطيق أن أراه . ان تقلب الاهواء عند الرجال يفوق حدود التصور »

الحانا

الحانا التى نحلقها كل يوم هى هم من همومنا اليومية التى نحتاج احيانا الى مايشبه العمليات الجراحية الدموية لأزالتها ولذلك يجب ان نستبشر بكل مايؤدى الى التخلص منها باقل العناء فقد ذكرت احدى المجلات ان عالما من علماء روسيا قد اهتدى الى طريقة لنزع الصوف من

الغنم دون أن يعمل الجلمين فيها للجز . وهـذه الطريقة تنحصر فى اعطاء جرعة من محلول الثاليوم للخروف فيسقط صوته ويعود أملط كما لو كان جنينا

ولـكن يجب الا نسرف فى التفاؤل . فان جرعة من الثاليوم قد تحدث الوفاة للانسان فيفقـد شعره وروحه معا . ثم هذه الجرعة لاتميز بين اللحية وشعر الرأس . ولـكن الخراف تؤدى لنـا التجارب الاولى التى سوف ننتفع بها فى السنين القادمة حين يضبط مقدار الجرعة وحين تحمى فروة الرأس من تأثيرها . او — ان لم يكن هـذا ممكنا — نرضى بزى جديد نزعم فيه ان الصلع من الجمال مادام يرافقه وجه امرد .

موم

سومرست موم هو أديب انجليزى معروف . وقد أنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام الجيون دونور من رتبة فارس . وهو الآن فى الخامسة والستين من العمر . وهو مثل كثيرين من أدباء الانجليز يقتنى بيتا فى الاقاليم الجنوبية فى فرنسا حيث يقضى معظم الشتاء ويستمتع باشراق الشمس التى لاتعرفها بريطانيا أيام الشتاء القارسة الغائمة

وسومرست موم المانى الثقافة وان كان انجليزى الادب . فانه تعلم فى جامعة هيد لبرج فى المانيا ووضع أولى دراماته فى اللغة الالمانية سنة ١٩٠٢ ، وكان فى الاصل يدرس الطب . ولـكنه عدل عن هذا الدرس . وعلل عدوله بانه وجد ان تشريح الذهن الانسانى أجدى وامتع من تشريح الجسم الانسانى

وهو أقرب الى العامة أو الـكافة من ولز وشو وجالزورثى واضرابهم

المدارس الجديدة

فى جميع الامم المتمدنة مدارس جديدة تنشأ هنا وهناك بجهود فردى . وهى تتكاثر يوما بعد آخر لان الآباء يرمقونها بعين الاعجاب بعد اذ رأوا منها النتائج التى يحبون أن يجدوها فى أبنائهم . وأحيانا تأخذ الحكومات ببعض الآراء التى تفشو فى هـذه المدارس وتعمل بها فى قلة . لان ممارسة

هـذه الآراء تحتاج عادة الى نفقات تزيد على المألوف فى المدارس القديمة حكومية أم حرة . ويكاد يكون هذا هو العيب الوحيد للمدرسة الجديدة . لان المعلم الذى يعلم فيها يجب أن يكون من حيث ثقافته وشخصيته وذكائه من الطراز الأول كما يجب أن تكون الفصول قليلة العدد فى التلاميذ وأن توجه العناية توجيها فرديا لكل تلميذ . وهذا بالطبع يحتاج الى تكاليف كبيرة . ولكن اذا استقرت الدنيا بعد الزعازع القائمة فانه يمكن أن ينفق على التعليم أكثر مما ينال فى الوقت الحاضر من ميزانيات الدول وعندئذ تجد المدرسة المكانة التى تستحق

وهنا يتساءل القارىء : ماهى ميزات المدرسة الجديدة ؟

فالجواب أن الميزات كثيرة جدا . ولكن أول ما تجب ملاحظته ان المدرسة الجديدة ليست الممارسة العملية لمذهب من مذاهب الفلاسفة وانما هى ثمرة الحضارة القائمة .فان هذه الحضارة تطالبنا بالتوفيق بين الوسط الذى أوجدت وبين أبناء الجيل الجديد حتى يأتلف الاثنان فلا تكون هناك أسباب تدعو الى التنافر فالشقاء . وإذا كانت المدرسة الجديدة قد انتفعت بعلم من العلوم فهـذا العلم هو السيكلوجية التى كشفت عن نفسية الطفل فالصبى فالشاب ومهمة هذه المدرسة هى استغلال هذه النفسية لمصلحة المجتمع وترقيتها معا

١ — وأول ماتعنى به المدرسة هى صحة الطفل وليست هـذه العناية مقصورة على تدريب الالعاب الرياضية وانما هى تقوم بالتعاون بينها وبين البيت سواء من ناحية التغذية والرياضة وكذلك من ناحية تزويد الطفل بالكثير من الاعمال اليدوية التى تحرك أعضاء جسمه وتكسب عضلاته المرانة والحرية وتستبعد الى المستقبل نشاط الذهن وحده

٢ — وهذه المدرسة ترفض أن يكون التلميذ جهاز استقبال يتلقى المعارف وهو راكد . لانها تؤمن بان التعليم يجب أن يكون ثمرة العمل فالطفل يتعلم حين يعمل ولذلك ينتظم التلاميذ جماعات لكى يعملوا ويتعلموا

٣ — وبهذا الانتظام فى الجماعات يعرف التلميذ معنى الحكومة ويشترك فى تقرير العقاب للصبي المخالف ويرضى بالنظام العام لأنه هو عضو فيه . فينشأ وهو معتاد لهذا النظام فى الهيئة الاجتماعية

٤ — ولكن كل صبي هو نسيج وحده وطراز مفرد . والتعليم عن طريق المساواة والتعليم والقياس

الذى لا يختلف يضر بالتلاميذ . ولذلك يتجه التعليم فى المدرسة الجديدة الى العناية المفردة بكل تلميذ على حدة حتى تعرف كفاءاته وحتى يدفع فى الطريق الذى تؤهله له هذه الكفاءات

٥ — والمدرسة القديمة تقوم على المباراة بين التلميذ ووضع الدرجات . ولكن المدرسة الجديدة قد ألغت كل هذا وعمدت الى التعاون تبعة وتقوية بين الصبيان . فالصبي لا يعمل شيئا منفرداً لكى يقول أنا فعلت . وانما هو يشترك فى كل عمل مع جماعة حتى يقول نحن فعلنا . وهذا الاسلوب يجعله ينشأ على الخدمة العامة مع البعد عن الأنانية

٦ — لكل تلميذ أدواته التى يستعين بها على الابتكار وله الحرية مع الارشاد فى أن يبتكر ويصنع ويهذب ذهنه عن طريق اليد . فهو يتعلم صناعات خفيفة تتصل بالفنون جميعها ومفيدها . حتى تقر نفسه بنتاج يديه وتتكرر بهجته بظفره فى اتمام بعض المصنوعات

« • »

هذه هى السمات البارزة للمدرسة الجديدة وهى — كما رأينا — لا تقتصر على ترقية الذهن ولا تجعل من التلميذ موسوعة فى المعارف وانما هى ترقى شخصيته كلها أى صحته الجسمية ولياقته الاجتماعية الى جنب رقيه الذهنى . وهى تجعله يطلب المعرفة ويتحرى مصادرها ويبحث عنها بنفسه وبجهوده لانها لا تأتى اليه عفوا من املاء المعلمين حتى اذا خرج من المدرسة بقيت له هذه العادات فتثمر فيه الثمرات الزكية

أخبار اجتماعية

وزارة الشئون الاجتماعية

أنشئت فى مصر حديثاً وزارة للشئون الاجتماعية وعلى رأسها حضرة صاحب المعالى عبد السلام الشاذلى باشا الرجل الذى عرف منذ عهد بعيد بميله الى الاصلاح الاجتماعى فى نواحى عديدة . فهو أول من فكر فى الغاء البغاء الرسمى مذ كان مديراً لاقليم البحيرة وقد نفذ فكرته فعلا فى مدينة دمنهور وان البلاد تضع فى عنق معاليه أمانة خطيرة ترجو أن يقوم بأدائها خير أداء لاننا مفتقرون الى الاصلاح الاجتماعى فى كل مرافقنا الحيوية اصلاحا عاجلا

وقد وضع معاليه لوزارته برنامجاً حافلا تضمن ما يأتى : —

١ — وضع تشريع لالغاء البغاء ومحاربة الدعارة السرية

٢ — العمل على انقاذ الفلاح واسعاده من طريق التعاون الاجبارى وإنشاء بنك للتعاون المركزى

٣ — وضع تشريع لحماية الطفولة المشردة

٤ — وضع تشريع لصيانة النسل وذلك بوضع رقابة خاصة على الحالة الصحية للازواج قبل الزواج

٥ — وضع تشريع لمنع الاطفال والبنات الى سن معينة من التردد على السينما إلا فى حالة عرض أفلام تعليمية وتهذيبية

٦ — وضع تشريع لمقاومة التسول

٧ — تنظيم الجمعيات الخيرية والاجتماعية

٨ — محاربة البطالة وتوجيه الشباب الى العمل الحر وتحسين حالة العمال وتنظيم شؤونهم ورفع مستوى معيشتهم

٩ — بحث حالة السجون وتوجيه نظمها وجهة اجتماعية صحيحة، واستخدام المسجونين فى أعمال التعمير كاصلاح الأراضى الحكومية والعمل على عدم عودتهم للاجرام وذلك بمعاونتهم بعد انتهاء مدة العقوبة على كسب عيشهم من طريق شريف

١٠ — توجيه الشعب توجيهاً يحقق وحدة البلاد وتمكين روح الاخلاص والتضحية للوطن والعرش والعمل على سلامة الأخلاق وتقوية الروح القومية وروح التعاون والاقتصاد بين طبقات الشعب بوسائل الدعاية المختلفة كالصحافة والخطابة والتمثيل والسينما

١١ — مقاومة فوضى العلاقات الزوجية وما يترتب على هذه الفوضى من تفكك روابط الاسرة وانهيار العائلة

١٢ — تنظيم النشاط الرياضى للشعب وتنظيم أوقات الفراغ واستثمارها

١٣ — توجيه بوليس الآداب للعمل على صيانة الآداب العامة ومحاربة البدع السيئة والمنكرات . ونحن نرحب بهذه الجهود لانها جزء من الرسالة التى ما فتئت مجلتنا تنادى بها منذ نشأتها

الزواج

بلغت عقود الزواج الجديدة سنة ١٩٣٨ فى ألمانيا ٦٤٤ر٣٦٣ عقد وهذا العدد يزيد على عدد العقود فى السنة السابقة «١٩٣٧» بمقدار : ١٠٠ر٢٤ عقد

ويعرف القراء أن الحكومة الالمانية تشجع الزواج وتؤدى اعانة مالية للعروسين . والهدف التى ترمى اليه زيادة التناسل ولذلك سنت قوانين جديدة هى غاية فى الصرامة لكل من يساعد على اجهاض الحامل كما أن المؤلفات التى وضعت لتحديد النسل قد ضبطت جميعها ومنع بيعها . وفى أوربا فى الوقت الحاضر ثلاث أمم تؤدى اعانات للأمومة أو للزواج هن المانيا وايطاليا وفرنسا

ولكن هناك أمما أخرى — مثل هولندا — تعين فيها الحكومة الاطباء لكى يلقوا المحاضرات على الجمهور ويرشدوا الأمهات الى الطرق التى يستطعن باستعمالها منع التناسل . وخلف هذ التناقض فى النظر للتناسل تناقض فى الفكريات الفلسفية والاجتماعية

الوديعة الوطنية

من أحسن المشروعات التي قام بها الجمهور البريطاني ما يسمى «الوديعة الوطنية» . فقد تألفت جمعية جمعت من التبرعات ما بلغ نصف مليون جنيه أنفقتها على شراء البقع والاماكن الطبيعية الجميلة في انجلترا وويلس واسكوتلاندة . فهذا جبل قد بسقت عليه أشجار رائعة . أو صخور قد تدفقت منها وحواليها المياه الفضية في حركة وهدير . وهذا واد قد أعشب يليق للصبيان أو الشباب لكي يتنزهوا ويلعبوا فيه . وهذه حرجة كثيفة على تل جميل الخ

فالجمعية تشترى هذه الاماكن أو تستأجرها من أصحابها حتى تمنعهم من البناء عليها أو اتلافها وحتى تتيح للجمهور أن يزورها ويتمتع برؤيتها والسير عليها والارتياح الى ظلها ونسيمها . وأحيانا تتفق مع المالك على أجر معين حتى يجيز للجمهور زيارة بقعة معينة

وبهذه الطريقة استطاعت هذه الجمعية أن تصون التراث الطبيعي لبريطانيا العظمى حتى لا تغير عليه الحضارة وتتلفه

ولز

ليس من حظ المؤلفين أن يعيشوا إلى أن يروا بأعينهم ما تكهنوا بوقوعه ببصيرتهم النافذة . ولكن ولز يعيش الآن ويسر — أو يحزن — لأنه يرى تحقيق تكهناته

فقبل سنوات نشر كتابا تخيل فيه حربا أوربية جديدة تقع لسبب تافه وهو أن أحد اليهود كان في قطار في الممر البولوني بالقرب من دانزيج . وكان يطل من نافذة القطار ويصلح فكه الصناعي أي اسنانه لانها تقلقلت في فمه. فرآه الماني على رصيف المحطة فظنه يدلع له لسانه احتقارا . فثارت ثائرته عليه وأطلق الرصاص. وكانت الحرب التي دخلت فيها بريطانيا وفرنسا الخ

ولم تحدث الحرب القائمة لهذا السبب بالذات . ولكن حسب المؤلف أن يعين مكان الانفجار وباعث الحرب . ولا يزال ولز في تكهناته وانذاراته . وقد أخرج كتابا جديدا في الشهر الماضي هو تكرار لآرائه القديمة بالوان جديدة . وهو يقول فيه ان المكتشفات والمخترعات العلمية قد زادت

القدرة على الانتاج والتدمير معا . وانه لذلك يجب تنقيح النظم الاقتصاديه وتوجيه البشر من كافة الامم بايجاد موسوعة عالمية تترجم الى جميع اللغات ويقرأها جميع المثقفين حتى يتجهوا وجها عالميـة للخير العام

مجلس العموم

من هم أعضاء مجلس العموم البريطانى أو ما هى الصناعات التى يمارسون ؟

لقد قامت الآنسة جوليف باحصاء الاعضاء مع تعيين هذه الصناعات فوجدت أن المجلس يتألف من ٦٠٦ عضو منهم :

١٩٧ — من رجال الصناعة والتجارة

١١٨ — من زعماء النقابات

٨٩ — محامون

٣١ — صحفيون

١٩ — مهندسون وأطباء

١٧ — من رجال الجيش البرى والبحرى

١٦ — من المزارعين

٩ — سماسرة وماليون

٧ — موظفين حكوميين سابقين

٣ — من رجال الكنيسة

١٣٠ — لم تعين أعمالهم

ومن هذه الارقام يتضح أن لرجال التجارة والصناعة أكبر عدد فى هذا البرلمان . أما الذين لم تعين أعمالهم فهم فى الاغلب أغنياء يعيشون بما يملكون . وزعماء النقابات هم نواب العمال أى انهم كانوا فى وقت ما عمالا

التدخين

انا واحد من القلائل الذين بلغوا من العمر شباب الشيخوخة ولم ادخن قط سجارة . ولذلك لا استطيع ان انكر اغتباطي بتأليف « جمعية مكافحة التدخين » التي يرأسها الدكتور محمود فريد وتفشى التدخين يحتاج الى مثل هذه الجمعية ولا أظن ان في العالم امة تكثر من التدخين مثل أمتنا . وبعض هذا يرجع الى اسباب اقتصادية لان التدخين هو أقل السلويات نفقة وهو يتفشى في الطبقات الفقيرة عندنا اكثر مما يتفشى في الطبقات الغنية • ويتضح هذا عند المقارنة بين راكبي الترام في درجتيه الاولى والثانية . ويجد الاغنياء بالطبع سلويات أخرى غالية تجعلهم لا يعتمدون كثيرا على التدخين

ويقول رايموند بيرل العالم الامريكي ان التدخين سم لا غش فيه وان القليل والكثير منه مضر وعلى قدر الانغماس فيه يكون الضرر . وقد وجد من احصاءات شركات التأمين ان جميع الذين اعتادوا التدخين قد قصرت اعمارهم بمقدار تدخينهم

واني أهنىء هذه الجماعة الجديدة وأرجو لها النجاح في دعايتها

ضوضاء

ليس شيء في الصيف يرهق الاعصاب مثل الذباب والضوضاء . وعندنا في القاهرة من وباء الذباب ما نعجز من مكافحته لانه يحتاج الى مجهودات تتضافر فيها الحكومة والامة وتتغير بها العادات القومية والفردية . ولذلك نترك هذا الموضوع يائسين ننتظر المستقبل

أما الضوضاء فمن المستطاع تخفيفها اذا أجبرنا شركة الترام على أن تصنع عرباتها بحيث تقل ضوضاؤها الى الحد الأدنى . وكذلك نعاقب السواقين للاتومبيلات اذا أسرفوا في التنبيه بالبوق . ونمنع الباعة الجائلين من المناداة ولو فيما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة بعد الظهر . ولكن أعظم مصادر الضوضاء الآن هو الراديو . وقد حظر في كثير من الامم على القهوات والمشارب وسائر المحال العامة ان تدير الراديو . ونظن أنه يمكننا أن نجاري هذه الامم في هذا الحظر . لان الصيف

والذباب والراديو مجتمعة تكفى لتفتيت الأعصاب ولو كانت من الفولاذ

نظافتنـــا

قبل نحو سنتين نشطت محافظة القاهرة إلى مطاردة بعض الافراد من الجمهور الذين ينثرون فى الشوارع بقايا القصب والخس وقشر البرتقال والموز الخ فكان الشرطى يقبض عليهم ويلزمهم امام القسم باداء الغرامة . ورأينا أثر هذه المطاردة فى نظافة القاهرة . ولكن بعد ذلك تراخت الايدى لسبب لا نعرفه . وعدنا الى رؤية هذه البقايا تنثر على الرصيف والشارع

وقد وقع حادث مؤسف رأيناه بعينينا أمس . فان افنديا مهندما كان يسير على الرصيف فاذا به يتدهور بعد أن زلقت قدمه على قشرة موزة . وقام المسكين وهو يلم أطرافه ويتحسس أوجاعه ويسب ويرغى

ويمكن المحافظة أن تعود الى سنتها التى عملت بها قبل سنتين . لأن جمهورنا يحتاج الى التربية . وفى جميع الشوارع سلال يمكن أن تحتوى جميع النفـاية التى نريد التخلص منها . وفى أوربا يعاقب الذين يلقون بتذكرة الترام على الارض ويجبرون على التقاطها . ويمكن المحافظة أن تفعل مثل ذلك مع جميع الذين يبعثرون الورق وقشور الفواكه فى الشوارع . والقانون قائم وكل ما يحتاج اليه هو التنفيذ

الملك كارول

الملك كارول محبوب فى رومانيا وهو ينهض ببلاده . وكان أعظم ما قام به فى السنوات الاخيرة انه جعل البرلمان يحدد امتلاك العقـارات الزراعية بمئتى فدان وأرض الغابات بأربعمائة فدان . فلا تجوز لأى مالك رومانى ان يملك أكثر من هذا القدر من الارض . والغرض من هـــذا القانون تعميم الديمقراطية بمنع التفاوت الـكبير فى امتلاك العقارات ثم حض الاغنياء على استثمار اموالهم فى الصناعة بدلا من التوسع فى اقتناء الارض

وقد نهضت الزراعة فى رومانيا لهذا السبب . وهنا يجب ان نذكر ان الحـــكومة الرومانية لم تصادر كبار المالكين فى عقاراتهم بل اشترت الفائض عن القدر المسموح به بأثمان معتدلة

اخبار اقتصادية

الحديد والقوة فى اسوان

الحرب مصيرها الى الصلح القريب أو البعيد . وصنـــاعة الحديد لهذا السبب من ضرورات الحياة العصرية عند المتمدنين . فان البناء الحديث قد تطور حتى صار الحديد يأخذ فيه مكان الخشب وكذلك النقل العصرى كله أو معظمه من الحديد وسائر المعادن . ولذلك يعد اهمال هذه الصناعات نقصا فى الاقتصاديات الوطنية

ولذلك نرجو الا تفوتنــا الفرصة الحاضرة دون أن نتنبه الى قيمة الحـديد وايجاد المصـــانع الكبيرة له

ولاشك فى أن مصانع الذخيرة التى أوجدتها وزارة الدفاع ستعيش بعد الحرب وسوف نستطيع ان نستغلها للحاجات المدنية لأن أحالة المصانع من الحرب الى الســلم أو العكس ليس شاقا . بل ان كثيرا من المصانع الانجليزية المدنية قد جهز وقت السلم لكى يحال انتاجه الى الاغراض الحربية وتم ذلك بمجرد اعلان الحرب

ولـكننا نرجو مع ذلك أن ينتهز كبار الممولين فى مصر هذه الفرصة لايجاد المصانع الصغيرة والكبيرة للادوات المعدنية من الحديد وغيره . لانه من النقص أن نستورد المسامير والابر والدبابيس وأكر الابواب والنوافذ والمفاتيح والاقفال . وهذا الى الآلات الزراعية العديدة وادوات البناء من أنابيب الماء الى أدوات المطبخ . فان كل هذه الصناعات لا تحتاج الى براعة نادرة ولا الى مقدار كبير من المال . ولـكن الافتقار اليها يعطل مرافقنا ويوقف الى حد ما النشاط الاقتصادى فى كثير من الصناعات . فلا بد من ايجادها فى مثل الظروف الحاضرة التى اصبح فيها النقل البحرى شاقا كثير التكاليف

وقد فاجأتنا الحرب الماضية وبلادنا خالية أو كالخالية من الصناعات. ولذلك كنا نشترى زجاجة المصباح بعشرة أضعاف ثمنها الحاضر. وكان تجهيز الاولاد فى احدى العائلات بملابس المدرسة يعد ارهاقا مؤلما. ولكن هذه الحرب الماضية نبهتنا بافتقارنا هذا فأسسنا مصانع الغزل والنسج فى المحلة كما أسس مصنع للزجاج ومصانع أخرى لبعض الصناعات المصرية. ولن نحس الحاجة الى الاقمشة أو الزجاج فى هذه الحرب لهذا السبب

ولذلك ندعو اغنياءنا كما ندعو حكومتنا الى التعاون فى إيجاد مصانع الحديد الخفيفة والثقيلة. وبدهى أن شيئا أخف من شيء. فلنبدأ بالخفيف منها ثم نرتقى الى الثقيل. وقد شاء الحظ الحسن لمصر أن يكون بها (فى اسوان) مناجم كبيرة لتبر الحديد كما شاء الحظ الحسن أيضا أن تكون اسوان نفسها هى المكان الذى أقيم فيه أكبر خزاناتنا لايجاد القوة لصنع الحديد. واذا كانت فى الزراعة فى مصر هبة النيل فان الصناعة هبة اسوان. ونرجو أن نجد قريبا هذا الاقليم حافلا بالمصانع التى تزودنا بحاجات الحرب والسلم معا

الموظفون

اذا كان فينا من يستكثر رواتب الموظفين ويرى فى بعض الاحيان انها تتجاوز الطاقة الاقتصادية للبلاد فاننا يجب ألا نتورط فى خطط تنتهى بالاضرار بالقدرة المالية للموظف. لان الضرر هنا يعود على الأمة أيضا كما يعود على الموظف سواء

فقد ذكرت الصحف انه قد يقدم للبرلمان مشروع باجازة توقيع الحجز على رواتب الموظفين. ودعاة هذا الرأى يقولون بان فيه فائدة للتجارة الداخلية وانصافا للتجار

ولكن ليس من مصلحة الدولة أو الامة أن يقع الموظف مهما يكن راتبه فى حرج مالى يضطره الى الانحراف عن الطريق السوى. اذ هو لو انحرف لشاعت الرشوة

والاتجاه المالى فى العالم المتمدن يخالف هذا التفكير. فان توقيع الحجز فى كثير من الامم قد الغى ليس على رواتب الموظفين بل أيضا على منزل العائلة وآلات الفلاح ومواشيه وآلات الصانع الخ

ولم يقل أحد أن هذا المنع يؤخر التجارة

السكر

مما يلاحظ فى هذه الايام وتكثر الشكوى منه ان السكر الذى يباع لنا لايذوب الا بصعوبة كبيرة وبعد مدة طويلة . وقد حققنا ذلك بالتجربة ووجدنا ان الشكوى صحيحة

ونحن نعرف ان شركة السكر تخرج أنواعا منه وأنها تصدر مقدارا منه الى الاقطار الاجنبية ولا نعقل ان مثل هذا السكر الذى نشتريه يمكن ان يفوز فى مباراة تجارية فى الاسواق العالمية. ولذلك نظن أن مايصدر ليس من النوع الذى يباع لنا . ونحن نرجو شركة السكر أن تذيع بيانا نبين فيه الاسباب التى جعلت السكر الذى نستهلكه دون انواعه القديمة التى كنا نستهلك قبل سنوات.

ونحن نرجو ألا يكون الاحتكار هو السبب لهذا الانحطاط فى مادة تعد اساسية فى طعامنا

كلأ

ذكرت التيمس فى ١٩ يوليه الماضى خبر اكتشاف كلأ جديد يغذو الماشية ويسمى «النجم العملاق» وهو سريع النمو قليل الحاجة الى الماء . ثم هو بوفرة جذوره يربط التربة ويمنع تاكلها

وقد وجد هذا الكلأ فى كنيا ثم زرع فى أفريقيا الجنوبية لكى يكون مرعى للماشية وقد قيس نموه فوجد أن شجيرته تنمو أحيانا بمعدل عشرة سنتيمترات فى اليوم وانه يتفرع فيبلغ طول الفرع خمسين قدما . ولذلك يبلغ وزن الشجيرة ٢٥٥ رطل انجليزى هى كلها علف طيب لماشية اللبن

ويمكن زرع هذا الكلأ على شطوط النيل لكى يربط التربة فلاتنحات او تنخر أمام تيار الفيضان كما يمكن زرعه فى بعض أرضنا التى لا تصيب من الماء إلا قليلا

وتحسن وزارة الزراعة اذا هى بحثت هذا الكلأ واستقدمت منه عينات للتجربة

مبادئ التحليل النفسى

٢ — التفكير الموجه : يمكننا ان نعرف التفكير الموجه بانه ذلك النوع من التفكير الذى يرمى كغرض له الى تغيير محدد ، وقد يكون هذا التغيير خارجا عن الفكر ، تغييرا يحدث فى العالم اما لسعادته او فى اخلاقه او فى تقدمه الاقتصادى أو فى أى ناحية اخرى من نواحى التقدم او العطب او قد يتناول التغيير كما هو الحال غالبا — سعادة الفرد نفسه وتقدمه ، او قد يكون موجها الى حالته العقلية دون ان تكون عنده اى فكرة مباشرة لتغيير بيئته الخارجية . فمثلا قد يريد انسان ان يصلح عادة سيئة فى خلقه ، فهو يتوسل الى ذلك اما عن طريق الايحاء الذاتى او عن طريق التفكير بعناية وتحليل الاسباب المؤدية الى هذه العادة حتى يتجنبها . فكل هذا يمكن ان يدخل فى نطاق التفكير الموجه حتى ولو لم يحدث تغيير ظاهر فى الشخص نفسه . فواضح اذن ان التفكير الموجه هو التفكير المضبوط الذى يحتاج الى جهد فى العناية والتركيز فى حين ان التفكير الخيالى هو فى اكثره لا يمكن ان يضبط . والتفكير الموجه ينبغى ان يستخدم فى كل اعمال الحياة اليومية سواء اكان لا يتجاوز اختيار المكان الذى نزرع فيه شجرة صغيرة فى الحديقة او كان يشمل تقرير الخطة اللازمة لمشروع اقتصادى كبير . فكل مرة يستعمل فيها المرء مخه فى تفكير موجه انما ينشىء (يكون) عادة ، وهذه تعطيه بالتدريج القوة لاحداث تغيير فى بيئة وفى الدنيا عموما . وكل مرة نستغرق فيها فى التفكير الخيالى انما نشجع عادة الحياة فى دنيا من افكارنا الذاتية ، وبذلك نهدم العادة التى تمكننا من الخلق والابتكار . ومن الجائز ان يختلط هذان النوعان من التفكير بدرجات متفاوتة ، فتفكير القصصيين والشعراء هو فى الاغلب تفكير خيالى لانهم يحسون الانفعالات التى يعزونها الى شخيصات قصصهم ، ولكن عليهم ايضا ان يستعينوا بالتفكير الموجه لكى يتمكنوا من ترتيب العبارات والجمل ، كما انهم قد يرمون به الى هدف بعيد هو تصوير احد المثل العليا او لفت النظر الى احد الشرور ثم اقتراح العلاج له ، وكل هذا يحتاج الى تفكير موجه قوى .

فواضح اذن ان التفكير الموجه لا ينطبق فقط على امور الحاضر المباشر او المستقبل القريب . والمرء فى محاولته التمييز بين نوعى التفكير قد يصطدم بنقد سطحى مؤداه ان بعض اراء معينة تتصل بالتفكير الخيالى « لانها لا يمكن ان تتحقق » ولكن بمجرد الاحتمال بان امرا ما يمكن ان يتحقق بعد مائتى او ثلثمائة عام ، وان الاراء التى ادت الى تكوين هذا الهدف البعيد كانت موضع دراسة وعناية

يكفى لان يدخل هذه الاراء فى عداد التفكير الموجه

فاذا جلس شخص عادى الى مقعده ثم فـــكر فى خطة بديعة لغزو اوربا دون ان تكون عنده الارادة او الوسيلة لتنفيذها فان تفكيره لا يكون الا تفكيرا خياليا ، اما اذا فعل نابليون هذا الامر مع توافر الارادة و الوسيلة له ، ومع وجود هدف قريب فى متناول اليد من غزو مملكة صغيرة واحتمال بعيد فى العقل عن هدف ناء فان هذا يدخل فى عداد التفكير الموجه . ومن ثم نرى ان الافـــكار المتشابهة فى افراد مختلفين قد تختلف فى نوعها ، فتكون مع احد الناس افكارا خيالية وتكون هى ذاتها مع شخص اخر افكارا موجهة

وقد اشرنا سابقاً الى ان كل شخص يملك قدرا خاصا من القوة النفسية ، والآن يسهل علينا ان ندرك انه كلما زاد مقدار القوة المنصرفة فى التفكير الخيالى قل ما يتبقى للتفكير الموجه . ومن ثم فمن وجهة نظر توزيع القوة تتضح اهمية العناية بتـكوين النوع الصحيح من التفكير بمجرد وقوف الشخص على ضعفه فى هذه الناحية . ومن اكـبر المساعدات التى يستطيع ان يلوذ المرء بها فى ذلك ان يعرف ما هو هدفه فى الحياة ، فاغلب الناس عندما يمتحنون انفسهم لن يستطيعوا ان يجدوا لهم هدفا محددا واضحاً ، واكثرهم لا يأخذون الحياة الا أنهـا مسأله الحصول على قدر كاف من الطعام ليأكلوا وقدر كاف من التفكير الخيالى ليبعد عنهم الملل • وهذه الحالة تبدو بصفة خاصة فى النساء اللواتى لا تقتضيهن واجباتهن المنزلية كثيرا من التفكير ، فتنفيض المائدة يصبح عادة يصحبهـا التفكير الخيالى فى الاداء ، فى حين انه لو كان للمرأة هدف معين غير عادة تنظيف المائدة لكان من المستطاع ان يكون التنظيف مصحوبا بتفكير موجه يدور حول الهدف الذى تصطنعه لنفسها .

فاذا وجد شخص عند فحص نفسه ان هدفه (او اهدافه) ليس محددا وواضحا ، او من ناحية اخرى انه خيال لا يمكن تحقيقه ، فمن الخير لهذا الشخص ان يبدأ على التو فى تغيير هذه الحالة بحيث تتوافر فى اهدافه هذه الشروط

١) ان تكون واضحة ومحددة

٢) ان تكون ممكنة التحقيق

وفضلا عن هذا فان الاهداف نوعان

«١» قريبة

«٢» بعيدة

فالهدف البعيد هو المثل الاعلى الذى نرنو اليه ، وينبغى ان يكون ممكن التحقيق ولكن ليس من الضرورى ان يكون ذلك فى حياة الفرد فى جميع الحالات

واما الهدف القريب فينبغى ان يكون على الدوام منسجما متجانسا مع الهدف البعيد .

والتفكير الخيالى لا يصبغ القوة النفسية فى ذاتها وحسب ولكنه اذا لقى التشجيع فقد يكون بالغ الضرر لانه يؤدى الى نمو وبقاء كثير من الدوافع الشبقية الطفلية ، والعكس يحدث ايضا اى ان بعض هذه الدوافع قد تؤدى الى التفكير الخيالى ومن هنا تنشأ حلقة خبيثة فمثلا اذا لقينا شخصا خيالى التفكير ولا يصرف الا جزءا ضئيلا من قوته الى حقائق الحياة : هذا الشخص لمثل الاسباب التى ادت الى هذه الحالة فى اول الامر يكون عرضة لممارسة الاستمناء . فكلما نقص مقدار القوة التى يخصصها للتفكير الموجه واشتد تعوده على تنفيذ رغباته عن طريق الخيال كان هو أكثر تعرضا لهذه الحالة . فالاستمناء يكاد يكون على الدوام متصلا بنوع من الخيال بحيث يمثل الاستمناء مع الخيال فعلا مع الجنس الآخر (أو مع الجنس نفسه)

فمثلا يصور خيال الفرد فى أول الأمر زوجة جميلة (أو زوجا) فى حلم نهارى ، ثم ينتقل الى المغازلة والزواج فى الخيال ، ثم بمساعدة الاستمناء تتم الصورة فى آخر الأمر . فاذا استطاع الشخص بشىء من الجهد ان يحرر نفسه من هذه العادة فانه يكون عرضة لهستريا القلق (سنصفها فى فصل قادم) ، وفيها يتحول الخيال الى دائرة أخرى يكون له فيها أيضا شأن هام . وبالعكس اذا بدء الاستمناء دون خيال فانه لا بد أن يحدث فى أدواره الأولى خيالا ما ، ومن ثم تتكون الحلقة الخبيثة .

والواقع أن كل الدوافع والاهداف الطفلية الأخرى يمكن بصورة مماثلة أن تختلط بالتفكير الخيالى مما يؤدى الى اذى الفرد

وبغض النظر عن الناحية الشبقية الواضحة فى التفكير الخيالى قد يجد البعض يقولون « ولكن أكبر اللذة أن يبقى المرء فى الاحلام النهارية ، لانه لن يجد فى التفكير الموجه شيئاً غير المشقة » . ومن الواضح انه فى هذه الحالة أى فى الحالة التى لا يستطيع الشخص أن يستمتع بالتفكير الموجه لانه لا يجد فيه أى تنفيس انفعالى ، فان التحليل قد يساعده ، اذ أن ما يحتاجه فى الواقع لهذا التفكير الخيالى هو

التصعيد ، بالضبط كما يحتاجه لكثير من دوافعه الشبقية الطفلية . ومن المحتمل أن تكون أهداف هذا الشخص غير مناسبة له ، فنى هذه الحالة يمكن أن تنشأ له أهداف اضافية أخرى حتى ينصرف اليها تفكيره الموجه . وهو حينئذ سيجد مخرجا انفعاليا فى نتيجة هـذا التفكير الموجه وسيسهل عليه أن يقتصد فى الوقت المخصص للتفكير الخيالى

يمكننا أن نجد بعض التصعيد فى أنواع خاصة من التفكير الخيالى . وقـد قال فستر بحق « من المؤكد أن التفكير الخيالى قد يبعث روحانية قوية ويعمق الحياة العاطفية ولكن من المؤكد أيضا أن التطرف فى هذا التفكير الخيالى ، الذى قـد يعوض الى حـد ما نقص الحقيقة ، فيه أيضا ضياع لقوى نبيلة كان ينبغى أن تصرف فى هـذه الحقيقة . وفى المصابين باضطرابات عصبية تأخذ الرغبات الخيالية منهم جانبا أكبر بكثير مما تأخـذه من الاشخاص العاديين . فهم يحـلون كل المشاكل التى تعرض لهم فى الحياة بالخيال ، لان كل ظاهرة من ظواهر الاضطراب العصبى ليست الا الادراك التلقائى (الاتوماتيكى) لذلك الخيال ، وهم لذلك يرون من الصواب أن يحترموا خيالا غير مباح كما يحترمون فعلا واقعا ، وقد يكون هذا النشاط الخيالى عند الكثيرين عزيزاً الى درجة انهم يحتملون أى ألم أو عذاب فى سبيل الاحتفاظ به »

وواضح مما سبق أن التفكير الخيالى ينطوى على تحقيق رغبة ، وفى هذه الناحية تتشابه الاحلام والهستريا والخيالات ، ومن ثم فان للخيالات لهـذا السبب أيضا ، أهمية كبرى فى التحليل النفسى للمرضى

ويمكن أن يحكم المرء بكثير من التحديد على بعض مركبات فى شخص من نوع الكتاب الذى يقرأه . واذا تملك صبى هوى المطالعة فيمكن أن ينظر اليه من هـذه الناحية أيضاً ، وقد قال فستر فى كتابه (طريقة التحليل النفسى) : « يقتصر حدوث هذه الظاهرة فقط على الاطفال الذين لا تجاب رغبتهم الى حب الرياسة والتنفيذ فى الحقيقة . . »

« . . . ومن نوع الكتاب الذى يطالعه الناشىء يستطيع الانسان المجرب أن يعرف أى رغباته لا تنال الشبع : الحب أو الجوع أو الكراهية السادية (الروايات البوليسية) أو رغبة الشهرة . ووراء محاولات الطيران فى الصبيان كثيرا ما تكمن تلك الرغبة الشبقية التى تظهر أحيانا فى الحلم بالطيران .

فاذا حرم الانسان هذه المطالعة دون أن يعوضها بما هو خير منها فانه كثيرا ما يعطل طريقا لا أذى منه ، بل طريقا نافعا فى بعض الاحيان ، فى حين أنه يمكن اصلاح الحالة أو يحسنها كثيرا بواسطة التحليل المناسب . فمهمة المشتغل بالتحليل كثيرا ما تنحصر فى اعادة طالب اللذة التلقائية (المنكر الخيالى) من « مسرحه الخاص » الى حيث يمكن أن يستغل قوته لمصلحة الانسانية وفى أهداف مثمرة »

والخمول (أو الكسل) هو السبب العادى (السطحى) لمعظم التفكير الخيالى . فاغلب المتعلمين الذين يعدون فى الطبقة العادية يشعرون بالتعب بعد نهاية عملهم اليومى ولا يستطيعون أن يقوموا بأى عمل آخر الا اذا نالوا قسطا من الراحة العقلية ، ومن ثم فانهم يلجأون الى شيء من التفكير الخيالى قائلين « لقد عملنا أحد عشر شهراً ونحن بحاجة الى اجازة شهر » . وليس هذا فى الواقع الا مجرد خيال غير واع يحتاج الى جائزة مرتدة ، لانه حتى فى هؤلاء الناس تكون فكرة الراحة — التى كثيرا ما تعنى تفكيرا غير موجه أو اجازة بغير عمل — المثل الاعلى فى نهاية سنة من العمل الشاق . ولكن يجب أن نذكر أن هناك فريقاً من الناس لا يزال مثله الاعلى فى التفكير الموجه : فهم يلتمسون أجازتهم أو راحتهم فى تغيير الهدف القريب لا فى الالتجاء الى الخيال

والتفكير الخيالى كما رأينا قد يتخذ أشكالا مفتعلة لا يلتفت اليها كثيراً فالعودة الى العته غير المفكر الذى يحدث فى الشيخوخة هو نفس النوع الذى يحدث، أحيانا فى سن أصغر ويتميز بقصور التفكير الموجه . ومن ناحية أخرى نجد أن الرجل أو المرأة العجوز المثقف الذى لا يزال يشغل ذهنه بمشاكل اليوم وسياسته هو رجل لم ينصرف الى الخيالات فى حداثته الا قليلا . وقد دلتنا التجربة على أن أثر التفكير الموجه أو غير الموجه فى الشباب لا يقرر سعادتنا فى سنوات الشيخوخة وحسب ولكنه يؤثر على مدى العمر الذى نصل اليه أيضاً

ولم نميز حتى الآن بين التفكير الموجه وغير الموجه تمييزا تاما ، فان محادثة عارضة بين صاحبين لاتتناول أموراً هامة وانما تتناول بعض أمور عاطفية سطحية هى تفكير غير موجه . وهناك مايسمى بـ « الحديث الفارغ » حيث يدلى شخص مرت به تجربة عاطفية غير مرتوية تجربته الى شخص آخر دون أن تثير قصته أى انفعال عاطفى فى شخص مستمعة ، ومثل هذا الحديث يدور يوميا حول

موائد الشاى وهو مجهود ضائع وتفكير غير موجه وجزء من نظامنا الحالى لحياة شبه الحضارة التى نحياها، وضرره يتناول الفرد والدولة معا وعلى السواء . وهناك مثال آخر هو كتابة الخطابات فى بعض الاحيان . فالخطاب — خطاب الواجب — الذى تحتم التقاليد كتابته هو من النطاق ذاته والكاتب الذى يذكر فى خطابه ما مر به فى عطلة الصيف أو ماصادفه اثناء شرائه بعض لوازمه لا يفعل شيئا غير عرض أفكار خالية غير موجهة ، وليس هناك عوض عن القوة المنصرفة ، وعرض الآراء لا يحدث نتيجة ، والعاطفة غير مخلصة ولاتعنى شيئا غير اتباع التقاليد ، اذ يحين الوقت لكتابة خطاب أى أن « دوره » قد أتى . فالتفكير الخيالى هو نتيجة الملل والفراغ اللذين تقتضيهما أحوالنا التقليدية الراهنة . وكثيرا ما نرى كاتب الخطاب يقرض أصابعه وهو يحاول التفكير فيما يكتب . وليس هذا عملا لامعنى له ولكنه ارتداد. اذ أنه يعنى أداء عمل يكلف صاحبه فى أرائه تكليفا مؤذيا ، وهو فى الوقت نفسه عرض للنمو السىء التوجيه للعقل غير الواعى

وقد ابنت سابقاً كيف أن اهتمامنا عند قراءة قصة ما هو نوع من التفكير الخيالى تخلط فيه أنفسنا بالبطل ، ومثل هذا يحدث أيضا فى المسارح ودور السينما . وهذه كلها أمور فى متناول من يملك ثمنها وهو زهيد . وقد يظن الشخص العادى انها مفيدة للمجتمع من حيث ناحيتها التعليمية ولكن القضاة الذين يشتغلون فى محاكم الاحداث يعرفون مقدار ما تسببه السينما من الاذى لعقل الطفل . ولا شك أن الآثار النفسية لهذه المنبهات العقلية ضارة بالجنس عموما أبلغ الضرر، والافراط فيها يشجع عادة التفكير الخيالى بثمن زهيد ، ومثل هذه العادة تصبح مع الوقت جزءا من كيان الفرد . فالسناريو مثل الاحلام ومثل الهستريا ليس الا التحقيق الخيالى لرغبة عند المتفرج أو القارىء ولا يقف الضرر عند هذا الحد،فان الخيال هو تحقيق رغبات مستحيلة فى هذه الحالات والمنصرف العاطفى يرتفع كثيرا عما يقابله من الاسباب المثيرة الحقيقية . فينتج عن هذا الا يقع المنصرف العاطفى فى موقعة الملائم من العقل الباطن . وهذا هو أساس كثير من الاضطرابات العصبية . وهنا يجب أن نذكر أن الاضطرابات العصبية قد لا تكون مرضا يصيب الامراض فقط ، ولكنها قد تكون أيضا مرضا يصيب الشعوب

يتضح من هذا اذن أن الصحة العقلية للافراد والشعوب يمكن أن تصان اذا احتفظ فى الوعى

بحقائق الحياة اليومية سواء اكانت هذه الحقائق سارة أو مؤلمة

والتفكير الخيالى يتضمن دائما « أو غالبا » ضغط كل التفكير الموجة الذى بسبب الالم : فهو تجنب الحقائق ببديل لا يمكن تحقيقه

ويمكن منع هذه الحالة أو تشجيعها فى الطفولة ، والقصص الخيالية تعد من امتيازات الطفولة ، ولكنها فى الواقع وبرغم الفكرة الذائعة عنها ، آفتها . وقد يسائل القارىء نفسه « ماذا عسى أن يكون من أمر الصغير لولا القصص الخيالية ؟ انى لاقص عليه واحدة منها كل مساء » . فاجيبه هنا بانه فى كل مساء يساعد طفله على تجنب حقائق الحياة والاستعاضة عنها بخيالات قد تكلفه كثيرا من الدموع فى مستقبل أيامه . وحتى أثناء الطفولة ينبغى أن نجعل للتصعيد فرصة فى تحويل القوة النفسية فان الطفل يمكن أن يعود على التماس اللذة من التفكير الموجه مثل البناء بالطوب والعاب الورق وأى لعبة أخرى فيها معنى البناء أو الهدم « ويستحسن البناء » كما يلتمسها من خيال القصص الخرافية . فان هذه القصص على الرغم مما فيها من تحويل القوة وأشباع الفكرة الفنية للطفل نحو التمتع ، الا انها لا تؤدى الى شيء غير الانحلال العقلى .

الفصل الثامن

الاحــلام

ليس الحلم — كما كان يظن سابقا — اختـلاطا لا معنى له لبعض الاراء ، فان له ميكانيكية دقيقة ذات معنى محدد وغرض محدد . وهو على هذا الاعتبار عون لايقدر فى التحليل النفسى ، بل لولاه لما امكن فى اغلب الحالات عمل التحليل النفسى على وجه كامل .

وعلى الرغم من ان فرويد لا يعترف الا بنوع واحد فى الحلم فانى اعرف ثلاثة انواع على الاقل ولـكنى لا اتردد فى القول بان ٩٩ فى المئة من الاحلام هى من النوع الفرويدى . وسـابحث هذا النوع فى الآخر ، اذ يكاد هذا الفصل يكون قاصرا عليه . اما النوعان الاخران فانهما برغم ندرتهما يبدوان لى محددين تماما ، ولـكنهما مع ذلك نادرا ما يدخلان فى دائرة التحليل النفسى ، غير انى ساعرض لهما فى هذا الفصل حتى اتناول بذلك دراسة كل الاحلام ، وساذكرهما باختصار فى مستهل هذا الفصل .

النوع الاول : يتضمن هذا النوع من الاحـلام تلك التى تتناول حادثة سابقة شنيعة فترى كما هى دون قناع وبجميع تفاصيلها . وهى قد تنتهى او لا تنتهى الى اليقظة بحسب مقدار القوة الكامنة وراء محتوياتها . وهذا النوع من الاحلام يشير دائما الى حوادث هددت فيها الحياة تهديدا فعليا . فهنا يوجد على الارجح عاطفة حبيسة من الخوف ، ومن الممكن ان الحلم هو محاولة للتخلص من هذه العاطفة . وفى الحيــاة العادية لا يظهر هذا النوع من الحلم الا نادرا ، ولـكنى لاحظته كثيرا بين الجنود المصابين بانواع مختلفة من النيوروز و الاضطرابات العصبية عقب الحرب . وسنذكر هذه الاحلام فيما بعد عند الحديث عن نيوروز القلق

النوع الثانى : هذا النوع من الاحــلام — التليباثية — نادرا جدا ، وفيه يرى الحالم حادثة واقعية قد وقعت من زمن او وهى واقعة فعلا . وقد بحثت فى العهد الاخير عدة امثلة على هذا النوع من الاحلام لا تدع مجالا للشك فى وجودها . ولولا طرافتها لما رأيتامبررا لذكرها هنا ، اذ لا نفع لنا

منها فى هذه الدراسة ، فلنقتصر اذن على هذه الكلمة الموجزة عنها .

النوع الثالث : لكى نوضح اهمية هذا النوع من الاحلام ينبغى ان نعود فنشير الى احدى عاداتنا الدائمة وهى عادة الضغط . فنحن نذكر انه منذ الطفولة و بعدها تضطرنا الاحوال الاجتماعية والتقاليد الادبية الى ضغط اغلب رغباتنا البدائية ، دون ان يقتصر هذا الضغط باى حال على الرغبات الشبقية فقط . فان الطفل يرى قطيطة جاره فيرغب على التو فى امتلاكها ، وهو يرى قطعة من الشكولاته او الكعك على المائدة فيحاول ان يأخذها . والضغط غير موجود فى الطفولة المبكرة ، اذ تستغرق عقل الطفل فى ذلك الحين طائفة من الرغبات الممنوعة التى يحاول ان يشبعها جميعا وعلى الفور . ولو ان الطفل لم يدرب على ضغط الرغبات التى من هذا النوع لما امكن لاحد ان يطيق الحياة ، ولما امكن المجتمع — مهما كانت درجته من الهمجية والبدائية — ان يوجد ، لان كل فرد فيه كان يحاول ان ان يستحوذ على ما يملكه غيره : زوجاته وغير ذلك . ولذلك فينبغى ، وبحق ، ان نضغط منذ الطفولة كل هذه الرغبات التى لا ترتوى . ولو تأملنا قليلا لوجدنا أنه على الرغم من تعدد رغباتنا فان قليلا منها فقط هو الذى يتحقق

والان لنبحث ماذا يحدث للطفل عند ما يبدأ فى ضغط رغباته . اذا لم يستطع الحصول على مهر حقيقى فانه يكتفى بحصان خشبى هزاز ، فاذا لم يستطع الحصول على هذا ايضا فانه سيحاول ان يسلى نفسه بربط لجام الى طفل آخر ليتخيل ان هذا الطفل هو الحصان ، فاذا عجز حتى عن هذا فانه سيجلس على احد الكراسى ويتخيل انه يركب حصانا يجرى به بين السهول والجبال بسرعة فائقة : وبعبارة اخرى سيشبع رغبته بواسطة حلم نهارى او خيال . وهذه العملية تحدث الى درجة ما فى حياة كل فرد ، ولكن كلما تقدم الانسان فى السن حاول ان يشبع رغباته لا بواسطة حلم نهارى ولكن بتحويل قوة هذه الرغبات الى طريق اخر حيث يمكن ان تعود عليه بالفائدة ، اى انه يتسامى بالقوة الى ما هو مشروع وممكن التحقيق بدلا من الحلم باشياء لايمكن الوصول اليها ثم محاولة اشباع رغبته فى تحقيقها بحلم نهارى . اى اننا نتعلم بذلك ان نواجه الحقائق

ومع ذلك فقد ذكرنا عند الحديث على الرغبات الشبقية اننا لا نستطيع التسامى بكل قوتها ، اذ يتبقى دائما جزء مضغوط غير مرتو يحاول الظهور من العقل غير الواعى «العقل الباطن» وحتى فى

الحقائق التى يمكن تحقيقها يوجد دائما فى نهاية كل يوم بعض منها لم يمكن ان تتحقق بتاتا او لم يمكن ان تتحقق كاملة فتبقى شاغلة العقل الواعى . وسنرى ان الحلم العادى ينسج معاً الحقيقة غير المتحققة «الرغبة المشروعة» و الرغبة غير المصعدة «الرغبة المضغوطة» ، وانهما معا يؤلفان الحلم

وسنحاول الان ان نرسم الخطوط الهامة فى الحلم مرجئين الشرح الى صفحات قادمة

اولا : يحاول ان يحفظ النوم ، وذلك بان يضم المنازعات و المشاحنات اليومية ذات الاثر المعلق او المزعج تحت قناع ما . اى انه يمنع بحث المشاكل اليومية بحثا واعيا

ثانيا : يعمل على ان يكون وسيلة لتحقيق الرغبات غير المدركة

ثالثا : اذا كانت هذه الرغبات غريبة عن او كريهة للعقل الواعى فانه يخفيها بحيث يمنعها من الظهور الى الوعى ، وهو بذلك يعمل على حفظ النوم ايضا .

فاذا كان تركيب الحلم بحيث لا يمكن ان «يلخبط» المشاكل التى صادفها الحالم اثناء النهار ، او يخفى الرغبات المضغوطة والتى لا يمكن تحملها للعقل البـــاطن فان الحالم يجد الحلم غير مقبول وغير واضح فيصحو .

والحلم الليلى عند الاطفال يشبه الحلم النهـارى ، لانهم لم يكونوا قد تعلموا بعد ان يضغطوا رغباتهم ، كما ان تناسليتهم البدائية لم تكن قد نمت بعد الى درجة مقبولة . ومن ثم فان الاحلام المقنعة عندهم تكون قليلة . وقد قسم فرويد النمو التناسلى الى ثلاثة اطوار رئيسية . الاول . يتضمن الانواع البدائية للقوة اى الدوافع التناسلية ، ونموها يحدث قبل سن الرابعة وقد يؤدى الى ممارسات استمنائية فعلية حتى قبل هذه السن . الثانى : ويسميه فرويد الفترة الكامنة يبدأ عند الرابعة ويستمر حتى سن الحادية عشر او حولها ، وعلى الرغم من ان الدوافع التناسلية تأخذ نصيبها من النمو اثناء هذا الدور الا ان التقاليد الادبية والاحوال الاجتماعية تفرض ضغطاً شديداً حتى ان تلك الظواهر مثل الاستمناء الطفلى وما شابهم تضغط عادة . الثالث . يبدأ هذا الدور حوالى سن الحادية عشر حين يبدأ الضغط فى الضعف لاطراد النمو غير الواعى للدوافع التناسلية ، ومن ثم فان الاهداف التناسلية نحو الذات ونحو الجنس نفسه ، ونحو الجنس «الاخر» تأخذ فى التمييز بوضوح ، وان ظل هذا التمييز غير كامل حتى المراهقة .

وهذه الفترات الثلاث تطابق انواعا ثلاثة محددة من الحلم .

ففى الفترة الاولى حين لا يكون للضغط وجود او اثر يكشف الحلم بصورة غير مقنعة الرغبات غير المحققة للفرد . وفى الفترة الثانية تكون بعض الاحلام مشابهة لاحلام الفترة الأولى ، ولكن يحدث ايضا احلام تبدو فيها الدوافع الشبقية المضغوطة مقنعة ، وكلما تقدمت السن زاد القناع . وفى الفترة الثالثة لا يكون فى الاحلام الا قليلا من الرغبات المشروعة غير المحققة ولكنها تتميز بظهور كل من الدوافع الشبقية المضغوطة والاهداف الشبقية فى صورة رغبات متحققة مقنعة حتى لا تصدم التقدير الواعى ، ويتناسب القناع مع مقدار الضغط . اما الرغبات غير المحققة وذات الطبيعة غير الشبقية فانها تبدو ايضا فى صورة مقنعة اذا كانت غير سارة للادراك الواعى .

فهذا النوع الاخير اذن هو نوع الاحلام التى نصادفها فى الشخص العادى كل ليلة ، وهو النوع الذى سنعنى ببحثه فى التحليل النفسى . ونحن نحب ان نزعم هنا بفرض الالمام بشىء مما يحدث فى تحول الاحلام — اننا نحتفظ حتى اثناء النوم بشىء من القدرة الذهنية لمعرفة ماهو غير سار لعقلنا الواعى . وهذا يحدث بواسطة ما نسميه المراقب الذى يمكن ان يعد كانه واقف بين العقل غير الواعى (الباطن) والعقل الواعى ، وهو الذى يخفى محتويات الحلم بحيث لا يمكن ان تظهر رغبات العقل الطفلى امام العقل الواعى . ولو لم تكن هذه هى الحالة لحدث ما يأتى : اذا ذهبنا الى النوم دون ان يكون للعقل الواعى شىء من السلطان والحكم على العقل البدائى غير الواعى برغباته الشبقية الفاسدة فان غرائزنا المتوحشة غير الواعية ستحاول ان ترتوى بصورة غير مقنعة . وقد يكون الفزع من هذه الرغبات البدائية شديدا الى درجة ان يصحو الحالم مرتاعا ومشمئزا . ولكن اخفاء محتويات الحلم بعناية شديدة هو الذى يبعد هذا الرعب عن الوعى وبذلك يستمر نوم الشخص ولكننا حتى الان لا نعرف مكان هذه القدرة الذهنية او حالتها بالضبط . ولكننا مضطرون الى الاعتراف بوجودها لما تؤديه من عمل ظاهر فى الحلم ، وفى حالات النيوروز «الاختلال العصبى» وفى تحويل النشاط التناسلى فى الحياة اليومية ، ولذلك فسنطلق عليها اسم «مراقب» العقل الباطن ، وسنعدها ذات شخصية مستقلة واضحة حتى يسهل علينا فهم عملها .

ويشبه الحلم الى حد كبير الصور الهزلية فى الجرائد ، فقد يمثل احد كبار رجال السياسة يوما

ما بديك يصيح ، ويوما آخر بارنب وهكذا . وكذا فى الحلم ، فان المادة المضغوطة قد تختفى وراء قناع من الحوادث أو الامور العادية المختلفة . وكما ان الصور الهزلية لا تعرف قياسا جامدا ومحدودا لرموزها فكذا الحلم ، فان المراقب يختار اى مادة غريبة — وفى العادة يكون جزء منها على الاقل من حوادث الاربع وعشرين ساعة السابقة التى لم تدرك فى العقل الواعى تماما - ليكون بها صورته فاذا كان اللون الازرق هو الناقص فى تلوين السماء لمنظر البحر الابيض المتوسط فانه بكل سهولة ياخذ اللون الاحمر النحاسى ويرسم المنظر فى جزر الهند الغربية . ولكن الرسم فى اى الحالتين يوضع باخلاص

ولكن يجب أن نذكر أن الانفعالات (العواطف) التى نشعر بها فى الحلم لا تتفق دائما مع حوادث الحلم الفعلية ، ولكن مع الاراء الخبيثة وراء الحلم . فمثلا قد يقع الحالم من ربوة عالية فى حلمه ولكن دون أن يشعر باى خوف ، وذلك لان السقوط فى الربوة فى ذلك الحلم بالذات يرمز الى شىء ليس فيه ما يدعو الى الخوف ، بينما قد يحلم الانسان انه يوقد عودا من الثقاب ويشعر برعب هائل دون أن يستطيع تعليل السبب ، بينما السبب الحقيقى فى الرعب لا يعزى الى اشتعال الثقاب ، ولكن الى الفكرة التى أخفاها هذا الفعل

ويختلف رأى يونج فى عمل الاحلام عن هذا قليلا ، وهو يتلخص فى أن الحلم يقوى الوعى وبذلك يزيد فى قوة الشخص ضد الرغبات الطفلية التى تظهر فيه ، وبعبارة أخرى بينما يعد فرويد أن الحلم قد تقرر نهائيا بامور حدثت من قبل يعده يونج انه الوعى وان الشىء الذى سيحدث أو الذى سيرفع الشخص الى مثل أعلى هو الذى يؤثر فى الحلم . ولكن يونج لم يقدم أدلة على نظريته بينما قدم فرويد أدلته . ومع ذلك فقد يكون يونج على صواب أيضا ، وقد يؤدى الحلم أغراضا أخرى فى نفس الوقت اذ لا يوجد دليل ضد نظريته . أما أنا فاحيل شخصيا الى رأى ثالث وسط ، فان فهمى للاحلام يتضمن نظرية فرويد كلها ولكنه يضيف اليها أن الحلم كرغبة طفلية يجعل محلا لظهور التصعيد وتحقيقه ، وان هذا التصعيد — ولو لم يتكرر فى نفس الصورة المقنعة بالضبط — يمكن أن يصبح كبقية أنواع التصعيد عادة مثبتة فى العقل الباطن . وبعبارة أخرى يوجد على الاقل تفسيران لكثير من

الاحلام — أحدهما يظهر الرغبات البدائية والثانى يظهر الرغبات المصعدة . ويبدو لنا أن غريزة غير واعية تحاول على الدوام أن تقودنا بتصعيد قوتنا البـدائية الى نوع اسمى ، ويجب هنـا أن نميز بين التصعيد والتحويل تمييزا واضحا . فلنفرض مثلا ان امرأة رأت فى الحـلم انها ترتدى ملابس جميلة جدا أو حتى بانها تسير فى الطريق مجردة من كل لباس الا الجورب : الدلالة واحدة فى كلتا الحالتين وهى رغبة العرض الطفلية البدائية . ولـكن لنفرض انها فى حلمها رأت بخـلاف الملابس الجميلة هالة على رأسها وقيثارة فى يدها : هنا نستطيع أن نلمس التصعيد واضحا ، وقـد اتجهت الرغبة فيه الى الناحية الادبية أكثر من اتجاهها الى الناحية المادية ، فالواقع اننا عند تحليل هذا الحلم سنجدهما كليهما ظاهرين ، ولـكننا سنجد أيضا أن التصعيد الأدبى موجود أيضا الى جانب التحويل التناسلى . فان التحويل هو أول وافج أنواع الـكفاح التى يبديها العقـل فى سبيل ايجاد مخرج له ، أما التصعيد فانه نوع أرقى . وليس فى نيتى فى هـذا الباب أن أبدى رأبى فى أصل هـذا النزوع الى الانواع الراقية من التصعيد

وليس يظهر فى كل الأحلام ولا عند جميع الحالمين مثل هذا التصعيد فى تركيب الحلم ، اذ أن مقداره يختلف على الدوام ، ولـكن كل الاحلام تظهر فيها الرغبات السفلى والبدائية مع عملية التحويل والتحقيق ، ولـكن كثيرا منها يظهر فيه التصعيد أيضاً ، ويزداد مقدار هذا التصعيد كلما تقدم الانسان فى العمر

وقد تظهر فى الحلم رغبة غير تناسلية ولـكنها مضغوطة ، كما تظهر الرغبة الشبقية التى أشرنا اليها سابقاً . وسأذكر فيما يلى حلمين مثالين استخرج معناهما من المريض بواسطة التحليل بما يسمى طريقه « التداعى الحر » ، وبهذه الطريقة يوجه نظر المريض الى كل كلمـة أو عبارة فى الحلم ويطلب منه أن يقول كل الافكار والآراء المتعلقة بهذه الـكلمة أو العبـارة كما ترد على خاطره بدون نقد أوضغط

وقد تكون هذه الافكار فجة أو شخصية أو تافهة أو قـد تكون متعلقة بشئون خاصة بالغير ، ولـكن مهما يكن من أمرها فيجب أن يفصح المريض عنها . وبهـذه الطريقة نكشف ما وراءها وما يتصل دون وعى باى خيال من خيالات الحلم . وسنزيد من شرح هذه الطريقة عندما نبحث طريقة التحليل النفسى ذاتها فى فصل قادم . والآن ننتقل الى الاحلام :

لنفرض أن فنانا رسم منذ بضعة سنوات لوحة فيها ديك ذو منقار طويل وهو يصيح على صخرة يحوطها البحر ، وقد أنساه مر الزمن متى رسمها أو ماذا رسم فيها : عند التحليل يسأله المحلل « أذكر الارتباطات المتعلقة بالديك الذى رسمته فى اللوحة » فيقول الفنان « انسان يشبه الديك . ديك فى مجثم الطيور . ملك على كل منطقته . سياسى ذو طريقة خاصة يرد على خاطرى . له أنف يشبه المنقار . جلادستون يرد على خاطرى » . فيسأل المحلل «وما هى ارتباطات الصخرة ؟» فيجيب الفنان «قطعة عقيمة من الارض لا فائدة منها . لا يعبأ بها كثيرا . جزيرة فى البحر . انى أذكر الآن : ايرلندا بالطبع ! انها رسمت بمناسبة الخطبة الناجحة التى القاها المستر جلادستون عن الهوم رول ، وأنا كرجل غير سياسى ظننتها لغطا كثيرا على لا شىء » . لم أعلق كثيرا من الاهمية سواء منحت ايرلندا الهوم رول أم لا باعتبار انها على أى حال وهى جزيرة صغيرة قليلة السكان تكلفنا أكثر مما تدفع لنا . فبدت لى صخرة عقيمة فيما يتعلق بى على أى حال »

وبذلك استطاع التحليل أن يستخرج من العقل الباطن الى العقل الواعى للفنان المعنى الاصلى للوحة

والآن لنفرض أنه بدلا من هذه اللوحة يرسمها فنان وصف المستر جلادستون المنظر ذاته كحلم رآه فان التحليل يمكن بنفس طريقه التداعى الحر ان يكشف عن رغبة المستر جلادستون فى أن تؤدى خطبته عن الهوم رول الى أن يكون « الديك فى مجثم الطيور » . أو « ملكا على منطقته » باعتبار أن الموضوع يتناول نزاعا خاصا بايرلندا . وفضلا عن هذا فان الحلم لا يكون قد أظهر رغبته وحسب ولكن يكون قد حققها أيضا ، لانه فى الحلم شغل مكانا مسيطرا على الصخرة ، وهذه الصخرة هى رمز ايرلندا

ولكن الاحلام السهلة كهذا المثال هى الأقلية ، لانه من أجل اخفاء الشعور « وخصوصا حين تضغط الدوافع الشبقية البدائية أو حين تمثل أكثر من رغبة واحدة بالرمز نفسه » ينبغى أن يقوم المراقب بكثير من الحيل والتلفيقات . وفضلا عن هذا يجب ان نذكر ان المراقب مضطر الى الانتفاع ببعض المواد من حوادث الأربع وعشرين ساعة الاخيرة السابقة للحلم ، فان هذه تكون موضوع صورته ، ولكن لاجل ان يخفى هذه الاحساسات المختفية بعنايه فانه يلجأ الى هذه الحيل .

١ — التحويل : وبه نعنى ان المحتويات المختفية للحلم بدلا من ان تتمثل فى اوضح كلمات الحكم يمكن ان تحول لتحتل مكانا ثانويا فى الساحة الخلفية . فقد يتضمن الحلم مثلا سفينة حربية تمخر عباب المحيط ، بينما قد يكمن الجزء الهام والاساسى فى الحلم وراء حبل مقطوع يتدلى من الجانب ، او وراء قطعة من الصدأ على احد المداخن

٢ — التكثيف : قد يمثل عدد كبير من العوامل التى لها علاقة بالرغبة التى تظهر فى الحلم بعامل واحد فقط فى محتواه الظاهر . فمثــلا اذا اردنا ان نظهر الغيرة من اخ ، او من منافس تجارى فى الوقت نفسه فمن المحتمل جدا ان نكون شخصا مركبــا من الأثنين فى فرد واحد ، له عينا الاخ وشارب المنافس التجارى . وقد لا يستطيع عقلنا الواعى ان يعرف هذه النتيجة ولـكننا عند التحليل نجد انها تحتوى على عدد كبير من الاراء المكثفة . ولا يقتصر هذا الاتحاد على الشخصيات فقط ، ولـكنه قد يتناول التجارب ايضا بحيث يقوى بعضها بعضا فتتمثل بخيال بسيط واحد

وقد ذكر فرنزى فى كتابه « مساهمات فى التحليل النفسى » (ص ١٠١ — ١٠٢) مثالا لحلم يبدو فيه كثير من التكثيف قال « دعيت مرة لاحلل حلما قصيرا رأته امرأة ، ذكرت فيه انها كسرت رقبة كلب أبيض صغير وهو ينبح » . وقد دهشت جدا من هذا الحلم لانها على قولها « لا تستطيع أن تؤذى ذبابة » فكيف تحلم هذا الحلم القاسى ، كما أنها لا تذكر انها رأت حلما مثله من قبل . وقد قالت انها لميلها الى الطبخ كثيرا ما قتلت الحمام والدجاج بيديها ، ثم تذكرت انها كسرت رقبة الكلب الصغير فى الحلم بنفس الطريقة تماما التى اعتادت أن تكسر بها رقاب الحمام حتى لا تسبب لها أقل ألم ممكن . وقد كانت الافكار والارتباطات فى هذه الحالة بصور وقصص عن الاعدام وخصوصا بفكرة منفذ الاعدام وهو يلف الحبل حول رقبة المجرم بحيث يلوى الرقبة فيحدث الموت سريعا وعندما سئلت عمن تشعر نحوه بكراهة شديدة فى ذلك الحين ذكرت زوجة أخيها وشرحت باسهاب صفاتها السيئة وافعالها الخبيثة التى عكرت صفو أسرة كانت من قبل مؤتلفة متجانسة بعد أن أدخلت نفسها بين الحمامة الوديعة حتى استمالت زوجها اليها . وقد قامت بينها وبين المريضة منذ فترة غير طويلة مشاحة عاصفة انتهت بان طردتها « المريضــة » من بيتها وهى تقول لها « أخرجى من هنا ،

فانا لا أستطيع أن أحتمل كلبا عضاضا فى بيتى » . بعد هـذه التفاصيل أصبح من السهل أن نعرف الشخص الذى كان كالكلب الابيض الصغير يرمز اليه ، ورقبة من التى كانت المريضة تكسرها فى الحلم وخصوصا اذا عرفنا أيضا أن زوجة الأخ كانت امرأة صغيرة الجسم ذات ملامح بيضاء تستلفت النظر . هذا التحليل البسيط يمكننا من أن نلاحظ الحلم فى نشاطه التحويلى ومن ثم المقنع . فلا ريب أن الحلم استعمل المقارنة مع الكلب العضاض بدلا من الهـدف الحقيقى « وهو زوجة الاخ » مع تهريب الكلب الابيض الصغير ، كما أعطى الملاك فى القصة الدينية المذكورة فى التوراة خروفا الى ابراهيم ليذبحه فى اللحظة الاخيرة بدلا من ابنه

وهذا المثال يتيح لى الفرصة لكى أعيد القول بان المحتوى الواعى للحلم — باستثناآت قليلة — ليس هو الاخراج الحقيقى لافكارنا فى الحلم ، اذ أنه ليس الا مجرد « كاريكاتور » محول وموضوع وضع وضعاً غير صحيح ، أما الاصل فلا يمكن الوصول اليه الا بالتحليل النفسى »

٣ — الانطواء « التضاعف — الازدواج » نعنى بالانطواء أن بعض نقط الحلم ، أوحتى بعض رغباته الكاملة ، يمكن أن تمثل باكثر من صورة واحدة أو رمز واحد . ولنفرض أن الانطواء حدث فى الحلم الجدلى الذى ذكرناه عن المستر جلادستون . فماذا عسانا كنا نرى ؟ كان يمكن أن نضيف الى الديك الصائح موجة كبيرة فى الساحة الخلفية وقـد احـدقت بقارب به رجـل له وجه يشبه سالسبورى وهو أظهر معارضى جلادستون فى ذلك الوقت ، أو كان يمـكن أن نرى صورة جامعة لكل معارضيه وقد أحدقت بهم الموجة ، فكنا بذلك نرى انتصاره موضحاً مرتين فى صورة واحدة ، ولكن من وجهة نظر المصور يكون الخيال الثانى ثانويا . وكانت الموجة تمثـل المستر جلادستون كما يفعل الديك حتى تظهر عوامل الحالة مرتين

وتمثل كلمات « اذا » و « واحد » و « اما » و « أو » فى الحلم بتناقض يحدث فى ذات الوقت أو بحوادث متعاقبة فى الزمن والمسافة . أما الكلمات ذاتها فانها تكون غائبة من الصورة

ومن المألوف أن يقول المريض ان الحلم الذى رآه يتعارض تعارضا كليا مع رغباته — ولكن حتى فى هذه الحالات يمكن اثبات أن الرغبات الظاهرة ليست هى التى تعنى ، اذ قـد تكون هناك رغبة أخرى منطوية فى الرغبة الظاهرة

مطبعة المجلة الجديدة

المجلة الجديدة

الثمن ٣ قروش

نوفمبر سنة ١٩٣٩

وزارة الشئون الاجتماعية



شمل السرور جميع طبقات الامة لانشاء وزارة الشئون الاجتماعية التى ستأخذ على عاتقها النهوض بالفلاح والعامل وتوثيق روابط الاسرة ومكافحة الجريمة ورفع المستوى الاخلاقى . ويتولى هذه الوزارة الجديدة صاحب المعالى عبد السلام الشاذلى باشا الذى تتبع الجمهور اصلاحاته المتعددة سواء فى مكافحة البغاء ام استخدام المتشردين ام غير ذلك من الاصلاحات الاجتماعية

صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الحادى عشر

المجلة الجديدة

العـدد الحادى عشر
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

نوفمبر ١٩٣٩

وزارة الشئون الاجتماعية

قابل الرأى العام انشاء وزارة الشؤون الاجتماعية بالترحيب الكبير بل ان هـذا الترحيب كان مزدوجا. إذ اننـا مع ترحيبنا بالفكرة فى انشاء هذه الوزارة قـد اغتبطنا ايضـا لان الشخص الذى يراس هذه الوزارة هو عبد السلام الشاذلى باشا

فاما من حيث الفكرة فان البـلاد كانت تنـادى بل تصرخ بانشاء هذه الوزاة من سنين لأن مشكلاتنا الاجتماعية لاتحصى .وقد عالجناها بألوان مختلفة من الترقيع الذى تبدو عليه مع ذلك مسحة الهاوى وليس عمل الفنى . وهذا اذا كنا قد عنينا اقل العناية بالعلاج لان الواقع ان هنـاك مشكلات عويصة وعديدة لم تفكر قط فى علاجها

ولكن اذا كنا قد تأخرنا فى إنشاء هذه الوزارة فان هـذا التأخر يجب ان يبرز لنا قيمة العمل الذى يجب ان نضطلع به وان يجد عندنا من الجهد بمقدار ماله من جسامة ومن السرعة فى التنفيذ بمقدار ما تأخر علينا منه من الواجبات . ومصر فى مدى المائة او الثلاثين والمائة من السنين الماضية تعانى مخاض الانتقال من العصور المظلمة الى العصر الحـديث ومن الحضارة القديمة الى الحضـارة العصرية .وقد اصبحت ـ طوعا او كرها ـ ميدانا للاحتكاك بين الشرق والغرب وهـو احتكاك للفكريات والتقاليد والثقافة نحتاج فيه الى الارشاد فان الشخصية المصرية فى كثير من الاحيان تقتام

من جذورها ولما تعد التربة الجديدة لغرسها فينشأ الفساد . ثم هناك هذه الاقتصاديات الجديدة التى تتسلل فى غير ضجة ولكن أثرها ينبعث ويسرى فى المجتمع المصرى فيحدث من التغيرات ما يقارب الانقلابات. وحسب القارىء أن يعرف التغير الذى طرأ على زراعتنا فى مدى الثلاثين أو الاربعين من السنين الماضية قد استتبع فى أثره هجرة الاغنياء من الريف الى المدن . واشباع التربة بالماء وتفشى الديدان فيها وانتقالها الى الفلاحين واختلال الدورة الزراعية القديمة لان القطن استغرق معظم الأرض ثم بعد ذلك اسوأ النتائج فى صحة الفلاح ويسره واجتماعه

فوزارة الشئون الاجتماعية ستضطلع بدرس هذه المشكلات الجديدة وهى مشكلات لم تقتصر مع ذلك على الفلاح . فان الشاب المتعلم فى مصر يعيش الآن بذهن غربى وقلب شرقى . وهو فى هذا الصراع كثيرا ما يضل فيغلو أو يجمد . ثم هذه المدن التى تضخمت مثل القاهرة أو الاسكندرية وانتصبت فيها شواهق تحمل علم القرن العشرين كيف تعيش ولا تزال بها احياء كأنها القرى حتى ان المقابلة بين الوسطين تحملنا على التساؤل هل هذا نمو أم تضخم أو هل هو توسع الصحة أم تمدد المرض ؟

والى هذا تضاف مشكلات العمال والتعطل والتشرد والطفولة المهملة والشيخوخة المعدمة وروابط الاسرة وغير ذلك مما قد ازدادت الصعوبة فى علاجه لاننا تأخرنا فى التفكير فى هذا العلاج حتى صار الجرح قرحة ثم استحالت القرحة الى سرطان

ولكن مما يبعث على الامل ان عبد السلام الشاذلى باشا هو الذى يتولى هذه الوزارة . فان سيرته الماضية تبرز نشاطه واتجاهه الاجتماعى معا . فقد كان مديراً لمدرسة البوليس فلم يكن فيها «ناظر» المدرسة الذى يؤدى الواجبات اليومية على ما ترتضيه القواعد المألوفة . بل كان يوجه الاخلاق ويبنى الشخصيات . وكان مديرا لاسيوط فأزال منها فى غمضة عين وباء كان يعيش فى بركة مدى القرون السالفة . وكان مديرا للدمنهور فجددها وكافح فيها البغاء . وكان محافظا للقاهرة فابتكر مشروع استخدام الصبيان المشردين

ووكيل الوزارة الاستاذ عبد المنعم رياض بك هو واحد من أولئك المجددين الذين يلمحون بصيص العصر الجديد ويتوسمون فى وجه القدر أحسن الحظوظ لمصر . واتجاهه الاجتماعى يبدو من

من اهتمامه بنادى الصبيان المحرومين فى كبرى الليمون بالقاهرة وهو النادى الذى أنشأته جمعية الشبان المسيحية

ومما يبعث على الابتهاج أن هذه الوزارة قد ضمت اليها قسم التعاون الذى حار وقلق مدة سنوات بين وزارتى الزراعة والمالية . فان التعاون حركة اجتماعية قبل أن يكون حركة زراعية أو اقتصادية أو صناعية . وعلى رأس هذا القسم الدكتور ابراهيم رشاد الذى يرى بحق ان نهضة الفلاح يجب أن تؤسس على حركة تعاونية نامية

كما ان الطبقة المثقفة فى مصر يرضيها كل الرضى أن يكون بالوزارة فى مركز خطير هذا الاستاذ الفنان توفيق الحكيم فان التوجيه الثقافى والفنى هو بعض الاجتماع ومثل الاستاذ توفيق الحكيم هو خير من يسوس الشراع بالسارية ازاء الرياح

وبعد فان الفكرة فى انشاء هذه الوزارة والاشخاص الذين اختيروا لها كلاهما يبعث على التفاؤل بالمستقبل وكلاهما يحملنا على أن نحث ونطلب النشاط بل التعجيل فى العمل بل الاعمال المجدية التى ستقوم بها هذه الوزارة

الى القراء

ترجو المجلة الجديدة جميع مشتركيها ان يسددوا المتأخر من الاشتراك لأن التكاليف قد زادت كثيرا بسبب غلاء الورق.

الحكم الديمقراطى

انما يقوم على نظام الحكومة المحلية

لايمكن أن تنتظم الحكومة بالصبغة الديمقراطية اذا تركزت السلطة فى الوزارات وصارت الأوامر تخرج منها للتنفيذ فى انحاء البلاد . كأن عاصمة القطر هى كل شىء فى القطر . لأن الغاية من الحكومة الديمقراطية أن يشترك الشعب فى الحكومة وأن يحس المساواة الفعلية فى هذا الاشتراك وقيام برلمان فى عاصمة الدولة واشتراك الشعب فى الانتخابات مرة كل أربع سنوات أو خمس سنوات لايكفى لأن يحس الشعب هذا الاشتراك وأن تنبعث فى نفس أفراده المسئوليات المختلفة بشأن الواجبات المدنية

ومعقول أن تبدأ الحكومة الديمقراطية متركزة فى عاصمة الدولة وأن تسير مدة البداية سير الادارة البيروقراطية . ولكن مثل هذه الحال يجب الا تعيش طويلا . لأنها تناقض المبادىء التى تنبنى عليها الديمقراطية من حيث انها حكومة الشعب. وتركز الادارة وتجمدها فى بيروقراطية تخرج من عاصمة الدول وتسرى عروقها الى انأى مكان فى القطر — هذا التركز يحرم الشعب من الاشتراك فى الحكم. كما أن الحكومة تصير مجموعة كبيرة من الموظفين لها حاسة اجتماعية خاصة فيما بين افرادها . ولكن بينها وبين الشعب مايشبه القطيعة أذ هى ليست مسئولة أمامه فى المدينة أو القرية وانما هى مسئولة أمام عاصمة الدولة تنظر الى هذه العاصمة فى الترقية والنقل والعقوبة وتتلقى منها الاوامر وغير ذلك

واذا نظرنا الى الحكومة الديمقراطية كما نراها فى بريطانيا مثلا وجدنا أنها فى الحقيقة مجموعة حكومات . لان المجلس البلدى فى المدينة ومجلس الكونتية (المديرية) ومجلس المركز ومجلس

القرية ـ كل هـذه المجالس تقوم بالحكم وهى التى تنشىء المدارس والمستشفيات وتعين الشرطة او تشترك فى تعيين رجالها . وهذا الى القيام بتزويد النور والماء والاشراف على الزراعة والصناعة من وجوه مختلفة وبناء المنازل وشراء الحدائق . وحسب القارىء ان يعرف ان المجلس البلدى فى لندن تبلغ ميزانيته فى العـام اربعين مليون جنيه ينفقها على التعليم والصحة وبناء المنازل وشق الشوارع وتمهيدها وتنظيم الميناء الخ . وهذه المجالس تنتخب كل ثلاث سنوات . وساكن لندن عند مايشترك فى هذه الانتخابات يحس مسؤلياته المدنية ويمارسها ويناقش المرشحين للانتخابات . والاتجـاه الديمقراطى الحديث يطلب الاستكثار من الحقوق لهيئات الحكومة المحلية وذلك للناحيـة التعليمية فيها أى لانها تعلم الشعب بل تجبره على ان يتصل بشؤون مدينته أو بلدته أو قريته الحميمة ولايتركها للهيئة المركزية فى عاصمة للدوله لكى تديرها بموظفيها

ونرجو أن نجد مثل هذا الاتجاه فى مصر وأن تكون لنا خطة ديمقراطية معينة هى زيادة حقوق الشعب بل اجباره على أن يتعلم كيف يحكم نفسه

ينشب عندنا من وقت لآخر خلاف بين الجهات الادارية المختلفة بشأن حق كل منها فى تأدية بعض الأعمال . فاذا تأملنا ماوراء هذا الخلاف من مبادىء وجدناه ينحصر فى الاغلب فى الاختيار بين الادارة المركزية من عاصمة الدولة وبين الادارة المحلية فى مكان اخر . فقد تنظر فى الجرائد فتجد خبرا عن محطة الاذاعة وهل يجب أن تستقل أم يجب أن تكون تحت اشراف وزارة المعارف أو تجد خبرا آخر عن الجامعة وهل هى حرة فى اختيار بعثاتها وتعيين أسماء أعضائها وقيمة ماينفق كل منهم أم يجب أن يكون هذا كله من حق وزارة المعارف

وقد ضربنـا المثل بوزارة المعارف . ولـكن يمكن أن نزيد الامثلة فى سائر الوزارات . فان وزارة الداخلية مثلا قد تتوهم الاصلاح فى القرى من جهة واحدة هى اشرافها على تعيين الشيخ أو الخفير أو العمدة . كما أن وزارة الصحة قد تبالغ فى اشرافهـا حتى تطالب طبيب المركز بواجبات كتابية تحيله أحياناً الى كاتب أكثر مما هو طبيب

ومن طبيعة الهيئات أن ترغب فى الاستئثار . ولذلك لانستطيع أن نلوم احدى الوزارات على ماتبدى من غيرة ورغبة فى التدخل وزيادة فى ادارتها المركزية ، وخاصة اذا علمنا أنها نشأت وعاشت

على هذه التقاليد حتى يكاد الاستقلال المحلى يكون غريبا من مزاجها ونزعتها الادارية

والواقع اننا فى هذه السنين الاخيرة نسير على مبدأين متناقضين بل أحيانا متصادمين . هما حصر الادارة وتمركزها فى عاصمة الدولة أى فى الوزارات . وهذا هو المبدأ التقليدى القديم . أو السير على المبدأ الثانى وهو الاستقلال المحلى لادارات صغيرة خاصة مختلفة

وليس شك أننا انتفعنا بالتمركز الماضى . لأن كل أمة تبتدىء فى الاخذ بالحضارة العصرية وتحتاج إلى نظر جديد تضطر الى الأعتماد على المركزية دون الاستقلال المحلى . ولذلك انتفعنا مثلا بمصلحة التنظيم للقاهرة وبتعيين العمد برأى وزارة الداخليه وبالتمركز العام فى المدارس الحكومية ، لان هذا التمركز أتاح للحكومة اختيار الاكفاء الخبيرين للقيام بالعمل الفنى . ولو أنها تركت هذا العمل لهيئات مستقلة بعيدة عن رقابتها أو اشرافها لتسرب الفساد الى هذه الهيئات

ولكن كل مصرى مثقف يتصل تفكيره السياسى بالتطورات الحديثة يدرك اننا قد بلغنا الآن طورا من الكفاءة يسمح لنا بالاستقلال المحلى ويطالبنا بهذا الاستقلال باعتباره احدى ثمرات النظام الديمقراطى كما هو أحد أركانه . وهو النظام الذى نعمل لتثبيته ودعمه فى أنحاء البلاد . ولذلك يتجه تفكيرنا نحو ايجاد مجلس بلدى للقاهرة أى ايجاد هيئة محلية مستقلة يشرف عليها الشعب ويراقبها بدلا من مصلحة التنظيم التى تشرف عليها وزارة الاشغال وتراقبها . كما اننا نؤثر استقلال الجامعة فى تنظيم الثقافة وارسال البعثات على تدخل وزارة المعارف . بل اننا نتشوف الى اليوم القريب حين يرى القارىء استقلال القرية ، التى تختار عمدتها ومشايخها وخفراءها عفو ارادة سكانها بدون تدخل وزارة الداخلية أو اشرافها . وليس بعيدا ان نتدرج من القرية الى المركز فالمديرية حين يأخذ الأستقلال المحلى مكان المركزية ، كما هو الشأن فى بريطانيا وغيرها

ولذلك نظن اننا يجب أن نبقى متيقظين لجميع الخلافات التى تنشب من وقت لآخر بشأن الادارة . وان نميل على الدوام الى ناحية الاستقلال المحلى دون التمركز باعتبار أن الاول يؤدى معنى الديمقراطية ويدعم نظامها فى حين ان الثانى قد ينتهى بالمبالغة فيه الى ايجاد بيروقراطية كثيرة المساوىء . والاول يربى الشعب على الاشتراك فى الادارة بل يضطره الى ممارسة هذه الادارة فى حين أن الثانى يجعل الشعب بمنأى عنها

والواقع أن حكومتنا – كما قلنا – أخذت فى السنوات الاخيرة بمبدأ الاستقلال المحلى فسلمت لمصلحة السكك الحديدية باستقلالها و كذلك فعلت مع بنكى التسليف الزراعى والتسليف العقارى وكذلك تفعل حين تضع الان الاسس التى سيقوم عليها المجلس البلدى للقاهرة . وهى لم تندم قط على مثل هذا التفرع الذى يعد. فى الحقيقة تكشفاً ونموا فى الجسم الاجتماعى للدولة . وعلى ضوء هذا التكشف نستطيع أن نعرف باى المبادىء نأخذ حين ينشب خلاف مثلا بين احدى الادارات والاخرى . لاننا يجب أن نميل فى كل وقت الى ما يؤيد الاستقلال المحلى دون التورم المركزى

الرياضة

كانت الرياضة تسلية . ولكنها صارت فى ايامنا مرانة ثم عبادة يؤمن بهـا كثير من الجهود شبابهم قبل صبيانهم بل كهولهم احيانا كأنه لايمكن احدا ان ينال الصحة الا اذا تصبب عرقه كل يوم بعد مجهود عضلى كبير من القفز او الجرى أو التلوى

والشائع ان الرياضة ترويح . واننا عند ما نجهد اذهاننا بالتفكير والحساب والحسبان فى المكتب او حين نجهـد عضلاتنا بعناء الحركة فى عمل المصنع نستطيع أن نروح عن انفسنا باللعب والرياضة ولـكن هذا الرأى قد انضح خطأه بل خطله . لان علاج التوتر هو التراخى وليس هو التوتر . فاذا كانت اعصابنا وعضلاتنا تتوتر وتتعب وقت العمل فانه يجب ان نعالجها بالتراخى بالنوم أو ماهو أقل منه من الاستلقاء والاسترخاء

وقد وجدت صحة هذا الرأى بالتجربة . ذلك ان قسمت جماعة من العمال فى مصنع طوائف وعولجت احداها عقب فترات متساوية من العمل بالرياضة . واخرى بالموسيقا . واخرى بالمطالعة . واخرى بتناول المرطبات والحديث . واخرى بالاستلقاء والسكون . فوجدت ان هذه الطائفة الاخيرة هى التى ارتاحت اكثر من غيرها وهى التى استطاعت ان تستأنف العمل بقوة واتقان اكثر من غيرها

رئيس الوزارة الانجليزية



اصبح المستر تشمبرلن قبلة الانظار فى هذا الكفاح القائم بين الديمقراطية والديكتاتورية . وترى هنا صورته مع السيدة عقيلته

السودان

مقتبسات من محاضرة لعبدالله اباظه بك

وجدت ان أكثر من ثلثى السكان — وعـددهم نحو ستة ملايين — عرب مسلمون ، ترجع أنساب معظمهم الى قبائل عربية مازالت مقيمة ومعروفة فى مصر وكثيرون منهم ترجع أصولهم الى قبائل نزحت من الحجاز — وهم شديدو التمسك بتقاليـدهم والاعتزاز بأصولهم حتى انهم ليترفعون عن مصاهرة المسلمين من زنوج الجنوب — ومعظمهم من الوثنيين — مهما علت مراتبهم — وينظرون اليهم نظرة السيد للمسود .

ولا يكاد الانسان يجـد فرقا بين مظاهر الحياة عندهم وعند أهل الريف المصرى — والصعيد بنوع خاص — مع الفارق فى ملبسهم الذى يتكون فى الغالب من عمامة بيضاء وجلباب أبيض وحذاء من صنع البلاد أو من الأحذية اليابانية الرخيصة — وهذا لباس عامة الناس الذى يبدو على الدوام نظيفا ناصع البياض — أما الخاصة فيلبسون العمامـة البيضاء والجبب والقفاطين من أقمشة حريرية أو تيل أبيض ناصع فى أغلب الأحيان . وأما طبقة الموظفين فيلبسون اما الملابس الأفرنجية المعروفة واما الجلابيب البيضاء والعمامات ، فلبسها مبـاح داخل دواوين الحـكومة ، كما أن جميع الطلبة السودانيين حتى فى كليـة غردون يلبسون العمم والجلابيب البيضاء مراعاة لأحوالهم الجوية والاجتماعية على مايقال .

وأما النساء فى المـدن فمحجبات يخرجن فى الطرقات مؤتزرات بملاءات خفيفـة من مختلف الألوان ، ولكن الغالبية بيضاء — وأما مايقال عن العرى فقاصر على أهل الجنوب من الزنوج بل ان هؤلاء يتدرجون نحو الاكتساء ، بفضل جهود الحكومة .

ومن أظهر صفاتهم الكرم الذى يصل الى حد الاسراف . ففى ضيافاتهم العادية يقدمون للضيف

الشربات والشاى والقهوة المعروفة بالجنيه وفى موائد الموسرين منهم وبعض المتوسطين يقدمون الى الضيوف ألوان الأطعمة العديدة على النظام العصرى ثم يردفونها بألوان الأطعمة الوطنية الشهية ومنها أصناف لذيذة جدا تفضل كل ألوان الطعام الأفرنجية التى يؤثرونها فى ولائمهم ، مبالغة فى الاكرام وحبا فى المظاهر التى يعنون بها الى حد كبير .

والسودانيون أهل شجاعة غريزية وراثية — وللرجل الشجاع قيمة فى المجتمع — ولهم فى تربية روح الشجاعة فى الافراد أساليب فطرية لم تزل شائعة فى أهل الريف بنوع خاص وهم الذين لم تطبعهم مدنية العواصم بطابع الرفاهية والنعومة . ولعنصر الشجاعة أكبر مقام فى المفاضلة بين المتقدمين من الشبان لخطبة الفتيات .

ومن أبرز صفاتهم الاباء وعلو النفس فهم لايقبلون الضيم ولا العنف والاذلال . بل قد تفعل فيهم كلمة طيبة فعل السحر ولهذا تحرص الحكومة هناك على أن تضع من الحكام من يستطيع تنفيذ سياستها وقوانينها باللين والمرونة والكياسة ، اقتناعا منها بأن أساليب الشدة هناك سياسة مفلولة السلاح

أجمل الشهور هناك تبدأ من نوفمبر حتى منتصف ابريل وفى هذه الفترة من السنة قد يكون جو السودان من أبدع أجواء العالم لاعتداله بين البرد والحر وجفافه الباعث على النشاط .

ثم يبدأ فصل الحر من منتصف أبريل الى نهاية يونيه وهى الفترة التى لاتطيب للغرباء خلالها الاقامة هناك. وترتفع الحرارة حينذاك ما بين ٤٢ و٤٧ درجة وتهب بين حين وحين عواصف رملية معروفة بالهبوب تسد الأفق وتنفذ الى داخل المبانى من أحكم المنافذ — ولكنها لاتؤذى العيون ولا مسالك الهواء فى الانسان — ثم لاتلبث أن يعقبها مطر يصفو بعده الجو ويتجه الى البرودة المستحبة فى ذلك الآوان .

أما خلال شهرى يوليه وأغسطس فالجو هناك يكون مرغوبا فيه الى حد كبير بفعل الأمطار التى يتوالى نزولها فيكسب الهواء برودة تصل معها درجة الحرارة الى ٣٣و٣٥

عبث التاريخ

لبول فاليرى عضو الاكاديمية الفرنسية

مما لا يقبل الريب أن العقول المنصرفة الى التفكير فى الغد انما ترى الحاضر على ضوء الماضى وتهتدى بحوادث التاريخ لمعالجة شؤون المستقبل

وهذا هو الخطر . إذ ليس هناك أى فارق بين التاريخ يكتبه مؤرخ كتاسيت أو ميشيليه ، أو فنان كشكسبير أو بلزاك

التاريخ نقل وسرد وفن . وبقدر ما يكون المؤرخ رشيق العبارة ، فاتن الاسلوب ، بقدر ما يؤثر فينا ، ويقنعنا بحقيقة الواقع التى يرسمها . على ان فى حوادث التاريخ معجزات يقف عندها المؤرخ حائرا لا يعرف لها سبباً ولا تعليلا وهذا يرغم القارىء على الاشتراك فى التاريخ بنفسه وتفسيره وفق هواه . وتقرير ماهو حقيقى منه وما هو خيالى . والمدهش أن يكون التاريخ فناً متعلقاً بفكر المؤرخ وعاطفته ومزاجه وأسلوبه ، وبشخصية القارىء واحساسه وميوله ثم تتخذ منه اداة للحكم على الحاضر ، ونسترشد بسير حوادثه وتطوراته وتفاعلاتها لتنظيم المستقبل

والواقع انه لم تعد ثمة علاقة وثيقة بين الماضى والحاضر . وهب أن فلسفة التاريخ القديمة كانت صحيحة فهى قائمة على نظرية ان العالم كتل متفرقة مختلفة المصالح لا تنفك تتنابذ وتتناحر فى حين انه اليوم وحدة اقتصادية ان لم تطبق عليها فلسفة غير تلك اصابها الانحلال والموت لا محالة . والمشاهد فى أوربا ان عواطف ساستها واطماعهم انما تنشأ من مطالعات التاريخ ، وذكريات وقائعه ، والرغبة فى تطبيق قوانينها القديمة على دنيا جديدة لاتمت اليها باية صلة . والسياسى الاوربى اذا ما عرض له حادث خطير لايفكر فى ان هذا الحادث فريد فى نوعه وانه يرتبط بعدة حوادث لم يعرف التاريخ لها شبيهاً ، وانها تتطلب حلا مبتكرا جديدا لا يفكر فى هذا ، بل يرجع بذاكرته الى ماوعته من

محفوظات التاريخ يستهديها الفكرة والعمل ، هاربا من الابتكار والخلق ، متجنباً مقابلة الحادث الجديد بحل جديد من نوعه يبتدعه ابتداعا ويوفق بينه وبين مطالب الساعة . وهكذا يحتل التاريخ ذهن السياسي ويستعبده . وهكذا تردد الانسانية اليوم ما فعلته بالامس ، بل هكذا يتقدم العالم ويتجدد ويظل مع ذلك محكوماً بروح التاريخ الغابر وفلسفته البالية

لو ان شارل الاول لم يعدم لكان في الامكان أن يعفى عن لويس السادس عشر ، ولو ان بونابرت لم يفكر طويلا في تحويل نظام الحكم الروماني من جمهورية الى امبراطورية تستند الى السلطة العسكرية ، لما فكر في تنصيب نفسه امبراطورا

لو ان روح التاريخ القديم وأساليبه لم تكن مستولية على بسمارك في مؤتمر برلين لما اقتصر على التفكير في مصلحة بلاده ضمن حدود أوربا فقط . ولما دفع بالدول الاوربية الى الاهتمام بالمستعمرات والتنازع عليها ليبقيها متنافرة متخاصمة دون أن يفطن الى أن المانيا سوف تطمح ذات يوم الى الحصول على نفس تلك المستعمرات التي زينت للاخرين امتلاكها فتجتمع الدول كلها عليها كما وقع في الحرب الكبرى

فبسمارك قد فكر في المستقبل ، ولكنه لم يفكر في امكان وجود مستقبل جديد آخر غير ذلك الذي استوحاه خياله من روح التاريخ وحوادثه

ومما لا شك فيه ان التاريخ أشد فتكا بالامم من الاوبئة ، فالقادة يفسرونه وفق اهوائهم ، والشعوب تحلم في ظلمته بالعظائم غير المتناهية ، وتنتشي بالمفاخر الحربية الرائعة ، وتذكر الخصومات الوراثية الفاجعة ، وتنمي في نفوس الابناء والاحفاد غرائز البطش والاضطهاد كما هي الحال في البلاد الديكتاتورية اليوم

الى شباب النيل

للاستاذ فريد كامل

يا شبابا وجدت مصر بهم   كنزها المخبوء للمستقبل
وأعدت منهمو عدتها   بالحجى والعلم أو بالاسل
قد أعذتم أن تنوا عن قصدكم   أو تحيدوا عن سواء السبل
فاطلبوا مجدا به أجدادكم   بلغوا هام السماك الاعزل
رفعوا فوق السهى أوطانهم   ما ارتضوها فى حقير المنزل
هذه آثارهم دلت على   فضلهم فى الغابرين الأول
فانسجوا أنتم على منوالهم   وخذوا عنهم رفيع المثل

* * *

دمر الظلم القرى من قدم   فاحذروا من شر هذا المغول
واجعلوا العدل سياجا للحمى   فهو للاقوام أقوى معقل
وارفعوا للحق حصنا عاليا   يره المظلوم كهف المؤمل
أكرم الانصاف عند الله ان   تنصفوا الخصم كانصاف الولى
انما العدل أساس الملك فى   محكم الذكر المبين المنزل

* * *

قابلوا الرأى بصدر واسع   ان أصيلا كان أم ذا خطل
للنقاش الحر صونوا حرمة   شأنكم فى مسجد أو هيكل
ان فى معترك الآراء قد   ح زناد الحق حتى ينجلى

* * *

أنجزوا الوعد وأوفوا عهدكم   انما المسؤول عهد الرجل
إن نعم قولوا نعم أو لا فلا   تعصموا بالصدق كل مقول
لا تهابوا قولة الحق ولو   باتت الاعناق رهن المقصل
ان يكن من قاد جيشا بطلا   فشجاع الرأى أحجى بطل

* * *

ان سر الغرب فى اعتلائه   بما اعتلاه من مقام أول
وضعه الاشياء فى موضعها   فى نظام شامل مكمل
فانبذوا الفوضى وأقصوا ظلها   عن ضئيل الشأن أو عن جلل

* * *

كرموا المرأة والشيخ ولا   تغفلوا حظ اللطيم المهمل
فى مغانى الدرس فى البيت وفى   مكتب أو مصنع أو محفل
نزهوا النفس وروضوها على   خلة الفعل النبيل الامثل

* * *

قوة الشعب شباب ناهض   عوده صلب متين العضل
طاهر الجسم نقى النفس من   شر لوثات الهوى المبتذل
عازف عن نزغات جيله   فى اصلاح القانت المستبسل
باذل للوطن الروح فدى   صادق الايمان بالله العلى
مولع بالعلم لا يبغى به   بدلا — وهل له من بدل

* * *

يا شباب النيل هذا يومكم   انكم للنيل كل الامل
إن تجيبوا يجر عذبا كوثرا   أو قعدتم فهو ماء الحنظل
ما بغير العلم والاخلاق قد   علت الاوطان منذ الازل

الخدمة الاجتماعيـــــة في الهند

للاستاذ حسين عرفي

الهند قارة واسعة ذات نظام عجيب وعادات غريبـة ، يلذ لـكل باحث اجتماعى أن يجول فيها ليدرس جميع مشروعاتها الاجـتماعية التى تقوم بتنفيـذها هيئات مختلفة تكافح وتناضل ضد بعض عادات غريبة هى السبب فى انحطاط الريف الهندى ، وضد كثير من الناس الذين يحافظون عليها ويتمسكون بها لأنها منصوص عليها فى دينهم وموضوعة فى كتبهم السماوية . لذلك أعتقد أن فى الهنـد مجالا خصبا للدراسات الاجتماعية ، لأن الاجتماعى يمكنه أن يدرس كل هذه المشاريع الجبارة ويمكنه أن يرى بنفسه أسباب نجاحها وأسباب فشلها .

نظام المجتمع الهندى غريب جدا فهناك عدد من الأديان وعدد من الطبقات لـكل منها نظام خاص فى معيشتها وأعمالها وطقوسها الدينية ، واذا تكلمنا على الطبقات فاننا نتكلم عن الاغالبيه التى تدخل تحت لواء الدين الهندوكى الذى قسم الناس الى طبقات مختلفه أرقاها البراهمة وأدناها المنبوذون . وليس المجال هنا واسعا للتحدث عن هذه الطبقات بل أترك هذا لمقال آخر للتحدث عن المشروعات التى تعمل على تنفيذها الحكومات المختلفة فى الهند والجمعيات والأحزاب وخلافها .

ولما كنت أعتقد أن برنامج العمل الاجتماعى الذى يسير عليه المؤتمر الهنـدى وهو أقوى حزب سياسى يرأسه رجل داهيـة ويرعاه المستر غانـدى ، من أهم المشروعات ، لذلك سأقصر كلامى هذه المرة عن أعماله وأتحدث باختصار عن هذا العمل الاجتماعى العظيم الذى أخذ المؤتمر الهندى على عاتقه تنفيذه لتحسين حالة الهند الاجتماعية والاقتصادية ، فبتحسينها تتحسن الحالة السياسية

وقد خصص للدعاية جرائد عديدة وأفلام سينمائية روائيـة مدهشة وأغان يلقيها أشهر المغنين

بأعذب الألحان فتملأ منها اسطوانات ويستمع اليها الأهالى فينشدون بالألحان ويستفيدون بالمعنى ، فبدلا من كلام الحب والغرام يستمع الفلاح الى كلام ذى فائدة يقوى مداركه ويرقى شعوره ويلقى عليه دروسا فى الصحة والتربية والوطنية وبألحانه المدهشة التى تسحر لبه وتجعله ينشدها ليل نهار .

يرعى كل هذا المؤتمر الهندى وراعيه المستر غاندى الذى ينادى شعبه ويطلب منه أعمالا جبارة ومشاريع هائلة فى جريدته الفتية التى تعبر عما تتمخض به عقليته الجبارة من مشاريع لرفع مستوى الحياة الريفية وخصوصا مستوى حياة أكبر الطبقات عددا وأحقرها شأنا وهى طبقة المنبوذين الذين أطلق عليهم غاندى لقب « الهاريجان » أى أبناء الله ولقب جريدته بهذا الاسم حتى يزيل منهم الشعور الذى توارثوه من أجيال بحقارتهم وعبوديتهم لباقى الطبقات وحتى يعلم هذه الطبقات الأخرى ويدربها على احترامهم

وقد نجح مسعاه أخيرا فى كثير من المقاطعات مثل ترافنكور وكوتشن وغيرهما من المقاطعات الهندية فأصدر حكامها قانونا يقضى بالسماح لهؤلاء الهاريجان بالدخول الى المعابد كغيرهم من الطبقات وقد لاقى هذا القانون معارضة شديدة من الكثيرين ولكن المستر غاندى ، أوكما يلقبونه « بغاندجى » ابتعادا عن كلمة مستر الانجليزية ، قضى على هذه المعارضة قضاء مبرما بزيارة المعابد ودعوة الهاريجان الى الاشتراك معه فى التعبد وبتزويج أحد أفراد أسرته الى احدى بنات الهاريجان فكان لذلك ضجة عظيمة لأن هذا يعتبر عارا كبيرا عند الطبقات الرفيعة التى منها المستر غاندى نفسه .

ويعمل المؤتمر الهندى الآن على تنفيذ كل هذه المشروعات التى يوصى عليها غاندى حتى أنه كثيرا ماينفق الجزء الأكبر من وقته فى تنفيذها تاركا الجزء الصغير لتنفيذ مشروعاته السياسية لأنه يعتقد أن مشروعاته الاجتماعية هى أساس مشروعاته السياسية فترى أعضاءه يذهبون الى القرى ويؤسسون جمعيات تعاونية وزراعية وصناعية وخلافها فى كل قرية يحلون بها

وقد توحدت هذه الجمعيات فى جمعية مركزية تلقب « جرام أوديوج باتريكا » أى « جمعية الصناعات القروية للبلاد الهندية » يشرف عليها المستر كومارابا فى مدينة « واردة » وهو هندى مسيحى تلقى علومه فى أمريكا ويعتبر من أهم أعضاء المؤتمر الهندى ويحج الى هذه الجمعية مئات من القرويين كل سنة

ليدرسوا الصناعات القروية التى لايستغنى عنها القروى فى قريته أو فى منزله كطحن الغلال واستخراج الزيوت وعمل الأوانى الفخارية ونسج الملابس وخلافها . وبعد أن يتخرج الطالب القروى منها يذهب الى قريته وقد اكتسب بجوار كل هذا وطنية صادقة وعزيمة وثابة فيرشد فى أوقات فراغه اخوانه أهالى القرية ويعلمهم الطرق الصحيحة للقيام بهذه الصناعات ، وقد مكن ذلك كثيرا من القرويين من أن يزيدوا من دخلهم بعمل مايحتاجون اليه وبيع مايستغنون عنه

وقد سنحت لى فرصة التحدث الى المستر كومارابا وأخيه عند زيارتى للجمعية بمدينة وردة وهما شابان جريئان متحمسان جدا لعملها ومتمسكان بوطنيتهما وقد لخصا لى غرض الجمعية وهو بث روح الوطنية فى هؤلاء القرويين وافهامهم حقيقة مركزهم فى العالم وجعل القرية وحدة مستقلة تقوم بكل ماتحتاج اليه من صناعات تتطلبها زراعتهم ومنازلهم . وهذه فلسفة عظيمة وقد ظهرت نتيجتها فأصبحت ترى القرويين يلبسون ملابس نسجتها أيديهم ويستعملون محاريث وغيرها صنعتها أيديهم . وانى أعتقد أن هذا من أحسن الوسائل لتحسين حال الفلاح المصرى بعد تغيير عقليته بالتعليم وتأسيس جمعيات تعاونية واجتماعية ودينية وادماجه فيها وتربيته على السير بها فيرتفع مستواه الاجتماعى والاقتصادى وتتحسن قريته وتصبح منازله نظيفة لأن مستواه الجديد سيأبى عليه الخضوع لمثل هذه الأحوال التى يعيش عليها الآن .

وقد حض المؤتمر الهندى أتباعه على استعمال كل لباس صنعته يد هندية وقامت حركة هائلة وجمعيات عظيمة لاستهلاك منتجات الصناعات السواديشى أى الوطنية فترى الآن الكل يلبسون المنسوجات الهندية سواء العظيم والحقير ، والوزير والفقير .

ومن أعمال المؤتمر العظيمة احياء القرى وتحسينها بشكل عجيب وبسرعة مدهشة مثل قرية تريبور التى عقد فيها المؤتمر هذا العام فقد كانت منذ سنة واحدة قرية حقيرة لايسمع عنها أحد فاذا بها فى غمضة عين وانتباهتها قد تغيرت حالها وانقلبت بلدة عظيمة جميلة ذات أعمال مهمة وعرفها القريب والبعيد وأنشئت بها حوانيت عديدة ومكاتب كبيرة للبريد والتلغراف والتليفون وأقيمت بها مبان جميلة وتغيرت عقليه أهلها فشعروا بأهميتهم وأقبلوا على تحسين حالهم حتى يمكنهم استقبال الملايين من الضيوف وزادت حركة التجارة والصناعة بها . فما هى المعجزة ياترى ؟ ليست بمعجزة

على الاطلاق ، ولكن الحقيقة هى أنه بمجرد أن أعلن عن عقد اجتماع المؤتمر القادم فى هذه القرية أسرعت الحكومة ولجان المؤتمر المختلفة الى تمهيد السبيل وايجاد وسائل الراحة للملايين العديدة التى ستشترك فى المؤتمر وبذلك توحدت جهود الشعب والحكومة فأصبحت تريبور بلدة مهمة بعد أن كانت قرية حقيرة بالرغم من شهرتها التاريخية كعاصمة لاحدى الممالك القديمة جدا .

وقد اتخذ المؤتمر هذه الوسيلة لاحياء قرى الهند ، لذلك تجده يعقد اجتماعه كل مرة فى قرية مختلفة وبهذه الطريقة أحييت قرى عديدة وظهر لها وجود . فهل نحلم بمثل هذا العمل فى مصر ؟

ان الوزراء من أعضاء المؤتمر الذى أصبح فى يده الحكم فى ثلاثة أرباع المقاطعات الهندية ، يلفتون نظر الاجتماعى ببساطة ملبسهم ومعيشتهم وعظم أعمالهم الاجتماعية ، وها هو أعظمهم من يلقب بغاندى الجنوب المستر راجا جوبلان تشاير ، اذا رأيته رأيت فيه رجلا ضئيل الجسم يرتدى « شبشبا » وقميصا ودوتى أشبه بالجونيلا فى غاية من البساطة فاذا قيل لك انه رئيس وزارة فى مقاطعة يفوق عدد سكانها عدد سكان انجلترا كذبت عينيك ولكن لو عرفت السبب لهذه البساطة أدركت أنه فيلسوف عظيم فهو يريد أن يضرب مثلا لغيره من الهنود ويمنعهم عن الاسراف والتبذير اللذين اشتهر بهما الهنود واللذين يسببان فقر الأمة الهندية .

ففى احصاء اجتماعى وجدنا أن الرجل الهندى البسيط مثقل بالديون لأنه يصرف عشرة أمثال دخله فاذا كان مرتبه عشرة روبيات فى الشهر صرف على حفلاته الاجتماعية مائة روبية وربما زادت الى خمسمائة روبية

وقد ضرب المستر راجا جوبلان تشاير ضربة جريئة بانزاله مرتب الوزير من خمسة آلاف روبية الى خمسمائة روبية فقط حتى يمنع الوزراء من اعطاء مثل سىء لباقى الشعب وتراه هو ووزراؤه كل يوم فى اجتماع أو محاضرة ، فى مدرسة أو فى جمعية ، ويترأس المشاريع فيغرس الاشجار بيده ويقود القرية فى مشروع تنظيفها فيتناول المكنسة بيده ويفعل ما يفعله الآخرون

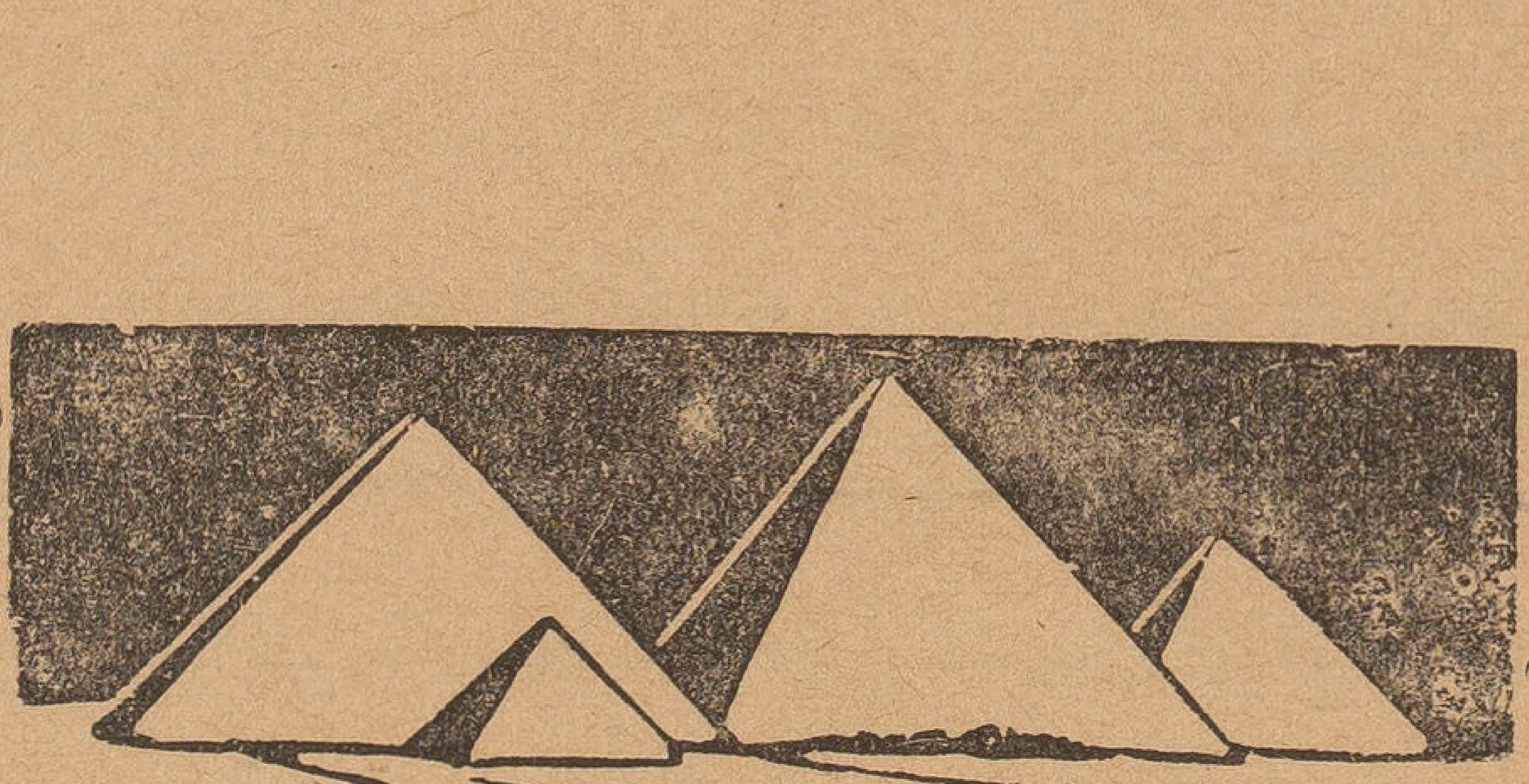
وأهم عمل جرىء عمله هذا الرجل الجبار اصداره قانون تحريم الخمور فى مقاطعة سيلم كتجربة وأنشأ بدلا من محلات الخمور محلات كالمقاهى لبيع الشاى وفى اعتقاده ان الشاى أهون من الخمر ونظم القرويين فى ، نواد رياضية وحفلات تمثيلية حتى يصرفوا أذهانهم عن شرب الخمر التى يدمنها

معظم سكان ريف الهند ويستخرجونها من البلميرا وهو يشبه البوظة المصرية فى طعمه ورائحته ومفعوله .

وقد أنشأ مدارس وفصولا صيفية لتدريب القرويين على ادارة النوادى والجمعيات التعاونية والالعاب الرياضيه فاصبح فى كل قرية ناد منظم عظيم ومكتبة بسيطة تحت اشراف خريجى هذه المدرسة ونجح المشروع نجاحا مدهشا ونفذته مقاطعات اخرى كاحمد اباد والسند وخلافهما

هذا قليل من كثير من اعمال المؤتمر الهندى ووزرائه وعماله فضلا عما ينشئه من مدارس وما ينظمه من محاضرات وقد قدم مشروعا يلقب « بمشروع المستر غاندى » أو (مشروع ورداه التعليمى) الذى يقضى بجعل المدرسة الالزامية تتكفل بمصاريفها دون أن تلجا الى أى اعانة وذلك بتعليم التلاميذ صناعات مختلفة وايجاد أسواق لمنتجاتهم . وقد نجح المشروع وأصبح سهل التنفيذ فى كثير من البلاد

وفى المقال القادم أتحدث عن مشاريع الحكومات المحلية والمركزية والجمعيات الاجتماعية ومجهودات الافراد لتحسين حال البلاد الأجتماعية .



جان جوريس

زعيم الاشتراكية المعتدلة في فرنسا

للاستاذ محمد لطفى جمعه

كتب موريس باريس زعيم الوطنية المحافظة فى فرنسا فى مجلة الاخبار الادبية «لى نوفيل ليترير» مقالا شيقا أنصف فيه عبقرية جان جوريس من حاسدى فضله أثناء حياته ، ولفترة طويلة بعد وفاته

كان جان جوريس شخصية فذة ، لافى فرنسا وحدها بل فى أوربا جميعها . فقد ولد فى جنوب فرنسا موطن الخطباء والفصحاء والزعماء (بونابرت ، دانتون ، ميرابو ، غمبتا ، الفونس دوديه الخ) وقضى نحبه قتيلا برصاصة مسدس أطلقها جاسوس مدسوس ، مدسوس مخبول فاسق اسمه فيلان و(من المصادفة أن معنى الاسم شرير قبيح وغد الخ)

نشأ جان جوريس فى أسرة كريمة غنية متدينة محافظة كما نقول عن أعيان صعيد مصر . وتلقى علومه الابتدائية والثانوية الى أن بلغ مصاف التعليم العالى فى جامعة السوربون وكوليج دى فرانس بباريس فنبغ فى الادب والفلسفة ، ومنح مقعدا لتدريس الفلسفة ثم اشتغل بالسياسة ، كما اشتغل بها مواطن له من قبل هو المأسوف عليه ليون جمبتا الذى أنقذ فرنسا من كوارث حرب السبعين

ولكن اشتغال جان جوريس بالسياسة لم يكن مقصوراً على الوطنية وحدها ، بل تعداها الى انتحال مذهب جديد وهو الاشتراكية المعتدلة . فقد رأى ما تعانيه الطبقات الفقيرة من العمال والمزارعين ، وما ينوؤون تحته من اعباء الحياة المادية التى قل فى الطبقات العليا من يشعر بها

وكانت الاشتراكية فى حداثة عهدها فى انجلترا والمانيا (١٨٨٦) فنزل جان جوريس عن كرسيه ورشح نفسه لمجلس النواب ففاز بكثرة ساحقه . وبدأ معارضته لكل تشريع يحيد بالجمهورية عن

طريق الحرية والاخاء والمساواة

كان جان جوريس رجلا ضخما فخما متين الاسر مفتول العضل ، براق العينين واسع الفم جهوري الصوت فصيح اللسان بليغ العبارة ، وقد صقله التعليم الاتباعي (كلاسيك) وآتته ضروب البيان تجرر أذيالها وقد خلص لسانه من لهجات الجنوب فكان أوضح ما يكون كلاماً وأبعد ما يكون سهولة في تنظيم الافكار وسردها في الفاظ عذبة مقبولة ، وقد يخطب ساعات متتالية فلا يرتج عليه ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يتلعثم ولا تدركه هيبة من السامعين وفيهم أمثال كلمنصو وبريان وهريو وأوجانيور وبريسون وفايان من فحول البلاغة من أنداده ومعاصريه



جان جوريس

وكان قلمه لا يقل عن لسانه سهولة وفصاحة واصابة لغرضه . فأنشأ جريدة الانسانية Humanite في سنة ١٨٩٣ وجمع اليها كبار الكتاب من أنصاره ومشايعيه أمثال جان لونجيه (صهر كارل ماركس) وديكو رسي وبلوم ورواتيه وارستيد بريان نفسه (من فحول البلغاء والمحامين والمشترعين وقد ولي رياسة الوزارة مرات متعددة)

فكانت جريدة الانسانية على صغر حجمها وضعف ميزانيتها تتفوق كثيراً على الصحف الكبرى الغنية التي تتضافر على اصدارها أفراد من أكبر السراة وشركات يضرب بثروتها المثل (كالطان والديبا والفيجارو الخ)

وكان جان جوريس لا يغلو في شيء من المذاهب وقد رسم لنفسه وحزبه خطة لا تختلف في قليل أو كثير عن خطط كير هاردي في انجلترا وأوجست بيبل في المانيا

ومن غرائب المصادفات أن ثلاثتهم قد قضوا نحبهم في أيام متقاربة بعد اشتعال نار الحرب الماضية . وقد علل الجمهور موتهم كأنهم على موعد بالمصادفة المحض ولكن مذكرات كثيرة نشرت

وأسرارا أذيعت تشير من طرف خفى إلى أن الرجعيين والمحافظين وأحزاب اليمين ودعاة الحرب تآمروا فيما بينهم على أدناء منية هؤلاء الثلاثة خوفا من أن يكونوا عقبة فى سبيل الحرب واداة لتحريض العمال والمزارعين وهم سواد الامة على العصيان وهجر ميادين الحرب أو الامتناع عن التجنيد ، ولا سيما أن الاشتراكية المعتدلة كانت متهمة قبل الحرب العظمى بحب السلم والعمل لتوطيد دعائمها ومحاربة الحرب بكل الوسائل

وقد كان مصرع هؤلاء الثلاثة سببا فى اغاظة الشعوب واظهار المبادىء المتطرفة كالمشاعية فى روسيا وايطاليا والمانيا وهنجريا وفرنسا عقب الحرب مباشرة بل أثناءها « روزا لكسمبرج — بيلا كوهن — فيرى — أزانا — ماكدونالد — هندرسون — موزلى الخ » وقد ظهروا كلهم فى الاوطان التى صرع زعماؤها عشية الموقعة الكبرى . دع عنك دعاة المشاعية الموسكوفية فقد طموا الوادى على القرى ، حتى أمسى الناس يبكون حتى غموا على عهد جان جوريس وكير هاردى وأوجست ببيل

كان جان جوريس حر الفكر لا يتقيد برأى معين ولكنه ترك الحرية لزوجته وابنته فكانتا متدينتين حتى ان ابنته تلقت علومها أثناء حياته فى أحد الاديرة

قال موريس باريس يصف زيارته بيت الزعيم القتيل بعد مصرعه بساعات معدودة « بلغت عتبة الدار وقلبى كأنه معلق بجناحى طائر من شدة الخفقان . فكيف لى أنا الخصم اللدود لجوريس أن أغشى داره ميتا ، ولم أزره يوما فى حياته ، وكيف يفسر ذووه تلك الزيارة المشؤومة فى نظرهم . ولكن لم يكن لى بد من أداء دين الكرامة والتقدير الى أهله وذكراه مهما كلفنى الامر من تحامل أو حياء . فلقيتنى فتاته ، وهى ذات قوام وجمال وجلال . لم يكن الحزن قد ترك لها ما تصلب به عودها ، وقد فجعت فى أحب الناس اليها ، ولم يكن له ولد ذكر يتلقى عزاء الاحباب والمقدرين . تقدمت اليها ففقدت نطقى وألجم لسانى . فقالت لى :

« لقد بلغتنا رسالتك فشكراً لك . انك لا ريب تود أن تراه مسجى فتفضل واتبعنى » فصعدت الدرج الى غرفة نومه ، التى انقلبت معبدا صغيرا

وكان الرجل العظيم راقدا فى سريره كأنه فى غفوة ، ثغر باسم وجبين عال وضاح وتقاسيم وجهه

كأنها لوضوحها وقوتها لم يعد عليها الموت . لولا مالفوا حول رأسه من عصائب تخفى آثار الجراح

ولما رأت الفتاة تأثرى قالت هازلة Le Voila ولشد ما كان وقع هـــذه الجملة القصيرة على نفسى . انها كتاب من الآلم والتأنيب والحسرة والصبر والفقد الذى لا يعوض

كان جوريس غنيا سريا فلم يجرؤ أحـــد من خصومه أن ينسب اليه الطمع فى المال ، أو الجرى وراء الغنى ، وكان قد جاهر بزهده فى المناصب ، مالم يل حزبه كله الحكم فى وطنه فلم يعرف عنه انه اغترف ذهباً من ناحية من الناحيات ولم يعـلم عنـه انه حاد قيـد شبر عن طريق حزبه الذى أسسه وتعهده وعمـل طول حياته على نمائه غابة يوما كلمنصو فى مسألة تفصيلية . فصعد جوريس الى المنـبر وقال بصوته الذى كان يشبه أنغام الفيلونشيل (مجلس النواب مايو سنة ١٩٠٩) « لقد بدا موسيو كلمنصو حياته فى هـــذا المجلس هنا بجوارى فى أحضان الشمال ، مجاهرا بمذهبه ، ثم ما زال يحبو ويخطو ويسترق الخطى ويدب حسب تتابع الاعوام ، وبلوغ رشد أغراضه ، حتى وصـل من أقصى اليسار الى أقصى اليمين ، لقد صار الرجل الاشتراكى محافظا فى مدى عشرين عاما لقد تغير هو وتبدل ، فاصبح يلوم الذين ثبتوا على رأيهم . انه يحفظه أن يبقى الرجال على ما عاهدوا وطنهم عليـه ويسوءه أن يفخروا بمبادئهم ، ويسره أن يقلبوا ثيابهم ويتزحزحوا عن خطتهم اذن يواليهم ويشد أزرهم »

كان جوريس شبه زاهد ، وفيه كثير من أخلاق الدراويش والفقراء ، فما عنى يوما بثياب أنيقة ولاغالية ، بل كان يرتدى ملابسه مجهزة من تاجر الشعب ويفضل الاقمصة التى لاتفارقها غلالتها ويختار ربطة العنق التى تتصل بقطعة من المعدن لايكلفه احكامها موقفا فى المرآة ، ولم يلبس القفاز ولم ينتعل حذاء يزيد ثمنه عن بضعة فرنكات .

وناهيك برجل عاش ومات فى باريس مدينة النور وعاصمة الاناقة ومحفل الرشاقة ومجمع الأزياء الحديثة واسمه على كل شفة ولسان وهو مع ذلك يعيش فى بردين اثنين كالذين ورثهما المملق عن ابيه ولم يعرف قط اماكن اللهو فقـد قادته قدماه ذات عشية الى حانة مكسيم ، بعـد نزهة طويلة فغشى المـكان ليبل ريقه بشراب الليمون ، ولم يلبث ان عرفه السادة والخدم ، حتى هتفوا باسمه وحملوه على الاعناق واخرجوا عتاق القنانى من بطون الكهوف ، فلم يتذوق جوريس غيرشراب الليمون ولم يقبل ان يكون ضيفا لاحد من عملاء الحانة التى جمعت فاوعت من البارونات والكونتات والوزراء

والاغنياء وعقائلهن من ربات الحجى والجمال

لقد ترك جان جوريس مؤلفات عدة اهمها

١ — تاريخ الثورة الفرنسية فى مجلدين

٢ — مشروع الحكم على النظام الاشتراكى واول فصوله تكوين الجيش الوطنى

٣ — قاموس الاشتراكية ٤ — الحقول والمصانع

٥ — تاريخ الكوميون (وهو النظام الذى ابتكره الثوار عقب حرب السبعين)

٦ — الوف المقالات فى الصحف والخطب فى مضابط مجلس النواب

٧ — دروس ومحاضرات فى الادب والتاريخ والسياسة

نقول لقد ذهب دم جوريس هدرا ولكن الله انتقم له ممن أوردوه موارد الردى فقتلوا وشنقوا وفضح الاحياء منهم وحوكموا على الخيانة العظمى التى تكشفت عنها حوادث التجسس الاجنبى ولم يبق من اعدائه احد حتى لقى مصرعه اومات ميتة معنوية

وقد اظهرت الحوادث انهم لم يكونوا يخشون جانبه خوف ابطال الحرب او تحريض الجند على رمى السلاح والتمرد حيال الغزو الاجنبي ولكن خوف ان يكشف سترهم ويهتك ثوب الرياء الشفاف الذى تدثروا به

وفى مشهده الفخم مشى كل عظيم فى فرنسا . وكان اكثرهم حسرة عليه اناتول فرانس الذى عاش بعده عشر سنين . وقد انتهز فرصة المرور بتمثاله فوقف وانتزع من شق سترته نيشان اللجيون دونور وهو اعلى نياشين الدولة الجمهورية وابى ألا ان يزين به صدر صديقه الراحل على مراى ومسمع من جمهور المشيعين والنظارة وكانوا يعدون بمئات الالوف . فساد الصمت وتعطلت لغة الكلام ، فلما ادرك الشعب معنى الوفاء والسمو والعظمة التى احتوتها تلك المكرمة الصامتة انطلقت الحناجر بهتاف للميت والحى ، حتى بلغت عنان السماء

واليوم يحتفلون فى فرنسا بانقضاء خمس وعشرين سنة على وفاة جوريس وقد اضاعوه واى زعيم اضاعوا ؟ لقد وهب حياته للانسانية والوطن ولم يبق على المذاود إلا شر البشر !

اما الخير المصفى فقد اندثر . محمد لطفى جمعه

أسس التربية الحديثة ومشاكلها

ثلاث محاضرات القاها الاستاذ بوفيه مدير معهد جان جاك روسو في القاهره
وترجمها الاستاذ امين مرسي قنديل

أصبحت الدعوة الى التربية الحديثة اليوم حركة واسعة تيسر لها ان تضم جموعا حافلة فى مؤتمرات دولية ومحلية يحضرها ألوف من المعلمين، وممثلو عدد كبير من وزارات المعارف التى تزعم أنها اعتنقت مبادئها ومارستها بالفعل. فالنفر القليلون من رواد التربية الحديثة الذين اجتمعوا فى « كاليه » فى سنة ١٩٢٢، قد وضعوا أساس حركة عامة. ولذا صار من الضرورى أن نبين على وجه التحديد ما نعنى « بالتربية الحديثة » و « بالمدارس الحديثة » فان هذه الألفاظ فى حد ذاتها لن تلبث أن تفقد مالها من معنى، ومثلها فى ذلك مثل « الجامع الجديد » الذى رأيته فى قبرص منذ أيام قليلة وهو الآن أطلال، ومثل « القنطرة الجديدة » فى باريس وهى اليوم تكاد تكون أقدم القناطر المقامة على نهر السين.

ومن بين الأصول والمبادىء العامة الكثيرة فى هذا الموضوع، يمكننا أن نختار طائفة منها ونبرزها على أنها صفات أساسية مميزة للتربية الحديثة، كتأكيد أهمية الطفل، أو العناية بفكرة الميل والاهتمام، أو اتصال المدرسة بالمجتمع. على أن القليل من التأمل يبين لنا أن كلا من هذه المبادىء قد وجد قبل التربية الحديثة، فاذا ما كتب رج عن « المدرسة التى مركزها الطفل » وإذا ما فاخر الألمان بالاصلاح الذى يبدأ من الطفل وإذا ما اتخذنا نحن شعارنا فى معهد جان جاك روسو: يتعلم المعلم من الطفل. فمن المعروف أن أحدا لم يكن أكثر غيرة على الطفل من شيخ المربين بستالوتزى وأن فكرة الميل والاهتمام قد سبق اليها هربارت وجعلها محور نظريته فى التربية. وليس من الصعب كذلك أن نبين أن جون ديوى لم يكن فى كتابه « المدرسة والمجتمع » أول من قال بضرورة الاتصال

الوثيق بين التربية والوسط الاجتماعى ، بل قد سبقه الى ذلك الكثيرون فى كل هيئة تعليمية وجدت فى كنف الدول أو الكنائس أو الجماعات على اختلاف أنواعها .

ومن المهم أن نبنى تعريفنا للتربية الحديثة على أساس لانغمط فيه فضل المدارس القديمة ، فليس أبعد عن الصواب من أن يظن البعض أن الذين يتكلمون عن التربية الحديثة إنما يقصدون بذلك الدعاية لنوع خاص من التربية يفضلونه والحط من قدر نوع آخر لايميلون اليه ، من غير أن يعنوا بتحديد الأسباب التى تبرر هذا التفضيل .

والذى يبدو لى أن الحد الفاصل بين القديم والجديد هو فى اختلاف النظر الى الصفات الأساسية للطفولة . فالى وقت قريب كان أكثر مايسترعى نظر المعلمين فى الطفل قدرته العجيبة من حيث هو كائن مستقبل يتقبل فى سنواته الاولى شتى أنواع المعلومات ويختزنها فى ذاكرته بسهولة ، وتنطبع فيه العادات صالحة كانت أم طالحة من غير عناء ، وتثبت هذه العادات وتلك المعلومات فى نفسه فلا يسهل محوها . وكان الرأى الشائع أن مايفوت الانسان تعلمه فى صغره لن يستطيع تحصيله فى كبره بعد أن تقل هذه القدرة على التقبل فيه . ولذا كانت الصورة التى يتخيلها المربون للطفل من عهد قدماء اليونان الى القرون الوسطى ثم الى أيام جون لوك هى صورة يمثل فيها عقل الطفل بلوح من الشمع تنطبع عليه الآثار الحسية ونتائج التعليم انطباعا لايمحى ، أو هى صورة القطعة من الصلصال فى يد الخزاف يشكلها كما يشاء . ومادام ذهن الطفل له هذه القدرة العجيبة على الاستقبال فلننتهز هذه الفرصة لملئه بشتى المعارف من ألفاظ وأشكال وحقائق ، ولنبادر الى تشكيل خلقه وصبه فى قالب ثابت جميل فى هذه الفترة التى يكون للمؤثرات الخارجية فيها ذلك الاثر البليغ .

وان مجرد النظر فى هذه الصورة للطفولة لكاف للدلالة على مافيها من عناصر صواب لاتنكر فاذا كانت التربية القديمة كما أعتقد مبنية على أساس أن الطفل قابل ، فليس معنى ذلك أن هذا الاساس واه ، وأنه يحق لنا أن نهدم كل ما بنى عليه . ومع ذلك فهناك تربية حديثة . وإذا لم يكن من الصواب إطراح الفكرة القديمة عن الطفولة إطراحا كليا فان من اللازم تكملتها بوجهة نظر جديدة . فالطفل قابل ولكن من الخطأ أن نظن أن قابليته هذه هى صفته الوحيدة أو الأساسية .

ولاشك أننا كنا ندرك طول الزمن الماضى كله أن صور الشمع والصلصال هذه لاتعدو أن تكون

صورا وتشبيهات ، فلا يصح اعتبارها وصفا أو تعريفا لعقل الطفل . فالطفل ليس مادة عديمة الحياة كالشمع أو الصلصال ، ولكنه كائن حى ، والحياة لا يمكن تعريفها إذا أهملنا قدرة الكائن الحى على تلبية دواعى بيئته فالحياة تنطوى على التلبية أورد الفعل — أى على النشاط والفاعلية . واذا كان الطفل كائنا حيا فهو بالضرورة فاعل ، ناشط .

وربما كانت هذه الحقائق معروفة من قديم الزمان . ولكن « علم نفس الطفل » (وهو علم حديث لم يكد يمضى على بدء وجوده الحقيقى أكثر من ٤٠ سنة) قد وجه نظرنا الى سبب آخر يدعو الى اعتبار الطفل ناشطا بالضرورة فالطفل ليس حيوانا فحسب ، ولكنه حيوان ناشىء حدث والحداثة يمكن تعريفها بأنها عهد النمو ، ومن المعروف الآن أن النشاط هو العامل الهام فى النمو الجسمى والعقلى .

وقد بين هذا بشكل أخاذ العالم الألمانى كارل جروس فى كتابه المشهور عن لعب الحيوان . وقد كان اللعب مدة طويلة من المشاكل التى تواجه علماء النفس . إذ لماذا يستنفد الانسان كل ذلك القدر من طاقته فى أمور يبدو أنها لا تؤدى الى نتيجة تستحق الذكر ؟ لم يجد العلماء جوابا شافيا عن هذا السؤال طالما كانوا يقصرون نظرهم على لعب الراشدين . ولكن جروس بين أن اللعب عند أنواع الحيوان هو فى الغالب — إن لم يكن دائما — من خصائص الصغار وحدهم . وفوق ذلك فقد كشف عن أمرين بسيطين ولكنهما يلقيان ضوءا وضاحا على الموضوع . أولهما أن لكل نوع من أنواع الحيوان ألعابه الخاصة . فالقطيطة تجرى وراء لفافة الخيط أو ورقة شجر جافة ، ولا يفعل ذلك فرخ الدجاجة أو الطفل البشرى . وقد تلعب صغار الماعز بأن ينطح بعضها بعضا ، ولكنك لا ترى جروا أو حمارا صغيرا يفعل مثل هذا . والامر الثانى أن أنواع اللعب الخاصة بكل حيوان لها علاقة ببعض أنواع السلوك المفيدة لذلك الحيوان فى كبره . فالقطة تنقض على الخرقة المتحركة فى وقت لا تكون فيه قادرة على الجرى وراء الفيران ، ولكنها ستصطاد الفيران فى مستقبل حياتها بطريقة مماثلة للطريقة التى تستعملها الآن فى القبض على الخرقة أو لفافة الخيط . والعنز حينما يتم نمو قرنيها ستستفيد من الحركات التى مارستها برأسها وهى صغيرة ، وكل هذا معناه أن اللعب عند صغار الحيوان يمكن أن يعد تمرينا إعداديا لازما لنمو وظائف أعضائها .

وقد كان صديقى كلاباريد الذى تعرفونه حق المعرفة أول من بين ما للحقائق التى كشفها جروس من الأهمية العظمى للتربية . فاذا كان الطفل يقضى معظم وقته فى اللعب فان هذا هو الشيء الطبيعى الذى ينتظر منه ، فاللعب هو الطريقة التى أعدتها الطبيعة لاظهار استعدادات الطفل الجسمية والعقلية ولنموها . واننا لنحسن صنعا ، نحن معاشر المعلمين ، إذا تابعنا الطبيعة فى أسلوبها . ولكنكم ترون كيف يؤدى بنا هذا كله الى اعتبار الطفل فاعلا أو ناشطا بالضرورة بحكم كونه كائنا حيا فى طور النمو

وخلاصة القول أن عصرا جديداً فى تاريخ التربية قد بدأ منذ اللحظة التى انتقل فيها جل اهتمامنا من قابلية الطفل أو قدرته على التلقى الى فاعليته أو نزوعه الى النشاط والعمل

وقد يبدو لكم كل هذا من الأمور الظاهرة التى لا تحتاج الى تدليل ، وقد يكون من الواجب على أن أعتذر عن اطالتى الحديث فى نقط لا تظهر ذات خطر كبير . ولكنى لا أحسب نفسى مبالغا إذا قررت أن جميع مشاكل التربية بلا استثناء تبدو لنا فى شكل جديد متى تحولنا إلى وجهة النظر الجديدة هذه . ولضيق الوقت سأضرب لذلك بعض الأمثلة وأترك لكم لذة كشف غيرها

إن مجرد دخول غرفة الدراسة والنظر الى ما فيها من أثاث وكيف رتب كاف للحكم عن أى الاتجاهين هو السائد على عقل المعلم أو السلطات المدرسية . فما اسم المكان الذى يعد ليتلقى الطلاب فيه المعلومات عن طريق الأذن والعين على الغالب ؟ قاعة الاستماع أو المسمع . وما اسم المكان الذى يعد ليقوم الطلاب فيه بنوع من أنواع النشاط ؟ قاعة العمل أو المعمل أو المصنع (الورشة) والآن من أى النوعين غرف الدراسة بمدارسنا ؟ أمسامع هى أم معامل ومصانع ؟

ثم انظر الى بناء المدرسة بوجه عام . ما نسبة الصالات المعدة للنشاط العملى فيها ؟ وما نسبة الغرف التى لا تسمح للتلاميذ إلا بأن يجلسوا ويفتحوا عيونهم وآذانهم ، ينظرون الى سبورة أو خريطة وينصتون الى صوت المعلم

وجدول الدروس ما شأنه ؟ إذا كان ما يعنينا هو إصغاء التلاميذ فاننا سنحاول تقصير الحصص لاننا نعلم حق العلم أن المدة التى يستطيع التلميذ أن يواصل الانتباه فيها لما يلقى عليه ليست طويلة . أما فى المدارس الحديثة ، فالمشكلة على العكس من ذلك تماما : كيف نرتب الامور بحيث نهيء للتلميذ الفرصة لان يستمر نشاطه فى الموضوع الواحد أطول مدة ممكنة . فاننا نحن البالغين إذا شرعنا

فى عمل لا نحب أن نقاطع بعد نصف ساعة أو ٤٥ دقيقة . فلم نقاطعه إذن ما دمنا نريد أن ندربه على نوع من العمل شبيه بعملنا :

والكتب المدرسية كيف نجدها ؟ إن الكتب المقررة فى المدارس التى تسير على الأساليب القديمة قد أدخل عليها تحسين عجيب . فهى تطبع طبعا واضحا بقدر الامكان وقد أضيفت اليها الجداول والخرائط والملخصات ، وجعلت الكلمات الهامة بخط ثقيل يلفت النظر اليها . وكل ما فى هذه الكتب من صور وخرائط وغير ذلك إنما يقصد به مساعدة الذاكرة البصرية وهى أهم ما تعنى به المدارس القديمة من القوى العقلية . أما الكتب فى المدارس الحديثة فلا بد أن تكون مخالفة لذلك تمام المخالفة . فهى ليست مخازن لمعلومات متراكمة ، ولكنها آلات أعدت لاستعمال التلاميذ . ومع أنه لم يكمل بعد اعداد كل الكتب التى تلزم المدارس الحديثة . فان فى وسعنا أن نذكر مثالا واحدا على الأقل يمثل ذلك الصنف من الكتب أحسن تمثيل ، وهو القاموس الموسوعى ذو الحجم المعتدل بحيث يسهل تناوله على التلاميذ . (وقد كانت فرنسا بظهور قاموس جازبيه ولاروس فيها أول بلاد وضعت هذه الآلات البديعة لتحصيل المعارف فى أيدى التلاميذ ، وتبع ذلك ظهور قاموس ملزى فى اللغة الايطالية وآخر فى اللغة الالمانية . ولا شك أنه ظهر أمثال ذلك فى سائر اللغات الآن) وظاهر أنه لا يمكنك استخدام القاموس كما يستخدم كتاب مدرسى عادى ، وأقصد بهذا أنه ليس فى وسعك أن تحمل ذاكرتك كل ما فيه من غير تمييز ، وانما ترجع اليه كلما أحتجت الى معلومات تستعين بها على حل مشكلة معينة فى الهجاء أو النحو أو التاريخ أو الجغرافية . فعند الاستعانة بالقاموس يكون العقل ناشطا وليس مستقبلا فقط

ولنلق بالنا الى لفظة «مشكلة» التى ورد ذكرها فى الحديث الآن . فان هذه اللفظة من مميزات المدارس الحديثة إلى حد أن « كلاباريد » قد استعملها للدلالة على ما يجب أن نواجه به عقل التلميذ فى كل درس . لان المشكلة هى المحرك للنشاط العقلى . فالدرس الذى يتكون من عرض الحقائق قد يملأ الذاكرة اذا اتخذت الحيطة لحسن استقبال هذه الحقائق ، أما التفكير الفعلى فانه يثار فى العقل من طريق يخالف ذلك تماما ، وهو طريق التوجه الى الميول الحية فى الطفل

ومعنى هذا أن نظام المدرسة الحديثة لا يمكن أن يكون نظام الجمود والصمت الذى يطالب به

جمع من المستمعين المستقبلين . وكلنا نعلم ان المعمل أو المصنع الدقيق فى نظامه قد يبيح — بل قد يتطلب — شيئا من الحركة وتبادل المعلومات .

وكذلك يتأثر بتغير وجهة النظر فى التربية واجب المعلم أو المعلمة وكيفية أعدادهما لعملهما

* * *

أن أساس التربية الحديثة اعتبار الطفل كائنا حيا له نشاطه التلقائى وغرائزه وميوله . أما نصيبى فى هذه الحركة فهو أنى صغت التعبير الفرنسى «مدرسة النشاط» للدلالة على ما أسماه جورج كرشنشتينر فى المانيا « مدرسة العمل » تنطوى على شيء من اللبس ، وأن نوع العمل الذى قصد مربى حونيخ الكبير أن ينشره فى المدارس التى يشرف عليها يحتاج الى وصف أدق . ولشد ما اغتبطت حين سمعت كرشنشتينر نفسه يصرح لى بأنه يرى أن الترجمة الفرنسية أدق فى تأدية الفكرة التى قصد التعبير عنها من الاصل الالمانى . إلا أنه لابد لى أن أعترف بأن اسم «مدارس النشاط» لم يرض كل الناس وقد نشأ حوله شيء من سوء الفهم . ولذا يفضل صديقى كلاباريد أن يستعمل اسم «التربية الوظيفية» لما فيه من اشارة الى النظرية البيولوجية التى تجعل النمو نتيجة للعمل ، أى لقيام العضو بوظيفة . وقد بين كلاباريد أن مواطنه العبقرى جان جاك روسو كان أول من نادى بهذا النوع من التربية نداء صحيحا فى كتابه « اميل »

وإذا بحثنا فى أمريكا عن أكثر التعبيرات التى تؤدى هذه الفكرة تداولا وجدنا اسما نشعر أنه فى حاجة إلى شيء من التعليق وهو اسم «طريقة المشروعات» لصاحبه كلباتريك الاستاذ بجامعة كولمبيا فى نيويورك . وإذ كانت مهمة المدرسة أن تعد تلاميذها ليصبحوا رجالا نافعين فمن الحق أن نبحث عن مميزات نشاط الراشدين . واذا فعلنا ذلك نستطيع أن نميز فى سلوك الراشد وحدات للنشاط قائمة بذاتها وكل منها تستمد وحدتها من وجود غرض واحد يتخللها . فهذا الغرض ، سواء اخترناه من تلقاء أنفسنا أو جاءنا من وحى الغير وقبلناه ، يتسلط على عقولنا فنوجه جهودنا عن طيبة خاطر لتحقيقه . ويحدث ذلك كله دائما فى محيط اجتماعى ، من غير ان يغيب عن بالنا الغرض الاجتماعى من النشاط الذى نقوم به . وهذا « النشاط الذى يرمى إلى غرض يجد الانسان فى تحقيقه بدافع من نفسه وفى محيط اجتماعى » هو ما يسميه كلباتريك « بالمشروع » . وهناك بالطبع أنواع عدة من

المشروعات ولكن مميزات المشروع واحدة سواء أكان المقصود إعداد محاضرة ام إصلاح بسكليت ومن واجب المدرس أن يراعى أن كل عمل يجرى فى المدرسة يتخذ شكل مشروع

ولنحاول الآن أن نشرح القصد من ذلك . فكل مشروع — من كتابة مقال لمجلة المدرسة إلى بناء حظيرة للأرانب — يمكن تحليله إلى أربع مراحل متتالية

فالمرحلة الاولى هى مرحلة اختيار وتحديد للغرض الذى يراد بلوغه (إذ يجب أن يعرف التلاميذ ما الذى يسعون لتحقيقه ، ولماذا يسعون لذلك)

والمرحلة الثانية مرحلة المناقشة فى الوسائل التى تؤدى إلى تحقيق الغرض ورسم الخطط اللازمة. ففيها يفكر التلاميذ مقدما فى الخطوات التى يتعين عليهم أن يخطوها ، والغايات القريبة التى يجب أن يصلوا اليها قبل بلوغ الغرض النهائى

والمرحلة الثالثة مرحلة التنفيذ الفعلى للخطة المرسومة

والمرحلة الرابعة مرحلة تقدير قيمة النتيجة : هل تحقق الغرض الاصلى فعـلا ؟ وهل كان فى الامكان تحقيقه من طريق أقصر وأقل عناء ؟ وهل تدلنا التجارب على تحسين الوسائل التى اتخذت لتحقيقه ؟

وهذه الخطوات التى تتبع فى التعليم بمدارس النشاط تحل محل خطوات هربارت الشكلية التى ظلت نصف قرن من الزمان مسيطرة على مدارس المعلمين فى جميع أنحاء العالم. وهنا ترون أن التحليل التقليدى للدرس الى تمهيد وعرض وربط وتعميم وتطبيق إنما كان تطبيقا لقوانين التذكر فى حين أن مراحل كلباتريك ليست إلا خطوات لعملية النشاط نفسها

وكلباتريك كما تعلمون يعد نفسه تلميذا للفيلسوف « العملى » جون ديوى وفى الواقع ترى صلة متينة بين الملخص السابق وبين تحليل عملية التفكير الذى وصفه ديوى فى كتابه « كيف نفكر » إذ جعل خطوات التفكير كما يأتى : أولا — وجود مشكلة ، ثانيا — صوغ فرض ، ثالثا — تجريب الفرض ، رابعا — نقد الحل الذى نصل اليه

فنقطة البداية هى المشكلة إذ لا يمكن أن يوجد تفكير حقيقى ينطوى على النشاط إلا وهو ناشىء من مشكلة تثيرها عقبة أمامنا . فاننا لا نفكر فى الشوارع التى نسير فيها عند ذهابنا

من المنزل الى المدرسة إلا إذا اعترضت الطريق المألوف عقبة ما واضطرتنا الى تخيل وسيلة نستطيع بها أن نجتاز هذه العقبة. وكذلك لا يمكن أن نصل الى تدريب التلاميذ فى مدارسنا على التفكير مالم نوجه عنايتنا الى أن نثير فى عقولهم مشاكل تبعث فيهم الاهتمام ويشعرون أنها حقيقة حية جديرة بالحل.

وكلمة الاهتمام هذه جديرة بالبحث الدقيق، وقد يكون من المفيد أن نتبع ديوى فى تحليله البارع لها. فالنشاط يمكن أن يجلب لصاحبه نوعين من اللذة والارتياح يختلفان فيما بينهما تمام الاختلاف. فالحصول على مرتب حسن يمكن المرء من أن يعول أسرته هو مبعث سرور له. ولكنه لا توجد علاقة ضرورية بين ذلك السرور وبين النشاط الذى أدى اليه. إذ قد يشعر الانسان بأن العمل نفسه ثقيل متعب. ففى مثل هذه الحالة نقول أن اهتمام الانسان بعمله اهتمام خارجى، والجزاء خارجى كذلك لأن السرور آت من خارج العمل.

ولكن هناك نوعا آخر من اللذة يمكن أن نسميه بحق لذة ذاتية، فهى لا تنشأ من الخارج بعد انتهاء العمل ولكنها تلازم المجهود الذى نبذله. ويمكن وصفها بانها نوع من السرور يجده الانسان فى العمل نفسه، ومبعثه — كما اعتدنا القول — «الميل» أى لذة العمل الذاتية. وماينطبق على عمل الراشد ينطبق بالمثل على العمل الذى يقوم به التلاميذ فى المدرسة. فقد نستطيع أن نحملهم على الاهتمام بموضوعاتهم الانشائية ومسائل الحساب.. الخ بان نربطها بنوع خارجى من اللذة: كالجوائز والدرجات العالية والترتيب المتقدم وما شابه ذلك. وكثيرا مانفعل ذلك فى الواقع فى مدارسنا بنجاح عظيم، ولكن يجب ألا نغفل اننا بعلمنا هذا وباعتمادنا على خوف التلاميذ من العقاب أو حبهم للثناء لا نؤلف رابطة داخلية بين ذلك العمل واللذة الناشئة منه. فهم لا يحبون العمل ولكنهم يحبون الجائزة. فاذا مازالت الجوائز المدرسية فى حياتهم المقبلة ظل ذلك النوع من العمل الذى كان مرتبطا بها متعبا مملا لا يبعث فى النفس سرورا. وهذه النتيجة سلبية محضة من وجهة التكوين الخلقى.

وليس الامر كذلك اذا كان النشاط المدرسى يقوم على الميل الذاتى، بأن يرتبط باحدى النزعات الفطرية التلقائية العميقة التى نسميها بالغرائز. فان وحدة العقل حينذاك تصبح حقيقة واقعة، وترتبط فكرة المجهود الذى يتطلبه العمل بالسرور الذى يجده الانسان فى المجهود نفسه. وفائدة ذلك

من الناحية الخلقية واضحة .

واذا ماوجه الينا ذلك الاعتراض التافه الذى مؤداه أن الحياة فى حاجة الى مجهود شاق ، وأن مهمة المدرسة الرئيسية — هى الاعداد للحياة لا تسليه الاطفال وتركهم يعملون مايحبون — اذا وجه الينا مثل هذا الاعتراض ، فاننا نجيب بما أجاب به كلاباريد إذ يقول « أن التربية الحديثة لا ترمى الى أن يترك التلاميذ يعملون مايحبون ، بل تريد منهم أن يحبوا مايعملون »

وقد كان جمع النشاط المدرسى حول « مركز واحد للاهتمام » مطمح أنظار المربين الذين اشتغلوا بالبحث عن أصول التعليم مدة قرن كامل . ولكن « الاهتمام » كان فى نظر هربارت وأتباعه صفة من صفات المادة اذا جاز لنا هذا التعبير . فكان يرى أن على السلطات المدرسية المختصة أن تختار مقدما مادة مشوقة وتقدمها للطفل بالطريقة الملائمة . أما فى « التربية الوظيفية » فى كتابات ديوى وكلاباريد ، فان « الاهتمام » ينظر اليه من ناحية مخالفة لهذه تمام المخالفة ، وهى الناحية البيولوجية فكل كائن فى المملكة الحيوانية له ميول حيوية تؤدى به الى للبحث عما يعينه على تحقيق سعادته الشخصية وترقية نوعه والى تجنب مايعوقه عن ذلك . « فالميل » هو ظهور دوافع ونزعات فى شعور الفرد تتجه نحو تحقيق لذة مادية أو عقلية .

وفى أشد المدارس إسرافا فى التجديد — وهى التى تسير على طريقة المشروعات — يختار التلاميذ أنفسهم « مركز الاهتمام » تبعا لما توحى به الظروف العارضة . وانك لتجد فى كتاب كولنجز البديع المسمى تجربة فى منهج مشروعات أمثلة حية للمشاكل التى تثيرها الظروف والمناسبات فى عقول التلاميذ وكيف يتخذ منها العالم حافزا لهم على البحث والتعليم . فقد اصيب احد التلاميذ بحمى التيفوئيد فهيأ ذلك للمدرسة فرصة البحث فى أسباب هذا المرض وغيره من الاوبئة . وقد أدت المناقشة فى مشكلة دخول الولايات المتحدة فى عصبة الامم وكذلك القبض على أحد المجرمين ومحاكمته الى بحث مسائل نظام الحكومة والتربية الوطنية .. الخ ، والى حصول التلاميذ بأنفسهم على مايحتاجون اليه من المعلومات . أما نتائج ذلك من ناحية التحصيل المدرسى فمرضية الى حد مدهش

إلا أنه يجب علينا أن نقر أن الاقدام على هذا النوع من التعليم الذى يعتمد على اقتراحات الاطفال التى لاضابط لها يعتبر فى نظر كثير من المدرسين مغامرة خطيرة .

وهنا أود أن ابين لكم بعض الخطط المختلفة للمدارس الحديثة التي استطاعت أن تجد سبيلا وسطا بين تلك الطرق التي اعترف أنها تنطوى على الجرأة وبين التقاليد الهربارتية التي تقول باختيار الراشدين للموضوعات التي يرون أنها تشوق الأطفال معتمدة على مالها من صبغة تاريخية ضعيفة كقصة روبنسن كروزو وأبطال التوراة والاساطير الجرمانية .. الخ .

فقد اختارت المدارس الروسية أشكال العمل المختلفه كمراكز للاهتمام . وشاهدت فى بولنده فكرة طبقت فيها بنجاح عظيم ، وأظنها نبتت فى الاصل فى فينا ، وهى دراسة بيئات الطفل الاجتماعية فى دوائر تتسع على التوالى : الاسرة ، فالمدرسة ، فالقرية أو الحى ، فالمدينة ، فالمقاطعة ، فالأمة ، فالعالم أجمع .

ولعل خير هذه الطرق فيما أرى هى الطريقة التى ابتدعها المأسوف عليه الطبيب البلجيكى دكرولى وذلك نظرا لمرونتها العظيمة . وقد شاهدت تطبيقها فى مدارس المدن فى بلجيكا وجنيف وفى مدارس القرى فى تركيا حيث تطبق بنجاح كبير ، وكذلك فى مقاطعة الكاب فقد سررت بما سمعته عما يجرى فيها من التجارب .

« ومراكز الاهتمام » فى طريقة دكرولى يختارها المدرس ولكنه يختارها وهو واثق من أنها لابد أن تثير فى نفس الطفل شوقا حيا . وهذه « المراكز » ليست « مواد » تقدم إلى الطفل إنما هى حاجات الطفل الدائمة كالطعام والملابس والمسكن والوقاية وهى تتصل اتصالا وثيقا بحياة الطفل نفسها فاذا ماتمشيت مع الميول المستثارة كنت واثقا من أنك مخلص للشعار الجميل الذى اتخذه دكرولى وهو « التربية للحياة بواسطة الحياة » .

ويجدر بنا أن نقول كلمة عن كيفية تنفيذ هذه الطريقة عمليا . وأول مانقوله هو أنه كما أن أتباع هربارت يوصون باتباع خطوات معينة فى تقديم كل موضوع إلى التلاميذ فكذلك يرى دكرولى أن على المعلم أن يعمل على أن تنتج العمليات الآتية من كل مشكلة من المشاكل التى يدرسها الطفل وهى الملاحظة ، والقياس ، والربط المكانى ، والربط الزمانى ، والتعبير الحسى ، والتعبير النظرى . وقد تظهر هذه المصطلحات جميعها ألفاظا مجردة ولكنا اذا ترجمناها إلى لغة المدرسة العادية كانت كما يأتى : مشاهد الطبيعة ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والرسم وعمل النماذج ، واللغة

(الكتابة والهجاء ، والقراءة والانشاء) . وهى كما ترون تشمل منهاج المدارس الاولية بأكمله

ولنضرب لذلك مثلا من دروس المبتدئين : « هل تناولت طعام الافطار هذا الصباح» « نعم. ماذا تناولت؟» « يندر أن يحتاج المدرس إلى حث التلاميذ على زيادة الملاحظة » تناولت لبنا أو قهوة وكم تناولت منه ؟ فنجانا واحدا أو فنجانين ؟ كم فنجانا يسعها وعاء اللبن ؟ وكم ملعقة فى الفنجان ؟ « القياس »

ثم بعد ذلك : ليست كل الفناجين متساوية فهلا تستطيع أن تجد طريقة أدق لقياس الكميات ؟ «ودكرولى يبدأ الحساب دائما بالقياس الحسى المرتبط بخبرات الطفل وجسمه» من أين يأتى اللبن ؟ من اللبان . أين مكان لبانكم ؟ هيا نبحث عن جميع حوانيت اللبانين الواقعة فى هذه المنطقة «الربط المكانى» . فيبحث التلاميذ فى الشوارع عن حوانيت المأكولات أو يخرج الفصل بأكمله إلى السوق أو إلى المحطة ليشاهد وصول عربات اللبن . . الخ . هل كان قدماء المصريين يتناولون فى افطارهم نفس الالوان التى تتناولها الآن ؟ لم يكن لهم عهد بالقهوة أو السكر . ولم ذلك ؟ ومتى بدأ استعمالها ؟ (الربط الزمنى) وكما توجد خرائط للمدينة والمملكة والعالم كله فى الفصل لتساعد على تحديد الارتباطات المكانية ، كذلك توجد على جدران فصول مدرسة دكرولى التقاويم والخرائط الزمنية لتساعد على وضع الحقائق التى تتعلق بكل مركز من مراكز الاهتمام فى زمنها الصحيح من الاسبوع أو الشهر أو السنة أو من تاريخ العالم كله

أما الرسم وعمل النماذج فليسا فى حاجة الى التعليق

أما عن التعبير بالالفاظ فيجب أن نلفت الانظار الى طريقة دكرولى فى تعليم القراءة والكتابة . فهى تهيىء فرصة للاتصال الوثيق بين هذه المواد الدراسية التقليدية ومراكز الاهتمام أكثر مما هو مستطاع فى المدارس العادية . فان دكرولى يعلم القراءة بما يسميه الطريقة الكلية — وهى طريقة «أنظر وقل» كما يسميها الانجليز وفى هذه الطريقة تدرس الكلمة وأحيانا الجملة قبل تدريس الحروف. فمن البداية ، فى درس الافطار مثلا ، يطلب دكرولى الى الاطفال أن يرسموا صورة لمائدة الافطار ويكتبوا عليها بعض الكلمات التى تفسر أجزاء الصورة مثل لبن . وعاء . فنجان . . الخ وذلك بأن ينقلوا هذه الكلمات كما هى من السبورة وهم لا يعرفون بعد معنى كل حرف من حروفها . أو هم

يستطيعون فى أثناء بحثهم عن محلات بيع الالبان فى المدينة أن ينقلوا العبارات المنقوشة على الحوانيت ويدربوا على الاصوات المرتبطة بها

وتتميز المدارس الحديثة المختلفة بعضها عن البعض بما تهتم به من نزعات تعليمية خاصة . فدكرولى يهتم باستخدام غريزة الاقتناء والجمع وما يتصل بها فى المراحل المتأخرة من ميل للتصنيف والتمثيل البيانى . فكل طفل يجمع ما يميل اليه ثم يجعله دكرولى يفرغ مافى جيوبه فى الفصل . وهناك تجد فى البداية ثلاثة صناديق معنونة كالآتى :

الحيوان ، النبات ، المعادن . وكل من هذه الصناديق مقسم بحيث يفصل المواد الغفل «الخام» عن منتجات الانسان الصناعية . ثم يشجع الطفل فيما بعد على جمع الصور (من المجلات ومن البطاقات المصورة) وترتيبها وفرزها كلما تقدم فى دراسة الحاجات الانسانية المختلفة التى ترتبط بها

والاطفال فى مدرسة دكرولى لهم كناشات عجيبة يصبح فيها الربط المكانى والزمانى فرصة لجمع محصول قيم من الصور الايضاحية .

وفيما بعد تتجه غريزة الاقتناء نحو جمع الوثائق . لأن المراهقين فى المدارس الثانوية لايزالون يميلون الى معرفة كيفية توزيع مصادر الاغذية بين البلاد المختلفة فتحل بذلك محاصيل القمح فى روسيا وارجنتينا ومايرتبط بهما من الاحصائيات محل المناظر المصورة التى كانت تستعمل فى السنوات السابقة .

وهذه الطريقة مرنة للغاية لان الامور التى اختيرت لجعلها مراكز اهتمام تتصل فى الواقع بأهم الميول البشرية .

إن الطرق الاخرى تحتاج الى اعداد طويل ، أما هذه الطريقة فيستطيع أى منكم أن يجربها فى فصله غدا وهى لابد ستساعده على جعل درسه حيا شائقا . وستجد بعد مضى سنين انك مازلت توالى تحسين طريقتك فى استعمال تلك المراكز لخير الطفل وفائدته العقلية .

* * *

وجه الى أحد المستمعين السؤال الآتى :

كيف نستطيع أن نجعل كل مادة شائقة للتلميذ تسترعى ميوله ، وكيف يتاح لنا ذلك فى دروس

النحو والهجاء على وجه خاص ؟ وسأجيب على هذا السؤال بشيء من الاسهاب لانه داخل فى نطاق بحثنا ، وهو يتيح لى فرصة بديعة للتوسع فى الحديث عن مختلف أنواع المدارس الحديثة وللبحث فى مشاكل المناهج وللطرق التى سنعود اليها عند الكلام على علاقتها بالامتحانات .

والآن : كيف السبيل الى جعل كل مادة من المواد الدراسية مشوقة مثيرة لاهتمام الطفل ؟ لقد ورد الجواب العام عن ذلك فيما سبق من الحديث ، وهو : بجعل المادة تشبع رغبات الطفل وتسد حاجة من حاجاته ، ففى هذه الحالة يتوجه الى دراسة المادة مدفوعا بنزعة من نزعاته الفطرية التلقائية ولكن هذا الجواب لايحل مشكلة الطريقة التى يجب أن تتبع ، إذ كيف نربط ميول الطفل بمادة كالاملاء أو النحو ؟

سأجيبكم على هذا بوصف بعض الطرق التى استعملتها مدارس مختلفة فى ثلاثة أقطار ، وإنى وان كنت لا أعرف على وجه التحقيق ما نوع الصعوبات التى يلاقيها تلاميذكم ، أستبعد أنكم لاتجدون فى إحدى هذه الطرق التى جربت وظهر نفعها فى البلاد الاخرى مايمكنكم تطبيقه والانتفاع به فى مدارسكم .

وأول ما يخطر ببالى الطريقه التى اتبعت فى مدرسه بيرس بكمبردج — وهى من أفضل الامثلة للمدارس الحديثة ، وتتصف بالجرأة التامة فى تجاربها — وقد وصف لنا المستر كولدول كوك مدرس اللغة الانجليزية بها فى كتابه الطريف عن «طريقة اللعب» كيف نجح فى بث الميل للخط والهجاء فى نفوس التلاميذ من سن العاشرة الى الثانية عشرة . فقد تلا عليهم بعض القصائد الانجليزية القديمة التى تحتوى على قصص الفرسان فى العصور الخالية من أمثال ماقصة الشاعر تنسن فى قصيدته « قصة الملك » واستثار حماستهم لما قام به هؤلاء الفرسان القدماء من جلائل الاعمال ، حتى تاقت نفوسهم الى كتابة قصائد يتغنى بها مثل التى سمعوها . وكان يشرح لهم كيف كانت الاشعار فى سالف الزمان تكتب على لفائف من الجلد وتحلى بحروف جميلة مكتوبة باللونين الاحمر والمذهب لذلك أراد التلاميذ أن يبذلوا كل مافى وسعهم لكتابة قصائدهم بخط جميل ومن غير خطأ فى الهجاء أيضا ، حتى لا تقل فى رواتها عن تلك القصائد القديمة ، وفيما بعد استرعتهم القصص التمثيلية ، فطمحوا الى تقليد شكسبير نفسه . وكان عليهم فى هذه الحالة كذلك أن يكتبوا مايؤلفونه بهجاء صحيح

وفى أحدى المدارس الريفية فى القسم الايطالى من سويسرة وجدت السنيورة بوسكيتى أنه من الصعب أن تستثير شوق التلاميذ - وهم فلاحون من أوساط غير مثقفة - الى كتابة الموضوعات الانشائية التى يتطلبها المنهج . فرأت أن تطلب الى كل منهم أن يكتب لنفسه فى كراسته مذكرات يومية بسيطة فى سطور قليلة عما يسترعى انتباهه فى حياته العادية ، ولم تطلب منهم أن يقرءوها بصوت مسموع ، فقد كانت فى بادىء الأمر مذكرات خاصة للتلميذ والمعلمة فقط . وقد شجعتهم فيما بعد على إضافة بعض الرسوم من آن لآخر لتوضيح ما يكتبونه فى مذكراتهم . فنجحت هذه الطريقة نجاحا مدهشا . فكانت تلك المذكرات تسجل ولادة حيوان فى المزرعة أو مجىء طفل جديد فى الأسرة أو وصف بعض الاعياد الريفية أو حصاد المحاصيل الزراعية وجمع الكروم ، كل هذا بأسلوب عليه طابع السذاجة والصراحة . وكانت نتيجة التجربة أن زاد فهم المعلمة لتلاميذها وأن أحب التلاميذ الكتابة

ولكن أعظم تلك الطرق دقة فى التطبيق ، وربما جاز لى أن أقول أظرفها ، هى تلك الطريقة التى اتبعت منذ سنين فى عدد من أفقر المدارس الابتدائية فى فرنسا . وكانت تلك الطريقة نتيجة لمجهودات مدرس بسيط اسمه المسيو فرينيه وقد أطلق عليها اسم طريقة « المطبعة فى التعليم » . وفى الحق لو تساءلنا عن أكثر الناس احتياجا للهجاء الصحيح لوجدنا أنهم بطبيعة الحال عمال المطابع ، أولئك الذين يقضون طول النهار فى صف الحروف وعمل « البروفات » وإصلاحها . إذن لماذا لا نستفيد من إدخال آلة الطباعة فى فصول المدرسة ؟ فكر فرينيه فى هذا وأحضر مطبعة صغيرة هى لعبة من تلك اللعب التى تباع فى كثير من الحوانيت ، ثم حسن آلتها وهيأها لتكون صالحة لغرضه الخاص ثم جعل الاهتمام الشديد الذى أثاره استعمال حروف المطبعة فى أطفال فصله محورا جمع حوله سائر مواد الدراسة الابتدائية . فكان يقول لتلاميذه « ليعد كل منكم للغد موضوعا طريفا عما يحدث حولنا الآن وسوف نطبع أحسن الموضوعات . وفى اليوم التالى تقرأ كل الموضوعات وتناقش ، وكان الاختيار متروكا للتلاميذ أنفسهم ، مع جواز إضافة شىء للموضوع الذى يختارونه أو تصحيحه فى أثناء كتابته على السبورة ، مع مراعاة صحة الهجاء بالطبع . وبينما يكون الفصل مشتغلا بعمل تحريرى أو شفهى يكون التلميذ الذى انتخب طابعا فى ذلك اليوم مشغولا بطبع القطعة وعمل البروفات وتصحيحها وعندما تنتهى دروس الصباح يكون التلميذ قد طبع صفحة ، وتظهر منها نسخ بعدد الاطفال الموجودين فى

الفصل . فتكون لتلك الصفحة قيمة أجل وأنفع من أى صفحة فى أى كتاب، من كتب المطالعة أو الكتب الدراسية الاخرى .

وقد أدخلت على هذه الطريقة عناصر تحسين جديدة بعد أن انتشرت وطبقت فى مدارس كثيرة فى مختلف أنحاء البلاد فأصبحت تلك الصفحات اليومية تغلف بغلاف واحد معين وتحمل عنوانا خاصا بها ، وترسل بالاجر الرخيص الذى ترسل به المطبوعات الدورية بالبريد إلى جميع المدارس المشتركة فى تنفيذ هذه الطريقة . وتصل إلى تلاميذ فريني بالتالى صفحات كتبها أطفال فى مثل سنهم يصفون فيها أفراح الأطفال وأحزانهم فى سائر أنحاء البلاد ، وتلك هى الجغرافية الحية . وإنى أذكر لكم أنى لم أقرأ فى حياتى قصة أعطتنى فكرة واضحة عن متاعب أطفال الصيادين كما أعطتنيها صفحات قليلة كتبها ولد صغير من إحدى المدارس فى ميناء صغيرة فى مقاطعة بريتانى

وأخالكم ستتساءلون عن الطريقة التى تجعل الاملاء أيضا مثيراً لشوق التلاميذ وميولهم . ويجدر بى أن أصرح من أول الامر أن الاملاء قد يكون وسيلة طيبة لاختبار الهجاء ، ولكنه وسيلة عقيمة لتعليمه . وتمرين التلميذ على نقل قطع مكتوبة أجدى كثيرا فى تعليم الهجاء من تمرينه على الكتابة من الاملاء . لذلك يحسن بنا أن نراجع خطط الدراسة ونقلل بقدر الامكان من دروس الاملاء وينطبق هذا على الأجرومية الفرنسية . أما الاجرومية الانجليزية فانى لاذكر بشأنها نتائج البحث الذى أجرته حديثا وزارة المعارف عن تعليم اللغة الانجليزية فى انجلترا وهذا البحث ينحو نفس الاتجاه الذى تكلمت عنه . ويتفق معه فى ذلك التقرير الذى وضعه معلمو اللغة الانجليزية فى المدارس المصرية والذى أكدوا فيه أهمية القراءة كغاية ووسيلة لتعليم اللغة . أما نحو اللغة العربية وفائدة هذا النحو فى المنهاج فانى أعترف بعجزى عن التكلم فيه

على أن هذا لا يحل مشكلة المدرس . بل لا يزال له أن يتساءل : إذا وجدت نفسى ازاء خطة للدراسة معينة وضعتها السلطات المدرسية وفيها عدد معين من الساعات لمادة من المواد ، فما أنا صانع لاستخدام تلك الساعات على أحسن وجه ؟ وبأى الغرائز يمكننى أن أربط هذه المادة ؟ وللاجابة على هذا أقول بوجه عام إنه يمكننا فى كل وقت أن ننتفع بغريزة الجمع والاقتناء التى تستغلها طريقة « دكرولى » بنجاح عظيم ، فكل الاطفال يحبون جمع الأشياء . فلنطالبهم بجمع الكلمات . فبدلا من

أن نعطيهم مثلا جدولا من الكلمات التى تنتهى بالحروف IGHT وجدولا آخر بالكلمات التى تنتهى بالحروف ITE فى اللغة الانجليزية ، لنكلفهم البحث عن هذه الكلمات بأنفسهم ، وعندما يعثرون على واحدة من هذه الكلمات نطلب اليهم وضعها فى الموضع المناسب لها فى « البوم » يعدونه لذلك . فكلمة RIGHT يجب أن توضع فى الخانة اليمنى ، وكلمة RITE فى الخانة اليسرى ومثل ذلك وغيرها من الكلمات التى لم تكن تخطر لنا ببال ولكنها لا تستعصى على حماسة «الجماعين» وإن وجد التلاميذ صعوبة فى تذكر معانى بعض الكلمات فلنكلفهم أن يوضحوها بالرسم إلى جانبها

والقاعدة الاساسية فى كل هذا أننا يجب أن نرمى الى أن يكون التلميذ هو الفاعل . فعليه أن يبحث عن الكلمات ويضعها ويكتبها ويوضحها بالرسم . أما اذا أعطيناه جدولا بالكلمات جاهزا فاننا بذلك نعود الى الفكرة القابلية عن الطفل ونحرمه الفوائد التى يستطيع أن يجنيها من قيامه هو بالنشاط الذى تقضى به عملية التعلم

إن الفرق بين الطريقتين كبير . ويمكنك أن تقوم بمثل التجربة الآتية :

أطلب من أحد المبتدئين أن يبحث فى قاموس عن أربع أوست كلمات تنتهى بالحروف ITE ومثلها تنتهى بالحروف IGHT ثم سجل الوقت اللازم للعثور على هذه الكلمات الثمانية أو الاثنتى عشرة و كتابتها

وفى اليوم التالى جهز أنت بنفسك قائمة بها ٨ أو ١٢ كلمة أخرى من نفس النوع ، وقدمها لنفس التلميذ ، واترك له مدة تساوى المدة التى لزمت له فى اليوم السابق الذى عمل فيه قائمته بنفسه ودعه يذاكر هذه الكلمات فى تلك المدة . ولكى تختبر النتيجة أنتظر أسبوعا أو أسبوعين ، ثم اطلب من التلميذ أن يسرد عليك الكلمات التى يتذكرها ، أو أمل عليه الست عشرة كلمة أو الأربع والعشرين التى أخذها . إنى لا أشك مطلقا فى أنك ستجد أن الكلمات التى جمعها هو بنفسه بنشاطه أثبت فى ذاكراته من التى تعلمها عن طريق التلقى والاستقبال

وهناك غير هذه ضروب من اللعب عديدة يمكن استعمالها لتعلم مجموعة كلمات . ففى حالة صغار الاطفال يمكن رسم أشكال تدل على الكلمات المنتهية بـ IGHT و ITE على طرفى قطع الدومينو ثم يطلب من الاطفال أن يرصوا القطع رصا صحيحا بحيث توضع كلمة LIGHT ملاصقة لكلمة

SIGHT أو NIGHT وكلمة BITE ملاصقة لكلمة QUITE ولكن لايجوز وضعها ملاصقة لكلمة BRIGHT وهلم جرا

أما ميادين الجمع فى دروس الأجرومية فانها لا تقع تحت حصر . فيمكن جمع اجزاء الكلام أو ألافعال الشاذة التى تكون من نوع واحد كما يمكن أن تتخذ من كل قائمة كلمات وكل قاعدة وشواذها فى الاجرومية باعثا للتلاميذ على الجمع والتصنيف مع استعمال الاقلام الملونة لكتابة النتيجة بشكل منظم جميل .

وليست غريزة الجمع هى كل ما نستطيع الاستفادة منه . فهناك الميل الى السيطرة الذى أهم مظاهره الكفاح . ففى وسع المعلم أن يستفيد فائدة كبيرة من غريزة الكفاح والمباراة وان كان يجب عليه الا ينسى الأخطار التى تصاحب الاستعانة بهذه الغريزة القوية فاذا عقدت فى درسك مباراة سواء أفى الهجاء أم فى النحو أم فى أية مادة أخرى ، فكن واثقا من أنك ستثير حماسة واهتماما كبيرين لانك قد استعنت بغريزة لا تضعف . وانك لتجد فى ذلك من الاهتمام عند التلاميذ ما يجعلك فى غنى عن استعمال أى نوع من أنواع الثواب كالدرجات وغيرها ، فحسب الفائز لذة الفوز الذاتية وشعوره بأنه قد انتصر فى المسابقة . ولعله من المناسب أن أشير هنا الى الخطة الحكيمة التى تسير عليها حركة الكشافة التى أنشأها السير بادن باول ، فهم دائما يلعبون العابا تدخل فيها المنافسة ولكنهم لايكسبون علامات الشرف التى يفخرون بلبسها على صدورهم أو أذرعهم من طريق المباراة وانما تعطى لمن بلغ مستوى خاصا من المهارة دلت عليه أعماله. وفوق هذا فان المسابقات فى الكشافة تكون عادة مسابقات جمعية بين الفرق . فكذلك فى الدروس يمكننا أن نتلافى الاخطار الاخلاقية التى يحتمل أن تنجم عن المنافسة الى حد بعيد ، اذا جمعنا بين غريزة القتال وغريزة التعاون وذلك بأن نجعل اهتمام التلميذ متجها إلى فوز الجماعة التى ينتمى اليها لا إلى فوزه هو شخصيا

ولقد سمعت عن لعبة فى الأجرومية الانجليزية تلعب بانتظام فى إحدى المدارس الثانوية الفرنسية فقد قسم الفصل إلى فريقين يلعبان أحداهما ضد الآخر طول السنة . وكان كل فريق يسأل الفريق الاخر ثلاثة أسئلة فى كل حصة يجيب عنها ثلاثة تلاميذ ، أولهم يختاره الفريق المسئول (وهم بطبيعة الحال سينتخبون أحسن من يستطيع الاجابة ، والثانى يختاره الفريق السائل (وهم طبعا

سيختارون من يتوسمون فيه الضعف وعدم القدرة . وأما الثالث فيختاره المدرس الذى يهمه إعطاء فرصة للاجابة لتلميذ متوسط . ولقد قيل لى إن تقدم هذا الفصل فى الأجرومية الانجليزية كان تقدما مدهشا .

ولعلكم تلاحظون أن أمثلتى الاخيرة مخالفة فى نوعها للأمثلة التى ذكرتها فى بدء الكلام طرق كولدول كوك وسنيورا بوسكتى وفربنيه . وهذا يقودنى إلى الكلام عما اعتقد أنه أهم الفروق التى تميز بين المدارس التى تعترف بأهمية نشاط التلاميذ نشاطا حقيقيا .

فالمربون الاشد تمشيا مع النزعة التجديدية يعتقدون أن الغرض الوحيد الذى يتعين على المدرسة أن تسعى اليه هو تنمية عقل الطفل بتغذية ميوله التلقائية ونشاطه الذاتى وتوسيع مداهما . وأما تحصيل المعلومات التى تعد ذات قيمة وكسب المهارة فى القراءة والكتابة والحساب فكلها وسائل للوصول إلى هذه الغاية ليس إلا . هذه هى المبادىء التى يتبعها كولنجز فى طريقته التى نجحت نجاحا يأخذ باللب فى مدارس مسورى الريفية .

وهناك مدارس أخرى تعكس هذا الموقف ففيها لا يزال غرض المدرسة تعليم المواد التقليدية من قراءة وكتابة وحساب وما يرى إضافته اليها من العلوم . وهى تعنى باثارة شوق التلاميذ ونشاطهم كى يكون من ذلك وسيلة تكفل الوصول إلى هذا الغرض فى إتقان وسرعة ، فليس ثم تغيير فى المنهج ولو أن التغيير فى تنظيم الفصول وتأثيثها كبير ، وأشهر المدارس التى تمثل هذا النوع الاميل إلى المحافظة ، المدارس التى تسير على طريقة منتسورى أو على طريقة دالتن لمبتكرتها هلن باركهرست

وأخيرا هناك نوع من المدارس وسط بين هذين النوعين فلا هو يجعل قابلية الطفل خادمة لفاعليته ولا هو يجعل فاعلية الطفل خادمة لقابليته وانما يعتبر النشاط والتحصيل غرضين يجب أن نرمى اليهما معاً ويسيرا جنبا الى جنب فى المنهج وفى جدول الدروس ، وسوف نعود للكلام عن هذا النوع عندما نعرج عل مشكلة الامتحانات فى التعليم الحديث

والآن ، دعونى أقف وقفة طويلة عند مدارس القسم الثانى :

فطريقه منتسورى طريقة معروفة فى جميع أنحاء العالم ، وسيظل بعض ما كتبته فى كتابها الاول الذى تصف فيه تجاربها الأولى فى « بيوت الاطفال » من أبلغ ما كتب عن مبادىء التربية :

ويكفى أن دعوتها شملت احترام الطفل ، وضرورة تنسمه لحياة الحرية ، وواجبات المدرس الحديث ولكن من الغريب أنها بينما قد جاءتنا بأساليب تنطوى على كثير من الحذق والتحايل لتحسين الخط من أول مراحل الدراسة أو لتعليم القسمة المطولة أو لتمكين الطفل من معرفة قواعد النحو فيما بعد ! فليس فى طريقتها شىء يدلنا على الوقت المناسب لتعليم هذه الاشياء . فهى قد سلمت بالمناهج التقليدية كما هى ، واكتفت بان تبين لنا كيف يمكن استعمال الدوافع الطبيعية فى الطفل لتحقيق أغراضنا التعليمية الاصلية .

ويلاحظ مثل هذا أيضا فى طريقة دالتن وهى طريقة نشأت فى بلدة صغيرة اسمها دالتن من أعمال ماساتشوستس ثم استعملت فى انجلترا بوجه خاص بنجاح باهر .

ولم تغير مس باركهرست المنهج بل تركته كما هو ولكن كما أن زميلتها الايطالية تعطى الطفل حرية كاملة ليتحرك كما يشاء فى حجرة قد ملئت بأشياء توجهه اتجاها خاصا فى أعماله — وهى أجهزة منتسورى الشهيرة — فكذلك فى معامل مس باركهرست كل تلميذ حر فى انجاز مايتطلبه المنهج فى الوقت الذى يحدده ، فله أن يقضى الصباح بأكمله فى دراسة الحساب أو نصفه فى العلوم الطبيعية ونصفه الآخر فى الأجرومية . وهو ينتقل من مادة الى أخرى على حسب ميله . وهذه الحرية تأتى بنتائج مدهشة .

وهناك شرطان أساسيان لنجاح هذه الطريقة وأولهما يتعلق بتنظيم المدرسة والفصول . ففى مدارسنا الأولية توجد الآن فصول يشرف عليها مدرس واحد يدرس لهم جميع المواد الدراسية ويقضى التلميذ كل وقته فى غرفة واحدة حتى ينقل الى فصل أرقى له غرفة أخرى . أما فى طريقة دالتون فالفصول تحول الى معامل يخصص كل معمل منها لمادة واحدة من المواد الدراسية ويجهز بكل ما تحتاجه تلك المادة من الكتب والخرائط . فيكون لكل من الحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والانشاء ، والنحو والهجاء ، والتاريخ الطبيعى . الخ ، معمل وعلى رأس كل معمل من تلك المعامل مدرس يتخصص فى المادة . وبذلك يتيسر للاطفال أن ينتقلوا من حجرة الى أخرى كما يروق لهم فى نهاية كل حصة وهم يجدون أنى ذهبوا من يساعدهم فيما يصادفهم من الصعوبات ، ويلاحظ مدى تقدمهم فى كل مادة

أما الشرط الثانى فهو أن كل تلميذ يعطى فى أول كل عام منهجا قسم فيه العمل المطلوب منه الى أقسام مفصلة . فبدل أن يوضع مقرر السنة فى سطور قليلة كما هو متبع فى المناهج المعتادة ، يقسم هذا المقرر الى أقسام يشتمل كل قسم منها على عمل نصف السنة أو على عمل شهر بل قد يكون التقسيم أحيانا الى مقررات أسبوع فأسبوع أو حصة لحصة . و بذلك يرى الطفل أمامه عمل السنة كلها واضحا مرتبا ، وقد حددت له المراحل التى يتعين عليه أن يجتازها بالترتيب ، فليس له شىء من الحرية فى اختيار السبل التى يسلكها ، ولكنه يعطى الحرية ليقطع كل طريق أمامه -- وأمامه بالطبع طرق بعدد المواد الدراسية — بالسرعة الملائمة له . أما المدرس فيلاحظ من سجل كل تلميذ مبلغ ما وصل اليه ، ويستحثه كلما وجده أبطأ كثيرا فى مادة خاصة

ونتائج هذا حسنة . اذ يلذ للاطفال الاستمتاع بالحرية التى منحوها ويشعرون بالمسئولية الملقاة على عاتقهم ، والمدرس يرتاح للتخصص فى مادة واحدة لان ذلك يساعده على اتقانها . ولكن يجب ألا نغفل أن هناك خطرا فى هذه الطريقة التى تحمل فى ظاهرها سمات الثورة . وهو أن قيمتها توقف على قيمة المنهج الذى يعلم بها . فاذا كانت المناهج التى تعطى للتلاميذ مجرد قوائم تحتوى على الحقائق التى يتعين عليهم حفظها ، فان الطريقة فى حد ذاتها لا تجعل من المدارس التى تستعملها مدارس حديثة . أما اذا أعطى التلاميذ مشاكل يتطلب حلها تفكيرا حقيقيا فانها تكون حينئذ طريقة عجيبة



الاسرة السعيدة

ذكريات مدنى عن الحرب الماضية

فى اغسطس من سنة ١٩١٤ اعلنت الحرب الكبرى . وانصدمنا بها فى مصر على غير توقع وفى غير استعداد لمطالبها . وهذا يخالف ماحدث لنا فى الاشهر القليلة السابقة للحرب الحاضرة فاننا جميعنا لغطنا بالحرب وكنا نتوقعها بين شهر وآخر ان لم نقل بين يوم ويوم

ذلك ان حرب سنة ١٩١٤ وقعت بسبب حادث يشبه ان يكون فجائيا هو اغتيال احد الصربيين لأرشدوق نمسوى . ومع ان التسابق فى التسلح كان عظيما والمباراة فى القوة البحرية بين بريطانيا والمانيا تنذر بالشر فان الحرب لم تكن لها اسباب مرتبة مهيأة كهذه الحرب التى يعانيها العالم الآن ولذلك حتى بعد اغتيـال الارشدوق النمسوى وارسال بلاغ اخر من النمسا الى سربيا لم يكن احد يتوقع ان الحرب ستنفجر وتلتهب الدنيا بها التهابا عاما . ولكن هذا البلاغ الاخير تلته بلاغات اخيرة الواحد تلو الآخر وامسينا واصبحنا واذا بكل شىء يسير على قاعدة الحرب بدلا من قاعدة السلم . او بكلمة اخرى يمكن ان نقول ان حرب سنة ١٩١٤ اخذتنا على غرة

اما الحرب الماضية فقد ارجفنا بها قبل وقوعها بما يقرب من عام . ولم يكن احد يقدر الاقتصاديات الجديدة التى ستفرضها الحرب . ولذلك فوجئنا بغلاء فاحش فى بعض المصنوعات وبانخفاض فاحش فى اثمان بعض المحصولات وكان اعظم ما نكبنا به فى تلك السنة انخفاض ثمن القطن . ولو ان احدا كان بصيرا بالمستقبل لاستطاع ان يبعث الاطمئنان اذ لم تمض سنتان على اعلان الحرب حتى كان القطن اثمن المحصولات فى العالم واغلاها . وقصة القطن فى الحرب الماضية هى مأساة مضحكة . فقد بيع القنطار مدة هذه الحرب بثمن يتراوح بين جنيهين وخمسين جنيهـا . وكان ارتفاع الثمن يبلغ احيانا خمسة جنيهات او اكثر فى يوم واحد . وفى مثل هذه التقلبات العظيمة وقف العقلاء من التجار وتقدم المجانين . اذ لا يقدم على تجارة يكون فيها الارتفاع والسقوط فى يوم واحد بمثل هذه المبالغ غير مجنون . ولكن الحظ ساعد هؤلاء المجازفين فجمعوا ثروات ضخمة سرعان ما اضاعوها لان

جراءتهم لم تقف عند حد . فكانت كالموجة العالية حملتهم الى الامام بسرعة . ولكنها ارتطمت في النهاية بصخرة عاتية فمزقتهم شر ممزق

وكان اعظم ارتفاع لثمن القطن سنة ١٩١٩ حين بيع القنطار بمبلغ ٤٠ او ٥٠ جنيها . فلما كانت سنة ١٩٢٠ كان الطمع قد اخذ بالنفوس فتمسك كثير من المزارعين باقطانهم وهم يظنون ان القطن قد استوى على خمسين جنيها للقنطار . فكان اذا قصد اليهم التاجر ولوح امامهم بثلاثين جنيها للقنطار ردوه اشنع رد كأنه قد سبهم . ولم تمض اشهر حتى كان القطن يباع بثلاثة جنيهات ولا يجد من يشتريه مع ذلك

عرفت شقيقين في احدى قرى الوجه البحرى في ذلك الوقت باعا كل ما يملكان من بقر وجاموس وارض وبيت واشتريا بالثمن قطنا حتى استتم لهما نحو مائتى قنطار . وكان مجهودهما عظيما في جمع هذا المقدار وقد ضحيا بكثير في سبيله . وكان التجار يعرضون عليهما الثمن بين ٤٠ و٤٧ جنيها فلا يجدون غير الرفض . لأنهما اصرا على الخمسين . ثم جاء الانخفاض العظيم الى ثلاثة جنيهات . فمات احد الاخويين كمدا واضطرب عقل الثانى . ولم يقتصر الغلاء على القطن اذ عم كل شيء تقريبا . والفدان الذى كان يؤجر بعشرة جنيهات ارتفع ايجاره الى ثلاثين أو اربعين جنيها . ولكن في الوقت نفسه زادت ارباح الناس فلم يكن احد يشكو التعطل .

* * *

وبسبب المفاجأة التى اشرت اليها لم تكن الجرائد قد استعدت بمخزون من الورق . فكانت الاهرام تصدر في ورقة واحدة اى صفحتين . وكان هذا شأن سائر الجرائد . اما الآن فلا خوف من هذه الناحية لان اراجيف الحرب التى مضى علينا عام ونحن نسمعها قد اوحت الى اصحاب الجرائد باختزان مقدار كبير من الورق . ومعظم الصحفيين الحاضرين قد اختبروا او ابتلوا الحرب الماضية ومن هنا استعدادهم للظروف الجديدة

ويمكن ان نقول بوجه عام ان الحرب الماضية في سنواتها الاربع قد صارت اقتصادياتها في مصر على هذا النحو :

السنة الاولى كساد عام وانخفاض مؤلم في ثمن القطن

والسنة الثانية تحسن قليل

والسنة الثالثة انتعاش في ثمن القطن رد الثقة وبعث النشاط فى جميع الاعمال

والسنة الرابعة هى رواج عام تنتهى الى جنون عام من غلاء القطن

* * *

اما اخبار الحرب فكانت موجزة ولكنها مع الايجاز غير ناقصة . وكانت البلاغات الرسميه للقيادة الحربية فى بريطانيا وفرنسا والمانيا تجرى على هذا النسق التالى :

بلاغ رسمى بريطانى : خرج جنودنا فى مـكان بالميدان الغربى . وكان الجو صافيا والبرد منعشا فاغاروا على الخندق المقابل واستولوا عليه بعد جهاد عنيف ابدى فيه الجنود الالمان شجاعة فائقـة . ثم تغير الجو من الصفاء الى الغيم

بلاغ رسمى فرنسى : ضرب العدو بمدافعه البعيدة المدى الـكنيسة الـكاتدرائية الـكبرى فى مدينة انفانسيبل فحطم وجهتها التى كانت تعد ذخراً تاريخيا من اثار المثال صان ريفال . وهذا يدل على وحشية البوش التى لا يستطيع ان ينزل عنها

بلاغ رسمى المانى : قامت جنودنا فى الخندق رقم ١٥ بغارة بعد تمهيد بالمدافع . وقد استولوا على الخندق الفرنسى رقم ٦ من القطاع ٧ من خط الدفاع الثانى وبذلك صار خطنا اهليليجيا من الوسط

هذا هو اسلوب الاخبار عن الميدان الغربى . وبقيت الحال كذلك الى ان رجحت كفة الحلفاء فى السنة الاخيرة من الحرب . اما الميادين الاخرى فكانت اخبارها ابعث على الاهتمام

وكان فى الشرق ثلاثة ميادين احدهما فى العراق والثانى فى جاليبولى وفى كليهما لم يوفق الحلفاء الى النصر . ولـكن كان التوفيق عظيما للانجليز فى تنظيم القتال فى جزيرة العرب وفلسطين حين كان اللورد اللنبي يقوم بالقيادة ولورنس يبعث الحماسة فى نفوس المجاهدين من العرب الذين دخلوا دمشق ظافرين .

* * *

اما الشعور العام مـدة الحرب . فـكان الاعجاب بالنظام الالمانى اولا . ثم استنكار حرب الغواصات والغازات والطائرات . واخيرا صار الشعور يزداد عمقا فان قوة الانجليز تتزايد وموارد

الامبراطورية تتكشف فلم يمض العام الاول من الحرب حتى صارت الثقة عامة بان الحلفاء سينتصرون.
وذلك ان الحصر البحرى الذى اوقعته بريطانيا بالمانيا اخذ رويدا رويدا يصل الى غايته المنشودة فى عرقلة جميع الصناعات الالمانية التى تحتاج اليها الحرب . فاستقر الاعتقاد بانتصار الحلفاء لهذا السبب . واصبحت النهاية معروفة قبل عام من تحقيقها

« * »

ماذا رأينا نحن من الحرب الماضية ؟

كنا نسمع بها ولا نراها . كنا نرى الجنود من استراليا والهند وزيلندا الجديدة وجنود بريطانيا كما كنا نرى قطع الاسطول البريطانى فى بور سعيد . ومنه البارجة التى تتهادى كأنها القلعة . ومنه النسافة التى تجرى على سطح الماء كأنها اتومبيل فى سباق . وكان جنود استراليا ينفقون الجنيه كأنه مليم . كما ان الهنود قد جاءونا بعادتهم فى احراق الموتى . وكنا من وقت لآخر نرى الجرحى او الناقهين فى القاهرة او الاسكندريه

ولكنا رأينا شيئا من الحرب فى طائرة المانية مرت كالبرق فوق القاهرة فالقت قنبلة فتتت الارض بالقرب من ميدان سوارس وقنبلة اخرى فى الفجالة سقطت فوق مطحنة مهجورة . ولم يقتل احد من القنبلتين

* * *

وكانت الحرب جديدة طارئة فى السنة الأولى كل شىء فيها يطالبنا بتغيير عاداتنا . ولكن لم ندخل فى السنة الثانية ثم الثالثة حتى تولتنا عقلية الحرب . فاصبحت هى الحال المألوفة . وصار أحدنا يسمع الجدال يقوم بشأن ثمن القطن وكيف أن التاجر الماكر يريد أن يشترى القنطار باربعين جنيها فقط . فهل فى الدنيا ظلم أكبر من هذا ؟ واذكر أنى دخلت أحد الأسواق الريفية فوجدت الثور يباع بستين جنيها والجاموسة بسبعين وثمانين جنيها . ولم لا ؟ اليس هذا المبلغ ثمن قنطار أو قنطارين من القطن ؟

وشاعت بيننا أوراق النقد بخمسة قروش وعشرة وخمسة وعشرين قرشا . وكانت زاهية مزخرفة ولكنها كانت تبلى بسرعة لكثرة حركتها فى التنقل . وكنا نعيش أيام الحرب وكأن الدنيا

قد استقرت عليها لن نعرف السلام أبدا. حتى أن عقد الهدنة قوبل بين الجمهور بين مصدق ومكذب لا لأن أحداً قد شك فى انتصار الحلفاء فى نهايته بل لأن عقلية الحرب قد صار يصعب انتزاعها . وصار السلام شيئا بعيدا جدا

* * *

ولكن الطبقات المستنيرة فى مصر وغير مصر كانت منذ منتصف الحرب تقريبا تنظر نظرة الرجاء الى الرئيس ولسون. فانه كان يستقطر مبادىء جديدة للسلم من دماء الحرب. وكانت لغته لغة الطموح الروحى فى حين كان الطمع المادى هو الغالب على أوربا . وقد بعث ولسون انتعاشا جديدا فى النفوس وصارت مبادئه منارة يهتدى بها المثقفون فى أنحاء العالم ويلحون فى الاخذ بها . فقد دعا الى عصبة الامم والى التحكيم والى جحد الحرب ومعاقبة المعتدى. ومأساة ولسون هى فى الحقيقة مأساة الانسانية كلها . لان هذه الافكار العالية بل هذه المثليات لم يطق الساسة فى الدول الكبيرة والصغيرة أن يأخذوا بها لا لشىء الا لأنهم لم يرتفعوا الى مستواها. حتى حكومة ولسون نفسها لم تعترف بمبتكراته ولم تنضم الى العصبة ورأينا الامريكيين يجحدون ولسون . ويرى الرجل نفسه وقد تبددت كل أمانيه وأنهار البناء الذى وضع ترسيمه للأمم لكى تحيا حياة السلام فهو يعيش السنوات الأخيرة وكأنه ميت قد ماتت نفسه قبل جسمه . ونحن فى مصر فى سنة ١٩١٨ كنا نجد فى مبادىء ولسون تباشير العصر الجديد . وكانت كلمة « تقرير المصير » تقع على قلوبنا كالبلسم . وقد وجدنا فيها التأييد للحافز الوطنى. وكانت نهضتنا سنة ١٩١٩ تعتمد على كثير من مبادىء ولسون وحاجة الاعتراف بتقرير المصير للامم الصغيرة . ولست الآن فى سياق شرح النهضة المصرية التى أعقبت الحرب الكبرى فاننا جميعا نعرف تفاصيلها أما بالاختبار واما بالتاريخ ولكن يجب الا ننسى انها لم تكن مقتصرة على السياسة أى تحقيق الاستقلال والدستور فان بنك مصر بفروعه العديدة يرجع الى هذه النهضة . وذلك لاسباب وجيهة. فقد شعرنا مدة الحرب الكبرى بضيق بل بحرمان فى كثير من المصنوعات وعرفنا عندئذ اننا عيال على الامم التى تجهز لنا ملابسنا وكثيرا من طعامنا ومواد البناء بل تجهز لنا الصغير التافه من المصنوعات مثل الأزرار والابر والحبر والادوية البسيطة فاتجه المفكرون وجهة التفكير فى توفير الصناعات فى مصر. وكان المصرى العظيم محمد طلعت حرب باشا الذى ترك قبل

أسابيع ادارة بنك مصر يعمل فى غير طنطنة لايجاد القواعد الاقتصادية الجديده المتينة لمصر . وقد نجح. وهو الآن فى شيخوخته التى أدعو الله أن يسعد بها طويلا يجب أن يشعر أنه قد زكى حياته بالعمل الوطنى المثمر

فاذا سئلت الآن : ماهى عبرة الحرب الماضيه ؟ لاجبت قبل كل شيء انه ليس فى الدنيا ما هو العن من الحرب . فانها تلغى العقل وتطلق الشهوات وتقتل الجميع بلا حساب وتهدم وتدمر وقد تكون مضاعفاتها العن منها سواء فى الانظمة أم الصحة . فان الفوضى التى عانتها روسيا كانت احدى نتائجها . وقد تفشت حمى عجيبة دعوناها باسم الانفلونزا سنة ١٩١٩ قتلت مالا يقل عن عشرة ملايين . وكانت هذه الحمى بلا شك من مضاعفات الحرب . اذ هى جاءت عقب سنين من الضيق والحرمان وما نشأ منهما من ضعف هيأ الاجسام لقبولها والموت بها . ويكفى للبرهان على ذلك ان هذه الحمى باعراضها التى عرفناها لم يحدث مثلها قبل الحرب أو بعدها

وصحيح أن الحرب تكون أحيانا سببا لابتكار مبادىء انسانية جديدة أو هى تدفع بعض المخترعات مثل الطيران الى الامام ولكنها تترك من الاحقاد والاحن مالا تضارعه أية فائدة منها حتى يصح القول بان أهم الاسباب للحرب هو الحرب

أما عبرتنا نحن فى مصر فقد ذكرت منها النهضة السياسية والنهضة الاقتصادية . ولكن كانت هناك أشياء أخرى تدعو الى الاسف بل الحسرة . فان كثيرين — وخاصه المزارعين — انخدعوا بالارتفاع الشاذ فى أثمان محصولاتهم حينما كانوا يبيعون اردب القمح بستة جنيهات وقنطار القطن بعشرين أو ثلاثين جنيها . فتغالوا فى ثمن الارض الزراعية وصاروا يشترون الفدان باربعمئة جنيه أو خمسمئة جنيه . ويؤدون جزءا من الثمن لعله النصف أو أكثر ويتركون الباقى للسنين القادمة . وكان هذا من خداع الأيام. اذ أن هذه «السنين القادمة» جاءت بانخفاض هائل فى الاثمان فعجز المشترون عن سداد ديونهم حتى حين كانت ربع أو خمس الثمن . وذهب موفورهم من النقد كما ذهبت أرضهم. وبقيت ديونهم القديمة

أما أولئك الذين فازوا فهم الذين سددوا ديونهم . فليكن من هذا عبرة لجميع المدينين من المزارعين الآن

واذا شئنا أن نستنتج من الحرب الماضية للحرب القائمة لقلنا ان هذه الحرب التى لن يشك فى انتصار الديمقراطيات فيها ستنتهى بايجاد الاداة القوية لتنفيذ مبادىء ولسون . لأن كل رجل متمدن يشعر أن لو كانت عصبة الأمم قوية ولو كانت مبادئها تجد الولاء العالمى كما تجد الوطنية لما انفجرت هذه الحرب . ونظن أن الرجاء فى عالم أمثل بعد هذه الحرب ليس رجاء اليأس والضعف بل هو يقوم على حاجة عامة يشعر بها جميع المتمدنين . لأن الحرب لا يمكن أن تستمر وسيلة للاعتداء والغصب الى الأبد

اما من حيث المكتشفات والمخترعات . فان الحرب على الدوام تلهمهما وهذا ميدان مجهول . ولكن مما يمكن ترجيحه الى حد التأكيد ان الاقمشة الكيماوية ستكثر جدا . وسنرى أنفسنا بعد الحرب فى مصر ونحن فى حيرة بشأن القطن . فان الحرب تستهلك القطن . و كذلك يزداد الاستهلاك نحو عام عقب الصلح . ولكن عندئذ تظهر الاقمشة الكيماوية وتزاحم القطن وتطرده من جميع الاسواق . فلنفتح أعيننا من الآن الى هذا المصير المنتظر . ولنشرع فى توفير جهودنا لايجاد الصناعات الريفية والمدنية التى تأخذ مكان القطن

وليس شك أيضاً فى أن الطيران الجوى بعد الحرب سيحتل مكانا واهمية أوسع مما كان له قبلها . فقد كانت المباراة قبل الآن فى سرعة التنقل . أما الآن فهى مباراة للنصر . فاذا انتهت الحرب فان الحياة المدنية ستنتفع بالتقدم فى الطيران وستستخدمه فى التنقل وخاصة نقل البريد

أن الحرب كارثة بشرية والضمير الانسانى يستنكرها ، ولكنها مثل كل محنة تجر فى أذيالها من الوان الضيق ما يجب أن ينبهنا الى حاجاتنا المادية والمعنوية حتى نعبىء قوانا لمواجهتها .



بين حبيبين ....

هل نطلب المستحيل؟

للانسة زكية عزيز

يقع على عاتق الام — بطبيعة مركزها من البيت والاسرة — واجب دقيق عظيم الأهمية ثقيل التبعة بعيد الأثر: ذلك هو الاشراف على تربية أبنائها فى السنوات الاولى من حياتهم، والعناية بتنشئتهم نشأة جسمية ونفسية سليمة

وكل أم تحب زوجها وأبنائها وبيتها تعرف أنه ليس هناك سعادة تعادل سعادتها حين تشعر بانها وفقت فى اراحة زوجها وارضاء أبنائها وإشاعة السكينة والسلام فى بيتها — ولكنها كثيرا ما تقف دهشة حائرة وهى تسأل نفسها « لم لا يسود هذا السلام المنشود بيتها وهى التى تكرس معظم ساعات يومها فى اداء ما عليها من واجبات وملاحظة ما عليها من مسئوليات، حتى انها لتنس فى هـذا السبيل راحتها، وتضحى ببعض مسراتها الخاصة مثل العناية بملبسها وزينتها، أو تبادل الزيارة مع صديقتها الخ » وهى فى حيرتها لا تعرف ان وزر هذه الحالة يقع أولا وأخيرا عليها

إن مثل هـذه الأم كثير، وهى السبب فيما تشكو منه، بل الواقع انها هى التى تضع بنفسها الحجر الاساسى لقصتها المتعبة، وذلك عندما تبدأ بحسن نية وبكل اخلاص تقبل على الاضطلاع بما عليها من المسئولية لاول عهدها بتربية أبنائها

ولا ريب أن الاحساس بالمسئولية فى ذاته إحساس جميل يود كل زوج أن يلمسه فى زوجته لانه يكون بمثابة القبس من النور يضىء فى أفق حياتهما الزوجية مبشرا بالخير والسعادة . ولكنه وحده لايكفى إذا لم يصاحبه ادراك مستنير لرغبات الطفل وتكييف اهوائه، وتوجيه نزعاته لمصلحته، وكشف الكامن من استعداده الطبيعى وتفهمه الفهم الصحيح — والام التى تجعل من همومها العناية بهـذه الناحية، إنما تعمل فى الوقت ذاته على سيادة النظام فى بيتها وتوفير الراحة لنفسها ولزوجها، وبالتالى

على خلق هذا الجو البيتى الجميل الذى يميز حياة السيدة الهانئة

ولا يتبادرن إلى الذهن أن هذه العبارات نظرية لا تستطيع أن تجد لها تطبيقا فى الحياة العملية، فسيرى القارىء أنى فى القصة التى سأقدمها اليه الآن إنما اختار مثالا مما يحدث كل يوم وفى كل بيت ، وهو مأخوذ من صميم هـذه الحياة : تكون الام فى الغالب منصرفة إلى العناية بشئون منزلها والاشراف على الخدم فى أثناء قيامهم بأعمالهم ، فاذابها تسمع صوتا أو أصواتا مزعجة متتالية فى سرعة تجعلها تقف عن عملها فجأة وفى فزع ، محاولة أن تتبين نوع هـذه الأصوات ومصدر انبعاثها . ثم ينصرف ذهنها أول ما ينصرف الى البحث عن طفلها ، فتنتقل من حجرة الى أخرى منقبة عنه منادية عليه حتى تجده آخر الامر فى احدى الحجرات — ولتكن حجرة النوم مثلا — غارقا بين مجموعة مضطربة مبعثرة من مختلف الزجاجات والعلب ، وقد كسر بعضها وانقلب البعض الآخر فلوثت محتوياتها ملابسه وجسمه ، وسالت بقيتها على الأرض — تصوير دقيق لا مبالغة فيـه لحادثة مألوفة تقع كل يوم وفى كل بيت — وإتماما للصورة أضيف أن الام بمجرد رؤيتها هذا المنظر العابث تثور وتغضب وتتدفق مؤنبة الطفل ، وقـد تستعمل فى تأنيبه بعض الفاظ السباب ، بل قـد تعتدى عليه بالضرب أيضا — طالبة منه ألا يعود إلى مثل هذا العمل مرة أخرى ، وإلا فالويل له كل الويل!

ان الام التى تتصرف هـذا التصرف — وهى الغالبية بين الامهات مع الاسف — تخطىء فى حق طفلها أكبر الخطأ ، وهى تدل به على جهل فاضح بطبيعة الدوافع التى تحرك الطفل فى سن الثالثة أو الرابعة من عمره . فان الطفل فى هذه السن يكون كثير الحركة دائب النشاط ، فهو يمضى متنقلا من ركن الى آخر ومن حجرة إلى حجرة وفقا لما يجتذبه ويستهويه ، عابثا بكل ما يلقاه فى طريقه ، وهو لن يتردد اذا صادف وعاء قريبا به بعض الزهور الجذابة فى أن يداعبه، وقد يسقط منه فيحدث سقوطه دويا مزعجا ، فضلا عما فيه من الخسارة والتلف ، دون أن يخطر بباله قط أن مثل هذا العمل مما يزعج والدته أو يضايقها

والام العاقلة الحكيمة هى التى تقدر دوافع ابنها على حقيقتها ، فتعرف انه إنما يتأثر فى هذه السن بعوامل طبيعية فيه تضطره الى هذا السلوك اضطرارا ، فان نشاطه الجسمى يدفعه الى الحركة والتنقل ونشاطه العقلى يحفزه الى محاولة معرفة كل شىء ؛ فهو يتنقل من هنا وهناك باحثا منقبا ، لا يكاد يدع

شيئا دون أن يلمسه أو يسأل عنه ، يريد أن يعرف ويعرف ويعرف ، فاذا لم يجـد السبيل أمامه سهلا إلى اشباع فهمه فى المعرفة اضطر إلى ارضاء غريزة حب المعرفة المتيقظة فى نفسه وفقا لطريقته الخاصة فتكون هذه النتيجة التى تعكر عليه وعلى والدته الهدوء والصفاء

وقد تظن الأم أنها تستطيع أن تمنع طفلها من عمل ما يريد اذا أكثرت من استعمال لفظة « إياك » الرادعة ، مع ما يصاحبها من تهديد ووعيد ، ولكنها مـع الاعادة والتكرار سترى أنها لن تجنى من ذلك أى أثر أو نتيجة ، لان طبيعة الطفل ستلح عليه الحاحا قاسيا يفوق الاثر الموقت الذى قد يتركه تهديد الام فى نفسه ، فينسى بعد لحظات ما قالته له ، وتعود طبيعته الى الغلبة ، ونحن نعرف أن هذه الحالة إذا تكررت تغرس فى نفس الطفل ايحاآت قوية من عدم الثقة بأمه واحترامها — وهذه خسارة كبيرة مؤلمة لم تدخل فى حساب الام حين نهجت فى تنشئة ابنها هذا المنهج الخاطىء

اما الام العاقلة فانها تعرف انها امام ملك صغير يجب أن تكون له مملكته الخاصة وعالمه الذى يعيش فيه ، فتعمل على أن تهىء له الجو الذى يرضيه ويلهيه ، ولعل خير ما تفعله هو أن تعد له غرفة خاصة بها بعض اللعب المناسبة التى لا تقبل الكسر مثل اللعب المحشوة أو اللعب القابلة للحل والتركيب ، أو اللعب المصنوعة من المطاط ، وتتركه فيها يلهو ويلعب فى مرح وسرور — وسوف نرى بعد قليل فرقا كبيرا فى حالة الطفل النفسية ، وكذا فى حالتها هى أيضا — إذ أنها ستنصرف إلى عملها فى راحة واطمئنان دون أن تقطع عليها تلك المنغصات الصغيرة هدوءها بين الحين والحين كما أن الطفل سينصرف الى لعبة قانعا راضيا ، وسيستغرقه اللهو بها فلا يفـكر فى أن يقرب أى شىء آخر ، وذلك دون أمر أو نهى من جانب الام

ولكن واجب الام لا ينتهى عند هذا الحد ، وعملها يكون ناقصا اذا لم ترض نفسها على تحمل مشقة الصبر والاستعداد للاجابة على كل الاسئلة التى قـد يوجهها الطفل اليها ، على أن تكون إجابتها بروح البشاشة والارتياح وفى أسلوب يسهل عليه فهمهُ — وبعبارة أخرى يجب على الام أن تنزل بعقلها الكبير عـدة درجات حتى تلتقى بعقـل طفلها الصغير ، وبذا يأنس الطفل الى والدته ، وتزيد الرابطة التى تجمعهما وثوقا ومتانة — ومن واجب الام أن تعمل على انماء هذه الرابطة وتغذيتها بالثقة ، فليست الام الناجحة هى التى يطيعها طفلها طاعة عمياء ، وإنما هى التى يستجيب طفلها اليها

عن طيب خاطر بما تكون قد زرعت فى نفسه من روح الثقة بها والاطمئنان اليها ، وليس أجمل فى علاقة الام بابنائها من هذه الثقة ، لانها هى الى توحى اليهم على الدوام باحترامها ، وتعينهم على الاستنارة بافكارها والاستفادة من تجاربها

ان رسالة الام فى بيتها رسالة دقيقة متشبعة النواحى ثقيلة التبعات ، ولكن الام العاقلة تعرف أن توفيقها فى أداء هذه الرسالة هو فى ذاته خير جزاء على ما تبذل من تضحية وجهد — وحسبها فى هذا أن تشعر على الدوام انها خلقت بيتا سعيدا

البصل والرخاء

لاحظ الامريكيون أن استهلاك البصل يزيد عندما تكون الحالة الاقتصادية حسنة فى الولايات المتحدة وعند ما تسوء الحالة يقل استهلاك البصل بسرعة .

* * *

استهلاك اللحم

تدل الاحصاءات الاخيرة أن الانجليزى يستهلك فى السنة ٦٣ كيلو جراما من اللحم . ويليه الدنماركى اذ يستهلك ٦٠ كيلو جراما ، ثم الالمانى ٥٠ كيلو جراما والسويسرى ٤٦ كيلو جراما ، والفرنسى ٤٠ كيلو جراما .

* * *

عدم توافق الامزجة

يؤكد عالم طبيعى أسبانى ، أنه اذا زرع الورد والريزيدا فى اناء واحد ، تنشأ غيرة قاسية بين النباتين ، فيموتان فى فترة وجيزة جداً

نشيد الفلاح ...

للشاعر حسن كامل الصيرفى

انا ابن النيل ! بعد الفجر أشدو   مع الأطيار فى بلج الصباح
أقوم وربة الاشراق تبدو   وأقعد حين تأذن بالرواح

« * »

انا ابن النيل ! أبعث من ثراه   حياة للبنين وللجدود
أمجد فى ضميرى ما يراه   لمصر وما اكابد من جهود

« * »

أنا ابن النيل ! عنه أخذت صبرى   على الاحداث يرسلها الزمان
يمر عليه عصر اثر عصر   ومجرى النيل ترعاه الجنان

« * »

انا ابن النيل ! معبود الزمان   ومظهر عجز الاف السنينا
وديع مثله ، صمتى بيانى   أحاكى فيه « بلهيت » الامينا

« * »

سلاحى ، عدتى : فاسى وباسى   وما ورثته نفسى عن جدودى
ندام الدهر فى ظلماء أمس   وأهرامى واثارى شهودى

« * »

أجوب الحقـل أتركه غياضا كعهدى فى ابى الجارى نعيما
سقى شـطيه فازدهرا رياضـا وفاض على الحمى خيرا عميما

* * *

وحقـلى عالمى ، وبه قنـوع ولذات الحياة : رضاء نفسى
بأنى عامـل ما أسـتطيع لمصر ، بخدمتى نبتى وغرسى

* * *

أفاخر ـ حين يفخر كل جندى وأبدع كاتب أو اى محسن
بسيف او يراع او بنقد ـ بفاسى ، فهو عندى لا يثمن

كا ـ ام ـ نفرت

للدكتور سليم حسن بك

عاش الكاتب « كا — إم — نفرت » فى نهاية الأسرة الرابعة حوالى عام ٣٠٠٠ ق. م. وعندما توفى دفن فى مصطبة نحتت نحتاً جميلا فى جبانة الجيزة .

وقد تولى بجانب وظيفته ككاتب ، منصب المشرف الأعلى على كهنة « الكا » المخصصين للملكة « رخت — رع » . أى أنه كان صاحب الاشراف التام على الكهنة والقربان وكل ماله اتصال بعبادة الملكة المتوفاة . فكان من واجبه أن يشرف على تقديم القربان إلى مقبرتها فى أيام الأعياد الخاصة ، كما أنه كان مسئولا عن حراسة مقبرتها وتنظيم الدخل الخاص بحاجيات المقبرة وكهنتها . ومن المحتمل أنه تولى وظيفة الكاتب الخاص للملكة مدة حياتها لأن الواجبات الآنفة الذكر لاتسند إلا لشخص معروف لديها باخلاصه وأمانته .

وكانت حراسة المقابر الملكية قاصرة على أشخاص اشتهروا بالكفاءة والجدارة لأن وفرة الكنوز التي كانت تحويها تجعلها قبلة أنظار لصوص المقابر .

ومما يؤسف له أن مقبرة « رخت — رع » لم تسلم من مصير معظم مقابر جبانة الجيزة ، إذ أنها نهبت فى العصور القديمة ، وعلى الأرجح فى نهاية الأسرة السادسة عندما ضعفت سلطة البيت الحاكم وقامت الثورة فى البلاد عندئذ انقطع الدخل الخاص بحاجيات المقابر وحراس الجبانة ، فثار الكهنة وخدمة « الكا » — بسبب الفقر — ونهبوا الكنوز المخبأة فى الحجرات السفلية للمقابر التى كانوا حتى ذلك الوقت يقومون بحراستها وخدمتها . نهبوا كل الأشياء المصنوعة من الذهب والاحجار النفيسة والعظام ، أما التماثيل والنقوش وغيرها من الاشياء عديمة القيمة فى السوق أو صعبة الحمل فقد

حطموها أينما وجدوها .

وقد كان هذا الحقد شديداً حتى أننا نعجب إذ نجد شيئاً من هذا العصر قد سلم من ثورة الجنون التى أصابت هؤلاء الكهنة

وانه لمن المحزن أن نجد فى مقبرة الملكة « رخت — رع » قطعاً مهشمة من الاوانى المرمرية الجميلة والفخار الدقيق الصنع ، وموائد القربان المصنوعة من حجر الديوريت مما يدل على الذوق الفنى البديع الذى أظهرته الملكة المتوفاة فى أعداد « بيتها الأبدى » .

وكانت هذه الملكة ابنة لخفرع وزوجة لملك يظن أنه « منكاورع » . ومظهرها يدل على أنها تملك كل الملامح التى تميز هذه الأسرة والتى نلاحظها بجلاء فى التمثال الفخم المصنوع من حجر الديوريت للملك خفرع وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى ، فلها نفس التقاسيم الرائعة النبيلة والعظمة الهادئة التى تمتاز بها حتى اعتقد الناس فيها واعتقدت هى فى نفسها أنها من أصل إلهى .

وتقع مقبرتها الكبيرة الفاخرة على مقربة من قبر « كا — إم — نفرت » . ومما يدل على اعترافها بخدمات كاتبها أنه لم يكتف بأن يبنى جدثه بالقرب من لحدها بل انه منح شرف رسم صورتها على قبره ، فعلى المدخل نراها ممثلة وهى واقفة تشم أريج زهرة لوتس ذات ساق طويلة . وكانت تتحلى بشعر مستعار طويل فوق شعرها الطبيعى . وترتدى ثوباً محكما على جسمها قد صنع من مادة شفافة تنم عن تقاسيمه البديعة اللطيفة . أما « كا — إم — نفرت » فقد وقف أمامها يحرق البخور . ونجده ممثلا بحجم أصغر بكثير من حجم سيدته الملكية وهذا تقليد جرى به العرف عندما يمثل أصحاب المكانة الوضيعة فى حضرة سادتهم فى منظر واحد .

ونستطيع أن نحكم من بناء مقبرته الجميلة وبخاصة من النقوش البديعة التى تزينها ، ومن تمثاله الرائع ، بان الملكة قد قدمت اليه خدمات مثالها ورئيس بنائيها . وهذا شرف كان يسبغه فى بعض الاحيان الفرعون وأفراد الاسرة المالكة على الموظفين الكبار الذين لهم حظوة خاصة .

وكان « كا — إم — نفرت » يلقب أيضا بلقب « رئيس مصنع المراكب » وبذا كان مسئولا عن بناء المراكب الملكية .

ومقبرته هى من المقابر النادرة فى حفائرنا التى نستطيع أن نحدد تاريخها تحديداً صحيحاً ، لأن

الملكة « رخت — رع » ذكرت أنها ابنة خفرع وبذا يمكننا أن نحدد تاريخ هذة المقبرة فى الفترة التى تقع بين نهاية الاسرة الرابعة وبداية الاسرة الخامسة .

وقد كشفنا فى سراديب مقبرته تمثالا صغيرا من الحجر الجيرى « لـكا — إم — نفرت » وكان هذا التمثال فى الاصل ملوناً ، وهو على الرغم من صغر حجمه يعد من أهم التحف الفنية فى الدولة القديمة ، وهو جدير بأن يقف الى جانب التمثال المشهور للـكاتب الموجود الآن بمتحف اللوفر ان لم يفقه

وتمثال « كا — إم — نفرت » يمثل صاحبه وهو يؤدى وظيفة الـكاتب ، إذ نراه جالساً القرفصاء على الارض وبين يديه ملف منشور من ورق البردى وهو يلبس رداء قصيراً وشعرا مستعارا له مفرق فى وسطه وقد أسدل معظمه على كتفيه . وقد نحته المثال فى وضع يقظة وانتباه إذ أنه يجلس ووجهه المرتفع قابلا وعيناه الواسعتان اليقظتان وفمه المبتسم تواجه الناظر إليه . ونستطيع أن نتصوره فى هذا الوضع جالسا أمام سيدته الملـكية على استعداد تام لتلقى أوامرها

وقد أبدع المثال فى اظهار أجزاء التمثال ابداعا يستحق الاعجاب ، فوضع الجسم ، وعضلات الصدر والـكتفين ، وموضع اليدين وهمـا قابضتان على الملف البردى ، ومعالجة عظام وعضلات الساقين المقرفصتين مما يفوق الوصف . وقد عثرنا على تماثيل أخرى « لكا — إم — نفرت » وكلها متشابهة الملامح غير أننا لانستطيع أن نقارن أحـدها بذلك التمثال الصغير من حيث دقة الصنع وصدق الطبيعه . وهذه حقيقة تؤيد فـكرة صنع هـذا التمثال بيد فنان موهوب لابد أنه قـد تولى وظيفة مثال القصر .

من النادر أن يسعدنا الحظ بكشف مثل هذا التمثال الرائع من بين حفائر الماضى المجيد ؟

رحلة الصحافى العجوز . صيف سنة ١٩٣٩

من حلب الي هاتاى وأنقرة واستامبول

— ١ —

من حلب الى أنطاكية

سألت الاستاذ أشرف الكاتب (صاحب جريدة الحوادث فى حلب) أن يصف لى الطريق بين حلب وانطاكية

فهز رأسه متبرماً وقال : كانت بالامس سهلة وأصبحت اليوم صعبة فقبل انسلاخ لواء الاسكندرونة عن سوريا كانت السيارات تبرحنا الى انطاكية كل ساعة وكانت الاجرة لا تتجاوز ليرة سورية

أما الآن فقد شلت الحركة وارتفعت الأجور ناهيك بالوقفة فى الطريق على الحدود الفاصلة بين ولايتنا السورية وولاية هاتاى التركية

السفر من حلب الى أنطاكية

وكنت أرجو أن أسافر صباحا الى انطاكية . ولكن الشوفير لم يجد العدد الكافى من الركاب . فانتظرت مركبة البريد الى الساعة الثالثة بعد الظهر

وهى مركبة مهرذمة حملت عشرة ركاب وأضافت الينا فى الطريق جنوداً وقفوا على الرفارف ومعهم دجاجات القوها بين أقدامنا

والطريق معبدة واسعة تظللها الاشجار وتطل عليها الجبال المخضلة

وما زلت بين ارتفاع وهبوط حتى وصلنا الى الجمرك الفرنسوى ، وفيه الاستاذ هنرى غانم ، ابن عم الصديق العزيز الاستاذ بولس غانم

والجمرك يتألف من غرفة خشبية واسعة فيها مناضد المستخدمين وفراشهم . والى جانبها عريشة عنب وحوض ماء فيه نافورة دافقة

وجمع الاستاذ غانم الباسبورتات وقيد فى دفتره أسماء المسافرين وصناعاتهم وأسماء أبائهم وأمهاتهم وأعمارهم كذلك

ثم كان جمرك الحدود التركية فيهما التقييد وفتح الحقائب وتفتيشها . بكل أدب وظرف ورقة

واستأنفت السيارة سيرها نحو ٢٠ دقيقة ثم أنزلنا الشوفر وحاسبنا على الاجرة ذاهبا الى الاسكندرونة . وركبنا سيارة أخرى أقلتنا الى انطاكية . فوصلنا اليها نحو الغروب

أنطاكيا قديما وحديثا

ومدينة « انطاكية » من منشئات اليونان ، بناها سلوكيوس فيكاتور أحد قواد جيش الاسكندر المقدونى . وسماها باسم أمه « أنطيوشيا »

ثم خضعت للدولة الرومانية

واعتنق أهلها المسيحية فى القرن الاول للميلاد واجتمع فيها حواريو السيد المسيح وخرجوا منها لتبشير الامم فى الشرق والغرب . وصارت مركزا لاحدى البطريركيات الاربع . ولما انشقت الدولة الرومانية ، صارت انطاكية عاصمة البلاد السورية الخاضعة للامبراطورية الشرقية

وافتتحها العرب فى القرن الهجرى الأول

واستولى عليها الصليبيون . وأنشأوا فيها حكومة عرفت باسم الدولة اللاتينية دامت مئتى سنة الى أن افتتحها الاتراك

وغزاها الجنود المصريون ، تحت امرة ابراهيم باشا ، فى طريقهم الى استامبول . ولا تزال من اثارهم ثكنة يعرفها الاهالى باسم القشلة

وبقيت فى حكم الترك حتى نهاية الحرب العظمى فكانت من نصيب فرنسا باتفاق سيكس بيه

عودة هاتاى الى تركيا

وسكت الاتراك على احتلال فرنسا لسوريا كلها . ولكنهم لم يغفلوا لواء اسكندرونه لاسباب عدة اهمها متاخمته لبلادهم ، ولان اغلبية سكانه اتراك ولحاجتهم الى نقطة « طوبراق قلعة » وهى مركز حربى يمكنهم من الاشراف على البحر الابيض ومن صد الغارات عن القسم الجنوبى من بلادهم

فمنذ قام الانقلاب الفرنسوى على سوريا لم ينفك الاتراك عن المعاكسات والاضطرابات

وانتهت المخابرات بين تركيا وفرنسا على انشاء حكومة مستقلة عرفت باسم حكومة هاتاى ، وافقت عليها جمعية الامم

وعمرت هذه الحكومة عشرة اشهر من سبتمبر سنة ١٩٣٨ الى يوليو سنة ١٩٣٩

وكان الحكم فيها جمهوريا . والف لها مجلس نواب ومجلس وزراء وجيش خاص من الاهالى .

وظهر نفوذ الترك جليا فى هذه الحكومة

وتعالى صراخ السوريين عامة واهالى منطقة حلب خاصة واعتراضهم على الحكومة الجديدة ولكن صراخهم واحتجاجهم لم يمنعا فرنسا عن التنازل لتركيا عن السنجق فاصبح قسما تركيا ابتداء من ٢٣ يوليو الماضى

وعين محافظا له شكرى شوكمن سووز بك . وهو من رجال الدولة المعدودين . وكان مديرا للامن العام والمطبوعات زمناً طويلا وبرهن على كفاءة وخبرة فى جميع الوظائف التى تقلدها

— ٢ —

يومان فى انطاكية

فى الطريق بين حلب وانطاكية تعرفت الى تاجر اسمه السيد عمر ، قال لى انه كثير التردد على انطاكيه ، وعلى استعداد لخدمتى

قلت له : لست أريد الا ارشادى الى فندق

قال : سانزلك حيث انزل

وصحبنى الى فندق « الروضة » لصاحبه السيد ميشيل حناذيا مقنص

وهو فندق من النوع القديم ذو حديقة مشرفة على نهر العاصى

وخرجت والسيد عمر الى شارع البحر . وقد تراصت على جانبيه القهوات الواسعة وكان صوت الراديو يلعلع من محطات القاهرة وانقره والقدس وبيروت بالاغانى واخبار الحرب ، والناس هنا وهناك يسمعون هذه الاخبار واجمين متحسبين يتكهنون بما يضمره الغيب

الصحافى الانطاكى جورج مدنى

وفى الصباح حييت الخواجا مقنص وسألته : هل بين زبائنه او اصحابه واحد ممن يشتغلون بالادب والصحافة ؟

اجاب : بعد قليل يحضر الاستاذ مدنى

قلت : سانتظره لنتناول الفطور معاً

ولم يلبث السيد مقنص حتى وافانى والى جانبه شاب انيق تلوح عليه امارات الذكاء فحييته وقدمت اليه ذاتى ، فقال وانا زميل لك ومن المقدرين لمصر واهلها

هذا هو الاستاذ جورج مدنى الانطاكى التاجر الصحافى الاديب

تلقى علومه فى المدارس الاميريكية بانطاكية . وسافر الى مصر فاشتغل بالتجارة وطاف انحاء القطر . وبعد ان قضى بيننا سبع سنوات سافر الى نيويورك . وعاد الى بلاده سنة ١٩٣٤ وعمل فى الصحافة والسياسة السورية حتى انسلخ لواء الاسكندرونه عن سوريا

الصحافة العربية والتركية في انطاكية

وحدثنى طويلا عن الصحافة والصحافين فى انطاكية وكانت خلاصة ما عرفته منه انه قبل الانتداب الفرنسوى على سوريا لم يكن فى انطاكية صحف باية لغة

وفى سنة ١٩٢٧ انشئت جريدة « انطاكية » عربية تركية اسبوعية فى ثمانى صفحات متوسطة واحتجبت سنة ١٩٣٢

وفى سنة ١٩٢٨ ظهرت مجلة « ينى مجموعة » اى « المجلة الجديدة » باللغة التركية اسبوعية لمدة ثلاث سنوات . ثم تحولت الى صحيفة يومية صغيرة الحجم باسم « ينى جون » فى اربع صفحات ذات اربعة اعمدة . وكانت تطبع أولا بالحروف العربية ثلاث سنوات . ثم اخذت تطبع بالحروف اللاتينية . ولاتزال تظهر حتى اليوم ساعة الظهر ناقلة اهم الاخبار العالمية عن طريق الراديو

وفى سنة ١٩٢٩ ظهرت مجلة « الدليل العربى » شهرية لمدة سنة واحدة

وفى سنة ١٩٣٧ ظهرت جريدة « العروبة » وناصرت الحركة السورية المقاومة للنفوذ التركى . وعطلت لما قامت حكومة هاتاى

وفى سنة ١٩٣٨ ظهرت جريدة « العهد الجديد » يومية ذات ستة اعمدة لمناصرة حكومة هاتاى ثم احتجبت بزوال هذه الحكومة وعودة البلاد الى تركيا

وذكر لى من الصحافيين والادباء العرب والترك اسماء الاساتذة اسبرباسيل الصيدلى الكيماوى والاستاذ فى المدارس الثانوية ، ومعروف حدحيدر الازهرى ، ومحمود على ، وفيروز هانزات ، وشكرى بالجى ، وسليم شلانج

قال : وبعد انضمام السنجق الى تركيا ، وارتفاع اجور البريد ، توقف اصحاب الصحف السورية واللبنانية عن ارسالها الى انطاكية للبيع

فهى لاتأتى الان الا للمشتركين الذين يدفعون اجور البريد الاجنبى فترد اليهم بعد مرورها بطوبراق قلعة ثم الاسكندرونة فانطاكية ، اى ظهورها باربع وعشرين ساعة على الاقل

التربية والتعليم في اللواء

وحدثنى عن حركة التربية والتعليم فقال :

قبل الانتداب الفرنسوى كانت فى انطاكية مدارس للحكومة ومن الارساليات وطوائف الارمن والروم الارثوذكس والسريان

وفى عهد الانتداب وضعت مدارس الحكومة تحت اشراف وزارة المعارف وزادعدد مدارس الطوائف

وبعد العهد التركى الجديد اقفلت مدارس الارساليات . وتقرر ان تتبع مدارس الحكومة برامج التعليم التركى ويلغى فيها تعليم اللغة العربية

ولم يحدد بعد موقف مدارس الطوائف

وسيظهر ذلك جليا بعد انتهاء عطلة الصيف المدرسية

جولة فى مدينة انطاكية

وتكرم الاستاذ مدنى فان فصحبنى لزيارة الوالى فى الدار الجديدة التى انشأتها حكومة الانتداب الفرنسوى . فاستقبلنى بحفاوة وسألنى عن شؤون مصر وابلغنى استعداده لمعاونتى فى كل ما اطلبه

وزرنا كذلك ادارة جريدة « ينى جون » مجتازين القسم الوطنى فى المدينة وهو مثل شوارع حوش قدم والتربيعة ، مفروشة بترابيع الحجر الاسود الصلد

وزرنا صيدلية الاستاذ اسبر باسيل فى الشارع العمومى وارشدنى الاستاذ مدنى الى فندق « التوريزم » وهو سراى انيقة لسعادة صبحى بركات بك مشرفة على النهر . وقد اشترتها حكومة الانتداب وعهدت الى بعضهم فى ادارتها لتكون نزلا للسياح الاجانب ، واستأجرتها بعدها الحكومة التركية . فتناولت فيها غدائى يومين

وفى انطاكية ناديان هما « السركل » و « النادى العائلى » وفيهما يجتمع اهل الطبقة الراقية وعائلاتهم للاكل والشرب والسماع والرقص

وقد انشىء فيها « بيت شعب كبير » كما انشىء بيت فى كل مدينة وبلدة فى السنجق

— ٣ —

يومان فى انطاكية

كانت سهرة بديعة فى « سركل انطاكية » جمعت كل ما يلذ العين والعقل والفم معاً

دور مستقل ، يظهر انه انشىء خصيصا لهذا النادى يشتمل على قاعة واسعة امامها شرفة رحبة تطل على الشارع العام

ونثرت المناضد هنا وهناك ، واحاط بها الاعضاء وعائلاتهم لتناول القهوة والشاى والعرق الصافى والمزات الفاخرة ولعب الورق

حديث مع صبحى بركات بك

وفى هذه السهرة تشرفت بمعرفة غير واحد من الوجهاء والأدباء وفى طليعتهم صاحب المعالى صبحى بركات بك من كبار رجال السياسة المعدودين فى سوريا

وقد نشأ الرجل فى تركيا اذ كان والده عضواً فى مجلس المبعوثان . واستخدم كاتباً فى المابين

ولما قام الانتداب الفرنسوى الف بركات بك حزباً معارضا ناهض الحكم الفرنسوى بثورة عملية انتهت بالتفاهم بين الطرفين

وفى سنة ١٩٢٣ انتخب رئيسا للاتحاد السورى ، حتى اندلاع ثورة ١٩٢٦ فتنازل عن الرياسة وانتخب عضواً فرئيسا لمجلس النواب السورى

وفى سنة ١٩٣٦ اعتزل السياسة السورية ، لاشتداد حركة العداء والنضال بين فرنسا وتركيا بشأن اللواء وجاهد فى تأييد تركيا حتى انشئت حكومة هاتاى وانتخب عضوا فى مجلسها النيابى الى ان حل هذ المجلس بضم اللواء الى تركيا فلزم داره منصرفا الى ادارة ثروته الخاصة

ومما يؤثر عنه الجرأة والنزاهة ومتانة الاخلاق . وقد خرج من رياسة مجلس النواب السورى وهو مدين بينما خرج غيره عامر الجيب ممتلىء البورتفى . وتحادثنا طويلا فى شؤون سوريا وفلسطين وحالة التقلقل السياسى فيهما والطريقة المؤدية الى اطمئنانهما . فلم اوافقه على ما ابداه من اراء وسمعنا راديو مصر ، وكان جلياً واضحاً ، سواء فى اغانيه أو اخباره الداخلية والخارجية

آثار انطاكيه والتنقيب عنها ومتحفها

ولم يتسع الوقت لزيارة آثار المدينة وأرضها وضواحيها العامرة بمخلفات أهل القرون البائدة

ومنها سور أنطاكية ويرجع الى عهد الروماز ، وهو على جانب عظيم من الاحكام الهندسى والحربى وجسور رومانية على نهر العاصى

وكنيسة القديس بطرس المنقورة فى الجبل ، حيث اجتمع الرسل ورسموا الخطط للتبشير بالدين المسيحى

وبقايا انفتياتر رومانى . وعدة جوامع

وقد عنيت جامعة برنستين الامريكية بآثار انطاكية نعهدت فى التنقيب عنها الى بعثة علمية برياسة البروفسور كامبل وبساعده شاب مصرى من خريجى الجامعة وشاب فلسطينى من المشتغلين بالآثار

وأنشأ الفرنسيون متحفاً ، ترتب فيه الآثار المكتشفة وبه الآن مجموعة طيبة من الفسيفساء الثمينة والتماثيل

وكان لهذه الاكتشافات أثرها فى اقبال السياح على انطاكية ، فيأتون اليها زرافات فى فصل الشتاء عن طريق حلب وأنقره

الحالة السياسية والاجتماعية فى اللواء

ويعلم المتتبعون أخبار الحركة السياسية الشرقية انه على أثر انضام اللواء الى تركيا برحه الالوف من السكان الارمن والمسيحيين والعرب المسلمين

وقد رحل الارمن خوفا من عسف الترك بهم ، لما هو معروف عن علاقات البغضاء بين الفريقين ورحل المسيحيون خشية التجنيد ولان الحكومة الفرنسية ضمنت للموظفين منهم مثل وظائفهم ومراكزهم فى سوريا

ورحل المسلمون لانهم يأبون هضم الانظمة التركية العصرية . ولان منهم موظفين خافوا الاخراج من وظائفهم فآثروا الخدمة فى سوريا

ومن هؤلاء المهاجرين الوف من أرباب الاملاك وأهل الدراية بالزراعة والصناعة . فتأثير هجرتهم لا شك فيه . ولكنه تأثير وقتى

ويحتمل أن تستقدم الحكومة التركية عددا من الاتراك لاحلالهم محل المهاجرين وعلى الاخص في الاعمال الزراعية

وقد أصدرت الحكومة قرارات بتأمين الحقوق المكتسبة لاصحابها وتنفيذ الاحكام الصادرة من المحاكم القديمة

وشرعت في تطبيق جميع القوانين المعمول بها في تركيا

والغت اللغة العربية في الدوائر الرسمية كلها . ومحت الكتابة العربية من يافطات المخازن والمتاجر وأبدلت بها اللغة التركية مكتوبة بالحروف اللاتينية

وقررت مد خط حديدي بين اسكندرونة وحلب

وتجفيف مستنقعات العمق . وهي أراض واسعة درس تجفيفها المرحوم نجيب شكور باشا . وتعهدت شركة ليفي الاسرائيلية بتحويلها الى أراضي زراعية . ولكن حكومة الانتداب الفرنسي رفضت المشروع اليهودي

وتدرس الحكومة الآن مشروعات عدة لاصلاح الري

وتبذل همتها في تنفيذ المبادىء الكمالية العلمانية والقوانين والانظمة التركية الجديدة التي هي ثمرة الانقلاب التركي الحديث

ويقبل الاهالي على اقتباس هذه المبادىء والعمل باوامر الحكومة بلا تذمر ولا مقاومة

ولا جدال في أن الاهالي الذين حضروا العهد التركي القديم يدركون الفرق بينه وبين العهد الحديث . وسيكونون خير معوان لولاة الامر على النهوض لبلادهم

— ٤ —

ليلة في الاسكندرونة

الطريق بين انطاكية واسكندرونه بديعة والسيارة أنيقة والشوفير بارع يسابق الزملاء ويدير الدير كسيون برشاقة وخفة سواء في الصعود والهبوط وسط القرى والمزارع وقطعان الماشية حتى

وصلنا الى تلك المدينة اليونانية التى شيدها الاسكندر ذو القرنين وسماها باسم السيدة والدته وخرج منها الى سهل السوس الذى حارب فيه الفرس وانتصر عليهم وتقدم الى فتوح آسيا

ميناء اسكندرونة قديما وحديثا

وتعد اسكندرونة أكبر مرفأ للترانسيت فى شمالى سوريا

وكانت مركز الحركة التجارية بين حلب والبلاد الخارجية . فتأتى اليها وتخرج منها كل يوم سفن الشركة الفرعونية المصرية والشركات الابطالية والفرنسوية والتركية والالمانية والانكليزية

ولكن هذه الحركة شلت بعد انقطاع الصلة بين حلب واسكندرونة

وتوقف سير السفن على اثر اعلان الحرب الحاضرة

وتشتغل الحكومة التركيـة الجديدة بتوسيع مرفأ الاسكندرونة بعد ان عدلت على اصلاح ميناء مرسين

وفى نيتها أن تحول الى الاسكندرونه تجارة ديار بكر وماردين واورفا وغيرها من بلاد الاناضول الجنوبية

في قهوة الخواجا ديب انطون

والمسافة بالسيارة بين حلب واسكندرونة ساعة وعشر دقائق

وشوارع البلدة نظيفة رحبة ، تظهر على اهلها سمات المدنية والرقى الاجتماعى

وبارشاد الاستاذ مدنى الانطاكى سألت عن الخواجا ديب انطون وهو صاحب اكبر قهوة وفندق فى اسكندرونة

والقهوة قسمان احدهما شتوى مسقوف والثانى صيفى مكشوف على كورنيش بديع . والفنـدق متوسط نظيف الرياش مجهزة غرفة بالمياه الجارية والكهرباء والتدفئة بالغاز

ويجتمع فى القهوة نخبـة الموظفين والاعيان والتجار ويأتى اليها بعضهم مع عائلاتهم للاكل والشرب وتدخين الارجيلة وسماع الراديو الذى يقفون للسماع حوله منصتين لاخبار الحرب عن طريق

انقره والقاهرة والقدس

ومن خدام القهوة جرسون يوناني كهل ، لم يكد يعرف انني مصري حتى سال لعابه وصفق بحي ويسلم ذاكراً بالخير مصر واهلها والزمن الذي قضاه في خدمة القهوات الكبرى بطنطا والزقازيق

مع الصحافي الاستاذ ادوارد نون

وتعرفت الى الاستاذ ادوارد نون . وهو صحافي مخضرم ، زاول الصناعة زمناً في حلب ثم عاد الى بلدته اسكندرونه وانشأ جريدة « الوقت » وكانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع من سنة ١٩٣٢ الى نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، ثم اصدر جريدة « الخليج » وعطلتها حكومة هاتاي . فاصدر بدلاً منها جريدة « انباء هاتاي » واوقفها عندما انضمت البلاد الى تركيا انتظاراً لاستقرار الحالة السياسية

وقدمني الى قائمقام اسكندرونه فسلمته كتاباً حملته اليه من حاكم هاتاي

وعرفت كذلك حسني رشيد تفخوت بك ، من علماء التاريخ والاجتماع المعدودين في تركيا ، ومفتش حزب الشعب في الولايات الجنوبية ، وعضو البرلمان والهيئة الادارية في حزب الشعب بانقره

الحالة الاجتماعية والاقتصادية في اسكندرونة

وبعد العشاء ساهرت الاستاذ نون وتحادثنا في شؤون جمة فعلمت منه ان البلدة تتألف من عناصر مختلفة اكثريتها من المسيحيين الارثوذكس ويليهم العلويون (النصيرية) فالاتراك ثم اقلية من اليهود . وجاليات اجنبية كان اكبرها الفرنسيس فرحلوا بعد الانقلاب الاخير فاصبحت الاغلبية لليونان فالايطاليين

وفي البلدة مدارس انكليزية وايطالية وطائفية ومدارس للراهبات ومدرسة للفرير اقفلت بعد الاتفاق الاخير واشترتها الحكومة

وفيها عدة اندية خاصة اهمها نادي الاسكندرونة ونادي العائلات ، قال لي الاستاذ نون انها ارقى من اندية انطاكية . وكان يود ان ازورها معه ولكنها مقفلة لمناسبة فصل الصيف

وليست هناك اندية للرقص والغناء . وتمر احيانا جوقات طرب وتمثيل فتحيى لياليها فى قهوة الخواجه ديب او غيرها

والاسكندرونة مشتى ومصيف معا ومصايفها فى جبلية الصاوقلوق والناكزلك والطائف ويصعد اليها الاسرياء وكبار التجار من اهالى البلد . وكان يأتى إليها المئات من الحلبيين . وفى هذه السنة جاءها الكثيرون من مرسين واطنه

ويعتقد اهالى اسكندرونة ان الحوت قذف بسيدنا يونان من بطنه الى خليج الاسكندرونة . وهناك عمود اثرى على الشاطىء تذكارا لهذا الحادث

وحدثنى طويلا عن مستنقعات النجب وما يؤدى اليه تجفيفهـا من الفائدة للزراعة والاقتصاد بتوليد الكهرباء لانارة المدن وتسيير قطارات سكة الحديد

الاحكام والتقاليد التركية الجديدة

قال : وقد بدأ الاتراك بتنفيذ احكامهم وتقاليدهم الاجتماعية فى الاسكندرونة . ولكن لم يتسع لهم الوقت بعد لاتمام ما يقصدونه من تغييرات واصلاحات

ومنذ احتلت تركيا البلدة لم يحدث ما يخل بالامن العام ولم يعتد موظف او جندى على احد من الاهالى وذلك بفضل قائد الجيش الميرالاى شكرى قنادلى بك الذى احرز اسمى مكانة فى قلوب الجميع

الاحتفال بعيد النصر

واستيقظت صباح يوم الاربعاء ٣٠ اغسطس على انغام الموسيقى العسكرية ودوى طبلها فقد كان هذا اليوم « عيد النصر » وهو ذكرى المعركة الحاسمة بين الترك واليونان فى الاناضول وانقاذ ازمير من ايدى الجيش اليونانى

فرفعت الاعلام واقيمت اقواس النصر واستعرض الجيش فى شارع اتاتورك على شاطىء البحر وخطب احد الضباط محيياً الذكرى . وقال ان الاتراك كانوا فى الماضى والحاضر حراس السلام

وسيكونون كذلك فى المستقبل عاملين على بذر بذور المدنية فى انحاء العالم

وتركت الاسكندرونه ظهراً الى انقره

— ٥ —

ايام في إنقره

المسافة بين حلب وانقره اربع وعشرون ساعة تامة ، بدون انتقال او توقف الا عند الحدود السورية التركية فى ميدان اكبز

وتنقص هذه المسافة نحو اربع ساعات فى طريقها من الاسكندرونة حيث ينتقل الركاب الى قطار طورس الاتى من حلب فى محطة طوبراق قلعة

والحمالون فى محطة اسكندرونة صبيان صغار ، حمل احدهم الحاجة شنطه وبنتها من العربة الى الرصيف ووقف لحراستهما نحو نصف ساعة ثم نقلهما الى القطار وكل ذلك مقابل عشرة مليمات ، فقبلها شاكرا ممنونا

فى قطار طروس الى انقره

وقطار طورس انظف واجمل من احدث قطاراتنا السريعة . ولا اغالى اذا قلت ان الدرجة الثانية فيه المكسوة مقاعدها بالجلد الاخضر ابدع من الدرجة الاولى فى قطارات خط الاسكندرية وبور سعيد والاقصر فى موسم السياح

والقطار مجهز بعربة اكل وعربات نوم

ولم يكد يجتاز حدود البلاد السورية القديمة حتى تجلى جمال بلاد الاناضول بما فيها من مزارع وحدائق ومدن صغيرة وكبيرة وطرق معبدة للسيارات

وضاع النهار فى محادثات وغداء وشاى بعد الظهر .. ثم العشاء والنوم .. ولكنه نوم متقطع لوقوف القطارات فى المحطات الكبرى وصراخ الصبيان والبنات فى المحطات منادين

بالفاكهة واللبن والـكازوزة والصحف واخبار الحرب!

ووصل القطار الفاخر الى انقرة فى الصباح الباكر من يوم الخميس ٣١ اغسطس

مدينة انقرة قديما وحديثا

انقرة عاصمة تركيا الجديدة ، انشأها الاتاتورك مصطفى كمال ، لتحتمى فيها حكومته بالابتعاد عن استامبول ، اذا أراد الاعادى ضربها بمدافع اساطيلهم وطياراتهم

وتجمع أنقرة بين القديم والحديث

والمدينة القديمة مبنية على رابية صخرية والجديدة على منحدرات جبل « جان خايا » تكتنفهما سلسلة من الجبال العالية أهمها جبل المداغ وعلوه ١٨٥٥ متراً

ويقول الباحثون فى آثار الحثيين أن القوم أنشأوا أنقرة سنة الفين قبل الميلاد المسيحى وكانت لهم فيها مدينة زاهرة زمناً طويلا

وفى سنة ٧٩٧ للميلاد احتلها الخليفة هرون الرشيد . ثم استردها البيزنطيون وبقيت فى أيديهم حتى افتتحها الاتراك السلجوقيون بقيادة ارسلان الثانى الذى عين ابنه محيي الدين حاكما عليها . وجددوا أسوارها ودعموها بابراج جديدة وأنشأوا فيها الخانات والحمامات والمدارس والمساجد

ثم وقعت بين يدى الاتراك المنغولين

واستردها العثمانيون . واحتلها جيش القائد المصرى ابراهيم باشا سنة ١٨٤١ وهدم جانبا من سورها

وفيها نادى الاتراك وعلى رأسهم الاتاتورك ، بالحكم الجمهورى فى ابريل سنة ١٩٢٠ وشرعوا فى انشاء المدينة الجديدة . فبرهنوا على كفاءة ومقدرة فى التعمير

أنقرة ابدع مدينة جديدة

ولعل انقره الحديثة أبدع المدن الجديدة أو المجددة فى العالم الاوربى والامريكى

ومن أهم منشآتها محطة سكة حديد وعمارات الجمعية الوطنية وفندق أنقرة بلاس والبنك

المركزى للجمهورية التركية ورياسة مجلس الوزراء ووزارات الحكومة وسراى المعرض والمتحف الاتنوغرافى ودار حزب الشعب والمستشفى الكبير ومدرسة العلوم التجارية العالية ومدرسة عصمت باشا للبنات ووزارة الصحة ومجلس شورى الدولة والنادى العسكرى وجمعية الهلال الاحمر والمدرسة الحربية ودار الاتاتورك وكلية الحقوق ومدرسة الزراعة العليا والكونسرفتوار ومدرسة المعلمين والمدارس الابتدائية (التى تضم نحو ١٥ الف تلميذ) وميدان السباق وقاعات السينما والمطارات المدنية والحربية ومكتبة حزب الشعب (وفيها ستون الف مجلد) ومكتبة وزارة المعارف (وفيها أربعون الفاً) ومكتبة مجلس النواب) (وفيها ثلاثون الفاً) وغيرها

واشترك بعض السراة والممولين وشركات التعاون فى التعمير والتشييد فاقاموا المبانى الكبيرة العديدة الطبقات للاستثمار والقصور والفيلات للسكن الخاص

ولم اكن اتخيل اننى سارى مارأيت من ضخامة وفخامة وفن هندسى زخرفى فالشارع العظيم من المحطة الى دار السفارة المصريه يزيد طوله على ثلاثة كيلو مترات وعرضه على ستين متراتظلله الاشجار المورقة وعلى جانبيه العمارات الضخمة وامام الكثير منها حدائق صغيرة خاصة على مثال شارع اونتردن لندن فى برلين

والفارق بين الشارعين ان عمارات شارع برلين متراصة متلاصقة كثيرة القهوات والبارات والفنادق والملاهى وتتفرع منه الشوارع التى لاتنقطع منها الحركة ليل نهار

اما شارع انقره العظيم فلا يزال فى حاجة الى ملء مساحات واسعة من اراضيه بالمبانى . وقد اقفرت عماراته العظيمة من الاندية العامة والفنادق والبارات . فليس فيه الا بعض باعة الحلوى فى ميدان اتاتورك ، بقرب المحطة ، وخمسة قهوات بديعة فى منتصف الطريق بين المحطة ودواوين الحكومة

بين المفوضية المصرية وادارة المطبوعات

برحت محطة انقره على عجل وركبت « والست أحاجة » تكسا انيقا اقلنى الى دار السفارة المصرية

والدار مقفلة ليس فيها حي غير خادمة ، تفاهمت معها بالاشارة فهمت منها ان القداس (الحاجب) يحضر قريبا

فادخلت الحقائب وارتميت على مقعد وثير حتى اتى القداس ، وهو رجل تركى يحسن العربية .

فابلغته اسمى وصناعتى واننى ارغب فى مقابلة مدير المطبوعات فى وزارة الحربية

فصحبنى الى هذه الوزارة وهى فى احدى عمارات دوائر الحكومة المبنية على طريقة البلوك سيستم ، تتراوح طبقاتها بين خمس طبقات وست

وفى المدخل تناول حاجب القبعة ونفض غبار الحذاء بهفهفة من الريش

واستقبلنى حكمت بك ، من كبار الموظفين ، خير استقبال وتسلم منى كتاب توصية احمله اليه من القاهرة

واعتذر لى عن زيارة دوائر الحكومة ومعاهد الصحة والاجتماع والتعليم لاقفالها صيفاً ووعد بزيارة المعاهد المفتوحة وانحاء المدينة وضواحيها . واعد لى كمية من المطبوعات الفرنسوية لاستعين بها على تحرير ما أريده عن الحكومة الناشئة الموفقة

— ٦ —

ايام فى انقره

نزلت فى فندق استامبول بالاس وهو فندق حديث ، جامع كل معدات الراحة والترف . وخير ما أعجبنى فيه وقوعه على ملتقى الشارع الجديد العظيم ، باول المدينة القديمة

والحى القديم مرصوف بالحجر مزدحم بالفنادق الوطنية والمطاعم والقهوات وباعة الخضراوات والفاكهة والمقاثىء وأصناف الملابس والاقمشة

وعلى مقربة منه فندق « أنقرة بالاس » العظيم . وقد نزل فيه أعضاء بعثتنا العسكرية المصرية فزرتهم وتحادثنا طويلا وتناولنا معهم العشاء

هموم اخرى



الحقيقة انى أحبّ افلاطون لان محاوراته تخمر ذهنى

تقدم العلوم والفنون

الادب الانكليزى

تكررت فى انجلترا المحاولات لايجاد مجلة أدبية ترصد صفحاتها كلها للادب الصرف . ولكنها كلها خابت . وكان آخر الوفيات فى هذه المجلات مجلة « لندن مركيورى ». وليس فى انجلترا الآن سوى مجلة جيب صغيرة تدعى «لايف اند لترز» ويبدو عليها من حجمها ومن دوريتها الشهرية انها لا تجد الاقبال الذى تجده نظيراتها فى فرنسا أو حتى فى مصر. ذلك أن الادب الصرف يكاد يتناقض مع المزاج الانجليزى المثقف. فان الاديب الانجليزى هو أديب موسوعى يعرف أو يحاول أن يعرف كل شىء . فهو يدرس العلوم بنفس العناية التى يدرس بها الاداب . وهو ينظر بذهنه الى آفاق ثقافية رحبة . وقد ظهر أدباء انحصرت عنايتهم بالادب الصرف فى انجلترا مثل ولتر باتر أو أوسكار وايلد ولكنهم يكادون يكونون اغرابا فى وطنهم

والادب الصرف يحتاج الى تقاليد أدبية قديمة تمتد مئات السنين ان لم نقل الف سنة . وهذا يستدعى جمود اللغة لانها اذا تطورت انقطعت الصلة بين قديمها وحديثها . واللغة الانجليزية تتطور فى عجلة حتى ان لغة شكسبير التى لم يمض عليها سوى ثلاثة قرون باتت غريبة تحتاج الى شرح وتعليق . وهذا خلاف الحال عندنا . ثم ان الامبراطورية البريطانية بتوسعها الجغرافى استحدثت فى المزاج الانجليزى توسعا ثقافيا . ومن هنا وفرة الكتب التى تؤلف عن أحوال الامم الاجنبية وتواريخها . ففى اللغة الانجليزية مئات من الكتب الفت عن مصر . وأكثر منها الف عن الهند

وقد استحال الادب الانجليزى لهذا السبب أدبا اجتماعيا سياسيا علميا عالميا يتناول الشئون البشرية بأشكالها المختلفة . والاديب البارز مثل ولز أو شو أو هكسلى يمتاز بنزعة موسوعية تخرجه

عن حدود الادب الصرف. ولذلك يكتب فى العلوم والسياسة والتاريخ والسياحة والتراجم والدين . ولا يكاد أحدهم يبالى العبارة الأنيقة أو الزخارف اللفظية التى تعودنا أن نقرنها الى الادب. وغاية الادب الانجليزى هى تشييد حضارة تكفل الرخاء والسعادة والسلم العام ولذلك فان ميدان الثقافة البشرية كلها هو موضوع الادباء . بل ان هذا المزاج الموسوعى ليس مقصورا على الادباء اذ يتعداهم الى القراء أيضا كما دل على ذلك موت المجلات التى حاولت الاقتصار على الادب الصرف وكما يدل على ذلك أيضا وفرة المؤلفات عن التراجم والسياحات . فان كتابا يؤلف عن « جنكيزخان » أو «أخناتون» يجد من اقبال القراء مالا يجده مثله غير أروج الكتب ، ان بل هناك أدباء مثل لوفكادبو هيرن (وهو أمريكى انجليزى) قد ثبتت شهرتهم على مؤلفاتهم عن الامم الاجنبية

اللغة المصورة

لغة الصين المكتوبة هى أقرب اللغات الى لغة الفراعنة المكتوبة أى أنها صور حقيقية أو رمزية. فقد كان الحسن البصرى يقول « الغيبة فاكهة النساء » ولفظة الغيبة يعبر عنها الى الان فى اللغة الصينية برسم رمزى لثلاث نساء . وهكذا الشأن فى المعانى الاخرى مثل الكلمات التالية

الزوجة ترسم امرأة ومكنسة

والناسك ـ رجلا وجبلا

والقضية ـ كلبين

يفكر ـ دماغا وقلبا

طيب ـ امرأة وطفلا

سجين ـ رجلا فى صندوق

مطر ـ قطرات ماء

بيت ـ خنزيراً تحت سقف

شرق ـ شمسا خلال الشجر

عبادة ـ رجلا راكعا

وهذه الصور تدلنا على العقلية الصينية فان رسم لفظة قضية بكلبين له معنى فكاهى جميل . ولكن اجمل منه رسم كلمة طيب أو حسن بأمرأة وطفل . اذ أى شىء فى الدنيا أجمل من الامومة وأى شىء يوحى الى القلب المعونة والحب والاعجاب ويبعث على التضحية والاكرام مثل منظر الأم تحمل طفلها ؟ أما رسم الزوجة امرأة ومكنسة فصورة صينية بحتة لان المرأة خادمة لابيها أو زوجها او أخيها . والصورة التى تنبو عن أذهاننا هى رسم البيت بخنزير تحت سقف . ولو كان الخنزير نعجة أو حتى كلبا لاستمرأنا الكلمة . ولكن الصينيين يربون الخنازير كما نربى نحن الخراف أو البقر

والالفاظ الاوربية الجديدة تترجم برموز ورسوم ايضا . فان التليفون يسمى «لغة البرق» وفى مصر شىء من هذه العقلية حين نسمى التلغرافات « انباء برقية » والقاطرة عندهم « عربة النار »

وعند الصينيين نحو ٤٠ الف كلمة لكل منها رسم خاص ولا يكاد يعرفها جميعها غير نحو عشرة اشخاص او ١٥ شخصا فى كل الصين . وهذه الصعوبة هى بعض الاسباب لتأخر الثقافة

موسى

كان آخر مؤلفات « فرويد » كتابه عن موسى وفكرة التوحيد عند اليهود الذى قرر فيه أن موسى لم يكن من العبرانيين بل كان مصريا مستدلا على ذلك من اسمه لان « موسى كلمة مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك « تحوتمس » أو « تحوت موسى » أى عبد تحوت فيكون اسم « موسى » اختزالا كما نقول فى العربية عبده لعبد الله . وقد أطلقت ابنة فرعون عليه هذا الاسم المصرى الذى لم يكن معروفاً عند العبرانيين

وكان موسى من رجال حاشية الملك اختاتون الذى كان اول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين وقد جرى بعد وفاة هذا الملك ان ثار الكهنة واستردوا سلطانهم فتفرق أشياعه ومنهم موسى الذى هرب من مصر واخذ معه الاسرائيليين لانهم كانوا مستعبدين مضطهدين

وقد عرض فى كتابه لادلة عديدة مثل مصرية اسماء اللاويين الذين يقول انهم كانوا اشياع موسى واقتباس العبرانيين عن المصريين الختان وتابوت العهد وهندسة بيت المقدس الى غير ذلك مما يطول بنا شرحه

أمراضنا

رويدا رويدا يستقر فى الذهن الطبي أن المرض المحلى فى احـد الأعضاء أن هو الا مرض عام فى الجسم كله . فالبثرة الصغيرة فى الذراع أو الخراج الـكبير فى العنق أو ضعف النظر أو الوقر فى الاذن انما هى جميعا تدل على نقص أو آفة قد اصابت الجسم كله أو هى مرض عام قد تحيز عرضه فى عضو معين . ولذلك يجب ألا يكون العلاج محلياً فى هذا العضو وانما يجب أن يتناول الجسم كله . لأنه عند مانعالج الجسم كله فان الدم الذى ينسل الى أنأى الخلايا ويغسلها ويغذوها يصل الى المكان المئوف فيبرئه . ومن هنا شاعت معالجة العين بحقنة اللبن فى الشرايين لاحداث حمى خفيفة تنبـه الجسم كله للمقاومة

وفى مصر يفشو « الرمد الربيعى » وهو يحـدث حرقة مؤلمة للعين تحمل صاحبها على الفرك الدائم . وقد قرأنا مقالا للدكتور ليونز عن هذا المرض يقول فيه : « والعلامات التى يحدثها الرمد الربيعى — كعلامات عدد كبير من امراض العيون الاخرى — ليست الا مظاهر محلية لآفات جسمية عامة . ولذلك فان علاجها لايتعلق بالفحص المحلى وحده »

وهـذا الرمد يعالج الآن بنجاح بحقنة الكلسيوم . ونظن ان هذا الاتجاه الطبي الجديد سيثمر اعظم الثمرات فى المستقبل . لأن الجسم ليس آلة مؤلفـــة من اجزاء متراكبة وانما هو وحدة غير متجزئة ترجع فى الاصل الى الخلية الاولى التى تكونت فى الرحم ثم صارت تنقسم وتتفرع وتتخصص اعضاؤها ولـكن دون أن ينفصل منها عضو . ولذلك فان المرض فى عضو معين هو مرض الجسم كله . والعلاج هو علاج الجسم كله

فضائل البدانة

اذا كان للنحافة فضل فى جمال الجسم ورشاقته فللبدانة فضائل كثيرة أيضاً ، فانه يندر جدا ان تجتمع البدانة والميل الى الاجرام فى شخص واحـد واذا زل البدين وتورط فى الاجرام ، كان من الميسور ردعه واصلاحه

ذلك هو الرأى الذى انتهى اليه العالم اليابانى الدكتور كنروسارا من كبار علماء الابحاث الجنائية فى بلاده بعد أن توفر على دراسة أحوال الف مجرم يابانى ، بينهم القاتل والسارق وقاطع الطريق

والرأى القائل بان أصحاب الاجسام البدينة الضخمة أقل ميلا الى الاجرام بخلاف النحاف ، هو من الآراء التى تعضدها ملاحظات رجال البوليس القضائى فى جميع أنحاء العالم

وقد حدث أخيرا أن سيدة بدينة جدا قدمت للمحاكمة فى فينا بتهمة ارسال خطابات تهديد بدون توقيع ، فقال القاضى الذى عرضت عليه القضية :

— ان السيدات البدينات لا يكتبن رسائل تهديد خالية من الامضاء ، وأنا لا أستطيع أن أصدق ان المتهمة قد ارتكبت الجريمة التى اتهمت بارتكابها ، فذلك يناقض جميع الحقائق التى وصلت اليها بعد التجارب الطويلة والقضايا الكثيرة التى مرت بى

ولعل السبب فى ان ضخام الاجسام لا يحيدون عن سواء السبيل الا نادراً ، هو انهم طبعو بصورة عامة ، على الرضى بمصايرهم وما قسم لهم وقد قال الدكتور كريستو هوارد الانكليزى وهو رجل بدين يدافع أشد الدفاع عن البدانة :

انا ننعم ببدانتنا ، وننعم بامزجتنا الهادئة وقهقهتنا ، وطعامنا وشرابنا ، ونؤثر أن نموت فى بدانتنا ، ونحن فى مقتبل العمر على أن يمتد بنا الاجل بضع سنوات ونحن نخاف الابدان ، عرضة لمرض البرص ، وموضعاً للريب والشبهات

اذن هنيئاً وعزاء للبدينين والبدينات ، من الرجال والسيدات !

اللبن وصحة الامم

كتب الدكتور وهبي مقالا بالانجليزية فى المجلة الطبية المصرية يستحق أن يترجم ويوزع بالمجان على الآباء والمعلمين لان فيه من الحقائق ما ينبغى أن يعرف ويعمل به . فان الرأى الطبي قد اتجه فى السنوات الاخيرة الى ابراز القيمة العظمى التى للبن فى صيانة الصحة من الامراض . وليس اللبن غذاء عظيما للكبار ولكنه يحتوى على عناصر وقائية كبيرة القيمة . ولذلك فان العناية بانتاج اللبن — كما

وكيفا — هى عناية بالصحة العامة أو هى احدى وسائل المقاومه للامراض المختلفة

ولكن مع أن قطرنا زراعى وأساس الاقتصاديات الزراعية هو الجاموسة أو البقرة فان متوسط ما يتناوله الفرد عندنا من اللبن صغير جداً ازاء ما يتناوله الفرد فى الامم الصناعية . وأنا أنقل عن الدكتور وهبى هذه الأرقام التالية التى تدل على استهلاك الفرد فى الاقطار التالية للبن والزبدة بالكيلو-جرام فى سنة ١٩٣٥

القطر	اللبن	الزبدة
سويسرا	٢٥٥٫٥	٦٫٢
الولايات المتحدة	١٥٦٫٩	٨٫١
انجلترا	١٢٤٫١	١٠٫٧
المانيا	٨٧٫٦	٧٫٧
بلجيكا	٧٣٫٠	١١٫٠
مصر	٦٫٢	١٫١

وهذه القلة فى استهلاك اللبن يبدو أثرها فى قصر القامة وفى اجتياح الامراض الوافدة لعدد كبير من السكان لان أجسامهم ضعيفة لم تتهيأ باللبن للمقاومة كما يبدو هذا الاثر فى الوان أخرى من الضعف قد تصل الى نشاط التلاميذ فى المدارس

وقد عرفت الامم الكبرى قيمة اللبن فصارت تؤدى الاعانات للمزارعين حتى يزيدوا انتاج اللبن ويربوا الماشية المدرة وصار اللبن يوزع بالمجان على التلاميذ كما أن مئات المشارب قد أنشئت فى المدن الكبرى مثل لندن وغيرها لتناول اللبن ساذجا وممزوجا ومثلجا ودافئا بأثمان زهيدة

وانا لنرجو أن تعرف حكومتنا قيمة اللبن ومشتقاته فى الصحة فى العامة وتشجع المزارعين على الاكثار من انتاجه وهى بهذا التشجيع لا تخدم الصحة العامة فقط بل تخدم المزارعين وخاصة منهم صغارهم الذين هم أساس الامن الاجتماعى

اخبار اجتماعية

وطنية المدينة

فى سنة ١٩٣٦ دخل واحد من السكان فى مدينة جلاسجو (فى اسكوتلانده) أحد البنوك بهذه المدينة . وسلم مدير البنك وصية مسجلة ومبلغا من المال يوقف على تنفيذ هذه الوصية . وشرط على البنك ألا يبوح باسمه

وهذا المبلغ هو الآن أى هـذا العام فى حسابات البنك يبلغ ١٣٫٥٠٠ جنيه . وهـذا الموصى المجهول يشترط أن تؤدى فائدة هـذا المبلغ التى تتجمع كل ثلاثة أعوام والتى تبلغ الف جنيه لأى شخص يثبت للجنة معينة انه خدم مدينة جلاسجو سواء أكان اسكوتلانديا أم أجنبيا ومقيما فى المدينة أم غير مقيم

وقد عين الموصى الخدمات التى تستحق المكافأة وهى :

١ — تجميل المدينة كلها أو جزءا منها أو حتى مبنى خاصا

٢ — زيادة الرفاهية للسكان أو ترقية الصحة العامة

٣ — تنقية جو المدينة من دخان المصانع أو نقص مقدار هذا الدخان

٤ — ايجاد او تقوية العلاقات الطيبة بين طبقات السكان

٥ — زيادة الثقافة أو الفرص التعليمية والتكشف الثقافى

٦ — تمكين المدينة من أن تبرز فى عمل شريف

ويجب أن نكرر ان هذا الرجل البار لم يذكر اسمه . ولذلك فان الفا من الجنيهات ستؤدى مرة كل ثلاثة أعوام لشخص ما يكون قد حقق هذه الآمال أو أحدها لرجل يحس وطنية المدينة

الفلاح

لو ان وزارة الشؤون الاجتماعية استبدلت باسمها اسم وزارة ترقية الفلاح لما وجدت من المستنيرين أية دهشة . لأن الفلاح هو مشكلتنا الاجتماعية العويصة واذا استطعنا ان نحلها فان كل شيء يسهل بجانبها . ومشكلة الفلاح صعبة وسهلة معا . فهي سهلة من حيث انها واحدة لاتتعدد اذ هي مشكلة الفقر . وهي صعبة من حيث ان معالجة الفقر تحتاج الى مجهود كبير . وليس لنا مفر من الترقيع لأننا نعجز عن التجديد . ومادامت الوزارة الجديدة لاتستطيع ان ترصد المال اللازم للاصلاح فانها يمكنها أن تعمد الى هذه الاصلاحات الصغيرة فتضع لها القوانين وتنفذها . وهي جميعها لن تكلفها قرشا

١ — قانون يلزم جميع أصحاب المنازل فى القرية والعزبة بأن يكون بكل منزل مرحاض وبكل غرفة نافذة لاتقل مساحتها عن متر مربع وألا يقل ارتفاع الجدران عن خمسة أمتار

٢ — قانون يلزم وزارة الاشغال بألا تجعل المياه فى قنوات الرى تصل الى مستوى الارض التى حولها حتى لايمكن الرى بغير الآلات فيقل الرشح وتزول الديدان من الارض

٣ — قانون يمنع المالك من ان يؤجر أرضه بأكثر من أربعة أو ثلاثة أمثال الضريبة المفروضة عليه

ان جميع هذه القوانين لاتحتاج الى ان تنفق الحكومة مليما من خزانتها ثم هى تنتهى برفع مستوى العيش بين الفلاحين وتعمل لترقية صحتهم

الدوخوبور

فى كندا نحو ١٦ الفا من طائفة غريبة تدعى الدوخوبور . وهذه الطائفة روسية الاصل تركت روسيا سنة ١٨٩٩ وهاجرت الى كندا

اما السبب لتركها وطنها فيرجع الى اضطهاد حكومة القيصر لها لان لها حفلات ومواكب دينية يسير فيها افرادها وهم عراة رجالا ونساء . واستطاعت هذه الطائفة ان تحمل الاديب القصصى

« تولستوى » على مساعدتها — فأرصد لها جميع ارباحه من كتابه « البعث »

وفتحت حكومة كندا صدرها لهؤلاء المهاجرين واسكنتهم ارضها .. فاشتغلوا فيها بالزراعة . ولم يجدوا أية معارضة فى حفلاتهم الدينية . واغلب الظن ان هذه الحفلات — تقام فى الريف — فلا يجد الكنديون مايصدم حياءهم ، او وقارهم فيها ، لانهم لايرونها

وقد ساء حال الدوخوبور هذه الايام لان الكساد الذى عم الزراعة قد شملهم . ومع ان حكومة كندا ساعدتهم فانه يخشى على عقاراتهم من البيع الجبرى . ولكن المظنون ان الحكومة ستتدخل آخر الامر وتحميهم من الطرد من ممتلكاتهم

ويرجع تاريخ هذه الطائفة الى القرن السابع عشر فى الاقاليم الجنوبية من روسيا

الانديه

تعددت الاندية فى القاهرة وهى فى نمو لاينقطع اذ قل أن يشكو ناد من قلة الاعضاء . كما ان اندية اخرى تنشأ هنا وهناك بعضها خاص بالالعاب الرياضية وبعضها خاص بشئون طائفة معينة . وهذه الحركة تستحق كل تشجيع لان النادى — كائنا ماكان — يضع نصب عينه غاية راقية هى خدمة الاخلاق او الصحة أو الثقافة أو خدمتهن جميعا

وقد اثرت هذه الحركة تأثيرا سيئا فى القهوات العامة . واستطيع ان اذكر اربع قهوات اوخمس قهوات مشهورة كانت الى وقت قريب يحتشد فى كل منها مئات من الشبان قد اقفلت ابوابها . ولايمكن ان يكون لهذا الكساد من سبب الا ان الشبان صاروا ينتظمون فى الاندية وينتفعون بحياتها الاجتماعية وبرامجها الثقافية والرياضية

ونظن ان هذه الاندية يجب ان تكون موضوع الاهتمام عند وزارة الشؤون الاجتماعية التى تستطيع ان تنتفع بمجهود الاعضاء وتنفعهم معاً

دنمركا

العناية بشيخوخة الفقراء هى احدى علامات الأمة المتمدنة فى الوقت الحاضر . فان الرجل أو

المرأة التى تبلغ الستين تحتاج الى العناية حتى تقضى ايامها الأخيرة على الارض فى هناء

وهذا هو ما تفعله دنمركا . فان الانسان — من الجنسين — عندما يبلغ الستين فى كوبنهاجن تتولاه الحكومة فتمنحه فى الشهر ثلاثة جنيهات ونصف جنيه . وهى تقدم له — اذا شاء — مسكنا فى بناء عظيم يحتوى على غرفة رحبة ومطبخ وحمام . وهذه «الشقة» مزودة بالماء الساخن وبمدفأة من الانابيب الساخنة . وأجرتها ١٣٥ قرش فى الشهر

واذا بلغ زوجان سن الستين صارت منحتهما خمسة جنيهات ونصف . وأجرة الشقة التى يسكنان ١٦٥ قرش . وهى تحوى غرفتين غير المرافق . ومع التدفئة والماء الساخن أيضا

وفى كل شقة غير الاثاث جهاز للراديو بالمجان

الخطبة

المألوف فى جميع أقطار العالم المتمدن أن يخطب الشاب الفتاة . وهذه هى القاعدة المرعية حتى حين يكون الاختلاط مباحا بين الشبان والفتيات كما هى الحال فى أوربا وأمريكا . فان للشاب كلمة الاقتراح أى انه هو الذى يسأل ويقترح وهى التى تستجيب أو ترفض

والعرف يقضى بان تكون الكلمة الاولى للشاب فى جميع الاحوال ولكن بعض الفتيات الامريكيات يتذمرن من هذه القاعدة ويرين انهن بلغن من الحرية بحيث يحق لهن ان يطالبن بان يكون لهن ايضا حق الاقتراح . وقد قرأنا مقالا فى إحدى المجلات الامريكية يبرر فيه الكاتب هذا الحق الجديد الذى يخالف جميع التقاليد عند جميع الامم . ولكن الحضارة الامريكية العصرية لاتبالى التقاليد

ولا نظن أننا نتهم باننا شرقيون حين نقول أننا نعتقد ان الحياء هو أو يجب ان يكون أخص خصائص المرأة . بل هذا الحياء هو بعض جمالها . والحياء يناقض وقوف الفتاة موقف المقترح البادى حين يقف الشاب موقف المستقبل المجيب

ضريبة الدخل

ذكرت التلغرافات ان ضريبة الدخل فى بريطانيا قد زيدت الى ان صارت الآن — بسبب

نفقات الحرب — سبعة شلنات و نصفا اى نحو ٣٦ قرشا للجنيه

وهذا القدر يوهم ان الضرائب باهظة بل فاحشة فى بريطانيا . ولكن ايجاز هذا الخبر قد أخل بالحقيقة التى نوضحها بالمثال التالى :

رجل له دخل سنوى يبلغ ٥٢٠ جنيه فمن هذا المبلغ يترك ٨٦ جنيها بلا ضريبة اصلا . فاذا كان هذا الرجل متزوجا ترك له ايضا مبلغ ١٧٠ جنيه . فاذا كان له ولدان ترك له مبلغ آخر قدره ١٠٠ جنيه فالباقى الذى تسرى عليه ضريبة الدخل هو ١٦٤ جنيه فقط من دخل قدره ٥٢٠ جنيه

ولكن ليس هذا كل شىء . فان من هذا المبلغ تفرض ضريبة قدرها ثلاثة شلنات وتسعة بنسات (أى نحو ١٨ قرشاً على الجنيه) على مبلغ ١٦٠ جنيه . فلا يبقى غير ٤ جنيهات تسرى عليها الضريبة الجديدة أى سبعة شلنات و نصف

فمجموع ضريبة الدخل التى ستجبى من رجل متزوج له ولدان وله دخل قدره ٥٢٠ جنيه هو ٣١ جنيها و نصف جنيه أى ان المتوسط هو نحو ٦ قروش للجنيه فقط

ولكن ضريبة الدخل تقع بأفدحها على كبار الأثرياء . فان الرجل الذى يبلغ دخله ٥٠٠٠ جنيه يؤدى ضريبة قدرها ١٧٠ ر ٢ جنيه . واذا كان دخله ٥٠٠٠٠ جنيه فانه يؤدى ٣٢٠ر٣٨ جنيه . فاذا كان الدخل ١٥٠٠٠٠ جنيه فان تسعة أعشاره تذهب فى الضريبة

التشاؤم

المتشائمون مخطئون . أو هذا على الأقل هو ماتدل عليه أقوالهم كما ترى من مقتبساتهم

فقد قال ولبر فورس سنة ١٨٠٠ : « انى لا اجرؤ على الزواج لأن المستقبل مظلم قلق »

وقال الدوق ولنجتون عند وفاته سنة ١٨٥١ : « انى اشكر الله اذ اغنانى عن رؤية تمام الخراب الذى يتجمع من كل ناحية »

وقال دزرائيلى سنة ١٨٤٩ « ليس هناك امل فى الصناعة أو التجارة أو الزراعة »

وقال وليم بت سنة ١٨٠٠ : « لا اكاد أرى غير الخراب واليأس »

وكل هذا التشاؤم كان ابن ساعته اذ لم يمض العام حتى زهت الدنيا وزال القلق وصفا القتام

ملك سكسونى

ليست بريطانيا غنية بالآثار . ولكن اللقية الأخيرة التى عثر عليها الأثريون فى كونتية سفوك تعد من العجائب . فقد وجد زورق أو سفينة يبلغ طولها ٨٢ قدما . وهى نعش لملك سكسونى قد دفن داخل هذه السفينة قبل ١١٠٠ سنة والى جانبه سيفه وحزامه المرصع بالذهب . ومعه كوب كان يحوى شرابا يشرب به فى العالم الآخر على نحو ماكان يقدم الطعام للفراعنة فى مصر بعد موتهم ودفنهم ولكن هذا الملك السكسونى لم يكن يعبد آلهة مصر . لأن ربه أودين هو الرب الألمانى الذى كان يعبده الجرمان ومن اليهم من السكسون والانجل والنروجيون وغيرهم . وكان المألوف انه عندما يموت أحد هؤلاء الملوك أو الامراء أن يدفنوا فى سفنهم ثم تطلق السفينة فى البحر وتشعل فيها النار فتحترق هى ومن عليها وتغوص رمادا فى البحر . وأحيانا أخرى كانت الجثة تدفن مع السفينة على الارض كما حدث لهذا الملك السكسونى



كتب الشهر الجديدة

ننشر هذه البيانات الموجزة عن الكتب التالية بنية الحديث عنها باسهاب فى الاعداد القادمة

« مع ابى العلاء فى سجنه » للدكتور طه حسين بك اخرجته مطبعة المعارف بالقاهرة صفحاته ١٨٦ من القطع المتوسط . يتحدث فيه المؤلف حديث الصديق الى الصديق مع ابى العلاء ويناقش اراءه الفلسفية

« لسان العرب » خمسة اجزاء من المعجم المعروف لابن منظور اخرجه الاستاذ عبدالله اسماعيل الصاوى من مطبعة الصاوى بالقاهرة . وكل جزء ١٧٢ صفحة من القطع الاكبر على نهرين وهو مرتب على النسق العصرى

« النقود العربية وعلم النميات » للبلاذرى والمقريزى مع تحقيقات وزيادات للأب انستاس مارى الكرملى . صفحاته ٢٦٠ من القطع الكبير وهو يبحث تاريخ النقود فى الدول العربية . اخرجته المطبعه العصرية بالقاهرة

« نخب الذخائر فى أحوال الجواهر » لمحمد بن ابراهيم السنجارى قام بتحريره الاب انستاس مارى الكرملى . صفحاته ١٩٠ من القطع الكبير . طبع بالمطبعة العصرية . وهو يبحث اصل الجواهر واحوالها كما عرفها المؤلف فى القرن الثامن للهجرة

« حياة دزرائيلى » تاليف اندرية موروا وترجمة الاستاذ حسن محمود صفحاته ٢٦٢ من القطع الكبير . اخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

« تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة » تأليف الاستاذ محمد فهمى لهيطة . صفحاته ٥٢٣ من القطع الكبير . اخرجته المطبعه الرحمانية

« الطب والصيدلة والكيمياء عند قدماء المصريين » للاستاذ عبد العزيز عبد الرحمن صفحاته ٤١٨ من القطع الكبير . اخرجته مطبعة الاعتماد بالقاهرة

« بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولوا ملك اليمن من ملك وامام » للقاضى حسين بن احمد العرشى صفحاته ٤٤٦ من القطع الكبير . عنى بنشره الأب انستاس مارى الكرملى . اخرجته مطبعة البرتيرى بالقاهرة

« الموجات العقلية واسرار الاتصالات الخفية » للاستاذ وليم سرجيوس صفحاته ١٦٠ . اخرجته مطبعة الشمس بالقاهرة

« قصص العرب . الجزء الثانى » للاساتذه محمد احمد جاد المولى بك ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى . صفحاته ٤٤٨ من القطع الكبير . وهو مختارات من الكتب العربية القديمة اخرجته مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة

« المثلجات القشدية او انجيلاتى » للاستاذ السيد مصلح . صفحاته ٢٤١ من القطع الكبير . اخرجته المطبعة الفنية . بمصر

« سيف الدولة وعصر الحمدانيين » للاستاذ سامى الكيالى . صفحاته ٢٣٨ من القطع الكبير اخرجته المطبعة الحديثة فى حلب

« تبسيط اللاسلكى علما وتركيبا ونشأة » للاستاذ محمد عاطف البرقوقى صفحاته ٢٥٤ من القطع الكبير . أخرجته مطبعة المعارف بالقاهرة

« الامتاع والمؤانسة » لابى حيان التوحيدى . الجزء الاول . صفحاته ٢٤٦ من القطع الكبير . صححه وضبطه وشرح غريبه الاستاذ أحمد أمين والاستاذ أحمد الزين . أخرجته مطبعة التأليف والترجمة والنشر

« علم الاقتصاد للمصريين » تأليف الاستاذ محمد فهمى لهيطة صفحاته ٥٤٣ من القطع الكبير . أخرجته مطبعة الاعتماد بالقاهرة

« الانفصال الشبكى وعلاقته بقصر النظر » للدكتور عطاالله يوسف فهمى . صفحاته ٧١ من القطع المتوسط . موضح بالصور الملونة . أخرجته مطبعة قاروط . بالقاهرة

« مختارات من القصص الانجليزى » اختارها وترجمها الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى صفحاته ٣٨٨ من القطع الكبير . أخرجته لجنة التأليف والنشر والترجمة . بالقاهرة

« من الأدب التمثيلى اليونانى . سوفوكليس » أربع درامات منقولة عن سوفوكليس الاغريقى ترجمها الدكتور طه حسين صفحاته ٣١٨ أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر

« الحساب الحديث للسنة الأولى الابتدائية » للاستاذ محمد مظهر سعيد المفتش بوزارة المعارف ثلاث رسائل . اثنتان للتلميذ . وواحدة للمدرس . طريقة جديدة قائمة على المبادىء السيكاوجية . صفحاتها ٨٠،٦٤،٢٣ من القطع الكبير . أخرجته مطبعة نهضة مصر

« الزعامة فى الشرق » قصة حياة الدكتور كاجاوا الزعيم اليابانى المشهور . تأليف الاستاذ وليم اكسلنج وترجمة الاستاذ حبيب سعيد. صفحاته ٢٢٣ من القطع المتوسط أخرجته دار الشرق والغرب بالقاهرة

« أديان العالم الكبرى » نقله عن مصادر انجليزية الاستاذ حبيب سعيد . صفحاته ١٣٢ من القطع المتوسط . أخرجته دار الشرق والغرب . بالقاهرة . وهو خلاصة للاديان السبعة المشهورة فى العالم

« نداء المجهول » للاستاذ محمود تيمور . قصة صفحاتها ١٦٠ من القطع المتوسط أخرجتها دار الكشوف ببيروت

ولكى اوضح هذا لا اجد خيرا من انقل مثالا رائعا عن بريل *

« جاءنى احد المرضى حديثا وناقشنى معترضا على نظرية تحقيق الرغبة ، ولكى يثبت زعمه قال انه حلم فى الليلة الماضية بانه اصيب بالزهرى ، وقد استطعت بسهولة ان اثبت له ان الحلم ينطوى على تحقيق رغبة عنده ، فقد كنت اعالج هذا المريض من عنة نفسية وفى اليوم السابق لحلمه تحدثنا فى موضوع الاختلاط الجنسى الحر (بغير زواج) ، فلفت نظره الى خطر العدوى بالامراض الزهرية وذكرت له طرق الوقاية اللازمة الخ فقال بشىء من العبوس « لاخوف من انتقال العدوى الى لانى لن اعدى حتى ولو حاولت » . فالحلم يحقق رغبته فى انه يمكن ان يعدى . اى انه لم يعد مصابا بالعنة بعد (من الواضح ان الحلم لايعنى رغبته فى ان يعدى ، ولكن فى انه يمكن ان يوجد فى موقف يعرضه للعدوى) .

وكثيرا ما يحلم المرضى بموت احد الوالدين او الاصدقاء ، ويبدون عجزهم عن فهم كيف يمكن ان يكون فى مثل هذا الحلم تحقيق رغبة . ولكن ايضاح هذا سهل ، ففى الاحلام كثيرا ما يرتد الانسان الى طرق طفلية فى الافصاح والتعبير ، بل الواقع ان بعض المواد الطفلية المضغوطة تظهر فيها دائما ، وفى الطفولة كثيرا ما يصيح الطفل « ان شاء الله تموت » دون ان يكون على ادراك (فهم) حقيقى للموت ، وكل ما يعنيه حينئذ هو « ان شاء الله تنزاح من سكتى لانك بتتداخل فى رغباتى » وهذا هو كل ما تعنيه رغبة الموت فى الاحلام فى غالب الاحيان .

والاحلام التى تحتوى على رغبات شبقية طفلية مضغوطة ، لمست مركباتها فى اثناء النهار ، كثيرة الحدوث جدا فى الاشخاص العاديين ، فمثلا لاحظت مرارا ان الاشخاص المصابين بالبواسير ، يمس عندهم الدافع الشرجى الشبقى المضغوط اذا هاجت البواسير عندهم فجأة ، فتجىء احلامهم فى اثناء الليل محققة للرغبة المتصلة بالدافع الشرجى الشبقى . وقد يكون مقنعا من حيث فهم المريض له ، ولكنه يكون على الدوام واضحا للمحلل حتى بدون تحليل . وهذا يحدث ايضا مع بقية الدوافع الشبقية المضغوطة الاخرى اذا عملت احدى حوادث اليوم التافهة على تقريبها من الوعى

ومن الحقائق الهامة للمحلل النفسى ان احلام الليلة الواحدة تشير فى الغالب الى نفس المركبات

* كتاب بريل « التحليل النفسى نظريته وتطبيقه العملى »

وان الحلم الثانى أو الثالث يكون أقل خفاء (تقنعا) من الأول ؛ كانما مع الاعادة يصبح المراقب أقل عناية وأضعف نشاطا ، ومن ثم أكثر عجزا عن اخفاء الرغبات كما ينبغى . وسنرى مثالا لهذا فى الحلمين الآتيين . وقد حدثنا لامرأة فى ليلة واحدة ، وكان من ضمن الاعراض التى تشكو منها البرود التناسلى النفسى

فقد رأت فى الحلم الأول انها تركب حصانا يجرى ، وفى أول الامر لم تتذكر شيئاً غير هذا سوى انها كانت عصبية جدا فى الحلم ، ثم أضافت بعد ذلك انها تعتقد ان الحصان كانت له لحية قصيرة رمادية

وفى الحلم الثانى رأت أنها تصعد سلالم برج مرتفع مع أبيها ، وكان هذا شاقا عليها حتى اضطر أبوها الى مساعدتها وعند قمة البرج سقط الاثنان معاً وقد أنهكهما التعب

وقد وضح معنى هذين الحلمين لى على الفور ، ولكنى لم أخبرها شيئاً بطبيعة الحال . وقد أدت الارتباطات التى ذكرتها الى التفسير الآتى (وهو نفس التفسير الذى كونته لنفسى فى بادىء الامر) : تشبه لحية الحصان لحية أبيها ، وقد علمها أبوها الركوب وهى فتاة ، وكان مغرما جدا بالخيل حتى لقد كان يقتنى عددا كبيرا منها . وفى اليوم السابق للحلم ركبت مع أبيها (وكان يقيم معها ومع زوجها) ، وقد قالت حينئذ ان أباها رجل يشبه الحصان ، ومن ثم خلطت أباها بالحصان . وكانت «تركب أباها» وهذا قناع ظاهر جدا لرغبتها الشبقية نحو أبيها

أما الحلم الثانى فقد بدا واضحا لها على التو ، وفيه لم يختف الاب وراء قناع ، بل بدا كما هو وصعدا الدرج ثم سقطا من التعب عند نهايته — وهذا رمز واضح للرغبة الشبقية ذاتها (رغبتها نحو أبيها) فى العقل الباطن

وهذان الحلمان يظهران رمزين مثاليين آخرين هما الركوب وصعود السلالم . وهما مع بعض افعال أخرى مثل السفر فى لنش وغيرها من التى تتضمن حركة منتظمة تمثل على الدوام الفعل التناسلى . وحتى فى اللغة (التعبير) بقى الرمز قائما ، اذ أن كلمتى الركوب والصعود تستعملان أيضا فى الجماع

والواقع أن السبب فى برود هذه المرأة تناسليا هو انها كطفلة أحبت أباها ، وظلت على هذا الحب فى عقلها الباطن منذ ذلك الحين ، فلم تستطع أن تنقل قوتها الشبقية الى زوجها . وقد بحثت

هذه النقطة باسهاب واف فى فصل المركبات الوالدية

وبالطبع لا يوجد فى الاحلام رمز ثابت ، والرمز الواحد قد يمثل شيئا اليوم وشيئا آخر غدا ، ولكن يوجد يقينا بعض رموز مثالية اذا وجدت فى حلم فانها تمثل فعلا أو رأيا خاصا . وقد ذكرنا الرمز الذى يدل عليه الركوب أو الصعود ، فكذا تسلق الشجرة يرمز الى نفس الفعل أيضا . وتمثل الكنيسة والصندوق فكرة الانثى به ، وفى كثير من الاحيان فكرة الأم ، فى حين أن الأشياء الاسطوانية المستطيلة تمثل العضو التناسلى للذكر ، أو نادرا مقابله عند الانثى . ويمثل عبور النهر أو الخندق الغلبة الناجحة فى الحلم على صعوبة لم تغلب فى اليقظة وهكذا . ولسنا بحاجة الى ذكر أمثلة عن هذه الاحلام ، فحسبنا ما ذكرنا لايضاح كيفية تكوين الأحلام وطريقة تحقيق الرغبة فيها

الخلاصة

١ — ترمى الغالبية الساحقة من الاحلام الى غرضين (ا) تحقيق رغبات مضغوطة أو غير محققة (ب) حفظ النوم

٢ — يتكون المحتوى الظاهر للحلم من أى مادة تقع فى متناول اليد ، ويكون جزء منها من حوادث الاربع وعشرين ساعة السالفة

٣ — يختفى المحتوى الكامن للحلم أو معناه الداخلى وراء الرمز البادى فى المحتوى الظاهر ، وبذلك لا يستطيع الحالم أن يعرفه

٤ — جزء من المحتوى الكامن للحلم يشير دائما الى حوادث طفلية مضغوطة

٥ — يشير الانفعال فى الحلم الى المعنى الكامن وليس الى المحتوى الظاهر

الفصل التاسع

الامراض الوظيفية

تأخذ الهستريا والاضطرابات القلقية وغيرها من الحالات العقلية دورها الطبيعي من هذا البحث بعد فصل الاحلام ، لانها بالنسبة لحالة اليقظة تشبه الى حد كبير الاحلام بالنسبة للنائم . وكابوس النائم يطابق على وجه العموم حالة القلق عند المريض العصبي في يقظته ، وبعبارة أخرى تعتبر حياة المريض العصبي نوعا من الاحلام . وأسخف الاحلام قد يكون أكثرها صدقا في أثناء النوم، لانه انفعالات من التجربة الواعية . وبذلك قد يرى رجل انه يسقط من ربوة على ارتفاع ٣٠٠ قدما ثم يجلس مستريحا ودون أي دهشة على مقعد مريح في أسفل الربوة لان تقديره الواعي عن السقوط ينفلت (ينفصل) من تجربة الحلم . وفي الهستريا يحدث انفصال من الوعي شبيه بهذا ، ولذلك فان دراستنا للاحلام ستمكننا من فهم الامراض الوظيفية بسهولة . وهذه الأمراض هي حالات مرضية (باثولوجية) تصيب العقل ، وفيها تكون سخافة الموقف كما تراها قوانا المفكرة مهملة دون أي جهد متعمد أو واع ، ولكن لسبب بسيط هو أن شخصيتنا تنفصل الى جزئين أو أكثر فتحدث فجوة بين التفكير والاستنتاج الواعي وغير الواعي ، وتبقى هذه الفجوة كما هي — اى لا يمكن عبورها — حتى يكشفها التحليل . وهذا التعليل ينطبق على بعض حالات الهستريا والجنون ، ولكنه لا ينطبق على جميع الحالات التي نسميها الامراض الوظيفية ، لانه اذا كان بعض هذه الامراض يحدث من وجود هذه الفجوة أو من وقوع الانفصال في الوعي في الآراء (المثليات والذكريات والمشاحنات) فان بعضها الآخر يحدث من تجمع الانفعالات المرتبطة بهذه الاراء ، ويجب أن نذكر دائما أن الانفعالات أولية اى تسبق التفكير . وبذا نرى انه اذا كانت الانفعالات الشبقية في الانسان تعقب رأيا خاصا في الجمال أو في غيره من الانجذابات فلنذكر ان اسلافنا البدائيين عرفوا هذه الانفعالات قبل أن يعرفوا التفكير . ولا يستطيع الانسان أن يتصور أن دودة الارض مثلا وهي كائن لا عيون له ، وذات عقد عصبية تمثل المخ البدائي يمكن أن تكون لها أراء خاصة عن

غيرها من الدود ، ولكننا نستطيع أن نتصور لها قوة من الانفعالات — لا علاقة لها بالتفكير المحدد — تدفعها وتقربها من دودة أخرى وهى التى توجد فيها رغبة الملامسة وما أشبه دون أن يكون هناك رأى تفكيرى وراء ذلك كدافع . وبعبارة أخرى يوجد دور فى النمو تصبح فيه الانفعالات كما هى انفعالات متعلقة بصورة أو بفكرة عقلية

ولذلك يجب أن نقسم أمراضنا النفسية الى قسمين : تلك التى تتعلق باراء خاصة وبالانفعالات التى تصاحبها ، وتلك التى تدور بصفة خاصة حول الانفعالات ذاتها بغض النظر عما اذا كان لهذه الانفعالات فى الواقع آراء متصلة بها أولا . ومن الممكن أن يكون التقسيم كالآتى :

١ — الامراض العصبية النفسية : وهى حالات عصبية تحدث عقب اراء مضغوطة

٢ — الامراض العصبية الحقيقية : وهذه تحدث عقب انفعالات متجمعه سواء أكانت تتصل بها أراء خاصة أم لا

وقد قسم كل باحث الامراض العصبية المتعددة تقسيما مختلفا عن غيره ، ثم زاد من تعقيدها ان كثيرا من هذه الامراض يختلط بعضها ببعض فتنشأ من ذلك حالات جديدة ؛ قد يراها بعض السطحيين من الكتاب أمراضا جديدة . والارجح أن تقسيم فرويد هو أصحها . واذا كنا نخالفه قليلا فلتبسيط الموضوع للطلاب . وها هو التقسيم الذى وضعته

ا — الامراض العصبية النفسية « الهستريا »

١ — الهستريا التحويلية

٢ — الهستريا القلقية

٣ — الهستريا القهرية (التسلطية)

٤ — هستريا الاضطهاد (البارانوا المبكرة)

٥ — الجنون المبكر « بعض حالات خاصة منه » — جنون المراهقة

ب — الامراض العصبية الفعلية

١ — القلق العصبى

٢ — النوراستينيا

وهنا يجب ان نقرر أنه على الرغم من فصل الامراض العصبية النفسية عن الامراض العصبية الفعلية فسنرى انهما كثيرا ما يختلطان ، لان الهستريا القلقية والقلق العصبي فيهما أشياء مشتركة كثيرة ، بل اننا نكاد نقول ان الهستريا القلقية تتضمن ايضا القلق العصبي ، والفارق الهام بينهما هو ان الهستريا القلقية فى اساسها هى اراء مضغوطة مع قدر خاص من انفعالات مضغوطة ، فى حين ان الانفعالات المضغوطة هى الفاصل الهام فى القلق العصبي ، كما يمكن ان توجد ايضا اراء متشاحنة مضغوطة

أما النوراستينيا فانى أشك فى صحة اعتبارها مرضا وظيفياً محضا ، وسأذكر السبب فيما بعد ، ولكن مشابهتها للامراض العصبية الفعلية واتفاق ميكانيكيتها معها يجعلنى من قبيل الراحة لا من قبيل الاقتناع أضعها معها فى تقسيم واحد

١ — الامراض العصبية النفسية « الهستريات »

أساس هذه الامراض أراء ومشاحنات مضغوطة غير واعية لم يحتملها الفرد ، وكانت لسبب ما فى خطر من الظهور فى الوعى . وقد ذكرنا فى فصل سابق أن القوة الشبقية يمكن أن تضغط فى دورين مختلفين كل الاختلاف : الاول فيما يتعلق بالدافع الشبقى فى أثناء الطفولة المبكرة ، والثانى فيما يتعلق بتحقيق هدف شبقى قبيل المراهقة أو بعدها . فاذا تصادف فى أحد الناس ان أخذ الضغط يضعف ، أو كان التصعيد غير كاف ، أو قابله منبه خاص عمل على اظهار المادة المضغوطة « من أراء أو مثل عليا أو مشاحنات الخ » الى الوعى ، فان هذا الشخص يصبح هدفا للهستريا ، وتكون الاصابة بها حينئذ وسيلة أخرى من وسائل الدفاع ضد ظهور المادة المضغوطة الى الوعى . فالهستريا فى عبارة أخرى هى آخر خط من خطط الدفاع . وقد يرجع الضغط الاول الى عهد الطفولة المبكرة . ثم قد تجيء حوادث أخرى فيما بعد فتضيف من نزوع المادة المضغوطة الى الظهور فى الوعى ، ولكن قد يظل الضغط من القوة بحيث يبقى اللاوعى الى فترة خاصة يكون الضرر فى أثنائها عاديا — أو بعبارة أخرى يبقى الدفاع الذى قام به مراقب العقل ضد المادة المضغوطة كافيا وناجحاً . ولكن قد يحدث أخيرا نزاع قوى الى درجة تجعل استمرار الدفاع مستحيلا ، مالم تجد كل المادة المضغوطة التى انفصلت

من الشعور العادى مخرجا لقوتها فى صورة غريبة عن ذلك الشعور أيضا . فالذى يحدث فعلا هو أن الضغط لا ينجح ، ويميل النزاع الى الظهور فى الوعى؛فتقوم محاولة لفصله من الشعور الواعى وتحويله الى طريق آخر — ومن ثم تنشأ الهستريا : دفاع ناجح الى حد ما فى منع الاراء غير المحتملة من الظهور فى الشعور « الوعى » العادى . أما نوع الهستريا الذى يظهر فيتوقف على الفكرة السائدة فى النزاع الواقع بين المراقب واللاشعور

١) الهستريا التحويلية : يقع النزاع فى الهستريا التحويلية عادة بين رأى مضغوط « رغبة » وبين قوة مانعة « رادعة » . وقد تكون هذه القوة داخلية . كأن تتمثل فى رأى آخر يتعارض مع الرأى الأول ، أو قد تكون خارجية تفرضها البيئة وتمليها الظروف . وقد أطلق عليها هذا الاسم لانها تتضمن تحويلا (مع انفصال من الشعور) للرأى غير المرغوب فيه من الناحية العقلية الى الناحية الجسدية . ولنضرب مثالا جدليا : سنفرض أن شخصا استطاع أن يضغط بنجاح نزاعا عقليا بكل ما يتبعه من المنبهات حتى حدث منبه أخير كان يمكن فى المعتاد أن يظهر الرأى غير المحتمل الى الوعى وسنفرض أيضا ان هذا الشخص من عادته ان يستعمل عبارة خاصة استعمالا كثيرا ، ولتكن هذه العبارة « انى أشعر بقرف شديد من ذلك » مشيرا بطبيعة الحال لا الى أسباب جسدية « للقرف » ولكن الى حالة عقلية خاصة . وها قد أوشك الرأى غير المحتمل على الظهور الى الوعى . كما ان العبارة المعتادة على « طرف لسانه » فالنتيجة هى حدوث ضغط مؤقت آخر يمنعها من الظهور الى الوعى ، ويتجه الشخص بكل قوته العقلية التى تجعله « قرفان جدا » عقليا الى الناحية الجسدية فيصبح «قرفان جدا » جسديا ، ومن ثم يبدأ فى القىء لاى اثارة ، بل لقد يحدث له القىء الهستيرى فعلا . وبذلك ينجح مرة أخرى بواسطة هذا التحويل فى حماية عقله الواعى من الافكار غير المحتملة فى العقل الباطن

وسننقل فيما يلى مثالا عن بريل : امرأة متزوجة فى التاسعة والاربعين من عمرها كانت تشكو من أعراض هسترية منذ أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، ومن ضمن هذه الاعراض شلل الذراع الايمن مع تقلص شديد الألم لاكثر من ثلاث سنوات . وكانت عضلات الذراع والكتف فاقدة الحساسية حتى انها لم تكن تشعر بوخز الابر العميقة . بينما كانت اقل محاولة لفرد الذراع تسبب لها اشد الالم ، بل الواقع ان الالم كان اهم الاعراض التى تشكو منها . ومن المستحيل ان اذكر هنا

كل تفاصيل التحليل فى هذه الحالة ، ولذا فسأقتصر على ذكر بعض المؤثرات النفسية : فقد ضغط كل احساسها الجنسى من اثر بعض الصدمات الجنسية فى اثناء الطفولة ، فاصبحت باردة جنسيا بعد الزواج وبذا اصبح الجماع مؤلما وكريها لها مما قوض اركان سعادتها الزوجية . ولم يستطيع زوجها ان يدرك السبب فى هذه الحالة ، ومما زاد الطين بلة انه ضبطها تمارس الاستمناء فى اثناء النوم ، فاثار ذلك اشد الحنق والسخط عليها ، وحاول سؤالها عنه ولكنها مضت فى النوم ولم تجب على محاولته ايقاظها .

وقد ظن فى بادىء الامر انها تتصنع النوم ، ولكنه استنتج اخير انها كانت فى « نوبة » وشكا الامر الى طبيب الاسرة . وبملاحظتها تبين ان هذا الاستمناء فى اثناء النوم كان يحدث بمعدل خمس او ست مرات فى الاسبوع دون ان تتذكر شيئا عنه قط . وقد رفضت فى اول الامر ان تصدق ذلك ولكنها اضطرت الى الاقتناع عندما اخبرتها اختها انها رأتها بنفسها اثناء النوم، فرأت ان تستشير احد الاطباء ، وقد وصف لها هذا الطبيب جرعات كبيرة من البرومور ونصحها ان تلف يدها فى قماش وتربطها بعد اطباقها ربطاً محكماً . وبينما كانت تعالج نفسها من الاستمناء وصل الى علمها ان زوجها على علاقة غير شريفة مع احدى العاملات عنده فلم تستطع ان تصدق هذا النبأ ، ولم ترض بطرد الفتاة على الرغم من كل ماحاول اهل زوجها معها ، لانها كانت ابنة امرأة فقيرة عطفت عليها واخذتها عندها فى المصنع « للقبعات » لتعليمها وتدريبها . وقد استمرت هذه الحالة بضعة شهور ، وكانت تشعر بغيرة شديدة ولكن كبرياءها كان يمنعها من اتخاذ اى اجراء فى الموضوع وفى اثناء نزاع على امر آخر امسكها زوجها من ذراعها الايمن فصار الى الحالة التى ذكرناها فى مبدأ القصة . ولما كانت هى الروح المحرك للمصنع فقد اضطرت الى اقفاله بعد ان تعطلت واصبحت غير قادرة على عمل شىء .

فهنا نرى النزاع واضحا بين قوة الرغبة والضغط ، فان المشاعر المضغوطه جعلتها تبدو باردة فى الوعى وحارة العاطفة فى اللاوعى . فلما ظهر الاستمناء امام عقلها الواعى توسلت بكل الوسائل الممكنه الى منعه ولكنها لم توفق ، ثم جاءت خيانة زوجها فاثارت فى نفسها نزاعا آخر بين الغيرة والكبرياء ولكن كبرياءها غلبت فلم ترض ان تصدق ماكان يراه جميع الناس ومارأته هى بنفسها فلما امسكها زوجها من الذراع الذى سبب لها كل هذا الالم العقلى — وهو الذراع الذى كانت تمارس به الاستمناء — حدث التحويل . فكان هذا العارض ، فى رأى فرويد ، بنتيجة الصلح بين

اثار متعارضة ، واستطاع فى الوقت نفسه ان يؤدى غرضا مزدوجا : منع الاستمناء ، وعطلها الى درجة انه افقدها القدرة على العمل فصفت المصنع وبذا طردت الفتاة التى سببت لها كل هذا الالم ، كما كان الالم ايضا عقوبة للرغبة الجنسيه التى بدت . وهنا يصح ان نذكر انها لم تستعمل يدها اليسرى قط فى الاستمناء ، كما أنها لم تمارس هذا الفعل قط بعد ان عولجت بالتحليل النفسى وشفيت.

وقد صادفت حالة قريبة الشبه جدا من هذه الحالة : كانت المريضة امرأة فى حوالى الثامنة والعشرين من عمرها ، تشكو من شلل فى الذراع اليمنى مع تقلص وانثناء عند المرفق ، كما كانت اليد والاصابع منثنيه أيضا ومتقلصة . وقد عاشت المريضة منذ طفولتها فى بيئة شديدة التمسك بالدين ونشأت فى جهل تام بالامور الجنسية وباعتقاد ان كل فكرة تتصل بهذه الامور ولو من بعيد يجب ان تستبعد من العقل . فنتج عن هذا انها كانت تنظر الى الزواج نفسه كستار يبيح الخطيئة ويلبسها ثوب الاحترام ، ولذا ينبغى لكل من يريد ان يحيا حياة سامية ان يتجنبه . وقد يبدو غريبا انها — على الرغم من هذه الفكرة — كانت تمارس الاستمناء منذ طفولتها ، ولكن دون أن تدرك ان هذا الفعل له اى اهمية جنسية ، مما يدل على مدى جهلها بالامور الجنسية . وقبل ان يصيبها حادث ذراعها بوقت قصير قرأت كتابا لمؤلف حسن النية ولكنه جاهل يحاول فيه ان يشرح للناس « خطاء » الاستمناء . وقد تضمن هذا الكتاب الاخطاء الذائعة التى كثيرا ماتضر من ان الاستمناء يؤدى الى الجنون والى « ضياع النخاع الشوكى » الخ . فكان هذا صدمة فجائيه للمريضة ادركت معها انها انما كانت ترتكب عملا شاذا وحيوانيا من أحط الانواع ، ثم صدمت مرة أخرى من الفكرة بان جسمها وعقلها سيتأثران فى القريب العاجل وان روحها ستلقى الى الابد . فكان الصراع الاول مع العادة التى كانت تمارسها ، ولكنها فى ذلك الحين كانت قد نالت منها بحيث لم يستطع الخوف ان يؤثر عليها فى ابطالها . بل لقد عمل تفكيرها المستمر فى الموضوع — بواسطه الايحاء الذاتى — ومقاومتها اللاشعورية على زيادة ممارستها لهذا الفعل عشرة اضعاف . ثم استطاعت لفترة اخرى ، ان تضغط افكارها ضغطا تاما ونجحت فى التغلب على هذه العادة والاقلاع عنها . وبعد ذلك صادفها منبه خارجى جعل النضال العقلى يوشك ان يظهر فى الوعى مرة اخرى ، كما كانت انواع اخرى من النضال الطفلى لاحاجة الى ذكر تفاصيلها هنا موجودة ايضا . فلجأت فجأة الى

الهستريا التحويلية والتمست منها راحة كاملة لعقلها ونسيانا تاما فى الظاهر على حساب الذراع المشلولة وقد كشف التحليل عن سلسلة تلفت النظر من رغبات متحققة كتلك التى تظهر فى الاحلام . فكان العارض فى الهستريا — كما فى الاحلام — هو القناع او الرمز لافكار متعددة تحتاج الى الافصاح فى نفس الوقت . فالشلل الذى اصاب الذراع يرمز الى الامور الثلاثة الآتيـة : اولا : هو عقوبة الهية اصابت المريضة الان ، وبذا تعفيها من العقوبة المنتظرة فيما بعد . ثانيا : انه النتيجة المادية لعمل خاطىء شرير ، فلا خوف اذن على المخ والنخاع الشوكى . ثالثا : انه عطل اليـد التى كانت تمارس الخطيئة عن ممارستها ، ومن ثم فان الرغبة فيها ستضيع . استنتاج غير منطقى ولاشك ، ولكنه كاف ليمهد طريقا مأمونا لعقل المريضة المسكينة التى لم تع شيئا عن سبب المرض ، ولا عن ادوار التفـكير التى تمت فى عقلهـا الباطن . وعنـد التحليل ظهرت هـــذه المادة المضغوطه الى الوعى بطبيعة الحال ، وتصعد جزء من قوتهـا ، ثم بالمرانة والتوفيق امكن ان تشفى وان تصبح امرأة نافعة مرة اخرى

ولسنا نقول ان مركبات الاستمناء تكمن وراء كل حالات الهستريا التحويلية ، ومن المصادفة أن الامثلة التى ذكرتها هنا كان فيها هـذا المركب . وقد تخيرتهما لسهولتهما ولغرض المقـارنة . والواقع ان الهستريا التحويلية يمكن ان تتضمن كل نوع من انواع الضغط الطفلى مع ماينجم عنه من النضال . وقد ذكر فرويد حالة امرأة اصيبت بنورالجيا العصب الوجهى ، وقد اظهر التحليل ان هذه النورالجيا تمثل من الناحيه المادية صفعة على الوجه فى مناسبة اهانها فيها زوجها . ولم ادخل فى تفاصيل المادة المضغوطة فى هذه الحالة لانها ليست لازمة لبحثنا . ولايسع المرء الا ان يلاحظ الشبه بين الحلم والهستريا فى ايجاد رمز او ستار يظهر عليه الفـكر المضغوط فى صورة خبيثة .

وقد تظهر الهستريا التحويليـة على صورة اى عارض او علامة مادية ، فتشبه الى حد دقيق اى فة حقيقية . ولايوجد فى الواقع اى عارض من اعراض اختلال الامداد الحسى او الحركى لايمكن ان يختلط بالهستريا التحويلية . ومن صورها الـكثيرة الحدوث . عدم القدرة على الـكلام ، وانواع الشلل والتقلصات المختلفة ، وفقدان الاحساس ، وشدة الحساسيه ، والالام المتنوعة وخصوصا انواع النورالجيا والام البطن والقىء والاسهال والامساك الخ .

٢ — الهستريا القلقية . تشبه الهستريا التحويلية فى ميكانيكية تكوينها ، ولكن بدلا من تحول المركبات المضغوطة الى اعراض جسدية فانها تختفى وراء قناع عقلى آخر مثل الاحلام النهارية الهستيرية أو المخاوف او « النوبات الهستيرية » . وتختلف الهستريا القلقية من الهستريا التحويلية فى ان المرضى المصابين بالنوع الثانى يبدو عليهم فى الغالب الهدوء والسعادة حين ان المصابين بالنوع الاول يبدو عليهم القلق والاغتمام مع كثير من الاعراض الاخرى التى سنذكرها عند الحديث على القلق العصبى . غير اننا سنقتصر هنا على دراسة كيفية تكون المخاوف والاحلام الهستيرية و« النوبات الهسترية » . وثمة نقطه اخرى للخلاف بين النوعين ، فاننا نكاد نجد على الدوام فى حالات الهستيريا القلقية اضطرابا حقيقيا وضغطا غير عادى للافعال الجنسية مع ما يصاحبها من الانفعالات . وسنبحث هذه الاضطرابات الجنسية النوعية ايضا عند دراسة القلق العصبى الذى يعد مسؤولا عن حدوث كثير منها . والواقع يمكن القول ان الاحلام النهارية الهستيرية القلقية تتطابق مع ضغط النضال غير السار ، فى حين ان القلق والاعراض الجسدية تتطابق مع الاضطراب الجنسى الواقعى

وتقع الخيالات أو الاحلام النهارية الهسترية عادة لمرضى استطاعوا أن يمتنعوا عن ممارسة الاستمناء ، دون أن يجدوا بديلا له يشبعون به عواطفهم الجنسية المهتاجة ، وذلك لنقص قدرتهم على التصعيد ، وبعبارة أخرى صراع « نضال » بين رغبة مضغوطة ورادع داخلى . وتظهر فى هذه الاحلام النهارية الهسترية ثلاثة أدوار تطابق ادوار الاستمناء الثلاثة ، بل يمكن أن نعدها عوضاً لها . فالدور الاول هو دور الاحساس بالصحة والعافية . والدور الثانى هو دور الاستغراق فى الذات ، اذ ينسحب المريض من عالم الحقيقة ويلتمس لذته وشبعه من أفكار سرية . والثالث هو دور الانقباض وهو يطابق الى حد بعيد الانقباض الذى يعقب الاستمناء

ولست أجد هنا خيرا من أن انقل هاتين الحالتين عن كتاب ستودارت « الامراض العصبية الحديثة »

١ — اعتادت امرأة صغيرة أن تتخيل نفسها متزوجة الى رجل ثرى وجيه ، كما اعتادت أن تتخيل ان لها ثلاثة أطفال رائعى الجمال ، وكانوا يعيشون جميعا فى سعادة فائقة على ظهر يخت فاخر ويستضيفون طائفة من كبار القوم . ثم انهدم البناء كله فمات زوجها وأبناؤها ، وظلت وحيدة فى

انقباض مؤلم لعدة أيام

٢ — توهم أحد عمال النسيج ان صاحب العمل يضطهده فاخذ يفكر فيما يصنع اذا كان ايراده ٤٠٠ جنيها فى السنة. وقد تخيل نفسه حينئذ يملك محلا يكسب منه كثيرا من المال باضطهاد موظفيه ونما عمله حتى انه كان يضم مئات من الموظفين والعمال، وزادت ثروته زيادة فاحشة، واذا به يخسرها كلها فجأة فى المضاربات

٣ — تخيل صحافى صغير نفسه يجرى فى سباق ويكاد يربحه واذا باحد منافسية يضربه في فخذه وقد سال دمه وحاول مدربوه أن يحملوه عن متابعة العدو، ولكنه ازاحهم عنه ومضى فى السباق حتى كسبه. وفى النهاية سقط منهوك القوى فاقد الوعى، وحمل الى خارج الملعب وسط هتاف الجماهير

٤ — حالة عن فرويد: تخيلت احدى السيدات نفسها على علاقة دقيقة مع أحد لاعبي البيانو دون أن تعرفه معرفة شخصية. وقد أنجبت منه غلاما فى الوهم، ثم هجرها وتركها مع طفلها تعانى مذلة البؤس والشقاء. وفجأة وجدت نفسها تبكى فى الطريق الذى تصادف انها كانت تعبره فى ذلك الوقت

وأولئك الذين يعرفون شيئا عن التحايل النفسى سيستطيعون فهم المركبات التناسلية التى تكمن وراء هذه الاحلام النهارية: — الرغبة فى الزواج فى الحالة الاولى والرابعة، والمركب السادى فى الحالة الثانية، والميل الى العرض فى الحالة الثالثة

فاذا لم تتخذ الهستريا القلقية شكل حلم نهارى كما فى الامثلة التى ذكرناها فانها قد تبدو فى صورة مخاوف «فوبيا» ولكن لا تكمن المركبات الاستمنائية وراء هذه المخاوف عادة

وليست المخاوف وقفا على الهستريا القلقية، اذ قد يوجد بعضها فى الهستريا القهرية «الاضطراب العصبي القهرى — نيوروز القهر»

وقد وضع فرويد أول تقسيم للمخاوف، ولكن توالى البحث أظهر ضرورة تعديل هذا التقسيم مرارا متعددة، ولذا فمن العسير على المرء أن يحدد بدقة كل نوع من المخاوف كعارض لنوع معين من الاضطراب العصبي، وقد قسمت المخاوف فى أول الامر الى قسمين: المستبدلة وغير المستبدلة.

فالمخاوف المستبدلة هى تلك التى تكون طبيعتها مشابهة بطبيعة الهستريا التحويلية ، أى التى تكون المخاوف فيها استبدالا محددا ومخرجا لافكار ومشاحنات مضغوطة ، مع فرق واحد فقط هو اننا نجد الاستبدال فى الهستريا القلقية يحدث فى الدائرة العقلية ، بينما هو يحدث فى الهستريا التحويلية فى الدائرة الجسدية . وتكون المخاوف فى هذه الحالات عادة ذات طبيعة واضحة محددة ، فمثلا قد تظهر فى صورة الخوف من القطط ، أو من الابر والدبابيس ، أو من الدم الخ دون أن يكون هناك حد تقف عنده ، ومع بقائها على الدوام واضحة ومحددة تماما .

أما المخاوف غير المستبدلة فهى تلك التى لا يمكن ارجاعها الى أفكار مضغوطة ، وانما هى مظهر لقلق غامض . وهذه خاصة بالقلق العصبى وأهمها الخوف من الاماكن الضيقة والخوف من الاماكن الفسيحة والخوف من الصواعق وغيرها من المخاوف المبهمة . ولكن تقسيم المخاوف على هذه الصورة لا ينفع الآن

وتتضمن الهستريا القلقيه كثيرا من المخاوف المستبدلة التى كانت تنسب فى اول الامر الى الهستريا القهرية « التسلطية » . اما مايسمى المخاوف غير المستبدلة فيمكن فى بعض الاحيان ان توضع فى القسم الخاص بالمخاوف المستبدلة ، فمثلا كثيرا ماوجدت الخوف من الاماكن الفسيحة مظهرا محددا لعرض مضغوط ضغطا قويا ، وكان الخوف فى هذه الحالات مظهرا عكسيا مبالغا فيه للرغبة المضغوطة ، فالخوف من الاماكن الفسيحة يمثل فكرة المريض من كشف نفسه كشفا واضحا . كما ظهر الخوف من الاماكن الضيقة فى احدى الحالات مصاحبا لمريض كان مركب اوديب عنده قويا جدا .

وبذا نرى انه على الرغم من ان هذا التقسيم يستند الى بعض الأساس ، الا اننا لانستطيع ان نحدد تماما اى المخاوف يشير الى نوع بعينه من الهستريا او الاضطراب العصبى . ويمكن ان نقول اجمالا ان الشخص الذى يعانى من احد المخاوف يكون مصابا اما باضطراب عصبى قهرى او بهستريا قلقيه ، وان التشخيص المقارن بين الاثنين يمكن ان يصل الطبيب اليه بسهولة عند بحث تاريخ المرض وفحص حالة المريض

وقد ذكر ارنست جونس مثالا طيبا يبين المادة التى تتكون منها المخاوف . وتتلخص الحالة التى

أرادها فيما يأتى : « المريض شاب كان يشعر كلما وقف على مرتفع بقلق بسيط واضطراب وخوف ودوار وخفقان بالقلب وزيادة فى افراز العرق مع خوف واضح من أن يلقى بنفسه من أعلى المكان الواقف فيه . وكان هـذا الشعور أقوى وأشد وضوحا اذا أشرف من مرتفعه على الماء ، كما كانت رؤيته لأى واحد من الناس اذ ذاك تبعث فى نفسه الخوف من أن يدفعه الى السقوط ، ولكن هـذا الاحساس كان قاصرا على الرجال دون النساء . وقد كشف التداعى عن التفاصيل الآتية : ذهب وهو فى سن العاشرة الى حفلة موسيقية وكانت الصالة شديدة الازدحام فاجلسه أحد الرجال على حافة نافذة تعلو ستة أقدام عن مستوى الارض ، وقد اعتراه خوف شديد من السقوط ، وبعد نصف ساعة رجا الرجل أن ينزله (هـذه الحادثة فى نفسها لا تتضمن أذى نفسيا كافيا لاحداث الخوف ، ولكن من الواضح انها تكفى لاظهار الخوف بصورة بارزة) . وفى السنة السابقة أخذه أبوه الى برج يعلو مائتى قدم عن سطح الارض ، وله شرفة بارزة فى قمته . وقد شعر بخوف شديد من هذه الشرفة على الرغم من الحاجز (الدرابزين) المقام عليها ، غير أن أباه أرغمه على التجوال فيه فنفذ أمره وهو يرتجف فزعا . وصادفه حادث آخر وهو فى السابعة من عمره : ذلك ان أحد مدرسيه — وكان شابا صغير السن — علقه من قبيل المزاح من فوق جدار عال وهدده بان يلقيه منه ، مما سبب له أيضا أشد الفزع . ولما كان فى الثالثة من عمره أمسكه أحد الزائرين وهو فى سورة الغضب وأشرف به على فنطاس كبير مملوء بالماء وهدده بالقائه فيه . ولا يوجد بين هـذه الوقائع كلها ما يكفى لتبرير الخوف فى ذاته . فان الاشخاص العاديين كثيرا ما يصادفون جروحا نفسية مثل هذه أو أشد دون أن تؤدى الى احداث مخاوف دائمة عندهم ، ولذلك فلا بد أن يكون هناك عاملا آخر يلعب دوره فى الحالات التى تظهر فيها المخاوف .

وقد ظهر من التحليل الذى قام به فرويد وغيره من الباحثين ان المخاوف قد تكون رمزا لرغبة مضغوطة ، وان التأثير المستمر لهـذه الرغبة قد يكون مسؤولا عن استمرار الخوف . وبعد قليل يصبح الخوف علامة على الصلح بين رغبة أو رغبات مضغوطة وبين القوى الرادعة التى ضغطتها . ونشاط هذه الرغبات هو الذى يؤلف السبب النوعى والهام فى الحالة العقلية المرضية

ويمضى ارنست جونس فى بحث المخاوف فيقول « ليس من الضرورى أن يمثل نفس النوع

من المخاوف دائما لرغبة المضغوطة نفسها ، هـذا وان كانت بعض الرغبات تكاد تمثلها على الدوام مخاوف معينة حتى لنعدها خاصة بها . وأهم هـذه هى (١) الرغبة المضغوطة نحو السقوط الادبى : هـذه يرمز اليها بعملية السقوط ، كما يرمز الى تطهير الروح من الخطيئة بعمليـة الاغتسال فى المـاء « التعميد » . وكثيرا ما تستعمل كلمـة « السقوط » لتـدل على الفكرة الموجودة ، فنحن كثيرا ما نصادف الفاظا مثـل « يسقط من مركزه » و « امرأة ساقطة » وغـيرها لها يدل على ان ناحيتى استعمال هـذه الكلمة -- اللغوى والمجازى — يمكن ان يتحدا فى العقل الباطن ، كما يمكن ان يحدث لاى كلمـة اذا كانت ذات معنى مشترك ، او لاى كلمتين اذا كانتا ذات نطق مشترك . (٢) الرغبـة المضغوطه نحو رؤية الغير يسقطون . اما حرفيا « وذلك بدفعهم الى السقوط او بتسبيب الاذى لهم او بقتلهم » او مجازا « بالعمل على خرابهم » . وهـذه الحالة مثال طريف للطريقة التى يمكن بها هذه الرغبة القاسية ان تصطحب — او تستبدل فى الوعى — بالخوف من المرتفعـات . والعامل لهم « النتوء » الذى يوجد كثيرا فى كل من العقل المشوش والعقل العادى « خصوصا فى دوره الطفلى » . ونحن نقابله بشكل واضح جدا فى ضمير المذنب فى صورة الخوف من العقاب على الخطيئة ، كما نراه ايضا فى مئات الدرامات والكتب حيث يرتد السوء الذى يدبره احد اشخاص الرواية لبطلها على صاحبه . فالرجل الذى يميل الى القتل يخشى ان يقتل نفسه فهو يعزو الى الغير نيات السوء التى تصطخب بها نفسه ، والرجل الكاذب لا يصدق غيره ويقول برنارد شو بحق ان اهم عقاب يناله الكاذب ليس فى انه لا يجد من يصدقه ، ولكن فى انه لا يستطيع ان يصدق احدا وهكذا . ونحن نعلم ان خيالات واوهام الاضطهاد فى بعض حالات الجنون ليست الا انعكاسات لافكار الشر والسوء الكامنه فى عقل المريض ، كما ان الغيرة والخوف من الجيل الناشىء التى كثيرا ما نصادفها فى متقدمى السن قد يعزى سببها احياناً الى انعكاس لموقف مماثل سابق كان لهم ازاء كبارهم فاصبحوا يتوهمونه الان فى الصغار وقد وفق ابسن الى تصوير هذه الحالة تصويرا رائعا فى احدى مسرحياته . ويمكن ان نذكر امثلة لا عد لها ، ولكن ما اوردناه حتى الآن يصور للقارىء نزعة ذائعة بين الناس

ولا يتسع المقام هنا للافاضه فى تحليل الحالة التى ذكرناها الآن ، ولذا سنقتصر على النقط الهامة

فيها . فعند ما كان المريض طفلا كان كثير المرض والسقم ، وكانت امه كثيرة العطف والحنان عليه بطبيعتها ، ثم لانه كان ابنها البكر . وقد نشأ مدللا منها واعتادت ان تحمله ليل نهار ، فلما رزقت امه بطفل آخر — وكان هو فى الثانية من عمره — لم يعجبه ان يشاركه آخر فى هذا الحب الذى ظل محوره الوحيد حتى ذلك الحين . وضايقه بصفة خاصة ان تتركه امه بعض الوقت لتحمل اخاه فى اثناء ارضاعه . وقد حدثت حادثة تافهه ولكنها كبيرة الدلالة فى ايضاح هذا الشعور . ذات يوم ، وكان قد تجاوز السنة الثانية من عمره بفترة قصيرة ، صاح بامه قائلا « ارقدى الطفل فى مهده ليبكى وارضعينى » ومما يستفلت النظر هنا كلمة « ليبكى » لانها تدل على القسوة . ولاشك فى احساسه الحقيقى كان خليقا ان يبدو كما هو لولا ان اختفت مظاهره وراء بعض الروادع ، فكان حينئذ يكون طبيعيا اذا قال « القى بالطفل الى الارض » او « ارمى به خارجا »

وثمة علامة أخرى لها اهميتها تلك ان المريض فى خلال طفولته كلها كان يخاف من ابيه كثيرا كما كان يخاف من الزائر الذى جاء ذكره انفا وكان قريب الاختلاط فى عقله بابيه . وقد كان اغلب هذا الخوف ناتجا من انعكاس احساس الحقد الذى نشأ من غيرته من ابيه ؛ فكان يكره اباه سرا ، وطالما احتضن خيالات تدور حول قتله ولذا فانه عزا الى ابيه مثل هذا الحقد نخشى جانبه اذا ظهرت افكاره الشريرة عنه . ومن ثم لما جاء الزائر وبعده الاب وارغماه على الوقوف ، وقفا فيه خطر السقوط من مرتفع « كما حدث فى الفنطاس والبرج » تنبهت غريزته للتفاعل قائلة له هاقد جاءت النهاية اخيرا . لقد اكتشف ابى افكارى الشريرة وهاهو سيفعل بى ما كنت اريد ان افعله لاختى الصغيرة وله

فالكراهة والبغض والغيرة والحقد التى قامت بنفس المريض منذ أول عهد طفولته ظلت فى عقله الباطن ، وتناولت بعض أقربائه ، ثم تحولت فيما بعد الى بعض أصدقائهم المتصلين بهم . ولما كانت الاداب تقضى على هذه النزعات بالكبت ، بل وتغطيها أيضا بمظاهر الحب ، فانها لم تجد الفرصة للظهور فى الوعى فى كامل قوتها ، وانما اقتصرت عند الظهور على بعض حوادث احتكاك وتعارك بين الحين والحين . وقد كان الالم والشقاء اللذين نتجا من هذه الحالة من العقوبات التى أنزلها ضمير المريض به على رغباته القاسية . وكانت المخاوف عقابا آخر — عقابا ذاتيا مباشرا .

الى مشتركينا فى الخارج

كثير من مشتركينا فى الخارج يطلبون منا شراء كتب لهم من القاهرة . وهم أحيـانا لا يرفقون بطلباتهم ثمن هذه الكتب وأجرة بريدها . فنوجه أنظارهم الى أننا لا يمكننا أن نشتريها مالم يرسلوا الينا ثمنها وأجرة بريدها

حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

FRONT ①

شركة مصر للملاحـــــة البحرية

بيواخرها الفاخرة وفنادقها الانيقـــة

تسير بكم على بركة الله الى

بيت الله الحرام

وبنك مصر

يؤدى لـكم جميع الخدمات المصرفية

ويتولى عنكم دفع الرسوم

فخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :—

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها

مطبعة المجلة الجديدة